

تعارض «مفاتيح الجنان» مع القرآن

دراسة نقدية شاملة لكتاب مفاتيح الجنان
في ضوء القرآن والسنة وعلم الرجال والعقل

(الإصدار الثاني)

مُنَقَّحٌ وَمَزِيدٌ

تأليف:

آية الله العظمى العلامة

سيد أبو الفضل بن الرضا البرقي القمي

ترجمه عن الفارسية وقدّم له وحققه

د. سعد رستم

عنوان الكتاب بالفارسية
تضاد مفاتيح الجنان با قرآن

عنوان الكتاب باللغة العربية
تعارض مفاتيح الجنان مع القرآن
دراسة نقدية شاملة لكتاب مفاتيح الجنان
في ضوء القرآن والسنة وعلم الرجال والعقل

تأليف

آية الله العظمى العلامة السيد
أبو الفضل ابن الرضا البرقي القمي
(١٣٣٠هـ-١٤١٤هـ الموافق ١٩٠٨-١٩٩٢م)
www.borqei.com

ترجمة وتحقيق
الدكتور سعد رستم

الناشر
دار العقيدة للنشر والتوزيع
www.aqideh.com

الطبعة الأولى
١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

الإشراف والإعداد
مجموعة الموحدين
www.mowahedin.com
contact@mowahedin.com

© دار العقيدة للنشر والتوزيع، ١٤٣٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البرقي، علامة سيد أبو الفضل

تعارض مفاتيح الجنان مع القرآن: دراسة نقدية شاملة لكتاب
مفاتيح الجنان في ضوء القرآن والسنة وعلم الرجال والعقل / علامة
سيد أبو الفضل البرقي، سعد رستم، المدينة المنورة، ١٤٣٤هـ

جميع الحقوق الفكرية والطباعة محفوظة

جميع الحقوق محفوظة، ولا يسمح بالإفادة من هذا
الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت
إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ
(فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع،
دون إذن خطي من المؤلف.

فهرس المحتويات

١	مقدمة المشروع.....
٥	مقدمة الناشر.....
٩	تنبيه من المترجم حول الإحالات.....
١١	مُقدِّمة المؤلف.....
١٥	تأملٌ في قاعدة «التسامح في أدلة السنن».....
٢٥	التعريف بالشيخ عباس القمي وكتابه.....
٢٩	تذكير وتحذير للقراء.....
٤٣	نظرة إلى ما جاء في حاشية «مفاتيح الجنان» من ص ٢ إلى ص ١٢.....
٥١	تحقيق مختصر في «الباب الأول» من «مفاتيح الجنان».....
٦٧	الفصل الخامس [من مفاتيح الجنان].....
٧٠	الفصل السادس [من مفاتيح الجنان].....
٨٦	تنبيهٌ مهمٌ حول «توحيد العبادة».....
١٢١	الشُّبهات التي تُثار حول «توحيد العبادة».....
٢٢٣	الفصل السابع [من مفاتيح الجنان].....
٢٣٢	الفصل الثامن [من مفاتيح الجنان].....

- الباب الثاني [من مفاتيح الجنان] في أعمال الأشهر العربية ٢٣٧
- الفصل الأول [من مفاتيح الجنان] ٢٣٧
- الفصل الثاني [من مفاتيح الجنان]: في فضل شهر شعبان وأعماله ٢٨٥
- الفصل الثالث [من مفاتيح الجنان]: في فضل شهر رمضان وأعماله ٣٠١
- [بحث حول ادعاء علم النبي والأئمة بالغيب] ٣١٧
- عوداً إلى نقد فصل «أعمال شهر رمضان وعيد الفطر» في المفاتيح ٣٤٣
- الفصل الخامس والسادس [من مفاتيح الجنان] ٣٤٧
- الفصل السابع والثامن [من مفاتيح الجنان] ٣٨٧
- الفصل التاسع [من مفاتيح الجنان] ٣٨٩
- الفصل العاشر [من مفاتيح الجنان] ٣٩٥
- الفصل الحادي عشر [من مفاتيح الجنان] ٣٩٧
- الباب الثالث [من مفاتيح الجنان] في الزيارات ٣٩٩
- الفصل الثاني [من مفاتيح الجنان]: في ذكر الاستئذان للدخول إلى الروضات الشريفة ٤١٢
- الفصل الثالث [من مفاتيح الجنان]: في زيارة النبي والزهراء والأئمة بالبقيع ٤١٥
- الفصل الرابع [من مفاتيح الجنان]: في فضل زيارة مولانا أمير المؤمنين علي (ع) ٤٢١
- الفصل الخامس [من مفاتيح الجنان]: في فضل الكوفة ومسجدها الأعظم وأعماله ٤٣٧
- الفصلان السادس والسابع [من مفاتيح الجنان] ٤٣٩

الفصل العاشر [من مفاتيح الجنان]: في زيارة أئمة سُرَّ من رأى عليهم السلام وأعمال السرداب الظاهر	٤٥١
الزيارة الجامعة الكبيرة	٤٨٦
الخاتمة: في زيارة الأنبياء العظام (ع) وأبناء الأئمة الكرام	٤٩٠
حديث الكساء المُدرج في آخر كتاب المفاتيح	٤٩٣



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المشروع

الحمد لله الذي أنعم على عباده بنعمة الإسلام، واختار منهم أفضل عباده وأطهرهم لإبلاغ رسالة الحرية والتحرُّر من كل عبودية سوى عبودية الله، والصلاة والسلام على أهل بيت نبي المحبة والرحمة الكرام الأطهار، وعلى صحبه الأجلاء الأبرار، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن الدينَ الذي نفخر به اليوم ثمرةً لجهاد رجال الله وتضحياتهم؛ أولئك الذين كانت قلوبهم مُتِيَمَةً بحب الله، وألستهم لَهْجَةً بذكر الله، وبذلوا الغالي والنفيس في سبيل حفظ رسالات الله ونشرها، واضعين أرواحهم وأموالهم وأعراضهم على أكفهم ليقدموها رخيصةً في سبيل صون كلمة الله سبحانه و سنة نبيه الكريم، لا تأخذهم في ذلك لومة لائم، ولا يخشون إلا الله.

أجل، هكذا قامت شجرةُ الإسلامِ العزيز واستقرَّت ضاربةً بجذورها أعماق الأرض، بالغةً بفروعها وثمارها عنان السماء، مُعليةً كلمة التوحيد والمساواة.

ولكن في أثناء ذلك، تطاولت على قامة الإسلام يد أعدائه الألداء، وظلم علماء السوء وتحريف المتعبدين الجهلة، فَشَوُّهُوا صورة الإسلام الناصعة بشركهم وغلوهم وخرافاتهم وأكاذيبهم، إلى درجة أن تلك الأكاذيب التي كان ينشرها المتاجرون بالدين غطَّت وجه الإسلام الناصع. وقد اشتدَّ هذا المنحى من الابتعاد عن حقائق الدين وعن سنة رسول الله الحسنة، بمجيء الصفويين إلى حكم إيران في القرن التاسع الهجري ثم بقيام الجمهورية الإسلامية في العصر الحاضر، حتى أصبحت المساجد اليوم محلاً لَلِطْمِ الصدور وإقامة المآتم ومجالس الغزاء، وحلَّت الأحاديث الموضوعية المكذوبة محل سنة النبي ﷺ، وأصبح المدّاحون الجهلاء الخدّاعون للعوام، هم الناطقون الرسميون باسم الدين؛ وأصبح التفسير بالرأي المذموم والروايات

الموضوعة المختلقة مستمسكاً للتفرقة بين الشيعة والسنة، ولم يدروا للأسف من الذي سيتنتفع ويستفيد من هذه التفرقة المقيتة؟

إن دعوة التقريب بين المذاهب الإسلامية التي تُرفع اليوم في إيران، ليست سوى ضجّة إعلامية ودعاية سياسية واسعة، القصد منها جذب الأنظار وإعطاء صورة جيدة عن حكومة إيران الشيعية في العالم. إن نظرةً إلى قادة الشيعة في إيران وزعماءهم الدينيين ومراجعهم تدل بوضوح على هذه الحقيقة وهي أن التقريب بين المذاهب الإسلامية والأخوة والمحبة الدينية بين المسلمين، على منهج حُكّام إيران الحاليين، ليست سوى رؤيا وخيالٍ وشعارات برّاقة لا حقيقة لها على أرض الواقع.

في هذا الخِصَمّ نهض أفراد مؤمنون موحدون من وسط مجتمع الشيعة الإمامية في إيران، دعوا إلى النقد الذاتي وإعادة النظر في العقائد والممارسات الشيعية الموروثة، ونبذ البدع الطارئة والخرافات الدخيلة، وإصلاح مذهب العترة النبوية بإزالة ما تراكم فوق وجهه الناصع منذ العصور القديمة من طبقات كثيفة من غبار العقائد الغالية والأعمال الشركية والبدعية، والأحاديث الخرافية والآثار والكتب الموضوعة، والعودة به إلى نقائه الأصلي الذي يتجلى في منابع الإسلام الأصيلة: القرآن الكريم وما وافقه من الصحيح المقطوع به من السنة المحمدية الشريفة على صاحبها آلاف التحية والسلام وما أيدهما من صحيح هدي أئمة العترة الطاهرة وسيرتهم؛ وشمر هؤلاء عن ساعد الجدّ وأطلقوا العنان لأقلامهم وخطبهم ومحاضراتهم لإزالة صدأ الشرك عن معدن التوحيد الخالص، ولسان حالهم يقول: «انهض أيها المسلم وامح هذه الخرافات والخرزعبلات عن وجه الدين، واقض على هذا الشرك الذي يتظاهر باسم التقوى، وأعلن التوحيد وحطّم الأصنام».

لقد اعتبر «حيدر علي قلمداران القمي» - وهو أحد أفراد تلك المجموعة من الموحّدين المصلحين - في كتابه «طريق الاتحاد»، أن سبب هذه التفرقة هو جهل المسلمين بكتاب الله وسيرة نبيه، وسعى من خلال كشف الجذور الأخرى لتفرّق الفرق الإسلامية، إلى التقدّم خطوات مؤثرة نحو التقريب الحقيقي بين المذاهب. ولا ريب أن جهود علماء الإسلام الآخرين مثل آية الله السيد

أبو الفضل ابن الرضا البرقي، و السيد مصطفى الحسيني الطباطبائي، وآية الله شريعت سنكلجي، ويوسف شعار وكثيرين آخرين من أمثال هؤلاء المجاهدين في سبيل الحق، أسوة ونبراس لكل باحث عن الحق ومتطلع إلى جوهر الدين، كي يخطوا هم بدورهم أيضاً خطوات مؤثرة في طريق البحث والتحقيق التوحيدي، مُتَّبِعِينَ فِي ذَلِكَ أَسْلُوبَ التَّحْقِيقِ الدِّينِيِّ وَتَمَحِيصِ الْأَدْعَاءِ الدِّينِيَّةِ عَلَى ضَوْءِ التَّعَالِيمِ الْأَصِيلَةِ لِلْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، لِيَعِينُوا وَيُرْشِدُوا مِنْ ضَلُوعِ الطَّرِيقِ وَتَقَاذِفَتِهِمْ أَمْوَاجَ الشَّرْكِ وَالْخِرَافَاتِ وَالْأَبَاطِيلِ، لِيَصِلُوا بِهِمْ إِلَى بَرِّ أَمَانِ التَّوْحِيدِ وَالِدِّينِ الْحَقِّ.

إن المساعي الحثيثة التي لم تعرف الكلل لِرُؤَادِ التَّوْحِيدِ هُوَ لَاءَ هِيَ رِسَالَةٌ تَقَعُ مَسْئُولِيَّتُهَا عَلَى عَاتِقِ الْآخَرِينَ أَيْضاً، الَّذِينَ يَشَاهِدُونَ الْمَشَاكِلَ الدِّينِيَّةَ لِمَجْتَمَعِنَا، وَيُرُونَ ابْتِعَادَ الْمُسْلِمِينَ عَنِ تَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ الْحَيَّةِ، لِأَسِيَا فِي إِيرَانَ.

هذا ولا يفوتنا أن نُذَكِّرَ هُنَا بِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْمَصْلُحِينَ الَّذِينَ نَقُومُ بِنَشْرِ كِتَابِهِمْ الْيَوْمَ قَدْ مَرُّوا خِلَالَ تَحْوُّلِهِمْ عَنِ مَذْهَبِهِمُ الْإِمَامِيِّ الْقَدِيمِ بِمَرَاكِلٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَاكْتَشَفُوا بَطْلَانَ الْعَقَائِدِ الشَّيْعِيَّةِ الْإِمَامِيَّةِ الْخَاصَّةِ - كَالْإِمَامَةِ بِمَفْهُومِهَا الشَّيْعِيِّ وَالْعَصْمَةَ وَالرَّجْعَةَ وَالْغَيْبَةَ... وَكَالْمَوْقِفِ مِمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ - بِشَكْلِ مُتَدَرِّجٍ وَعَلَى مَرَاكِلٍ، لِذَا فَلَا عَجَبَ أَنْ نَجِدَ فِي بَعْضِ كِتَابِهِمُ الَّتِي أَلْفُوهَا فِي بَدَايَةِ تَحْوُّلِهِمْ بَعْضَ الْآثَارِ وَالرَّسُوبَاتِ مِنْ تِلْكَ الْعَقَائِدِ الْقَدِيمَةِ لَكِنْ كِتَابِهِمُ التَّالِيَةَ تَخَلَّصَتْ بِلِ نَقْدَتِ بِشَدَّةِ كُلِّ تِلْكَ الْعَقَائِدِ الْمَغَالِيَةِ وَاقْتَرَبُوا لِلْغَايَةِ بِلِ عَانَقُوا الْعَقِيدَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ الصَّافِيَّةَ وَالتَّوْحِيدِيَّةَ الْخَالِصَةَ.

الأهداف

تُمَثِّلُ الْكُتُبُ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ الْيَوْمَ سَعِيًّا لِنَشْرِ مَعَارِفِ الدِّينِ وَتَقْدِيرًا لِمَجَاهِدَاتِ رِجَالِ اللَّهِ الَّتِي لَمْ تَعْرِفِ الْكَلَّلَ. إِنْ الْهَدَفُ مِنْ نَشْرِ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةِ مِنَ الْكُتُبِ هُوَ:

١- إمكانية تنظيم ونشر آثار الموحدين بصورة إلكترونية على صفحات الإنترنت، وضمن أقراص مضغوطة، و بصورة كتب مطبوعة، لتهيئة الأرضية اللازمة لتعريف المجتمع على أفكارهم التوحيدية وآرائهم الإصلاحية، لتأمين نقل قيم الدين الأصيلة إلى الأجيال اللاحقة.

٢- التعريف بأثار هؤلاء العلماء الموحّدين وأفكارهم يشكّل مشعلاً يهدي الأبحاث التوحيدية وينير الدرب لطلاب الحقيقة ويقدم نموذجاً يُتتدى لمجتمع علماء إيران.

٣- هذه الكتب تحت المجتمع الديني في إيران الذي اعتاد التقليد المحض، وتصديق كل ما يقوله رجال الدين دون تفكير، والذي يتمحور حول المراجع ويحب المدّاحين، إلى التفكير في أفكارهم الدينية، ويدعوهم إلى استبدال ثقافة التقليد بثقافة التوحيد، ويريهم كيف نهض من بطن الشيعة الغلاة الخرافيين، رجال أدركوا نور التوحيد اعتماداً على كتاب الله وسنة رسوله.

٤- إن نشر آثار هؤلاء الموحّدين الأبطال وأفكارهم، ينقذ ثمرات أبحاثهم الخالصة من مقصّ الرقيب ومن تغييب قادة الدين والثقافة في إيران لهذه الآثار القيّمة والتعظيم عليها، كما أن ترجمة هذه الآثار القيّمة لسائر اللغات يُعرّف الأمة الإسلامية بآراء الموحّدين المسلمين في إيران وبأفكارهم النيرة.

آفاق المستقبل

لا شك أنه لا يمكن الوصول إلى مجتمع خالٍ تماماً من الخرافات البدع وإلى المدينة الفاضلة التي تتحقق فيها الطمأنينة في ظلّ رضا الله سبحانه وتعالى، إلا باتّباع التعاليم النقيّة الأصيلة للقرآن الكريم وسنة نبي الرحمة والرفقة ﷺ. إن هدف القائمين على نشر مجموعة آثار الموحّدين هو التعريف بأثار هؤلاء المجاهدين العلميين الكبار، كي تكون معرفة الفضائل الدينية والعلمية لهؤلاء الأعداء، أرضية مناسبة لنموّ المجتمع التوحّدي والقرآني في إيران وقوّته، وذلك لنيل رضا الخالق وسعادة المخلوق.

نسأل الله تعالى أن يجعل هذه الكلمات المختصرة وسيلة لعلو درجات أولئك الأعداء، وأن يمنّ علينا بالعفو.



مقدمة الناشر

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة العبودية له، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله وآخر رسل الله محمد المصطفى وعلى آله الأطهار وصحبه الأبرار.

وبعد، فقد كان المسلمون طول القرون المنصرمة سبّاقين للآخرين في تحصيل العلم والمعرفة وتعلّم العلوم المختلفة، وذلك ببركة تعاليم الإسلام العزيز وأتباعاً منهم لكلام رسول الله ﷺ، حتى صار العلماء المسلمون في أواخر فترة الخلافة العباسية سادة العلوم في عصرهم، وتحول بيت الحكمة الذي تأسس في بغداد في النصف الثاني من القرن الهجري الثاني في عهد خلافة هارون الرشيد العباسي، إلى أكبر مؤسسة علمية وبحثية في العالم، ولا يزال بيت الحكمة يُعتبر مظهراً من مظاهر الحضارة الإسلامية وذلك بفضل نشاطاته الثقافية والعلمية في المجالات المختلفة من تأليف وترجمة واستنساخ وأبحاث متنوعة في المجالات العملية المختلفة سواء الطب والهندسة أم العلوم الإنسانية.

ولا شك أن هذه القوة العلمية للمسلمين كانت بمثابة شوكة في أعين أعداء الإسلام، لذلك سعوا من خلال بثّ أسباب الفرقة والاختلاف بين المسلمين إلى تحطيم عظمة الإسلام هذه وسؤدده الذي يعود الفضل فيه إلى وحدة المسلمين وتماسكهم والأخوة السائدة بينهم، فأثار أعداء الإسلام عواصف النزاعات والتفرقة بين المسلمين كي يجربوا جمال الحق عن أبصارهم، ويخفوا شمس الدين المشعة خلف غيوم البدع والخرافات. وكما يقول الشيخ سعدي الشيرازي:

الحقيقة مـكـان مـزـينٌ لكن الهوى والرغبات أثارا الغبار فوقه
ألا ترى أن كل مكان اعتلاه الغبار لا يقع عليه النظر ولو كان الرجل بصيراً

إن المساعي المخطط لها وعلى المدى الطويل لأعداء الإسلام، لأجل إغلاق أعين المسلمين عن حقيقة الدين وإضعاف المسلمين عن تعلم معارف الدين ونشرها، وإبعادهم عن سنة النبي الأصيلة الهادية، أدت إلى حدوث فجوة عميقة واختلاف كبير في أمة الإسلام وأصبح أبناء الإسلام اليوم يعانون بشدة من تبعات هذه الفجوة وآثارها المشؤومة.

وبموازاة مساعي أعداء نبي الإسلام ﷺ العدائية الرامية إلى تحريف تعاليم الإسلام وتشويهها وإدخال البدع المختلفة في الدين، أدرك أشخاص مؤمنون أطهار شفيقون هذا الخطر، ونهضوا مشمرين عن ساعد الجد والجهاد المتواصل لإحياء معالم الإسلام والسنة النبوية الأصيلة، وتناولوا بأيديهم - بشجاعة منقطعة النظير - أفلامهم وأخذوا يكتبون ويؤلفون في نشر ثقافة الإسلام الأصيلة والعقائد الإسلامية الصحيحة النقية بين أوساط الشيعة عبّاد الخرافات، وصدحوا بينهم بنداء التوحيد بصوت عال أيقظ المتاجرين بالدين والبدع من نوم غفلتهم مدعورين! لقد ضحى هؤلاء الموحدون الطالبون للحق والحقيقة بمصالحهم الشخصية فداء للحقيقة، وقدموا أرواحهم في هذا السبيل هدية رخيصة للحق تعالى، وصاروا عن حق مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس/62].

إن ما جاء في هذه المجموعة ليس سوى غيض من فيض المعارف الإلهية، ومُتَّخَبٍ من آثار الموحدين الطالبين لله تعالى الذين كانوا ينتمون في بداية أمرهم لطائفة الشيعة. لقد أشرق نور الله في صدورهم، وصار التوحيد نبراس حياتهم المباركة. لقد تم تحرك هؤلاء الأفراد الذين كانوا جميعاً في بداية أمرهم من الطراز الأول من علماء الشيعة في إيران، في مسيرتهم التحولية من مذهبهم القديم، خطوة خطوة؛ بمعنى أن نظرهم إلى المسائل العقائدية لم تتحول بشكل فجائي مرة واحدة، بل حصل هذا التحول بمرور الزمان وعلى إثر المطالعة والدراسة المتأنية والتواصل مع من يوافقهم في أفكارهم، لذا من الطبيعي أن لا تنطبق بعض رؤى وأفكار هؤلاء الإصلاحيين في بعض مراحل حياتهم وكتاباتهم، مع عقائد أهل السنة والجماعة واتجاهاتهم الفكرية بشكل كامل؛ لكن رغم ذلك قمنا بنشر هذه المؤلفات كما هي نظراً لأهميتها في هداية شيعة إيران وغيرهم من الناطقين باللغة الفارسية. كما أنه من الجدير بالذكر أن الرؤى والمواقف

الفكرية المطروحة في هذه الكتب، لا تنطبق بالضرورة مع رؤى الناشر والقائمين على نشر هذه المجموعة من الكتب، هذا على الرغم من أن هذه الكتب تمثل بلا ريب نفحةً من نفحات الحق و نوراً من جانب الله هداية طالبى الحقيقة البعيدين عن العصبية والظنون التاريخية الطائفية.

إن النقطة الجديرة بالتأمل هي أنه للوقوف بشكل صحيح على رؤى وأفكار هؤلاء الأفراد، لا يمكن الاكتفاء بقراءة مجلد واحد من آثارهم؛ بل لا بد من قراءة حياتهم بشكل كامل، كي يتم التعرف بشكل كامل على كيفية تحولهم الفكري، ودوافعه وعوامله. فعلى سبيل المثال، ألف آية الله السيد أبو الفضل البرقي في الفترة الأولى من بداية تحوله الفكري كتاباً بعنوان «درسى از ولايت» أي «درس حول الولاية»، بحث فيه موضوع الأئمة وادعاء الشيعة حول ولايتهم وإمامتهم وراثتهم المباشرة للمسلمين بعد نبي الله ﷺ. واعتبر أن عدد الأئمة ١٢ إماماً، مصححاً بذلك الاعتقاد بوجود محمد بن الحسن العسكري وحياته حتى الآن، بوصفه الإمام الثاني عشر. لكن المؤلف نفسه ألف بعد عدة سنوات كتاباً باسم «تحقيق جدي في أحاديث المهدي» ووضع تحت تصرف القراء نتائج بحثه التي توصل إليها في هذا المجال، وهي أن جميع الأخبار والروايات التاريخية المتعلقة بولادة ووجود المهدي إمام الزمان، روايات وأخبار موضوعة وكاذبة. من هذا المثال ومن أمثلة مشابهة أخرى يتبين أن أفضل طريق لمعرفة المسيرة التحولية لأفكار هؤلاء الموحدين وآثارهم هي قراءة مجموعة كتاباتهم بشكل كامل، مع الأخذ بعين الاعتبار تقدم كل مؤلف من مؤلفاتهم أو تأخره زمنياً.

نأمل أن تكون آثار هؤلاء المؤلفين الكبار ومساعي القائمين على نشرها، سبباً للعودة إلى مسيرة الأمن الإلهية وعبادة الحق سبحانه وتعالى الخالصة.

نسأل الله تعالى أن يجعل هذه الكلمات المختصرة وسيلة لغفران ذنوبنا وأن يسامحنا إذا وقعنا في خطأ أو زلل، وأن يرحم أرواح أولئك المؤلفين الأعزاء ويجعلهم في جوار رحمته، إنه رؤوف رحيم، والحمد لله رب العالمين.

تنبيه من المترجم حول الإحالات

أولاً: اعتمد المؤلف البرقي (رح) في كتابه الحالي، كما ذكر في ص ٤١-٤٢، على النسخة الفارسية لكتاب مفاتيح الجنان التي تحمل اسم «كليات مفاتيح الجنان»^(١)، وأحال إلى صفحاتها. ولكن لما كان قارئ الترجمة العربية الحالية لكتاب «تعارض مفاتيح الجنان» مع القرآن لا يعرف الفارسية في الغالب، فلن يستفيد شيئاً من الإحالات إلى أرقام صفحات النسخة الفارسية لكتاب المفاتيح؛ فلم أر فائدة من إحالته إلى صفحات النسخة الفارسية لكتاب المفاتيح، بل تنبغي إحالته إلى نسخةٍ مُعرَّبةٍ للمفاتيح يمكنه أن يرجع إليها إذا شاء التحقق من إحالات المؤلف، فاخترت نسخةً مُعرَّبةً لمفاتيح الجنان هي النسخة التي طبعتها ونشرتها «دار ومكتبة الرسول الأكرم» في بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، باهتمام السيد محمد رضا النوري النجفي، وتقع في ٩٢٨ صفحةً من القطع المتوسط، فأحلت إلى صفحاتها في كل موضع تناوله المؤلف البرقي من كتاب المفاتيح وأحال إليه، وقد تحمَّلت عناءً كبيراً به في مطابقة صفحات هذه النسخة المُعرَّبة على صفحات النسخة الفارسية التي أحال المؤلف إليها.

ثانياً: أحال المؤلف البرقي (رح) كثيراً في كتابه هذا إلى كتابه الآخر «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول» المكتوب بالفارسية أيضاً، وللسبب ذاته المذكور أعلاه، وهو عدم معرفة قارئ الكتاب الحالي للفارسية؛ لذا رأيتُ أن تتمَّ الإحالات إلى أرقام صفحات الترجمة العربية التي قمتُ بها مؤخراً لكتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول» وخرجت في جزأين و ٩٨٥ صفحة.

أما بالنسبة إلى الإحالات إلى صفحاتٍ من سائر كتبه، أو إلى صفحاتٍ من كتب المرحوم

(١) للعلم: ألَّف الشيخ عبَّاس القُمِّي (رح) كتابه «مفاتيح الجنان» بالفارسية، ما عدا نصوص الأدعية والزيارات التي تركها بلغتها الأصلية العربية. (المترجم)

«قلمداران» (كإلحالة إلى كتاب سوانح الأيام، أو زيارت وزيارتنامه [زيارة المزارات وأدعية الزيارات]، أو راه نجات از شر غلاة [طريق النجاة من شر الغلاة]، أو شاهراه اتحاد [طريق الاتحاد]) فإن مُرادَه أرقام صفحات النسخ الأصلية لتلك الكتب باللغة الفارسية والتي طُبِعَتْ على الآلة الكاتبة IBM وصُوِّرَتْ نسخٌ منها ووُزِّعَتْ، فلا بد من الرجوع إليها.

وأخيراً: فقد أرجع المؤلف في ثنايا هذا الكتاب، القُرَاءَ كثيراً إلى صفحاتٍ سابقة أو لاحقة منه، فطابقت صفحات الإحالات على الصفحات الجديدة الخاصة بهذه الترجمة العربية التي اختلفت بالطبع عن صفحات الأصل الفارسي، وصحَّحتُها كي يكون للإرجاعات معنى وفائدة للقارئ العربي. فليُعلِّم.

والحمد لله على ما وفق، ونسأله القبول، إنه خير مأمول، وأكرم مسؤول، والله من وراء القصد.

المُترجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُتَمِّمَةُ الْمُؤَلِّفِ

الحمد لله حمداً لا ينفد، والشكر والثناء لله المتعال شكراً لا يبلغه العد، إذ منحني القدرة على تنقيح بعض مؤلفاتي القديمة وتهذيبها، في هذه الأيام التي أصبحت فيها مُشَرِّداً، ونال مني ضعف الشيخوخة ما نال، وأنهكتني الأمراض الناجمة عن الاعتقالات والحبس المتكرر في الفترة الأخيرة، إضافةً إلى فقدانِي للحريّة وللأمن على نفسي، إذ لا آمن في كل لحظة من هجوم الخرافيين ومأجوري المشايخ عليّ، مما حدا بي إلى ترك السكّن في منزلي، حتى أنه لم يكن يُسمح لي بإقامة صلاة الجمعة في منزلي ولا أن أعقد فيه جلسات تفسير القرآن للأصدقاء والمعارف!

أجل، في هذه الأيام الأخيرة من عمري التي لم أعد قادراً فيها على فعل شيء ذي بال، ولا قادراً على الوصول إلى الكتب التي أحتاجها، قمتُ بإعادة النظر في كتاب كنت قد ألفتُه حول كتاب «مفاتيح الجنان» ووزعته على عددٍ محدودٍ من الأصدقاء والإخوة في الإيمان، فاشتغلتُ بتنقيحه وتحريره من جديد.

وقبل البدء بدراسة كتاب «مفاتيح الجنان» ونقده والتعريف بمؤلفه، أرى من الضروري أن أذكر إخواني أن الله تعالى حصر هداية البشر بهداية القرآن فجعل كتابه هادي المسلمين ومرشدهم فقال عز من قائل: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ [سورة البقرة: ١٢٠ و الأنعام: ٧١]، وقال أيضاً: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] أي أن أهل الإنصاف والتحقيق إن كانوا يبحثون عن الحق والهداية فعليهم أن يبحثوا عنها في القرآن. وقال تعالى كذلك: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

لقد اعتبر الله تعالى مراراً كتابه ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فيجب على جميع المسلمين

فرداً فرداً أن يزنوا كل ما يُعرض عليهم باسم الدين والشريعة -ومن جملة ذلك الأحاديث والأدعية والزيارات- بميزان القرآن الكريم فإن لم يكن ما يُعرض عليهم مُتوافقاً مع كتاب الله ولا مُسجماً مع الهداية الإلهية، وجب عليهم رفضه وإلا كانوا ممن يُحارب كتاب الله ويُعاديه.

إن الإسلام دين الله، وقد ارتضى الله لعباده هذا الدين إلى يوم القيامة، وجعل لهذا الدين ميزاناً، كي لا يتمكن كل شخص أن يُدخل في دين الله ما يشاء أو يُنقص منه ما يشاء. اعتبر الله كتابه الحكيم «ميزاناً» وقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾﴾ [الشورى: ١٧] وقال كذلك: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ [الحديد: ٢٥].

من هذا المنطلق فإن واجب المسلمين وتكليفهم هو أن يزنوا كل أمور دينهم بميزان القرآن ليحفظوا بذلك دينهم الإلهي من النقص والزيادة أو التغيير والتحريف ودسّ أمور مخالفة للدين فيه. ولكن للأسف الشديد، لقد قصر المسلمون في هذا الأمر وتركوا العقل جانباً وقبلوا كل ما وصل إلى أيديهم باسم الدين وأعجبوا به ولم يزنوه بهذا الميزان الإلهي.

وإننا لتتعجب كيف ترك المسلمون كتاب الله وانحرفوا عنه، وابتلوا بأنواع الخرافات والأوهام؟! رغم أنه تعالى جعل لهم القرآن «ميزاناً» كي يزنوا به الأمور الدينية فيميزوا بواسطته بين الحق والباطل ولا يسمحوا بتلويث دين الله وتشويهه، ورغم أن رسول الله ﷺ وأئمة الدين الكرام أوصوا وصايا عديدة مؤكدة بعدم التسرع في قبول كل خبر وحديث منقول عنهم، بل عرضه أولاً على كتاب الله، فإن وافق القرآن قبل وإلا وجب رفضه.

لقد قال رسول الله ﷺ: «فَمَا وَافَقَ كِتَابَ اللَّهِ فَخُذُوا بِهِ، وَمَا خَالَفَ كِتَابَ اللَّهِ فَدَعُوهُ»^(١). وروي عن حضرات الصادقين (أي الإمامين الباقر والصادق) -عليهما السلام- أنها قالوا:

(١) أصول الكافي، باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب، ج ١، ص ٦٩، الحديث ١. وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ٧٨، الحديث ١٠. (المترجم)

«لَا تُصَدِّقْ عَلَيْنَا إِلَّا مَا وَافَقَ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ^(١)». وقد تكلّمنا في كتابنا «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول» بما فيه الكفاية على كون القرآن «ميزاناً» وعلى وصية أئمة الدين بوجود عرض الروايات على كتاب الله (فَلْيُرَاجَعْ ثَمَّةً)^(٢).

من الطبيعي أن كلّ من أراد أن يتدع بدعةً في الدين أو يفترى أكاذيب ويلصقها بالإسلام، أن يقوم بنسبة بدعته وأكاذيبه إلى النبي ﷺ وأئمة الدين أو إلى الرواة ذوي السمعة الحسنة كي تلقى القبول لدى الآخرين. وبناء عليه، فمُجرّد كون الراوي عادلاً وصادقاً لا يكفي لقبول روايته بل لا بُدَّ من تقييم كل رواية ووزنها بميزان القرآن الكريم، فربَّ أحاديث باطلة رُوّتها رجالٌ بسطاء طيبو القلب وعدولٌ، استطاع واضح الحديث أن يخدعهم وينشر أكاذيبه بواسطتهم! لاسيما في القرنين الثاني والثالث الهجريين حيث لم تكن هناك حوزة علمية ولا جامعة يقوم علماءها بالتدقيق والتفحص في كل ما يروج من أحاديث وأخبار دينية، فكان كل من شاء أن يضع الحديث يضعه وينشره بين العابدين والزاهدين من السُّدج والبسطاء الذين تنظلي عليهم أحاديثه ويُصدّقون كلّ خبر بسرعة، الأمر الذي أدّى إلى ضلال المسلمين. ولكن لحسن الحظ فإن كثيراً من الخرافات والأمور المخالفة لروح الدين، رُوّيت عن طريق غلاة ومُنحرفين وأفراد مشهورين بالكذب والوضع، أُثبتت أسماؤهم وأحوالهم في كتب الرجال (مما يُسهّل كشف زيف أحاديثهم).

(١) الحديث رواه مُحَمَّدُ بْنُ مَسْعُودٍ الْعَيْشِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ سَدِيرٍ - ونقله الحر العاملي عنه في وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ٨٩، حديث ٤٧. (المُترجم)

(٢) راجعوا مُقدّمة الكتاب المذكور لاسيما ص ٣٢ - ٣٤، وص ٢٦٥-٢٦٧ من الترجمة العربية لكتاب عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول.

تذكير مهم: أرجو من القراء المحترمين قبل أن يقرؤوا الكتاب الحالي، أن يقرؤوا مُقدّمة الإصدار المُنقح الثاني لكتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول» ويقرؤوا الأمور التي ذكرناها في الصفحة ٩١٧ فما بعد منه، وذلك لأن قراءة تلك الأمور والمسائل مفيدة جداً لاستيعاب أفضل وفهم أعمق لمطالب الكتاب الحالي. وقد أحلنا القراء في كثير من مواضع الكتاب الحالي إلى الكتاب المُشار إليه (عرض أخبار الأصول) وإلى كتاب «زيارات وزياراتنامة» (أي زيارة المزارات وأدعية الزيارات) [للمرحوم قلمداران].

في زماننا هذا، قام شخصٌ ذو بضاعة من العلم مُزجاة، بكتابة ديباجة وتقرير على كتاب «مفاتيح الجنان» مضمونه أن ميزان معرفة الرجال في أخبار أهل البيت يعتمد على اتصافهم بصدق الحديث وأداء الأمانة، وأن أهم معيار لمعرفة صدق الأخبار من كذبها هو إحراز صدق لهجة الراوي وسماحه من الثقات!

ويجب أن نقول: كم من أشخاص صادقين وزاهدين وعابدين لا تتوافق عقائدهم ولا أفكارهم مع كتاب الله! نعم، لا شك أن الصدق من صفات المتقين، ولكن من الممكن أن يُخطئ الصادق أو يظن الصدق في راوٍ كاذبٍ فيروي عنه. فكم من أمور باطلة رويت عن هؤلاء الرواة الموثوقين وأدت إلى ابتلاء الناس بالانحراف بل حتى وقوعهم في حبال الشُّرك!

وبناءً على ذلك، فقد وقع المُحدِّثون ذوو البصيرة الضعيفة ومُقلِّدوهم، في خطأ كبير عندما صرفوا جُلَّ همَّتهم إلى التحقُّق من صحة السند ووثاقة الرواة ولم يلتفتوا أو يهتموا اهتماماً جدياً بمتون الأخبار ولم يتفكروا ويتعمقوا فيها. ومن ثمَّ فإن ذلك المدح والثناء لكتاب «مفاتيح الجنان» الذي ذُكر في تلك الديباجة والتقديم ليس في محلِّه، ويجب على العلماء البصيرين بعقائد القرآن أن يُحقِّقوا في جميع ما ذُكر من أمور في كتاب «مفاتيح الجنان» ويُميِّزوا الحق من الباطل والصواب من الخطأ فيه. وللأسف لم يُقدِّم أحدٌ حتى الآن على مثل هذا العمل المُهمِّ ولم ينتدب أيُّ مُحقِّقٍ مُريدٍ لخير الناس إلى إرشادهم في هذا المجال. ولذلك فإننا نُقدِّم اليوم - طلباً لرضا الله وخدمةً لعباده - هذا الكتاب المُختصر إلى إخواننا في الدين مُحْتَسِبِينَ الأجر على ذلك عند الله. ونأمل أن يُهبِّئَ اللهُ تعالى لهذا الكتاب الانتشار بين الناس على الرغم من مُخالفة المُسترزقين بالدين ومُجَّار الخرافات وما ذلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ.

خادم الشريعة المُطَهَّرة: سيد أبو الفضل بن الرضا البرقي

مهتد

تأمل في قاعدة «التسامح في أدلة السنن»

قبل البدء بدراسة ونقد كتاب «مفاتيح الجنان»، يجب أن نعلم أن أحد علل شيوع الأحاديث الموضوعية وغير المعقولة والمخالفة لروح الإسلام بين المسلمين وأحد أسباب انتشار الخرافات والأوهام في أوساطهم قاعدة غير منطقية ولا معقولة تُعرف باسم «التسامح في أدلة السنن»، ورغم أنني قد ذكرتُ كلاماً مُفصّلاً حول هذه القاعدة في كتابي «عرض أخبار الأصول...»^(١)، لكنني لدى إعادة قراءتي للكتاب الحالي رأيت من الضروري أن أذكر هنا كلاماً مُختصراً حول هذه المسألة: اعلم أن أحاديث «مَنْ بَلَغَهُ ثَوَابٌ.....»^(٢) المشهورة بأحاديث «مَنْ بَلَغَهُ» والتي تُعتبر مُستنداً ودليلاً قاعدة «التسامح في أدلة السنن» التي أضرت كثيراً، قد رويت في كتب حديث من أمثال «المحاسن» للبرقي و«الكافي» للكليني و«ثواب الأعمال» للشيخ الصدوق، وبعض رواياتهم «علي بن إبراهيم»^(٣) القائل بتحريف القرآن، و«محمد بن سنان» الكذاب^(٤)، و«علي بن الحكم» المُفرّق بين المسلمين وعدو القرآن والراوي لحديث أن القرآن يحتوي سبعة عشر ألف آية^(٥)!! و

(١) راجعوا الكتاب المذكور، ص ٥٣ فما بعد (أو الصفحات ٧٩ فما بعد، من ترجمته العربية).

(٢) تمام الحديث: "مَنْ بَلَغَهُ ثَوَابٌ مِنْ اللَّهِ عَلَى عَمَلٍ فَعَمِلَهُ رَجَاءَ ذَلِكَ الثَّوَابِ، أَوْ تَيْبَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْحَدِيثُ كَمَا بَلَغَهُ!". وسيذكر المؤلف لاحقاً نماذج لألفاظ روايات هذا الحديث. (المُتَرَجِّمُ)

(٣) لمعرفة حاله راجعوا كتاب «عرض أخبار الأصول...»، الصفحات ٧٩ و ٩٧ و ١١٢ فما بعد ١٦٢.

(٤) لمعرفة حاله راجعوا كتاب «عرض أخبار الأصول...»، الصفحات ٣٠٤ حتى ٣٠٨.

(٥) لمعرفة حاله راجعوا كتاب «عرض أخبار الأصول...»، ص ٢٧٨-٢٧٩ و ٣٦٠ و ٣٧٣ و ٤١١ و ٤١٤ و ٦٣٣ و ٨٢٦ و ٨٣٥. ولم يرو هذا الرجل حديث القرآن سبعة عشر ألف آية فقط، بل روى أحاديث أخرى دالة على تحريف القرآن أيضاً!! راجعوا «بحار الأنوار»، ج ٨٩، ص ٤٨، الحديث ٧، و ص ٥٠ الحديث ١٤، و ص ٥٩ الحديث ٤١.

ونذكر هنا أحد هذه الروايات المذكورة كنموذج: "مَنْ بَلَغَهُ شَيْءٌ مِنَ الثَّوَابِ عَلَى (شَيْءٍ مِنَ الْحَبْرِ) فَعَمِلَهُ كَانَ لَهُ أَجْرُ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَقُلْهُ"^(١).

قال الشيخ البهائي:

"قد شاع العمل بالضعاف في السنن وإن اشتدَّ ضعفها ولم تُجبر"^(٢).

وقال المجلبي أيضاً:

"اعلم أن أصحابنا رضوان الله عليهم كثيراً ما يستدلُّون بالأخبار الضعيفة والمجهولة على السنن والآداب، ويحكمون بها بالكراهة والاستحباب، وأوردَ عليه أن الاستحباب أيضاً حكم شرعي كالوجوب فلا وجه للفرق بينهما والافتقار فيه بأخبار الضعفاء والمجاهيل، وكذا الكراهة والحرمة لا فرق بينهما في ذلك، وأجيبَ عنه بأن الحكم بالاستحباب فيما ضعف مستنده ليس في الحقيقة بذلك الخبر الضعيف، بل بالروايات الواردة في هذا الباب [أي باب «من بلغه من الله ثواب على عمل...»] وغيره."^(٣)

وقد صدق في كلامه، وكما صرَّح فإن مأخذ ومُستند كثير من المُستحَبَّات والمكروهات التي نصَّ عليها العلماء وأفتوا بها ومن ثمَّ اعتبروها جزءاً من دين الله وحثوا الناس على فعلها أو حذروهم منها هو أحاديث ضعيفة روايتها غير مُوثَّقين أو فسقة فاسدو العقيدة وكذَّابون ووضَّاعون وحمقى أو مجاهيل، وكم من أمثال هذه الأحاديث والأخبار غير المعقولة والخرافية والمُتعارضة مع العلم يُروِّج بين الناس بواسطة العلماء أو المُتظاهرين بالعلم!

ولا يخفى أننا لو بحثنا في آثار علمائنا بعيداً عن التعصب والتحيز الأعمى لتبيَّن لنا أن أقوالهم

(١) بحار الأنوار، ج ٢، (كتاب العلوم، باب ٣٠) ص ٢٥٦، الحديث ١، نقلاً عن «ثواب الأعمال» للشيخ الصدوق.

(٢) كتاب الدراية، من مؤلفات شيخنا البهائي، المعروف بالوجيزة، الطبعة الحجرية، الفصل الثاني، الصفحة الرابعة.

(٣) المجلبي، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ج ٨، ص ١١٢. (المُترجم)

في بعض الواجبات والمحرمات أيضاً تستند إلى أحاديث ضعيفة، رغم أن العلماء مُتَّفِقُونَ ومُجْمِعُونَ على أن الحكم بالوجوب أو الحرمة لا يجوز الاستناد فيه إلا إلى دلائل تُفيد العلم، بل هم مُتَّفِقُونَ أيضاً على أن أخبار الآحاد غير المحفوفة بالقرائن القطعية لا تُفيد العلم ولا تُوجب العمل بأي حال من الأحوال، فما بالك بالأخبار الضعيفة!!

وبالطبع ادّعى حارس البدع ومُروِّج الخرافات «محمد باقر المَجْلِسِيّ»، ربّما بهدف تقوية الحديث المذكور، أن هذه الأحاديث قد نقلها الفريقان، ولكن كلامه هذا غير صحيح، ولم يذكر هو نفسه اسم أيّ كتاب من كتب أهل السنة روى مثل هذا الحديث. ولذلك قال الشيخ البهائي في كتابه «الوجيزة»: «وهي مما تفرّدنا بروايته»^(١). (فتأمل)

ولقد ذكر المَجْلِسِيّ -الذي لديه ميل شديد للخرافات- وذكر غيره أيضاً، شبه دليل واضح البطلان للدفاع عن أحاديث «مَنْ بَلَغَهُ» وقاعدة «التسامح في أدلة السنن». وسأذكر بعض الأمور في هذه المسألة على نحو الإجمال، كي يقف إخوتي في الإيمان على ضعف كلام المَجْلِسِيّ وموافقيه:

أولاً: قال رسول الله ﷺ والأئمة إنه لا بُدَّ أن يكون كل حديث مُؤَيَّدًا مِنْ قِبَلِ كتاب الله في حين أن أحاديث «مَنْ بَلَغَهُ» لا مُؤَيَّدَ لها لا في القرآن ولا في السنة القطعية، وحتى لو فرضنا أن أحد طرق الأحاديث المذكورة صحيحة، فإننا نقول إن سند الحديث يُؤخذ بعين الاعتبار ويُقبل عندما لا يكون المتن مُتعارضاً مع القرآن، مع أن القرآن الكريم لا يُؤيد الاعتماد على الأخبار الضعيفة والأقوال التي لا تُفيد العلم بل أكثر ما تُفيده هو إيجاد «الظنّ»، وقد انتقد كتاب الله في كثير من المواضع الاعتماد على «الظنّ». ومن جملة ذلك: سورة البقرة (الآية ٧٨) ويونس (الآية ٣٦) والجنّة (الآية ٢٤) والنجم (الآية ٢٣). لقد قال القرآن مراراً: ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُعْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٨] وقال أيضاً: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الاسراء: ٣٦] وقال: ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الانعام: ١٤٣]، وقال كذلك: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ

(١) كتاب الدراية، من مؤلفات شيخنا البهائي، المعروف بالوجيزة، الطبعة الحجرية، الفصل الثاني، الصفحة الرابعة.

فَتُخْرِجُوهُ لَمَّا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴿١٤٨﴾ [الانعام: ١٤٨] ، وقال أيضاً: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يُفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [النحل: ١١٦] ، وقال أيضاً: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٦٨].

ثانياً: إن أحاديث «مَنْ بَلَغَهُ...» تتعارض مع آية «النبأ» التي قال تعالى فيها: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَدِيمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحجرات: ٦]. فهذه الآية تدل على أن قول الفاسق لا يجوز قبوله قبل التحقق من صدق الخبر وحصول العلم بصحته، فكيف نقبل بالأحاديث المنقولة عن الضعفاء وعن الأفراد الكذابين والفسقة وفاسدي العقيدة والتي لا نملك أي دليل على صحتها.

يقولون نحن لا نستند في حكم الاستحباب أو الكراهة إلى روايات الضعفاء أو إلى أقوال رواة غير موثوقين وفَسَّاق بل نعمل بهذه الروايات استناداً إلى أخبار «مَنْ بَلَغَهُ...» التي أحد طرقها على الأقل صحيح.

ولكن الحقيقة أنهم يعلمون أنفسهم أن جميع طرق روايات «مَنْ بَلَغَهُ» معلولة ولا يصح أي منها، وأن واحداً من طرقه فقط اعتبر حسناً. بناءً على ذلك فإن أحاديث «مَنْ بَلَغَهُ» التي ليس لها مؤيد من الكتاب ولا من السنة لا تتمتع من ناحية سندها أيضاً بوضع قوي، ومن ثم فلا يمكن الاستناد إليها، وعليه فقبول أخبار «مَنْ بَلَغَهُ» في حكم قبول خبر الفاسق قبل التبين! (فتأمل)

ثالثاً: إن الاستحباب أو الكراهة من الأحكام الخمسة وهما من الأحكام الشرعية وجزء من الشريعة، تماماً كحكمي الوجوب والحُرمة، ولا فرق بينها. فبأي دليل لا تعتمدون في الوجوب والحُرمة على الأحاديث غير الصحيحة ولكنكم تعتمدون في أمر الاستحباب والكراهة على الأحاديث غير الصحيحة؟!!

لقد أقرَّ الشيخ «يوسف البحراني» صاحب «الحدائق الناضرة» - وهو من العلماء الأخباريين - في «كتاب الحجج» أن الاستحباب والكراهة كالوجوب والحُرمة كلها من أحكام الشريعة التي لا تثبت إلا بدليل واضح وصريح، ولكنه قال: إن بعض الفقهاء، مثل «محمد الموسوي العاملي»

صاحب «مدارك الأحكام» حمل الأحاديث الضعيفة على الاستحباب أو على الكراهة لأنه لم يكن يرغب - من باب الاحتياط - برد جميع الأخبار الضعيفة وتركها. واعترف^(١) الشيخ «البحراني» أن هذا الموقف منه غلط محض^(٢).

ونقول للذين يُرتَّبون الأثر على الأحاديث الضعيفة: إن النقطة المهمة في هذا الموضوع التي لا يجوز إغفالها هي أنه إذا كان الفقيه يمتنع عن رد جميع الأحاديث الضعيفة بدعوى الاحتياط في استنباط الأحكام وخشية أن يكون بعضها من أحكام الشرع، فإن الاحتياط الواجب في استنباط الأحكام يقتضي من الفقيه أن لا يُدخل حكماً ليس من أحكام الشرع في الشريعة باعتماده على الأحاديث الضعيفة! (فتأمل) وبعبارة أخرى فإن العمل بقاعدة «التسامح في أدلة السنن» لا يُعدُّ احتياطاً بل مخالفة للاحتياط؛ لأن الاحتياط هو العمل بمفاد آية «عدم حُجَّة الظن» [سورة النجم: ٢٨] وبآية «النهي عن اتباع ما ليس للإنسان به علم» [سورة الإسراء: ٣٦] وبآية «النبأ» [سورة الحجرات: ٦].

رابعاً: قال رسول الله ﷺ - برواية الشيعة والسنة -: «فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٣). وحديث «مَنْ بَلَغَهُ» يُؤدِّي إلى العمل بأحاديث أفراد كذابين وفسقة أو

(١) ونص عبارة الشيخ يوسف البحراني هي: " لكنه [أي صاحب المدارك] وأمثاله جَرَوْا على هذه القاعدة الغير المربوطة والكلية الغير المضبوطة، من تحل الأخبار الضعيفة متى رموها بالضعف على الاستحباب أو الكراهة تفادياً من طرحها بالكلية. وهو غلط محض، فإن الاستحباب والكراهة أيضاً حكمان شرعيان كالوجوب والتحریم لا يجوز القول بهما إلا بالدليل الصحيح الصريح". «الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة»، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، قم، ١٤٠٥ هـ. ق، [٢٥ مجلدًا]، ج ١٦، ص ٨٩. (المترجم)

(٢) وللأسف لقد ارتكب هذا الخطأ المحض هو وسائر الفقهاء مراراً وتكراراً في كتبهم الفقهية! وليس في تناول يدي هذه الأيام كتاب «الحدائق الناضرة» كي أذكر لكم المجلد ورقم الصفحة حول هذا الموضوع. وقد نقلت الأمر الذي ذكرته أعلاه من مُفكِّرتي الخاصة بتدوين الملاحظات.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ٢١٠، وبحار الأنوار، ج ٢، ص ١١٧، وصحيح مسلم، ج ١، ص ١٠، وسنن ابن ماجه، ج ١، ص ١٤.

مجهولين لا تُعرف هويّتهم [وَمِنْ ثَمَّ الْوَقُوعُ فِي مِظَنَّةِ الْكُذْبِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ] ومن المقطوع به أن الشرع الحنيف لا يرضى بهذا الأمر.

فتنتيجة كل ما سبق أن العمل بقاعدة «التسامح في أدلة السنن» سيؤدي يقيناً إلى ترويج أنواع الخرافات ونشر الأوهام وإشاعة العقائد الحمقاء المضادة للعقل والعلم والتي تُوجب وهن الإسلام العزيز وَصَعْفَ المسلمين وتأخرهم وتبثُّ الفرقة والاختلاف بينهم، وهذه الأعراض السيئة أفضل دليل على بطلان القاعدة المذكورة، فَأَعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ.

إحدى مشاكل المسلمين الكبرى مسألة الخرافات والأوهام، وللأسف نادراً ما تُشاهد علماء الدين والمُعَمِّمين ينهضون إلى مُحاربة البدع والخرافات التي أُشْرِبَتْ قلوبُ العوامِ بِحُبِّهَا، أو يسعون في توعية الناس، بل على العكس من ذلك تُشاهد أنهم إذا رأوا شخصاً قد نهض لتوعية الناس طعنوا به وحاربوه وشوَّهوا سُمِّعته في أعين الناس. لقد نشأ الناس طيلة القرون والعصور الماضية على فهم سطحيٍّ لأُمور الدين، وجهلٍ بحقائق الشرع المبين، وبمسألة التوحيد، وبُعْدٍ عن تعاليم القرآن الكريم. كما أدَّى كتمان العلماء لحقائق الدين وسكوتهم وصمتهم أمام الخرافات إلى شيوعها ورسوخها في قلوب الناس. كلنا نعلم "أيَّ ضربة قاصمة حلَّت بالدين بسبب الاعتماد على الكلام الذي لا سند له والأخذ بالأحاديث والأخبار الموضوعية والواهية، وأيَّ ضرر ألحقه هذا الأمر بأركان الإسلام، وأيَّ مُستمسك ضدَّ الدين قدَّمه لأعداء دين الإسلام"^(١).

إن الخطر الأكبر للخرافات هو أنه يجعل أولي الألباب وأصحاب الفكر النير والطبقة المثقفة سيئي الظن بالإسلام لأنهم يضعون تلك الأباطيل على حساب دين الله ولا يدرون أن الإسلام ذاته أكبر عدو للخرافات والأوهام، وأن أحد الأهداف الأساسية للدين إنقاذ عباد الله من غلِّ الرسوم وقيود الطقوس الخرافية وتحريرهم من براثن الجهل والأوهام. كما قال سبحانه وتعالى:

﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الاعراف: ١٥٧].

(١) مفاتيح الجنان، الديباجة، ص ٢.

ومن جملة الأمور الخرافية ذات الأضرار الاجتماعية البالغة عقيدة الناس بأحفاد وذراري الأئمة الذين انتشرت قبورهم كانتشار النار في الهشيم في سائر أنحاء البلاد، ولوَّثت عقيدة الناس وأضاعت أمواهم وأوقاتهم في زيارة المزارات التي يُنْفَق على بنائها وتعميرها وصيانتها وترميمها مبالغ باهظة، حتى أصبحت تلك المزارات باب رزق لعدد من الطفيليين العاطلين عن العمل، وللأسف لا يُسمع في مواجهة ذلك أيُّ صوت من العلماء.

كتب «عبد الله المستوفي» يقول:

"في بعض القرى تُوجد قبور لأحفاد وذراري الأئمة بعضها يستند إلى رؤيا رآها بعض العُباد بأنه في الموضع الفلاني دُفن أحد أولاد الأئمة أو يستند إلى العثور على بعض الأشياء التي تدل على دفن إنسان في ذلك الموضع، وكل ذلك ليس له أصل ولا أساس معقول. وفي هذا المجال يظهر بعض الدجالين الذين يخطر لهم أن يستفيدوا من تولي قبر أحد أحفاد الأئمة فيفترون مثل تلك المناومات، التي لا حُجَّة في الصحيح منها فما بالك بالمكذوب؟! فيخدعون بمثل تلك الأكاذيب البُسطاء من أهالي الأرياف ويصنعون لهم قبوراً لذراري الأئمة مكذوبة من أساسها ويننون عليها قُبَّةً وضريحاً ليقوم أهالي المنطقة البُسطاء بالإنفاق عليها وتقديم النذور للإمام زاده (أي حفيد الإمام) المُخترع، فيستفيد أولئك الدجالون من هذه الأموال ويعيشون عليها! وقد اتَّفَق أن حدث نزاع بين شخصين على أحد القبور المزوّرة لحفيد إمامٍ مُخترع، فأقسم أحد الشخصين بهذا الإمام زاده لإثبات أحقيته بتولي قبره، فقال رفيقه وقد تملكه الغضب الشديد: أيُّ إمام زاده هذا الذي تقسم به، هل هذا الذي اخترعناه سويّةً؟!"^(١).

ومن جملة الخرافات التي شاعت بين عوام المسلمين بل حتى بين بعض المتظاهرين بالعلم نتيجة صَمَمِ العلماء تجاهها: الاعتقاد بالكرامات وبظهور المعجزات من قبور الأئمة أو قبور الصالحين من أولادهم وأحفادهم أو قبور سائر العلماء والصالحين. هذا في حين أن مثل هذا الاعتقاد مُخالف لأصل «التوحيد» وللعقائد الإسلامية والقرآنية الأصيلة. كان أهالي تركستان في

(١) «شرح زندگانی من یا تاریخ اجتماعی و اداری دورهی قاجاریه» [أي: شرح حياتي، أو التاريخ الاجتماعي والإداري لعصر الأسرة القاجارية]. تأليف عبد الله المستوفي، ج ٣، ص ٥٧٤.

عصر القاجاريين يعتقدون أن أصحاب القبور والمزارات من أولياء الله في تلك المناطق هم المدافعون الوحيدون عن الوطن وذلك استناداً إلى أن أولئك الأولياء كانوا أصحاب كرامات وأعمال خارقة للعادة زمن حياتهم ومن ثمَّ كان أهالي تلك المناطق يُوقنون أنه ببركة قبور أولئك الأولياء ورجال الله لن يستطيع الكفار أن يقتربوا من حدود بلدانهم. ولكن رؤساء الكفر جاؤوا دون أن يمنعهم أحد واقربوا من تلك البلدان ولم يقيم أولياء الله بأيِّ معجزة لصددهم!

"كان سكان إحدى المدن التي تُدعى «حضرة تركستان» من توابع مدينة «خوقند» يعتقدون أن هذه المدينة مصنونة من أيِّ اعتداء للكفار عليها بواسطة المزار الشريف لما يُسمَّى بـ «السلطان خواجه أحمد»، ولكن لم يطل الزمن حتى وجد أهل تلك البقعة أنفسهم تحت وابل من رصاص بنادق الجنود الروس وقنابل مدافعهم فاستسلمت المدينة لهم!"^(١).

وجاء في كتاب «أمير كبير وإيران» نقلاً عن كتاب «تاريخ تبريز وجغرافيتها»: "وما يتعلّق بموضوعنا هنا هو أن علماء تبريز المُعتبرين كانوا يُدافعون عن أمير [كبير] إلى أن صنعت بقعة «صاحب الأمر» مُعجزةً في ميدان «صاحب الزمان» (سنة ١٢٦٥)! كان أحد القصابين يجرُّ بقرةً لأجل ذبحها فتفلّنت البقرة من يديه وقطعت الرسن، ولجأت إلى تلك البقعة فلما أراد القصاب أن يسحبها من هناك وقع ومات على الفور"^(٢). وهربت البقرة على الفور إلى منزل الميرزا حسن المتولي. لعل الحيوان غير الناطق قد ألهم فعل ذلك!! فقال الناس: لقد صنع صاحب الأمر (ع) مُعجزةً.... وأضاءت مصابيح جميع الدكاكين وارتفعت أصوات الصلوات وهنأ الجميع بعضهم بعضاً بأن مدينة «تبريز» أصبحت مدينة صاحب الأمر وأصبحت مغفياً من ضرائب الحكّام وحكمهم!! بعد ذلك، صار الحُكْم تابعاً لصاحب المقام العظيم..... وأضاء المسجد والمقام كله بالمصابيح وانتشر الصباح من فوق الأسطح وضرب الناس الطبول!

(١) تاريخ روابط سياسى ايران وانگليس در قرن نوزدهم ميلادي، [أي تاريخ العلاقات السياسية بين إيران

وإنجلترا في القرن التاسع عشر الميلادي]، تأليف محمود محمود، انتشارات إقبال، ج ٣، ص ٨٤٦.

(٢) يقول الكاتب: في الاحتمال الغالب أن يكون القصاب قد أُصيب بجلطة قاتلة تُوفي منها على الفور، إذ يُكثر القصابون من أكل الشحوم والدهن.

كتب «نادر ميرزا» الذي شاهد ذلك المشهد يقول: لقد ذهب «مير فتاح» بتلك البقرة ورمى عليها بردعة مصنوعة من قماش كشميري وذهب الجند كلهم فأخذوا يُقبّلون ظلّف البقرة، ويأخذون روثها ليتبرّكوا به!! وأرسل كبار القوم إلى ذلك المكان مصابيح وستائر نذروها لذلك المكان، إلى حدّ أن سفير إنجلترا أرسل تُريّاً من البلّور فعلقوها هناك، وتمّ استخدام السدنة والمستخدمين (الفراشين) وبدأ أهالي النواحي يأتون فوجاً فوجاً لزيارة تلك البقرة! وكل يوم كان يُسمع حصول معجزة بأن الأعمى الفلاني أبصر والأبكم الفلاني نطق والأعرج الفلاني مشى! وقام بعض كبار القوم بتقوية هذا العمل. ومضت مدة شهر كاملة لم يجرؤ أحد على الكلام في هذا الأمر. ومن قضاء الله ماتت البقرة. لكن الناس لم يكفوا عن تقديسها. وأتى لحاكم تلك المنطقة أن يتجرأ على أن ينسب بينت شفة حول هذا الأمر؟... إلخ^(١).

وكتب مُعيّر الممالك يقول: "ارتكب أحد الخُدّام الداخليين [لِقَصْرِ الْمَلِكِ] خطيئةً ولما علم أن سيده ستغضب عليه وتعاقبه هرب ليلاً ولجأ إلى ضريح حضرة عبد العظيم [في رِيّ]. فلما وصل الخبر إلى مسامع الشاه رقّ قلبه لحاله.... فقرّر أن يجعل لأمثاله من الخدم ملجأً ومأناً أقرب من مرقد حضرة عبد العظيم كي يلجؤوا إليه عند الضرورة، فأمر أحد سدنة الحرم المُسنّين أن يُعلن بين الناس أنه رأى مناماً قيل له فيه إن أحد أحفاد الأئمة (إمام زاده) يُدعى «عباسعلي» مدفونٌ إلى جانب شجرة دُلب^(٢) قديمة ذات أغصان مُتشعبة تقع في جوار قناة «مهر كرد»! لما سمع الناس هذا النداء فرح أهل الحرم وطلبوا من الشاه أن يضرب سياجاً حول تلك الشجرة! فأمر الشاه بنصب سياج وصبغه بدهان أخضر! ومنذ ذلك الحين عُرفت الشجرة باسم شجرة عباسعلي. وعلّقوا على جذع الشجرة دعاءً زيارةً خاصة بها، ووضعوا حولها شمعدانات فضية وكانوا يُشعلون الشموع حولها كل ليلة! شيئاً فشيئاً ازدادت أهمية تلك الشجرة وترسخ تقديسها في قلوب الناس وأخذ أهالي المنطقة يندرون نذوراتهم لها من قبيل الحلوى وغير ذلك ويطبخونها عندها، ويربطون على جذع الشجرة ولحائها ما يُسمّى بالدخيل (عُقَد وَخُيُوط). وبهذا نشأ

(١) أمير كبير وإيران، فريدون آدميت، ص ٤٢٨ - ٤٢٩.

(٢) شجرة الدُلب شجرة طويلة الجذوع ذات أوراق تشبه الكف، لا تثمر وإنما تُزرع لخشبها وظلّها. (المُترجم)

لُتَسْوِي الحِرمَ مَرَكْزٌ يُشكِلُ نِقْطَةَ جِذْبٍ لِلأَنْظَارِ وَمَأْمَنًا قَرِيبًا يَجْمِئُهُمْ^(١).

وفي زماننا أيضاً بعد وفاة آية الله السيد كاظم شريعتمداري، نشر أنصاره وأتباعه منشوراً ووضعوا له فيه دعاء زيارة خاصة به! وكذلك بعد أن تُوفي خصمه الذي كانت زمام أمور البلاد بيده بنوا لقبره من بيت مال هذا الشعب الفقير حرماً وقُبَّةً ومثذنتين وصنعوا له دعاء زيارة خاصة به وأُضيف دكان آخر إلى دكاكين الاسترزاق السابقة!

(١) يادداشتهايى از زندگانی خصوصى نادر الدين شاه، [أي مذكرات عن حياة الملك ناصر الدين شاه الخاصة]، دوستعلي مُعَيَّر الممالك، كتاب فروشي علمي، فصل «أسطورة شجرة عباسعلي».

التعريف بالشيخ عباس القمي وكتابه

لنأت الآن إلى كتاب «مفاتيح الجنان» والتعريف بمؤلفه:

اعلم أن المرحوم الحاج الشيخ عباس القمي كان عالماً مُتَّبِعاً شديداً زُهَداً، ومُتَعَبِّداً وَرِعاً، ولكنه كان ساذجاً طيب القلب سريع التصديق، وفي نظري لم يكن ذا علم وافٍ بكتاب الله، كما لم يكن يمتلك ملكة الاجتهاد، وكان متقاعساً عن استخدام نعمة العقل، خلافاً لأوامر القرآن الذي دعانا مراراً وب تأكيد بالغ إلى التفكر والتعقل!

قال الشيخ في مقدمة كتابه: "... قد سألتني بعض الاخوان من المؤمنين أن أراجع كتاب «مفتاح الجنان» المتداول بين الناس، فأولف كتاباً على غراره، خلواً مما احتواه مما لم أعثر على سنده، مُقْتَطِفاً منه ما كان له سند يدعمه،.... فأجبتهم الى سؤالهم فكان هذا الكتاب وسميته «مفاتيح الجنان»^(١).

وكتب أيضاً بعد ذكر «زيارة وارث» يقول:

"قال شيخنا^(٢) في كتابه الفارسي «لؤلؤ ومرجان»: إن هذه الكلمات التي ذُيِّت بها هذه الرواية

(١) مفاتيح الجنان، مقدمة المؤلف، ص ١٢ (ص ٤٣ من النسخة المعربة) كما أنه أشار في ختام فصل «أدعية شهر رمضان» (ص ٢٤٥ أو ص ٣٢٨ في النسخة المعربة) أيضاً إلى أنه لا يُثبِت في كتابه أي رواية يجد أنها غير معتبرة. ومن ثمَّ فيبدو أنه كان يعتبر كل ما ذكره في كتابه مقبولاً ومعتبراً، لكن قراءتكم لكتابتنا الحالي ستثبت لكم أنه على الرغم مما قيل في حق كتابه «المفاتيح» من مدح وثناء، إلا أن مؤلفه في الواقع لم يكن يميّز بين صحيح الروايات وسقيمها! وسوف نرى في هذا الكتاب أن أغلب الروايات المسندة التي ذكرها فيه ساقطة من الاعتبار، فضلاً عن الروايات التي لا سند لها.

(٢) يقصد به «الحاج ميرزا حسين نوري [الطبرسي]» صاحب كتاب مستدرک الوسائل وكتاب «لؤلؤ و مرجان» بالفارسية وغيرهما من الكتب. توفي سنة ١٣١٩ هـ. ق.

إنما هي بدعة في الدين وتجاسر على الإمام (عليه السلام) بالزيادة فيما صدر منه، وفوق ذلك فهي تحتوي على أباطيل وأكاذيب بيّنة الكذب، والغريب المدهش أنها شاعت بين الناس وذاعت حتى يُهتَف بها في كل يوم وليلة عدّة آلاف مرّة في مرقد الحسين (عليه السلام) وبمحضر من الملائكة المقربين وفي مطاف الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام)، ولا منكر ينكرها أو رادع يردع عن الكذب والعصيان، فالأمر إلى أن تُدَوَّن هذه الأباطيل وتُطَبَّع في مجاميع من الأدعية والزيارات يجمعها الحمقاء من عوام الناس فتزعمها كتاباً فتجعل لها اسماً من الأسماء ثم تتلقفها المجاميع فتسري من مجموعة أحمق إلى مجموعة أحمق آخر، وتتفاقم المشكلة فيلتبس الأمر على بعض طلبة العلم والدين. وإنّي صادفت طالباً من طلبة العلم والدين وهو يزور الشّهداء بتلك الأباطيل القبيحة فمست كنفه فالتفت إليّ فخاطبته قائلاً: ألا يشنع من الطالب أن ينطق بمثل هذه الأباطيل في مثل هذا المحضر المقدّس؟ قال: أليست هي مروية عن الإمام (عليه السلام)؟ فتعجّبت لسؤاله وأجبتة بالنفي. قال: فإنّي قد وجدت مدوّنة في بعض الكتب، فسألته عن الكتاب فأجاب كتاب مفتاح الجنان، فسكتُ عنه فإنّه لا يليق أن يكلم المرء رجلاً أدى به الغفلة والجهل إلى أن يعدّ المجموعة التي جمعها بعض العوام من الناس كتاباً من الكتب ويستند إليه مصدرًا لما يقول، ثم بسط الشّيخ (رحمه الله) كلامه في هذا المقام وقال: إنّ عدم ردع العوام عن نظائر هذه الأمور الغير الهامة والبدع الصّغيرة كغسل أويس القرني وحساء أبي الدرداء (وهو التابع المخلص لمعاوية)، وصوم الصّمت بأن يتمالك المرء عن التكلّم بشيء في اليوم كلّ، وغير ذلك من البدع، التي لم يردع عنها رادع ولم ينكرها منكر، قد أورثت الجرأة والتّطاول، ففي كلّ شهر من الشهور وفي كلّ سنة من السنين يظهر للناس نبيٌّ أو إمام جديد فترى الناس يخرّجون من دين الله أفواجاً". (انتهى كلامه رُفَع مقامه).

وأقول: أنا الفقير ألاحظ هذا القول وأنعم النّظر فيه أنّه القول الصّادر عن عالم جليل واقف على ذوق الشريعة المقدّسة واتّجاهاتها في سننها وأحكامها. وهو يبدي بوضوح مبلّغ اهتمام هذا العالم الجليل بالأمر ويكشف عمّا يكظمه في الفؤاد من الكآبة والهَمّ، فهو يعرف مساوئه وتبعاته على النقيض من المحرومين عن علوم أهل البيت (عليهم السلام) المقتصرين على العلم بضغث

من المصطلحات والألفاظ ، فهم لا يعبؤون بذلك ولا يباليون، بل تراهم بالعكس يصحّحونه ويصوّبونه ويجرون عليه في الأعمال، فيستفحل الخطب ويعاف كتاب «مصباح المهجّد» للشيخ الطوسي]، و«الإقبال» [إقبال الأعمال] و«مهج الدعوات» و«جمال الأسبوع» و«مصباح الزائر» [للسيد ابن طاووس] و«البلد الأمين» و«الجنتّة الواقية» [للكفعمي]، و«مفتاح الفلاح» [للسخ البهائي]، و«المقباس» [مقباس المصايح] و«ربيع الأسابيع» و«التّحفة» [تحفة الزائر] و«زاد المعاد» [للمجلسي]، ونظائرها^(١)، فيستخلفها هذه المجاميع السّخيفة فيدسّ فيها في «دعاء المجير» وهو دعاء من الأدعية المأثورة المعتبرة كلمة «بعفوك» في سبعين موضعاً فلم ينكرها منكر، و«دعاء الجوشن الكبير» الحاوي على مائة فصل، يبدع لكل فصل من فصوله أثراً من الآثار، ومع ما بلغتنا من الدّعوات المأثورة ذات المضامين السّامية والكلمات الفصيحة البليغة يُصاغ دعاء سخيف غاية السّخف فيسمّى بدعاء الحبيّ فينزل من شرفات العرش فيفتري له من الفضل ما يدهش المرء ويبهته؛ من ذلك -والعياذ بالله- أن جبرئيل بلغ النّبيّ محمّداً ﷺ أن الله تعالى يقول: إنّي لا أعدّب عبداً يجعل معه هذا الدّعاء وإن استوجب النّار وأنفق العمر كلّه في المعاصي ولم يسجد لي فيه سجدة واحدة، إنني أمنحه أجر سبعين ألف نبيّ وأجر سبعين ألف زاهدٍ وأجر سبعين ألف شهيدٍ وأجر سبعين ألف من المصلّين وأجر من كسى سبعين ألف عريان وأجر من أشبع سبعين ألف جائع، ووهبته من الحسنات عدد حصا الصّحارى وأعطيته أجر سبعين ألف بقعة من الأرض وأجر خاتم النّبوة لنبيّنا ﷺ وأجر عيسى روح الله وإبراهيم خليل الله وأجر إسماعيل ذبيح الله وموسى كلیم الله ويعقوب نبيّ الله وآدم صفيّ الله وجبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل والملائكة، يا محمّد من دعا بهذا الدّعاء العظيم دعاء الحبيّ أو جعله معه غفرت له واستحييت أن أعدّبه !!!... الخ.

...

(١) سنرى في كتابنا الحالي أن الشيخ عباس القمي نقل كثيراً مما أورده في كتابه عن الكتب المذكورة أعلاه، هذا مع أن أغلبها لا يختلف كثيراً عن الكتاب الذي ينتقده! فهي كذلك كتب مشحونة بالخرافات المناقضة للعقل وللقرآن، وبالطبع لولا ذلك لما جذبت نحوها فرداً خرافياً قليل العقل مثل الشيخ عباس القمي!

و وصل الأمر إلى أن أصبح الأمر منحصرًا بكتاب «المفتاح» ويرجع إليه العوام والخواص والعرب والعجم وما ذلك إلا لأن أهل العلم والدين لا يبالون بالأحاديث والروايات، ولا يراجعون كتب علماء أهل البيت الطاهرين وفقهائهم ولا ينكرون على أشباه هذه البدع والروايد وعلى دسّ الدّسّاسين والوضاعين وتحريف الجاهلين ولا يصدّون من لا يرونه أهلاً ولا يردعون الحُمّقاء فيبلغ الأمر حيث تُلَفَّق الأدعية بما تقتضيه الأذواق أو يُصاغ زيارات ومفجعات وصلوات ويطلع مجاميع عديدة من الأدعية المدسوسة وينتج أفراخ لكتاب «المفتاح»، وتعمّ المشكلة فيروج الدّس والتّحريف ونراها يسريان من كتب الأدعية إلى سائر الكتب والمؤلّفات فتجد مثلاً كتابي الفارسي المسمّى «منتهى الآمال» المطبوع حديثاً قد عبث فيه الكاتب بما يلائم ذوقه وفكره،...

والغاية التي توخيتها بعرض هذه النماذج من التّحريف هي بيان أمرين:

أولاً: ... الزّیادات التي يبعثنا الجهل على إضافتها إلى الأدعية والزيارات والتغييرات والتصرفات التي تقتضيها طباعنا وأذواقنا الناقصة زعماً أنها تزيد الأدعية والزيارات كمالاً وبهاءً، وهي تنتزع منها الكمال والبهاء وتسلبها الاعتبار عند أهلها العارفين، فالجدير أن نحافظ على نصوصها الماثورة فنجري عليها لا نزيد فيها شيئاً ولا نحرف منها حرفاً.

ولنلاحظ ثانياً: الكتاب أذي تكلمنا عنه أنه كتابٌ لمؤلّفٍ حيٍّ يراقب كتابه ويترصد له، [ورغم ذلك] فيجري فيه من التّحريف والتشويه نظائر ما ذكرتُ، فكيف القياس في سائر الكتب والمؤلّفات؟ وكيف يجوز الاعتماد على الكتب المطبوعة إلا إذا كانت من المؤلّفات المشهورة للعلماء المعروفين وعرضت على علماء الفنّ فصدّقوها وأمضوها،....

وإنّي قد أقدمت على تأليف هذا الكتاب وأنا واقف على طباع النّاس في هذا العصر وعدم اهتمامهم لنظائر هذه الأمور، وإنّما ألّفته إتماماً للحجّة عليهم فجَدَدت واجتهدت في أخذ الأدعية والزيارات الواردة في هذا الكتاب عن مصادرها الأصيلة وعرضتها على نسخ عديدة، كما بذلت أقصى الجهد في تصحيحها واستخلاصها من الأخطاء كي يثق به العامل ويسكن إليه إن شاء الله، ولكن الشّرط هو أن لا يحرّفه الكاتب والمستنسخ وأن يتخلّى القارئ عمّا يقتضيه طبعه وذوقه من التّغيير.

روى الكليني - رضي الله عنه - عن «عبد الرحمن القصير» قال: دخلت على الصادق صلوات الله وسلامه عليه، فقلت: جُعِلْتُ فداك! إني اخترعتُ دعاءً، قال: دعني من اختراعك، فأعرض (عليه السلام) عن اختراعه ولم يسمح أن يعرض عليه..... الخ.^(١).

تذكير وتحذير للقراء

هذا الكلام الذي أورده الشيخ عباس في كتابه إضافةً إلى مدح المشايخ الدائم لهذا الكتاب قد يوهم القراء أن كتاب «مفاتيح الجنان» خالٍ من تلك العيوب المذكورة. لكن التحقيق في الأمر يُثبت خلاف ذلك، وبعد قراءة كتابنا الحالي ستدركون أيها القراء أن كتاب «مفاتيح الجنان» ذاته من المصاديق التامة والكاملة للكتب التي دُمّت وانتقدت في السطور السابقة وأنه ليس بين الشيخ عباس والشيخ الذي أشار «حسين النوري» في كتابه الفارسي «لؤلؤ ومرجان» إلى حوارهِ معه أيُّ فَرْقٍ!^(٢). حقاً لقد صدق من قال: «رُبَّ مشهور لا أصل له».

إن كتاب «مفاتيح الجنان» مليء بالأخبار الضعيفة والأدعية الشركية التي لا سند لها وبالروايات غير المعقولة والمخالفة لآيات القرآن ولحقائق التاريخ ومليء بالخرافات التي تتعارض مع العلم وبالتوابات المغرقة وبعيوب أخرى!! كل من كان مشهوراً بأنه جليل القدر شيخ العلماء و..... كتب ما شاء كتابته ولم ير العلماء الآخرون أنه من مصلحتهم أن يفحصوا

(١) مفاتيح الجنان، فصل (بيان ما أضيف إلى زيارة وارث) ص ٤٣٢ فما بعد (ص ٥٥٢ من النسخة المعربة). وقد أورد الشيخ عباس القمي مرةً ثانيةً رواية «عبد الرحيم القصير» هذه في فصل (آداب الزيارة) صفحة ٣١٤، (ص ٤١٥ من النسخة المعربة) ونهى هناك أيضاً عن قراءة الزيارات "المخترعة التي لفقها بعض الأغبياء من عوام الناس فأشغل بها الجهال" على حد قوله.

(٢) سمعت أن أحد الخطباء المشهورين غير المعممين في طهران والذي وصل إلى مجلس الشورى بعد الثورة سمى كتاب الشيخ عباس القمي «مفاتيح الجنون». ولو صحَّ هذا الخبر فأنا أرى أن ما ذكره ذلك الخطيب ليس بعيداً عن الحقيقة، لأنني لا أدري كيف يُمكن لعاقِل مؤمن بالقرآن أن يُؤلّف كتاباً مثل كتاب «مفاتيح الجنان» أو مثل كتب السيد ابن طاووس أو الكفعمي.

ادّعاءاتهم ويمنعوا تشويه دين الإسلام^(١)، بل جاء أفراداً غير مؤهلين أو أعداءً عالمون أو مُسترزقون بالدين خادعون للعوام أو أصدقاء حمقى، فجعلوا تلك الروايات الموضوعية والأدعية الخرافية مُستمسكاً ومُستنداً وأضلُّوا الجاهلين^(٢) وأوقعوا الفرقة بين المسلمين.

يجب على الإنسان أن يتعرّف بصدق على دين الله طبقاً لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ الحقيقية، وأن لا يُجَدِّع بكتب الأدعية والزيارات ومن جملة كتاب «مفاتيح الجنان» المليء بالأموال الخرافية المعارضة لتعاليم الإسلام، إذ إن سبب قبول المرحوم الشيخ «عباس القمي» في الغالب للأحاديث التي أوردها في كتابه هي رواية «الكُلَيْبِيِّ»^(٣) أو الشيخ «الصدوق»^(٤) أو الشيخ

(١) لأنهم عندما يقوم شخص ككاتب هذه السطور بتحقيق ذلك الكتاب وإظهار ما فيه من العيوب فإنهم يُهاجمونه بكل قوتهم ويتهمونهم بألاف التهم بل يُفسِّقونه ويُكفِّرونه ويعتبرونه واجب القتل!! لماذا يحدث ذلك؟ الجواب: لأن الدين أصبح باب رزق لبعضهم وكل من كان طالب رئاسة ويبحث عن جلب احترام العوام له، لا يُمكنه أن يفعل أفضل من ذلك. وعلى كل حال لقد دوننا هذه الملاحظات والتنبيهات والتذكير طلباً لرضا الله وتوعية للباحثين عن الحق وطلّاب الهداية ونسأل الله أن يحفظنا من شر أهل البدعة ويحسن عاقبتنا، والله العاصم.

(٢) لا يخفى أنني كنت -في الفترة التي كنت أدرس فيها العلوم الدينية في قم- مُتعلّقاً ومُحبّاً بشدة لكتاب مفاتيح الجنان ومُتقدّماً به أشدّ الاعتقاد، وكان ذلك الكتاب جليسي ومُؤنسي لا يفترق عني، وكنت أقرأ منه كثيراً. وبفضل الله، وله الحمد والمِنَّة، استبقتُ من غفلتي ببركة معرفة القرآن الكريم ونجوتُ من الخرافات وها أنا أرى أن واجبي هو توعية الناس إلى حقيقة هذا الكتاب. أمل أن يجعل الله ذلك لي في الباقيات الصالحات. آمين يا رب العالمين.

(٣) الكُلَيْبِيُّ: محمد بن يعقوب بن إسحاق الكُلَيْبِيُّ الرازي، البغدادي (أبو جعفر) توفي ببغداد سنة ٣٢٩هـ... كان من فقهاء الشيعة القدماء، وأقدم أخباريهم، وجمع أحاديثهم في أشهر كتب الحديث لدى الإمامية وهو كتاب «الكافي» الذي جمع فيه ما يربو على ١٦ ألف رواية، لم يُصَحِّح بعض المحققين المعاصرين منها سوى نحو أربعة آلاف فقط. وله أيضاً كتاب تعبير الرؤيا. والرد على القرامطة. وكتاب الرسائل. وغيرها. (المُتَرَجِّم)

(٤) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، من محدّثي الإمامية المشهورين القدماء وصاحب أحد الكتب الأربعة التي عليها معتمد الفقه الإمامي وهو كتاب «من لا يحضره الفقيه»، كما أُلّف كثيراً من الكتب الروائية الأخرى مثل «الأمالي» و«الخصال» و«التوحيد» و«عيون أخبار

«الطوسي»^(١) أو الشيخ «الكفعمي»^(٢) أو «ابن طاووس»^(٣) أو «ابن المشهدي»^(٤) أو «المجلسي» أو

الرضا و«علل الشرائع» و«معاني الأخبار» و«كمال الدين» و«ثواب الأعمال وعقاب الأعمال»... الخ.
(المترجم)

(١) الشيخ الطوسي: هو الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي الملقب بشيخ الطائفة، يُعتَبَر من رؤوس علماء ومحدثي الإمامية وأعظم فقهاءهم المتقدمين، طُرِدَ من بغداد فهاجر للنجف وتوفي فيها سنة ٤٤٥ هـ. له تفسير في عشرة أجزاء عنوانه: «التبيان في تفسير القرآن»، كما أنه صاحب كتابين من كتب الحديث الأربعة التي عليها مدار فقه الإمامية وهما «التهذيب» و«الاستبصار»، وله كتب عديدة في الفقه والأصول، ومن أشهر كتبه: كتاب في الأدعية والزيارات باسم: «مصباح المتهجّد» الذي نقل الشيخ عباس القمي عنه كثيراً في المفاتيح. (المترجم)

(٢) الكفعمي (ت ٩٠٥ هـ / ١٥٠٠ م): هو الشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي بن الحسن الكفعمي مولدًا - نسبةً إلى قرية (كفر عينا) بناحية الشقيف بجبل عامل جنوب لبنان - اللوزي محتدًا، الجب شيثي مدفنًا، توفي بها عام ٩٠٥ هـ، ومزاره في بلدة «جب شيث» - من بلدات جبل عامل جنوب لبنان - معروف. أديبٌ كاتبٌ من علماء الشيعة الإمامية، أقام مدةً في كربلاء، له نظمٌ وشعرٌ، وصنّف ٤٩ كتابًا، من أشهر مؤلفاته كتابه في الأدعية والزيارات الموسوم بـ «جنته الأمان الواقية وجنته الإيمان الباقية» المعروف بـ «مصباح الكفعمي»، طبع مرارًا، كما له «الاحتساب من كتب الأدعية لبعض الأصحاب» و«البلد الأمين والدروع الحصين من الأدعية والأعمال والأوراد والأذكار» وغيرها. (المترجم)

(٣) ابن طاووس: هو السيد رضي الدين بن أبي القاسم علي بن موسى بن طاووس الحلي (ت ٦٦٤ هـ). متكلمٌ إماميٌّ مشاركٌ من أشهر كتبه: كتاب في الأدعية والزيارات وفضائل الأعمال من عشرة أجزاء عنوانه «المهمات والتتمات»، كل جزء من الأجزاء العشرة حمل عنوانًا خاصًا به وطُبِعَ ككتاب مستقل، من جملتها «فلاح السائل»، «زهرة الربيع»، «جمال الأسبوع»، «إقبال الأعمال». هذا وقد كتبها ابن طاووس بوصفها تامة - كما قال - لكتاب «مصباح المتهجّد» للشيخ الطوسي. ومن كتبه أيضًا: «مُهَيِّجُ الدَّعَوَاتِ» و«الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف» و«كشف المحجّة في ثمرة المهجة» و«المهوف على قتلى الطفوف». (المترجم)

(٤) هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن جعفر بن علي المشهدي الحائري، المعروف بمحمد ابن المشهدي و«ابن المشهدي» الراوي عن أبي الفضل شاذان بن جبرئيل القمي وصاحب كتاب «المزار الكبير» الذي اعتبره من أقدم الكتب المدوّنة في الزيارات وأن الأصحاب اعتمدوا على كتابه، وهو الأصل في عدة من الأدعية والزيارات. ويبدو أن ابن المشهدي كان من مشايخ الإمامية في القرن السادس الهجري ولكن بعضهم قال إن شخصه مجهول جدًا، حتى قال السيد الخوئي (رح) في معجمه: "لم يظهر لنا اعتبار هذا الكتاب في نفسه،

الشيخ «حسين النوري» وأمثالهم لها، واتباعه لقاعدة «التسامح في أدلة السنن» المضرة! لقد كان حسن الظن بالمشايخ المذكورين مع أن الرواة الذين كانوا قبلهم كان معظمهم من الغلاة والضعفاء أو الفطحية أو الواقفة أو الناوسية أو من المجهولين أو المهملين. ولم يذكر الشيخ عباس أسماء الرواة فيلاحظها القارئ ويستطيع أن يعلم مقدار صحة واعتبار مروياته ومنقولاته. ولو ذكر في كتابه «المفاتيح» أسماء الرواة لأدرك أهل التحقيق على الأقل سقوط كثير مما فيه عن درجة الاعتبار. ولدى مراجعتنا لأحوال رواة ما ذكره الشيخ عباس القمي من روايات وجدنا أن معظمهم لا يتمتع بحال جيدة مثل:

«عباس بن عامر» و«أحمد بن رزق الكوفي» و«محمد بن المشعل» و«محمد بن أبي زيد» و«سهل بن يعقوب» وكلهم من مجهولي الحال.

و«قطرب بن عليف» و«عبد الرحمن سابط» و«عثمان بن جنيد» و«إبراهيم بن مأمون» و«إسحاق بن يوسف» وكلهم مهملون.

و«سهل بن زياد» الكذاب و«محمد بن سليمان الديلمي» الفاسق الضعيف، و«إسحاق بن عمار» الفطحي و«علي بن حسن بن فضال» الواقفي وأمثال هؤلاء الأوباش!

لقد روى المرحوم القمي أدعيةً وأذكارةً عن أستاذه الشيخ «حسين النوري» الذي كان يروي عن الملاء «فتحعلي سلطان آبادي» وهو يروي عن الآخوند الملاء «صادق العراقي» أنه رأى رؤيا وتعلم فيها أذكارةً وأدعيةً من سيد يدعى «محمد سلطان آبادي»!!

أو يقول في باب «كيفية زيارة الإمام الرضا» (ع) أن رجلاً صالحاً ادعى رؤية النبي الأكرم ﷺ وأن النبي قال له في تلك الرؤيا: زُر قبر حُضرة الرضا! ومثل هذه الأمور صارت مُستنداً ودليلاً لمؤلف كتاب «مفاتيح الجنان»^(١)!!! وليت شعري! ألم يكن الشيخ عباس يعلم أن الرؤيا والمنامات ليست حُجَّةً؟!

فإن محمد بن المشهدي لم يظهر حاله بل لم يُعلم شخصه!!!". (المترجم)

(١) مفاتيح الجنان، في فضيلة بعض الأدعية في تعقيب صلاة الصبح، ص ٢١ و ص ٥٠٠.

رأينا في الأسطر الماضية أن الشيخ عباس قال إنه التزم في كتابه بأن لا يذكر من الأدعية إلا ما كان له سندٌ أو ما صحَّت روايته، أما ما لم يكن له سند أو كان له سند ولكنه سند واهٍ وغير مُعتبرٍ، فلن يذكره في كتابه. لكننا إذا قرأنا كتاب «مفاتيح الجنان» رأينا يروي أدعيةً كثيرةً عن «المَجْلِسِيِّ»! مع أن «المَجْلِسِيِّ» ذكر في كتبه وآثاره كثيراً من الأمور التي لا سند لها أو ضعيفة السند وكان يصرِّح مراراً: بأنني رأيت الدعاء الفلاني في كتب بعض الأصحاب^(١)، أو وجدتُ الدعاء الفلاني في نسخة قديمة!!

ورغم أن الشيخ عباس نفسه، في فصل «آداب الزيارة»، وبعد ذكره لـ «زيارة وارث» أيضاً، ذمَّ الأدعية والزيارات المخترعة غير المأثورة^(٢)، لكنه هو نفسه روى «دُعَاءَ الْعَدِيلَةِ» رغم اعترافه أنه ليس دعاءً مأثوراً بل وضعه أحد أهل العلم! ويُقرُّ أنه ذكر «دُعَاءَ السَّيْفِيِّ الصَّغِيرِ المعروف بِدُعَاءِ الْقَامُوسِ» تسامحاً وتأسياً بالعلماء الأعلام!^(٣) ويروي في الفصل السابع من الباب الأول «دُعَاءَ التَّوَسُّلِ» الفاقد للسند! ويروي في باب «كيفية زيارة الإمام الرضا» زيارةً لم يقم هو نفسه بالتحقيق بسندها ولا يدري هل وضعها الشيخ الصدوق أو أنها مأثورة عن الأئمة!^(٤) ويروي في الفصل السادس من الباب الأول «دُعَاءَ الصَّبَاحِ» ويقول هو نفسه عنه: "قد أورد العلامة المجلسي (رحمه الله) هذا الدعاء في كتابي الدعاء والصلاة من البحار.... وقال: إنَّ هذا الدعاء من الأدعية المشهورة، ولكن لم أجده في كتاب يُعتمد عليه سوى كتاب المصباح للسيّد ابن باقي!!".

لقد روى المرحوم القمي في كتابه -كما ذكرنا- أدعيةً وأذكاراً وزياراتٍ كثيرةً عن أشخاص مثل: «الكفعمي» و«ابن طاووس» و«ابن بابويه» و«ابن المشهدي» و«الشيخ الطوسي» و....، ليست عن الله ولا عن رسوله ﷺ! فمثلاً يقول: قال «الكفعمي» في «البلد الأمين»: اكتبوا

(١) على سبيل المثال انظروا إلى مقدمة المناجاة الخمس عشرة في الفصل الثامن، الباب الأول من «المفاتيح»، ص ١١٤.

(٢) مفاتيح الجنان، ص ٣١٤ و ٤٣٢ حتى ٤٣٧. (ص ٤١٥ و ٥٥٢ من النسخة المعرّبة).

(٣) مفاتيح الجنان، ص ١٠٣ (ص ١٦٧ من النسخة المعرّبة).

(٤) مفاتيح الجنان، ص ١٠٥ و ص ٥٠٠-٥٠١. (ص ٦٢٧ من النسخة المعرّبة)

فليت شعري! هل كان دين الله -نعوذ بالله- ناقصاً فأكمّله هؤلاء؟! أم أن هؤلاء -والعياذ بالله- شركاء ليلّيه في التشريع؟! أم أن الله تعالى -نعوذ بالله- تابع لهم فكل ما قالوه أمضاه ووافق عليه؟! فبأيّ حقّ أضافوا للدين أموراً من عندهم؟ إن كل من يضيف شيئاً إلى الدين من عند نفسه فإن ما أضافه لا علاقة له بدين الله بل هو كلام بشريّ محض، فإن نسبته إلى الدين كان «بدعة». وقد قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: "السُّنَّةُ مَا سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْبِدْعَةُ مَا أُحْدِثَ مِنْ بَعْدِهِ"^(٢)، وقال: "مَا أُحْدِثَ بِدْعَةٌ إِلَّا تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ فَاتَّقُوا الْبِدْعَ"^(٣).

إن المُبتدئين في علم الحديث يعلمون أن من العلامات الواضحة لوضع الحديث تضخيم العمل الصغير والحقير والمبالغة الكبيرة بشأن فضيلته وثوابه، وأكثر مثل هذه الأحاديث وضعها قصاصون أو كتّاب أو خطباء لا وزن لهم. والشيخ عباس -كما رأينا في الصفحات السابقة- انتقد -نقلاً عن كتاب أستاذه- دعاءً رُويت له آثار وثوابات عجيبة وغريبة، ولكنه هو نفسه يروي في كتابه المفاتيح مراراً وتكراراً ثوابات مُدهشة تُثير العجب!! فعلى سبيل المثال يقول: "رُوِيَ أَنَّ مَنْ قَالَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَبْلَ صَلَاةِ الصُّبْحِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَلَوْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ رَبْدِ الْبَحْرِ"^(٤)!! أو ذكر صلاةً وقال إنَّ "من صلاها يوم الأحد من شهر ذي القعدة غُفِرَتْ له جميع ذنوبه!! أو قال: "إن من صام أيام الخميس والجمعة والسبت، في شهر من الأشهر الحُرْمِ كتب الله له عبادة تسعمائة عام"^(٥)!! أو ادّعى أن أداء صلاة خاصة من ركعتين في عيد الغدير "يعدل عند الله عزّ وجلّ مائة ألف حجّة

(١) مفاتيح الجنان، حاشية الصفحة ٢٣٣.

(٢) بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٦٦، الحديث ٣٢. والشيخ الصدوق، معاني الأخبار، ص ١٥٥. (المُترجم)

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٤٥.

(٤) مفاتيح الجنان، أعمال ليلة الجمعة، ص ٣٤ (ص ٧٠-٧١ من النسخة المُعرّبة).

(٥) مفاتيح الجنان، «أعمال شهر ذي القعدة»، ص ٢٥١. (ص ٣٤١ من النسخة المُعرّبة).

ومائة ألف عمرة، ويوجب أن يقضي الله الكريم حوائج دنياه وآخرته في يسر وعافية"^(١). أو أتى بقول المجليبي الذي روى عن الزهراء عليها السلام أنها قالت: "قال لي أبي: من صلى عليك غفر الله عز وجل له، وألحقه بي حيثما كنت من الجنة!!"^(٢).

ويقول الشيخ عباس: إن الصلاة في حرم أمير المؤمنين (ع) تعدل مئتي ألف صلاة!!^(٣) (من أين علم أن الصلاة في حرم ذلك الإمام الهمام لها مثل هذا الثواب؟ من هذا يتبين أن ليس في دين الشيخ عباس كتاب وميزان صحيحان لحساب الأعمال! فلماذا إذن انتقد كتاب «مفتاح الجنان»؟!).

وقال الشيخ عباس في موضع آخر: "ركعتان من الصلاة في حرم عليّ (ع) تُعادل مئة ركعة في غيره" (في النهاية لم يبين لنا هل الركعة تُعادل مئتي ألف صلاة أم تُعادل مئة ركعة؟!). وقال أيضاً: "والفريضة فيه [أي في مسجد الكوفة] تعدل حجة مقبولة وتعدل ألف صلاة تُصلّى في غيره"^(٤) (لاحظوا أنه لم يستثن في كلامه هذا المسجد الحرام ولا المسجد الأقصى ولا مسجد النبي!!). وقال أيضاً: "الصلاة المكتوبة فيه [أي في مسجد الكوفة] تعدل حجة مقبولة، والتافلة تعدل عمرة مقبولة... أو الفريضة والتافلة فيه تعدل حجة وعمرة مع رسول الله ﷺ...". وقال: "وفي الحديث أنه قد صلى فيه ألف نبي، وألف وصي نبي!!" (لا ندري كيف يعود الأنبياء السابقون الذين رحلوا عن الدنيا إليها من جديد ويصلوا في ذلك المسجد؟ هذا مع العلم أن مدينة الكوفة بُنيت في خلافة عمر ولم تكن هناك في تلك المنطقة أي مدينة قبل ذلك كي يكون فيها مسجد!). وقال أيضاً

(١) مفاتيح الجنان، أعمال يوم الغدير، ص ٢٨١. (ص ٣٧٨ من النسخة المعربة).

(٢) مفاتيح الجنان، زيارة حضرة رسول الله ﷺ، ص ٣٢٤. (ص ٤٢٧ من النسخة المعربة). ولم يذكر المجليبي أيضاً أي سند لهذا الكلام.

(٣) مفاتيح الجنان، زيارة أمير المؤمنين المطلقة، ص ٣٦٥.

(٤) مفاتيح الجنان، الفصل الخامس: في فضل الكوفة ومسجدها الأعظم وأعماله، ص ٣٨٧. (ص ٥٠٣-٥٠٢ من النسخة المعربة). راوي هذا الحديث أحد الضعفاء الذي يدعى «محمد بن علي ماجيلويه». وللتعرف على الراويين الآخرين لهذا الحديث ذاته وهما «محمد بن سنان» و«المفضل بن عمر»، راجعوا كتابنا «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول» [وسنشير إليه من الآن فصاعداً بكتاب «عرض أخبار الأصول...» اختصاراً (الترجم)] الصفحات ٣٠٤ حتى ٣٠٨ والصفحات ١٧١ فما بعد.

في ذلك الباب: "ما من نبي ولا عبد صالح إلا وقد صلى في مسجد الكوفة!!"^(١) (لا ندري هل في رأي الشيخ عباس صلى جميع الأنبياء في مسجد الكوفة؟!).

وفي ذلك الموضوع أيضاً يقول: "وَيُسْتَفَادُ مِنْ بَعْضِ الرِّوَايَاتِ فَضْلَ مَسْجِدِ الْكُوفَةِ عَلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ!!"^(٢) هذا رغم أن المسجد الأقصى قبله المسلمين الأولى وبقعة يُقَدِّسُهَا أتباع حضرة إبراهيم (ع) جميعهم. (ونسأل: لماذا لم يُسَرِّ اللهُ بِنَبِيِّهِ إِذَا إِلَى مَسْجِدِ الْكُوفَةِ - الْأَقْرَبِ وَالْأَكْثَرِ فَضِيلَةً - بَدَلًا مِنَ الْإِسْرَاءِ بِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى؟ ولماذا لم يأت في القرآن أي ذِكْرٍ لمسجد الكوفة هذا؟!).

وأورد الشيخ عباس القمّي في فصل «آداب الزيارة» قصيدة لـ«بحر العلوم» أول أبياتها يقول:

وَمِنْ حَدِيثِ كَرْبَلَا وَالْكَعْبَةِ لِكَرْبَلَا بَانَ عَلُوُّ الرُّتْبَةِ

وهو يدل على علو كربلاء على الكعبة!! ويقول في زيارة «الوداع» (ص ٣٣٩) نقلاً عن أستاذه [الميرزا حسين النوري الطبرسي] المعتقد بتحريف القرآن: "قال شيخنا في التحية: إن موضع جسد نبيتنا والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين في الأرض أشرف من الكعبة المعظمة باتفاق

(١) مفاتيح الجنان، الفصل الخامس: في فضل الكوفة ومسجدها الأعظم وأعماله، ص ٣٨٧. (ص ٥٠٢ من النسخة المعربة). وراوي هذا الحديث «سهل بن زياد» الكذاب المشهور (راجعوا وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٥٢١ و٥٢٢، الحديث ٣). وقد عرّفنا بالراوي «سهل بن زياد» في كتاب «عرض أخبار الأصول...»، الصفحات ٨٦ فما بعد.

(٢) مفاتيح الجنان، في فضل الكوفة ومسجدها الأعظم وأعماله، ص ٣٨٧. (ص ٥٠٢ من النسخة المعربة). وراوي هذا الحديث مجهول الهوية ومع ذلك قبل المرحوم القمّي روايته (راجعوا مستدرک الوسائل، الطبعة الحجرية، ج ١، ص ٢٣٥). وقد أفترى في الحديث المذكور على الإمام الصادق (ع) قوله إن المسجد الأقصى ليس في بيت المقدس، بل "ذالك في السماء إليه أسري رسول الله (ص)!! فقلك إن الناس يقولون إنه بيت المقدس؟ فقال مسجد الكوفة أفضل منه". مع أن القرآن يقول: ﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الاسراء: ١]، أي أن المسجد يقع في الأرض وفي بقعة جعلها الله مليئة بالبركة. وأساساً ما فائدة المسجد في السماء؟ هذا وقد اعتبرت تفاسير «مجمع البيان» و«الميزان» و«الأمثل» كلها أن «المسجد الأقصى» يقع في بيت المقدس (أي القدس الشريف).

جميع الفقهاء كما صرح به الشهيد (ره) في القواعد!...".

ولم يتفكر في نفسه بأن النبي الأكرم ﷺ نفسه كان يذهب إلى زيارة الكعبة ويصلي نحوها، فكيف يمكن أن يكون قبره أشرف من الكعبة!

وفي فصل «أعمال الشهور الرومية» يروي رواية عجيبة جداً حول شفاء الناس من الأمراض ويقول: "هذه الرواية المشهورة ينتهي سندها إلى «عبد الله بن عمر» لأجل ذلك يكون السند ضعيفاً!"^(١).

ونسأله: فأين إذاً كلامك الذي قلته في مقدمة كتابك (ص ١٢ و ص ٤٣٢)؟ ونسأله أيضاً: هل هذه الرواية وحدها فقط ضعيفة السند أم أن كثيراً من الروايات الأخرى التي ذكرتها في كتابك هي كذلك أيضاً؟

وأتى الشيخ عباس القمي في مقدمة الباب الثالث المخصص للزيارات وعنوانها «المقدمة في آداب السفر» (ص ٣٠٨ و ٣٠٩)^(٢) بأمور وقصص عجيبة، ثم لما ذكر آداب السفر التي يوصي بها، قال في الوصية الخامسة (ص ٣١٠)^(٣): "أن لا يشرب من ماء أي منزل يردّه إلا بعد أن يمزجه بماء المنزل الذي سبقه!..". مع أن هذا العمل مخالف لقواعد الصحة!

وفي مبحث «حرز حرة فاطمة» روى دعاء ضد الحمى^(٤)، وفي أعمال «الليلة الأولى من شهر رمضان» يوصي بالغسل فيه ويقول: "في الحديث أنّ من اغتسل أول ليلة منه لم يصبه

(١) مفاتيح الجنان، ص ٣٠٣ فما بعد. (ص ٤٠٤ من النسخة المعربة).

(٢) ص ٤١١ من النسخة المعربة. (المترجم)

(٣) ص ٤٠٧ من النسخة المعربة. (المترجم)

(٤) المفاتيح، ص ١٠٩ (ص ١٧٤ من النسخة المعربة). ورغم أن الكذب يطفح من كل جوانب متن هذا الحديث ولكننا لا نرى بأساً في الإشارة إلى بعض رواته وهم: «الحسين بن محمد بن سعيد» مجهول الحال. و «جعفر بن محمد بن بشرويه» و «داود بن رشيد» و «الوليد بن شجاع بن مروان» وكلهم مهملون. (راجعوا بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ٣٧-٣٨).

الحكمة إلى شهر رمضان القابل!!^(١) (حديثٌ جدير باهتمام المبتلين بالحساسية والأمراض الجلدية!). وفي أعمال «يوم عيد الفطر» ينقل عن «الشيخ المفيد» قوله: "يُسْتَحَبُّ أَنْ يَبْتَلَعَ شَيْئاً مِنْ تُرْبَةِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَام) فَإِنَّهَا شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ!"^(٢). (جدير باهتمام الأطباء وطلاب الطب الذين أمضوا سنوات طويلة في الدراسة بلا طائل ولا زوال غير قادرين على اكتشاف علاج عديد من الأمراض المستعصية، ولم يلتفتوا مع الأسف إلى أن شيخنا قد اكتشف علاج جميع الأمراض!!)^(٣).

وفي أعمال «اليوم الأول من شهر محرم» نقل الشيخ عباس القمي عن «الشيخ الطوسي» قوله: "يُسْتَحَبُّ صِيَامُ أَيَّامِ التَّسْعَةِ مِنْ أَوَّلِ مُحَرَّمٍ وَفِي الْيَوْمِ الْعَاشِرِ يُمْسِكُ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَى بَعْدِ الْعَصْرِ ثُمَّ يَفْطُرُ مِنْ تُرْبَةِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَام)!!"^(٤).

هذا مع أنه من الواضح أن مثل هذا التوصيات مخالفة لقواعد الصحة والطب.

ويصف المرحوم القمي وصفة ناجعة لوجع الأسنان فيقول: "يضع عوداً أو حديدة على السن ويرقيه من جانبه سبع مرات: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ دَوْدَةُ تَكُونُ فِي النَّمِّ تَأْكُلُ الْعَظْمَ وَتُنزِلُ الدَّمَ،... الخ"^(٥). أو يقول إن الحيوانات أيضاً كانت تأتي إلى قبر حضرة علي (ع) لتعالج ما بها من جراحات!! (جدير بانتباه الأطباء البيطريين واهتمامهم!!)^(٦).

(١) المفاتيح، ص ٢٣١ (ص ٢٩٧ من النسخة المعربة). (المترجم)

(٢) المفاتيح، ص ٢٤٩ (ص ٣٣٥ من النسخة المعربة). (المترجم)

(٣) وقال الشيخ عباس القمي في فقرة في آخر الفصل السابع من باب الزيارات: (تذييل: في فضل تربة الحسين المقدسة (ع) وآدابها: اعلم أن لنا روايات متظافرة تنطق بأن تربته (ع) شفاء من كل سقم وداء إلا الموت! ... والأحاديث في هذا الباب متواترة وما برزت من تلك التربة المقدسة من المعجزات أكثر من أن تذكر!!). (مفاتيح الجنان، ص ٥٩٦ من النسخة المعربة). (المترجم)

(٤) المفاتيح، ص ٢٨٩ (ص ٣٨٧-٣٨٨ من النسخة المعربة). (المترجم)

(٥) حاشية مفاتيح الجنان: (كتاب الباقيات الصالحات)، ص ٢٨٧.

(٦) المفاتيح، الفصل الرابع (من الباب الثالث): في فضل زيارة أمير المؤمنين (ع)، ص ٣٤٢ (ص ٤٥١ من النسخة المعربة). (المترجم)

أعتقد أنه لو قُرئت مثل هذه الأمور في الجامعات والمراكز العلمية لأثارت بكل تأكيد ضحك بل فهقهة المستمعين لها، ولكانت مفيدة كتسلية للطلاب والأساتذة والترفيه عنهم في فترة الاستراحة!

كتب أحد علماء زماننا حول عادات الناس في عهد الجاهلية يقول:

"وكانت تُعبَد أصنامٌ أخرى أيضاً أتت عادةً من شعوب مجاورة أو بقيت من الأزمنة السابقة ووصلت إلى عرب الجاهلية وقد وُجد لها عُبَاد بينهم. من هذه الأصنام: فِلس، بَعْل، يَغوث، يعوق، نَسْر، وُدّ، سُوَاع، وقد جاءت أسماؤها في القرآن المجيد أيضاً.

كان عابِدو كل واحد من تلك الأصنام التي كان يُحتفظ بأصلها في مكان مُعيّن يصنعون نموذجاً ومثالاً لصنمهم المحبوب الذي يعبدونه كي يتمكنوا من عبادته في البيت وأخذه معهم في السفر! وقد وصلت عبادة الأصنام إلى حدٍّ أنَّ المسافر من عُبَاد الأصنام كان أحياناً كلما وصل إلى منزل أخذ أربعة حجارة واختار أجملها ونصبها في مكان وأخذ بعبادتها"^(١). "كان أهل مكة يُولون الكعبة احتراماً ومحبَّةً مُتميّزين، فإذا خرجوا من المدينة اصطحبوا معهم أحجاراً من الكعبة كانوا يطوفون حولها حيث ما وصلوا، وقد اشتد هذا السلوك وتحوّل إلى عبادة وحلّت الوثنية وعبادة الأصنام محلّ التوحيد"^(٢). "كان عمرو بن الجموح أحد الوجهاء... يسكن يثرب. وقد حملهُ حُبُّه الشديد لإله عشيرته إلى أن صنع من الخشب شبيهاً للإله «مناة» ووضعهُ في منزله في مكان مُحترم وأخذ بعبادته!"^(٣).

قارنوا بين ما ذكره هذا الكاتب وبين ما أورده الشيخ عباس القمي في «المفاتيح» في «زيارة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنَ الْبُعْد» (ص ٣٢٤)^(٤) حين قال: "قال العلامة المجلسي (رحمه الله) في

(١) الشيخ جعفر سبحاني، راز بزرگ رسالت [سر الرسالة العظيم]، انتشارات كتابخانه مسجد جامع طهران،

١٣٥٨ هـ ش. ص ٢٤٣

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٢٣٧.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٢٤٠.

(٤) ص ٤٣٠ من النسخة المعربة. (المُترجم)

زاد المعاد في أعمال عيد الميلاد وهو اليوم السابع عشر من ربيع الأول: قال الشيخ المفيد والشَّهيد والسَّيد ابن طاووس (رحمهم الله): إذا أردت زيارة النَّبِيِّ ﷺ في ما عدا المدينة الطَّيِّبَةَ من البلاد فاغتسل ومثَّل بين يديك شبه القبر واكتب عليه اسمه الشَّريف ثم قف وتوجَّه بقلبك إليه وقُل: **أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ... الخ**."

أليس هذا العمل مماثلاً لعمل مُشركي العرب؟ هل يمكن لأحد شمَّ رائحة التوحيد أن يدعو الموحِّدين والمسلمين إلى القيام بمثل هذا الأمر؟ هل جاهد النَّبِيُّ الْأَكْرَمُ ﷺ كل ذلك الجهاد وتحمَّل كل ذلك العناء والمرارة كي لا يقوم الناس بمثل تلك الأمور تجاه الأصنام بل يقوموا بها تجاه قبره وقبر أحفاده؟! أم أن سعي رسولِ الله ﷺ وعليَّ (ع) وسائر أصحاب النَّبِيِّ ومُجاهداتهم إنما كانت لأجل أن يتجه الناس نحو الله تعالى وحده فقط؟ (فتأمل جداً). لهذا السبب أمر المسلمون أن يقولوا عشر مرَّات على الأقل في صلواتهم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

إنَّ معلومات المرحوم القمِّي والروايات التي كان يعتمدها تستند إلى أحاديث وأخبار مذهبية وخرافية وضعها الغلاة وأتباع الفرق المنحرفة، وتستند بشكل خاص إلى أفكار الأخباريين الباطلة، إذ إنَّ أستاذه ومُعلِّمه الذي أخذ عنه الحديث أي «الحاج ميرزا حسين النوري» كتب كتاباً باسم «فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب»!!! فكان يعتبر أن كتاب الله قد حُرِّف وأُفرح بكتابه ذاك قلوب اليهود والنصارى!

وللأسف كان التلميذ على عقيدة أستاذه، إذ نجد الشيخَ عَبَّاسَ الْقُمِّيَّ يكتب في فصل «أعمال نهار الجمعة»: "واعلم أن لقراءة آية الكرسي على التنزيل [أي كما أنزلت] في يوم الجمعة فضلاً كثيراً". ثم يكتب في حاشية الصفحة ذاتها: "قال العلامة المجلسي: آية الكرسي على التنزيل على رواية علي بن ابراهيم والكُلَيْبِيِّ هي كما يلي: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الرَّحْمَنُ

الرَّحِيمُ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ.....إِلَى آخِرِ الْآيَةِ!!^(١).

كما نجده يروي صلواتٍ عن فردٍ أصفهاني (ص ٥٢) تدل على وقوع التحريف في القرآن!!^(٢) ويبدو أن الشيخ عباس القمي لم يقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [الحجر: ٩]، ويبدو أنه لا يعلم أن جميع الأحاديث الدالة على تحريف القرآن ضعيفة وأن قرائن الوضع فيها كثيرة^(٣). ليت أحداً قام بلقاء المرحوم عباس القمي قبل أن يبدأ بتأليف كتابه «مفاتيح الجنان» وقال له: لو قرأت هذه الآية كل يوم فإنها ستكون مفيدة لك كثيراً: ﴿وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يونس: ١٠٠].



نعم، كتاب «مفاتيح الجنان» كما سيأتي بيانه باختصار، مليء بالخرافات والأوهام التي وضعها الغلاة والكذّابون باسم الأديعية والزيارات و نشرها بأيدي المحدثين والكتّاب السُدّج الذي يُصدّقون كل ما يروى لهم.

لقد ذكرنا على نحو الإجمال، في التحرير الثاني لكتابتنا «عرض أخبار الأصول...»، (ص ٧٤ فما بعد)، أموراً حول أنواع الحديث وعيوبه من المناسب أن يطلع عليها القراء الكرام، ولكن على أي حال فإن أهم معيار لقبول الأحاديث أو ردّها هو توافقها أو عدم توافقها مع القرآن الكريم.

ملاحظة: نسخة «كليات مفاتيح الجنان» التي في متناول يدي والتي أستند إليها وأحيل إلى أرقام صفحاتها فيما تناولته منها بالنقد والتعليق، هي النسخة المكتوبة بخط المرحوم «ميرزا طاهر خوشنويس» التبريزي، التي طبعتها مكتبة «محمد حسن علمي» بعد أن قُوبلت على النسخة

(١) مفاتيح الجنان، ص ٣٦ (ص ٧٢ في النسخة المعرّبة)

(٢) راجعوا فصل «تحقيق مختصر حول مفاتيح الجنان» في الكتاب الحالي، الآتي بعد قليل. وراجعوا كتاب «منتهى الآمال»، ج ٢، ص ٣٥٥. (لا يخفى أننا ننقل من نسخة «منتهى الآمال» التي طبعتها مكتبة كتابفروشي اسلاميه، وهي بخط الحاج ميرزا حسن هريسي الأرونقي).

(٣) حول موضوع عدم وقوع التحريف في القرآن، راجعوا كتاب «عرض أخبار الأصول...»، الإصدار الثاني، ص ٧٣٤ فما بعد، وكتاب «البيان» لآية الله السيد أبي القاسم الخوئي.

الأصلية المكتوبة بخط المؤلف نفسه وُصِّحَتْ مِنْ قِبَلِ «الحاج الملا علي واعظ تبريزي خياباني»، وختمها الشيخ المذكور بخاتمه في آخر صفحة من الكتاب (ص ٦٠٠)، وقد تمَّ الفراغ من كتابة هذه النسخة سنة ١٣٦٥ هـ. ق.، الموافق لسنة ١٣١٦ هـ. ش.، وُكِّبَ في آخرها حديث الكساء بخط «حسن بن الحاج عبد الكريم الهريسي» في الصفحة ٦٠٤ فما بعد.

لا يخفى أن كتاب «مفاتيح الجنان» للمرحوم الشيخ عبَّاس القمِّيّ يشتمل على متن وحواشٍ، أما المتن فهو كتاب «مفاتيح الجنان» وفي حاشيته رسالة له اسمها «الباقيات الصالحات في الأدعية والصلوات المندوبات» وكلاهما (أي المتن والحاشية) يبدأ من الصفحة ١٢ من الكتاب وينتهيان في الصفحة ٥٧١ منه. ثمَّ ابتداءً من الصفحة ٥٧٢ يتبدئ في المتن كتاب «ملحقات مفاتيح الجنان» مع مُقدِّمة للمؤلف، وفي حاشيته يتبدئ كتاب «ملحقات الباقيات الصالحات»، وينتهيان في مُتَّصِفِ الصفحة ٥٩٢. هذه الأقسام الأربعة هي بلا شُبْهة من تأليف ذلك المرحوم. لكننا لا نستطيع أن ننسب على وجه القطع واليقين الأمور التي ذُكرت قبل الصفحة ١٢ والتي جاء في متن الكتاب بعد الصفحة ٥٩٢ تحت عنوان «الملحقات الثانية» إلى ذلك المرحوم^(١). والله العالم. كما أن حديث الكساء - كما سنرى لاحقاً - أُضيف إلى كتاب المفاتيح دون رضا المؤلف^(٢). وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



(١) وللأسف في التحرير الأول لهذا الكتاب أغفلت ذكر هذه النقطة.

(٢) راجعوا ما سنذكره في هذا الصدد في آخر الكتاب الحالي.

نظرة إلى ما جاء في حاشية «مفاتيح الجنان» من ص ٢ إلى ص ١٢

صَرَّحَ المرحوم الشهيد الثاني (الشيخ زين الدين العاملي) في كتابه «البداية في علم الدراية» (الطبعة الحجرية، ص ٧٢) - كما أشرنا إلى ذلك في كتابنا «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول» بأنَّ الأحاديث المُغالية العجيبة التي أوردها الواحدي والثعلبي والزنجشيري في كتبهم حول ثواب قراءة سور القرآن أحاديث موضوعة^(١).

وقال الأستاذ «محمد باقر البهبودي» أيضاً:

"... إن الزنادقة والغلاة لم يألوا جهداً في إطفاء نور الإسلام وإفساد الشريعة والأحكام، وإيقاع الشك في القلوب، والتلاعب بالحقائق الدينية ومعارفها، وترويج الخرافات والتُّرّهات والبدع وإيجاد الفرقة والاختلاف....

وهكذا نراهم قد اختلقوا معجزات خرافية تافهة مُستبشعة فنشروها على لسان القصاصين ومشايخ الحديث المُغفلين ليبتهج المسلمون بتردادها ونقلها وسماها، كل ذلك تنفيراً لطباع المُتفكِّرين ودحضاً لبيِّنات القرآن ومعجزته الخالدة التي طالما أخذت بأسماع السامعين.

وأخرى لفقوا أساطير مزعومة وأحاديث مُزوّرة تُرغِّب الناس في الزهد والاعتزال وأدرجوا فيها سفاسف التصوف والعرفان ليشغل الناس بالتفكُّر في ذواتهم عن التشاغل بأعدائهم....

وهكذا ابتدعوا عبادات وصلوات مُخترعة واصطنعوا أدعية جميلة عرفانية وغير عرفانية بشَّروا عبَّادها وقُرَّاءها بالثوابات الجُزافية والفوز بنعيم الآخرة، فرغب فيها كثيرٌ من العبَّاد المُغفلين لا يفترون عن العبادة [التي ليس لها سند في الشرع] وقراءة الأدعية [الموضوعة] ليلاً ونهاراً، و[هذا] عدلوا عن السنَّة النبوية العادلة فتشاغلوا بها عن مغزى العبادة والدعاء يحسبون

(١) راجعوا الصفحات ٣٥-٣٧ من الكتاب المذكور. (أي عرض أخبار الأصول...)

أنهم يُحسِنون صنعا! (١). (مقدمة كتاب «صحيح الكافي»، بيروت، الطبعة الأولى، ج ١، الصفحة «و» فما بعد، وراجعوا أيضاً كتاب «عرض أخبار الأصول...»، ص ٢٤ حتى ٢٦).

يقول الكاتب: إن كتب الشيعة - مع الأسف - لم تخل من مثل هذه الروايات، فنجد في تفسير «مجمع البيان» [للشيخ الطبرسي] و«تفسير الصافي» [لمحسن فيض الكاشاني] و..... مثل هذه الروايات الخرافية. وقد أورد صاحب «مفاتيح الجنان» تلك الروايات أيضاً، من ذلك قوله عن سورة يس، نقلاً عن كتاب «مفاتيح النجاح» دون سند: "سُورَةُ يَسٍ... تَعُمُّ صَاحِبَهَا خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَتُكَابِدُ عَنْهُ بَلْوَى الدُّنْيَا وَتَدْفَعُ عَنْهُ أَهْوَائِلَ الْآخِرَةِ وَتُدْعَى الْمُدَافِعَةَ الْقَاضِيَةَ تَدْفَعُ عَنْ صَاحِبِهَا كُلَّ شَرٍّ وَتَقْضِي لَهُ كُلَّ حَاجَةٍ وَمَنْ قَرَأَهَا عَدَلَتْ لَهُ عِشْرِينَ حَاجَةً وَمَنْ سَمِعَهَا... أُعْطِيَ أَلْفَ نُورٍ وَأَلْفَ يَقِينٍ وَأَلْفَ بَرَكَاتٍ وَأَلْفَ رَحْمَةٍ وَنَزَعَتْ عَنْهُ كُلَّ دَاءٍ وَغَلَّ" (٢). وقوله أيضاً: "وَمَنْ دَخَلَ الْمَقَابِرَ وَقَرَأَ سُورَةَ يَسٍ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَئِذٍ، وَكَانَ لَهُ بَعْدَ مَنْ فِيهَا حَسَنَاتٌ!!" (٣)..... و"مَنْ قَرَأَهَا قَبْلَ أَنْ يَنَامَ أَوْ فِي نَهَارِهِ قَبْلَ أَنْ يُمَسِّيَ كَانَ فِي نَهَارِهِ مِنَ الْمَحْفُوظِينَ وَالْمَرْزُوقِينَ حَتَّى يُمَسِّيَ وَمَنْ قَرَأَهَا فِي لَيْلِهِ قَبْلَ أَنْ يَنَامَ وَكَلَّ اللَّهُ بِهِ مِائَةَ أَلْفِ مَلَكٍ يَحْفَظُونَهُ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ وَمِنْ كُلِّ آفَةٍ وَإِنْ مَاتَ فِي يَوْمِهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ!!" (٤).

(١) ملاحظة: ما بين المعقوفتين: [] هو من كلام البرقي أدرجه بين كلام اليهودي بقصد التوضيح.

(المترجم)

(٢) مفاتيح الجنان، حاشية الصفحة ٣، والحديث المذكور منسوب لأبي بكر! (راجعوا: مستدرک الوسائل، الطبعة الحجرية، ج ١، ص ٣٠٤).

ملاحظة للمترجم: هكذا جاء في حاشية ص ٣ من المفاتيح، ولكن أصل الرواية كما في بحار الأنوار هي هكذا: "مَنْ سَمِعَ سُورَةَ يَسٍ عَدَلَتْ لَهُ عِشْرِينَ دِينَاراً فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَنْ قَرَأَهَا عَدَلَتْ لَهُ عِشْرِينَ حَاجَةً وَمَنْ كَتَبَهَا وَشَرِبَهَا أَدْخَلَتْ جَوْفَهُ أَلْفَ يَقِينٍ وَأَلْفَ نُورٍ وَأَلْفَ بَرَكَاتٍ وَأَلْفَ رَحْمَةٍ وَأَلْفَ رِزْقٍ وَنَزَعَتْ مِنْهُ كُلَّ غَلٍّ وَدَاءٍ". أي أن الثواب المذكور في الرواية هو لمن كتبها ونقعها وشرب محلها!!! وليس لمن سمعها.

(المجسبي، بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٢٩١). (المترجم)

(٣) بحار الأنوار، ج ٧٩، ص ٦٣ (نقلاً عن كتاب «عُدَّة الداعي» لابن فهد الحلبي) (المترجم)

(٤) مفاتيح الجنان، حاشية الصفحة ٤، وهذا الحديث موجود في «وسائل الشيعة»، ج ٤، ص ٨٨٦، الحديث ١. ولاحظوا أن أحد رواته هو «إسماعيل بن مهران» الذي عرفنا به في كتابنا كتاب «عرض أخبار

أو قال في «أعمال ليلة الجمعة» (ص ٣١، أو ص ٦٦ من النسخة المعربة للمفاتيح): "مَنْ قرأ الواقعة كل ليلة مُجمعة أحبه الله تعالى وأحبه إلى الناس أجمعين ولم ير في الدنيا بؤساً أبداً ولا فقراً ولا فاقةً ولا آفةً من آفات الدنيا....". أو روى في الصفحة ٣٨ (ص ٧٥ من النسخة المعربة للمفاتيح) عن عنبسة بن مصعب عن الإمام الصادق (ع): "مَنْ قرأ سورة ابراهيم وسورة الحجر في ركعتين جميعاً في يوم الجمعة لم يصبه فقر أبداً ولا جنون ولا بلوى!!"^(١).

وهذه الأخبار كذبٌ يقيناً وهي أخبار مغالية وتدفع إلى الاعتزاز. لقد قرأ رسول الله ﷺ وأصحابه مراراً سورة يس وسورة الواقعة ولم تُدفع عنهم مصائب الدنيا ولا آفاتهما.

أو قال عن سورة الرحمن: "لَا تَدْعُوا قِرَاءَةَ سُورَةِ الرَّحْمَنِ وَالْقِيَامِ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَقْرَأُ فِي قُلُوبِ الْمُتَأَفِّفِينَ (وَتَأْتِي بِهَا) يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ وَأَطْيَبِ رِيحٍ حَتَّى تَقْفَ مِنَ اللَّهِ مَوْقِفًا لَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ مِنْهَا..."^(٢).

إن من كتب تلك الأمور لم يستخدم عقله وإلا لعرف أنه ليس لله تعالى مكان يتحيز فيه، حتى يأتي إليه شيء ويقرب منه، ويقف لديه!!

أو كتب قائلاً: "مَنْ قرأ سورة الرحمن فَقَالَ عِنْدَ كُلِّ ﴿فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْدِبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرحمن: ١٣]: «لَا بِشَيْءٍ مِنْ آيَاتِكَ رَبِّ أَكْذَبُ»، فَإِنْ قرأها لَيْلًا ثُمَّ مَاتَ مَاتَ شَهِيدًا، وَإِنْ قرأها نَهَارًا ثُمَّ مَاتَ مَاتَ شَهِيدًا"^(٣).

الأصول....»، ص ٦٦٢-٦٦٣ و ٨١٣. والراوي الآخر «الحُسَيْنُ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ» الواقفي، الذي اختلف علماء الرجال بشأنه ولكن لم يوثقه أحدٌ، وضعفه الفاضل الجزائري. وهو ذاته راوي الرواية العجبية التي تقول: "مَنْ قرأ سورَ الطَّوَّاسِينِ الثَّلَاثِ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ كَانَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَفِي جِوَارِ اللَّهِ وَكَتَفِهِ وَلَمْ يُصِبْهُ فِي الدُّنْيَا بُؤْسٌ أَبَدًا.... الخ". (ص ٣١، أو ص ٦٦ من النسخة المعربة للمفاتيح). راجعوا وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٥٩، الحديث ٩.

- (١) لمشاهدة الرواية المذكورة راجعوا وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٥٩، الحديث ٩.
- (٢) مفاتيح الجنان، حاشية الصفحة ٥، وانظروا الرواية المذكورة في وسائل الشيعة، باب استحباب قراءة الحواميم والرحمن والزلزلة والعصر في النوافل، ج ٤، ص ٨٠٩، الحديث ٢.
- (٣) مفاتيح الجنان، حاشية الصفحة ٦. وأصل الحديث لدى الشيخ الصدوق، ثواب الأعمال، ص ١١٦-١١٧.

ونقول: لو كانت مرتبة الشهادة تُنال بمجرد قراءة هذه السورة على النحو المذكور لما بقيت هناك حاجة إلى الجهاد في سبيل الله وإعداد آلات الحرب!! وهل يريد الاستعمار شيئاً أفضل من هذا؟! (فتأمل)

ويقول عن سورة الجمعة: "عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ الْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ إِذَا كَانَ لَنَا شِيعَةً أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ بِالْجُمُعَةِ وَسَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وَفِي صَلَاةِ الظُّهْرِ بِالْجُمُعَةِ وَالْمُنَافِقِينَ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَكَأَنَّمَا يَعْمَلُ بِعَمَلِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم.....". وقد كرّر المؤلف هذه الرواية الباهرة مرةً أخرى في «المفاتيح» في فقرة «أعمال يوم الجمعة» (ص ٤٨، أو ص ٨٩ من النسخة المعرّبة للمفاتيح)!!^(١)

طبقاً لهذه الرواية عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكل ما كان فيه من مشقات ومرارات وجهاد وعبادات، يعادل قراءة سورتين من القرآن!!! ثم لماذا لا يصلي الشيعي من أتباع الإمام الصادق عليه السلام صلاة الجمعة بل يصلي مكانها صلاة الظهر؟

ويقول عن الآية ٢ من سورة النبأ إن ﴿عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾ هو الولاية وهو حضرة الأمير (ع)؟! هذا في حين أن حضرة الأمير (ع) يدعو - كما في دعاء يوم الاثنين في الصحيفة العلوية - قائلاً: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ وَأَكْرَمَنِي بِالْإِيمَانِ وَبَصَّرَنِي فِي الدِّينِ وَشَرَّفَنِي بِالْبَيْتَيْنِ وَعَرَّفَنِي الْحَقَّ الَّذِي عَنْهُ يُؤْفَكُونَ وَالنَّبِيَّ الْعَظِيمَ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ"^(٢). من هذا الدعاء يتبيّن أن "النَّبِيَّ الْعَظِيمَ" ليس الإمام ذاته، بل الإمام مؤمن بالنبأ العظيم.

ونقله عنه الحُرّ العاملي في وسائل الشيعة، ج ٦، ص ٧٢. (المترجم)

(١) لقراءة الحديث المذكورة بتمامه راجعوا وسائل الشيعة، ج ٤، ص ٧٩٠، الحديث ٨. بعض رواة الحديث المذكور هم: «منصور بن حازم» الذي عرفنا به في كتابنا «عرض أخبار الأصول...»، ص ٣٤٢ فما بعد. و«إسماعيل بن مهران» الذي عرفنا به في ذلك الكتاب أيضاً في ص ٦٦٢-٦٦٣ و ٨١٣. والراوي الآخر للحديث هو «محمد بن حسان» الذي ضعّفه الشيخ الطوسي والغضائري وابن داود والعلامة الحلي وقال عنه النجاشي: يروي عن الضعفاء كثيراً!

(٢) الصحيفة العلوية، بترجمة محلاتي، ص ٦٢٣.

(فتأمل). بملاحظة أن الآية ذكرت اختلاف أهل مكة حول هذا النبأ العظيم يمكننا أن نقول: إنَّ الخبر المذكور لم يكن قضية التوحيد ولا بُبُوَّة النبي لأنَّ أهل مكة كانوا مُتَّفِقِينَ على رفض هذين الأمرين، أما بشأن مسألة بعث الأموات والقيامة فكان بعضهم يعتقد ببقاء الروح ولا يرفض فكرة المعاد الروحاني في حين كان فريق آخر يشكُّ في إمكانية المعاد، وفريق ثالث يُنكر المعاد كُلِّيَّةً، وإذا أخذنا بعين الاعتبار أيضاً أن الله تعالى قال بعد تلك الآية مرَّتين بلهجة فيها تهديد: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النبأ: ٤، ٥]، وأنه قال في الآية السابعة عشرة من السورة: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتَنَا ﴿١٧﴾﴾ [النبأ: ١٧]، ثُمَّ أخذ بذكر جهنم وعذابها وذكر الجنة، فإنَّه من الواضح أن ذلك النبأ العظيم المُختلف فيه يتناسب مع واقعة القيامة العظيمة التي ستقع في المستقبل. ورغم أن تفسير «مجمع البيان» يذكر عادةً الأخبار الخُرافية [التي يرويها الكليني في الكافي] إلا أنَّه هنا أهمل تماماً ذكر الرواية التي تدَّعي أن «النبأ العظيم» هو الولاية. كما لم يعتنِ تفسير «الميزان» بتلك الروايات وقال: إنَّ المراد من النبأ العظيم البعث والقيامة لأن القرآن الكريم اهتمَّ اهتماماً تاماً وأكدَّ في السور المكية لاسيما تلك السور التي نزلت في أوائل البعثة على إثبات القيامة ويوم الفصل.

وكذلك تفسير «الأمثل» ذكَّر -حفاظاً على اعتبار الروايات- ثلاثة أحاديث غير مُعتبرة، ولما رأى أن مضمون هذه الأحاديث لا يتناسب مع آيات سورة «النبأ» ادَّعى ادِّعاءً لا دليل عليه بأنَّه من الممكن أن يكون المقصود الباطني للآيات هو «الولاية»!! لكنه أثناء تفسير الآية اعترف أن كون أكثر المُشركين مُختلفين حول مسألة «المعاد» يُؤكِّد على تفسير الآية بالبعث والمعاد. وصرَّح أن تفسير الآية بالمعاد راجح على سائر الأقوال.

ويقول كاتب هذه السطور: لو جاز القول بمعنى باطني للآيات لا يتناسب مع ظاهرها ولا يتعلَّق به فإننا نقول أيضاً: إنَّ المعنى الباطني لـ «النبأ العظيم» هو أن علماء الدين والمشايخ مُتَعَصِّبُونَ وُخْرَافِيُونَ وأتَّهم سبباً لانحراف عوام الناس وضلالهم، وكانت تلك مسألة يصعب قبول العوام لها لذلك كانوا مُختلفين فيها مُتردِّدين بشأنها وسوف يعلمون يوم القيامة أيَّ خدعة وقعوا بها؟! «باؤك تجرُّ وبائي لا تجرُّ»!

إضافةً إلى ذلك فإن سورة النبأ نزلت في مكة ولم يكن أهل مكة في ذلك الحين يتساءلون حول حضرة عليّ (ع) أو يختلفون بشأنه حتى يُنزل الله جواباً وبياناً بشأن اختلافهم ذلك.

وقال الشيخ عباس القمي أيضاً بشأن سورة القدر: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ» فِي صَلَاةِ الْفَرِيضَةِ نَادَاهُ مُنَادٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ: اسْتَأْنِفِ الْعَمَلَ فَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ!!" (١).

يعني استأنف من جديد خطاياك وجرائمك! لا ندري لماذا لم يستخدم كُتّاب مثل هذه الأحاديث وناقلوها عقولهم فيدركوا أنّ هذه الأخبار مُتعارضة مع القرآن ومع القانون الإلهي الذي بيّنه تعالى بقوله ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، وقال: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٦١﴾﴾ [الطور: ٢١]، وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٨٧﴾﴾ [المدثر: ٣٨]، وقال أيضاً: ﴿يَبْقَىٰ إِلَهَهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٦﴾﴾ [لقمان: ١٦].

ما ذكرناه يكفي لمعرفة مقدار صلة حواشي هذا القسم من كتاب «مفاتيح الجنان» بالإسلام والمسلمين، ولا نحتاج إلى مزيد من التفصيل في ذلك. وبالطبع فإنّ وضع سائر أقسام «المفاتيح» ليس أفضل من ذلك. فعلى سبيل المثال يقول في «أعمال نهار الجمعة» (ص ٤٩، أو ص ٧١-٧٢ من النسخة المُعرّبة): "مَنْ قَالَ بَعْدَ فَرِيضَةِ الظُّهْرِ وَفَرِيضَةِ الفَجْرِ فِي يَوْمِ الجُمُعَةِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَيَّامِ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَعَجِّلْ فَرَجَهُمْ، لَمْ يَمِتْ حَتَّى يَدْرِكَ الْقَائِمَ (عَلَيْهِ السَّلَام)!!!" . أو قال في «أعمال ليلة الجمعة» (ص ٣١، أو ص ٦٦ من النسخة المُعرّبة): "مَنْ قَرَأَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (= الإسرائيل) فِي كُلِّ لَيْلَةٍ جُمُعَةٍ لَمْ يَمِتْ حَتَّى يَدْرِكَ الْقَائِمَ (عَلَيْهِ السَّلَام) فَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِهِ!!!" .

ينبغي أن نعلم أنّ واضح هذه الأحاديث نسبتها إلى الإمام الصادق عليه السلام غافلاً عن أنّه لم يكن في ذلك الزمن من إمام سواه، أي أنّه عند الصدور المُفترض لهذه الأحاديث كان الإمام القائم هو حضرة الصادق نفسه لا غيره! ألم يفهم واضح الحديث ما لفقّه من كلام؟ لماذا لم يسأل الشيخ

(١) للاطلاع على الحديث المذكور راجعوا «وسائل الشيعة»، ج ٤، ص ٨١١، الحديث ٩. أحد رواته «الحسين بن أبي العلاء» الذي عرّفنا به في حاشية الصفحة ٤٤ من الكتاب الحالي.

عبّاس نفسه عند كتابته لهذين الحديثين: ما هو إذن تكليف ومصير الأشخاص الذين قرؤوا هذه السورة أو هذه الصلوات حتى عهده ورحلوا عن الدنيا دون أن يدركوا حضرة الصادق أو الإمام الثاني عشر؟!^(١)

وبالطبع عليّ أن أسأل نفسي هل كان الشيخ عبّاس وأمثاله يُفكِّرون فيما يكتبون أصلاً؟ أم أنهم لم يكن لهم أيُّ صلة بعقلهم ولم يكونوا يعتبرون أن الاستفادة من عقلهم أمراً واجباً! وفي الصفحة ذاتها يقول بشأن قراءة سورة «ص»: قال: "ويسند معتبر عن الباقر (عليه السلام) قال: مَنْ قرأ سورة ص في ليلة الجمعة أعطي من خير الدنيا والآخرة ما لم يُعط أحدٌ من الناس إلا نبياً مُرسلاً أو ملكاً مُقرباً وأدخله الله الجنة، وكلّ من أحبّ من أهل بيته حتى خادمه الذي يخدمه وإن لم يكن في حدّ عياله ولا في حدّ من يشفع له!!"^(٢).

ويقول في الصفحة ذاتها أيضاً: "وقال (عليه السلام): من قرأ سورة الكهف كلّ ليلة جمعة لم يمت إلا شهيداً وبعثه الله مع الشهداء ووقف يوم القيامة مع الشهداء!!"^(٣).

وأيضاً يروي في الصفحة ذاتها عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: "وقال (عليه السلام): من قرأ سورة السجدة في كلّ ليلة جمعة أعطاه الله كتابه بيمينه ولم يحاسبه بما كان منه وكان من رفقاء محمّد وأهل بيته (عليهم السلام)!!"^(٤).

(١) لمطالعة هذين الحديثين راجعوا كتاب «مستدرك الوسائل»، ج ١، ص ٤٢٣، وكتاب «وسائل الشيعة»، ج ٥، ص ٨٨، الحديث ٨. وبالمناسبة فإن راوي الحديث الأخير هو «الحسين بن أبي العلاء» الذي سبق أن عرّفنا به في حاشية الصفحة ٤٤ من الكتاب الحالي.

(٢) لرؤية هذا الحديث راجعوا «وسائل الشيعة»، ج ٥، ص ٨٩-٩٠، الحديث ١. وأحد رواة هذا الحديث هو «عمرو بن جبير العزرمي» وهو مجهول. ويتبغى أن نقول للشيخ عباس: لقد فهمنا أيضاً معنى قولك «ويسند مُعتبر»!

(٣) لرؤية هذا الحديث راجعوا «وسائل الشيعة»، ج ٥، ص ٨٨، الحديث ٩. اثنان من رواة هذا الحديث هما «محمد بن حسان» و«إسماعيل بن مهران». للاطلاع على حالهما راجعوا حاشية الصفحة ٤٦ من الكتاب الحالي.

(٤) راجعوا «وسائل الشيعة»، ج ٥، ص ٨٩، الحديث ١٣. وراوي هذا الحديث «الحسين بن أبي العلاء» الذي عرّفنا به في حاشية الصفحة ٤٤ من الكتاب الحالي.

أو يقول في الصفحة ١٥ (ص من النسخة المعربة): كل من قرأ الدعاء الفلاني لم يفتح الله له ديوان ذنوبه!!

إن مثل هذه الأقوال تُخالف قول الله في القرآن الكريم: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الاعراف: ٦] فالله تعالى يعتبر الأنبياء مسؤولين فكيف يُمكن أن يكون من قرأ سورة أو دعاءً غير مسؤول وأن لا يُحاسبه الله؟! أفلا تعقلون؟

حقاً إنَّ السؤال المُحير: ألم يسأل مؤلّف «مفتاح الجنان» أو مؤلّف «مفاتيح الجنان» وأمثالها أنفسهما: كيف يُمكن أن يقول دين الله من جهة: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [١] وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٢﴾... وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٣﴾ [العنكبوت: ٢ و ٣ و ٦]، ويقول: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]. أي أن الوصول إلى السعادة الأبدية رهين بالإيمان والعمل الصالح والمجاهدات المُخلصة.

ثم يقول من الجهة الأخرى: إن قرأتم الدعاء الفلاني أو أدّيتم الزيارة الفلانية فستكون الجنة والسعادة الأبدية من نصيبكم؟! إن مثل هذا العمل يستوجب بلا ريب نقض الغرض من تشريع الأحكام لأنه في مثل هذه الحالة، سيقول كل إنسان في نفسه: لماذا أترك العمل البسيط الذي يُدخلني الجنة وأتعب نفسي باختيار الأعمال الصعبة؟! إذا كان من الممكن شراء الجنة بقراءة دعاء أو زيارة فلماذا أحمّل عناء جهاد النفس والتضحية والجهاد في سبيل الله؟

أجل، لو صدّق الناس هذه الثوابات العجيبة والغريبة لأدّى ذلك إلى تهرّبهم من الالتزام بالأعمال وإلى فقدان قيمة كل ما جاء في الشرع من ترغيب بالعمل بالأوامر وباجتناب نواهي الشرع وترهيب من ارتكاب المعاصي والذنوب. فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا؟



تحقيق مختصر في «الباب الأول» من «مفاتيح الجنان»

اعلم أن المرحوم القمّي قَسَم كتابه إلى ثلاثة أبواب:

الباب الأول: في تعقيب الصلوات ودعوات أيام الأسبوع، وأعمال ليلة الجمعة وعدة أدعية مشهورة والمناجاة الخمس عشرة وغيرها.

الباب الثاني: في أعمال أشهر السنة العربيّة وفضل يوم النيروز وأعماله وأعمال الأشهر الروميّة.

الباب الثالث: في الزيارات وما يُناسبها.

في الصفحات التالية سنمرّ مروراً سريعاً على بعض ما ذكره في «الباب الأول» ونفحصه على نحو الإجمال:

أولاً: لقد نسي المرحوم القمّي في الصفحة الثالثة من كتابه العهد الذي قطعه على نفسه للقراء في الصفحة الأولى! إذ أورد في فصل «التعقيبات العامة» (ص ١٤)^(١)، دعاءً عن كتاب «مُصْبِح المُتَهَجِّد» للشيخ الطوسي ليس له سندٌ، في حين أنّه كان قد التزم في مقدمة «مفاتيح الجنان» (ص ١٢)^(٢) أن لا يذكر أيّ أمر ليس له سند!

والدعاء المشار هو الذي يقول: "وهذا دعاء علّمه جبرئيلُ يوسفَ (عليه السلام) في السجن (وفيه): ثمَّ خُذْ لِحيتك بيدك اليمنى وابدسْ يدك اليسرى إلى السّماء وقل سبع مرّات... الخ". ونسأل: هل على النساء اللواتي ليس لهنَّ لِحْيٌ أن لا يقرؤوا هذا الدعاء؟ ثم لماذا علّم جبريل حضرة يوسف (ع) دعاءً لم يتحقّق حتى بعد عشرات القرون؟ ألم يكن جبريل يعلم -نعوذ بالله- دعاءً أكثر فائدةً ليوسف (ع) من هذا؟!

(١) ص ٤٥ من النسخة العربيّة لمفاتيح الجنان.

(٢) ص ٤٣ من النسخة العربيّة لمفاتيح الجنان.

وخلاصة الكلام، إن معظم ما أورده المرحوم القمّي في هذا الباب مخالف لما عاهد القراء عليه، لأنه عبارة عن أخبار فاقدة للسند أو ضعيفة السند، وكل من راجع الكتب التي ذكرها بوصفها مستندة ومرجعة فيما يذكره من نصوص أيقن بصحة كلامنا. وسنذكر هنا بعض النماذج بنحو مختصر، لأن ذكر جميعها سيخرجنا عن الاختصار:

١- روى في الصفحة ١٦^(١) عن ابن بابويه القمي سلاماً على الأئمة الاثني عشر وقال بعده:
"ثم سلّ الله ما شئت!".

ونسأل: هل كان الشيخ الصدوق يملك حق التشريع؟! وبأي حق يفتي من عند نفسه بأمر غيبي ديني؟

٢- ونقل عن «مصباح» الكفعمي أموراً لا سند لها.

٣- وروى في الصفحة ١٧^(٢) حديثاً عن الإمام محمد التقي (ع) [حول ثواب قراءة سورة القدر] راويه «الحسن بن العباس بن الحرّيش الرّازي»^(٣).

٤- وفي الصفحة ١٨^(٤) ذكر «صلاة الغفيلة» التي ليس لها سند جيد^(٥). ولكن يمكننا أن نستنبط من الحديث المذكور ومن أحاديث متعددة أخرى ذكرت في الوسائل، أن الأئمة عليهم السلام كانوا يجيزون أن يقرأ المصلي جزءاً من سورة بعد قراءة الحمد^(٦). (فتأمل)

٥- وفي الصفحتين ١٩ و ٢٠^(٧) نقل عن كتاب «مصباح المتهدّد» للشيخ الطوسي أدعية تُقرأ

(١) ص ٤٩ من النسخة المعرّبة لمفاتيح الجنان.

(٢) ص ٥١ من النسخة المعرّبة لمفاتيح الجنان.

(٣) الحديث المشار إليه مذكور في «مستدرك الوسائل»، ج ١، ص ٣٤٨. ولمعرفة حال «الحسن بن العباس بن الحرّيش الرّازي» راجعوا كتابنا «عرض أخبار الأصول...»، ص ٥٦١.

(٤) ص ٥٢ من النسخة المعرّبة لمفاتيح الجنان.

(٥) راجعوا «مستدرك الوسائل»، ج ١، ص ٤٦١.

(٦) للاطلاع على الحديث المذكور راجعوا وسائل الشيعة، ج ٤، ص ٧٣٧ فما بعد.

(٧) ص ٥٣ و ٥٤ من النسخة المعرّبة لمفاتيح الجنان.

عقب صلاة العشاء وصلاة الصبح لا سند لها!

٦- وفي الصفحة ٢٠^(١) روى عن الكليني رواية في تعقيب صلاة الصبح والمغرب، اثنان من رواتهما هما: «إسماعيل بن مهران» و«علي بن أبي حمزة البطائني»^(٢)!

٧- وفي الصفحة ذاتها روى عن «الجعفي» وهو من الضعفاء، دعاءً لوجع العين يتدئ بالجملة التالية: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْكَ... الخ"^(٣). ونسأل: وهل لمحمد وآل محمد حقُّ على الله؟! أم أن لله عليهم حقُّ عظيم؟

٨- وذكر في الصفحة ٢١^(٤) رؤيا، نُعرض عن التعليق عليها لأن الرؤى والمنامات ليست حُجَّةً.

٩- وفي الصفحة ٢٢^(٥) روى عن الصادق (ع) قوله: فريضة على كل مسلم أن يقرأ قبل طلوع الشمس وقبل غروبها عشراً: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ... الخ"^(٦).

ألا يعلم الشيخ عباس أنه لم يقل بوجوب هذا الدعاء أي أحد من علماء الإسلام وحتى علماء الإمامية!!؟

(١) ص ٥٥ من النسخة المعرَّبة لمفاتيح الجنان.

(٢) لقد عرفنا في كتابنا «عرض أخبار الأصول...» بـ «إسماعيل بن مهران» في الصفحات ٦٦٢ - ٦٦٣ و ٦٦٣ و ٨١٣. وبـ «علي بن أبي حمزة البطائني» في الصفحة ١٦٣ و ١٩٦ فما بعد.

(٣) لرؤية هذا الحديث راجعوا وسائل الشيعة، ج ٤، ص ١٠٥٥، الحديث ٥.

(٤) ص ٥٦ من النسخة المعرَّبة لمفاتيح الجنان.

(٥) ص ٥٧ من النسخة المعرَّبة لمفاتيح الجنان.

(٦) هذا الحديث مذكور في وسائل الشيعة، ج ٤، ص ١٢٣٥، الحديث ٤. (نقلاً عن كتاب الخصال للشيخ الصدوق). أحد رواة هذا الحديث «تميم بن بهلول» مهمل. والراوي الآخر شخصٌ يُدعى «بكر بن عبد الله بن حبيب» ضعيف.

١٠- وفي الفصل الثالث من الباب الأول (ص ٣٢)^(١) يروي أدعية أيام الأسبوع نقلاً عن «ملحقات الصحيفة السجادية»، مع أن هذه الملحقات ليس لها أيُّ سند أصلاً، والعجيب أنها تبتدئ أيام الأسبوع من يوم الأحد - كاليهود - وتُنهيها يوم الخميس؟! وقد جاءت هذه الأدعية أيضاً في كتاب «البلد الأمين» للكفعمي دون سند^(٢). وفي بعض جهل هذه الأدعية إشكالات شرعية وعقلية، مثل مسألة التوسل (في دعاء يوم الخميس) الذي سنذكر لاحقاً شرحه باختصار. وقد جاءت الجملة قبل الأخيرة من دعاء يوم الخميس في كتاب «البلد الأمين»، على النحو التالي: «واجعله لي شافعاً يوم القيامة نافعاً» وليس فيها عبارة: «توسّلي به»^(٣).

١١- ويروي في الصفحة ٢٩^(٤) [عن الإمام الصادق عليه السلام]: "اجتنبوا المعاصي ليلة الجمعة... ومن ترك معصية الله ليلة الجمعة غفر الله له كل ما سلف!!"

أقول: إذن ما أحسنها من فكرة، نعصي الله في ستة أيام ثم نأتي ليلة الجمعة ونأخذ فيها وفي يوم الجمعة فترة راحة، لنُجَدِّد فيها قوانا حتى نتقوى على الذنوب في الأسبوع القادم من جهة، ولتُغْفَرَ كل ذنوبنا الماضية من الجهة الأخرى!! أما القرآن الكريم فيقول: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء: ١٢٣]، وعلى القارئ أن يختار بين قبول كلام الله أو تصديق رواية المفاتيح!!

وقد تكلمنا فيما سبق^(٥) عن الأمور الذي ذكرها القمي في الصفحة ٣١ من المفاتيح^(٦) فلا نكرر الكلام هنا.

١٢- ادّعى في الصفحة ١٢ أن قراءة الشعر ليلة الجمعة ويومها مكروهة ويجب تركها حتى

(١) ص ٥٨ من النسخة المعرّبة لمفاتيح الجنان.

(٢) ذكر الكفعمي هذه الأدعية أيضاً في كتابه «المصباح» (الفصل ١٧ في أدعية الليالي والأيام) دون سند.

(٣) الشيخ إبراهيم الكفعمي، البلد الأمين، ص ١٣٩. وراجعوا أيضاً كتاب المصباح للكفعمي، الفصل ١٧.

(٤) ص ٦٤-٦٥ من النسخة المعرّبة لمفاتيح الجنان.

(٥) راجعوا الصفحة ٤٦-٤٩ من الكتاب الحالي.

(٦) ص ٦٦ من النسخة المعرّبة لمفاتيح الجنان.

لو كان كلام الشعر حقاً، وحتى لو صلّى عن شخص لا تُقبل صلاته. ونقول: إن كنتم تؤمنون بهذه الرواية فلماذا ملأتم المساجد ليلة الجمعة ويومها بالشعر والمدائح ولطم الصدور أو قراءة المراثيات خلافاً لهذه الرواية؟!

١٣- وروى في الصفحة ذاتها روايةً فيها أن: "من قال هذه الكلمات سبع مرّات في ليلة الجمعة فمات ليلته دخل الجنّة ومن قالها يوم الجمعة فمات في ذلك اليوم دخل الجنّة"^(١). في حين أن هذا الحديث مُرسل وساقط من الاعتبار^(٢).

وينقل أيضاً دعاءً عن كتاب «مصباح المتهدج» للشيخ الطوسي وهو دعاء لا سند له! وفي الصفحة ذاتها يروي عن الشيخ الطوسي والسيد ابن طاووس والكفعمي والسيد ابن باقي أنه يُستحبُّ قراءة الدعاء الفلاني! ونسأل: إذا كان ذلك الدعاء عن رسول الله ﷺ فلماذا لا تروونه عن حضرته مباشرة، وإن لم يكن عن رسول الله ﷺ فأَيُّ حق للشيخ والسيد والآخرين أن يُضيفوا مُستحبات من عند أنفسهم على دين الله؟!

١٤- قال في «أعمال ليلة الجمعة» (ص ٣٤)^(٣) [في البند العاشر]: «إذا طلع الفجر يوم الجمعة فليقل: أَصْبَحْتُ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ... الخ»^(٤) مع أن راوي هذا الحديث رجلٌ ضعيفٌ يُدعى «داود بن كثير الرقي»^(٥).

١٥- أورد في «أعمال نهار الجمعة» (ص ٣٧)^(٦) أكاذيب «صالح بن عُقبة» بشأن الرمان!!^(٧).

(١) ص ٦٨ من النسخة المُعرّبة لمفاتيح الجنان.

(٢) راجعوا كتاب «مستدرك الوسائل»، ج ١، ص ٤٢٧.

(٣) ص ٦٥ من النسخة المُعرّبة لمفاتيح الجنان.

(٤) ص ٧٠ من النسخة المُعرّبة لمفاتيح الجنان.

(٥) راجعوا جمال الأسبوع، للسيد ابن طاووس، الفصل التاسع عشر، «فيما يقوله إذا طلع فجر يوم الجمعة»، وللتعرف على داود الرقي راجعوا كتاب «عرض أخبار الأصول...» ص ٣٩٩-٤٠٠ و ٤٥٨.

(٦) ص ٧٣ من النسخة المُعرّبة لمفاتيح الجنان.

(٧) لمعرفة حال «صالح بن عُقبة» وأكاذيبه حول الرمان راجعوا كتاب «عرض أخبار الأصول...»، ص ٣١٠-٣١٢.

١٦- وفي الصفحة ٣٨^(١) قال: «التاسع عشر: أن يقرأ «دعاء الندبة»، وهو من أعمال الأعياد الأربعة». هذا في حين أن كثيراً من جمل هذا الدعاء تتعارض مع القرآن!! وسوف يأتي شرح ذلك في الصفحات القادمة، إن شاء الله تعالى.

١٧- وفي «أعمال نهار الجمعة» (ص ٣٧-٣٨)^(٢) [البند الثامن عشر] ذكر افتراء الرواة على الإمام الباقر (ع) أنه قال: "زوروا الموتى يوم الجمعة فإنهم يعلمون بمن أتاهم فيفرحون به!!"^(٣). في حين أن القرآن يقول إن الأموات لا علم لهم بما يجري في الدنيا وهم في عالم البرزخ. وأحد رواة هذا الحديث هو «محمد بن جعفر بن بطة» وكان كما قال عنه النجاشي: "يتساهل في الحديث، ويعلق الأسانيد بالإجازات، وفي فهرست ما رواه غلط كثير. وقال ابن الوليد كان محمد بن جعفر بن بطة ضعيفاً مخلطاً فيما يسنده"^(٤). والراوي الآخر للحديث «علي بن الحكم»^(٥). وراويهِ الآخر «ربيع بن محمد المسلي» الذي لم يُوثق.

١٨- وقال بشأن صلاة النبي ﷺ في (ص ٣٩)^(٦): "ثم تنصرف وليس بينك وبين الله تعالى ذنب إلا وقد عُفِرَ لك وتعطى جميع ما سألت!!".

١٩- وقال بشأن صلاة أمير المؤمنين ﷺ (ص ٤٠)^(٧): "من صلى منكم أربع ركعات صلاة أمير المؤمنين ﷺ خَرَجَ من ذنوبه كيوم ولدته أمه وقضيت حوائجه!!".

٢٠- وقال في «أعمال يوم الجمعة» [البند الرابع والعشرون] (ص ٤٩)^(٨): "من قال بعد صلاة الفجر أو بعد صلاة الظهر: اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَاتَكَ وَصَلَاةَ مَلَائِكَتِكَ وَرُسُلِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ

(١) ص ٧٤ من النسخة المعرّبة لمفاتيح الجنان.

(٢) ص ٧٤ من النسخة المعرّبة لمفاتيح الجنان.

(٣) هذا الحديث مذكور في وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٩٢، الحديث ١.

(٤) رجال النجاشي، ص ٣٧٢ - ٣٧٣.

(٥) راجعوا ما ذكرناه بشأنه في الصفحة ١٥ من الكتاب الحالي.

(٦) ص ٧٥ من النسخة المعرّبة لمفاتيح الجنان.

(٧) ص ٧٦ من النسخة المعرّبة لمفاتيح الجنان.

(٨) ص ٩٠ من النسخة المعرّبة لمفاتيح الجنان.

وَالِ مُحَمَّدٍ لَمْ يَكْتَبْ عَلَيْهِ ذَنْبَ سَنَةٍ!!".

وأقول: إن هذه التعليقات والوصايا مفيدة لتجرئة الناس على المعاصي. إذ يُمكن بناءً عليها لكل من ارتكب إثماً أن يُصلي هذه الصلوات أو يقرأ تلك الأدعية فتُغفر ذنوبه. إن هذه التوصيات تُعجب الأراذل والأوباش والفسَّاق والظلمة إذ يرون أنه يُمكنهم أن يعملوا بها فلا تُسجّل عليهم ذنوبهم فيعيشون في الدنيا بلا أي قيد أخلاقي ثم يدخلون الجنة في الآخرة!!
سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

٢١- وبعد الصلاة المُخترعة والموضوعة التي ادَّعوا أن حضرة الصادق (ع) نسبها إلى عَلِيِّ (ع) ونسبوا فيها إلى الإمام قوله مُحاطباً رَبَّهُ: «يَا مُتَرَقِّفٌ... يَا مُتَجَبِّرٌ، يَا مُتَمَلِّكٌ...» في حين أن عَلِيّاً (ع) كان أعلم الناس بالقرآن وكان أمير الفصاحة والبيان وكان أكثر بلاغةً وفصاحةً من أن يُخاطب الله بمثل هذه الصفات المذكورة. ولو كان ذلك الدعاء له فعلاً لقال تأسياً بالقرآن الكريم ومراعاة لمقتضى المقام والمقال: «يَا رَوْفُ يَا جَبَّارُ يَا مَالِكُ» (فَتَأَمَّلْ). وفي رأينا إن الذي لَفَّقَ هذا الدعاء لم يكن عربياً أصلاً فضلاً عن أن يكون فارس ميدان الفصاحة والبلاغة حضرة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام!

٢٢- وجاء في جملة من هذا الدعاء منسوباً إلى عَلِيِّ (ع) أنه قال: «اللَّهُمَّ بِمُحَمَّدٍ سَيِّدِي وَبِعَلِيِّ وَبِالْأَيْمَةِ الرَّاشِدِينَ...». إن واضح هذا الحديث كان على درجة من قلة الفهم جعلته يعجز عن فهم أنه لا يُمكن لِعَلِيِّ (ع) أن يقول في دعائه: «وَبِعَلِيِّ وَبِعَلِيِّ!» وأنه لا يمكن للأئمة الراشدين أن يُقسموا على الله بأنفسهم، إذ ما أجهل من يُقسم على الله بنفسه!! حاشا لأئمة الدين الكرام أن يفعلوا ذلك! حقاً إنه لخداع كبير أن نقول: إن من يقرأ هذا الدعاء بهذه التعابير الواهية: "يُغْفَرُ لَهُ ما تقدّم مِن ذَنْبِهِ وما تأخّر، وكان كمن ختم القرآن اثنتي عشرة ختمه، ورفع الله عنه عطشَ يوم القيامة!!"^(١).

٢٣- ثم ذكر صلاةً باسم: "صلاة فاطمة صلوات الله عليها" (ص ٤١)^(٢) وادَّعى أن جبريل

(١) مفاتيح الجنان، ص ٧٨ من النسخة المُعرَّبة.

(٢) مفاتيح الجنان، ص ٧٨ من النسخة المُعرَّبة.

(ع) علّمها إياها!!^(١) وليت شعري! هل ينزل جبريل بمسائل الشريعة على غير النبي؟! إن رواية هذه الصلاة اثنان من الكذابين المشهورين باسم «محمد بن سنان»^(٢) و «المفضل بن عمر»^(٣)!

٢٤- وبعد تلك الصلاة المزعومة أورد صلاةً ودعاءً آخر عن حضرة فاطمة (ع) يتضمن تعابير ركيكة مثل: «لَمْ آتِكَ بِعَمَلٍ صَالِحٍ قَدَّمْتُهُ وَلَا بِشَفَاعَةِ مَخْلُوقٍ رَجَوْتُهُ أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ»!!

يا سبحان الله! ألا تعتبرون حضرة فاطمة من أهل بيت النبي؟ فهل يُمكن لحضرة فاطمة أن تتقرب إلى الله بشفاعتها لنفسها؟ أفلا تعقلون؟

كيف يُمكن لحضرة الزهراء (ع) أن تقول مثل ذلك الكلام في حين أن زوجها الكريم (ع) كان يقول في دعائه: «وَلَقَدْ رَجَوْتُ مِمَّنْ تَوَلَّأَنِي فِي حَيَاتِي بِإِحْسَانِهِ أَنْ يَشْفَعَهُ لِي عِنْدَ وَقَاتِي بِغُفْرَانِهِ»^(٤) وكان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِذِكْرِكَ وَأَسْتَشْفَعُ بِكَ إِلَى نَفْسِكَ»^(٥). وكان يقول: «لَا شَفِيعَ أَنْجِحُ مِنَ التَّوْبَةِ»^(٦). وكان حفيده الجليل حضرة زين العابدين (ع) يقول: «وَإِنْ شَفَعْتُ فَلَسْتُ بِأَهْلِ الشَّفَاعَةِ... شَفَّعَ فِي خَطَايَايَ كَرَمَكَ... لَا شَفِيعَ لِي إِلَيْكَ فَلْيَشْفَعْ لِي فَضْلُكَ...»^(٧). ويقول: «لَا شَفِيعَ يَشْفَعُ لِي إِلَيْكَ»^(٨).

والأهم من ذلك: أين نجد في القرآن أن المخلوق يُرجى ويُؤمل به يوم القيامة؟ في أيّ دعاء

(١) هذا الحديث مذكور في مستدرک الوسائل، ج ١، ص ٤٥٩.

(٢) راجعوا ما قلناه بشأنه في حاشية الصفحة ١٥ من الكتاب الحالي.

(٣) عرّفنا به في كتابنا «عرض أخبار الأصول...»، ص ١٧١ فما بعد.

(٤) الصحيفة العلوية، دعاؤه في المناجاة.

(٥) مفاتيح الجنان، دعاء كُمَيْل، ص ٦٢. (ص ١٠٦-١٠٧ من النسخة المعرّبة لمفاتيح الجنان)

(٦) نهج البلاغة، الكلمات القصار رقم ٣٧١، وسفينة البحار، ج ٢، ص ٦٤٦.

(٧) الصحيفة السجادية، دعاؤه عليه السلام في ذكر التوبة وطلبها.

(٨) الصحيفة السجادية، دعاؤه عليه السلام بعد الفراغ من صلاة الليل.

مُعتبر وموثوق جعل النبي الأنبياء الآخرين شفعاؤه أو واسطته في التقرب إلى الله؟^(١) وبالمناسبة فصدر هذا الحديث يُفهم منه أن فاطمة أفضل من عليٍّ مع أنكم تعتبرون علياً أفضل منها!

٢٥- بعد الصلاة الموضوعة المذكورة آنفاً، ذكر الشيخ عباس القمي نقلاً عن كتاب «جمال الأسبوع» الحُرَافِي للسيد ابن طاووس^(٢)، صلاةً خاصَّةً ودعاءً خاصاً بكلِّ واحدٍ من الأئمة (عليهم السلام) إماماً إماماً، ليس لأيٍّ منها سندٌ؟!

فليت شعري! هل الأئمة يملكون حقَّ التشريع كي يُشرعوا للناس صلاة لم يُعلِّمها النبي ﷺ لأئمة؟! وإن كان النبي ﷺ هو الذي أتى بتلك الصلوات فما معنى اختصاص كلِّ واحدةٍ منها بإمامٍ من الأئمة؟ وأساساً ما معنى اختصاص صلاة بأحد الأئمة؟

٢٦- الدعاء الذي أورده بعد صلاة صاحب الزمان فاضح جداً ومُضاد للقرآن ويستوجب الشرك والكفر!^(٣) يقول في هذا الدعاء - كما ذكرنا في معرض بياننا لأحوال «الحسن بن مُثَلَّة الجُمُكْرَانِي» في كتاب «زيارات وزيارتنامه» [زيارة المزارات ونصوص الزيارات]، (ص ١٦٧، الراوي ١٠٢)-:

«يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ، يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ أَكْفِيَانِي فَإِنَّكُمَا كَافِيَايَ، يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ، يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ أَنْصِرَانِي فَإِنَّكُمَا نَاصِرَايَ، يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ، يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ أَحْفَظَانِي فَإِنَّكُمَا حَافِظَايَ، يَا مَوْلَايَ يَا صَاحِبَ الزَّمَانِ (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) الْعَوْتُ (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) أَدْرِكُنِي (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) الْأَمَانَ (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)!!»^(٤)

أقول: كيف يُمكن لمن له علم بالقرآن أن يتحمَّل مثل هذا الشرك الذي جاء به الشيخ عبَّاس؟

(١) راجعوا في موضوع الشفاعة كتاب «زيارات وزيارتنامه» [زيارة المزارات ونصوص الزيارات]، ص ٢٣١ وكتاب «راه نجات از شرِّ غلاة» [طريق النجاة من شرِّ الغلاة]، ص ٢٣٣ فما بعد.

(٢) ص ٨٠ من النسخة المُعرَّبة لمفاتيح الجنان. (المُترجم)

(٣) جاء الدعاء المذكور في وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٢٩٨ دون سند.

(٤) ذكر نحوه الحر العاملي في وسائل الشيعة، ج ٨، ص ١٨٥ من طبعة مؤسسة آل البيت، روايةً عن كتابِ جمالِ الأسبوع للسيد ابن طاووسِ الحلي. وهو بهذا اللفظ في مستدرک الوسائل، ج ٦، ص ٣٠٩-٣١٠ نقلاً أيضاً عن السيد ابن طاووسِ في فرجِ المُؤمِّمِ، وَفَلَّاحِ السَّائِلِ. (المُترجم)

في هذا الدعاء: دعاء غير الله الذي يُعَدُّ شركاً تُعَارِضُهُ وتَحَرِّمُهُ عشرات الآيات القرآنية كقوله تعالى: ﴿... فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [الجن: ١٨]، وقوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ۝٢٠﴾ [الجن: ٢٠]، وعشرات الآيات الأخرى التي اعتبرت أن نداء موجود غيبي غير الله واعتباره حاضراً وناظراً وسميعاً وبصيراً في كل مكان شركاً.

أضف إلى ذلك أنه تم تقديم حضرة محمدٍ على عليٍّ مرّةً وتأخيره عنه مرّةً أخرى! لعل ذلك كي لا يحزن عليٌّ ويقول: لماذا لم تُقدِّموا اسمي على اسم النبي بل أحرمتوه عنه؟! ولذلك قدّم كلاهما مرّةً حتى لا يشتكي أيُّ منهما!! أو لعلّ واضح الحديث لم يكن يعلم أو لم يكن متأكداً هل حضرة محمدٍ أفضل أم حضرة عليٍّ!!

ثم يقول في الدعاء: «اَكْفِيَانِي فَإِنِّكُمَا كَافِيَاي»!! ألم يقرأ صاحب الزمان القرآن الذي قال بلهجة الاستفهام الإنكاري: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۝٣٦﴾ [الزمر: ٣٦]، وقال: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ۝٦﴾ [النساء: ٦] و قال: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ۝٤٥﴾ [النساء: ٤٥] فالله تعالى يقول إنني كافٍ لعبادي وكافٍ لنصرتهم ولحسابهم ولكن هذا الدعاء يقول: «يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ، اَكْفِيَانِي فَإِنِّكُمَا كَافِيَاي... وَأَنْصُرَانِي فَإِنِّكُمَا نَاصِرَاي... واحفظاني فَإِنِّكُمَا حَافِظَاي» في حين أن القرآن يقول: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ۝٥٧﴾ [هود: ٥٧]، ويقول مخاطباً نبيّه: ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۝٨٠﴾ [النساء: ٨٠]، ويقول: ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [الانعام: ١٠٧].

ليت شعري! لماذا كان مُدَّعُو العلم والحديث خرافيون إلى هذه الدرجة وجاهلون بالقرآن أو يخافون من العوام فيقعون في الشرك ويوقعون الشعب معهم في الشرك أيضاً؟! ألا يدري من يُخَاطَبُ صاحب الزمان الوهمي بقوله: «الغوث» و«أدركني» أن لا مُغيث إلا الله؟! متى اعتبر رسول الله ﷺ وسائر الأنبياء وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنفسهم مُغيثين للخلق خاصةً من مكان بعيد أو بعد وفاتهم؟!

ألم يكن مُلْفَقَ هذا الدعاء يعلم أن محمداً وعليّاً بعد أن رحلا عن الدنيا استقرا في جوار رحمة الحق فلا خوف عليهما وهما مشغولان بجمال الحق لا غير؟.

٢٧- وذكر في الصفحة ٤٧^(١) رواية عن «المفضّل بن عمّر» وهو من الضعفاء وهو الذي روى صلاة حضرة فاطمة (ع)^(٢).

٢٨- وفي الصفحة ٥٠^(٣) روى صيغة من الصلوات على النبي وآله، وقال إن: "مَنْ قَالَهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي دُبْرِ الْعَصْرِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِائَةَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ مِائَةَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَقَصَى لَهُ بِهَا مِائَةَ أَلْفِ حَاجَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ بِهَا مِائَةَ أَلْفِ دَرَجَةٍ!!"^(٤).

٢٩- وقال في «أعمال يوم الجمعة» (الصفحة ٥١)^(٥) كلاماً يُفيدُ أن إمام الزمان سيظهر الأرض عند ظهوره من أدران الشّرك والكفر وأقذار المعاصي والدّنوب ومن الجابرة والملحدّين والكفّار والمنافقين... الخ".

وهذا القول مخالف للقرآن الذي قال عن النصارى: ﴿فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المائدة: ١٤]، وقال عن اليهود: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة: ٦٤]. وآيات أخرى تدل على أن الكفر والشرك سيبقيان في البشر وسيبقى هناك غير مسلمين إلى ما قبل القيامة وستكون بينهم العداوة والإختلاف.

٣٠- وفي «أعمال يوم الجمعة» (ص ٥٢)^(٦) يروي صيغة صلوات على النبي وآله عن كتاب «مصباح المتهجّد» للشيخ الطوسي^(٧)، والأثر مروّيٌّ عن فرد مهمليّ يدعى «أبو الحسن الضراب

(١) ص ٨٧ من النسخة المُعرّبة لمفاتيح الجنان.

(٢) راجعوا ما ذكرناه بشأنه في ص ٥٧ من الكتاب الحالي.

(٣) ص ٩١-٩٢ من النسخة المُعرّبة لمفاتيح الجنان.

(٤) راجعوا وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٧٩، الحديث ٢.

(٥) النسخة المُعرّبة لمفاتيح الجنان، ص ٩٣.

(٦) المصدر نفسه، ص ٩٣.

(٧) هذه الصلوات جزءٌ من قصة أسطورية طويلة كلها كذبٌ من أولها إلى آخرها، تشتمل على إثبات معجزات وعلم الغيب (للإمام). وقد ذكر الشيخ عبّاس القمّي الجزء المتعلق بالصلوات منها فقط. والقصة أثبتتها المُجلّبيّ في البحار. راجعوا بحار الأنوار، ج ٩١، ص ٨١ فما بعد.

الأصفهاني» وهو يرويهِ عن «عَجُوزِ سَمْرَاءَ»! (هل يُسَمَّى هذا سنداً شرعياً؟!)(١).

٣١- وفي موضعٍ من تلك الصلوات يقول عن النبي ﷺ: "المُفَوَّضُ إِلَيْهِ دِينُ اللَّهِ!!" ولا يخفى أن مثل هذه الأباطيل إنما قيلت تأثراً بأحاديث الباب ١١٠ من «الكافي» للكُلَيْبِيِّ. ولقد ذكرنا في كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول» توضيحات في هذا الشأن (ص ١٧١ فما بعد وص ٦٢١).

وهنا نذكر أيضاً أن رسول الله ﷺ لما حرّم شيئاً بسيطاً على نفسه فقط، ولم لم يحرمه على الآخرين، عاتبه الله على ذلك وقال له: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [التحرير: ١]؟ وكذلك لما قبل رسول الله ﷺ عذر المنافقين الذين جاؤوا يعتذرون إليه في عدم خروجهم إلى الجهاد، قبل أن يتحقق من صحة أعدارهم، عاتبه الله وقال له: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣]. ولو كان لهذا التفويض حقيقة لما كان هناك من معنى لهذا العتاب. وذكر المفسرون في سبب نزول الآية ٣٩ في سورة الحج المباركة أن المسلمين كانوا يتعرّضون لأذى المشركين واضطهادهم الشديد وإلى القتل والجرح، فكانوا يأتون إلى رسول الله ﷺ ويطلبون منه الإذن في قتال المشركين فكان ﷺ يقول لهم: "اصبروا فإني لم أؤمر بالقتال". ولهذا نزلت أول آية في الإذن بالقتال وهي قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ﴾ [الحج: ٣٩].

من هنا يقول تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ... الظَّالِمُونَ... الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٤ و ٤٥ و ٤٧]. ويقول سبحانه أيضاً: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحاقة: ٤٤، ٤٥، ٤٦].

بناءً على ما تقدّم، فإن الدين من عند الله فقط وليس لرسول الله ﷺ الحق في أن يضيف إليه شيئاً أو ينقص منه.

٣٢- بعد ذكره تلك الصلوات على النبي ﷺ أخذ الشيخ عبّاس بصناعة حُجَجٍ لِيهِ، فقدم للقراء اثني عشر إماماً وصفهم واحداً واحداً بعبارة: «حُجَّةَ رَبِّ الْعَالَمِينَ»! مع أن الله تعالى قال

(١) من الرواية الآخرين لهذه الأسطورة «أحمد بن علي الرازي» وهو من الغلاة.

أنه ليس بعد الرسل «حُجَّة» [سورة النساء: ١٦٥] ومع أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام قال: «تَمَّتْ بِبَيْنِنَا مُحَمَّدٌ عليه السلام وَرَبِّنَا حُجَّتُهُ» (نهج البلاغة، الخطبة ٩١).

وقد اعتبر في هذا الدعاء الحجج المذكورة دعائم الدين وأركان التوحيد^(١)، أي أنه لو لم تكن تلك الحجج لكان الدين بلا دعائم وكان التوحيد بلا أركان! ونسأل: لماذا إذاً لم يعرف لنا الله تعالى في كتابه دعائم دينه وأركان توحيده وترك مهمة التعريف بهم على عاتق مشايخ الكليني والصدوق؟!

و وصف الأئمة أيضاً بعبارة: «تراجمة وحيك»! وهذا الادعاء يستند إلى حديث وإِسقاط من الاعتبار أورده الكليني في الباب ٦٩ من الكافي، لاسيما الحديث الثالث الذي أوضحنا بطلانه في كتابنا «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول» (ص ٤٢٩).

ثم قال: «خُلَفَاءُكَ فِي أَرْضِكَ» فاعتبر الأئمة خلفاء الله تعالى في الأرض!! في حين أن الله تعالى لا خليفة له لأن الخليفة لا يُتَصَوَّرُ إلا لشخص يموت أو يذهب أو يسافر أو يتم عزله أو يعهد لشخص آخر أن يحل محله لانشغاله في عمل من الأعمال، وكل هذه الأمور لا تصح في حق الذات الإلهية، فالله لم يموت ولا يموت ولا يذهب إلى أي مكان ولا يشغله شأن عن شأن ولا يعزله أحد حتى يخلفه أحد. أما إذا لم يكن هذا معنى لخلافة الله مراداً من تلك العبارة، فكان من الواجب أن تكون العبارة على النحو التالي: "خلفاء نبيك في أرضك". ولو كان ذلك الدعاء صادراً حقاً عن الأئمة لبينوا قصدهم منه ببيان بليغ وفصيح، لكن الدعاء من وضع الرواة الجهلة.

ثم قال عن الأئمة «اصْطَفَيْتُهُمْ عَلَى عِبَادِكَ وَأَرْتَضَيْتُهُمْ لِدِينِكَ»!!

إن أهل المعرفة بالقرآن الكريم يعلمون أن الرضا والاصطفاء الإلهي لفردي من أفراد من البشر، لا بد فيه من إعلان صريح من الله للبشر عن هذا الاصطفاء والاختيار؛ ونحن لا نجد في القرآن عبارة الاصطفاء إلا بشأن حضرة مريم وطالوت. فأنتم الذين تعتبرون أن الأئمة ليسوا من قبيل

(١) مفاتيح الجنان (النسخة المعربة)، ص ٩٦.

طالوت بل أعلى شأنًا من ذلك، فعليكم أن تقولوا: أين أعلن الله لنا في كتابه اصطفاؤه واختياره لأمر المؤمنين وأولاده (ع)؟ ألا تعلمون أن نسبة أي شيء إلى الله دون برهان ودليل شرعي أو سلطان وحجة من الله حرام في دين الإسلام؟! هل لهذه الادعاءات سند ودليل؟

وجاء في الدعاء كذلك وصف الأئمة (ع) بعبارة: «الْبَسْتَهُمْ نُورَكَ وَرَفَعْتَهُمْ فِي مَلَكُوتِكَ». وهذا القول كذب لأن جدّهم الذي هو أفضل من الجميع وأرفع شأنًا كان بشراً كسائر البشر ولم يُلبس نور الله. ولأن الرفع إلى الملكوت والعروج إلى السموات كان خاصاً برسول الله ﷺ، ولم يُعرج بأحد من أحفاده وأقاربه. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: 110]، وقال أيضاً: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: 7]؟ (وانظروا الآية ٢٠ أيضاً من السورة ذاتها). من هذا يتبين أن هناك تفاوت كبير بين نبي القرآن ونبي مفاتيح الجنان!

في هذا الدعاء يُطلب من الله أن يُخلص الإمام القائم من أيدي الجبارين والظالمين! وليت شعري! ألم يكن هناك من يقول لواضع هذا الدعاء: أنتم تقولون إن إمامكم غاب كي لا يقع أسيراً بأيدي الجبارين ولا يُقتل على أيديهم، فالإمام الغائب الآن ليس في أيدي الجبارين والظالمين حتى يُطلب من الله أن يُخلصه منهم! من الواضح أن واضع هذا الدعاء لم يكن يفهم ما يُلفقه من كلام.

والفضيحة الأكبر في هذا الدعاء احتواؤه على جمل تدلُّ على تحريف القرآن وهي: "اللَّهُمَّ جَدِّدْ بِهِ مَا مَحِيٍّ مِنْ دِينِكَ، وَأَحْيِ بِهِ مَا بُدِّلَ مِنْ كِتَابِكَ، وَأَظْهِرْ بِهِ مَا غُيِّرَ مِنْ حُكْمِكَ"!!.

إن الوضّاعين والمبتدعين للفرق المذهبية أوجدوا كل تلك البدع في الإسلام، فغيروا أذان المسلمين وأخروا وقت الغروب (أذان المغرب) وبدّلوا كيفية صلاة العيدين و.... ثم جاؤوا يصيحون ويذرفون دموع التماسيح قائلين: اللهم جدد ما محي من دينك وأظهر ما غيّر منه كي لا تبقى هناك بدعة!! إن واضع هذا الدعاء مثله مثل السارق الذي يسرق شيئاً وفي الوقت ذاته يصيح حرامي!.. حرامي... كي يخدع الناس!!

وفي آخر الدعاء وصف الأئمة بعبارات: "الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى وَالْحَبْلُ الْمَتِينِ وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ"!! مع أن حضرة أمير المؤمنين علي عليه السلام قال مراراً إن العروة الوثقى والحبل المتين هو القرآن (نهج البلاغة، الخطبة ١٥٦، ١٦٧، ١٩٢ و ١٨٩). ولم يقل أنا «حبل الله» بل قال إنني تابع لدين الله ومُطِيعٌ لحبل الله.

وأخيراً قال واضح هذا الدعاء، الجاهل، في آخر دعائه: "اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى وَلِيِّكَ وَوَلَاةِ عَهْدِهِ وَالْأَيِّمَةِ مِنْ وُلْدِهِ وَمُدِّ فِي أَعْمَارِهِمْ وَزِدْ فِي آجَالِهِمْ...".

هل فهم هذا الوضاع الكلام الذي لفقه؟ هل كان يظن أن الأئمة أبناء للإمام الغائب وأنهم كلهم أحياء حتى طلب من الله أن يمدد في أعمارهم؟! ألم يكن يعلم أن الأئمة كانوا أجداد الإمام الغائب وأنهم في عهد الإمام الغائب كانوا قد رحلوا عن الدنيا منذ سنين؟! أم أنه لم يكن يعلم أن الإمام الغائب -طبقاً لعقيدة الشيعة- آخر الأئمة ولا إمام بعده؟!

نعم، هذا ما أدخلوه باسم الدين في الكتب الدينية وأضلوا الناس، ولم يظهر عالم ناطق بالحق يبيّن للناس الحقائق ويُنقذهم من هذه الترهات.



الفصل الخامس [من مفاتيح الجنان]

١- يذكر الشيخ عباس القمّي في الصفحة ٥٤^(١) قصّة بشأن الإمام علي بن محمد النقي (ع) راويها شخص من الغلاة الوضّاعين يُدعى «محمد بن موسى»^(٢) ادّع فيها أن الإمام قال: "...الأيّام نَحْنُ مَا قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ؛ فَالَسَّبْتُ اسْمَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْأَحَدُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْإِثْنَيْنِ [الْإِثْنَانِ] الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ (ع) وَالثَّلَاثَاءُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ وَجَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - وَالْأَرْبَعَاءُ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ وَعَلِيُّ بْنُ مُوسَى وَمُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - وَأَنَا وَالْحَمِيسُ ابْنِي الْحَسَنُ وَالْجُمُعَةُ ابْنُ ابْنِي..... الخ"

إذن، الإمام زين العابدين كان - نعوذ بالله - يمزح في أدعية أيام الأسبوع التي أوردها الشيخ عباس القمّي في الفصل الثالث من الباب الأول للمفاتيح، حين قال: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ فِي يَوْمِي هَذَا وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْآحَادِ مِنَ الشَّرْكِ وَالْإِلْحَادِ". فكان قصده إنِّي أبرأ إليك من الشُّركِ وَالْإِلْحَادِ فِي عَلِيٍّ هَذَا وفيما بعده من أفراد عليٍّ!!! أو أنه لما قال "اللَّهُمَّ اقْضِ لِي فِي الْحَمِيسِ حَمْسًا" فإنه كان يقصد: في حضرة الحسن العسكري - الذي لم يكن قد وُلِدَ بعد - اقض لي حَمْسًا!!! لأن تلك الأيام لم تكن في الواقع ظرفاً زمانياً يعيش فيه الأئمة بل كانت الأئمة أنفسهم!! وكان قصده من عبارات «في الاثنين» و «في الثلاثاء» و «في الأربعاء» أن ظرف الزمان والمطروف فيه، كلاهما واحد وهم الأئمة عليهم السلام! هذا هو التناقض في كلام ملفقي الأدعية و بائعي الخرافات.

٢- بعد تلك القصة الخرافية ذكر الشيخ عباس القمّي زيارةً لأمير المؤمنين^(٣) ليس لها سند في بحار الأنوار (ج ٩٩، ص ٢١١ فما بعد) ولا في «جمال الأسبوع» للسيد ابن طاووس، كل ما في الأمر أن السيد ابن طاووس الخرافي هذا قال بشأنها: "زيارة أمير المؤمنين (ع) برواية مَنْ شَاهَدَ

(١) ص ٩٦ من النسخة المعرّبة لمفاتيح الجنان.

(٢) الحديث المذكور في بحار الأنوار للمجلسي، ج ٩٩، ص ٢١٠. وفي «جمال الأسبوع» لابن طاووس، الفصل الثالث.

(٣) النسخة المعرّبة لمفاتيح الجنان، ص ٩٨.

صاحب الزمان (ع) وهو يزور بها، في اليقظة لا في النوم!!".

بغض النظر عن كون رواة هذه الزيارة مجهولين، فإن متن الزيارة أيضاً مخالف للعقل والقرآن وهذا أوضح دليل على وضعها.

في هذه الزيارة يقول الزائر لأمر المؤمنين: "وَأَنَا صَيْفُكَ فِيهِ وَجَارُكَ؛ فَأَصِفْنِي يَا مَوْلَايَ وَأَجِرْنِي فَإِنَّكَ كَرِيمٌ تُحِبُّ الصِّيَافَةَ...!!!". يبدو أن هذا الضيف، الذي لم يُدعَ إلى الضيافة، يتصور أن رسول الله ﷺ والأئمة يسمعون كلامه لأنهم حاضرون وناظرون في كل مكان لذلك فهو يتوقع منهم أن يُحسنوا ضيافته! ولا يدري أن أولئك الكرام رحلوا عن الدنيا إلى دار السلام ولم يعد لهم علم بالدنيا وما فيها من فسق وفجور وخيانة وآثام، وإلا لما كانت الدار التي انتقلوا إليها بعد وفاتهم دار السلام بل دار العُصص والأحزان. وأساساً لم يُكلّف الله الأنبياء والأئمة أن يستضيفوا الوضاعين الكذابين بعد رحيلهم عن الدنيا ويقبلوا كلامهم، بل الأنبياء والأولياء جميعهم مُطيعون لله وحده.

في هذه الزيارة يُخاطب الزائر الإمام بقوله: "وَأَجِرْنِي فَإِنَّكَ كَرِيمٌ تُحِبُّ الصِّيَافَةَ وَمَأْمُورٌ بِالْإِجَارَةِ"، في حين أن الأمام نفسه لم يكن في حال حياته يعتبر أحداً سوى الله جاراً وملجأً له ولم يقل للناس أبداً أن هناك كائن يستحق أن يستجير به الإنسان ويلجأ إليه سوى الله عز وجل، هذا فضلاً عن أن الإمام المنادى في الدعاء ليس حاضراً الآن في هذه الدنيا.

وأكثر الأمور خرافية أن الزائر يعتبر حضرة فاطمة (ع) حاضرةً ناظرةً ويُخاطبها قائلاً: "امْتَحَنِكَ الَّذِي خَلَقَكَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَكَ!!!".

هل فهم واضح هذه الزيارة ما لفقّه فيها من كلام؟ هل فهم السيد ابن طاووس هذا الكلام عندما دوّن هذه الزيارة في كتابه؟ ليت شعري! كيف يمتحن الله شخصاً لم يخلقه بعد؟!

وفي هذه الزيارة يتزلف الزائر للأئمة ويتملّقهم ويصفهم بأوصاف خرافية كالتي جاءت في الصلوات الخرافية في أعمال يوم الجمعة (ص ٥٢)^(١) فيقول: "السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا خُرَّانَ عِلْمٍ

(١) النسخة المعرّبة لمفاتيح الجنان، ص ٩٣.

اللَّهُ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا تَرَاجِمَةَ وَحْيِ اللَّهِ...". وقد أوضحنا في كتابنا «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول» (ص ٤٢٩ و ٨٣٠) بطلان مثل هذا الكلام.

ثم يقول الزائر في هذه الزيارة مخاطباً حضرات الحسين - عَلَيْهِمَا السَّلَام - : "فَأُضِيفَانِي فَأَحْسِنَا ضِيَا فِيتِي..... فَإِنَّكُمَا مَأْمُورَانِ بِالضِّيَافَةِ!!" من أين علم الزائر أنها مأموران بهذا الأمر بعد وفاتها؟!!!

و وصف كاتب الزيارة الإمام بأوصاف مثل: "الْوَفِيُّ وَالطَّيِّبُ وَالظَّاهِرُ وَالزَّكِيُّ وَالْبَرُّ وَالصَّادِقُ الْأَمِينُ وَالتَّقِيُّ التَّقِيُّ وَنُورِ اللَّهِ... الخ". ولكن الشيخ عباس القمّي أورد مباشرة بعد هذه الزيارة، وفي بداية الفصل السادس، «دعاء الصباح» الذي صور كاتبه فيه الإمام علياً (ع) وكأنه شخص آثم مُذنبٌ مُتَّبِعٌ لهواه، إذ ادّعى أن علياً (ع) قال في ذلك الدعاء: "فَأَصْفَحِ اللَّهُمَّ عَمَّا كُنْتُ أَجْرَمْتُهُ مِنْ زَلِّي وَخَطَايِي...". أو قال: "إِلَهِي قَلْبِي مُحْجُوبٌ وَنَفْسِي مَعْيُوبٌ وَعَقْلِي مَغْلُوبٌ وَهَوَائِي غَالِبٌ وَطَاعَتِي قَلِيلَةٌ وَمَعْصِيَتِي كَثِيرَةٌ وَلِسَانِي مُقَرَّبٌ بِالذُّنُوبِ...!!".

ألم يكن هناك من يقول لهؤلاء الأفراد الوضاعين للأدعية: لماذا لا تُوضِّحون لنا موقفكم النهائي الثابت، فمرةً تعتبرون الإمام طيباً طاهراً تقياً نقياً، ونورَ الله، ومرةً تُصورونه مُذنباً آثماً مُتَّبِعاً لهواه؟!!!



الفصل السادس [من مفاتيح الجنان]

أورد الشيخ عباس القمّي في هذا الفصل عدداً من الأدعية من جملتها «دعاء الصباح» وقال بعد ذكر نص الدعاء (ص ٦٢)^(١): "قد أورد العلامة المجلسي (رحمه الله) هذا الدعاء في كتابي الدعاء والصلاة من البحار وذيله في كتاب الصلاة بشرح وتوضيح وقال: إن هذا الدعاء من الأدعية المشهورة ولكن لم أجده في كتاب يُعتمد عليه سوى كتاب «المصباح» للسيد ابن باقي رضوان الله عليه...".

وهنا ينبغي أن نُذكر القراء بأن «السيد ابن باقي» كان من علماء القرن السابع الهجري ومُعاصراً للمُحقق الحلي الذي تعود مؤلفاته إلى سنة ٦٥٣ هـ ، فكيف يروي عن أمير المؤمنين عليه السلام رغم وجود ستة قرون تفصله عن زمنه؟!

وقال المجلّسي بعد ذكر «دعاء الصباح» في البحار:

"و وجدتُ في بعض الكتب سنداً آخر له هكذا قال الشريف يحيى بن القاسم العلوي ظفرت بسفينة طويلة مكتوب فيها بخط سيدي وجدي أمير المؤمنين... علي بن أبي طالب عليه أفضل التحيات ما هذه صورته: بسم الله الرحمن الرحيم هذا دعاء علمني رسول الله ﷺ وكان يدعو به في كل صباح... الخ"^(٢).

هذا في حين أن «أبا بصير يحيى بن القاسم» كان -كما يقول الشيخ «هاشم معروف الحسني»^(٣) - فاسد العقيدة ومن الضعفاء والمتهمين.

وجاء في هذا الدعاء: "بَاعَدْتَنِي دُنُوبِي عَنْ دَارِ الْوَصَالِ" في حين أن علياً (ع) لم يكن صوفياً

(١) ص ١٠٦ من النسخة المعرّبة لمفاتيح الجنان.

(٢) المجلّسي، بحار الأنوار، ج ٨٤، ص ٣٤٢. (المترجم)

(٣) الموضوعات في الآثار والأخبار، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ص ٢٣١.

كي يستخدم مُصطلحات الصوفية بل جاء التصوف إلى بلاد الإسلام بعد زمنه. إضافةً إلى ذلك فإن عَلِيًّا (ع) قال في نهج البلاغة إن الله تعالى لا يتصل به شيء أو ينفصل عنه شيء، وَمِنْ تَمَّ فلا ينبغي أن يعتقد لنفسه وصلاً أو فراقاً مع الله، وهذه العبارات لا تليق بالذات الإلهية المُقدَّسة.

تنبيه حول الأفكار والعبارات الصوفية

نظراً إلى أننا نُشاهد في هذا الدعاء وفي عدد من الأدعية الشائعة بين الناس في زماننا ومن جملتها دعاء «كميل» والمناجاة الخمس عشرة و..... عبارات صوفيّة، أرى من اللازم أن أذكر هنا بعض الأمور المتعلّقة بهذا الأمر:

إحدى المسائل التي يجب أن نُنزّه الله سبحانه وتعالى عنها وصال الخلق بذات الحق الأقدس تبارك وتعالى. أما الصوفيّة فاستناداً إلى مقولة "الفناء في الله والبقاء بالله" - التي لا تعدو ادّعاءً محضاً وعُجباً بالنفس ولا دليل عليها من القرآن أو الأحاديث المُعتبرة - يقولون إن الوصل بالحق ووصول العارف إلى الحق تعالى شأنه أمرٌ ممكنٌ!! وهذا الادّعاء الجُزاف من الآثار الباقية لأديان ما قبل الإسلام، كدين «بوذا» وقول بعض النصارى، وقول عدد من مشركي اليونان أيضاً.

جاء في كتاب «نفحات الأنس» للجمامي^(١) (ص ١٠٢): كان بوذا يعتبر بشكل عام أن غاية كمال النفس الإنسانية اتّصالها بـ «النيرفانا» الذي هو مقام «الفناء».

هذا ويقول الصوفيّة: إذا مارس الإنسان الرياضة الروحية ووصل إلى الحقيقة سقطت عنه الشريعة!^(٢) كما قال المولى الروميّ في المُجلّد الخامس من ديوانه «الثنوي»: «لَوْ ظَهَرَتِ الْحَقَائِقُ بَطَلَّتِ الشَّرَائِعُ»، ويقول: إذا وصلت إلى الله لم تعد بحاجة إلى الرسول والقرآن.

(١) هو: نور الدين عبد الرحمن بن أحمد الجمامي (٨١٧ - ٨٩٨ هـ / ١٤١٤ - ١٤٩٢ م)، عالمٌ وأديبٌ ونحويٌّ وشاعرٌ وفقهٌ حنفيٌّ ومتكلّمٌ صوفيٌّ نقشبندي، ولد في قرية من قرى ولاية جام من أعمال هراة، وعاش أغلب حياته في هراة وتوفي فيها تاركاً عشرات الآثار في النحو والفقه والتصوف والكلام. والاسم الكامل لكتابه المشار إليه: «نفحات الأنس في حضرات القُدس» وهو من أشهر ما كُتِبَ في طبقات الصوفية وتراجم رجالهم بالفارسية، وقد تُرجمَ الكتاب إلى العربية ونشره الأزهر الشريف في مصر. (المُترجم)

(٢) الواقع أن هذا ليس قول جميع الصوفية بل قول قلةٍ ضئيلةٍ منهم. (المُترجم)

وقال «منصور الحلاج» طبقاً لما نقله «الميرزا طاهر القمي»^(١) في كتابه «تحفة الأخيار» (ص ١١٦): "إن المرء قائم على بساط الشريعة ما لم يصل إلى مقام التوحيد فإذا وصل إليه سقطت من عينه الشريعة!!"

وقال الشيخ «فريد الدين العطار»:

خدا را یافتم ديدم حقيقت
برون رفتم من از عين شريعت

أي: وجدت الله ورأيت الحقيقة
فخرجت من عين الشريعة

يقول الصوفيّة: إذا وصل الإنسان إلى الحق لم يعد بحاجة إلى الصلاة وأن من وصل إلى الله سقطت عنه التكليف! لكن الأنبياء - عَلَيْهِمُ السَّلَام - لم يدعوا مثل هذا الادّعاء. لذلك نرى أن حضرة عيسى (ع) كان يقول ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١]، وقال القرآن الكريم عنه: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢]. ألم يكن حضرة روح الله (ع) واصلاً؟ أوليس الملائكة المقربون المشغولون على الدوام بتسبيح الله وتقديسه (البقرة: ٣٠) واصلين للحق؟!

إن الأنبياء - عَلَيْهِمُ السَّلَام - رغم أنهم كانوا أكثر الناس قرباً من الله، كانوا يعتبرون أنفسهم مكلفين بعبادة الله وإخلاص العبودية لربهم حتى آخر لحظة من عمرهم، وكان النبي الأكرم ﷺ يُكثر من الصلاة وعبادة الله ولم يتوقف حتى آخر عمره المبارك عن العبادة وأداء واجبات الشريعة والعمل بأحكامها.

إن الله تعالى لم يتحدث في كتبه السماوية عن الوصل به والفصل عنه، ولم يدع عباده إلى

(١) هو الميرزا محمد طاهر بن محمد حسين الشيرازي الأصل النجفي المنشأ القميّ الموطن والوفاء. (يُعرف باختصار بالميرزا طاهر القميّ) من علماء الشيعة الأخبارية، كان معاصراً للمجلسي وتوفي في حدود سنة ١١٠٠هـ. وكان شديد المخالفة للصوفية. له آثار عديدة منها كتابه الأربعين في فضائل أمير المؤمنين. هجة الدارين في مسائل الحكمتين. حجة الإسلام في أصول الفقه والكلام. حكمة العارفين في رد شبه المخالفين. الفوائد الدينية في الرد على الحكماء الصوفية... الخ. (المترجم)

الوصول إليه. إن الله حاضر ناظر في كل مكان وليس بعيداً عنا حتى نسعى إلى الوصول إليه، كما أنه ليس جسماً ولا جوهرًا حتى يصح في شأنه الاتصال والانفصال، إذ كل شيء يقبل الاتصال به محدودًا، والحق تعالى غير محدود.

علاوةً على ذلك فإنه لا سبيل للعقول والأفكار إلى إدراك كنه ذات الله، فكيف يُمكنها أن تصل إليه؟

يقول الحق تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، ويقول أيضاً: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وَمَنْ تَمَّ فَلَا مَعْنَى لِلْوَصْلِ وَالْفَصْلِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى. ويقول عَيْ (ع): "لَا يُدْرِكُهُ بَعْدُ الْهَمَمُ وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطْنِ، الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ وَلَا نَعْتُ مَوْجُودٌ" (نهج البلاغة، الخطبة ١).

نعم، إن لقاء رحمة الله أو عذابه ممكنة ولكن هذا غير الوصل بذات الحق تعالى. وليت شعري! كيف يمكن للإنسان، الذي عجز عن إدراك نظام جسمه وروحه المحيّر للعقول ولم يستطع الوصول إلى كنه أصغر مخلوقات الله ومعرفة حقيقته، أن يصل إلى خالق الكون؟ إن هذا الادّعاء منشؤه الجهل والرعونة وقلة الحياء. وكل من قرأ الخطبة ١٨٦ من نهج البلاغة أدرك أن مسألة الوصل بالحق تعالى والفصل عنه باطلة. ولم يُؤثر عن النبي ﷺ أي دعاء صحيح مقبول يشتمل على عبارات الوصل والفصل أو الفراق والوصال أو العشق والمعشوق في حق الله، لأن العشق يستوجب التبدّل في الحال؛ والذات الإلهية لا يتطرّق إليها التغيّر والتبدّل. ثانيًا: العشق شدة ميل النفس إلى الشيء وليس ليليه ميل نفسي. ثالثًا: لا بُدّ في العشق أن يكون المعشوق قابلاً للتصور والله مُنزه عن أن يتصوره مخلوق. رابعًا: الأنبياء لم يدعوا العباد إلى عشق الله ولم تأت في القرآن كلمة العشق والعشاق، ولم يقل الله تعالى: يا أيها العشاق ولا يا أيها العاشقون. ولم يُرغب الله تعالى عباده بعشقه. خامسًا: إن صفات الله وأسماءه توقيفية أي موقوفة على ورود الشرع بها، وليس في الشرع ولا في عبارات القرآن كلمة الوصال والفراق والعاشق والمعشوق و.....، وإذا وُجدت أخبار فيها مثل هذه المفردات في كتب المتأخرين فهي من وضع الصوفية والدرأويش.

فادّعاء الشعراء والصوفية أنهم عاشقون لله لا ينسجم مع تعاليم الكتب السماوية وهو نوع

من قلة الأدب والوقاحة والعُجب بالنفس والله مُنزه عن الوصل والفصل والمعشوقية، فعلى الذين يدعون الوصول إلى الله تعالى ووصاله أن يتوبوا.



دعاء كميل

هو الدعاء الثاني في الفصل السادس من الباب الأول لكتاب «مفاتيح الجنان». قبل أن ينقل الشيخ عباس القمّي نص هذا الدعاء نقل قول المجلسي الذي اعتبر هذا الدعاء من أفضل الأدعية وأن الإمام علياً (ع) أخذه عن الخضر وعلمه كميل بن زياد!!

وعلينا أن نقول: أستمّ تعتبرون علياً (ع) أفضل من جميع الأنبياء ما عدا الرسول الأكرم ﷺ، فكيف يُمكن لمن هو أعلم وأفضل أن يتعلّم دعاءً من الخضر الأدنى منه فضلاً وعلماً؟ أضف إلى ذلك أن وجود الخضر في زمن حضرة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه كذب لأن الله قال مخاطباً رسوله ﷺ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ [الانباء: ٣٤].

في هذا الدعاء يُصلي «الخضر» على محمد وآل محمد ويُسلم عليهم! فإن كان المقصود أن الخضر كان حياً زمن رسول الله ﷺ وآله ففي هذه الحالة -كما قلنا- هو كائن أسطوريّ ووهمي، وإن كان المقصود منه ذلك الشخص الذي أمر بتعليم حضرة موسى (ع) (سورة الكهف، الآية ٦٥ فما بعد) ففي هذه الحالة كيف يُصلي ويُسلم على نبيٍّ لم يُولد أجداده بعد؟!

والنقطة الأخرى أنه يقول في هذا الدعاء: "فَتَجَاوَزْتُ بِمَا جَرَى عَلَيَّ مِنْ ذَلِكَ بَعْضَ حُدُودِكَ، وَخَالَفْتُ بَعْضَ أَمْرِكَ فَلَكَ الْحَمْدُ (الْحُجَّةُ) عَلَيَّ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ وَلَا حُجَّةَ لِي فِيهَا جَرَى عَلَيَّ فِيهِ قَضَاؤُكَ!!"

بناءً على النسخة الحاضرة يقول: اللهم إني تجاوزت حدودك وخالفت أوامرك فلك الحمد عليّ في جميع ذلك!! أي أنه بدلاً من أن يقول: إنني أخطأت في جميع ذلك وليس لدي عذر مقبول وأنا نادم على ما بدر مني، يقول: لك عليّ الحمد فيما فعلته، وكأنه يقول بعبارة أبسط: الحمد لله على أنني عصيتك! ولا أظنُّ عاقلاً يقول مثل هذا الكلام، فما بالك بالخضر أو عليّ (ع).

رحم الله «فرهاد ميرزا» ابن فتحعلي شاه الذي قال: إن كلمة «الحمد» هنا خطأ والصحيح أنها «الحُجَّة»، ولكن عند انتقال الخط الكوفي إلى خط النسخ اشتبه النُّسَاح في نقل الكلمة لأن كلمتي «الحمد» و «الحُجَّة» متشابهتان في الخط الكوفي^(١).

والحقيقة أننا يُمكننا أن نفهم من الجملة التي جاءت بعد هذه العبارة ومن مقارنتها بها، أن التوجيه الذي ذكره «فرهاد ميرزا» صحيح ومقبول. إن ما أراد الداعي قوله في هذا الدعاء هنا: اللهم لك الحُجَّة في الحكم عليّ في جميع الأعمال التي عصيتُك فيها وليس لديّ أيُّ حُجَّة أو عذر لتبرئة نفسي.

وفي هذا الدعاء خطاب لله تعالى بعبارة الفراق على طريقة الشعراء والصوفية وذلك في جملة: "فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَلَى فِرَاقِكَ؟" في حين أن الأنبياء والذين يتلقون معارفهم من الوحي الإلهي لا يجترئون على مثل هذا الكلام ولا يستخدمون عبارات الوصال والفراق بحق الله.

دعاء العشرات

هو أحد الأدعية الموضوعة والمُخترعة، وسنده معيب جداً^(٢). أحد رواة هذا الدعاء «الحسن بن فضال» الواقفي^(٣). وراويه الآخر «الحسن بن الجهم»^(٤) الذي روى الدعاء عن فرد مجهول. إضافةً إلى ذلك ليس من الواضح هل روى ذلك الفرد المجهول الدعاء عن «الحسن بن محبوب»^(٥) أم عن شخص آخر!! (هل هذا سند؟!).

متن الحديث أيضاً أوضح دليل على وضعه، لأنه يقول: إن الأئمة كتموا هذا الدعاء ولم يكونوا يُعلمونه إلا لأنفسهم وشيعتهم! علاوةً على ذلك فقد ذكروا لهذا الدعاء ثوابات عجيبة غريبة وأدعوا أن قارئه يموت شهيداً وتُكتب له كل يوم ألف حسنة وتُرفع له ألف ألف

(١) مفاتيح الجنان، ص ٦٠١.

(٢) راجعوا بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ٤٠٨ فما بعد.

(٣) راجعوا كتاب «عرض أخبار الأصول...»، ص ١٢٢.

(٤) راجعوا كتاب «عرض أخبار الأصول...»، ص ١٧٣ فما بعد.

(٥) راجعوا كتاب «عرض أخبار الأصول...»، ص ٣١٩.

درجة وتُحمى عنه ألف ألف سيئة ويستغفر له العرش والكرسي و..... الخ.

لنر الآن متن الدعاء: في هذا الدعاء، كما في دعاء يوم الجمعة الفاقد للسند (ص ٢٦ والمنقول عن ملحقات الصحيفة السجادية أو عن الفصل ١٧ من مصباح الكفعمي)، رغم قول الداعي "كفى بك شهيداً"، إلا أن الداعي لم يلتزم بقوله هذا - اكتفائه بشهادة الله - بل قال: "وَأَشْهَدُ مَلَائِكَتَكَ وَأَنْبِيَاءَكَ وَرُسُلَكَ وَحَمَلَةَ عَرْشِكَ وَسُكَّانَ سَمَاوَاتِكَ وَأَرْضِكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ".

فنسأل: هل يمكن أن يجعل الإمام الحيوانات شاهدةً عليه؟ وهل يُشهد على نفسه الأشخاص الذين ماتوا ورحلوا عن الدنيا قبل سنين طوال؟! كلا، لا يقول الإمام مثل هذا الكلام قطعاً. ثم هل يسمع جميع المخلوقين وسُكَّانَ السماوات والأرض والأنبياء والرسول إقراره الداعي ذلك كي يشهدوا له؟ إن كان الداعي يعتقد أن المذكورين سميعون بصيرون مثل الله فإن جُملَ دعائه غير صحيحة ومشوبة بالشرك ولا يعتقد مسلمٌ صادقٌ بمثل هذه العقيدة.

ثم دسّ واضع الدعاء مذهبه في جمل الدعاء، والواقع أن الهدف الأساسي من وضع هذا الدعاء هو دسّ واضعه مذهبه فيه ونسبته ذلك إلى أهل البيت ووصفهم بأنهم «حُجَّةُ اللَّهِ»، رغم أن أولئك الكرام لم يكونوا يرضون بذلك بل يعتبرون مثل هذا القول في حقهم بدعة! كما قال عَلِيُّ: "تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ حُجَّتُهُ". (نهج البلاغة، الخطبة ٩١). إذن الأئمة ليسوا حُجَّةُ اللَّهِ ولا أحدٌ مُصْطَفَى مِنْ قِبَلِ اللَّهِ سوى الأنبياء.

دعاء السمات

هو الدعاء الرابع في الفصل السادس من «المفاتيح». ويُقال له أيضاً: دعاء «الشُّبُور» بمعنى البوق! وربما كان من تلفيقات اليهود.

ادّعى الشيخ عباس القمّي أن العلماء رووا هذا الدعاء بأسانيد مُعتبرة!! ولكنه لم يذكر لنا هذه الأسانيد المعتبرة (!! كي نُقيّمها ونعلم مدى صدق هذا الادّعاء وصوابه. وسنذكر للقراء الكرام سند هذا الدعاء كما أورده المجلّسي^(١). أحد رواة هذا الدعاء «أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عِيَّاشٍ

(١) بحار الأنوار، ج ٨٧، ص ٩٦ فما بعد.

الجوهري» الذي قال علماء الرجال عنه إنه ضعيف وأحاديثه لا يُوثق بها، وكان مختل العقل أو مُختَلّ الدين وهو الذي روى الدعاء الخامس من أدعية شهر رجب^(١) وهو دعاء خرافي وقبيح^(٢). وقد روى «ابن عيَّاش الجوهري» دعاء السَّمات هذا عن «عبد العزيز بن أحمد بن محمد الحسن بن محمد الحسيني» المُهمَل، عن «محمد بن علي بن الحسن بن يحيى الراشدي» المُهمَل أيضاً. أي أن دعاء السَّمات رِوَايَةٌ ضَعِيفٌ عن مُهمَلٍ عن مُهمَلٍ! كما روى هذا الدعاء أيضاً كذَّابان آخِران هما «محمد بن سنان»^(٣) و«المُفَضَّل بن عمر الجُعفي»^(٤).

إذاً، فليعلم القارئ مصدر المطالب الدينية التي جاءت في «مفاتيح الجنان»!

جاء في حاشية «المصباح» للكفعمي منسوباً إلى حضرة الباقر (ع) أن قال بشأن هذا الدعاء: إذا كانت لك حاجة فتوجّه بهذا الدعاء إلى الله عز وجل، ولا تُظهِرهُ للسفهاء وللنساء والأطفال! وحاشا لحضرة باقر العلوم (ع) أن يقول مثل هذا الكلام!؟

يشتمل هذا الدعاء على كلمات وعبارات مُبهمة ومشكّلة، في حين أن الأدعية الماثورة عن النبي ﷺ ليس فيها أي غموض أو تعقيد.

يقول واضح هذا الدعاء في نهايته: "اللَّهُمَّ حَقِّقْ هَذَا الدُّعَاءَ وَحَقِّقْ هَذِهِ الأَسْمَاءَ الَّتِي لَا يَعْلَمُ تَفْسِيرَهَا وَلَا تَأْوِيلَهَا وَلَا بَاطِنَهَا وَلَا ظَاهِرَهَا عَيْرُكَ!!".

وينبغي أن نقول: إن هذا القول مخالف للأحاديث التي ذكرها الكليني في الكافي من قبيل أن الإمام ليس ذاك الذي إذا سُئِلَ يقول: لا أدري (باب ٩٢، حديث ١) وأن الأئمة «لا يخفى عليهم الشيء» ونظائرها.

(١) ذكر المجلسي هذا الدعاء في بحار الأنوار، ج ٩٥، ص ٣٩٢-٣٩٣. وذكره الشيخ عباس القمّي في الفصل الأول من فصول الباب الثاني، وهو فصل فضل شهر رجب وأعماله، في فقرة «الأعمال العامة التي تؤدي في جميع شهر رجب».

(٢) راجعوا ما سنذكره بشأنه في الفصل الأول من الباب الثاني من الكتاب الحالي، ص ٢٣٨-٢٤٨

(٣) عرّفنا بحاله في كتاب «عرض أخبار الأصول...»، الصفحة ٣٠٤ إلى ٣٠٨.

(٤) عرّفنا بحاله في كتاب «عرض أخبار الأصول...»، الصفحة ١٧١ فما بعد.

من هذا يتبين أن واضح الدعاء لفق كلمات ثم ذكر هذه الجمل المشار إليها في آخر الدعاء ليصرف القارئ عن محاولة فهم المقصود من جمل الدعاء! في حين أنه يجب أن نسأل: لماذا يقرأ الإنسان دعاءً لا يفهم معناه؟ إن قراءة مثل هكذا دعاء لغو وباطل. وأساساً ما فائدة الدعاء الذي - حسب قولكم - لا يعلم حتى الإمام والنبى ظاهره؟ والعجيب، أنه رغم ما جاء في نص الدعاء من أن لا أحد يعلم معناه سوى الله، حاول المجلسي أن يشرحه ويوضح معناه!!

الواقع، أن فريقاً من الكذابين والخرافيين لفقوا لنا أدعيةً من بنات أفكارهم، ثم جاء أشخاص بألقاب مثل: أعلم العلماء وخرّيت علم الحديث و.... فأرادوا توضيحها وأن يتمحلّوا لها التأويلات ليبرروا كل ما فيها من خرافات ويصوّبوها!!



تنبيه مهم حول الأدعية التي ليس في نصوصها أي عيب

سألني أحد إخواني في الله ممن قرأ الإصدار الأول لهذا الكتاب: ما الإشكال مثلاً في دعاء يوم الأحد أو دعاء «الجوشن الكبير» اللذين وردا في «المفاتيح» واشتملا على مضامين جيدة جداً وليس فيها أي جمل شركية، ولماذا لا نقرّوهما؟

فأجبت قائلاً: أنا لا أقول لا تقرّوا مثل هذه الأدعية، ولكن أقول لا تعتبروا هذه الأدعية مأموراً بها بالذات في الشرع (أي واردة عن الله ورسوله).

لذلك أرى من الضروري أن أذكر هنا - في هذا الإصدار الجديد الثاني للكتاب - كلاماً حول الأدعية والأحاديث والآثار الدينية بشكل عام.

يشهد الله العليم القدير أنني لستُ أبداً ضدّ قراءة الأدعية التي لا تخالف جملها العقل أو القرآن، لكنني أرى من الضروري التذكير بنقطة مهمة، غالباً ما يسكت العلماء عن بيانها، وقد أشرت إليها في كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول» (ص ٢٧٣)، وهي أنه إذا كان لدينا نص حديث أو دعاء خالٍ من أي إشكال من الناحية الشرعية فإن هذا وحده لا يكفي لنسبته إلى الشارع، في حين أن فقهاءنا يقولون في أغلب الأحوال: ليس لدينا دليل على مخالفة

الحديث الفلاني للكتاب والسنة. أو يقولون: يمكننا أن نؤول هذا الحديث على نحو يتوافق مع سائر الأدلة. أو يقولون: يمكن الجمع بين هذا الحديث والأحاديث الأخرى، وهكذا... وعلى هذا الأساس يقبلون الأحاديث والآثار بوصفها نصوصاً دينية، في حين أن عملهم هذا غير مُبرَّر، لأنه لا بد من وجود أدلة مُحكَّمة لإسناد أي حديث أو أثر إلى الشارع ولا يجوز أن نعتقد أن كل كلام صحيح لا إشكال فيه يجوز نسبته إلى الشارع، وبعبارة أخرى إن إسناد شيء إلى الشريعة لا يكفي فيه أن يكون نصُّه خالياً من أي عيب ومتوافقاً مع القرآن، بل لا بد من حصول العلم واليقين بصدوره الفعلي عن صاحب الشرع استناداً إلى أدلة كافية ومُحَكَّمة تدل على ذلك. وكما قلنا في بحث موضوع «التسامح في أدلة السنن» ينبغي علينا قبل أن نحتاط في رفض شيء هو من الشرع، أن نحتاط في إسناد شيء ليس من الشرع إلى الشرع، وذلك لأننا في الحالة الأولى لسنا مكلفين أن نعتبر الحديث أو الأثر الذي لا يمتلك جميع اللوازم والمقتضيات المطلوبة لنسبته إلى الشرع، جزءاً من الشرع ثم نطلق على عملنا هذا اسم الاحتياط (لأن إتمام الحجّة والإبلاغ الكامل هو من وظيفة الشارع)، ولكننا مأمورون قطعاً بالحدز والاحتياط من نسبة أمر أو نصٍّ إلى الشرع قبل أن نحصل على جميع لوازم وشروط انتسابه إلى الشرع فعلاً. (فتأمل جدّاً).

ولهذا السبب فإننا نجيب الذين يقولون: ليس من المحال عقلاً أن يصدق الرواة الكذابون في بعض الأحوال، ويستتجون أنه من الممكن والمحمّل للحديث الذي لا يتضمّن أيّ إشكال شرعي لكن راويه غير موثوق، أن يكون صادراً فعلاً عن الشارع وجزءاً من الشرع. نجيبهم قائلين: نعم، يمكن أن يكون هذا النص صادراً عن الشرع فعلاً، لكن هذا الاحتمال لا يوجب علينا تكليفاً شرعياً بنسبته إلى الشرع، بل يبقى تكليفنا على ما هو عليه من أنه لا يُسَمَح لنا أن نثبت صدور شيء (حديثاً أو دعاء أو غير ذلك) عن المشرّع سبحانه وتعالى، قبل توفّر جميع الشروط والأدلة اللازمة لإثبات الصدور الحقيقي لهذا الأمر أو الحديث أو النص عن الشارع.

وبعبارة أخرى إذا كان من الصحيح القول: إن كلام الشارع لا يمكن أن يكون خطأ أبداً، فإنه من غير الصحيح القول إن كل كلام صحيح يمكن نسبته إلى الشارع. (فتأمل).

بناءً على ذلك، لو قرأ أحد هذه الأذكار والأدعية التي لا تتضمن نصوصها أي إشكال

شرعي، ليس انطلاقاً من ورودها بالذات عن الشرع بل لكونها داخلة تحت عمومات الأمر بالدعاء وأنها من المباحات الشرعية، فلا إشكال في ذلك لأن قارئ هذه الأدعية لا ينسبها إلى الشرع، ونعلم أن الشرع بشكل عام أذن لنا بالذكر والدعاء والتضرع إلى الله، فيمكننا أن ندعوه بكل دعاء منضبط بضوابط الشرع وخالٍ من أي إشكال أو عيب في ألفاظه.

فإذا كان الأئمة قد دعوا بتلك الأدعية دون أن تكون مروية عن رسول الله ﷺ - كما هو حال أغلب الأدعية المذكورة في المفاتيح وأمثاله من الكتب - فإن قراءة أولئك الأئمة الأجلاء عليهم السلام لتلك الأدعية لم يكن بمعنى ورودها في الشرع^(١) بل بمعنى عملهم بالإذن الشرعي العام بالدعاء. وطالما لم تتوفر الأدلة الكافية والمحكمة لنسبة تلك الأدعية إلى الشارع المقدس فلا يجوز لنا أن ننسبها إليه.

دعاء المشلول

هو الدعاء الخامس في الفصل السادس، وقد ورد دون سند في كتاب «المصباح» للكفعمي و«مُهَجُّ الدَّعَوَات» لابن طاووس و«بحار الأنوار» للمجلسي (ج ٩٢، ص ٣٩٦ فما بعد). يشتمل هذا الدعاء على أسماءٍ لله، ولما قال الحق تعالى في القرآن: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الاعراف: ١٨٠]، كان من الواجب ان ندعو الله بأسمائه الحسنى، وهذا يدل أن الأسماء الإلهية يجب أن تؤخذ من طريق الوحي أي أنها توقيفية وموقوفة على إعلام الوحي، لأن الله وحده يعلم أي اسم وأي صفة تليق بذاته المقدسة ولا يحق لأحد غير الله تعالى أن يضع له أسماء من عنده. والوحي خاص بالأنبياء. وليس هناك من دليل على وصول بعض الأسماء الواردة في هذا الدعاء عن طريق الوحي. فالقاعدة الكلية إذاً أننا يجب أن نتلقى الأسماء الإلهية الحسنى عن رسول الله ﷺ ولا يمكن أن ننسب الأدعية التي جاءتنا عن غير رسول الله ﷺ إلى الشرع. ودعاء المشلول أيضاً يخضع لهذه القاعدة.

(١) وذلك طبقاً لما روينا عن عليّ (ع) من قوله: "السُّنَّةُ مَا سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَبَدَعُهُ مَا أُحْدِثَ مِنْ بَعْدِهِ". (راجع ص ٣٤-٣٧ من الكتاب الحالي).

دعاء يستشير

هو الدعاء السادس في الفصل السادس الذي لم يذكروا له أي سند. ولا إشكال في نصه، غير أنهم ذكروا لقارئه ثوابات مغرقة وعجيبة، من جملتها قولهم إن "مَنْ دعا بهذا الدعاء وكان في حياته قد ارتكب الكبائر ثم مات من ليلته أو من يومه بعد ما دعا الله عزَّ وَجَلَّ بهذا الدعاء مات شهيداً و إن مات يا سلمان على غير توبة غَفَرَ اللهُ لَهُ ذُنُوبَهُ بِكَرَمِهِ وَعَفْوِهِ!!!"^(١) ولعمري إن هذا الادِّعاء يعني أن جميع أوامر الشرع ونواهيه أمور زائدة لا ضرورة لها! سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

دعاء المُجِير

هو الدعاء السابع من الفصل السادس. وليس في متنه إشكال، لكنهم اثبتوا لقارئه ثوابات عجيبة دون أن يذكروا سنداً لذلك. قال الشيخ عباس القمِّي نقلاً عن الكفعمي: "إنَّ مَنْ دعا به في الأيام البيض من شهر رمضان غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَلَوْ كَانَتْ عَدَدَ قَطْرِ الْمَطَرِ، وَوَرَقِ الشَّجَرِ، وَرَمَلِ الْبَرِّ...!!". كما قال الكفعمي أيضاً في حاشية «المصباح»: "إن النبي ﷺ قال: من قرأ هذا الدعاء عشر مرات، فلو صارت البحارُ مداداً والأشجارُ أقلاماً والإنسُ والجنُّ وملائكة السموات كُتَّاباً لفني المداد وتكسرت الأقلام ولم يقدرُوا أن يحصوا ثواب قارئه!!!"

ليت الشيخ عباس أو السيد ابن طاووس أو الكفعمي.... استخدموا عقولهم أحياناً. اللهم ماذا فقد من وهبته العقل، وماذا يملك من حرمة العقل؟

دعاء عديلة

هو الدعاء الثامن من الفصل السادس وقد سبق أن تكلمنا عنه (ص ٣٥). دس واضع هذا الدعاء فيه عقائده الخرافية وأراد أن يعرّف بالأئمة الاثني عشر بوصفهم أئمة منصوباً عليهم من قِبَلِ اللهِ، رغم أنه ليس لدينا حديث موثوق ومعتبر في نصِّ الله تعالى على إمامتهم! وجاء في هذا الدعاء بشأن الإمام الثاني عشر: "بِقَائِهِ بَقِيَتِ الدُّنْيَا، وَيَمُنُّهُ رُزْقُ الوَرَى، وَبِوُجُودِهِ ثَبَّتَتِ الأَرْضُ والسَّمَاءُ!"

(١) السيد ابن طاووس، مهج الدعوات ومنهج العبادات، كتابخانه صناعي، ص ١٢٤.

وهذا القول افتراء على الله وغلوه لأن الله كان قبل وجود الأئمة وحتى قبل النبي ﷺ يرزق مخلوقاته ويحفظ الأرض والسماء.

كما جاء في الدعاء: "أشهد أن أقوالهم حجةٌ وأمثالهم فریضةٌ وطاعتهم مفروضةٌ!" ونسأل هل جعل الحجج بيدكم أيها الملقون للأحاديث والأدعية؟ ألم تعلموا أن الله هو الذي ينبغي أن يعرف للناس حججه؟ فأين نجد في القرآن وصف الأئمة بأنهم «حجج الله» وأن طاعتهم واجبة؟ فلماذا لم يعرف الله لنا هذه الحجج في كتابه؟ وليس هذا فحسب بل قال إنه ليس بعد الأنبياء للناس حجةٌ (النساء: ١٦٥)، وقال علي (ع) أيضاً: «تمت بنبيينا محمد ﷺ حجته» (نهج البلاغة الخطبة ٩١).

وذكر الراوي بعد هذا الدعاء الموضوع رواية غير معتبرة أحد رواتها «إبراهيم بن إسحق النهاوندي» ورواها الآخر «محمد بن سليمان الديلمي»^(١).

دعاء الجوشن الكبير

هو الدعاء التاسع من الفصل السادس. روى الكفعمي هذا الدعاء في كتابه «المصباح» دون ذكر أي سند له. ثم أورده المجلسي في البحار ولم يذكر له سنداً أيضاً^(٢).

جاء في حديث هذا الدعاء الذي أورده المجلسي: "... نَزَلَ بِهِ جَبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ وَقَدْ اشْتَدَّتْ، وَعَلَيْهِ جَوْشَنٌ^(٣) ثَقِيلٌ آلَمَهُ فَدَعَا اللَّهَ تَعَالَى فَهَبَطَ جَبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ رَبُّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ اخْلَعْ هَذَا الْجَوْشَنَ وَاقْرَأْ هَذَا الدُّعَاءَ فَهُوَ أَمَانٌ لَكَ وَالْأَمْتِكُ...".

ونسأل: أولاً: في أي غزوة نزل هذا الدعاء؟

(١) عرّفنا في كتابنا «عرض أخبار الأصول...» ... بـ «إبراهيم بن إسحق» في الصفحة ١٠٩. وعرّفنا بـ «محمد بن

سليمان الديلمي» في الصفحات ١١٠ فما بعد، ٧١٤ و٧٧٨.

(٢) بحار الأنوار، ج ٩١، ص ٣٨٢ وما بعد.

(٣) قال ابن منظور في لسان العرب: "الجَوْشَنُ اسم الحديد الذي يُلبَس من السلاح. والجَوْشَنُ: الدَّرْعُ، وقيل الجَوْشَنُ من السلاح زَرَدٌ يُلبَسه الصدر". (المترجم)

ثانياً: لم يُذكر في أي كتاب من كتب السيرة أن رسول الله ﷺ لم يكن يلبس الدرّوع في الغزوات.

ثالثاً: استشهد كثيرٌ من أصحاب النبي ﷺ في الغزوات ولم يؤمن لهم هذا الدعاء الأمان. وفي حديث هذا الدعاء أيضاً ذُكرت أمور عجيبة من جملتها أن "مَنْ قَرَأَهُ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْ مَنْزِلِهِ أَوْ حَمَلَهُ، حَفِظَهُ اللَّهُ وَأَوْجَبَ الْجَنَّةَ عَلَيْهِ!..... وَأُعْطِيَ مِثْلَ ثَوَابِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى!!..... وَمَنْ كَتَبَهُ فِي جَاِمٍ بِكَافُورٍ أَوْ مُسْكِ ثُمَّ غَسَلَهُ وَرَشَهُ عَلَى كَفَنِ مَيِّتٍ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَبْرِهِ أَلْفَ نُورٍ وَأَمَنَهُ مِنْ هَوْلٍ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ وَرَفَعَ عَنْهُ عَذَابَ الْقَبْرِ وَبَعَثَ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ إِلَى قَبْرِهِ يُبَشِّرُونَهُ بِالْجَنَّةِ!!..... وَمَنْ كَتَبَهُ عَلَى كَفَنِهِ اسْتَحْيَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُعَذِّبَهُ بِالنَّارِ!!".

ونقول: أولاً: لا يجوز قياس الله تعالى على خلقه وأن نثبت له خجلاً وحياءً، قال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل: ٧٤].

ثانياً: بناء على هذا الحديث يستطيع كل فاسق مجرم أن يكتب أسماء الله على كفنه ليفرّ من عقاب الله ومجازاته. سُبحانه وتعالى عما يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا

ثالثاً: لا يجوز كتابة الأسماء الحسنى على الكفن أساساً، لأن الكفن سيتلوث بالقبح والدم ومحتويات أمعاء الميت وهذا مخالف للاحترام الواجب تجاه الله تعالى وأسمائه الحسنى. قال تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ [الاعلى: ١].

رابعاً: قيل في شأن هذا الدعاء أيضاً: "وَمَنْ دَعَا بِهِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً حَرَّمَ اللَّهُ جَسَدَهُ عَلَى النَّارِ وَوَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ!!".

ونقول: إن هذا الكلام لا يتفق مع تعاليم الإسلام، بل كل من اجتنب كبائر الذنوب والفواحش والمحرمات حرم الله جسده على النار، ومن ارتكبها فعليه أن يتوب ويكفّر عما فاتته، لا أن يقرأ دعاءً ثلاث مرّاتٍ! (فتأمّل).

قال مؤلّف «مفاتيح الجنان» في تقديمه لهذا الدعاء:

"... وأما الدّعاء به في خصوص ليالي القدر فلم يُذكر في حديث ولكنّ العلامة المجلسي

قدّس الله تعالى روحه قال في كتاب «زاد المعاد» في ضمن أعمال ليالي القدر: إنّ في بعض الروايات أنّه يدعى بدعاء «الجوشن الكبير» في كلّ من هذه الثلاث ليالي، ويكفيها في المقام قوله الشّريف أحلّه الله دار السّلام!!^(١).

ونقول: لا شك أنه وضع هذه الروايات ودرجتها من الصحة مجهولان، وأن قول المجلسي ليس حجّةً. ونسأل الشيخ عبّاس القمّي: هل يحق للمجلسي أن يُنقِص من آداب الشرع وأعماله أو يزيد فيها؟ هل المجلسي حجّة؟!

والأمر الآخر الذي لا بد من ذكره في هذا المقام هو أن نص دعاء الجوشن الكبير لا عيب فيه ولا إشكال، ولكننا ينبغي أن نسأل: إن كنتم تؤمنون بهذا الدعاء وأمثاله فلماذا تخالفونه في أعمالكم؟ إن كنتم تعتبرون ما جاء في هذا الدعاء صحيحاً فعليكم أن تعتبروا أكثر عقائدكم باطلة! مثلاً جاء في البند ١٩ من الدعاء «يَا مَنْ لَيْسَ أَحَدٌ مِثْلَهُ». مع أنكم تعتبرون الإمام مثل الله حاضراً ناظراً في كل مكان ومطلعاً على كل أمر!

وجاء في البند ٢١ من الدعاء: «يَا مَنْ سَتَرَ الْقَبِيحَ يَا مَنْ لَمْ يُؤَاخِذْ بِالْجُرَيْرَةِ يَا مَنْ لَمْ يَهْتِكِ السُّتْرَ». ولكنكم تقولون إن جميع الذنوب تُعرض على رسول الله ﷺ وعلى الأئمة (الكافي، الباب ٨٧)، وَمِنْ ثَمَّ فَالله - حسب قولكم - ليس ستاراً للعيوب، والعياذ بالله!!

ونقرأ في البند ٣١ من الدعاء: "يَا حَيًّا لَا يَمُوتُ..... يَا عَالِمًا لَا يَجْهَلُ"، لكنكم تعتبرون الإمام حياً لا يموت وعالمًا لا يجهل!

وجاء في البند ٣٨ من الدعاء: "يَا مَنْ لَا مَفْرَعٍ إِلَّا إِلَيْهِ..... يَا مَنْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ، يَا مَنْ لَا يُسْتَعَانُ إِلَّا بِهِ يَا مَنْ لَا يُتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَيْهِ يَا مَنْ لَا يُرْجَى إِلَّا هُوَ.....". ولكنكم تفرعون - خلافاً لهذه الجمل - إلى حضرة عليّ (ع) وأبي الفضل وحضرة الرضا (ع) والمهدي (ع) وتستعينون بهم وترجونهم وتقولون: "يا علي مدد!!" و"يا مهدي أدركني"، معتقدين أنهم يسمعون صوتكم ويُلبّون نداءكم!

(١) مفاتيح الجنان، (النسخة العربيّة)، ص ١٤١-١٤٢. (المُترجم)

وقال في البند ٩٠ من الدعاء: "يَا مَنْ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا هُوَ، يَا مَنْ لَا يَصْرِفُ السُّوءَ إِلَّا هُوَ"، ولكنكم تعتبرون الإمام عالماً بالغيب وصارفاً للسوء وشافياً من الأمراض!

دعاء الجوشن الصغير

هو الدعاء العاشر من الفصل السادس. وليس لهذا الدعاء سند إلى رسول الله ﷺ ولا يمكن أن ينسب شيئاً إلى الشرع لمجرد نقل المجلِّس له (بحار الأنوار، ج ٩١، ص ٣٢٠) أو الكفعمي أو ابن طاووس.

قال الشيخ عبَّاس القمِّي في مقدمة هذا الدعاء في كتابه «المفاتيح»:

"قال الكفعمي في هامش كتاب البلد الأمين: هذا دُعاء رفيع الشَّان عظيم المنزلة دعا به الكاظم (عليه السلام) وقد همَّ موسى الهادي العبَّاسي بقتله؛ فرأى (عليه السلام) جدَّه النَّبي ﷺ في المنام فأخبره بأنَّ الله تعالى سيَقضي على عدوِّه".

أقول هذا الكلام مخالفٌ لأحاديث الباب ٦١ من «الكافي» التي تقول إن الإمام لا يرى الأخبار الغيبية في الرؤيا^(١).

ويجدر بالذكر أن المجلِّس ذكر في «بحار الأنوار» (ج ٩١، ص ٣٢٠) أن الإمام دعا بهذا الدعاء بعد أن رأى تلك الرؤيا، خلافاً لما ذكره الشيخ عبَّاس القمِّي في «المفاتيح» [والكفعمي في «البلد الأمين»]، اللذين ذكرا أن الإمام قرأ الدعاء قبل أن يرى تلك الرؤيا، وأنه على إثر قراءته للدعاء رأى تلك الرؤيا.

دعاء سيفي المعروف بدعاء القاموس

هو الدعاء الحادي عشر والأخير من الفصل السادس. ولم يذكر له الشيخ عبَّاس القمِّي سنداً سوى أن الشيخ [حسين] النوري ذكره في الصحيفة العلوية الثانية. ونحن لا نعتبر قول الشيخ النوري حجَّةً ونعلم أن ثمة خرافات كثيرة في كتبه. ويكفي أنه كان يقول بوقوع التحريف في

(١) من المفيد في هذا الموضوع مراجعة كتابنا «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، باب بَابُ الْفَرْقِ بَيْنَ الرَّسُولِ وَالنَّبِيِّ وَالْمُحَدَّثِ، الحديث ٣، ص ٣٩٦-٣٩٧.

القرآن!! وهو القائل أيضاً "في كلمات الأرباب طلسمات وتسخيرات وشرح للغريب وذكروا له آثاراً عجيبة!!" في حين أن أرباب الطلاسم كانوا أشخاصاً خرافيين.

رغم ذلك أورد الشيخ عبّاس القمّي هذا الدعاء في كتابه تسامحاً، مع أنّه لا يجوز التسامح في الأمور الشرعية، وقد أدّى هذا التسامح إلى كتابة آلاف الأوراق ونسبتها إلى الدين، وإلى تحميل دين الله أحمالاً ثقيلةً ما أنزل الله بها من سلطان، وإلى إيجاد الفرق ونشر البدع بين المسلمين. وقد تحدّثنا فيما سبق (ص ١٥) حول قاعدة «التسامح في أدلة السنن» المضرة، فليراجع ثمة.



تنبيه مهمّ حول «توحيد العبادة»

اعلم أن أهم مسألة في الإسلام هي بلا شك مسألة الشرك والتوحيد التي عليها مدار شقاء العباد أو سعادتهم الأبدية.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وقال لنبية الأكرم ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [بل الله فأعبُد وكن من الشكرين] [الزمر: ٦٥، ٦٦].

ويدلّ تقديم المفعول به (أي لفظ الجلالة) على الفعل في قوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهِ فَأَعْبُدْ﴾ على الحصر، أي: اعبد الله وحده فقط ولا تعبد غيره.

وقال تعالى أيضاً بشأن الناس: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥]^(١).

(١) راجعوا في تفسير الآيات الثلاث المذكورة أعلاه ما ذكرناه في تفسير «تابشی از قرآن» [أي شعاع من القرآن]، تأليف كاتب هذه السطور.

ولذلك يجب علينا أن نبذل كل اهتمامنا ونتنبه كل الانتباه حتى نحفظ إيماننا من شوائب الشرك ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً^(١)، ومن الضروري أن نحزّر أنفسنا في هذا المجال من قيود العادات والتقاليد المنتشرة في البيئة المحيطة بنا والآداب والرسوم التي جرى عليها آباؤنا وأجدادنا، والتي ليس عليها دليل شرعيٍّ محكم، وأن لا نقبل في هذا المجال بأي كلام ليس له سندٌ حتى لو كان كلاماً لمشايخ مُعمّمين، ولا نُخدع بالأحاديث الواهية غير المعتبرة (فتأمل جداً).

ولما وصل كلامنا هنا إلى ذكر المشايخ المُعمّمين أجد من الضروري أن أذكر هنا الآية القرآنية التالية إتماماً للحُجّة، إذ حدّرت الآية المسلمين وخاطبت المؤمنين قائلة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]^(٢).

(١) قال رسول الله (ص): "الإشراك في الناس أخفى من ديبب النمل على المسح الأسود في الليلة المظلمة". لذا يجب على المؤمن أن يتنبه بشدة إلى حفظ إيمانه من أن يختلط بالشرك.

(٢) ينبغي أن نتنبه إلى أن كلمة «الأحبار» تعني مُطلق علماء الدين. ولذلك نجد أن ابن عباس كان يُطلق عليه لقب «جبر الأمة»، فالجبر ليس مقصوراً على الأساقفة والآباء المسيحيين أو كهنة اليهود وعلماء دينهم. والراهب أيضاً مفرد كلمة «الرهبان» التي تعني الرُهاد الذين يسلكون طريق العزلة والرهبانية ويكرسون حياتهم للعبادة ورعاية أحكام الشرع ولا يلتفتون إلى الدنيا والأمور الدنيوية وغالباً ما يعيشون في أديرة أو صوامع أو زوايا يتعبدون الله فيها. ويُطلق اللفظ أيضاً على المتّقين الورعين من الرهبان. ولكنني لما كنت أعلم أن الخرافيين والمتحجّجين سيناقشون هذا التفسير للآية فإنني سأذكر التفسير المشهور لدى عامة الناس وأوضح الآية طبقاً لذلك التفسير: تقول الآية يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من علماء الدين اليهود وrehبان النصارى ليأكلون أموال الناس بغير وجه حق ويصدون الناس عن سلوك سبيل الله. ينبغي أن نتنبه إلى أنه لا يُمكن أن نحصر معنى الآية بدمّ علماء اليهود والنصارى ورُهادهم لأن المخاطبين في الآية هم المسلمون إذ بدأت الآية بقوله تعالى: «يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا». فالآية تريد أن تلفت أنظار المؤمنين إلى أنه لا يجوز أخذ العقائد وأحكام الشريعة من أشخاص لمجرّد أنهم من العلماء والأحبار والرُهاد، بل لا بُدّ من أن يُطالب العلماء والرُهاد بالدليل الشرعي على أقوالهم. هذا هو المعنى المقصود. وإلا فإن مجرّد إخبار المسلمين بأن علماء اليهود وrehبان النصارى يصدون الناس عن سلوك سبيل الله ويأكلون أموال الناس

بالباطل أمر لا علاقة للمسلمين به إذ إن هؤلاء لا يأكلون أموال المسلمين، علاوة على أنه عندئذ لا حاجة إلى قيد «كثيراً» لأن اليهود والنصارى - ليس كثيراً منهم فقط - بل جميعهم يُعارضون الإسلام ويصدون الناس عن أتباعه. (فتأمل)

في الواقع إن الآية تريد أن تُحذر المسلمين من الوقوع فيها وقع فيه اليهود والنصارى وهو قبولهم لأقوال أجهارهم ورهبانهم دون دليل، وذلك لأن ما هو سيء لليهود والنصارى سيء أيضاً للمسلمين ولا يجوز للمسلم أن يقبل كلام أي شخص حتى لو كان عالماً أو زاهداً ما لم يستند كلامه إلى دليل شرعيٍّ وحجّةٍ قاطعة.

وليس المراد من جملة «لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبُطْلِ» أنهم كانوا يأخذون أموال الناس بالجبر والإكراه، بل المراد أنهم كانوا يأكلون أموال الناس بعناوين شرعية وبحجّة العمل بحكم من أحكام الدين، كما يفعل كثير من العلماء والروحانيين في زماننا الذين يسترزقون من أموال الناس باسم الدين ويأخذون من الناس أموالاً باسم الحقوق الشرعية وسهم الإمام ومُخمس غير الغنائم الحربية الذي لم يُشرّع في الإسلام أصلاً، ويعتبرون ذلك من فروع الدين، ولا يولون الزكاة التي أكّد القرآن عليها مراراً وتكراراً ذلك الاهتمام الواجب والذي تستحقه ويحصرونها بأموال محدودة!! وذلك لأن الزكاة بتصريح القرآن يجب إنفاقها على الفقراء والمساكين ومصالح المسلمين العامة ولا تختص بالعلماء والعباد والزهاد. فالمسلمون أيضاً ابتلوا بطاعة مشايخهم المُعمّمين وقبول أفواههم لمُجرّد أن العالم الفلاني قال ذلك دون أن يُحققوا في صحة قوله وأدلته.

وإذا تساءل شخص حول جملة «وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» مُتَعَجِّباً كيف يُمكن لعلماء الدين والزهاد أن يصدوا الناس عن سبيل الله؟ فإني ألفت نظره إلى أنه من الواضح أن مثل هؤلاء الأفراد لا يقولون للناس صراحةً: لا تسلكوا سبيل الله، لأنهم حسب الظاهر يتمسكون بالدين والشريعة ويعتبرون أنفسهم من الدعاة إليها والمُرّوجين لها، لكنهم عملياً يتركون الدين الواقعي ويشغلون بالدعوة إلى أمور باسم الدين يقومون بترويجها بين الناس مع أنها ليست من الدين. فمثلاً يُصوّرون دين الإسلام -الذي هو دين التحقيق وطلب الدليل والبرهان- بأنه دين يأمر الناس بتقليد العلماء. وبدلاً من الجهاد في سبيل الله يُعلّمون الناس البكاء والعويل والنياحة ولطم الصدور وضرب الأجسام بالسلاسل وقراءة الأشعار والمدائح. لقد أنشؤوا إلى جانب المساجد أبنية باسم «الحسينية» و«المهدية» و«الفاطمية» وسكت العلماء عن ذلك، فبدلاً من التوحيد والتوجه إلى الله وحده، علّموا الناس التوجه إلى الأنبياء وإلى أئمة الدين الصالحين وقراءة الأدعية الشركية مثل دعاء الندبة ودعاء التوسل!! وشجعوهم على تملّق أولياء الله والتزلف لهم بالمدائح مع أنهم انتقلوا من دار الفناء إلى دار البقاء [وليسوا بحاجة إلى تلك المدائح].

وللأسف يظنُّ الناس أن كل من وضع على رأسه عمامة وتلقّب بألقاب فخمة مثل: ثقة الإسلام أو المرجع

الكبير أو آية الله العظمى، فإن كل ما يقوله موافق للقرآن، ويظنون أيضاً أن المشايخ خُدَّامٌ مُخلصون للدين ودُعاةٌ صادقون إلى حقائق الإسلام لكن الواقع غير ذلك، فلقد أمضيتُ سنوات طويلة من عمري في الحوزات العلمية في قم والنجف ومشهد، أدرس فيها العلوم الشرعية بين علماء الدين وطلّاب الشريعة وتعرّفتُ على نقاط ضعفهم وقوتهم عن كثب. وسأتي هنا فقط بأقوال بعض علماء الدين الذين نالوا كثيراً من الثناء والمدح والتقدير بعد الثورة. أمل أن تُوقظ هذه الأقوال القراء الأعزاء وتُوعيهم وما ذلك على الله بعزيز.

القول الأول أنقله عن صاحب تفسير «الميزان» [محمد حسين الطباطبائي] الذي قاله في تفسيره للآيات من ١٥ إلى ١٩ من سورة المائدة إذ قال: "وذلك أنك إن تبصّرت في أمر هذه العلوم وجدت أنها نُظمت تنظيمياً لا حاجة لها إلى القرآن أصلاً، حتى أنه يُمكن لتعلم أن يتعلمها جميعاً: الصرف والنحو والبيان واللغة والحديث والرجال والدراية والفقه والأصول، فيأتي آخرها، ثم يتضلع بها ثم يجتهد ويتمهّر فيها وهو لم يقرأ القرآن، و لم يمسّ مصحفاً قط..... الخ".

وكتب الأستاذ «مرتضى مطهري» أيضاً حول ترك الناس للقرآن وهجره يقول: "إن كان علم الشخص علمه بالقرآن أي كان من أهل تدبر القرآن وكان عالماً بشكل كامل بتفسير القرآن، كم يا ترى سينال احتراماً بين الناس؟ لا شيء! ولكنه إذا كان عالماً بكفاية الآخوند مُلاً كاظم الخراساني، فإنه سيُعتبر شخصاً محترماً وفاضلاً وذا شخصية جليّة! فالقرآن أصبح مهجوراً بيننا وكل ما أصابنا من شقاء وبلاء فهو بسبب إعراضنا عن القرآن. كان أحد علمائنا الأفاضل يقول: ذهبْتُ إلى لقاء آية الله الخويّ -سَلَّمَهُ اللهُ تَعَالَى- وقلتُ له: لماذا تركت درس التفسير الذي بدأت به سابقاً؟... فأجاب قائلاً: إن هناك عوائق ومشكلات في درس التفسير..... فقلتُ له: إن العلامة الطباطبائي واصل درس التفسير في قم بل كرّس معظم وقته لهذا الأمر فماذا حصل؟ فقال: لقد ضحّى السيد الطباطبائي. أي أن السيد الطباطبائي ضحّى بنفسه وسقطت شخصيته من الناحية الاجتماعية. وحقاً ما قال!

العجيب أنه في أكثر مراكزنا الدينية أهميّة، عندما يصرف الإنسان عمره على القرآن يُبتلى بمئات المشاكل والمصاعب، فتجده يخسر كل شيء: الرزق، المعاش، الشخصية والاحترام. أما لو صرف عمره في دراسة كتب مثل «الكفاية» فإنه ينال كل شيء. ولذلك يوجد آلاف الأشخاص الذين يعرفون «الكفاية» أربعة أضعاف، أي يعرفون الكفاية والرّد عليها ورّد رُدّها والرّد على رُدّها!! ولكن لا يوجد شخصان يعرفان القرآن بشكل جيد!!! كل من سألته عن تفسير آية قال لك: يجب الرجوع إلى التفاسير..... الخ". (ده گفتار، مقالة رهبری نسل جوان) [أي كتاب: المقالات العشرة، مقالة زعامة جيل الشباب].

القول الثاني سأذكره نقلاً عن مُنظمة «فدائيان إسلام» أتباع المرحوم السيد «مجتبي مير لوجي» (أي نواب

من جملة المشكلات والانحرافات الدينية التي ابتلي بها شعبنا وجرّتنا إلى ورطة الشرك مسألة التوسل وطلب الشفاعة، وبدلاً من أن يقوم علماءنا بإرشاد الناس إلى الصواب في هذا الأمر ونهيمهم عن مثل هذه الانحرافات، نجدهم يُشجّعون الناس عليها، كي يبقى سوق الخرافات رائجاً ورزقهم منه مزدهراً!

إذا تدبّر شخص آيات القرآن الكريم دون تعصب وأحكام مُسبقة، سوف يرى أن جزءاً مُهمّاً من آيات القرآن يتعلّق برّد الشرك في العبادة. إن كتاب الله يؤكّد في موضوع «التوحيد» على جانب «توحيد العبادة» أكثر من أيّ شيء آخر^(١). فيما يلي سنذكر بعض الأمور الضرورية لتوعية الناس حول مسألة «توحيد العبادة»:

أ) قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي

صفوي)، الذين كنت قريباً منهم جداً في أيام شبابي. قالوا في كتاب «راهنماى حقايق» [أي المرشد إلى الحقائق] مُحاطين المشايخ ذوي الألقاب الكبيرة الذي يبدون أنهم شخصيات عظيمة الفضل في نظر العامة: "إنك بذلت من الجهود للوصول إلى المنصب والرئاسة ما لم تبذل واحداً على الألف منه في كل عمرك لحفظ الإسلام. أقسم بالله أنك لو شعرت بأي خطر على منصبك ومقامك الديني ستكون مستعداً للقيام بكل تكفير أو تفسيق، حتى لو أدى ذلك إلى الإضرار ببنیان الإسلام المقدّس، فلا يهيك أن يتم حرق وإبادة حصيلة مصائب الأنبياء ومحمد وآل محمد ونتيجة الدم المقدّس لحضرة سيد الشهداء عليه السلام فلذّة كبد النبي ﷺ طالما لم تشعر أن في ذلك خطراً على شخصيتك ومقامك!!". (وعلى من يريد التفصيل أن يرجع إلى الكتاب المذكور).

وكتب الأستاذ «مرتضى المطهري» حول طريقة عيش عدد من الشيوخ يقول: "إن شيوخ الشيعة مضطرون إلى مراعاة ذوق عوام الناس وعقيدتهم، وأن يُحافظوا على حُسن ظن الناس بهم. وأغلب مفساد علماء الدين الشيعة منشؤها هذا الأمر بالذات إن مما يبعث على الأسف الشديد هو أن الناس يرون بأم أعينهم أولاد بعض مراجع التقليد الكبار وأحفادهم ومن يلوذ بهم من حواشيهم، يتصرفون بأموال المرجعية بلا نظم ولا حساب ويحتلسون من أموال علماء الدين ويصرفونها بكل إسراف خلال سنين مديدة ولا ينتهي هذا الأمر الخ". فاعتبروا يا أولي الأبصار. (يُمكن لمن أراد التفصيل أن يرجع إلى كتاب «ده گفتار» أي المقالات العشرة، مقالة المشكلة الأساسية في مؤسسة علماء الدين).

(١) من المفيد الرجوع في هذا الموضوع إلى تفسير «تابشي از قرآن» أي شعاع من القرآن.

سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ [غافر: ٦٠].

قال الطَّبْرَسِيُّ في «مجمع البيان»: "وفي الآية دلالة على عظم قدر الدعاء عند الله تعالى وعلى فضل الانقطاع إليه". بناءً على ذلك فإن الدعاء عبادة^(١)، والذي يتكبر عن التضرع إلى الله ودعائه يستحق دخول النار، وبما أن المسلم أمر بآية: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ﴿١١﴾ [الكهف: ١١٠]، فقد حرّم عليه أن يدعو غير الله. (فتأمل جداً).

قال تعالى في الآية ٦٠ من سورة غافر ادعوني أنا ولم يقل ادعوا أنبيائي وأوليائي، وأتى بجملةٍ شبه شرطية (=جواب الطلب) ليدل على أن تحقق مفاد الجملة التالية (جواب الطلب) مشروط ومنوط بتحقق جملة الطلب، أي أن شرط استجابة الدعاء، دعاء الله^(٢). بناءً على ذلك، فمن يدعو غير الله لا يكون قد عمل بمفاد الجملة الأولى (جملة الطلب) ومَنْ ثَمَّ فلن يتحقق في حقه مفاد جملة جواب الطلب، هذا فضلاً عن أن في دعائه غير الله مخالفة صريحة لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ﴿١٨﴾... قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ [الجن: ١٨، ٢٠].

يقول أمير المؤمنين علي (ع) عن القرآن الكريم: "يَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ"^(٣). انطلاقاً من هذا الإرشاد القيم جداً للإمام عليّ (ع)، وبمقارنة بعض آيات القرآن مع

(١) ورد في الأحاديث أن «الدعاء مع العبادة». انظر ما قاله الطَّبْرَسِيُّ، في «مجمع البيان» ذيل الآية ٦٠ من سورة غافر، إذ نقل أحاديث نذكرها فيما يلي: قال النبيّ (ص): «الدعاء هو العبادة». وقال الإمام الباقر (ع): «أفضل العبادة الدعاء». وقال الإمام الصادق (ع) عن الدعاء: «هي العبادة الكبرى».

(٢) نتعجب من المشايخ الذين كلما رأوا حديثاً أو أثراً ليس في صالح رواج دكانهم تحاشوا ذكره إلا قليلاً! ومن جملة ذلك أنني نادراً ما رأيت أحداً يُشير خلال تفسيره للآية ٦٠ من سورة غافر إلى ما قاله الإمام السجاد (ع) في البند ١٥ من الدعاء رقم ٤٥ في الصحيفة السجادية حين قال: "وَقُلْتُ: (أَدْعُوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) فَسَمَّيْتُ دُعَاءَكَ عِبَادَةً، وَتَرَكْتُ اسْتِكْبَاراً". (وراجعوا أيضاً وسائل الشيعة، ج ٤، ص ١٠٨٣ - ١٠٨٤). أو إلى ما جاء في البند ١٣ من الدعاء رقم ٤٦ من الصحيفة السجادية الذي يقول: "حَابَ الْوَاْفِدُونَ عَلَى غَيْرِكَ، وَخَسِرَ الْمُتَعَرِّضُونَ إِلَّا لَكَ، وَصَاعَ الْمُلْمُونَ إِلَّا بِكَ".

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٣٣.

بعضها الآخر يمكننا أن ندرك بوضوح أن «الدعاء» يُعتبر في نظر القرآن من أبرز مصاديق «العبادة».

إضافةً إلى الآية ٦٠ من سورة غافر التي تكلمنا عليها أعلاه، فإن القرآن استخدم في كثير من المواضع «الدعاء» في مكان «العبادة» واعتبر دعاء غير الله شركاً، فمثلاً قال في موضع من الكتاب: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [النحل: ٢٠]، وقال في موضع آخر: ﴿أَيْتَرُكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الاعراف: ١٩١]، ويقول أيضاً: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ..﴾ [الفرقان: ٣].

وإذا قال القرآن في موضع: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ [الانعام: ٧١]، أو قال: ﴿يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿٣٧﴾﴾ [الحج: ١٢]، أو قال: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِن الظَّالِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [يونس: ١٠٦]؛ فإنه قال في موضع آخر: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ [يونس: ١٨]، أو قال: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ [الفرقان: ٥٥].

وإذا قال القرآن في موضع: ﴿ادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [اعراف: ٢٩ وغافر: ٦٥]، أو قال: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]؛ فإنه قال في موضع آخر: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الزمر: ٢]، وقال أيضاً: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾﴾ [الزمر: ١١]، وقال: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾﴾ [الزمر: ١٤]، وقال: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وإذا قال القرآن في موضع: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن: ١٨]؛ فقد قال في موضع آخر: ﴿أَمَرَ آلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠].

وإذا قال في موضع: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [الجن: ٢٠]، فإنه قال في موضع آخر: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال أيضاً: ﴿يَعْبُدُونِي لَا

يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا» [النور: ٥٥].

وإذا قال في موضع: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣]، فإنه قال في موضع آخر: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا﴾ [النحل: ٧٣]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ [العنكبوت: ١٧].

بناءً على ذلك، فيجب على المسلم أن يدعو الله وحده^(١)، ولا يدعو غيره^(٢).

ومما يؤسف له بل يُثير العجب والدهشة أن أهل زماننا يدعون غير الله بحججٍ وتبريرات مختلفة ويتوسلون إلى غير الله! وعلماء الدين ساكتون بل يُشجّعون الناس على ذلك!!

ب) وقال الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [٥٦] أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الاسراء: ٥٦، ٥٧].

ذمَّ الله تعالى في هذه الآيات الذين يدعون الشخصيات العظيمة والمقرّبة من الله طلباً لكشف الضّر عنهم أو تبديله^(٣). يقول تعالى إن هؤلاء لا يملكون دفع الضّر عنكم أو تغيير أوضاعكم

(١) المقصود هو ذلك النوع من الدعاء الذي يستلزم افتراض صفات إلهية للمدعو.

(٢) كما جاء في «مفاتيح الجنان» (في فضيلة وأعمال شهر رمضان المبارك، دعاء أبي حمزة الثمالي) أن حضرة السجاد (ع) قال: "وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا أَدْعُو غَيْرَهُ وَلَوْ دَعَوْتُ غَيْرَهُ لَمْ يَسْتَجِبْ لِي دُعَائِي".

وروي أيضاً في «الصحيفة السجادية» أنه دعا قائلاً: "لَا يَشْرِكُكَ أَحَدٌ فِي رَجَائِي، وَلَا يَتَّقُ أَحَدٌ مَعَكَ فِي دُعَائِي". (وكان من دعائه عليه السلام متفزعاً إلى الله عز وجل). وقال أيضاً: "فَلَا أَدْعُو سِوَاكَ، وَلَا أَرْجُو غَيْرَكَ". (دعاؤه في التضرع).

وروي عن عليّ (ع) أنه قال في دعائه: "وَرَبِّي الْوَاحِدُ الْأَحَدُ لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا أَدْعُو مَعَهُ إِلَّا آخَرَ". (الصحيفة العلوية، دعاؤه في اليوم الرابع والعشرين من الشهر).

وقال الإمام الصادق (ع) أيضاً: "لَا يَكُونُ الْعَبْدُ مُشْرِكًا حَتَّىٰ يُصَلِّيَ لِغَيْرِ اللَّهِ أَوْ يَدْبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ أَوْ يَدْعُو لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ". (خصال الصدوق، الحديث ٣٤١).

(٣) جاء في حاشية كتاب «مفاتيح الجنان» ذاته (وفيها كتاب «الباقيات الصالحات» للشيخ عباس القمّي ذاته، في قسم «أدعية العافية» نقلاً عن كتاب «عدة الداعي») عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: "اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَيَّرْتَ

وتبديلها، وهذا الأمر ليس من مسؤوليتهم. بل أولئك المُقَرَّبُونَ -الذين تدعوهم- هم أنفسهم يبحثون عن وسيلة يستجلبون بها رحمة الله لهم وتتقدهم من عذابه، ومن الواضح أن مثل أولئك الأشخاص الذين يرجون رحمة ربهم ويخافون عذابه ليسوا بأي وجه من الوجوه كائنات لا روح فيها كالأصنام والتمائيل، بل هم عباد عظماء صالحون مُقَرَّبُونَ من الله، ومع ذلك قال تعالى إن مثل أولئك الأشخاص لا يجوز دعاؤهم ولا فائدة من دعائهم. ولكن مع الأسف فإن الناس لا يلتفتون إلى هذه الحقيقة ولا زالوا يدعون أئمة الدين الذين غادروا هذه الدنيا منذ أكثر من ألف عام وانتقلوا إلى عالم آخر بحُجج مُختلفة، أو تعصباً ولجاً ويعتبرونهم «باب الحوائج»!!

بالطبع يقول المتعصبون: لما كان الأنبياء والأئمة مُقَرَّبِينَ من الله فإن دعاءهم جائز.

لكن الله تعالى اعتبر -كما لاحظنا في الآيتين ٥٦ و ٥٧ من سورة الإسراء- أن المُقَرَّبِينَ منه عبادة لا يملكون فعل شيء، فلا يملكون دفع الضر عنكم ولا تبديل أحوالكم، بل هم أنفسهم يبحثون عن وسيلة تكون سبباً لجلب رحمة الحق ودفع العذاب الإلهي عنهم، ولم يقل إنهم يدعون الوسيلة بل قال «يبتغون الوسيلة» أي يبحثون عنها ويطلبون الحصول عليها (فتأمل).

أي جواب سيجيب به المسترزقون بالدين ربهم تعالى يوم القيامة بعد هذه الآيات الواضحة؟ ألا يخافون يوم القيامة؟! في رأينا إن سبب بقاء مثل هذه الأعمال الشركية بين المسلمين رغم هذه الآيات الواضحة والصريحة في القرآن، هو تعصب العلماء ولجأهم والتبريرات المخادعة التي يخلقونها وتشبثهم بأحاديث موضوعة وضعيفة.

ج) وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾... وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الاعراف: ١٩٤، ١٩٧]، وقال تعالى أيضاً: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ

أَقَامَكُمْ فَقُلْتُ: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ ﴿فِيَا مَنْ لَا يَمْلِكُ كَشْفَ ضَرْيٍ وَلَا تَحْوِيلَهُ عَنِّي أَحَدٌ غَيْرُهُ... الخ﴾. وكذلك نقرأ في البند ٩٠ من دعاء الجوشن الكبير: "يَا مَنْ لَا يَضْرِفُ السُّوءَ إِلَّا هُوَ".

يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِثْلَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٤٠﴾ [الروم: ٤٠]، وقال سبحانه: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤١﴾... وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٤٣﴾... وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَّا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٤﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [النحل: ١٧، ٢٠، ٢١، ٧٣، ٧٤].

وقال سبحانه: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَن عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١١﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿١٢﴾ أَمْ أَتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿١٣﴾... أَمْ أَتَّخَذُوا مِن دُونِهِ إِلَهًا قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّن مَّعِيَ وَذِكْرٌ مِّن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿١٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿١٥﴾﴾ [الانبيا: ١٩-٢١، ٢٤-٢٥]

في هذه الآيات يُبيِّن الله تعالى لنا أنه هو وحده مالك رقاب جميع الكائنات التي في الأرض أو السماوات - أعم من الملائكة والأنبياء وسائر المقرَّبين - وأنه المُتصرِّف بهم وأنهم جميعاً يعبدون الله ليل نهار، فإن كنتم صادقين في حُبِّكم لهم واتباعكم لهم فعليكم أن تعبدوا الله وحده كما هم يفعلون، أي أن تجعلوا الله معبودكم، لا أولئك الأشخاص. وكما جاء في «تفسير نمونه»^(١) فإن الآية ٢١ من سورة الأنبياء تُشير في الحقيقة إلى أن المعبود يجب أن يكون هو الخالق، خاصة خالق الحياة التي تُشكِّل أوضح مظاهر الخلق. ويقول مؤلف «تفسير الميزان»^(٢) ذيل تفسيره للآية ٢٤

(١) «تفسير نمونه» تفسير كامل للقرآن بالفارسية يقع في ٢٠ جزءاً، ألفه الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، أحد مراجع الشيعة الإمامية المعاصرين في قم، الذي لا يزال على قيد الحياة. وتُرجم إلى العربية باسم: «الأمثل في تفسير كتاب الله المُتزل» في ٢٠ مجلداً أيضاً. (المُترجم)

(٢) هو السيد محمد حسين الطباطبائي، من علماء الشيعة الإمامية في القرن العشرين، توفي سنة ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م. كان ذا مشرب فلسفي عرفاني، وترك عدداً من الكتب في الفلسفة وغيرها، ومن أبرز مؤلفاته تفسيره «الميزان» بالعربية في ٢٠ مجلداً، وتُرجم كله إلى الفارسية أيضاً. (المُترجم)

من سورة الأنبياء^(١) أيضاً: "إن ما في القرآن من الوحي النازل عليّ وهو «ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ»، والوحي النازل على من سبقني من الأنبياء وهو «ذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي»، في أمر عبادة الإله: يحصر الألوهية والعبادة فيه تعالى".

علاوةً على ذلك فإن الله تعالى يقول إن كان عملكم صحيحاً في تقديمكم صنوف العبادات لغير الله، فأثّوا ببرهان على صحة عملكم هذا، وبيّنوا أن الله وشريعته الإلهية أمراً بذلك. في الواقع إن شريعة هذا النبي والأنبياء السابقين لم تُجْزِ تقديم أي صنف من صنوف العبادة إلى أحد سوى الخالق، بل إننا أوحينا إلى جميع الأنبياء أن لا معبود بحق سوى الله، لذلك يجب أن يُعبد الله وحده فقط لا غير ولا يجوز أن نضع على حساب دين الله تلك الأعمال العبادية التي يُقدمها اليهود والنصارى لأئمة الدين وعظماؤه أو يُؤدّيها المسلمون الخرافيون أيضاً لعظماء دينهم.

(د) قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلْمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [النحل: ٨٦، ٨٧]، وقال أيضاً: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ ﴿٣٠﴾ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلِينَ ﴿٣١﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٢٨ - ٣٠].

تدل الآيات المذكورة أعلاه أن العابد والمعبود والداعي والمدعو والمُشرك والذين اتُّخذوا شركاء لله، كلهم سيُحضرون أمام الله يوم القيامة. وفي المحكمة الإلهية في ذلك اليوم سيقول المعبودون لعابديهم والمدعوون لمن كانوا يدعونهم: إنكم لم تكونوا تدعوننا أو تعبدوننا كما تظنون بل كنتم تدعون وتعبدون معبودات غير واقعية وهمية ومُتخيّلة، لأن العابد والمعبود كلاهما مخلوقان لله ومحتاجان إليه بنفس الدرجة، لكن العابد كان يتصور أن لمعبوده صفات إلهية، ومن ثمّ فإنه كان في الواقع يعبد معبوداً لا وجود له في عالم الواقع. ولهذا فسيقول المدعوون والمعبودون يوم القيامة لمن كانوا يدعونهم ويعبدونهم: لقد أخطأتم واشتبّه عليكم الأمر، إذ لم

(١) أي قوله تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي﴾ [الأنبياء: ٢٤] (المُترجم)

نكن نحن تلك المعبودات الخيالية الوهمية التي تصورتها ولم نكن أبداً نمتلك تلك الصفات التي تخيلتموها لنا.

بناءً على ذلك فإن الذين يدعون الأئمة أو ذراريهم من الصالحين ويُقدِّمون لهم صنوف العبادة من نذر وطواف وخضوع وتذلل مُتخيِّلين أنهم أمام إمام حاضر وناظر وقاضٍ للحاجات؛ قد صنعوا في ذهنهم كائناً خيالياً. في حين أن الإمام الحقيقي (أو سائر المعبودات) سيقولون لهم يوم القيامة: لم نكن نحن كما ظننتم وإنما بريئون من عملكم ونشهدُ الله أننا لم نكن نعلم بعبادتكم لنا.

فإن قال شخص: إن المراد في الآية الأصنام التي لا حسَّ لها، نقول له: أولاً: لم تأت في الآية كلمة «أصنام». ثانياً: كيف للأصنام الفاقدة للحس والشعور أن تتكلم يوم القيامة؟ بل الحقيقة أن معبودات المشركين لم تكن منحصرة بالأصنام. ثالثاً: لم يكن المشركون يُعظِّمون «الأصنام» ويتذللون أمامها على نحو الاستقلال بل كانوا يعتبرون «الصنم» تمثالاً ومُذَكِّراً بالشخصيات العظيمة من الرجال الصالحين أو الملائكة، ولذلك فيوم القيامة يتكلم أولئك الصالحون والملائكة لا الأخشاب والأحجار، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَصْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعَابَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿٨﴾ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِم مِّنكُمْ نُدْفَعُهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتَصِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿١١﴾﴾ [الفرقان: ١٧ - ٢٠].

ومن جملة الآيات التي يتمسكون بها كي يجعلوا العوام يظنون أن نواهي القرآن عن دعاء غير الله تختص بالأصنام فقط، الآية ٩٨ من سورة الأنبياء^(١). وهذه المناسبة أتذكر أنه في إحدى جلسات تفسير القرآن التي كنت أعقدها في منزلي، حضر مرةً عالمٌ ديني (شيخ) شابٌ لا أدري هل كان حضوره بهدف تخريب الجلسة أم كان باحثاً عن الحقيقة فعلاً. وفي وسط الجلسة نهض

(١) أي قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الأنبياء: ٩٨].
(المُتَرَجِّمُ)

وقال بصوت عالٍ اعتراضاً على كلامي: إن استنادك إلى الآيات التي نهى الله فيها عن دعاء غير الله وادِّعائك أن هذه الآيات تنهى عن دعاء الأنبياء والأئمة، غير صحيح لأن الآيات كانت تُخاطب مشركي مكة الذين كانوا وثنيين يعبدون الأصنام فبأيِّ دليل جعلت هذه الآيات تشمل غير الأصنام؟ ثم إن القرآن يقول: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الانباء: ٩٨] فهل تعتقد أن حضرة عيسى ومريم والأئمة والصالحين أيضاً سيدخلون جهنم وسيُعذبهم الله؟

فقلت له: سبحان الله! إنك تعترض على كلامي بمثل ما اعترض المشركون لأن أحد المشركين قد أشكل على النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ ﷺ هذا الإشكال ذاته! (١)

ثانياً: ليس استنادنا مقصوراً على تلك الآية فقط، بل إن آيات عديدة في القرآن إضافة إلى الحقائق التاريخية كلها تؤيد كلامنا في أن نهى الله عن دعاء غيره يشمل دعاء غير الأصنام أيضاً. ثالثاً: ثم لماذا لم تقرأ الآية التي بعدها التي استخدم القرآن فيها كلمة «هُؤُلَاءِ» واستعمل صيغة الجمع المُذَكَّرَ «وَرَدُّوْا» الخاص بالعقلاء.

رابعاً: إن الآية التي جاءت بعد آيتين من الآية التي ذكرتها (الآية ١٠١) أزالته إشكالك. ألم تقرأ تفاسير الشيعة لهذه الآيات!؟

وللأسف انجرت الجلسة في ذلك اليوم إلى جدل وتشنج ولغط بين أصدقاء ذلك الشيخ الشاب وبين أصدقائنا ولم يُؤدَّ ذلك إلى نتيجة مفيدة، لكن من المناسب هنا أن أُبين معنى الآية المذكورة وأذكر بعض التوضيحات بشأنها:

يقول تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ ءَالِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾... إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [الانباء: ٩٨ و ٩٩ و ١٠١].

قال أغلب المُفسِّرين، ومن جملتهم الشيخ الطوسي والشيخ الطبرسي ذيل الآية ١٠١ من

(١) للاطلاع على هذا الإشكال الذي استشكله المشرك «ابن الزبيري» راجعوا ما سنذكره بعد صفحتين.

سورة الأنبياء: إن المقصود من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ [الأنبياء: ١٠١] حضرة عيسى وعزير ومريم والملائكة الذين عبدتهم الناس خلافاً لإرادتهم ودون أن يرضوا بذلك، وهذه الآية استثنت هؤلاء من مفاد الآية ٩٨.

قال الشيخ الطوسي: "وقال قوم: المراد بقوله ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنبياء: ٩٨] الشياطين الذين دعواهم إلى عبادة غير الله، فأطاعوهم، فكأنهم عبدوهم، كما قال: ﴿يَتَأْتِي لَأُتَعَبِدَ الشَّيْطَانَ﴾ [مريم: ٤٤] أي لا تطعه"^(١).
وقال العلامة الطباطبائي في تفسير «الميزان»:

"والمراد بقوله: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنبياء: ٩٨] ولم يقل: ومن تعبدون - مع تعبيره تعالى عن الأصنام في أغلب كلامه بألفاظ تختص بأولي العقل كما في قوله بَعْدُ: ﴿مَا وَرَدُوهَا﴾ [الأنبياء: ٩٩] - الأصنام والتماثيل التي كانوا يعبدونها دون المعبودين من الأنبياء والصلحاء والملائكة كما قيل، ويدل على ذلك قوله بَعْدُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]. والظاهر أن هذه الآيات من خطابات يوم القيامة للكفار وفيها القضاء بدخولهم في النار وخلودهم فيها لا أنها إخبار في الدنيا بما سيجري عليهم في الآخرة واستدلال على بطلان عبادة الأصنام واتخاذهم آلهة من دون الله".

وقال في تفسير الآيتين ٢٢ و ٢٣ من سورة الصافات^(٢) بعد أن اعتبر الآيتين مشابهيين للآية ٩٨ من سورة الأنبياء: "و يمكن أن يكون المراد بلفظة "ما" ما يعم أولي العقل من المعبودين كالفرعنة والنمارة، وأما الملائكة المعبودون والمسيح (عليه السلام) فيخرجهم من العموم قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]".

(١) الشيخ الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، الطبعة الحجرية، ج ٢، ص ٢٩٥.

(٢) أي قوله تعالى: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [الصافات: ٢٢، ٢٣]. (المُتَرَجِّمُ)

وجاء في «تفسير نمونه» ذيل الآية ١٠١ من سورة الأنبياء:

"وبالرغم من أنّ ظاهر الجملة يشمل كلّ المؤمنين الحقيقيين، إلا أنّ البعض احتمل أن تكون إشارة إلى من عبّد من دون الله كالمسيح ومريم (عليهما السلام)، الذين عبّدوا دون إرادتهم، ولما كانت الآيات السابقة تقول: ستكونون أنتم وآهتكم في جهنّم، وكان من الممكن أن يشمل هذا التعبير أمثال المسيح (عليه السلام)، فإنّ القرآن يبيّن هذه الجملة كاستثناء بأنّ هذه الفئة سوف لا تردّ للجحيم أبداً.

وذكر بعض المُفسّرين سبباً لنزول هذه الآية، وهو يوحى بأنّ البعض قد سأل الرسول الأعظم ﷺ نفس هذا السؤال، فنزلت الآية تجيبهم".

وشأن النزول الذي أشار إليه «تفسير نمونه» هو ما ورد في تفسير السيد «غازر»^(١) الذي قال: "كان سبب نزول هذه الآية أن رسول الله ﷺ ورد يوماً المسجد الحرام فرأى صنائيد قريش الذين وضعوا في الحطيم ٣٦٠ صنماً وكانوا يسجدون لها. جلس رسول الله ﷺ قريباً منهم وأخذ بمُحاورتهم. فكلم النضر بن الحارث رسول الله ﷺ فأفحمه النبي ﷺ وألزمه الحجّة. فتلا عليهم رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] فضاق الأمر عليهم وقاموا. فرأوا عبد الله بن الزبّعريّ فقالوا: لقد قال محمّد اليوم كيت وكيت، وقد أحزننا ذلك. فقال: لو كنتُ حاضرّاً لأفحمتُهُ وخصمته، فذهبوا وأحضروا رسول الله ﷺ. فقال له ابنُ الزبّعريّ: يا محمد! أنت تقول: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ...﴾؟ قال: أجل. فقال: هذه الآية عليك. فقال النبيّ: لماذا؟ فقال: لأنها تشمل العُزير الذي عبده اليهود وعيسى الذي عبده النصارى والملائكة التي عبدها بنو مليح من العرب. فقال رسول الله ﷺ: إن معبوداتهم هي الشياطين التي دعّتهم إلى

(١) السيد غازر هو حسب رأي فريق من المحققين: السيد الشيخ أبو المحاسن بن الحسن الجرجاني، من علماء الإمامية ومتكلميهم في القرن التاسع أو العاشر الهجري، ومؤلف نصف تفسير: «جلاء الأذهان وجلاء الأحران» بالفارسية. (المُترجم)

عبادة أولئك الذين ذكرتهم^(١)، ولم يكن أولئك المعبودون راضون بذلك^(٢). فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ [الأنبياء: ١٠١]^(٣).

لقد أوضح المفسرون أن حرف «ما» الذي جاء في مثل هذه الآيات أو في آيات مثل قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَدَّلَهَا ۝﴾ [الشمس: ٥] أو حرف «ما» في سورة الكافرون، معناها «الشيء». وكلمة «الشيء» إذا كانت تُفيد العموم فإن اعتراض أمثال «ابن الزبُعْرِيِّ» والمُغْرَضِينَ من أمثاله ليس له محل، لأن الآيات ذات العلاقة (أي الآية ١٧ من سورة الفرقان، والآية ٩٨ من سورة الأنبياء، والآيتان ٢٣ و ٢٤ من سورة الصافات) حُصِّصَتْ بالدلائل العقلية والنقلية المُستقلة فخرج من عمومها الملائكةُ والأنبياءُ والصالحون الذين عُبدوا خلافاً لإرادتهم ودون رضاهم، فوعدهم الله الحُسنى. بناءً على ذلك فلا وجه لاعتراض أمثال «ابن الزبُعْرِيِّ».

فإن قيل استناداً إلى سبب نزول الآية: كيف يُمكن أن يقول النبي ﷺ إن المقصود من الآية هم «الشياطين»، مع أن الشياطين هم من زمرة ذوي العقول، وحرف «ما» لا يشمل العقلاء؟ فنقول: إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الأصنام والتماثيل بحد ذاتها كانت محترمة أيضاً بسبب انتسابها إلى الأنبياء والصالحين والملائكة و..... لذلك كان استخدام حرف «ما» للإشارة إلى الأصنام مناسباً أكثر، ولكن يجب أن نتنبه إلى أنه قد تمَّ استخدام كلمة «هؤلاء» وفعل الجمع «وردوا» وهذه الألفاظ مناسبة أكثر للشياطين ومن يحملون صفات الشياطين من أمثال فرعون ونمرود، ولهذا السبب أيضاً فُسِّرَت كلمة «هؤلاء» في الآية ٩٩ من سورة الأنبياء، في تفسير «مجمع البيان»،

(١) كما تدل على هذه الحقيقة: الآية ٤١ من سورة سبأ [أي قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحٰنَكَ أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ ۗ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْحَيْنَ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ۝﴾].

(٢) كما تُشير الآية ١٨ من سورة الفرقان إلى هذا الموضوع. [وهي قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحٰنَكَ مَا كَانَ يُنْبِئُ لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعَٰبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ۝﴾].

(٣) جلاء الأذهان وجلاء الأحزان، [تفسير كامل بالفارسية في ١١ جزءاً]، أبو المحاسن الحسين بن الحسن الجرجاني، باهتمام مير جلال الدين الحسيني الأرموي، ج ٦، ص ١٦٣-١٦٤.

على ضوء ما ذكر أعلاه نأتي الآن إلى توضيح الآية موضع البحث ونظائرها:

لو تدبرنا القرآن وتأملناه دون تعصب وأحكام مسبقة لرأينا أن هذا الموضوع قد تمّ توضيحه بشكل كافٍ في كتاب الله. ولا مكان لمثل هذه المغالطات وأن الخرافيين لا قصد لهم من هذه الإشكالات سوى خداع العوام وربما خداع أنفسهم أيضاً.

من الواضح تماماً أن أهم عوامل التفرق في الأديان والانحراف عن دين الله وأكثرها شيوعاً هو عبادة الشخصيات التي تحدث أحياناً بشكل مباشر تجاه شخصيات مُعيّنة أو تحدث أحياناً بشكل غير مباشر بتعظيم المقابر وتقديسها أو تعظيم مظاهرها وتمثيلها وتعظيم الأشياء المتعلقة بها وتقديسها. ولكننا نعلم - كما لاحظنا فيما ذكرناه أعلاه - أنه سيتم يوم القيامة إحضار العابدين والمعبودات التي عبدوها من دون الله، والداعين والمدعوين سوى الله. وستكون المعبودات والمدعوون يوم القيامة على قسمين:

الأول: الذين عبّدوا دون رضا منهم، ولما علموا يوم القيامة بأن هناك من عبدتهم تبرؤوا من ذلك وكذبوا عابديهم (سورة يونس: ٢٨ - ٣٠، وسورة النحل: ٨٦ - ٨٧، وسورة الفرقان: ١٧ - ١٩).

الثاني: المطاعون من أئمة الضلالة ومن السادة المتكبرين والطواغيت الذين لم يكونوا يعترضون على عبادة الناس لهم واستسلامهم لهم. وهؤلاء يُقرّون بضلالهم يوم القيامة^(٢) (الصفات: ٣٢) ويُعذّبون مع أتباعهم الذين قلّدوهم وأطاعوهم. (سورة الأعراف: ٣٨ - ٣٩، وسورة القصص: ٦٢ - ٦٤، وسورة الأحزاب: ٦٧، وسورة الصفات: ٢٢ - ٣٤).

(١) راجعوا على سبيل المثال تفسير «مقننات الدرر» للسيد الحائري الطهراني، دار الكتب الإسلامية، (طهران)، ج ٧، ١٩٨، ١٩٩.

(٢) من الواضح تماماً أن الأشخاص من أمثال: العزيز وعيسى ومريم عليهم السلام الذين عبّدوا، ليسوا ممن يعتبرون أنفسهم ضالين يوم القيامة، بل هم يتبرؤون ممن عبدتهم ودعاهم ويكذبون من فعل ذلك ويعترضون على فعله. وسنوضح هذه النقطة بتفصيل أكبر لاحقاً في الكتاب الحالي.

وبالطبع فإن مظاهر وتماثيل كلا الفريقين ستكون حطباً لجهنم. والمقصود من رمي التماثيل والأصنام الفاقدة للحس والشعور في جهنم، كما قال المُفسِّرون، -ومن جملتهم الطبرسي في «مجمع البيان» ومؤلفي «تفسير نمونه» - تشديد الحسرة والحزن على المشركين وتوبيخهم عندما يرون أنهم يحترقون بالسنة لهب النار التي تتصاعد من أصنامهم وتماثيل معبوداتهم.

هـ) قال تعالى: ﴿...وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلَ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾... قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يِعُدُّوهُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٣، ١٤، ١٥].

وقال تعالى أيضاً: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنَادِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴿١٧﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الاحقاف: ٤-٦].

وصرح الله تعالى قائلاً: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهيرٍ ﴿١٩﴾﴾ [سبا: ٢٢]. وقال كذلك: ﴿يَنَادِيهَا النَّاسُ ضَرْبٍ مِثْلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْعًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٢٠﴾﴾ [الحج: ٧٣].

أيها القارئ الكريم! تدبر هذه الآيات المذكورة وتأملها جيداً. المقصود من عبارة « من دُونِ اللَّهِ » في هذه الآيات، كما هو ظاهر، ما سوى الله أو ما هو أدنى من الله، إذاً لا تجوز عبادة أيِّ كائن ليس في الوحي دليل صحيح على وجوب عبادته سواءً كان نبياً أم إماماً أم مُقرباً لأنَّ كُلَّ

هؤلاء ينطبق عليهم أنهم: ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الاعراف: ١٩٤]^(١). فاستناداً إلى الآيات التي ذكرناها لا يجوز أن نُخدع بقول من يقول: إن الأنبياء والأئمة والصالحين، نتيجة لطاعتهم وعباداتهم الكثيرة، يبقون على صلة بالدنيا بعد موتهم ويمكنهم أن يصنعوا الكرامات وكيث وكيث، وأنهم، باختصار، مُطَّلَعُونَ على من يُناديهم، ويستعين بهم!!

ويجب أن نقول في الردِّ على مثل هذا الادِّعاء: أولاً: ليس على ادِّعائكم هذا أيُّ دليل أو سند من القرآن. ثانياً: كيف ستُجيبون الله يوم القيامة الذي قال لكم لا تدعوا غير الله، وقال إن كل من دعوتوه غير الله فهو عبد مخلوق مثلكم ولا يستطيع خلق شيء. أي أن كل من كان مخلوقاً ولم يكن خالقاً ولم يكن بيده خلق العباد ورزقهم وإحياءهم وإماتتهم، لا يجوز دعاؤه. وقال كذلك إن الذين تدعونهم أمواتٌ غير أحياء ولا يعلمون أيان يُبعثون.

و) وقال تعالى أيضاً: ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ إِلهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَتُؤَلَاءِ قَوْمَنَا أَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ ءِلهَةً لَّوَلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾ [الكهف: ١٤، ١٥]. وقال كذلك: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٢١﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلهًا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلهًا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلهًا إِيهَ ذَلِكَ الَّذِينَ أَلْفَيْمٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف: ٣٩، ٤٠].

في هذه الآيات تصريح بأن دعاء غير الله - والمقصود بالطبع هو الدعاء الذي يستلزم فرض صفات إلهية للمدعو^(٢) - لا بُدَّ أن يستند إلى دليل من الشرع. ولم يُنزل الله دليلاً على جواز هذا العمل أصلاً. وبما أن الله تعالى أمر أن لا نعبد إلا إياه، وقال لنا في الوقت ذاته إن الدعاء عبادة -

(١) خاصة أنهم قد رحلوا عن الدنيا ولم يعد لهم آذانٌ يسمعون بها أصوات هذا العالم، ولذا فإن دعاءهم ونداءهم لغو محض.

(٢) روى الشيخ الحر العاملي رواية جاء فيها أن الإمام قال: "مَا جَاءَكُمْ عَنَّا مِمَّا لَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ فِي الْمَخْلُوقِينَ فَاجْحَدُوهُ وَلَا تَرُدُّوهُ إِلَيْنَا" («إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات»، ج ٧، ص ٤٦٨). أقول (المُتَرَجِّمُ): ورواه المجلسي في بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٣٦٤.

كما مرَّ معنا في البند أ-، فالنتيجة هي أنه تعالى أمرنا أن لا ندعو إلا إياه، وَمِنْ ثَمَّ فَلَا بُدَّ أَنْ نَجْتَنِبَ تماماً وبشدة دعاء غيره سبحانه وتعالى.

في الآيات الأخيرة قال يوسف عليه السلام إن معبوداتكم التي تلجؤون إليها وتعتبرونها باب حوائجكم، مخلوقةٌ كُلُّها، وَمِنْ ثَمَّ فَهِيَ لا تستحق العبادَة، ولكنكم تدعونها كألهة ومعبودات وتعبدها. لقد وضع آباؤكم وأجدادكم تلك الألقاب والعناوين للأوثان واتبعتهم في ذلك تقليداً منكم لهم؛ في حين أنه لا دليل على ذلك في كتاب الله. إن الله الرحيم لا يقبل أن يخضع عبده أمام مخلوق مهما كان ذا مقام عالٍ ويتذلّل له ويخضع أمامه خضوعاً تاماً. (فَتَأْمَلْ جِداً)

إذاً، لقد ذمَّ القرآن الكريم في الآيات المذكورة الذين يعبدون غير الله استناداً إلى ظنونهم ودون حُجَّةٍ من الله وبيّن أن دعاء غير الله بمنزلة عبادة غير الله، وحكمه حكمها، ودعاء غير الله والاستمداد من غير الله - ذلك الدعاء والاستمداد اللذّين يستلزمان فرض صفات إلهية للمدعو - هو بمثابة إضفاء صفات إلهية على غير الله!!

والمسألة المهمّة الأخرى التي يخدع المشايخ بها العوام في الغالب، هي ما ذكرناه سابقاً من أنهم يسعون إلى حصر النهي في الآيات المذكورة أعلاه بـ«الأصنام»، ولكننا أوضحنا أن المقصود من عبارة «دون الله» العقلاء والشخصيات العظيمة الصالحة والمُقرَّبون من الله الذين يُحبُّهم الناس ويتوجَّهون إليهم، بدليل أنه قد أُشير إليهم في كثير من الآيات بالاسم الموصول «مَنْ» الخاص بالعقلاء^(١) - لا بالخشب والحجر والمعادن - لأنه من الواضح أن المشركين الذين كانوا يدعون الأصنام كانوا يفعلون ذلك لكون تلك الأصنام تماثيل ومظاهر تُذكّرهم بالعظماء والأولياء والمُقرَّبين والصالحين أو الملائكة أو....، فكانوا في الحقيقة يدعون أولئك الشخصيات لا الأخشاب والأحجار بحدّ ذاتها على نحو الاستقلال. وبناءً على تصريح القرآن فإن الذين يدعواهم المشركون كانوا أشخاصاً عارفين بالله وعابدين له وَيَسْعَوْنَ إِلَى التَّقَرُّبِ مِنَ الْحَقِّ تَعَالَى وَيَبْتَغُونَ وَسِيلَةً تُقَرِّبُهُمْ مِنَ اللَّهِ (الإسراء: ٥٧) ولا شك أن مثل أولئك الأشخاص كانوا رجالاً

(١) صرّح العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ذيل تفسيره للآية ٩٨ من سورة الأنبياء أن الله تعالى ذكّر في أغلب كلامه الأصنام بألفاظ خاصة بذوي العقول. (تفسير الميزان، ج ١٤، ص ٣٢٧).

صالحين ولم يكونوا أخشاباً وأحجاراً ومعادن. فالأصنام كانت موضع توجه واهتمام وتقديس بوصفها مرآة وآلة لتلك الشخصيات العظيمة، وحرمة الأصنام وتقديسها من قبل المشركين منشؤها في الواقع تقديس المشركين واحترامهم وتعظيمهم لتلك الشخصيات التي تمثلها الأصنام. وخلاصة الكلام، أن توجه المشركين واهتمامهم الحقيقي كان في الواقع تجاه تلك الشخصيات العظيمة كما يفعل البوذيون والهندوس الذين يُعظّمون ويكرّمون تماثيل «بوذا» أو «كريشنا» بوصفها مُشابهة لهما ومُذكّرة بهما، أي بسبب نوع من الانتساب إليهما لا أنهم يُعظّمون الأخشاب أو الأحجار التي صُنعت منها تلك الأصنام، وإلا لما كان هناك من داعٍ أن يتجشّم المشركون عناء نحت الأخشاب والأحجار وصنعها على أشكال مُحدّدة كشكل «بوذا» أو «وُدّ» أو «سُواع» أو... بل كان بإمكانهم أن يكرّموا ويُعظّموا الأخشاب والأحجار وحدها^(١).

كل من لديه اطلاع على تاريخ الجزيرة العربية يعلم أن «اللات» و«العزى» و«مناة» كانت تماثيل لملائكة (النجم: ١٩ - ٢٨)، وأنه - كما ذكر «هشام بن محمد الكلبي»^(٢) في كتابه «الأصنام» -، و«الصدوق» في كتابه «علل الشرائع» (الفقرة ٣)، والطبرسي في تفسيره «مجمع البيان» وسائر علماء التفسير ذيل الآية ٢٣ من سورة نوح^(٣): «إن «وُدّ» و «سُواع» و «يغوث» و... الخ، كانوا أفراداً صالحين وأولياءً يعبدون الله عزَّ وجلَّ فلما ماتوا اتَّبَع مُريدوهم سيرتهم

(١) وعلى النحو ذاته نجد الناس في زماننا لا يعتبرون الذهب أو الفضة أو الألمنيوم بحد ذاتها أشياء ذات قداسة أو مُحترمة أو قابلة للتبرُّك بها، لكن بمجرد أن تُستخدم تلك المعادن في بناء ضريح إمام أو عيدٍ صالحٍ من ذريته، يعتبرونها مقدَّسةً و يتبرَّكون بها -لانتسابها إلى ذلك الإمام أو أحد ذريته- فتجدهم يقبلونها، ويضعون جباههم عليها، ويمسحون أيديهم بها ثم يمسحون أيديهم برؤوسهم ووجوههم!! ويرى العلماء هذه الأفعال ولا يعترضون عليها! (فتأمل)

(٢) ابن الكلبي: هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي الكوفي الشيعي المعروف بابن الكلبي (ت ٢٠٤هـ) نسابة ومؤرخ وراويّة، ألفَ عدداً من الكتب، منها كتابه «الأصنام» الذي يُعتبر من المراجع المهمّة للتعرف على ديانة العرب زمن الجاهلة وإبان ظهور الإسلام. (المترجم)

(٣) أي قول الله عزَّ وجلَّ ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣]. (المترجم)

وُسْتَتَمُّهُمْ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَلَكِنْ بِالتَّدْرِيجِ وَمَعَ مَرُورِ الزَّمَنِ وَعَلَى إِثْرِ الْإِبْتِعَادِ عَنِ زَمَنِ الْأَنْبِيَاءِ، صَارَ النَّاسُ فِي عِبَادَاتِهِمْ يَتَوَجَّهُونَ إِلَيْهِمْ أَيْضاً، ثُمَّ وَسَّوسَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ وَوَسَّوَسَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَصْنَعُوا عَلَى صُورِهِمْ تَمَاثِيلَ بِحُجَّةٍ أَنْ هَذِهِ الصُّورُ تُذَكِّرُهُمْ بِهِمْ وَيُجَاهِدَاتِهِمْ وَتَكُونُ سَبَباً فِي حُثِّهِمْ وَتَحْرِيطِهِمْ عَلَى الْعِبَادَةِ^(١). فَكَانَ النَّاسُ يَأْتُونَ لِرُؤْيَا تِلْكَ التَّمَاثِيلِ وَيُعَظِّمُونَهَا وَيُكْرِمُونَهَا وَيَطُوفُونَ حَوْلَهَا أَوْ كَانُوا يَتَوَجَّهُونَ إِلَى قُبُورِ أَوْلِيئِكَ الْأَفْرَادِ الصَّالِحِينَ وَيُعَظِّمُونَهَا وَهَذَا ابْتِعَادُوا عَنِ التَّوْحِيدِ وَنَهَجَ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ.

اعترف أحد المتعصّين المدافعين عن الخرافات قائلاً: "لقد أثبت الباحثون المسلمون الكبار اليوم استناداً إلى دراسة كثير من الآيات والأحاديث والنصوص التاريخية وتحليلها أن شرك كثير من الوثنيين (إن لم نقل جميعهم) كان شركاً في العبادة لا شركاً في الذات. أي أنهم كانوا يؤمنون أن الله ذاتٌ واحدةٌ وأن لا خالق ولا رازق إلا هو، ولكنهم كانوا يعتبرون الأصنام والأوثان كائنات تُقَرَّبُ مِنْ اللَّهِ وَأَنْهُمْ إِنْ أَرْضَوْهَا فَإِنَّهُمْ سَيَنَالُونَ رِضَا اللَّهِ أَيْضاً بِبِرْكَةِ شَفَاعَتِهَا لَهُمْ عِنْدَهُ، وَنُصُوصُ آيَاتِ الْقُرْآنِ الَّتِي نَزَلَتْ فِي تِلْكَ الْبَيْئَةِ تَشْهَدُ بِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ.

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى

(١) "عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَنِيْسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ يُقَالُ لَهَا مَارِيَةُ فَذَكَرَتْ لَهُ مَا رَأَتْ فِيهَا مِنَ الصُّورِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَوْلَيْكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَوْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِداً وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ أَوْلَيْكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ!". الحديث رواه البخاري ومسلم في صحيحهما والنسائي وابن ماجه في سننها، وانظره في التاج الجامع للأصول، ج ١، ص ٢٤٣-٢٤٤.

وَرُوي عَنِ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ ﷺ أَيْضاً أَنَّهُ قَالَ: "قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ". (كتاب «المصنّف» للشيخ عبد الرزاق الصنعاني، ج ٥، ص ٤٣١ الحديث ٩٧٥٤. و ج ٦، ص ٥٣، الحديث ٩٩٨٧. و «من لا يحضره الفقيه» للشيخ الصدوق، ج ١، ص ١٧٨، الحديث ٥٣٢. و مسند الإمام زيد، مكتبة الحياة، ص ١٧٧. وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ج ١، باب ٣، الأحاديث ١٣ إلى ٢٩. كما رُوي الحديث المذكور في موطأ مالك و صحيح البخاري وسنن الترمذي وسنن أبي داود ومسند أحمد بن حنبل.

يُؤْفِكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ [العنكبوت: ٦١، ٦٢].

فهاتان الآيتان تدلان على أن العرب في عصر الرسالة لم يكونوا يؤمنون بخالق ولا رازق غير الله، ولكنهم رغم ذلك كانوا يعبدون ٣٦٠ صنماً ويخضعون أمامها، وسبيل الجمع بين هاتين العقيدتين لم يكن سوى أن شركهم كان شركاً في العبادة ولم يكن شركاً في الذات والربوبية..... وبعبارة أخرى كان هناك فرق في نظرهم بين «الله» و«الإله»، فكلمة «الله» اسم علم لله الواحد الفرد. في حين أن لكلمة «الإله» مفهوماً عاماً يعني المعبود، ولذلك كنا ن شاهد حول الكعبة ٣٦٠ معبوداً، وكل هذه المعبودات كانت في نظرهم «إله» ولم تكن «الله»، ولذلك أمرهم النبي أن يقولوا: لا «إله» - أي لا معبود - إلا «الله» وحده نفسه: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، فلا تعبدوا أحداً سواه. وإذا رجعتم إلى الآيات: ٢٥ من سورة لقمان، و ٣٨ من سورة الزمر، و ٨٧ من سورة الزخرف ازدادت هذه الحقيقة وضوحاً لكم. بناءً على ذلك فإن وجود كلمة «الله» بين العرب الجاهليين ليس دليلاً على أنهم كانوا مؤحدين..... إن دراسة عقائد الشرك والوثنية في ذلك العصر وتحليلها تُعطينا النتائج التالية:

١ - كان أهل الجزيرة العربية يؤمنون بالله بوصفه مبدأ الوجود وكانت كلمة «الله» شائعة جداً بينهم وكانوا يعتقدون في الغالب أن الأصنام مظاهر تستحق التقديس والعبادة وكانوا يعتبرونها «آلهة» (= معبودات) لا خالقة للكون والوجود^(١)، وكانوا يُنكرون رسالة الأنبياء ويُنكرون المعاد «أي القيامة» ولذا لم يكن نبي الإسلام ﷺ بحاجة إلى إثبات الصانع لهم وكان كفاح الإسلام مُنصباً في أغلبه على إثبات ضرورة توحيد المعبود ونفي الأصنام التي كانوا يعتبرونها شريكاً لله بصور مختلفة! وهناك آيات عديدة في القرآن تُوضِّح هذا المعنى وهو أن الناس في ذلك الزمن كانوا يؤمنون بشكل ما بالله تعالى، كآية: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ

(١) صرَّح العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسير «الميزان»، ذيل الآية ١٩ من سورة الأنبياء أن المشركين الوثنيين الذين كانوا يعتقدون أن الآلهة تُشارك الله في التدبير وفي لزوم عبادتها، ولكنهم لم يكونوا يعتبرون أحداً شريكاً لله في الملك.

السَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ [العنكبوت: ٦١].

وكانوا يُبرِّرون عبادتهم للأصنام بعدة أقوال منها:

(أ) نحن لسنا أهلاً أن نعبد الله بعظمته وعلياته بشكل مباشر ودون واسطة، فهذه الأصنام يُمكنها أن تكون الواسطة بيننا وبين الله^(١). يقول القرآن على لسان هذا الفريق من المشركين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]. و: ﴿هَتُولَاءِ شُفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]^(٢).

ولهذا السبب نرى أن الآية ٢٣ من سورة نوح لم تقل عن تلك الأصنام: «أصنامكم» بل قالت: «ألهتكم»، ذلك لأن الواقع أن الأفراد الصالحين المذكورين هم الذين كانوا موضع التجليل والتوجه ولم تكن تلك الأصنام [المنحوتة على أشكالهم] سوى مرآة وآلة للتوجه، وإلا فمن البديهي أن الأخشاب والأحجار بحد ذاتها لم تكن موضع توجه وإجلال وتعظيم^(٣). علاوة على ذلك، فقد استخدم القرآن عنوان «دون الله» وهو لفظ عام يشمل الجهاد وغير الجهاد وذو الشعور وغير ذي الشعور^(٤).

ولتوضيح المراد وبيانه، ضرب الله تعالى في الآيات التي أوردناها سابقاً من سورة الحج، مثلاً

(١) حول هذا التشبيه الذي يقول به المشركون راجعوا الفقرة هـ في هذا الفصل من الكتاب الحالي.

(٢) الشيخ جعفر السبحاني، «راز بزرگ رسالت» [أي سر الرسالة العظيم]، انتشارات مكتبة المسجد الجامع في طهران، الصفحات: ٢٣٣ و ٢٣٤ و ٢٤٣ و ٢٤٤.

(٣) روى الشيخ عباس القمي: "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ أَيْ أَنْ يَدْخُلَ الْبَيْتَ وَفِيهِ الْأَلِهَةُ فَأَمَرَ بِهَا فَأُخْرِجَتْ. فَأُخْرِجَ صُورَةُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ (ع) وَفِي أَيْدِيهِمَا الْأَزْلَامُ! فَقَالَ ﷺ: قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُمَا لَمْ يَسْتَفْسِمَا بِهَا قَطُّ". (بحار الأنوار، ج ٢١، ص ١٠٦).

(٤) لا بد أن نتبّه إلى عموم النهي القرآني. إن اعتراض القرآن على المشركين كان فحواه: لماذا تعاملون مع ما هو «من دون الله» التعامل الذي يليق بالله فقط؟! ولم يكن اعتراض القرآن أنه لماذا تشبهون بفلان (أ) وتجعلونه واسطةً بينكم وبين الله، ولا تتمسكون بفلان (ب) ليكون هو الواسطة بينكم وبين الله؟! [أقول (المُترجم)]: يعني أن الاعتراض القرآني هو على أصل اتخاذ الشفعاء والوسطاء من الأساس، لا على هوية الشفيع أو الوسيط. فتأمل].

فقال: لو اجتمع جميع المخلوقين وتعاونوا كي يخلقوا ذباباً فإنهم لن يستطيعوا فعل ذلك؛ فكيف تدعون مثل هؤلاء العاجزين وتطلبون منهم الغوث والعون؟! ومن الواضح تماماً أنه ليس المقصود من عبارة «دون الله» في الآية: الصنم الحجري والخشبي، بدليل أن القرآن استعمل في الإشارة إلى من هم «دون الله» ضمير «الذين» وضمائر الجمع الخاصة بالعقلاء (ذوي الشعور). أضف إلى ذلك أن الأنبياء والمقربين - بإجماع المسلمين - لا يستطيعون خلق ذبابة وليس لهم أي مشاركة في خلق السموات والأرض وسائر المخلوقات، بل حتى المشركون كانوا يُقَرُّون بهذا الأمر. فبِحُكْم هذه الآيات إذاً، لا يجوز دعاؤهم ونداؤهم، فمن يدعوهم ويناديهم لرفع البلاء وكشف الضّرّ منحرف عن «التوحيد» وليس موحدًا.

في الآيات (١٧ و ٢٠ و ٢١ و ٧٣ و ٧٤) من سورة النحل يقول الله تعالى لا تُساووا بين من لا يخلق ومن يخلق. لا يجوز أن تتوجهوا في طلب حوائجكم وأدعيتكم إلى من لا يخلق ولا يقدر على الخلق. والخالق تعالى يعلم سرّكم وجهركم ومن ثمّ فتعلّق أملككم بغير الخالق الذي لا يعلم شيئاً عن باطنكم ولا يعلم صدقكم من كذبكم ليس عملاً مُبرّراً ولا معقولاً. وتدُلّ الآيتان ٢٠ و ٢١ من سورة النحل^(١) أنه لا يجوز دعاء غير الخالق، الذي يموت ولا يعلم متى يُبعث، ومن المعلوم أن الأنبياء والأولياء جميعهم كانوا كذلك^(٢). بناءً على ذلك فإن دعاءهم مُخالف للتوحيد. والآية ٧٣^(٣) تشمل كل معبود غير الله سواءً كان ذا روح أم جماداً. وتشمل هذه الآية العقلاء أيضاً

(١) أي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ [النحل: ٢٠، ٢١].

(٢) أجمع المسلمون على أن الرسول الأكرم ﷺ تُوفي ورحل عن هذه الدنيا وأنه لم يكن يعلم متى تقوم الساعة كما بيّنت ذلك آيات القرآن الصريحة (الأعراف: ١٨٧)، وكما قال الإمام السجاد (ع) أيضاً: "أَيَّنَ السَّلْفُ الْمَاضُونَ وَالْأَهْلُونَ وَالْأَقْرَبُونَ وَالْأَوْلُونَ وَالْآخِرُونَ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ طَحَنَتْهُمْ وَاللَّهُ الْمَنُونُ وَتَوَالَتْ عَلَيْهِمُ السَّنُونَ وَقَدَدَتْهُمْ الْعُيُونُ وَإِنَّا إِلَيْهِمْ صَائِرُونَ فَإِنَّا لِسَلِّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ". (منتهى الآمال، الشيخ عبّاس القمّي، ج ٢، ص ٢٠ و ٢١).

(٣) أي قوله تعالى ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [النحل: ٧٣].

بدليل كلمة «لَا يَسْتَطِيعُونَ» التي لا تُستعمل في حق الجهادات التي لا تعقل.

إذاً، بناءً على صريح القرآن الذي أمر النبي أن يقول: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن: ٢١]، وأن يقول: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الاعراف: ١٨٨]، فحتى النبي ﷺ لا يجوز أن يدعى، سواءً قبل رحيله عن الدنيا أو بعد وفاته ورحيله. ومقصودنا من الدعاء بالطبع - كما قلنا مراراً - ذلك الدعاء الذي يستلزم افتراض صفات فوق بشرية للمدعو (أي للنبي ﷺ).

وتدل الآية ٧٤^(١) من سورة النحل أنه لا يجوز أن نُشبه الله المتعال بالخلق أو نضرب له الأمثال بآرائنا، لأن الله وحده لا مثيل له، فالذين شبهوا الله بالملك - كما كان يفعل مشركو صدر الإسلام - وقالوا إننا بسبب ما نحن عليه من سواد الوجه وكثرة الذنوب لا نستطيع أن نتصل بالله مباشرة، كما لا يستطيع أي فرد من الرعية أن يلتقي بالملك أو برئيس البلاد مباشرة. ولكي يجعلوا للأنبياء والأولياء تدخلاً في عمل الله، قالوا لا بُدَّ لنا من التوجُّه نحو من لهم جاهٌ ومنزلةٌ عند الله وقربٌ منه فهم يستطيعون بما لديهم من القرب والمنزلة أن يتوسطوا لنا ويشفعوا لنا كي يُحقِّقَ الملكُ لنا ما نطلبه. وبهذا القياس نجعل المُقربين من الله شُفعاءنا في قضاء الحوائج وغُفران الذنوب وأمثالها، كي يطلبوا من الله لنا قضاء حوائجنا أو غُفران ذنوبنا^(٢)، أقول: إن من قالوا بهذا التشبيه تنكَّبوا الصواب وأخطؤوا في تمثيلهم وأثبتوا جهلهم بالله، وذلك للأسباب التالية:

أولاً: قال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤] فالله تعالى هو نفسه يذكر في الموارد اللازمة، أمثلةً مناسبةً ولكنه لم يذكر مثل هذا التمثيل، أما أنتم فذكرتم هذا التمثيل المخالف لنهي القرآن من عند أنفسكم ودون أي دليلٍ أو بيِّنة شرعية! ثانياً: تشبيهكم ومثالكم غير مناسب إطلاقاً لأن الله تعالى يختلف عن الملك أو رئيس البلاد

(١) أي قوله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤].

(٢) قارنوا بين هذا القول وبين ما ذكره الشيخ جعفر السبحاني عن قول مشركي مكة في الصفحة ١٠٩ من الكتاب الحالي.

- ١- المَلِكُ ووزراؤه ومُتَرَبِّوه من جنس واحد، أما الله فليس من جنس الشفعاء.
- ٢- المَلِكُ لا علم له بقلوب الرعية ولا يعرف الصادق من الكاذب، لكن الله تعالى عليم بذات الصدور.
- ٣- المَلِكُ ليس حاضراً مع رعيته وناظراً لهم في كل مكان وزمان، بل هو بعيد عنهم، أما الله تعالى فلا يغيب العباد لحظةً عن نظره وعلمه، وهو أقرب إليهم من حبل الوريد. إضافةً إلى ذلك لو قال سلطانٌ لرعيته: راجعوني متى ما كانت لديكم حاجة وأنا دائماً بقربكم. هل يجوز أن تتجاهل رعيته هذا الأمر وتُعرض عنه، وتقول للملك: علينا أن نرجع أولاً إلى وزراءك وموظفي بلاطك؟ كلا بالطبع.
- ٤- المَلِكُ يحتاج إلى الوزراء والموظفين ولا يمكنه أن يحكم دونهم، أما الله فهو غنيٌّ عن العالمين.
- ٥- يُمكن أن يكون المَلِكُ أقلَّ رحمةً وعتواً من الوزراء والموظفين، أما الله تعالى فلا يُمكن أن يكون أحد أرحم منه لأنه ﴿أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الاعراف: ١٥١] فهو أرحم من جميع مخلوقاته وأكثر منهم عفواً وغفراناً.
- ٦- لا يستطيع المَلِكُ أن يُنجز أكثر من عمل في زمن واحد أو أن يسمع أكثر من صوت في وقت واحد، ولا أن يُجيب أكثر من شخص في آن واحد، أما الله تعالى فليس كذلك بل هو كما وصفه أمير المؤمنين علي عليه السلام: "وَإِنَّهُ لِكُلِّ مَكَانٍ وَفِي كُلِّ حِينٍ وَأَوَّانٍ وَمَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَجَانٍ" (نهج البلاغة، الخطبة ١٩٥)، "لا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ وَلَا يُغَيِّرُهُ زَمَانٌ وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ" (نهج البلاغة، الخطبة ١٧٨)^(١).

(١) وجاء في مفاتيح الجنان في دعاء الجوشن الكبير (البند ٩٩) "يَا مَنْ لَا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ يَا مَنْ لَا يَمْنَعُهُ فِعْلٌ عَنْ فِعْلٍ يَا مَنْ لَا يُلْهِمُهُ قَوْلٌ عَنْ قَوْلٍ يَا مَنْ لَا يُغْلِظُهُ سُؤَالٌ عَنْ سُؤَالٍ". كما يروي الشيخ عباس القمِّي في ص ١٥ من كليات مفاتيح الجنان (ص ٤٨ من المفاتيح المعربة) في التعقيبات العامة للصلوات اليومية دعاءً عن الصحيفة العلوية فيه: "يَا مَنْ لَا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ وَيَا مَنْ لَا يُغْلِظُهُ السَّائِلُونَ...". ونقرأ في الدعاء الخامس من أدعية الأسحار في شهر رمضان - كما جاء في كتاب «مفاتيح الجنان»، ص ١٩٧ - ١٩٨ (ص ٢٧٧ من المفاتيح المعربة): "يَا مَنْ..... لَا تَشْتَبِيهِ عَلَيْهِ الْأَصْوَاتُ وَلَا يَشْغَلُهُ شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ".

علاوة على ذلك إن كنتم تعتقدون أن النبي والإمام هم بالنسبة إلى الله مثل الموظفين والوزراء بالنسبة إلى الملك فلماذا نقرأ في «دعاء المشلول» في «مفاتيح الجنان»: "يا مَنْ..... لَمْ يَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَلَا كَانَ مَعَهُ وَزِيرٌ، وَلَا اتَّخَذَ مَعَهُ مُشِيرًا، وَلَا احتَاجَ إِلَى ظَهِيرٍ". ولماذا نقرأ في البند ٩٩ من دعاء «الجوشن الكبير»: "يا مَنْ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا وَزِيرٌ!"

للأسف إن شعبنا يظني على غير الله الصفات الخاصة بالله وحده!! فمثلاً تجد أن الذين يطوفون حول قبر الإمام أو أحد أحفاده^(١) يُحاطبون صاحب القبر جميعاً في آنٍ واحد، ولا يقول

(١) ينبغي أن نتنبه إلى أن الطواف صنف من صنوف العبادات، ولا يجوز تقديم العبادات مثل الطواف والدعاء والنذر..... إلى غير الله تعالى. ومن ثم فلا يجوز الطواف حول غير الكعبة دون دليل شرعي صحيح. (فتاوى). ومن المناسب هنا أن أذكر حديثاً رواه أحمد الطبرسي في كتابه «الاحتجاج» عن النبي الأكرم ﷺ أنه لما جاءه المشركون يُجادلونه حول أصنامهم وقالوا مُبرِّرين لعبادتهم الأصنام: إِنَّ هَذِهِ [أي الأصنام] صُورٌ أَقْوَامٍ سَلَفُوا كَانُوا مُطِيعِينَ لِئَلَّا قَبَلْنَا فَمَثَلْنَا صُورَهُمْ وَعَبَدْنَاهَا تَعْظِيمًا لِلَّهِ. وَقَالَ آخَرُونَ مِنْهُمْ: إِنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لَهُ كُنَّا نَحْنُ أَحَقُّ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَفَاتَنَا ذَلِكَ فَصَوَّرْنَا صُورَتَهُ فَسَجَدْنَا لَهُ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كَمَا تَقَرَّبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَكَمَا أَمَرْتُمْ بِالسُّجُودِ بِرِزْقِكُمْ إِلَى جِهَةِ مَكَّةَ [الكعبة] فَفَعَلْتُمْ ثُمَّ نَصَبْتُمْ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ بِأَيْدِيكُمْ مَحَارِبَ سَجَدْتُمْ إِلَيْهَا وَقَصَدْتُمْ الْكَعْبَةَ لَا مَحَارِبَ بَيْنَكُمْ وَالْكَعْبَةَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا إِلَيْهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَخْطَأْتُمُ الطَّرِيقَ وَضَلَلْتُمْ أَخْبِرُونَا عَنْكُمْ إِذَا عَبَدْتُمْ صُورَ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهُ فَسَجَدْتُمْ لَهُ وَصَلَيْتُمْ فَوَضَعْتُمُ الْوُجُوهَ الْكَرِيمَةَ عَلَى التُّرَابِ بِالسُّجُودِ لَهَا فَمَا الَّذِي أَبْقَيْتُمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ؟ أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ يَلْزَمُ تَعْظِيمُهُ وَعِبَادَتُهُ أَنْ لَا يُسَاوَى بِهِ عَبْدُهُ؟ أَرَأَيْتُمْ مَلَكًا أَوْ عَظِيمًا إِذَا سَاوَيْتُمُوهُ بِعَبِيدِهِ فِي التَّعْظِيمِ وَالْحُشُوعِ وَالخُضُوعِ أَيْكُونُ فِي ذَلِكَ وَضَعٌ مِنَ الْكَبِيرِ كَمَا يَكُونُ زِيَادَةً فِي تَعْظِيمِ الصَّغِيرِ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: أَفَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ مِنْ حَيْثُ تُعْظَمُونَ اللَّهُ بِتَعْظِيمِ صُورِ عِبَادِهِ الْمُطِيعِينَ لَهُ تَزُرُونَ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ فَسَكَتَ الْقَوْمُ بَعْدَ أَنْ قَالُوا سَنَنْظُرُ فِي أُمُورِنَا. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْفَرِيقِ الثَّالِثِ: لَقَدْ صَرَبْتُمْ لَنَا مَثَلًا وَسَبَّهْتُمُونَا بِأَنْفُسِكُمْ وَلَا سَوَاءَ وَذَلِكَ لِأَنَّ عِبَادَ اللَّهِ مَخْلُوقُونَ مَرْبُوبُونَ، نَأْتِرُ لَهُ فِيمَا أَمَرْنَا، وَنَنْزِرُ عَمَّا رَجَرْنَا، وَنَعْبُدُهُ مِنْ حَيْثُ يُرِيدُهُ مِنَّا، فَإِذَا أَمَرْنَا بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ أَطَعْنَاهُ وَلَمْ نَتَّعِدْ إِلَى غَيْرِهِ مِمَّا لَمْ يَأْمُرْنَا وَلَمْ يَأْذُنْ لَنَا، لِأَنَّ لَا نَدْرِي لَعَلَّهُ أَرَادَ مِنَّا الْأَوَّلَ وَهُوَ يَكْرَهُ الْقَائِي وَقَدْ نَهَاَنَا أَنْ نَتَّقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمَّا أَمَرْنَا أَنْ نَعْبُدَهُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى الْكَعْبَةِ أَطَعْنَا ثُمَّ أَمَرْنَا بِعِبَادَتِهِ بِالتَّوَجُّهِ نَحْوَهَا فِي سَائِرِ الْبُلْدَانِ الَّتِي نَكُونُ بِهَا فَاطَّعْنَا فَلَمْ نَخْرُجْ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ عَنِ اتِّبَاعِ أَمْرِهِ. وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَيْثُ أَمَرْنَا بِالسُّجُودِ لِآدَمَ لَمْ يَأْمُرْ بِالسُّجُودِ لِصُورَتِهِ الَّتِي هِيَ غَيْرُهُ فَلَيْسَ لَكُمْ أَنْ

أحدهم للآخر اصبر لا تتكلم حتى أنهي كلامي فأنا الآن أكلّم الإمام أو روح الإمام! أو لا يصبر أحد حتى يُنهي الآخر كلامه فيبدأ هو بعرض حاجته، بل الجميع يتكلمون في آن واحد ويُحاطبون الإمام أو صاحب القبر!! وهذا معناه أنهم يؤمنون أن صفة الله «لا يَشغَلُهُ شَأْنٌ عَنِ شَأْنٍ» ثابتة لغير الله (صاحب القبر) أيضاً!!!

والناس لدينا يدعون الإمام أو الوليَّ المُقَرَّب في كل مكان سواء كان الداعي في جوار قبر أم في جوار منزل أم في الشارع [أم فوق جبل أم في عرض البحر]، في النهار أو الليل أو مُتتصف الليل، في السفر أو الحضر وفي أيِّ حالة كانت، ويعتقدون أن دعاءهم مسموع وأن الإمام أو الوليَّ سيتوسط لهم ويشفع لهم عند الله^(١)!! وهذا بلا شك ولا ريب إضفاءً لصفات الله تعالى [وهي اللامحدودية المكانية والزمانية والحضور والمعية مع كل شيء في كل مكان وزمان] على غير الله!!!

ويُحاطب الناس لدينا الإمام الميت أو أحد أحفاده قائلين: اشف لي ابني أو حل لي مشكلتي الفلانية وقس على هذا. كأن الله أو كل إلى الأئمة فعل ذلك! مع أن الله تعالى لم يتخذ لنفسه شريكاً في أيِّ أمر من الأمور ومن جعلتها استجابة أدعية العباد واستغاثاتهم.

تَقْيِسُوا ذَلِكَ عَلَيْهِ لِأَنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ لَعَلَّهُ يَكْفُرُهُ مَا تَفْعَلُونَ إِذْ لَمْ يَأْمُرْكُمْ بِهِ. ثُمَّ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَدِنَ لَكُمْ رَجُلٌ فِي دُخُولِ دَارِهِ يَوْمًا يَعْنِيهِ أَلَّكُمْ أَنْ تَدْخُلُوهَا بَعْدَ ذَلِكَ بِغَيْرِ أَمْرِهِ أَوْ لَكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا دَارًا لَهُ أُخْرَى مِثْلَهَا بِغَيْرِ أَمْرِهِ أَوْ وَهَبَ لَكُمْ رَجُلٌ ثَوْبًا مِنْ ثِيَابِهِ أَوْ عَبْدًا مِنْ عِبِيدِهِ أَوْ دَابَّةً مِنْ دَوَابِّهِ أَلَّكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا ذَلِكَ فَإِنْ لَمْ تَأْخُذُوهُ أَحَدٌ مِنْكُمْ أَخْرَ مِثْلَهُ. قَالُوا: لَا. لِأَنَّهُ لَمْ يَأْذُنْ لَنَا فِي الثَّانِي كَمَا أَدِنَ لَنَا فِي الْأَوَّلِ. قَالَ: فَأَخْبِرُونِي اللَّهُ أَوْلَى بِأَنْ لَا يُتَقَدَّمَ عَلَى مَلِكِهِ بِغَيْرِ أَمْرِهِ أَوْ بَعْضُ الْمَمْلُوكِينَ. قَالُوا: بَلِ اللَّهُ أَوْلَى بِأَنْ لَا يُتَصَرَّفَ فِي مَلِكِهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ. قَالَ: فَلِمَ فَعَلْتُمْ وَمَتَى أَمَرَكُمْ أَنْ تَسْجُدُوا لَهُ فِيهِ الصُّورُ؟ قَالَ فَقَالَ الْقَوْمُ: سَنَنْظُرُ فِي أُمُورِنَا وَسَكَتُوا". (أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي (ت القرن ٦ هـ)، الاحتجاج على أهل اللجاج، مطبعة النعمان، تعليقات محمد باقر الخراسان، ج ١، ص ٢٢ فما بعد).

(١) قال أمير المؤمنين علي عليه السلام عن الله عز وجل: اسْتَنْجِحُوهُ وَاطْلُبُوا إِلَيْهِ وَاسْتَنْجِحُوهُ فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ وَلَا أَعْلَقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ وَإِنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ وَفِي كُلِّ حِينٍ وَأَوَّانٍ وَمَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَجَانٍ". (نهج البلاغة، الخطبة ١٩٥). وقال أيضاً: "اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَأَنْتَ الْحَلِيقَةُ فِي الْأَهْلِ وَلَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ لِأَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ لَا يَكُونُ مُسْتَصْحَبًا وَالْمُسْتَصْحَبُ لَا يَكُونُ مُسْتَخْلَفًا". (نهج البلاغة، الخطبة ٤٦).
بناءً على ذلك فإن الله وحده حاضر ناظر في كل مكان وكل حين وليس أحد كذلك إلا الله.

قال سبحانه: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ﴾ [الزمر: ٣]، وقال تعالى أيضاً: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨].

يُشير اسم الإشارة «هؤلاء» وكذلك يرجع ضمير «هم» في كلمة «نعبدهم» وضمير الواو في كلمة «يُقَرِّبُونَا» كلها إلى الأولياء الذين يدعواهم الناس ويرون فيهم مرجعهم في طلب الحوائج ومعبودهم، أي أن المدعويين كانوا من العقلاء وذوي الشعور. وكانوا الأولياء والصالحين أو الملائكة الذين يتوجَّه إليهم المشركون في طلب حوائجهم وفي أديعتهم ويدعونهم لكي يُقَرِّبُوهم من الله ويشفعوا لهم عنده، ويقولون: نحن لسنا أهلاً أن نتكلَّم مع الله مباشرةً لأننا مُذنبون ووجهنا سوداء يملؤنا الخزي والعار، لذا فإننا بحاجة إلى أن نتجه إلى أولئك الأولياء والملائكة ونتذلَّل لهم ونخضع لهم ونُعظِّمهم كي يشفعوا لنا عند الله. وهذا كشأن الناس في زماننا الذين يعتقدون أن كل من قام بتعظيم قبور الأنبياء والأولياء وتكريمها فإن أصحاب تلك القبور سيشفعون له عند الله، ويقولون: نحن لا نعبدهم لكن لما كانت وجهنا سوداء مليئة بالخزي والعار، وللسنا أهلاً للاتِّصال مباشرةً بالله ومُناجاته أو طلب شيء منه، فإننا نتجه إلى النبيِّ والأئمة ونجعلهم واسطةً بيننا وبين الله كي يشفعوا لنا عنده^(١)!!

لإبطال كل هذه الخرافات والحُجج قال تعالى إن الله لا يعلم وجود مثل هذا الشيء في السماوات والأرض والشيء الذي لا يعلمه الله معناه أنه شيء ليس له وجود له أصلاً لهذا لا يتعلَّق علم الله به، لذا يسأل الله في الآية: أتريدون أن تُخبروا الله عن شيء لا يعلمه في السماوات والأرض؟!!! لو كان لمثل هؤلاء الوسطاء والشفعاء وجود لأخبر الله عباده عنهم بلا ريب ولعرَّفهم لعباده في كتابه ولم يترك عباده جاهلين بهم. (فتأمَّل جداً).

(١) قارنوا بين هذا القول وبين ما ذكره الشيخ جعفر السبحاني عن قول مشركي مكة في الصفحة ١٠٩ من الكتاب الحالي.

علاوةً على ذلك فإن الله تعالى قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فالله، خلافاً للملوك ولسائر المخلوقات التي ليست قريبة من كل فرد من العباد، قريبٌ منا في كل لحظة وأن بل أقرب إلينا من جبل الوريد، وهو معنا أينما كنا. بناءً على ذلك فلا مُبَرَّرٌ إطلاقاً لتوسيط شخص ليس أقرب إلينا من الله. ولا يوجد أحدٌ من المخلوقات حتى الأنبياء والأولياء أقرب إلينا من جبل الوريد ولا أحدٌ عليهم بذات صدورنا. ولهذا السبب قال تعالى ادعوني ولم يقل ادعوا عبادي المُقَرَّبِينَ وذلك لأننا عندما ندعو ذاتاً هي أقرب إلينا من أي شيء آخر وعليمةً ببواطننا وأرحم بنا من أي كائن آخر، لا نكون بحاجة بأي وجه من الوجوه إلى واسطةٍ أو شفيع. (فتأمل)

ولذلك قال الله تعالى بكل صراحةٍ إتماماً للحجبة على العباد: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَطْلُ﴾ [لقمان: ٣٠].

ومن ناحية أخرى قال تعالى لنبيه: ﴿فَاتَّكَلْنَا لَمْ نَسْمِعِ الْمَوْتَى﴾ [الروم: ٥٢]، وقال أيضاً: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ۗ إِنَّ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٢، ٢٣].

بناءً على الآيتين الأخيرتين من سورة فاطر لا يستوي الأحياء والأموات أي أن الأموات ليسوا كالأحياء حتى ولو كانوا أنبياء أو صالحين أو أولياء أو مُقَرَّبِينَ، لأنهم بعد رحيلهم عن الدنيا يتمتعون بحياة أخروية لا حياة دنيوية، وأساساً إن كل مُستمع -ما عدا الله عزَّ وجلَّ- حتى ولو كان من الأنبياء والصالحين إنما يستمع بواسطة آلة ويرى بواسطة آلة فلما رحلوا عن الدنيا وتعطلت أعضاؤهم (الآذان والأعين.... الخ) انقطعت صلتهم عن الدنيا^(١). بناءً على ذلك فإن ذلك الفريق من المسلمين الذي اغترَّ بخيالات واهية وخرافات موروثه وجاء إلى قبر نبيٍّ أو وليٍّ أو حفيد إمام وأخذ يتضرع إليه ويدعوه ويسأله ويُكَلِّمه ويطلب منه إذن الدخول

(١) لقد بيَّن لنا القرآن أنه لما أمات الله نبياً مئة عام ثم بعثه انقطعت صلة ذلك النبيِّ خلال تلك الفترة بالدنيا فلما بُعث لم يكن يعلم بما جرى في الفترة التي كان ميتاً فيها ولا بمُدَّتْها. (البقرة: ٢٥٩).

إلى حضرته ويُخاطبه بقراءة نص زيارة خاصّة ويطلب منه تلبية حوائجه ورفع مشكلاته ويظن أن صاحب القبر يسمعه، يقوم بعمل مُخالف تماماً لتعاليم القرآن. (فتأمل جداً)

وفي الآية ٥٢ من سورة الروم^(١) تمّ استخدام حرف التأكيد «إِنَّ» وبدون استثناء استخدم الله لفظ «الموتى» الذي هو لفظ جمع جاء في سياق النفي مما يُفيد العموم ويدل على أن الموتى جميعاً بلا استثناء لا يرون المرثيات ولا يسمعون المسموعات، وحتى رسول الله ﷺ لا يمكنه رغم مقامه العالي الرفيع أن يُسمع الموتى فكيف يُمكن لزيد وعمرو أن يُسمعوا الموتى!!؟

جايى كه عقاب پر بريزد از پشه لاغرى چه خيزد؟!
إذا كان ريش النسر يتساقط ما عسى أن تفعله البعوضة الضعيفة

فالذي يذهب إلى قبور الأنبياء والأئمة والشخصيات الدينية العظيمة ويقول: "السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا..... أَشْهَدُ أَنَّكَ تَسْمَعُ كَلَامِي وَتَرُدُّ جَوَابِي وَتَرَى مَقَامِي"^(٢)!! يشهد على أمر مُخالف للعقل ومُخالف للقرآن وينبغي أن يعلم أنه في شريعة الإسلام شهادة المرء على أمر ليس له به علم صحيح ولم يره بعينه أو يسمعه بأذنه حرام وإثم^(٣). (فتأمل)

يقول بعض المدافعين عن الخرافات إن المقصود من «الموتى» في الآية ٨٠ من سورة النمل وفي الآية ٥٢ من سورة الروم موتى القلوب أي الكفار الذين عميت بصائرهم وماتت قلوبهم فشبههم الله تعالى بالأموات الحقيقيين، فالمراد من هذه الآية أن النبي لا يستطيع أن يُسمع كلام الله للكفار.

- (١) أي قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدِيرِينَ ﴾ [الروم: ٥٢].
- (٢) مستدرک الوسائل، ج ١٠، ص ٣٤٥ نقلاً عن كتاب «عدّة الداعي» لابن فهد الحليّ. وانظر بحار الأنوار، ج ٩٧، ص ٢٩٥، نقلاً عن الشيخ المفيد والسيد ابن طاووس، وج ٩٧، ص ٣٧٥ في زيارة أمير المؤمنين التي رواها المجلسي بقوله: "الشَّيْخُ الْمُفِيدُ وَالشَّهِيدُ وَالسَّيِّدُ بْنُ طَاوُوسٍ فِي كِتَابِ الْإِقْبَالِ... " وذكر الزيارة. وهذه العبارة موجودة في كثير من الزيارات. (المترجم)
- (٣) يُشير إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الاسراء: ٣٦] (المترجم)

فنقول: إن كلامكم هذا يُثبت كلامنا بشكل أفضل لأن الله شَبَّه الكفار والمعادنين بـ «الموتى الحقيقيين» و«وجه الشَّبه» في هذا التشبيه هو: عدم القدرة على سماع الكلام لدى «المُشَبَّه» و«المُشَبَّه به»، وكما تعلمون يجب أن يكون «وجه الشَّبه» في «المُشَبَّه به» (الموتى) أقوى منه في «المُشَبَّه» (الكفار)، وَمِنْ ثَمَّ فيجب أن يكون عدم سماع الأموات أمراً مُسَلِّماً به وقطعياً كي يُشَبَّه الله الكفار والمعادنين بهم، إضافةً إلى ذلك فقد صرَّح القرآن أن النَّبِيَّ الْأَكْرَمَ ﷺ لا يُسْمَعُ من في القبور. (فاطر: ٢٢)

(ز) قال الله تعالى مخاطباً فريقاً من أهل جهنم: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غافر: ١٢].

إذا قال شخص للناس لا تدعوا أحداً غير الله حتى على سبيل أن تطلبوا منه أن يتوسط لكم ويشفع لكم عند الله، اعترضوا على كلامه ورفضوه!! وكان عليهم أن يعلموا أن الله اعتبر مثل هذه الحالة نوعاً من عدم الإيمان بالآخرة فقال: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٣٧﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعاً لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤١﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الزمر: ٤٣، ٤٦].

كما نلاحظ في الآيات أعلاه، فإن سبب عذاب أهل جهنم وشقاءهم هو أنهم عندما كانوا يجدون شخصاً يدعو الله وحده في الدنيا ولا يدعو أحداً غيره، كانوا يشمئزون منه، أما إذا دعا الله ودعا أئمة الدين والصالحين معه، قبلوا ذلك منه وصدقوا عمله!! كما نجد في زماننا أنهم يُنادون دائماً غير الله في المجالس والمحافل التي تُقام باسم عبادة الله، فيقولون مثلاً: يا محمد، يا أبا الفضل، يا حسين، يا صاحب الزمان، ويعتبرون ذلك عبادةً لِلَّهِ ويغترُّون بها ويغبتطون بها!! في حين أن الله تعالى قال: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]، فهذه الآية جاءت على سبيل الاستفهام الإنكاري والتوبيخي في مقام إثبات كفاية الخالق، ودلائلها على هذا الأمر أقوى وأشد

من دلالة الجملة الخبرية^(١).

إن النقطة المهمة التي لا يجوز أن تغفل عنها هي أن القرآن (الزمر: ٤٥) اعتبر الحالة المذكورة دليلاً على عدم الإيمان بالآخرة. ولما كان المشايخ يجعلون هذا الأمر بحد ذاته حجةً لدعائهم أنه بها أن الشيعة يؤمنون بالآخرة فلا تشملهم هذه الآية بل معنى الآية يقتصر على المشركين الذين لم يكونوا يؤمنون بالآخرة!! لذلك أرى من الضروري أن ألفت نظر القراء الكرام بشكل مؤكد إلى هذه النقطة: وهي مجيء عبارة «مِنْ دُونِهِ» في الآية (يعني من دون الله) لذلك فإذا كان هناك من يدعي الإسلام ويعمل مثل من ذكرتهم الآية، فهو في نظر القرآن لا يؤمن بالآخرة ذلك الإيمان الذي يرضاه الله عز وجل. وبالله عليكم أليس حال كثير من الناس اليوم مُشابهاً لحال من ذكرتهم الآية؟!!

إن آخرة الخرافيين مليئة بالوسطاء والشفعاء ولكن الآخرة التي بينها القرآن: أولاً: الشفيع فيها لا يختاره الناس بل الله يأذن له، والشفاعة أساساً ليست سوى أمر محدود واستثنائي. ثانياً: تلك الشفاعة لا تُنال بواسطة مدح أئمة الدين الصالحين وتملقهم أو لطم الصدور وضرب البدن بالسلاسل أو أداء أعمال عبادية لغير الله. (فتأمل)

أذكر أنني قلت مرةً لشيخ متعصب حول هذه الآية: إن الأمر لا يخلو من حالتين إما أن عقيدتي في «توحيد العبادة» صحيحة وأنه لا يجوز دعاء غير الله ولا يجوز مُناداة الأنبياء والأئمة ودعائهم، أو أن عقيدتي غير صحيحة. فلو كنت تؤمن حقيقةً بالآخرة وتخاف الحساب يوم الجزاء، فعليك أن تحتل على الأقل واحد بالمئة أن يكون دعاء غير الله الذي جاء كل هذا الدم له والنهي عنه في القرآن الكريم إثماً وخطيئةً يُحاسب عليها الإنسان يوم القيامة، وأنت ستسأل في ذلك اليوم العظيم: لماذا كنت تدعو الأئمة؟ أليسوا غير الله؟ متى قال لكم عَلِيٌّ (ع) أو أبو الفضل ادعوني أنا أيضاً حتى دعوتها واستعنت بها، إضافةً إلى دعائك الله؟! متى دعا عَلِيٌّ في أدعيته أحداً غير الله أو جعل روح النبي واسطة وشفيعاً بينه وبين الله حتى أتبعته أنت بقيامك بمثل هذا العمل؟! أين ذكر الله لك أن لا تُؤدَّ أعمالك العبادية إليه مباشرة كالدعاء والنذر والطواف بل

(١) جاء في البند ٩٣ من دعاء «الجوشن الكبير» في «مفاتيح الجنان»: "يا كافياً من كل شيء".

قدم هذه العبادات إلى واسطة ذي منزلة لديّ؟! أو إذا أردت أن تطلب مني شيئاً فاطلبه من خلال واسطة واسطة مُقَرَّبَةٍ؟ أين قال القرآن إن أولاد الأنبياء أو أتباعهم كانوا يستعينون بأنبيائهم بعد وفاتهم ورحيلهم عن الدنيا، ويطلبون منهم المدد ويسألونهم أن يطلبوا من الله أن يغفر لهم؟!؟

أما لو كانت عقيدتي غير صحيحة ولم يكن دعاء غير الله ممنوعاً ولا حراماً فهل تتحمل حتى نصف بالألف أن تُحاسب يوم القيامة وأن تُسأل: لماذا اعتبرت الله وحده كافياً لك؟ (الزمر: ٣٦) أو تُسأل: لماذا اعتبرت الله وحده حاضراً ناظراً وسميماً في كل مكان؟ ولماذا لم تكن تدعو الوسطاء والشفعاء بل تدعو الله وحده مباشرة؟!؟!!

لا شك أن الذي يؤمن بالآخرة إيماناً صادقاً حقيقياً يحتاط ولا يدعو غير الله لأن احتمال الخطر والضرر والشقاء الأخروي عند دعاء غير الله - بها في ذلك دعاء الأنبياء والأئمة - أقوى بكثير من خطر عدم دعائهم.

صحيح أن الله قال عن المشركين: ﴿وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَوَلَوْ عَلَىٰ أَدْبُرِهِمْ نُفُورًا ۗ﴾ [الاسراء: ٤٦]، لكن يجب على الذين يدعون الإسلام أن يأخذوا العبرة من هذه الآية ولا يعتبرونها قاصرة على مشركي عصر النبي وأن يسعوا أن لا يكونوا مثل أولئك! (فتأمل). إن الفرق بين كلامي وكلامك أنني أقول: ادعوا الله وحده في طلب الخواتج وطلب المغفرة و....، أما أنتم فتعارضون هذا الكلام وتقولون: إضافةً إلى الله ادعوا غير الله أيضاً، مع أن القرآن قال مراراً وتكراراً «ادعوا الله» ولم يقل أبداً «ادعوا النبي أو الإمام»، وقال عن عباد الله الصالحين: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ [السجدة: ١٦]، ولم يقل: «يدعون نبيهم أو إمامهم»، بل قال: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].



نأمل أن تكون الآيات القرآنية الكريمة التي أوردناها في الصفحات السابقة سبباً لتنبه القراء المحترمين وأن يتدبروها ويتأملوا فيها جيداً فلا يخسروا ببساطة نعمة التوحيد العظيمة لاسيما

«توحيد العبادة» ولا ينسوني من صالح دعائهم.

أختم هذا الفصل بكلام رواه الشيخ عبّاس القمّيّ عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام رغم أن الشيخ عبّاس في نظرنا لم يعمل بمفاده، لعلّ هذا الحديث أيضاً يُفيد في وعي القراء وتنبّههم أكثر، قال الإمام:

"ما لي أرى الناس إذا قُرّب إليهم الطعام ليلاً تكلفوا إنارة المصابيح ليُصروا ما يدخلون بطونهم، ولا يهتمون بغذاء النفس بأن يُنبروا مصابيح ألبابهم بالعلم ليسلموا من لواحق الجهالة والذنوب في اعتقاداتهم وأعمالهم؟!"^(١).



الشُّبهات التي تُثار حول «توحيد العبادة»

لنّفق المُتعضِّبون وتُجّار الخرافات، للأسف، أقوالاً وأدلةً، قائمةً على السفسطة وأنواع المغالطات، لتبرير أفكارهم وأعمالهم الخرافية، حتى أنهم استفادوا من بعض آيات القرآن الكريمة بشكل خاطئ كي يُبرِّروا أعمالهم ويُضفوا عليها الشرعية.

وسنذكر فيما يلي بعض أقوالهم ونُثبت بالاستناد إلى آيات القرآن بطلان جميع ادّعاءاتهم، لعلّ ذلك يكون سبباً في يقظة إخواننا في الإيمان. إن شاء الله تعالى.

الشبهة الأولى:

من جملة مُغالطات المشايخ التي يذكرونها ليُضفوا المشروعية على دعائهم الأنبياء والأئمة والأولياء وندائهم لهم، قولهم: رغم أن القرآن اعتبر الدعاء والنداء عبادة [سورة الجن: ١٨] ولكن ليس كل دعاء عبادة وإلا للزم أن نقول إن الأنبياء أيضاً كانوا يعبدون غير الله!! مثلاً نقول: إن نوح

(١) منتهى الآمال، الشيخ عبّاس القمّيّ، ج ٢، ص ١٣. والرواية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٢٠، ص ٢٦١.

كان يعبد قومه أو الرسول الأكرم كان يعبد أصحابه!!! لأن القرآن نقل عن نوح عليه السلام أنه قال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِيْءَآذَانِهِمْ﴾ [نوح: ٥-٧]. أو قال القرآن عن النبي: ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِيْءَ آخِرِنَاكُمْ﴾ [ال عمران: ١٥٣]. فهل يُمكن القول إن نوحاً كان يعبد قومه؟ بناءً على ذلك ليس الدعاء عبادة دائماً بل الدعاء بقيد «الاعتقاد بالهية المدعو واستقلاله في التأثير» هو العبادة فقط.

وأقول: إن الفرق بين الدعاء والنداء العرفيين أي المقيدين والمحدودين وبين الدعاء والنداء العباديين أي الدعاء غير المقيّد، أظهر من الشمس وكل طفل يُدرك الفرق بينهما. ومع ذلك فقد أكدنا مراراً في الصفحات الماضية أن موضوعنا يتعلّق بطريقة الدعاء والنداء. موضوعنا هو حول ذلك النداء والدعاء الذي يستلزم بالضرورة فرض صفات غير محدودة وغير مُقيّدة للمدعو، ومن الواضح أن الدعاء المقيّد والعرفي أمر خارج عن موضوعنا تماماً والآيات التي يتشبهون بها (كالآيتين المذكورتين أعلاه ونظائرها) هي بلا أيّ شبهة وبوضوح كامل من مصاديق الدعاء والنداء العرفيين المقيدين اللذين لا علاقة لهما بموضوع بحثنا إطلاقاً. نحن نقول -كما مرّ في الصفحات السابقة- استناداً إلى آيات عديدة في القرآن: إن الدعاء غير المقيّد وغير المحدود هو في حدّ ذاته عبادة، وقد اعتبر القرآن هذا العمل بحدّ ذاته ودون قيود إضافية عبادة، ومن ثمّ فإن مثل هذا الدعاء لا يجوز التوجّه به إلى غير الله ولا يجوز أن يُضيف أحد من عند نفسه قيوداً لهذا العمل حتى يُعتبر «عبادة»! (فتأمّل) ولقد لفق الخرافيون لتوصيف الشرك والتوحيد مُغالطات من عند أنفسهم سوف نتعرّض لها في الصفحات القادمة.

الشبهة الثانية:

من جملة المُغالطات التي يقولونها للعوام: إن الحدّ الفاصل بين الشرك والتوحيد هو الاعتقاد باستقلال أو عدم استقلال كائن غير الله.

كتب شابٌ جاهل بالقرآن -هداه الله تعالى- (ومن الواضح أنه مرعوب من علماء قم الخرافيين ونظائهم ومخدوع بهم)، دون أن يتدبر القرآن بشكل كافٍ يقول: "إن الاعتقاد

باستقلال كائن غير الله بالأفعال والاعتقاد بعدم استقلاله في أفعاله عن الله، هما المعياران الصحيحان للـ «الشرك» و «التوحيد». فالشرك عبارة عن الاعتقاد باستقلال أحد غير الله في التأثير والفاعلية، والتوحيد في مرتبة الأفعال هو الاعتقاد بانحصار الاستقلال في الفاعلية في ذات الله تبارك وتعالى المقدّس وحده..... والشرك في الأفعال..... هو أن يعتقد الإنسان بـ «التأثير الاستقلالي» لكائن غير الله في عالم الإيجاد والخلق والتدبير، واعتباره شريكاً مستقلاًّ لله ومُثلاًّ له أي ندّاً له في تلك الأفعال. ومعنى التأثير الاستقلالي أن يكون ذلك الكائن الذي هو غير الله، غير محتاج لله في التأثير وفي أفعال التدبير التي يقوم بها بأي نحو من الأنحاء بل يكون مستقلاًّ في التدبير والإرادة والعمل ومُكتفياً ذاتياً. وهذا الاستقلال في التأثير والأفعال لا فرق فيه بين أن يتم على نحو «الاشتراك والمعية» مع الله، أو على نحو «التفويض» أي أن يكون الله قد فوّض إليه وأوكل إليه أمور خلق العالم..... إن تفويض أمور خلق الكون إلى غير الله معناه أن الله بعد أن خلق المخلوقات تنحّى جانباً عن عمل تدبيرهم وإدارة أمورهم كالإحياء والإماتة والرزق والإعزاز والإذلال، وأوكل كل هذه الأمور إلى أحد من مخلوقاته أو جماعة منهم..... وقد كان هناك فريق يعتقد بمثل هذه العقيدة، أطلق عليهم الغلاة وسُموا أيضاً بالمفوضّة، فكانوا يؤمنون بأن الله -والعياذ بالله- أوكل إلى الأئمة عليهم السلام كل أعمال خلق المخلوقات ورزقهم وإحيائهم وإماتتهم وشفائهم وحلّ مشكلاتهم. بينما اعتزل هو وتنحّى جانباً. تعالى الله عما يقول الجاهلون علوّاً كبيراً^(١). وكلا الاعتقادين (الاشتراك والتفويض) هما في نظر المؤحّدين الحقيقيين اعتقاد شركيٌّ وباطل وهو علاوة على كونه منهي عنه شرعاً، يستحيل عقلاً^(٢).

لاحظوا كيف يخدع هذا الكاتب العوام بخلطه بين الجزء والكل، أي أنه عدّ جزءاً من الشرك

(١) من الواضح تماماً أن موضوع اختيار الله العزلة وتنحّيه جانباً بعد أن أوكل الأمور المذكورة أعلاه إلى غيره، أو

عدم اختياره العزلة وعدم تنحّيه جانباً، لا تأثير له إطلاقاً في كون هذه العقيدة عقيدة شركية.

(٢) كتاب «نقد وتحليل پيرامون وهابيجرى»، همايون همتي، [أي نقد وتحليل حول الوهابية، تأليف همايون

همتي]، مركز چاپ ونشر سازمان تبليغات اسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٦٧ هـ. ش. ص ١٩٤ و ١٥٥ حتى

كل الشرك فحصر الشرك كله بالقول بالاستقلال في الأفعال لأحد غير الله!!! من الواضح أن القول بالاستقلال في الأفعال لأحد غير الله شرك صارخ بلا أي شبهة، ولكن الشرك لا ينحصر بذلك، بل دائرة الشرك أوسع من هذا التعريف بكثير، والقرآن الكريم اعتبر أموراً أخرى أيضاً شركاً. (كل جوزة كروية وليست كل كرة جوزة!)

أمر الله تعالى أهل الكتاب أن لا يعبدوا أحداً إلا الله وأن لا يُشركوا به شيئاً (سورة آل عمران: ٦٤)، وبين لهم أنه لم يأمرهم ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران: ٨٠]. ومن الواضح أن اليهود والنصارى لم يكونوا يعبدون الأصنام الحجرية ولم يكونوا يعتقدون أن لحضرة عيسى (ع) وحضرة مريم (ع) أو الملائكة استقلالاً وجودي عن الله، بل كانوا يقومون نحو أولئك الأشخاص العظماء بأعمال اعتبرها القرآن عبادة وشركاً. (فتأمل جداً)

ويعلم المطلعون على تاريخ الجزيرة العربية في صدر الإسلام جيداً أن أغلب المشركين المعاصرين للنبي الأكرم ﷺ أن خلق الكائنات والإحياء والإماتة وتدبير أمور العالم ورزق الخلائق هو فعل الله وأن المالك الحقيقي للأرض ولكل الكائنات بما في ذلك الملائكة هو الله وحده، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١، ٣٢].

وقال أيضاً: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٥﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤، ٨٩]، وقال كذلك: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾... وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [العنكبوت: ٦١-٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾ [لقمان: ٢٥، ٢٦].

وقال أيضاً: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِيهِ قُلِ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الزمر: ٣٨].

وقال كذلك: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف: ٨٧].

بل حتى أنهم كانوا يطلبون الإماتة وإنزال العذاب من الله مباشرة ويقولون: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنفال: ٣٢].

وفي الظروف العصيبة جداً عندما يعجز كل أحد عن فعل أي شيء، كحالة المشركين عندما يكونون وسط البحر تتقاذفهم الأمواج ويُسرفون على الهلاك أو يضلون الطريق في الصحراء ويظنون الهلاك، كانوا يدعون الله مباشرة دون وسائط، مخلصين له الدين، ولا يدعون أحداً غير الله في مثل تلك الأوضاع، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيْنٍ أَنْجِنَا مِنْ هَذِهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنعام: ٦٣، ٦٤].

وقال: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْعَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَسَفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [النحل: ٥٢، ٥٤].

وقال: ﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُرْسِدُ لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٧﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الاسراء: ٦٦، ٦٧]. وقال: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكَ دَعَاؤُ اللَّهِ

مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ [العنكبوت: ٦٥]. وقال: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَاجٌ كَازِلَةٌ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ [لقمان: ٣٢].

وذكر القرآن أن الوالدين المشركين كانا يدعوان الله كي يرزقهما ابناً سالماً صحيحاً فيقولان: ﴿دَعَوْا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَاحِبًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٣٨﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَاحِبًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الاعراف: ١٨٩، ١٩٠].

ففي هذه الآيات نلاحظ أن مشركي العرب لم يكونوا يعتبرون معبوداتهم واجبة الوجود ولا خالقة ولا رازقة ولا مدبرة لأموال العالم أو مالكة للأرض والسموات ولجميع الكائنات في الدنيا أو أن بيدها إمارة العباد وعذابهم بل حتى لم يكونوا يعتبرون آلهتهم منزلة للمطر من السماء بل يعتبرون كل تلك الأمور خاصةً بالله وحده، وفي الظروف العصيبة والصعبة جداً كانوا يدعون الله وحده، وحتى لو سألتهم: هل تستطيع معبوداتكم إذا أراد الله بعبيدٍ ضرراً أو أراد به نفعاً أن تمنع الله من فعل ذلك؟ لأجابوا بالنفي وأقروا أن الحكم والتصرف في كل شيء هو لله وحده، فلم يكونوا يعتقدون أن معبوداتهم مستقلة بالذات عن الله ومماثلة له في الملك والتصرف، كل ما في الأمر أنهم كانوا يخضعون لتلك المعبودات ويتذللون لها ويقدمون لها صنوف العبادات من قبيل الطواف بها والندى لها وتقديم الأضاحي والقرابين لها ودعائها وتعظيمها وتمجيدها و..... ظانين أنها وسيلة تقربهم من الله، ولم يكونوا يعتبرونها مستقلة عن الله. كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ صَلَّوْا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الاحقاف: ٢٨].

ولهذا السبب لم يدع النبي الأكرم ﷺ المشركين إلى شعار «لا خالق إلا الله» أو «لا رازق إلا الله» أو «لا مدبر إلا الله» أو «لا محيي ولا مميت إلا الله» ونظائرها، بل دعاهم إلى الإسلام من خلال الإقرار بكلمة «لا إله إلا الله» أي لا معبود حق إلا الله^(١). ذلك لأنهم كانوا يقومون

(١) استناداً إلى الآية ٣٠ من سورة لقمان [أي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ أَلْبَابٌ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾ [لقمان: ٣٠] يتبين أن الخبر المحذوف لـ «لا النافية للجنس» هو كلمة «حق».

بالأعمال العبادية تجاه غير الله على أمل الشفاعة وكان نزاع الإسلام وجهاده الأساسي مع المشركين حول هذا الموضوع لا حول استقلالية المعبودات عن الله. ولذلك فقد صرَّح القرآن ذاته بأن المشركين كانوا يعتبرون معبوداتهم واسطةً بينهم وبين الله وشفيعَةً لهم عند الله^(١). ولم يكونوا يعتقدون باستقلالها عن الله لأنهم لو كانوا يعتقدون أنها مستقلة لما كان من الضروري أن يتوجَّهوا إليها بالأعمال العبادية لأجل أن تتوسط لهم عند الله وتُقربهم منه [سورة يونس: ١٨، والزمر: ٣]، بل كانوا يرجعون إليها على نحو الاستقلال طالما أنها قادرة على أن تضر وتنفع وتُحيي وتُميت وتستجيب بذاتها لطلباتهم.

وذكر المرحوم الطبرسي في تفسيره «مجمع البيان» أن مشركي الجاهلية كانوا يقولون في تلبيتهم: "لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ!"^(٢).

بل أكثر من ذلك، فقد ذكر القرآن لنا أن المشركين كانوا يعتقدون أن الله تعالى هو ذاته الذي أراد منهم عبادة غيره: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٥، ٣٦]. وكانوا يقولون: ﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ [الزخرف: ٢٠]^(٣). وقد ردَّ الله ادِّعاءهم هذا وقال ليس الأمر على ما تقولون وأنا لم أمر أبداً بعبادة سواي ولم أسمح بذلك بل أرسلتُ في كلِّ أُمَّةٍ رسولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ.

(١) راجعوا ما ذكره الشيخ جعفر السبحاني حول اعتقادات المشركين في ص ١٠٩ من الكتاب الحالي.

(٢) تفسير مجمع البيان، ذيل الآية ٢٨ و ٢٩ من سورة الروم. أقول (الترجم): وذكر ذلك أيضاً جميع المفسرين كالبعثي والقرطبي والبقاعي وابن كثير وابن الجوزي والسيوطي في الدر المنثور.. الخ.

(٣) وقد كان المشركون في موارد أخرى أيضاً ينسبون أعمالهم القبيحة والفسادة إلى الله ويدَّعون أنه هو الذي أمرهم بها وسمح لهم بفعلها، فعلى سبيل المثال لما كانوا يطوفون حول الكعبة عراً كانوا يقولون: إن آباءنا كانوا يفعلون ذلك والله أمرنا بذلك [الأعراف: ٢٨] (راجعوا ما ذكره الطبرسي في «مجمع البيان» ذيل تفسيره لهذه الآية)، ولم يكونوا يقولون إن موجوداً مُستقلاً غير الله قد أجاز لهم مثل ذلك العمل!

لقد لاحظنا إذن في هذه الآية وفي الآيات التي ذكرناها في الصفحات السابقة أن جهاد القرآن للمشركين كان أغلبه حول موضوع عبادتهم غير الله، ولتقرير عدم جواز عبادة أحد سوى الله، ولم يكن حول استقلال غير الله عن الله أو عدم استقلاله! وكان اعتراض القرآن على المشركين يتلخّص في تقييدهم على عبادتهم غير الله دون أن يكون عندهم من الله في ذلك دليل صحيح، وأن الله لم يُجْزَ أبداً عبادة أحدٍ سواه لا في الإسلام ولا في أيّ دين من الأديان [الكهف: ١٥، ويوسف: ٣٩ - ٤٠]، وأن المشركين كانوا يُارسون ذلك الشرك في العبادة دون أي دليل أو حُجَّةٍ أتتهم من الله.

إضافةً إلى ذلك، يجب على الخرافيين بدلاً من أن يضعوا ملاكاً للشرك والتوحيد من بنات أفكارهم، أن يتدبّروا كتاب الله ويتأملوا آياته ليُدركوا أن القرآن انتقد في موارد مختلفة الناس على اتّخاذهم غير الله آلهةً وأرباباً دون أن يعتقدوا باستقلال تلك الآلهة والأرباب عن الله. ومن جملة ذلك قوله تعالى: ﴿أَرَعَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الفرقان: ٤٣]، وتُشبهها الآية ٢٣ من سورة الجاثية[، وقال: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة: ٣١]^(١).

في هذه الآيات يُبيّن الله تعالى أن من الناس من يتخذ هوى نفسه بمثابة «إله» له (أي معبود له يخضع له ويطيعه في كل شيء)، وبعضهم يتخذ علماء دينه «أرباباً». ومن البديهي أن أولئك الناس

(١) لحسن الحظ اتّفق الشيعة والسنة حول تفسير هذه الآية، راجعوا ما جاء في كتاب «صحيح الكافي» للأستاذ الشيخ محمد باقر البهبودي، ج ١، الحديث ٢٣ و ٤٠٩. وكتاب «وسائل الشيعة»، ج ١٨، ص ٩٦ و ٩٧، الأحاديث ٣٣٣٩٠ و ٣٣٣٩٣ و ٣٣٣٩٤. وجاء هذا أيضاً في مصادر غير الشيعة: فقد روى الترمذي (وحسنه) وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في سننه وان جرير من طرق متعددة عن عدي بن حاتم - رضي الله عنه - قال: أتيت النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وهو يقرأ في سورة براءة: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾، قال فقلت: إنهم لم يعبدوهم؟! فقال: «بلى! إنهم حرّموا عليهم الحلال، وأحلّوا لهم الحرام، فاتّبعوهم: فذلك عبادتهم إياهم...». (نقلًا عن تفسير «في ظلال القرآن»، سيد قطب، ج ٤، ص ٢٠٢ و ٢٠٣)، وراجعوا أيضاً كتاب «تصحيح الاعتقاد» للشيخ المفيد، مع تعليقات الشهرستاني، منشورات الرضي، ص ٥٧.

لم يكونوا يعتبرون أهواء أنفسهم أو علماءهم موجودات مستقلة عن الله أو خالقة للسموات والأرض ومُتصرِّفة فيها بلا مُنازع!

ويقول القرآن أيضاً: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [ال عمران: ٨٠]، ويقول كذلك: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [ال عمران: ٦٤]. وقال الله تعالى أيضاً لعيسى بن مريم: ﴿... وَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾؟ [المائدة: ١١٦]، ولا شك أن أولئك الناس لم يكونوا يعتبرون بني جنسهم ولا حتى الملائكة والأنبياء بما في ذلك حضرة مريم وحضرة عيسى عليهما السلام مستقلين عن الله ومُتصرِّفين في الكون بلا مُنازع، بل كانوا يعتبرونهم عبادةً أعزاء ومُقرَّبين عند الله، ولكنهم كانوا لا يُفرِّقون بين حالتهم وهم أحياء وحالتهم بعد الموت والرحيل عن الدنيا، فيدعونهم بعد موتهم لقضاء حوائجهم ورفع مشكلاتهم.

وقال تعالى في كتابه: ﴿لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ [يس: ٦٠]، وقصص علينا كلام إبراهيم مع أبيه فقال: ﴿يَتَأْتِي لَّا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾ [مريم: ٤٤]، ومن البديهي أن لا أحد كان يعتبر الشيطان خالقاً للسموات والأرض وموجوداً مستقلاً عن الله. وقال تعالى مُحاطباً المسلمين: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الانعام: ١٢١] أي لو أطعتم هؤلاء المشركين المُجادلين المُعاندين فإنكم مشركون. ومن الواضح تماماً أن لا أحد كان يعتقد أن المُجادلين المُعاندين مستقلون عن الله ومُتصرِّفون في الكون بلا مُنازع! (فتأمل جداً).

يعتبر القرآن - من حيث المبدأ - الطاعة المطلقة لكائنٍ أو شخصٍ عبادةً له، فنجده يقصص علينا قول فرعون وآله: ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِبِيدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٧] أي أنهم مُطيعون لنا طاعةً محضةً.

وذكر الله لنا في كتابه أن أتباع حضرة موسى لما عبروا نهر النيل^(١) صادفوا قوماً يعبدون أصناماً

(١) هكذا قال المصنّف رحمه الله، والصحيح أنهم عبروا خليج السويس وليس نهر النيل. (المُتَرَجِّمُ)

لهم^(١) فقالوا لموسى: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الاعراف: ١٣٨]. ومن البديهي أنهم كانوا يعلمون أن الإله الذي طلبوا من موسى أن يجعله لهم، لن يكون واجب الوجود وخالق السموات والأرض ومستقلاً بالذات عن الله، ومُتصِراً في الوجود بلا مُنْزَع!

أو عندما أخذ السامريُّ منهم الذهب وصنع لهم منه عجلاً له حوار وقال لهم هذا إلهكم وإله موسى [سورة طه: ٨٨] فإنهم كانوا يعلمون أن ذلك العجل الذهبي لم يكن واجب الوجود ولا خالقاً للموجودات ولا رازقاً للعباد ولا مُستقلاً بالذات عن الله، بل أرادوا أن يكون لهم -مثلاً كان لأولئك القوم الذين كانوا يعكفون على أصنام لهم- صنمٌ أو معبودٌ أو شيءٌ مَلْمُوسٌ يتوجهون إليه ويُعظّمونه ويُقدّسونه ويتواضعون أمامه ويتوسّلون إليه لقضاء حوائجهم ويجعلونه واسطة وشفيعاً لهم يُؤدون إليه طقوس العبادة^(٢)!

وينبغي أن ننتبه إلى أن أتباع موسى طلبوا منه ذلك الطلب، ولو جعل موسى لهم واسطةً ومعبوداً لكان هذا المعبود مُتَّصِفاً بصفة «كونه لئله أو من الله» -على حدّ قول المُطَهَّرِي-، لأن الشارع هو الذي عيّنه وجعله، لكن نبيّ الله حضرة موسى (ع) خالف رغبتهم هذه واعتبرها طلباً جاهلاً وباطلاً، وهذا يدلُّ على أن الشارع لا يقبل في أمر التوجه إلى الله والسعي إلى رضاه وطلب الحوائج منه وجود واسطة مطلقاً. (فتأمل جداً)

بناءً على ذلك تُلاحظون أن مناط الشرك والتوحيد في القرآن أوسع بكثير مما يدّعيه

(١) وردت في الآية الكريمة هنا كلمة «يعكفون»، ومن اللازم أن تُذكَر بأن العكوف معناه التوجه الكامل نحو الشيء على سبيل التعظيم والتكريم وكلمة «العاكف» تُطلق على الذي يُقيم في مسجد أو معبد بقصد العبادة.

(٢) في الإسلام يُعتبر الحلف بغير الله شرك. وقد قال رسول الله ﷺ: "مَنْ حَلَفَ بِشَيْءٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ [أو قال: ألا هو مشرك]" (مصنف عبد الرزاق، ج ٨، الحديث ١٥٩٢٦). وروى أستاذ الشيخ عباس القمّي ومُعلّمه [أي الميرزا حسين نوري الطبرسي] أن النبي ﷺ قال: "مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ [وفي بعض الروايات: «فقد كفر بالله»]" (مستدرک الوسائل، الطبعة الحجرية، ج ٣، ص ٥١ و ٥٤). ويوجد ما يُشبه هذه الروايات في كتب أهل السنة ومن جملتها أن رجلاً أقسم بالكعبة فقيل له: إن النبي ﷺ قال: "مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ" (التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول، ج ٣، ص ٧٥).

الخرافيون. ولذلك فإذا حصر أحدهم الشرك بأنه اعتبار غير الله «الله» وقال: "الشرك هو أن نُؤَلَّه شخصاً أو كائناً ونعتبره الله أو أن نعبد شخصاً أو كائناً باعتباره الله أو أن نطلب من شخصي أو كائني شيئاً باعتبار أنه مُستقلُّ في التأثير عن الله وأنه الله"^(١)، إن لم نقل إن صاحب هذا الكلام كان يريد خداع العامة فيمكننا أن نقول بكل اطمئنان: إنه كان جاهلاً بالقرآن وبتاريخ جزيرة العرب.

الشبهة الثالثة:

نقل الكاتب الشاب مغالطةً أخرى عن المرحوم «المطهري» فقال:

"هل الحدُّ الفاصل بين التوحيد والشرك هو الاعتقاد بقدرة كائن ما وتأثيره فوق الطبيعي؟ أي أن الاعتقاد بأن موجوداً ما - ملاكاً أم إنساناً (مثلاً نبياً أو إماماً) - يملك قدراتٍ خارقةٍ تتجاوز قوانين الطبيعة، شركٌ، أما الاعتقاد بقدرته وتأثيره ضمن الحدِّ الطبيعي والمُتعارف عليه فليس شركاً. وكذلك الاعتقاد بقدرة إنسان رحل عن الدنيا وتأثيره شركٌ لأن الميت جماد والجماد من ناحية قوانين الطبيعة لا شعور له ولا قدرة له ولا إرادة، فالاعتقاد بإدراك الميت، والسلام عليه وتعظيمه واحترامه ودعائه وندائه وطلب الحوائج منه شركٌ، لأنه يستلزم الاعتقاد بقوة خارقة للطبيعة لغير الله. كذلك الاعتقاد بالتأثيرات الخفية والمجهولة للأشياء كالاعتقاد بتأثير تربة خاصة في شفاء الأمراض أو تأثير مكان خاص في استجابة الدعاء شركٌ لأنه يستلزم الاعتقاد بامتلاك شيء ما لقوة خارقة للطبيعة أي فوق قوانين الطبيعة، لأن كل ما هو طبيعيٌّ فهو قابل للمعرفة وللإختبار وللحسِّ واللمس. وعلى هذا فالاعتقاد بمُطلق التأثيرات للأشياء ليس شركاً (كما ظنَّ الأشاعرة) أما الاعتقاد بامتلاك أشياء لتأثيرات ما فوق طبيعية فهو شرك. فالكون ينقسم إلى قسمين: الطبيعة وما وراء الطبيعة، فما وراء الطبيعة إقليم خاصٌّ بالله، والطبيعة مجال خاص بال مخلوق أو مشترك بين الله ومخلوقاته. فهناك سلسلة من الأعمال ذات جانب ما وراء طبيعي مثل الإحياء والإماتة والرزق وأمثالها. والبقية، أعمال عادية طبيعية. الأعمال ما وراء الطبيعية إقليم خاص بالله، وبقية الأعمال إقليم مخلوقاته. هذا من ناحية التوحيد النظري.

(١) روح الله الموسوي الخميني، كشف الأسرار، بازار نوروز خان، اول بازار كاشفي، نشر ظفر، ص ٤٠.

أما من ناحية التوحيد العملي فإن كل نوع من التوجه المعنوي إلى غير الله، يعني التوجه الذي لا يكون من طريق وجه المتوجّه ولسانه وصورته وأذنيه الظاهرتين بل يتوجه المتوجّه عبر إيجاد نوع من الصلة القلبية والمعنوية بينه وبين الطرف المقابل فيدعوه ويستجلب انتباهه إليه ويتوسّل به ويطلب منه الإجابة، كلها شرك وعبادة لغير الله، لأن العبادة ليست سوى هذه الأشياء، وعبادة غير الله غير جائزة بحكم العقل وضرورة الشرع وتستلزم الخروج من الإسلام. إضافة إلى ذلك فإن القيام بمثل هذه الطقوس، فضلاً عن أنه يُعدُّ أداءً لطقوس عبادية إلى غير الله، فإنه يستلزم الاعتقاد بقوة ما وراء طبيعية للشخص الذي يتم التوجه إليه (النبي أو الإمام)..... إنهم دون أن يشعروا يؤمنون بنوع من الاستقلال الذاتي في الأشياء، ولهذا يعتبرون أن لعب دور ما فوق حدّ العوامل الطبيعية العادية يستلزم الاعتقاد بأن من يقوم بهذا الدور قطب مستقل وقدرة في مقابل الله غافلين عن أن التأثير ما فوق الطبيعي للكائن الذي ينتمي إلى إرادة الحق بكل وجوده ولا يوجد لديه أيّ جانب مستقل عن الله، مثله مثل تأثيره الطبيعي، قبل أن يستند إلى ذاته يستند إلى الله تعالى، فذلك الكائن ليس سوى مجرى مرور فيض الحقّ تعالى إلى الأشياء. هل الاعتقاد بأن جبريل واسطة لفيض الوحي والعلم، وأن ميكائيل واسطة لفيض الرزق وأن إسرافيل واسطة للإحياء وأن ملك الموت واسطة لقبض الأرواح، شرك؟

من ناحية توحيد الخالقية تُعتبر هذه النظرية أسوأ نوع من أنواع الشرك، لأنها تؤمن بنوع من تقسيم العمل بين الخالق والمخلوق: فالأعمال ما وراء الطبيعية هي حقل العمل الخاص بالله، والأعمال الطبيعية هي حقل العمل الخاص بالمخلوقات أو المشترك بين الله ومخلوقاته. إن القول بحقل خاص للمخلوق عين الشرك في الفاعلية. كما أن القول بحقل مشترك بين الله والناس نوع آخر من الشرك في الفاعلية.

خلافاً للتصور الشائع، فإن الوهائية ليست نظرية ضد الإمامة فحسب بل هي قبل أن تكون ضد الإمامة ضد التوحيد وضد الإنسان. هي ضد التوحيد لأنها تؤمن بتقسيم الأعمال بين الخالق والمخلوق، إضافة إلى إيمانها بنوع من الشرك الذاتي الخفي الذي تمّ توضيحه، وهي ضد الإنسان من ناحية أنها لا تُدرك ملكات الإنسان وطاقاته واستعداداته، هذا الإنسان الذي جعله الله أعلى

رتبةً من الملائكة وجعله بنص القرآن المجيد خليفة الله وأمر الملائكة بالسجود له، بل تَنْزِلُ تلك النظرية بالإنسان إلى مرتبة الحيوان الطبيعي. علاوةً على ذلك فإن التفرقة والتفكيك بين الميت والحي على نحو يُعتَقَدُ فيه أن الأموات ليسوا أحياء حتى في العالم الآخر وأن شخصية الإنسان كلها هي بدنه الذي يظهر بشكل جماد، تفكير ماديٍّ ومناقضٌ للتفكير الإلهي..... والتفكيك والتفرقة بين الأثر المجهول والخفي وغير المعروف والآثار المعروفة واعتبار الأول تأثيراً ما وراء طبيعياً خلافاً للثاني نوع آخر من الشرك.... الحقيقة هي أن الحدّ الفاصل بين التوحيد والشرك، في العلاقة بين الله والإنسان والعالم هو «من الله» و «إلى الله». الحدّ الفاصل بين التوحيد والشرك في التوحيد النظري «إنا لله». فكل حقيقة وموجود طالما تعرّفنا إليه بوصفه أنه لله أي أن هويته وذاته وأفعاله مُستَمدة من الله فقد تعرّفنا إليه بشكل صحيح ومُطابق للواقع وبمنظرة توحيدية، سواءً كان لذلك الشيء أثر أو عدة آثار أو لم يكن له ذلك، وسواءً كان لتلك الآثار جوانب ما فوق طبيعية أو لم يكن لها ذلك. لأن الله ليس إله ما وراء الطبيعة أو إله السماوات أو إله الملكوت والجبروت فقط، بل هو إله الكون كله. فهو قريب من الطبيعة ومعها وقِيوماً عليها بقدر ما هو كذلك بالنسبة إلى ما وراء الطبيعة، فامتلاك موجود ما لجانب ما وراء طبيعي لا يجعل منه ممتلكاً لجانب إلهي. وقد سبق أن قلنا إن العالم في التصور أو النظرة الكونية الإسلامية ذو ماهية «للّهية» أو «من اللّهية». لقد نسب القرآن الكريم في آيات مُتعددة أعمالاً خارقةً ومعجزةً كإحياء الموتى وشفاء الأعمى من الولادة، إلى بعض الأنبياء لكنه أضاف إلى تلك النسبة كلمة «بإذنه» فهذه الكلمة تُعبّر عن ماهية «للّهية» أو «من اللّهية» لتلك الأعمال حتى لا يظنّ أحد أن الأنبياء مُستقلون بأنفسهم عن الله؛ فالحدّ الفاصل بين التوحيد النظري والشرك النظري هو الانتفاء إلى الله وعدم الاستقلال عنه (التوحيد) أو عدم الانتفاء إلى الله واستقلال موجود عنه (الشرك)^(١). إن الاعتقاد بوجود موجود لا يكون وجوده مُلكاً لله ومنتبياً إلى الله شركٌ. والاعتقاد بتأثير موجود لا يكون تأثيره لله ومن الله شركٌ أيضاً سواءً كان هذا التأثير ما فوق طبيعي كخلق جميع السماوات والأرض أو كان أثراً صغيراً ضئيل الأهمية كقلب ورقة شجرة رأساً على عقب.

(١) لقد بيّنا بطلان هذا القول وتمهاته وضعفه في الصفحات من ١٢٣ إلى ١٣٢ من الكتاب الحالي.

أما الحدود الفاصلة بين التوحيد والشرك في التوحيد العملي فهي: «إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»، فالتوجُّه والالتفات إلى كلِّ موجود سواءً كان توجُّهًا ظاهرياً أم معنوياً، طالما كان على نحو التوجُّه إلى طريقٍ لأجل الذهاب من خلاله نحو الله أي على نحو التوجه إلى وسيلة لا التوجه إلى غاية ومقصد، فهو توجه إلى الله. إن التوجه إلى الطريق في كل حركة وسير وسفر، منشؤه كون الطريق طريقاً فحسب، ومنشأ التوجه إلى العلامات والإشارات والأسهم واللافتات الموضوعة في الطريق هو أن لا يضيع السائر والمسافر ويتعد عن المقصد والهدف لأنَّ تلك العلامات والإشارات والأسهم تشير نحو المقصد وتساعد على الذهاب إلى جهته.

إن الأنبياء والأولياء طُرِّقَ الله: «أَنْتُمْ السَّبِيلُ الْأَعْظَمُ وَالصَّرَاطُ الْأَقْوَمُ». إنهم علامات ودلائل السير إلى الله و «أَعْلَامًا لِعِبَادِهِ وَمَنَارًا فِي بِلَادِهِ وَأَدْلَاءَ عَلَى صِرَاطِهِ»، وهم الهداة والمرشدون نحو الحق «الدُّعَاةُ إِلَى اللَّهِ وَالْأَدْلَاءُ عَلَى مَرَضَاةِ اللَّهِ».

فليست المسألة أن التوسل والزيارة ودعاء الأولياء وانتظار الأعمال ما فوق الطبيعية منهم شرك. بل المسألة شيء آخر: أولاً: يجب أن نعلم هل ترقى الأنبياء والأولياء في مراتب الصعود إلى درجات القرب الإلهي حتى أصبحوا موضعاً للمواهب الإلهية أم لا؟ إن ما يُستفاد من القرآن الكريم أن الله أنعم على بعض عباده بمثل هذه المقامات والدرجات". انتهى من كتاب «مقدمة على التصور الإسلامي للعالم» لمرتضى المطهري، القسم الثاني، التصور التوحيدي للعالم، فصل مراتب ودرجات الشرك، ص ١١٥ فما بعد.

والآن نقول: حقاً إن ما ذكر أعلاه من أوضح مظاهر التشويش والتهويل والمغالطة والتلاعب بعقول الدهماء وخداع العوام، وهو كلام ينطوي على مغالطات وإشكالات عديدة جداً:

أولاً: كما لاحظنا، لقد تمّ تكرار الإشكال السابق (القول بأن الاعتقاد بأن ما سوى الله يتمتع باستقلال ذاتي هو فقط الشرك، والاعتقاد بأن كل ما سوى الله تابعٍ لِهْ ولا يمتلك استقلالاً ذاتياً هو التوحيد)، وقد أوضحنا في المبحث السابق أن الشرك لا ينحصر بالاعتقاد بوجود كائن غير

الله مستقل ذاتياً عنه بل هو أعم من ذلك، بل الجزء الأعظم من محاربة الشرك في القرآن الكريم هي محاربة مشركين لم يكونوا يعتقدون أن معبوداتهم مستقلة عن الله.

ثانياً: إن الموحدين لا يقولون إن «الكون منقسم إلى قسمين: الطبيعة وما وراء الطبيعة..... الخ»، كما لا يعتقدون بـ «نوع من تقسيم العمل بين الخالق والمخلوق». وكما ذكرنا في التنقيح الثاني لكتابنا «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول» (ص ١٤١ فما بعد)، يقول الموحّدون: إنه لا شك أن كل حَوْلٍ وَقُوَّةٍ وكلّ تأثير في عالم الوجود هو من الله ويستند إلى إرادته وإذنه، ولا يمتلك أي كائن سوى الله في الوجود أيّ حَوْلٍ ولا قُوَّةٍ من عند نفسه وعلى نحو ذاتيّ مستقل عن الله، ولا فرق في هذا الأمر أبداً بين الطبيعة وما وراء الطبيعة، لكن التفاوت هو في «الإذن الإلهي» نفسه الذي هو على نوعين: إذن عام وإذن خاص. وبعبارة أخرى يقول الموحّدون: إن الله تعالى أعطى لعباده إذناً عاماً بميزان محدود، وكلّ شخص، سواء كان من العوام أم من الخواص، يدرك حدود هذا الإذن العام ومجاله، إن حدود هذا الإذن هي حدود الاستطاعة والحرية الإنسانية ذاتها التي هي منشأ مسؤولية الإنسان، وبعبارة أخرى تتمتع الكائنات ضمن هذه الحدود بالفيض وبالاستطاعة التي وهبهم الحق تعالى إياها، أما خارج هذه الحدود ففيض الله على الإنسان مسدود. وبعبارة أخرى: ليس هناك أيّ دليل على أن الله أذن لبعض المخلوقين بأن يفعلوا كل ما يريدون فعله!! فبغض النظر عن الإشكالات العقلية لمثل هذا الادّعاء، لم يأذن الشرع لنا بادّعاء مثل هذا الادّعاء. وهذه العقيدة - أي الاعتقاد بأن الله أذن لبعض المخلوقين أن يفعلوا ما يشاؤون - تُشبه عقيدة المُفَوِّضَةِ التي بيّنا بطلانها في كتابنا «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول» (ص ١٤٤ فما بعد)^(١).

في الواقع إنكم تقولون: إن الله أذن لبعض عباده - ومن جملتهم الأنبياء والأئمة - أن يقوموا بجميع الأعمال أو بمعظمها «من قبيل إحياء الموتى وشفاء الأكمه (الذي يولد أعمى)... الخ»!! أما الموحّدون فيقولون: إنه لا دليل في القرآن على أن الله أذن بفعل مثل هذه الأعمال حتى لعباده

(١) لقد اعتبر ذلك الكاتب الشاب في كتابه المذكور عقيدة المُفَوِّضَةِ عقيدة شركية وباطلة. ارجعوا إلى الصفحة ١٢٢ من الكتاب الحالي.

المُقرَّين الخاصين - بما في ذلك الأنبياء والأئمة - وخلافاً لادِّعاء المرحوم المطهري، لا ينسب القرآن الكريم الأعمال المعجزة الخارقة كإحياء الميت وشفاء الأكمه ونظائرها - على المعنى الذي تقولونه ويُعجبكم - إلى بعض الأنبياء.

كتب المَطَهَّرِيُّ يقول: "إن ما يُستفاد من القرآن الكريم أن الله أنعم على بعض عباده بمثل هذه المقامات والدرجات". ولكن الموحِّدين يقولون: لا أحد يُنكر قرب الأنبياء والأئمة من الله ورفعة مقامهم وعلو شأنهم ووصولهم إلى أعلى درجات الفلاح، ونحن نؤمن بذلك من صميم قلبنا، أما إذا كان قصدكم من علو مقامهم ومن درجاتهم الرفيعة أن لهم تدخلاً في صنع المعجزات وأنهم واسطة في إجابة دعاء العباد حتى بعد رحيلهم عن الدنيا - كما سنرى في الصفحات القادمة - فإن هذا الأمر لا يُستفاد من القرآن بأيّ وجه من الوجوه.

أما ما ذكرتموه من أن الحدّ الفاصل بين التوحيد النظري والشرك النظري هو الاعتقاد بأنّ كلّ شيءٍ تابعٍ لله، فلا أحد يُنكر ذلك، كل ما في الأمر أن هذا القول يُبيّن أحد مصاديق الشرك فقط لا كلّ مصاديقه.

ثالثاً: من جملة الآيات التي يتم تفسيرها، أكثر من جميع الآيات الأخرى، على نحو خاطئ، والاستفادة منها بشكل غير صحيح خداعاً للعوام، الآيات المتعلقة بمعجزات حضرة عيسى (ع) (سورة آل عمران: ٤٩، وسورة المائدة: ١١٠). ولقد ذكرنا إيضاحات كافية حول هذه الآيات في التنقيح الثاني لكتابتنا «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول» (ص ١٣٨ فما بعد)، فلا داعي لتكرارها هنا، لكننا نذكّر فقط بأننا قلنا هناك: إن مصدر الوحي والمعجزة واحد، والذي يُرسل الوحي هو الذي يصنع المعجزة، ودرجة تدخل النبيّ وشخصيته وإرادته وقوته المعنوية (الروحية) في المعجزات هي نفس درجة تدخله في الوحي. وبعبارة أخرى: إذا كانت لإرادة الرسول وقوته الباطنية الروحية تدخل في الوحي فإن لها تدخل في المعجزة أيضاً وإلا فلا.

ونقول هنا إتماماً للحجّة على الخرافيين وإكمالاً لها: أنتم تعتقدون "إنه ببركة العبودية للحق يصل الإنسان ليس إلى السيطرة التامة على بدنه فحسب، بل إن سيطرته وإرادته تنفذان إلى عالم الطبيعة الذي يُصيحّ مطيعاً للإنسان فيملك الإنسان في ظلّ القدرة والطاقة التي اكتسبها نتيجة

تقرّبه من الله التصرّف في عالم الطبيعة ويكون منشأً لسلسلةٍ من المعجزات والكرامات، وفي الحقيقة يُصبح قادراً على التصرّف في الكون والسيطرة عليه^(١).

ونحن نسأل: هل كان للرسول الأكرم ﷺ أيُّ تدخلٍ في المعجزة التي أتى بها، أي في نزول آيات القرآن الكريم عليه؟ من البديهي أن من له علم بالقرآن لا يُجيب عن هذا السؤال بالإيجاب لما يلي:

أ) قبل نزول الآيات الأولى من سورة العلق لم يكن النبيّ الأميُّ قد أدّى بعدُ عباداته وعبوديته على النحو الذي يستوجب عروجه إلى أعلى مدارج الكمالات المعنوية والروحية التي تجعله - حسب قولكم - يمتلك القدرة على التصرف في أمور العالم، كي يكون له تدخل في إظهار معجزة القرآن. ولهذا نرى أن القرآن الكريم خاطب النبيّ قائلاً: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلْكَتَبُ وَلَا الْإِيمَنُ﴾ [الشورى: ٥٢].

ولو كان للنبيّ تدخلٌ في نزول القرآن لما كان هناك من ضرورة إلى أن يُكرّر بين شفثيه وبصوت خافت الآيات التي تُوحى إليه خشية نسيانها، إلى درجة أن الله تعالى نهاه عن تلاوة الآيات قبل انقضاء وحيتها إليه واكتماله (سورة طه: ١١٤^(٢)، والقيامة: الآيات ١٦ إلى ١٨^(٣)).

ولو كان للرسول الأكرم ﷺ نوعٌ من التدخل والدور في نزول القرآن لما سمح لبعض المنافقين - قبل نزول الآية ٤٣ من سورة التوبة - بعدم الخروج معه إلى غزوة تبوك قبل أن يتأكّد

(١) الشيخ جعفر السبحاني، «نيروي معنوي پیامبران»، نشر قدر، ص ٢٦. والكلام الذي تمّ بيانه على النحو المذكور أعلاه هو الخرافة التي أُطلق عليها اسم «الولاية التكوينية». وقد أوضحت بطلان هذه الفكرة أو العقيدة في كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول» (ص ١٤١). كما ألفتُ كتابي «درسى از ولايت» (درس حول الولاية) بشكل خاص للردّ على هذه الخرافة وإثبات بطلانها.

(٢) نصّ الآية الكريمة التي يشر إليها المؤلف: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]. (المترجم)

(٣) ونص الآيات: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۗ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۗ فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۗ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٦ - ١٩] (المترجم)

من صحة ادّعاءاتهم وأعدارهم، أو لما عمل ما يستوجب نزول الآية ٣٧ من سورة الأحزاب عليه أو الآية الأولى من سورة التحريم. ويوجد نماذج عديدة لمثل هذه الأمور في القرآن ومن جملتها انقطاع الوحي عنه مدة ١٢ يوماً على الأقل رغم ميل النبي ﷺ وشوقه الشديد إلى الوحي^(١)، وكل هذه النماذج من الآيات تُثبت حقيقة أن الرسول الأكرم ﷺ لم يكن له أيُّ تدخل أو دورٌ في ظهور معجزة القرآن. بناءً على ذلك، فإن سائر الأنبياء أيضاً لا دخل لهم في ظهور معجزاتهم وصنعها. (فتأمل)

ب) عندما تكلم عيسى في المهد وعندما نال يحيى النبوّة والحكمة في الطفولة والصبأ لم يكونا قد قطعاً بعد مدارج الكمال المعنوي والروحي الرفيعة العالية، كي يكون ذلك سبباً لظهور معجزاتها. كما أن تعجّب حضرة مريم من ولادتها لابن دون أب^(٢) يدلُّ بوضوح على أن لم يكن لها أيُّ تدخل أو دور في صنع معجزة ولادة عيسى (ع) من غير أب^(٣).

ج) خلافاً لادّعاء الخرافيين، لا يُستفاد من كتاب الله أن الأنبياء كان لهم تدخلٌ في ظهور المعجزات، لأن القرآن يُصرّح بأن الرسول الأكرم ﷺ كان يميل بشدة إلى ظهور معجزات على يديه تحمل قومه على الإيمان، حرصاً منه على إيمان قومه ورغبةً منه في إسلامهم ونجاتهم إذ كان يُجزئه إعراض قومه عن دعوة الحق ويأسف ويغتمُّ لذلك حتى يكاد يهلك نفسه^(٤)، ولكن خلافاً لميله الشديد لم تكن تظهر على يديه أيُّ معجزة عندما لم تكن حكمة الله تقتضي ذلك. لهذا السبب

(١) راجعوا تفسير مجمع البيان، تفسير سورة الضحى المباركة.

(٢) الذي يدل عليه قوله تعالى على لسانها: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٤٧. ومثله أيضاً سورة مريم: الآية ٢٠] (المترجم)

(٣) ويُشار إلى أن زكريا (ع) أيضاً تعجّب من إمكانية ولادة امرأته العاقر فقال: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ [آل عمران: ٤٠] وقال: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٨]؛ مما يدلُّ على أنه لم يكن هو صانع تلك المعجزة وإلا لما تساءل عن إمكانية حدوثها ولا استغرب منها! (المترجم)

(٤) يدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَدِيعٌ قَدَّمْنَاكَ عَلَيَّ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦] (المترجم).

عندما كان يُقال عن النبي ﷺ: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الانعام: ٣٧]، كان القرآن يُجيب عن ذلك قائلاً: ﴿قُلْ إِنْ أَلَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الانعام: ٣٧]، أو عندما كان يُقال: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ كان القرآن يُجيب في الآية ذاتها: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [يونس: ٢٠]^(١) ويقول أيضاً: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ [الرعد: ٧]. أو عندما يُقال: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ [العنكبوت: ٥٠] كان القرآن يُجيب في الآية ذاتها: ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [العنكبوت: ٥٠]^(٢).

ويقول للنبي: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [الانعام: ٥٠]. ويقول: ﴿قُلْ... مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ أَلَّهَ إِلَّا لِلَّهِ... قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَفُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الانعام: ٥٧، ٥٨] (أي أنني لو كنت أمتلك القدرة على إهلاككم لاستفدت منها في القضاء عليكم أو هزيمتكم).

(د) قال المرحوم المطهري حول معجزات الأنبياء:

"لقد أعطى الله تعالى أصحاب المعجزات نوعاً من القدرة والإرادة يستطيعون بها أن يتصرفوا في الكائنات بإذن الله وأمره، فيحوّلوا العصا إلى ثعبان، ويجعلوا الأعمى بصيراً، وحتى يُحيوا

(١) لو كانت القدرة على إيجاد المعجزة قد حصلت في نفس النبي -حتى بإذن الله- لما كان هناك معنى للانتظار ولقام النبي بإيجاد معجزة بالقدرة التي اكتسبتها نفسه المطهرة من جانب الله، أو لقال: سأتي بالمعجزة عندما أرى المصلحة في ذلك ولم يقل: فانتظروا إني معكم من المنتظرين أي لمل جعل نفسه في زمرة المنتظرين مع مخالفته. كما لم يكن هناك من داع إلى أن يقول تعالى له: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ (فتأمل).

(٢) جاء في تفسير «جمع البيان» حول هذه الآية: "قل" يا محمد لهم «إنما الآيات عند الله» ينزلها ويظهرها بحسب ما يعلم من مصالح عباده وينزل على كل نبي منها ما هو أصلح له ولأمتة ولذلك لم تتفق آيات الأنبياء كلها وإنما جاء كل نبي بغير منها «وإنما أنا نذير مبين» أي منذر مخوف من معصية الله مظهر طريق الحق والباطل وقد فعل الله سبحانه ما يشهد بصدق من المعجزات."

أما الموحّدون فيقولون مُتعلّمين من القرآن ومن أقوال الأئمة^(٢): إن الأنبياء -بمن فيهم حضرة عيسى (ع)- على الرغم من علوّ مقامهم وعروجهم إلى أعلى درجات القرب من الحق، لا دخل لهم في ظهور المعجزات، لأنهم كانوا بشراً مخلوقين جاؤوا إلى الدنيا يوماً ورحلوا عن الدنيا في يوم آخر ولم يكونوا قادرين على التغلّب على حاجتهم إلى الهواء والتنفس وحاجتهم إلى الطعام وبالطبع حاجتهم إلى دفع فضلات الطعام عن أبدانهم و.....، وكانوا يحتاجون إلى النوم، ولم يكونوا مُنزّهين عن النسيان في غير أحكام الشريعة ومسائلها (سورة الكهف: ٢٤ و ٦١ و ٧٣) ويتعبون (سورة الكهف: ٦٢) وكانوا يمرضون^(٣). إذن لم يكن الأنبياء مُسيطرين على أجسامهم وحاكمين على الطبيعة ومُحيين للأموات، ولم يُفوّض الله تعالى لأولئك الشخصيات ذات المقام الرفيع -بمن فيهم حضرة موسى وعيسى عليها السلام- القدرة على تحويل العصا إلى ثعبان أو إحياء الموتى وشفاء الأعمى و..... بل كانت المعجزات تظهر على أيديهم بإذن الله الخاص

(١) مرتضى المطهّري، كتاب «ولاءها و ولايتها»، أي الولاءات والولايات، نشر دار التبليغ الإسلامية، قم، القطع الصغير، ص ٩٨.

(٢) قال المجلّسيّ حول معجزات حضرة المسيح (ع): «وَفِي قَوْلِ أَيْمَتِنَا (ع): إِنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ مَخْلُوقَةٌ خَلَقَ تَقْدِيرٌ لَا خَلْقَ تَكْوِينٍ، وَخَلَقَ عَيْسَى -عَلَى نَبِيِّنَا وَآلِهِ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ- مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ هُوَ خَلَقَ تَقْدِيرٌ أَيْضاً، وَمُكَوَّنٌ الطَّيْرِ وَخَالِقُهُ فِي الْحَقِيقَةِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ». (بحار الأنوار، ج ٤، ص ٢٠٧).

وقال حضرة الإمام الرضا (ع) أيضاً: "... لَمَّا ظَهَرَ مِنْهُ (أي من عليّ عليه السلام) الْفَقْرُ وَالْفَاقَةُ دَلَّ عَلَى أَنَّ مَنْ هَذِهِ صِفَاتُهُ وَشَارَكَهُ فِيهَا الضُّعْفَاءُ الْمُحْتَاجُونَ لَا تَكُونُ الْمُعْجَزَاتُ فِعْلُهُ، فَعَلِمَ بِهِذَا أَنَّ الَّذِي ظَهَرَ مِنْهُ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ إِنَّمَا كَانَتْ فِعْلُ الْقَادِرِ الَّذِي لَا يُشْبِهُ الْمَخْلُوقِينَ لَا فِعْلُ الْمُحَدَّثِ الْمُحْتَاجِ الْمُشَارِكِ لِلضُّعْفَاءِ فِي صِفَاتِ الضُّعْفِ". (الاحتجاج على أهل اللجاج، أحمد بن علي الطبرسي، تعليقات محمد باقر الخراسان، النجف، مطبعة النعمان، ج ٢، ص ٢٣٤)، ونقله عنه المجلّسيّ أيضاً في بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٢٧٦.

(٣) كما قال حضرة إبراهيم (ع): «وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي ﴿٨٠﴾ [الشعراء: ٨٠]. كما ابتلي عليّ (ع) بمرض في عينيه. كما مرض الرسول الأكرم ﷺ في آخر أيام عمره المبارك. فالكائن الذي صفاته محدودة والذي يفقد سلامة بدنه بمرض من الأمراض كيف يُمكنه أن يتقبل صفات واجب الوجود؟ راجعوا أيضاً كلام الشيخ الصدوق عن الإمام، الذي أوردناه في كتابنا «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، ص ١٣٣.

وإرادته، تأييداً للأنبياء وإثباتاً لصديق ادّعاءاتهم. ولو كان الله قد فوّض إلى الأنبياء أنفسهم القدرة على إحياء الموتى أو جعل العصا ثعباناً أو.... وكانت نفوس أولئك الأجلاء الكرام تتمتع بمثل تلك القدرة، لما تساءل أحد الأنبياء في نفسه، عندما مرّ على قرية حاوية على عروشها قد مات أهلها، كيف يُحيي الله هذه القرية بعد موتها؟ [سورة البقرة: ٢٥٩]، ولما سأل حضرة إبراهيم (ع) الله عزّ وجلّ أن يُريه كيف يُحيي الموتى كي يطمئن قلبه [سورة البقرة: ٢٦٠]، ولما خاف حضرة موسى (ع) قطعاً من تحول العصا إلى ثعبان مبین وولّى هارباً منه [سورة القصص: ٣١] ولما قال لفرعون: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الاسراء: ١٠٢].

ولو كان النبي الأكرم ﷺ مُسيطرًا على أرواح الآخرين وضمايرهم ومُسخرًا لها لاستطاع أن يهدي من أحبّ، أما القرآن فيقول خلاف ذلك، إذ يقول للنبي: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]. ولهذا السبب لما كان الناس يُطالبون الأنبياء بمعجزة ويقولون: ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ﴾ [ابراهيم: ١٠] كان الأنبياء يُجيبونهم قائلين: ﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَنٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [ابراهيم: ١١].

هـ) إحدى القضايا التي يُحاول بعضهم أن يحمل الآيات المتعلقة بحضرة سليمان (ع) عليها، تأثراً بأكاذيب «الكافي» (الحديث ٥ من الباب ٩٣ فيه) ونظائره، أو تأثراً بأباطيل الصوفية والعرفاء (كالأمور التي جاءت في كتاب «تذكرة الأولياء» لفريد الدين العطار النيشابوري وكتاب «حدائق الأنس» للجامي)، هي قولهم إن كان هناك من يستطيع أن يأتي بعرش ملكة سبأ من أرض اليمن إلى حضرة سليمان في فلسطين في أقل من طرفة عين، فلماذا لا تمتلك نفوس الأنبياء والأئمة مثل تلك القدرة على صنع أعمال معجزة كتحويل العصا إلى ثعبان وإحياء الموتى مثلاً؟! ثم إن الله تعالى أوكل إلى سليمان تعيين جهة الرياح وسخر الرياح له فما الإشكال في أن يتصرف الأنبياء والأئمة في الطبيعة وأمور العالم بإذن الله؟

وسنقوم ههنا -أداءً لواجبنا الديني وهدف توعية الناس إلى الحقيقة- ببيان حقيقة هذا الأمر،

لقد صرّح القرآن الكريم أن حضرة سليمان (ع) كان لديه -إضافةً إلى العمال من البشر- عمّالاً من الجن يعملون في خدمته [سورة النمل: ١٧] وكان كل فريق منهم يقوم بأعمال خارقة للعادة لم تكن مُستطاعة للبشر في ذلك الزمن. فكان بعضهم يغوص إلى أعماق البحار وبعضهم يصنع له أبنية عجيبة كبناء قصر فناؤه من الزجاج [سورة النمل: ٤٤]، وبعضهم ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾ [سبا: ١٣]... الخ، وهكذا....

ولم يكن أولئك العمال مُسخرين لقوة سليمان النفسية بل قال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ۝ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَتَاءٍ وَعَوَاصٍ ۝﴾ [ص: ٣٦، ٣٨]، أي أن تسخير الشياطين والجن وتقييدهم في الأصفاد كي لا يخرجوا عن طاعة سليمان وأوامره، كل ذلك كان من فعل الله، وكانوا يعملون له بإذن الله، فإذا زاع بعضهم عن أمر الله وأراد أن يتفلّت من طاعة سليمان أذاقه الله من عذاب السعير. [سورة سبا: ١٢]^(١).

كما لم تكن الرياح مسخرةً لنفس سليمان بل قال الله إنه بعد أن نجح سليمان في امتحانين إلهيين وَحَمِدَ اللهُ وَأَنَابَ إِلَى الْحَقِّ، سَخَّرَ تَعَالَى لَهُ -نتيجة ذلك- الريح تجري بأمره [سورة ص: ٣١] حتى [٣٦] وَأَن عُدُوَّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ (أي أنه كان يُسَيِّرُ الريح مسيرة شهر صباحاً ويُسَيِّرُهَا مسيرة شهر مساءً في الجهة المخالفة لجهة مسيرها في الصباح)، أي أنه كما سَخَّرَ اللهُ تَعَالَى النار فجعلها برداً وسلاماً على إبراهيم (ع) وقال: ﴿قُلْنَا يَنْتَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۝﴾ [الأنبياء: ٦٩]، وكما ألان الله تعالى الحديد لداود (ع) في زمنه كما قال: ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ۝﴾ [سبا: ١٠]، وكما أمر الطيور والجمال أمراً تكوينياً أن تُرَدَّدَ مع داود (ع) تسيحه لئله [سورة الأنبياء: ٧٩]، وسورة سبا: ١٠^(٢)، كذلك، وعلى نفس المنوال سَخَّرَ اللهُ تَعَالَى بقدرته اللامحدودة

(١) من المفيد الرجوع هنا إلى تفسير «مجمع البيان» الآية ١٢ من سورة سبا.

(٢) فاعل المعجزات في كلا الآيتين هو الله كما تُصرّح الآيات. ولاحظوا أيضاً مقطع الآية ٧٩ من سورة الأنبياء الذي يقول: ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، فهل يُمكن أن يكون هناك بيان أوضح من هذا؟ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا؟

الرياح لسليمان أي أمرها أن تطيع سليمان، لا أنه جعل في نفس سليمان قُدْرَةً روحيةً على تسخير الرياح.

والعجيب أن بعض المشايخ كأنهم لم يقرؤوا القرآن أو قرؤوه وتجاهلوا تماماً بعض آياته، فقد قال القرآن مراراً: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّلْأَنْهَارَ ۝٣٢﴾ و﴿سَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّلَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۝٣٣﴾ [إبراهيم: ٣٢ - ٣٣]. أو قال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ الَّلَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الَّلْأَرْضِ﴾ [لقمان: ٢٠].

فهل هناك عاقل يقول إن ما في السماوات والأرض مُسَخَّرٌ لنا فرداً فرداً بولايتنا التكوينية!!؟ فكيف يُمكننا أن نقول استناداً إلى الآية ٨١ من سورة الأنبياء إن سليمان كانت له ولاية تكوينية على الرياح!!؟

وقد ذكرنا توضيحات كافية في كتابنا «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول» (ص ٥٣٨ - ٥٣٩) حول الآيات ٣٨ إلى ٤١ من سورة النمل المباركة، فلا نُكْرِرُ ذلك هنا، لكننا نُذَكِّرُ أنه خلافاً لما يدعيه الخرافيون، تُبَيِّنُ آيات القرآن بوضوح حقيقة أن نبي الله حضرة سليمان لم يكن لديه ولاية تكوينية ولم يَقم بإحضار عرش ملكة سبأ بقدرته النفسية وقوته الروحية المعنوية - التي يقولون إنها فُوضت إليه ووُهبَت له بإذن الله - بل طلب ممن كانوا يعملون في خدمته بأمر الله ويقومون بأعمال خارقة للعادة، أن يُحضروا له عرشها. يُمكننا أن نفهم من آيات القرآن أنه كان في استطاعة أكثر من شخص في مجلس سليمان أن يأتي له بعرشها بصورة غير عادية وبسرعات مختلفة بالطبع، لذلك طلب سليمان (ع) من أهل مجلسه أن يأتوا بعرشها وقال لهم: أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بَعْرَشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [سورة النمل: ٣٨]. ولا دليل لدينا على أن الذي أتى بالعرش كان إنساناً، (والبيئة على المدعي). أما لو أصررتم -استناداً إلى الروايات- على أنه كان إنساناً يدعى «أصف بن برخيا» أو «بلخيا» أو «أسطوم» أو.....، ففي هذه الصورة أياً كان ذلك الشخص، فإنه -طبقاً للمستندات ذاتها التي ذكرها الشيخ الطَّبْرَسِيُّ في تفسيره «مجمع البيان» - قد ذكر اسم الله الأعظم ودعا به

فاستُجيب دعاؤه وأُحضر عرش بلقيس إلى مجلس سليمان بإرادة الله^(١). خاصةً أن سليمان (ع) قال بعد أن رأى العرش حاضراً أمامه: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ [النمل: ٤٠]، فبناءً على ذلك لا مكان لادعاء امتلاك الأنبياء والأئمة للولاية التكوينية.

ولكننا نعتقد أن الذي أتى بعرش بلقيس كان كائناً غير بشري مُطَّلِعاً على بعض ما في اللوح المحفوظ وكان في استطاعته أن ينقل شيئاً من مكان إلى آخر في أقل زمن ممكن. ولا يُمكننا أن نُلفِّق من عندنا بأنه كانت لديه ولاية تكوينية وأنه كان يتصرف في عالم الخليقة وأن أرواح الآخرين وضمائرهم كانت تحت سيطرته ومُسَخَّرَةً له!!

وينبغي أن ننتبه إلى أن الحقَّ تعالى ذمَّ في الآية ٧٣ من سورة الحج^(٢) الذين يعبدون غير الله دون دليل شرعي، ثم قال مُستخدماً حرف «لن»^(٣) -ودون أن يستثنى أحداً من هذا النفي- أنه لو اجتمع جميع الذين عُبدوا من دون الله -بما في ذلك بعض الأنبياء كحضرة عيسى^(٤) والأئمة والملائكة و...^(٥) - وتكاتفوا وتعاونوا مع بعضهم، لن يستطيعوا أن يخلقوا ذبابةً ولا أن يستعيدوا شيئاً سلبت منهم الذبابة إياه، إذن كيف يُمكن أن يقول تعالى في سورة آل عمران إنه منح حضرة

(١) جاء في الأدعية المروية عن حضرة عليّ (ع) أنه كان يقول في دعائه الله عزَّ وجلَّ: "وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي سَأَلْتُكَ بِهِ عَبْدُكَ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ فَأَتَيْتُهُ بِالْعَرْشِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرْفُهُ". (الصحيفة العلوية، دعاؤه في اليوم الخامس عشر من الشهر).

(٢) وهي قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج: ٧٣]. (المترجم)

(٣) يُستخدم هذا الحرف غالباً بمعنى النفي الأبدي، وقد جاء بهذا المعنى أيضاً في الآية ١٤٣ من سورة الأعراف.

(٤) لاحظوا أن عوام النصارى يدعون عيسى وأمه عندما يُواجهون مشكلات ومصاعب.

(٥) لا يُمكننا أن نقول: إن المقصود من عبارة «من دون الله» في الآية المذكورة أعلاه «الأصنام» لأن القرآن استخدم اسم الموصول «الذين» وضمير الجمع «الواو» وضمير «هم» بحق «من دون الله» وهي كلها حروف وضمائر خاصة بالعقلاء ذوي الشعور ولا تُستخدم بحق الجمادات.

المسيح (ع) القدرة الروحية على إحياء الموتى أو شفاء الأكمه (الأعمى من الولادة) أو أنه أعطى سليمان القدرة الروحية على تعيين جهة الرياح!؟

إن قيل عن الجزء الأول من الآية إن المقصود هو أنهم لن يستطيعوا الخلق على نحو مُستقل عن الله، فينبغي أن ننتبه إلى أن الجزء الثاني من الآية يدل على أن المقصود يعمُّ الخلق المُستقل عن الله والخلق المُفَوَّض من قبل الله، لأنه إذا فُوض إلى مخلوق القدرة على الخلق فإنه يمتلك عندئذ مراتب ما دون الخلق وبالطبع يستطيع أن يستعيد ما سلبه الذباب منه. (فتأمل)

أما بشأن الآية ٤٩ من سورة آل عمران المباركة فينبغي أن ننتبه إلى بضعة نقاط مهمة فيها كي يتفق ما نذكره بشأنها مع سائر آيات القرآن:

النقطة الأولى: يقول القرآن الكريم: ﴿وَأِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: ٥٠] أي أن المعجزات عند الله وحده. ويقول أيضاً: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [رعد ٣٨ - غافر: ٧٨].

النقطة الثانية: لو قلنا إن عيسى خلق الطير بالقدرة التي وهبه الله إياها ففي هذه الحالة كان يكفيهِ أن يقول: «أخلق طيراً بإذن الله» ولما كانت هناك ضرورة إلى جملة: ﴿مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ [آل عمران: ٤٩]. (فتأمل جداً دون العصبية). ولكن وجود هذه الجملة يُبين أن للمعجزة نسبتين:

الأولى: نسبتها إلى الله تعالى الموجد والمكوّن لها، كما بيّنا ذلك في كتابنا «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول» (ص ١٣٨ فما بعد)، والله تعالى ذاته قال عن المعجزات: ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الانباء: ٧٩]، وَمِنْ ثَمَّ فنسبة المعجزة إلى الله نسبة حقيقية.

والنسبة الثانية: هي ارتباط المعجزة بادّعاء الأنبياء وهي أيضاً نسبة حقيقية صحيحة لأن الله تعالى حَقَّقَ تحويل التمثال الطيني للطير إلى طير حقيقي أو حقق شفاء الأعمى من الولادة أو الأبرص أو تحوّل العصا إلى ثعبان استجابةً لطلب النبي أو دعائه أو توجهه، تصديقاً لادّعاءه النبوة وتأييداً له، وبهذا الاعتبار كانت المعجزة خاصة بالنبي أو منسوبة إلى النبي ومؤيّدة له.

النقطة الثالثة: لما كان تفسير القرآن بالقرآن من أوثق الطرق وأكثرها صحةً لفهم آيات القرآن، سَتَّبَعُ هذا المنهج في تفسيرنا للآيات المتعلقة بمعجزات عيسى (ع) وسنستند في توضيحنا للآية ٤٩ من سورة آل عمران إلى الآية ١١٠ من سورة المائدة^(١) التي نزلت بعد سورة آل عمران وفَسَّرَت الآية ٤٩ منها وأوضحت المقصود منها.

من الضروري أن ننتبه إلى أن الآية ٤٩ من سورة آل عمران نقلت لنا قول حضرة عيسى (ع) الذي خاطب به قومه في مقام إظهار المعجزات، وفي مثل هذا المقام لا ضرورة لذكر بعض التفاصيل. أما الآية ١١٠ من سورة المائدة فقد نقلت لنا خطاب الله تعالى لعيسى (ع) في مقام تذكيره بفضل الله تعالى عليه ورحمة الله إياه، ولذلك ذكرت التفاصيل، ولهذا السبب -خلافاً للآية ٤٩ من سورة آل عمران التي جاء فيها ضمير «هـ» المذكر وفعل المذكر «فيكون» الذي يرجع إلى «الطير»- استخدمت الآية ١١٠ من سورة المائدة ضمير المؤنث «ها» وفعل المؤنث «فتكون» الذي يرجع إلى كلمة «هيئة» ويدل على أن عيسى (ع) إنما خلق «هيئة» الطير من الطين بالإذن الإلهي العام الذي يتمتع به الآخرون أيضاً، ثم نفخ في هذه الهيئة، فتحولت تلك الهيئة والصورة المذكورة إلى طير بإذن الله الخاص، وعلى هذا فالآية بيّنت وجود تفاوت بين هذين الفعلين، خاصة أنها ذكرت قيد «يَأْذِنِي» [المائدة: ١١٠] بعد جملة: «وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ يَأْذِنِي» [المائدة: ١١٠] وقبل جملة: «تَنْفُخُ فِيهَا» [المائدة: ١١٠]. في حين أنه لا شبهة بأن جميع الناس -إضافةً إلى عيسى- كانوا قادرين على ذلك العمل. فهذا القيد يبيّن أنه حتى موعد إظهار تلك المعجزة وزمنه لم يكن متروكاً لعيسى ولا بيده بل منوطاً بالإذن الإلهي وموكولاً إليه، وكان عيسى (ع) مُجَازاً بإظهار تلك المعجزة بعد الإذن والإعلام الإلهيين له بذلك، فإذن لم يكَلِ الله تعالى له القدرة على صنع مثل هذه المعجزة بقدرة الله.

وفي هذه الآية ذاتها لم يستخدم الله تعالى بشأن إحياء الأموات تعبير «تُحْيِي الْمَوْتَى» بل استعمل تعبير «تُخْرِجُ الْمَوْتَى» الذي يبيّن معنى «أحيي» الذي ورد في الآية ٤٩ من سورة آل عمران، ويدل

(١) ونص المراد منها: «... وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ يَأْذِنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا يَأْذِنِي وَتُبْرئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ يَأْذِنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى يَأْذِنِي» [المائدة: ١١٠].

على أن عيسى كان يُخرج الموتى لأجل أن يتم إحيائهم، أما الإحياء فلم يكن من فعله^(١)، خاصةً أن عيسى (ع) قال في الآية المذكورة من سورة آل عمران: ﴿وَأُخِي الْمَوْتَى﴾ [آل عمران: ٤٩]، ولكنه لم يبيّن كيفية ذلك الإحياء، فلم يقل في مُتابعة كلامه مثلاً: «بالدعاء» أو «بمسح اليد على الميت» أو «بالتوجه إلى الله».... كما لم يقل: «بالقدرة التي أعطانيها الله»، بل قال: «ياذن الله» التي تعني في الأمور التكوينية «بإرادة الله»، كما جاء في قوله تعالى ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ وَيُذِنُ رَبِّيهِ﴾ [الاعراف: ٥٨]، وقوله تعالى: ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذِنُ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَيُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [الحج: ٦٥]. بناءً على ذلك، يتبيّن أن الله هو الموجد والخالق والصانع للمعجزة المنسوبة إلى النبي^(٢).

ثم إنه لو وهب الله تعالى القدرة على إحياء الموتى إلى غيره لما قال أبو الأنبياء وخليل الرحمن حضرة إبراهيم (ع): ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيُظْمِنَنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]. وأساساً لو أن القدرة على صنع المعجزات كانت قد أُعطيت للأنبياء لقال حواريو المسيح (ع): هل تستطيع أن تُنزل علينا أنت مائدةً من السماء بدلاً من قولهم: ﴿هَلْ

(١) يقول الشيخ الطوسي، في تفسيره «التبّيان»، في تفسير الآية ٤٩ من سورة آل عمران والآية ١١٠ من سورة المائدة: "وإنما قيّد قوله: ﴿فَيَكُونُ ظَيْرًا﴾ بقيد «ياذن الله» ولم يقيد قوله: ﴿أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطَّيِّبِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ بذكر «إذن الله» لينبّه بذكر الإذن أنه من فعل الله دون عيسى. وأما التصوير والنفخ، ففعله، لأنه مما يدخل تحت مقدور القدر، وليس كذلك انقلاب الجراد حيواناً فإنه لا يقدر على ذلك أحد سواه تعالى. وقوله: ﴿وَأُخِي الْمَوْتَى يَأْذِنُ اللَّهُ﴾ على وجه المجاز إضافةً إلى نفسه، وحقيقته: ادعوا الله بإحياء الموتى فيحييهم الله فيحيون بإذنه". انتهى.

وقال الشيخ الطوسي أيضاً في تفسير شفاء الأكمه والأبرص: "قوله ﴿وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي﴾: معناه إنك تدعوني حتى أبرئ الأكمه، وهو الذي خُلِقَ أعمى..... وقوله: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾: أي اذكر إذ تدعوني فأحيي الموتى عند دعائك وأخرجهم من القبور حتى يشاهدتهم الناس أحياء. وإنما نسبه إلى عيسى لما بينا من أنه كان بدعائه". انتهى. (التبّيان، الطبعة الحجرية في خط أبو القاسم خوشنويس، ص ٣١٧ و٥٨٢).

(٢) راجعوا أيضاً كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، ص ١٤٦-١٤٧.

يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴿ [المائدة: ١١٢]؛ فهذا يُبيِّن أن الحواريين لم يكونوا يعتبرون إيجاد المعجزة أمراً مُستطاعاً للنبيِّ ذاته. (فتأمل). ولهذا السبب دعا عيسى (ع) رَبَّهُ كي يُنزل عليهم مائدةً من السماء فأجابه تعالى قائلاً: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١١٥].

بناءً على ذلك ينبغي أن نعلم أن ظهور سائر المعجزات كان على هذا المنوال أيضاً.

علاوةً على ذلك، فقد صرَّح الله تعالى، إتماماً للحجَّة، أنه لا يُفَوِّضُ إلى أحد ولا يهب أحداً صفاتٍ تُوجب مُشابهته لِلَّهِ كإحياء الموتى وشفاء المرضى من غير وسيلة، وتبديل ماهية الأشياء (كتبديل العصا ثعباناً أو إخراج الناقة من الجبل و....) وتبديل أمور حياة الناس، والحضور في كل مكان، والسمع غير المحدود و.... فقال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الروم: ٢٨، ٢٩].

جاء في تفسير «مجمع البيان»:

"كانت تلبية قريش: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك»، فأنزل الله تعالى الآية ردّاً عليهم وإنكاراً لقولهم... أي أنكم إذا لم ترضوا في عبيدكم أن يكونوا شركاء لكم في أموالكم وأملاككم فكيف ترضون لربكم أن يكون له شركاء في العبادة؟..... ثم قال سبحانه مُبيناً لهم أنهم إنما اتبعوا أهواءهم فيما أشركوا به «بل اتبع الذين ظلموا» أي أشركوا بالله «أهواءهم» في الشرك «بغير علم» يعلمونه جاءهم من الله..."^(١).

إن التدبُّر في المثال الذي ذكرته الآية الكريمة يُبيِّن بوضوح أن الآية تعمُّ أكثر من الوجه الاستقلالي للشرك لأنها تقول: كما أنكم لا تُعطون لعبيدكم ذلك القدر من المال والممتلكات الذي يجعلهم مُساوين لكم ومُشابهين لكم، رغم أنَّ مُساواة العبد لمولاه منشؤها المال الذي يُعطيه المولى للعبد وليس للعبد من ذات نفسه مالاً ولا ملكاً، ويستطيع المولى أن يسحب من

(١) تفسير «مجمع البيان»، ذيل الآية ٢٨ و ٢٩ من سورة الروم. (بتقديم وتأخير وتلخيص (المُترجم)).

عبده ما أعطاه إياه فالله تعالى لا يُعطي لعبيده مثل هذه القدرات^(١).

النقطة الرابعة: أما قول المُطَهَّرِيِّ إن «الإنسان خليفة الله بنصّ القرآن المجيد» فهو قول غير صحيح، وهو ينسبُ في الواقع أكاذيب الباب ٧٠ من «الكافي» وأباطيل العرفاء والصوفية التي لا دليل عليها، إلى القرآن الكريم. راجعوا بشأن الزعم أن الإنسان خليفة الله ما ذكرناه في كتابنا «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول» (ص ٤٣٦). وليت المرحوم المُطَهَّرِيُّ أبدى مزيداً من الدقة والإنصاف فقال: الإنسان خليفة الله «بحسب ظاهر القرآن» بدلاً من قوله «بنصّ القرآن المجيد»، رغم أن ذلك القول أيضاً غير صحيح إلا أنه أقلُّ بُعداً عن الدقّة والإنصاف من العبارة التي استخدمها.

أما قوله: إن عقيدة الموحّدين مضادّة للإنسان إذ تنزّل به إلى مرتبة الحيوان الطبيعي، فهو قولٌ ناشئٌ من تعصبه للخرافات الحوزوية، وإلا فبطلان هذا القول أوضح من أن يعجز عن إدراكه.

فليت شعري! إذا قلنا: إن الإنسان يُمكنه أن يصل إلى أعلى درجات الفلاح ولكن في الوقت ذاته لا يستطيع -حتى لو كان نبياً- أن يُحيي الميت أو يشفي الأعمى من الولادة أو يُحوّل العصا ثعباناً أو يَسْمَع جميع الأصوات والنداءات في زمن واحد، نكون قد نزلنا بمرتبة الإنسان إلى مستوى الحيوان الطبيعي؟! هل الوصول إلى أسمى الفضائل الأخلاقية وأعلى درجات المعرفة الإنسانية والسيطرة على النفس وكسب أهلية نيل رضوان الله و..... شيء قليل ولا يُوجب ارتقاء الإنسان عن درجة الحيوانية؟ في رأيكم يا ساحة الشيخ هل كان أولئك الصحابة الذين تبدي محبّتك لهم مثل جعفر الطيار وأبي ذرّ الغفاري وعمّار بن ياسر وشهداء بدر وأحد و..... رضي الله عنهم -الذين لم يكونوا يُحيون الموتى ولم تكن الرياح مُسخّرة لإرادتهم- مُجرّد حيوانات طبيعية؟! أنصف القول، هل عقيدتنا ضد الإنسان أم عقيدتكم؟

النقطة الخامسة: نسأل الشيخ المُطَهَّرِيِّ: لماذا لا تستند إلى القرآن لإثبات مقصدك وما ترمي

(١) لا شك أن ممكن الوجود والمخلوق لا يُمكن أن يتّصف بصفات واجب الوجود. «أين التراب وربُّ الأرباب»؟

إليه، ولماذا لم تأتِ بآية واحدة من كتاب الله كشاهد يدعم كلامك؟ بل اقتصرت على التثبُّت بجمل مأخوذة من «الزيارة الجامعة» الفاقدة للاعتبار^(١) مع أن الاستناد إليها، على الأقل في مثل هذا المقام، لا يصحُّ.

إضافةً إلى ذلك فنحن لم نقل إن الأنبياء والأئمة -عليهم السلام- ليسوا أولياءً لله، أو ليسوا هادين مُرشدين إلى الحق ودعاةً إلى الله وأدلاءً على مرضاة الله، بل كل ما نقوله هو أنه لا يُمكننا أن نستنتج من كونهم هداةً ومُرشدين، جواز دعائهم في كل مكان وزمان وفي كل حال من الأحوال وجواز الطواف حول مراقدهم وجواز اعتبارهم مُطلَّعين على أحوالنا سامعين لأدعيتنا حتى بعد رحيلهم عن الدنيا! (فَتَأَمَّلْ).

النقطة السادسة: لو صدقتم والتزمتم بقولكم إنه يجب النظر والتوجه إلى الأنبياء والأولياء بوصفهم طريقاً نسلكه نحو الحق لا غاية بحدِّ ذاتها، فإننا نتفق معكم تماماً في هذا الكلام، ونؤيدكم فيه من كل قلبنا، لأننا نُصرُّ أننا يجب أن نتبع تعاليم أولئك الكرام الأجلاء وننأسى بأفعالهم في حياتنا.

لكننا نسألكم بالله عليكم اصدقونا القول: ما هي التعاليم الباقية التي تركها لنا أمثال «السيد نصر الدين» أو «الإمام زاده صالح» في طهران أو «شاهچراغ» في شيراز أو «حضرة المعصومة» في قم -ونظائرهم الكثيرين ممن لا توجد بلدة ولا قرية ولا صقع في إيران يخلو من مزاراتهم!!- التي تستفيدون منها الآن للسلوك نحو الحق تبارك وتعالى؟

إنكم تصرفون أموال المسلمين دون مُجَوِّز شرعي على بناء القباب والأضرحة وتزيين قبور أولئك الصالحين^(٢)، وتحثُّون المسلمين على زيارة قبورهم وقراءة نصوص الزيارات عندها

(١) بشأن عدم صحة هذه الزيارة راجعوا كتاب «زيارت و زيارتنامه» (زيارة المزارات وأدعية الزيارات) ص ٩٨ حتى ١٠١، و ص ٣٥٠ حتى ٣٥٦.

(٢) حول هذه المسألة، من المفيدة جداً بل من الضروري قراءة كتاب «زيارت و زيارتنامه» (زيارة المزارات وأدعية الزيارات) للمرحوم قلمداران.

والطواف حول مراقدهم والنذر لهم وطلب الشفاعة منهم^(١)، وتؤمنون بثوابات عظيمة لزيارة قبورهم، وتعتقدون بصفات فوق بشرية ليس للأئمة فحسب بل حتى لوكلائهم ونوابهم!!
يوصي الشيخ عباس القمي الناس، نقلاً عن كتاب «تحفة الزائر» للمجلسي وكتاب «مفاتيح النجاة» للسبزواري^(٢)، فيقول:

(١) من الطريف أن الشيخ عباس القمي ذاته يعترف أن هناك خلاف بشأن موضع قبر «أبو الحسن علي بن جعفر العريضي» الذي يذهب قومنا فوجاً فوجاً إلى زيارة قبره، فقد اختلفوا هل دُفن في قم أم في قرية «العريضي» التي تبعد مسافة فرسخ عن المدينة المنورة وكان يسكن فيها هو وذريته (منتهى الآمال، ج ٢، ص ١٦٤).
ورغم أن اسم ولد واحد من أولاد حضرة الكاظم (ع) كان «حمزة»، لكن الشيخ عباس القمي يقول بشأن «أبو القاسم حمزة بن موسى»: إن قبره في «شاه عبد العظيم» (في مدينة ري). ثم يقول في صفحة تالية: إن قبر المذكور "معروف في بلدة اصطخر من أعمال شيراز وهو مشهور هناك ويزوره القاضي والداني.... وفي قرية ترشيز أيضاً هناك من يعتقد أن ثمة مقبرة للإمام زاده حمزة". ثم يقول في الصفحة ذاتها: "ويوجد في مدينة قم الطيبة مزار معروف باسم شاه زاده حمزة..... وله فناء وقبة وضريح، ويدل كلام صاحب «تاريخ قم» أن ذلك الشخص الجليل هو حمزة بن موسى (ع) ذاته". (منتهى الآمال، ج ٢، ص ٢٣٤ و٢٣٥).

فليت شعري! كيف يكون لإنسان واحد ثلاثة قبور في أماكن مختلفة؟! وإذا كان هذا حال قبر ابني مباشر لأحد الأئمة فما بالك بقبور الأحفاد والذرية! للأسف إن عوام الناس لا يتبهون إلى هذه المسائل وحيث ما وجدوا قبّة وضريحاً هرعوا إلى زيارة صاحبه وتأمّلوا الثواب من ذلك!! حتى أنهم يجعلون من موضع ما مزاراً لمجرد رؤية شخص مناماً في ذلك، كما قال الشيخ عباس القمي: "أفعد أحمد بن قاسم وابتلي بمرض شديد وأصاب الجدري عينيه فأتلفها ولما أدركته الوفاة دُفن في مقبرة قديمة في مالون.... فرأى بعض الصالحين في قم مناماً سنة ٣٧١ أن الذي يسكن في هذه التربة هو رجل فاضل جداً وأن لمن زاره ثواب عظيم وأجر جزيل، فقاموا بتجديد بناء قبره وتحديثه واستأنف الناس زيارته. وقال جماعة من الثقات إن كثيراً ممن كانوا مُبتلين بأمراض قديمة أو كان في عضو من أعضاء جسمهم بلاء ونقص شُفوا من علمهم عندما ذهبوا إلى قبره وطلبوا الشفاء، ببركة روحه الشريفة!!!". (منتهى الآمال، ج ٢، ص ١٦٥). وللأسف إن العوام لا يسألون أنفسهم كيف يُمكن للناس أن ينالوا الشفاء بواسطة من لم يستطع أن يشفي عيني نفسه؟! كما أنهم لا يتساءلون من أين عرفوا أن لزيارة قبره أجراً وثواباً عظيمين؟ ولا يتساءلون هل الأحلام والمنامات حُجّة شرعية؟!

(٢) كتاب «مفاتيح النجاة» هو بالفارسية في الأدعية المأثورة، ومؤلفه هو المولى المحقق الفقيه محمد باقر السبزواري (توفي ١٠٩٠ هـ. ق.) صاحب كتاب ذخيرة المعاد. (المُترجم)

"إِذَا كَانَ لَكَ حَاجَةٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَارْتَبِطْ بِرُفْعَةٍ عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ وَاطْرَحْهَا عَلَى قَبْرِ مَنْ قُبُرِ الْأَيِّمَةِ إِنْ شِئْتَ أَوْ فَشِدَّهَا وَاخْتِمَهَا وَاعْجِنْ طِينًا نَظِيفًا وَاجْعَلْهَا فِيهِ وَاطْرَحْهَا فِي نَهْرٍ جَارٍ أَوْ بِئْرِ عَمِيقَةٍ أَوْ عَدِيرٍ مَاءٍ فَإِنَّهَا تَصِلُ إِلَى السَّيِّدِ (ع) وَهُوَ يَتَوَلَّى قَضَاءَ حَاجَتِكَ بِنَفْسِهِ!! وَاللَّهُ بِكْرَمِهِ، لَا تُخَيِّبُ أَمَلَكُ. تَكْتُبُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، كُتِبَتْ إِلَيْكَ يَا مَوْلَايَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْكَ - مُسْتَعِيثًا وَشَكُوتًا مَا نَزَلَ بِي مُسْتَجِيرًا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ بِكَ مِنْ أَمْرِ قَدْ دَهَمَنِي..... فُلَجَاتٌ فِيهِ إِلَيْكَ وَتَوَكَّلْتُ فِي الْمَسْأَلَةِ لِلَّهِ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - عَلَيْهِ وَعَلَيْكَ..... الخ".

وأقول: ليت شعري! إن لم تكن هذه الأمور شركاً فما هو الشرك إذن؟!!

ثم يواصل الشيخ عباس القميّ كلامه قائلاً:

"ثُمَّ تَصَعَّدُ النَّهْرُ أَوْ الْعَدِيرُ وَتَعْتَمِدُ بِهِ بَعْضُ الْأَبْوَابِ إِمَّا «عُثْمَانَ بْنَ سَعِيدٍ الْعَمَرِيِّ» أَوْ وَلَدَهُ «مُحَمَّدَ بْنَ عُثْمَانَ» أَوْ «الْحُسَيْنَ بْنَ رَوْحٍ» أَوْ «عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ السَّمَرِيِّ» فَهَؤُلَاءِ كَانُوا أَبْوَابَ الْإِمَامِ (ع) فَتُنَادِي بِأَحَدِهِمْ وَتَقُولُ: يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ سَلَامٌ عَلَيْكَ أَشْهَدُ أَنَّ وَفَاتَكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنْتَ حَيٌّ عِنْدَ اللَّهِ مَرْزُوقٌ..... وَهَذِهِ رُفْعَتِي وَحَاجَتِي إِلَى مَوْلَانَا (ع) فَسَلَّمَهَا إِلَيْهِ فَأَنْتَ الثَّقَةُ الْأَمِينُ ثُمَّ أَرْمِ بِهَا فِي النَّهْرِ وَكَأَنَّكَ تُخَيِّلُ لَكَ أَنَّكَ تُسَلِّمُهَا إِلَيْهِ فَإِنَّهَا تَصِلُ وَتَقْضَى الْحَاجَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى..... فَيَعْلَمُ بِذَلِكَ أَنَّ مَائِدَةَ إِحْسَانٍ وَجُودِ إِمَامِ الزَّمَانِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - وَجُودِهِ وَكْرَمِهِ وَفَضْلِهِ وَنِعْمِهِ مَبْسُوطَةٌ فِي كُلِّ قَطْرٍ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ، لِكُلِّ مُضْطَرَبٍ ضَعِيفٍ، وَضَائِعٍ مِنْهَكِ، وَمَتَحِيرٍ جَاهِلٍ تَائِهٍ، وَأَنْ بَابَهُ مَفْتُوحٌ، وَجَادَّتْهُ مَشْرَعَةٌ، مَعَ صِدْقِ الْإِضْطِرَارِ وَالْحَاجَةِ، وَالْعَزْمِ مَعَ صِفَاءِ الطَّوَيَّةِ وَإِخْلَاصِ السَّرِيرَةِ، فَمَنْ كَانَ جَاهِلًا جَرَّعَهُ مِنْ شَرَابِ عِلْمِهِ، أَوْ تَائِهًا أَخَذَ بِيَدِهِ إِلَى سِوَاءِ سَبِيلِهِ، أَوْ مَرِيضًا أَلْبَسَهُ لِبُوسَ عَافِيَتِهِ..... وَالْمَقْصُودُ فِي هَذَا الْمَقَامِ هُوَ أَنَّ صَاحِبَ الزَّمَانِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - حَاضِرٌ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَنَاطِرٌ فِي أَحْوَالِ الرَّعِيَّةِ، وَقَادِرٌ عَلَى كَشْفِ الْبَلَايَا، وَعَالِمٌ بِالْأَسْرَارِ وَالْخَفَايَا.... الخ"^(١).

ويواصل كلامه حتى يصل إلى القول:

(١) منتهى الآمال، ج ٢، ص ٤٩١ و ٤٩٢. أو النسخة المعرّبة لكتاب «منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل»، للشيخ عباس القمي، تعريب الأستاذ نادر التقي، بيروت، الدار الإسلامية، ١٩٩٤م - ١٤١٤هـ، باب رقعة الحاجة، ج ٢، ص ٦٥٢ - ٦٥٣. (المترجم)

"نعم، إن إجابة المضطر لا تصدر إلا عن الله تعالى أو عن خلفائه!!!"^(١).

ويعرف الشيخ عباس القمي قراء كتابه «الباقيات الصالحات» (حاشية مفاتيح الجنان، ص ٢٤٨ فما بعد) بصلاة باسم «الاستغاثة بحضرة البتول» فيقول:

".... فَإِذَا سَلَّمْتَ [من الصلاة المذكورة] كَبَّرَ اللهُ ثَلَاثًا وَسَبَّحَ نَسِيحَ فَاطِمَةَ (ع) ثُمَّ اسْجُدْ وَقُلْ مِائَةَ مَرَّةٍ: «يَا مَوْلَاتِي فَاطِمَةُ أَغِيثِي» ثُمَّ صَعَّ حَذَّكَ الْأَيْمَنَ عَلَى الْأَرْضِ وَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عُدَّ إِلَى السُّجُودِ وَقُلْ ذَلِكَ مِائَةَ مَرَّةٍ وَعَشْرَ مَرَّاتٍ وَادْكُرْ حَاجَتَكَ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْضِيهَا"^(٢).

أو ينقل عن كتاب «مكارم الأخلاق» للطبرسي تهمته مفتراة على الإمام المظلوم حضرة الصادق (ع) أنه قال:

"إِذَا كَانَتْ لِأَحَدِكُمْ اسْتِغَاثَةٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَلْيُصَلِّ رُكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَسْجُدْ وَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! يَا عَلِيُّ يَا سَيِّدَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ! بِكُمَا اسْتَعِيثُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ! اسْتَعِيثُ بِكُمَا. يَا عَوْنَاهُ بِاللَّهِ وَبِمُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ، وَتَعُدُّ الْأُمَّةَ (ع)، بِكُمْ أَتَوَسَّلُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّكَ تُغَاثُ مِنْ سَاعَتِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى!!!"^(٣).

أو يقول: إن إمام الزمان قال «للحسن بن مثله الجمكراني»^(٤): "صلاة ركعتين في مسجد جَمَكْرَانَ تعدل صلاة ركعتين في جوف الكعبة!!".

أو يذكر زيارة «هانئ بن عروة» (ص ٤٠٤)^(٥) أو زيارة «النواب الأربعة» ويعتبرها من وظائف زوار الكاظمين، وأن على الزائر مخاطبتهم قائلاً: "بِكَ إِلَيْهِمْ [أي إلى الأئمة] تَوَجَّهِي،

(١) قارن قول الشيخ عباس القمي هذا الذي لا يعتبر إجابة المضطرين خاصة بالله تعالى هذه الآية من القرآن التي قال تعالى فيها: «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ... أَوْلَهُ مَعَ اللَّهِ» [النمل: ٦٢].

(٢) ورواها المجلسي في بحار الأنوار، ج ٩١، ص ٣١. (المترجم)

(٣) ورواها المجلسي في بحار الأنوار، ج ٨٨، ص ٣٥٧. (المترجم)

(٤) للتعرف على حاله راجعوا كتاب «زيارات وزيارتنامه» [زيارة المزارات وأدعية الزيارات] تأليف المرحوم الأستاذ حيدر علي قلمداران، الصفحة ١٦٧.

(٥) ص ٥٢٢ من النسخة المعربة لمفاتيح الجنان.

يا للعجب! ألم يسمع الشيخ عباس القمّي آية: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]؟! ألم يقرأ قول الإمام الرضا (ع) الوارد في تفسير «مجمع البيان» للشيخ الطبرسيّ ذيل تفسير هذه الآية؟!؟

ونسأل الشيخ المطهريّ: أليست الصفات التي تُثبتها للإمام صفات إلهية؟ هل يسمع وكلاء الإمام ونوابه أو هانئ ابن عروة أيضاً كل نداء ودعاء بعد موتهم؟! هل كتَبَ المجلسيُّ أو الشيخ عباس القمّي تلك الأمور بقصد أن يتوجه الناس إلى الأنبياء والأولياء بوصفهم مجرد طريق يسلكونه للوصول إلى الحق تبارك وتعالى لا بوصفهم غاية بحدّ ذاتها؟!؟

ونسأل المطهريّ أيضاً: هل أستاذك الذي قال في كتابه:

"إذ للإمام مقامات معنوية مستقلة عن وظيفة الحكومة. وهي مقام الخلافة الكلية الإلهية التي ورد ذكرها على لسان الأئمة (ع) أحياناً، والتي تكون بموجبها جميع ذرّات الوجود خاضعة أمام "ولي الأمر"!!!..... وفي الأساس فإن الرسول الأكرم ﷺ والأئمة (ع) - وبحسب رواياتنا^(٢) - كانوا أنواراً في ظل العرش قبل هذا العالم، وهم يتميزون عن سائر الناس في انعقاد النظفة والطينة^(٣)....." (٤).

(١) ص ٦٢٠ من النسخة المعرّبة لمفاتيح الجنان.

(٢) لماذا لا يستند إلى آية من القرآن؟! الجواب واضح وهو أنه ليس في القرآن أثر لمثل هذه العقائد.

(٣) قارنوا هذه الأقوال بآيات القرآن الكريم التي يقول الله تعالى فيها لنبيّه: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ..﴾ [الأحقاف: ٩]، ويقول: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: ١١]. ويجب أن نتنبه إلى أن الأنبياء آيدوا ذلك المقطع من كلام تحالفهم الذين كانوا يقولون: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠]. (فتأمل)

وقال الله تعالى في القرآن للنبيّ الأكرم (ع) أيضاً: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠، وفصلت: ٦].

(٤) روح الله الموسوي الخميني، ولاية الفقيه، انتشارات أمير كبير، بالتعاون مع معرض الكتاب في قم، ص ٦٧ و٦٨.

هل كان قصده أن يتوجّه الناس إلى الأنبياء والأولياء بوصفهم طريقاً للذهاب نحو الحقّ تعالى وليس بوصفهم غايةً؟!!!

ورغم أن أكل التراب ليس جائزاً، والإسلام ليس فيه أيُّ حكم شرعيٍّ مُخالِفٍ للصحة، فهل العلماء الذين يُجيزون أكل تربة حُضرة الحسين (ع) بقصد الشفاء، قصدهم فقط أن يتوجّه الناس إلى الأنبياء والأولياء بوصفهم مجرّد طريق للذهاب إلى الحقّ تعالى وليس التوجّه إليهم كغاية وهدف؟!!

هل أَلَّفَ آية الله العظمى (!) السيد «أبو الفضل النبوي» القمّيّ كتابه «أمراء هستي» [أي أمراء الكون] بهدف أن يتوجّه قراؤه إلى الأنبياء والأولياء بوصفهم طريقاً للذهاب نحو الحقّ تعالى فحسب لا التوجّه إليهم كغاية وهدف؟!!!

هل شعبنا الذي يُقسم أفراده ليل نهار في الأزقة والأسواق بأبي الفضل العباس أو بالإمام الحسين أو بحُضرة الرضا أو ب.....، كما كان أهل الجاهلية يُقسمون بأصنامهم ويقولون:
وباللّات والعزّى ومن دان دينها وبالله، إن الله منهنّ أكبر!

وعدم نهيكهم إياهم عن ذلك، هو لأجل أن يتوجّح الناس إلى الأنبياء والأئمة بوصفهم مجرّد طريق للسير نحو الحقّ تعالى لا بوصفهم هدفاً وغايةً؟!!!

هل كان ما ذكره الشيخ الطوسيُّ الملقّب بشيخ الطائفة في كتابه «مصباح المُتهدّد» (باهتمام أنصاري الزنجاني، ص ٢٧٨) والعلامة المجلّسيُّ في كتابه «زاد المعاد» (كتابفروشي إسلامية، ص ٥٢٦) من دعاء بعد صلاة جعفر الطيار يقول فيه الداعي: "يَا مُحَمَّدُ يَا أَبَا الْقَاسِمِ يَا رَسُولَ اللَّهِ! يَا عَلِيُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! أَنَا عَبْدُكُمْ..."، كان بهدف أن يتوجّه الناس إلى الأنبياء والأئمة بوصفهم طريقاً نحو الحقّ تعالى لا بوصفهم هدفاً وغايةً؟!!!

هل مجيء أفراد شعبنا من مناطق بعيدة لزيارة مرقد أئمة الدين ومسحهم أيديهم على أضرحتهم ثم فركهم رؤوسهم ووجوههم بالضريح ونذرهم لأصحاب تلك القبور وبسطهم الموائد لهم وذبحهم القرابين لهم، وعدم نهيكهم إياهم عن مثل هذه الأفعال، هو لأجل أن يتجّه

الناس إلى الأنبياء والأئمة بوصفهم طريقاً نحو الحق تعالى لا بوصفهم هدفاً وغايةً؟! في حين أنكم تعلمون أن المشركين، ومن جملتهم قريش، كانوا يذهبون لزيارة «العزى» ويُقدّمون لها الهدايا ويذبحون لها القرابين. (راجعوا كتاب «الأصنام» لهشام بن محمد الكلبي، ص ١٨ و ٣٣).

هل جاهد رسول الله ﷺ كل ذلك الجهاد وتحمل كل تلك المصاعب والمرارات كي يترك الناس أصنامهم والأعمال التي كانوا يقومون بها نحو الأصنام تقريباً بها إلى الله، ليقوموا بالأعمال ذاتها تجاه مرقد ومركد أعزائه من آل بيته الكرام؟! هل هذا هو معنى التوحيد؟!

هل تُصرف كل هذه الأموال الباهظة والمبالغ الكبيرة التي كان ينبغي إنفاقها على بناء المستشفيات والمدارس وشق الطرق ومساعدة المسلمين المرضى والمحرومين وعلى الأعمال ذات النفع العام، لكنها تُنفق على تجديد بناء قبور أئمة الدين وتزيينها، وأنتم لا تنهون الناس عن ذلك بل تُشجّعونهم على فعله، هو بهدف أن يتوجّه الناس إلى الأنبياء والأئمة بوصفهم طريقاً نحو الحق تعالى لا بوصفهم هدفاً وغايةً?!!

ومن المناسب أن أذكر هنا نموذجاً واحداً فقط - كمثال - على التبذير المخالف للشرع، فقد خصّصتُ جريدة «اطلاعات» في سبعة أيام متتالية خلال شهر آبان عام ١٣٤٤ هجرية شمسية^(١) قسماً للأخبار المتعلقة بضريح حضرة أبو الفضل، سأذكر منها الخبرين التاليين: "تمّ بناء الضريح المُطَهَّر لحضرة أبي الفضل العباس (ع) بأمر من آية الله السيد محسن الحكيم وبأيدي الفنانين الأصفهانيين ذوي الخبرة. وسيتم حمله ونقله يوم غد ضمن مراسم جلييلة من أصفهان إلى كربلاء. ذكر مراسلنا في مدينة أصفهان في تقرير له أنه قد تمّ استهلاك ما مجموعه سبع مئتا كيل من الذهب (= ٣٥ كيلوغرام) وأربعين ألف مثقال من الفضة (= ٢٠٠٠ كيلوغرام) في صناعة هذا الضريح.... الخ". (جريدة اطلّاعات، ٢٣ آبان ١٣٤٤، العدد ١١٨٣٢).

والخبر الثاني يقول: "تمّ نقل الضريح المُطَهَّر لأبي الفضل العباس (ع).... من ميدان نقش جهان. وكان أمام قافلة الضريح السيد إمام جمعة أصفهان..... وكان الناس يذبحون القرابين

(١) يوافق سنة ١٩٦٥ ميلادية. (المُترجم)

من الإبل أو البقر أو الغنم أمام الضريح المُطَهَّر لحضرة أبي الفضل. وأصبحت مدينة أصفهان شبه معطلة، وقام الناس بربط قطع قماش أو مناديل أو أقراط أو أطواق على الأقمشة الخضراء التي لُفَّت بها الشاحنات الحاملة للضريح.... وكان مُرافقو تلك القافلة المُقدَّسة ٣٠٠ شخص من النساء والرجال كان خمسون شخصاً منهم مُلتزمون بنقل الضريح المُطَهَّر على نفقة صاحب الجلالة وليّ العهد رضا البهلوي.... الخ". (جريد أطلاعات، ٢٥ آبان ١٣٤٤، العدد رقم ١١٨٣٤).

كَتَبَ أخونا العالم الأستاذ «قلمداران» رحمه الله في مُقدِّمة كتابه «الزكاة» (ص ١٥ و ١٦) نقلاً عن العدد ٨٢٧١ من جريدة «كيهان» يقول: "لقد تمَّ تركيب أكثر الثريات في العالم أناقة وجمالاً في حرم حضرة الرضا.... وكان عدد الثريات ٩٥ ثريا تمَّ شراؤها بحوالي ٢٠ مليون تومان. وهذه الثريات أُضيفت بالطبع إلى الثريات التي كانت من قبل وقيمتها لا تقل عن قيمة الثريات السابقة".

ثم أردف قائلاً: "أما حساب سائر الأشياء والزينات والموقوفات فحدّث ولا حرج، ومن هذا يُمكنك أن تُدرك مدى ابتعاد الناس عن الإسلام". فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ.

أحد علماء زماننا المشهورين سيّد يدعى «محمد رضا الحكيمي» كثيراً ما يتشدّق بالاهتمام بالمحرومين والفقراء والضعفاء، ولكنني لم أسمع منه حتى الآن أيّ اعتراض على مثل هذه الأعمال ولم أسمع أنه نهى مرّة واحدة الناس عن القيام بمثل هذا الإسراف والتبذير.

النقطة السابعة: سنجيب عن افتراءه الذي قال فيه: "فإن التفرقة والتفكيك بين الميت والحيّ على نحو يُعتقَد فيه أن الأموات ليسوا أحياء حتى في العالم الآخر وأن شخصية الإنسان كلها هي بدنه الذي يظهر بشكل جماد، تفكير ماديّ ومُنَاقِضٌ للتفكير الإلهيّ". في الفقرة الرابعة. وليس المُطَهَّرِيُّ وحده بالطبع الذي يفترى هذا الافتراء، بل أستاذه أيضاً كتب في أحد كتبه يقول:

"إن قصد هذه الأقلام الدموية المسمومة من خدمة الدين هو أن نعتبر خُدّام الدين وخُدّام شريعة مليار مسلم، وأئمة الدين والشريعة والمُضْحِحِينَ، والشهداء في سبيل الله الذين هم -بحكم الفلاسفة القطعيّ في جميع عصور الدنيا وبتصريح كتاب الله- أحياء خالدون، جمادات وأبدان

مُتَحَلِّلةٌ مُتَفَسِّخَةٌ وتعامل معهم باحتقار وتصغير ونسأهم.... الخ!!!^(١)

إن لم نقل إن هذا الكلام كذب، فهو بلا أيِّ شبهة - كما سنرى في الصفحات القادمة - مصداقٌ بارزٌ للقول بلا علم، لأنه لا يوجد مَوْحِدٌ واحدٌ يعتبر أولئك الشخصيات العظيمة الجليلة جمادات بالية بعد وفاتها، والله يعلم أننا لا نريد أبداً أن نتعامل معهم باحتقار وتصغير لشأنهم^(٢)، بل عقيدة الموحّدين هي أن يتذكّر الناس دائماً أولئك الأجلاء الكرام ويحبّوهم، وأن يتعلّم المؤمنون سنن الأنبياء والأولياء وسيرتهم وأقوالهم وأفعالهم، ويجعلوهم أسوة لهم في أعمالهم وسلوكهم. إن كلام الموحّدين مخالف لما يزعمه أولئك عنهم وسيأتي بيان ذلك في الصفحات القادمة.

الشبهة الرابعة:

من الآيات الأخرى التي يستغلّها الخرافيون ويُسَيِّئون تفسيرها الآية ١٥٤ من سورة البقرة والآية ١٤٩ من سورة آل عمران، ويقولون: إن الأنبياء والصالحين والشهداء أحياء عند ربّهم يُرزقون فكيف تقولون إنهم لا يسمعون نداءنا؟! ثم يُصوِّرون أن الموحّدين يعتبرون أن الأنبياء والشهداء هلكوا وبادوا بعد موتهم وأصبحوا جمادات لا شعور لها!!! في حين أنهم يكذبون في ذلك! إذ الواقع أننا نقول إن الأنبياء والشهداء وسائر الصالحين ليسوا أحياء في هذه الدنيا الفانية، وقد تخلّوا عن ذلك القالب الدنيوي وانتقلوا إلى عالم البقاء وهم أحياء في عالم رحمة الحق تعالى الذي يُعبّر القرآن عنه بعبارة: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ وهم هناك أحياء يُرزقون في ذلك العالم، كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الانعام: ١٢٧]. لذلك فإنهم عندما يردّون إلى عالم آخر يتمتعون بحياة أخروية متناسبة معه وتنقطع صلتهم بهذه الدنيا كما انقطعت صلتهم عن قابهم (جسمهم) الدنيوي. أضف إلى ذلك أن حياة الأنبياء والشهداء والأولياء لا تستلزم علمهم بما في ضمائر الناس ولا تستلزم حضورهم في كل مكان وزمان وذلك لأنهم لما كانوا في الدنيا لم

(١) روح الله الموسوي الخميني، كشف الأسرار، نشر ظفر، ص ٤٠.

(٢) يشهد الله أنني أشك أن يكون حبّه للنبي الأكرم ﷺ بمقدار حبي له.

يكونوا عالمين بكل شيء ولا حاضرين في كل مكان^(١). (فتأمل).

وقد بيّن القرآن الكريم أنهم فرحون بما آتاهم الله من رزق في ذلك العالم [سورة آل عمران: ١٧]، في حين أنهم لو كانوا في الدنيا وكانوا مُطَّلَعِينَ على ما يجري فيها من الظلم والمآسي التي يُعاني منها أتباعهم لتبدّل فرحهم إلى حزن وغم.

وقال الله تعالى أن حضرة عيسى (ع) سيُجيب يوم القيامة عن السؤال الإلهي بما يلي: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧].

بناءً على ذلك، وتصريح القرآن، يذهب الأنبياء بعد وفاتهم إلى عالم البقاء وتنقطع صلّتهم عن دنيانا فلا يبقى لهم علم بها، كما حصل للنبي الذي أخبرنا القرآن بأن الله توفّاه ثم بعثه بعد مئة عام فكان ذلك النبي عندما بُعث جاهلاً بما جرى في الدنيا خلال فترة وفاته وجاهلاً بمُدّة موته. [سورة البقرة: ٢٥٩].

بناءً على ذلك فقد تبيّن أن قول المُطَهَّرِيِّ: "إن التفرقة والتفكيك بين الميت والحي على نحو يُعتقَد فيه أن الأموات ليسوا أحياء حتى في العالم الآخر وأن شخصية الإنسان كلها هي بدنه الذي يظهر بشكل جماد، تفكير ماديّ ومناقض للتفكير الإلهي" كذبٌ افتري على المُوحِّدين^(٢)،

(١) راجعوا كتابنا «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، الصفحات ١٣٠ إلى ١٣٤.

(٢) كَرَّرَ الكاتب الشاب في كتابه هذا الافتراء ذاته أيضاً فقال: "لما كان الوهائيون لا يعتقدون بتجرّد الروح وبقائها بعد الموت، تصوّروا أن أرواح الأنبياء والأولياء والصالحين أيضاً تهلك مع هلاك بدنهم وتنعدم بموتهم ومن ثمّ اعتقدوا أن طلب الآثار والخواص والقيام بعمل ما من كائن لم يعد له وجود أمر مخالف للعقل!". (نقد وتحليل پيرامون وهابيجري) (نقد وتحليل حول الوهائية، ص ٢٠٨).

ولكن هذا الادّعاء - كما لاحظنا - كاذبٌ ولا يوجد مسلمٌ يقول إن الروح تنعدم، بل يقول المُوحِّدون: إن الروح تنتقل إلى عالم آخر وتنقطع صلّتها عن الدنيا الفانية، ونحن لا نستطيع أن نتصل بها ونُسمعها أصواتنا. راجعوا ما قلناه في الكتاب الحالي (ص ١١٦ فما بعد) في توضيح الآية ٥٢ من سورة الروم والآيتين ٢٢ و٢٣ من سورة فاطر.

إضافةً إلى ذلك يتضح أن ما قاله من أن: "الروح لا تموت أبداً ولا تتلاشى بموت البدن بل تزدهر

وإلا فلا يوجد مؤحد في الدنيا يقول: إن الأنبياء والشهداء ليسوا أحياءً حتى في عالمٍ آخر، بل يقول الموحدون: إن الأنبياء والشهداء، بعد رحيلهم عن الدنيا، لا تبقى لهم صلةٌ بها، وإن علمهم وإدراكهم ليسا مطلقين بل محدودان بعالم البقاء ولا يشملا عالم الفناء (فتأمل).

الشبهة الخامسة:

من الآيات الأخرى التي يُسيء الخرافيون الاستفادة منها بهدف خداع العامة: الآية ١٧ من سورة الأنفال المباركة والتي ينقلونها بشكل ناقص دائماً^(١). فمثلاً هذا الشاب الخرافي ذاته كتب متأسياً بمشايخه يقول:

"يقول القرآن: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧]. فكما نلاحظ، تُثبت جملة: «إِذْ رَمَيْتَ» الرمي لرسول الله ﷺ، في حين تنفي جملة: «مَا رَمَيْتَ» الرمي عن حضرته. وجملة: «اللَّهُ رَمَى» تُثبت ذلك الرمي عينه لله. أي أنه في الوقت ذاته الذي تُثبت الآية فيه

وتُصبح أقوى وأكثر علماً بعد تحرُّرها من قالب البدن وقفص الجسم" (الكتاب السابق ذاته ص ٢٠٩). هو كلام زائد ولا داعي له لأن بقاء الروح لا خلاف عليه بين المؤمنين بالأديان الإلهية. ثانياً: لأن ما قاله يصدق على أرواح الصالحين ولكن بالنسبة إلى أرواح غير الصالحين لا بدُّ أن نقول: إن أرواحهم لا تزول بالموت ولكنها لا تزدهر ولا تقوى بعد الموت بل تذبذب وتغتم وتضيق. ثالثاً: النقطة الأهم بشأن أرواح الصالحين أن علينا أن نتنبه إلى أن ازدهارها وزيادة قدرتها وعلمها بعد تحرُّرها من قفص البدن ليس ازدهاراً وقدرةً وعلماً غير محدود، بل تبقى ضمن العالم الآخر ولا تشمل سعتها وعلمها العالم الفاني الذي تحرَّرت منه بل ازدهار أرواح أولئك الأجلاء الكرام وعروجها ومعرفتها تكون في عالم البقاء وعالم البرزخ وعند رحمة الرب ودار السلام و..... وعلى أيِّ حال لا يُمكننا أن نستنتج من هذا الكلام أننا نستطيع أن نتصل بتلك الأرواح ولا أن نُسمِعَهَا كلامًا. (فتأمل). ولا تفيد أدلة الفلسفة الإسلامية أيضاً وفلسفة المُلَّا صدرا (يعني الفيلسوف صدر الدين الشيرازي) التي يفتخر بها هذا الشاب كثيراً - ومباحث النفس فيها صعبة وقويَّة ومن الواضح أنه مرعوب منها - أن الروح تصبح مطلقة غير مُقيَّدة بأيِّ حدود بعد مفارقتها القالب الجسمي المادي! (فتأمل).

(١) وهذا العمل يدل على أنهم لا يبحثون عن الحقيقة وأنهم اتخذوا قرارهم من قبل وأصدروا حكمهم قبل دراسة الآية.

الفعل للإنسان تنفي عنه الاستقلال فيه وتُبيّن أن الله تعالى هو الفاعل «المستقل وبالذات» لذلك الفعل عينه "!!!"^(١).

لقد تكلم هذا الشاب كلاماً يدل على عدم خبرته وقلة حذاقته وذكر الآية مُبتدئةً بواو العطف التي تدل على أن الآية معطوفة على الآية التي قبلها. لذا سنأتي بالآية المقصودة ثم نُوضّح الأمر بشأنها: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُمْ إِذْ رَمَيْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [الأنفال: ١٧، ١٨].

أولاً: لا خلاف بين المسلمين في أن سورة الأنفال، ومن جملتها هاتين الآيتين، نزلت في غزوة بدر، وتتعلّق تماماً بوقائع تلك الغزوة. كما لا خلاف أنه قد حدثت معجزات في تلك الغزوة ومنها أن النبي قبض حفنة من التراب بيده ورمى بها في وجوه القوم وقال: «شاهت الوجوه» فهبت عاصفة رملية في تلك اللحظة ورمت بالحصى والرمل والتراب في أعين جميع المشركين فاستفاد أصحاب النبي ﷺ من هذه الفرصة وحملوا حملة واحدة عليهم فقتلوا فريقاً منهم وأسروا فريقاً آخر^(٢). لهذا السبب قال تعالى في الآية ١٨: ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَرِيمٌ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنفال: ١٨] أي أن الله هو الذي أضعف الكافرين ونصرهم عليهم.

ثانياً: كانت العاصفة الرملية معجزة إلهية، وقد أثبتنا سابقاً (ص ١٣٦ فما بعد) أن المعجزة من صنع الله وأن الأنبياء لا دخل لهم في ظهورها، وما قلناه حول معجزات الأنبياء، ومن جملتها معجزات حضرة المسيح (ع)، يصدق في هذا المورد وينطبق عليه. أي أنه كما أن صنع تمثال الطير الطيني كان من عمل عيسى (ع) الذي قام به بالإذن الإلهي العام في حين أن تحوّل التمثال إلى طير حقيقي كان فعل الله المباشر الذي تحقق تأييداً لنبوة المسيح، كذلك كان رمي قبضة التراب في غزوة بدر من عمل رسول الله ﷺ الذي تمّ بالإذن الإلهي العام، في حين أن هبوب العاصفة

(١) «نقد و تحليل پيرامون و هابىگرى» (نقد و تحليل حول الوهابية)، مركز الطباعة والنشر التابع لمنظمة التبليغ الإسلامية، ص ١٦٣.

(٢) نقل هذه الواقعة علماء السيرة مثل ابن هشام، ونقلها المُفسّرون كما نقلتها أيضاً كتب أسباب النزول.

الرملية وإدخالها الرمل في أعين جميع المشركين كان فعل الله المتعال تأييداً للنبي وإمداداً له^(١).

ثالثاً: إن مفعول فعل «رَمَى» محذوف، فبأيّ دليل تقول: إن القرآن نسب لِه «الرمي» عينه الذي نفاه عن النبي؟! (والبيّنة على المدّعي). إنك لم تُقدّم لنا سوى الادّعاء!! ونحن نقول بالنظر إلى كون سورة الأنفال مُبَيَّنَّة لمسائل غزوة بدر فهي مرتبطة تماماً بحوادث تلك الغزوة، وقد حدّدت للمؤمنين وأوضحت لهم المسائل التي تَمَّت الإشارة إليها في تلك الغزوة بشكل كامل، وكان المؤمنون مُطَّلَعُونَ على وقائع غزوة بدر بشكل مباشر (كانوا شهود عيان لها) لذلك لم تكن هناك حاجة لذكر المفعول به لفعل «رَمَى» لشدة وضوحه، وبالطبع كل من كان مُطَّلِعاً على تاريخ غزوة بدر وحوادثها يفهم أن المفعول به لفعل «رَمَيْتَ» هو «التراب الذي نشره النبي في وجوه المشركين»، والمفعول به لفعل «مَا رَمَيْتَ» ولفعل «رَمَى» هو «عاصفة الحصى والرمل».

ودليلنا الآخر على أن عاصفة الرمل المذكورة كانت عمل الله المباشر هو أن الله نسب إلى نفسه فقط تأييد المؤمنين ونصرتهم في غزوة بدر حين قال: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [ال عمران: ١٢٣]. وقال بشأن غزوة الخندق: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الاحزاب: ٩].

لاحظوا أن الله تعالى قد نسب هبوب الريح وإرسال الجنود غير المرتين في هذه الآية إلى ذاته، فلا يُمكنكم أن تدّعوا أن النبي الأكرم ﷺ كان له دخل في ذلك ولو على نحو غير مستقل عن الله. فإذا كان الأمر كذلك فلماذا كان إيجاد الريح أو العاصفة في غزوة الخندق عمل الله المباشر ولكنه لم يكن كذلك في غزوة بدر!!؟

رابعاً: صدر الآية الكريمة [أي قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ فَتَلَهُمْ﴾] أثبت الأمر ذاته لأصحاب النبي والمؤمنين، وأنتم تتفقون معنا بأن الصحابة لم يكونوا يتمتعون بولاية

(١) بالنسبة إلى موضوع السبب في نسبة القرآن بعض المعجزات أحياناً إلى غير الله، كقوله مثلاً على لسان عيسى (ع): ﴿وَأُبْرئِ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى...﴾ [ال عمران: ٤٩] راجعوا كتابنا «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، ص ١٤٦-١٤٧، والكتاب الحالي ص ١٤٤ فما بعد.

تكوينية، والجملة التي تستشهدون بها [أي جملة: (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى)] معطوفة على جملة (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ) أي أن الآية نفت -حسب قولكم- عن أصحاب النبي الذي نسبته في البداية لهم، وحتى أنها ذكرت مفعول الفعل؟ فهل يُمكن القول في هذا المورد أن الآية كانت ترمي إلى نفي الاستقلال عن المؤمنين؟! وهل كان هناك أحد يدعي أن أصحاب النبي مستقلون بالذات في أفعالهم عن الله حتى نزلت هذه الآية لتنفي مثل هذه العقيدة؟! كل ما تقولونه بشأن هذه الجملة ينطبق أيضاً على الجملة المعطوفة عليها.

ذكر علماء السيرة والتفسير والتاريخ أنه إضافة إلى أن المسلمين كانوا يوم بدر أقلَّ عددًا بمقدار كبيرٍ من المشركين، أن المشركين وصلوا إلى بئر بدر قبل المسلمين واستولوا على الماء فاضطر المسلمون إلى النزول في هضبة ذات حصى وكان السير فيها صعباً بسبب رخاوة الرمل وكانت حوافر المواشي تنغرس فيها فَعَسَّرَ السير عليهم، كما أنهم عانوا من العطش بسبب قلة الماء، وكان بعضهم أيضاً بحاجة إلى الغسل والاختسال، فأثَّرت هذه الظروف غير المتكافئة تأثيراً سيئاً على معنويات المسلمين. في هذه الأوضاع العصيبة غلب على المسلمين النعاس في الليل فكان ذلك سبباً في طمأنينتهم وراحة نفوسهم وفي الوقت ذاته لم يكن نومهم ثقيلاً جداً على نحو يجعلهم غافلين عن العدو الغادر فبيَّتهم في الليل، كما أنزل الله مطراً فجعل الأرض صلبة تحت أقدام المسلمين وأزال عنهم العطش وطهَّهم ورفع من معنوياتهم، كما قذف الله في قلوب عدوِّهم الرعب وأمر الملائكة بأن يُثبِّتوا قلوب المؤمنين. وعندما وقعت المواجهة بعد أن رمى النبيُّ بقبضةٍ من التراب نحو وجوه المشركين، أثار الله عاصفةً في وجوه المشركين ملأت أعينهم وأنوفهم بالرمل^(١).

(١) لم تتفق آراء العلماء حول مشاركة الملائكة المباشرة في غزوة بدر، فقد ذهب بعضهم إلى أن مشاركة الملائكة لم تكن أكثر من تثبيت قلوب المؤمنين! وإذ لم أرغب في التكلم وحدي دون الإتيان بكلام الخصم، لم أتكلم عن مشاركة الملائكة المباشرة، لكن رأيي الشخصي يتفق مع رأي ذلك الفريق من العلماء الذي يرى أن الملائكة تدخلوا بشكل مباشر في المعركة، وذلك استناداً إلى أخبار عديدة وردت في هذا الشأن في الكتب الموثوقة (راجعوا كتاب خيانت در گزارش تاريخ [أي الخيانة في رواية التاريخ]، انتشارات چاپخش، الطبعة

استناداً إلى الأمور التي ذُكرت أعلاه يقول القرآن لا تظنوا أنكم انتصرتم على العدو وقتلتموه بقدرتكم وسعيكم الناشئان من الإذن الإلهي العام -الذي يتمتع به المؤمن والكافر- بل نصركم هذا نتيجة للمدد والإعجاز الإلهيين. بناءً على ذلك فإن القرآن لم ينفِ عن المؤمنين ولا عن النبي ذلك القتل أو الرمي اللذان نسبهما إليهم ولم يسلبهما عنهم وينسبهما لله بل قال: إن هذا النصر

الأولى، الجزء الأول، ص ٢٠٠ إلى ٢٠٣). ولو تأملنا القرآن للاحظنا أن الآية ١٢ من سورة الأنفال جاءت متابعَةً للآيات التي كانت تُعدّد أنواع المدد الإلهي الذي منَّ الله به على المجاهدين يوم بدر، وأهمُّ نقطة هنا هي أن الأمرين الإلهيين الصادرين في نهاية الآية ١٢ [أي قوله تعالى: ﴿ فَأَضْرِبُوا فَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾] كانا ذا خصوصية خاصة لا تتناسب مع المؤمنين لأن إنجاز الأمر الثاني لم يكن في وسع المؤمنين أبداً وقد قال الله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، إذ من الواضح تماماً أن المطلوب من المؤمنين كان مواجهة العدو المهاجم وقتاله وقتل أفراده على أكثر تقدير، لا فرق في ذلك بين أن يضرب المجاهد صدر العدو بسيفه أو كتف العدو أو بطنه أو يرميه بسهم بقوسه، فهذا يُحقِّق المطلوب، ومن ناحية المبدأ فإن ظروف المعركة سريعة التغيُّر إلى حدِّ لا يُمكن أن يتم من قبل تحديد عضو العدو الذي على المجاهدين أن يستهدفوه بسيوفهم، ومن ناحية المبدأ أيضاً نادراً ما يحصل أن يقطع الإنسان بنان (أي رؤوس أصابع) عدوّه الذي يستخدمه العدو عادةً للإمساك بسلاحه ويُحرِّكه في كل اتِّجاه بشكل دائم، إلا إذا كان المُخاطَب بمثل هذا الطلب يتمتع بقدره فوق بشرية. (فتأمل)

علاوةً على ذلك فإن الآية رقم ١٤ تُخاطب الكفار والآية رقم ١٥ تُخاطب المؤمنين مبتدئةً بعبارة: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، وليس ثمة أي قرينة قبل ذلك تدلُّ على أن المُخاطَبين هم المؤمنون. بناءً على ذلك لا يُمكننا أن نقول دون دليل قوي وصحيح أن الآية ١٢ التي أولها خطابٌ للملائكة بلا أي شُبْهة، ذيلها خطابٌ للمؤمنين! ولذلك فالذين يعتبرون أن الأمرين الصادرين في الجزء الأخير من الآية ١٢ مُوجَّهان للمؤمنين يقولون كلاماً مخالفاً لظاهر الآية. أضف إلى ذلك أنه لو انحصر عمل الملائكة بتثبيت المؤمنين لما كان هناك من ضرورة لذكر عدد الملائكة (سورة آل عمران: ١٢٤، والأنفال: ٩) ولا لذكر صفتهم بأنهم «مُسَوِّمِينَ» [آل عمران: ١٢٥]. (فتأمل). فهذا دليل آخر أيضاً يثبت مشاركة الملائكة المباشرة في المعركة، في حين أنه في معركة الأحزاب لم يُذكر عدد الملائكة لأنهم لم يُشاركوا بشكل مباشر في تلك المعركة.

بناءً على ذلك فإن معنى الآية ١٧ من سورة الأنفال واضح جداً ولا حاجة إلى تليقات العرفاء والصوفية لأن الآية الكريمة تقول: لا تعتبروا هذا النصر ناتجاً عن جهادكم وسعيكم وحسب بل هذا النصر غير العادي كان نتيجةً للمدد الإلهي المباشر وتدخل القوى الغيبية التي أرسلها الله لمساعدتكم.

قبل أن يكون ناتجاً عن عملكم وسعيكم هو نتيجة للمدد والإعجاز الإلهيين اللذين تحققاً لتأييد نهضة النبي كي تعلموا أن الله مُؤَيَّدٌ لنبيه وناصر له.

ولما كان ذلك الكاتب الشاب مُعجباً بعلماء قم ومفتوناً بهم نقل جملاً من تفسير «الميزان»

فقال:

"فإنها [أي الآيات ١٦ إلى ١٨ من سورة الأنفال] تَعُدُّ مِنْ الله عليهم من إنزال الملائكة وإمدادهم بهم وتغشية النعاس إياهم وإمطار السماء عليهم وما أوحى إلى الملائكة من تأييدهم وتثبيت أقدامهم وإلقاء الرعب في قلوب أعدائهم، فلما بلغ الكلام هذا المبلغ فرع عليه قوله: "فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى".

بناءً على ذلك يتضح أن إسناد الفعل إلى المؤمنين أو إلى النبي الأكرم عليه السلام كان باعتبار ظاهر الأمور، ونفي الفعل وسلبه عنهم وإسناده إلى الله تعالى باعتبار الأمر الواقعي وحقيقة ما جرى، ولا علاقة لذلك باستقلال أشخاص سوى الله عن الله أو عدم استقلالهم عن الله.

الشبهة السادسة:

يسأل هذا الكاتب الشاب قائلاً:

"أليس الاستمداد من الأرواح في حال حياتها، كالاستمداد من النبي أثناء حياته الدنيوية أو الإمام أثناء حياته شركاً؟! أليس الاستمداد من العالم والطبيب والمُتخصِّص والمزارع والصانع شركاً؟ إن كان شركاً فلماذا تطلبون المدد والعون منهم؟ كَفُّوا عن طلب المدد والعون في عالم الطبيعة وفي الحياة الدنيا من أي شخص، وبالنتيجة موتوا بعد لحظات جميعاً وعودوا إلى ديار العدم وموطنكم الأصلي!"

وإن لم يكن ذلك الاستمداد شركاً فما الفرق بين الاستمداد من النبي أثناء حياته والاستمداد من روحه بعد وفاته؟! ما الفرق بين الاستمداد من الطبيب الجراح وطلب العون منه لإجراء

(١) يُمكنكم أيضاً أن تراجعوا في هذا الصدد سائر كتب التفسير مثل تفسير «مجمع البيان» أو «تفسير نمونه».

عملية الزائدة الدودية والاستمداد من جبريل؟!^(١)

يقولون: هذه الأمور ليست شركاً وتلك شرك لأن أرواحهم غير مرئية ولا تظهر لنا، والخلاصة الاستمداد من الأسباب الطبيعية والمادية ليس شركاً ولكن الاستمداد من الأمور المعنوية والروحانية شرك، الاستمداد من المادة الكثيفة ليس شركاً، ولكن الاستمداد من النفوس العلية المُجَرَّدة القدسية شركاً!^(٢).

من الواضح تماماً من الجمل المذكورة أن هذا الكاتب الشاب لم يدرك عقيدة المُوحِّدين أو أنه تجاهلها كي يستطيع أن يُحمد نار عصبِيته وغضبه، وإلا فإن كلام المُوحِّدين وقولهم واضح جداً. إنهم - خلافاً لادِّعاء هذا الشاب - لا يقولون إن الاستمداد من الحي ليس شركاً والاستمداد من الميت شرك، بل يقولون: إن الأصل في الموضوع الذي نحن فيه هو «طريقة الدعاء والاستمداد» وليس حياة المدعو أو موته، بناءً على ذلك لو أننا دعونا شخصاً حياً على نحو غير مشروط وغير مُقيّد ويستلزم فرض صفات إلهية له نكون قد ارتكبنا الشرك قطعاً وبقيناً^(٣). (فاسمع دون العصبية).

إضافةً إلى ذلك يقول المُوحِّدون: إن دعاء الميت ليس معقولاً وليس هناك ما يُبرِّر دعاء روح لا نملك القدرة على الاتِّصال بها لأننا بذلك نكون قد تركنا الله القريب المُجيب الرحيم والسميع

(١) راجعوا ما سنذكره لاحقاً في هذا الكتاب الحالي حول الاتصال بالملائكة.

(٢) نقد وتحليلي پيرامون وهابىگرى، همايون همتى، ص ١٨٥-١٨٦.

(٣) كما أن الإمام الصادق (ع) الذي كان مقيماً بالمدينة لما سمع أن بعض أهالي الكوفة نادوه معتقدين أنه يسمعون وقالوا: «لبيك يا جعفر» خرَّ ساجداً.... وفيما يلي نصُّ الرواية كما رواها الكشي في رجاله حيث قال: "لَمَّا لَبَّى الْقَوْمُ الَّذِينَ لَبَّوْا بِالْكَوْفَةِ دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (ع) فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ فَخَرَّ سَاجِداً وَدَقَّ جُجُؤُهُ بِالْأَرْضِ وَبَكَى وَأَقْبَلَ يَلُودٌ بِإِصْبَعِهِ وَيَقُولُ: بَلْ عَبْدٌ لِيْلَهُ قِنَّ دَاخِرٌ مِرَاراً كَثِيرَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ فَتَدِمَّتْ عَلَى إِخْبَارِي إِيَّاهُ، فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ وَمَا عَلَيْكَ أَنْتَ مِنْ ذَا. فَقَالَ: يَا مُصَادِفُ إِنَّ عَيْسَى لَوْ سَكَتَ عَمَّا قَالَتِ النَّصَارَى فِيهِ لَكَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُصَمَّ سَمْعُهُ وَيُعْمَى بَصَرُهُ وَلَوْ سَكَتَ عَمَّا قَالَ أَبُو الْخَطَّابِ لَكَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُصَمَّ سَمْعِي وَيُعْمَى بَصْرِي" (رجال الكشي، طبع كربلاء، ص ٢٥٣).

البصير ودعونا روحاً لا نملك وسيلة الوصول إليها، ولهذا السبب يقول الموحّدون: إنه لا يجوز دعاء الأموات -ولو كانوا من الأنبياء والأولياء- والاستمداد منهم وذلك لأنهم في زمن حياتهم لم يكونوا أشخاصاً غير مُتحيّزين في مكان ولا كانوا عالمين بما يجري في كل مكان ولا سميعين لكل الأصوات. وهم خلافاً للذات الإلهية الحاضرة الناظرة في كل مكان والبصيرة والسميعة بدون آلة والتي تختصّ وحدها بهذه الصفة^(١)، يُبصرون بأعينهم ويسمعون بأذانهم ويفقدون حواسّهم وأعينهم وأذانهم بالموت، والأهمُّ من ذلك أنهم ينتقلون إلى عالم آخر ولا تبقى لهم صلة بعالمنا. في هذه الحالة لو دعوناهم -كما قلنا في هذا الكتاب ص ١٠٣ و ١٠٦- فإننا نكون قد افترضنا -شئنا أم أبينا- صفات إلهية لهم.

من المفيد هنا أن أنقل بعض المطالب من الكتاب القيم «أرمغان يزد» [أي هدية مدينة يزد] تأليف أخين الفاضل جناب السيد «جلال جلاي قوچاني»^(٢):

"لقد خلق الله تعالى وسائل وأسباباً طبيعية لتسيير حياة المجتمعات البشرية، وأمر الناس إما من خلال الإلهام والفتوة أو من خلال ما أنزله من شرائع، أن يستفيدوا من تلك الأسباب والوسائل عندما يحتاجون إليها وكلفهم أن يسعوا إلى تلبية طلباتهم وقضاء حاجاتهم من خلال طريقة مُعيّنة ووسيلة محدّدة خاصّة بكل حاجة (أي بصورة مُقيّدة ومشروطة). كما قال تعالى: ﴿وَأَتُوا اللَّيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]. كناية عن أنه يجب الدخول في كل عمل من بابهِ. وقال رسول الله ﷺ: «أبى الله أن تجري الأمور إلا بأسبابها».

بناءً على ذلك إذا مرض شخص فعليه أن يستفيد من تعليمات الطبيب ويأخذ ما يصفه له من دواء، كي تتحسّن صحته بالإذن الإلهي العام. والذي يعطش عليه أن يشرب الماء والذي يجوع عليه أن يتناول الطعام والذي يريد الحصول على الحصاد عليه أن يبذر البذور في الأرض والذي يريد العزّة عليه أن يكون قنوعاً والذي يطلب العلم الحقيقي عليه أن يُروّض نفسه ويدرس

(١) كما قال حضرة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام عن الله: "سميع لا بألة، بصير لا بأداة". ولمزيد من التفصيل حول هذه النقطة راجعوا كتاب «زيارت وزيارتنامه» ص ١٩٨.
(٢) لقد ألّف كتابه هذا منذ سنوات بعيدة في فترة نفيه في مدينة يزد ولذلك سمّى كتابه «أرمغان يزد».

ويتعلّم وأن يحصل على رزقه من الطريق الحلال ومئات من أمثال هذه الأمور.

ويجب على المسلمين أن يُساعدوا بعضهم بعضاً في المصائب والمَلِّات وأن يُعين بعضهم بعضاً عند الضرورة. في مثل هذه الموارد لا مانع من الاستفادة من الأسباب الطبيعية ومن الاستعانة بالأشخاص العاديين وهذا الاستمداد وهذه الاستعانة ليست شركاً وليس هذا فحسب بل هي واجب وفريضة دينية، فمثلاً إذا هجم حيوان مفترس على إنسان أو وقع سقف منزل فوق رأس إنسان أو وقع إنسان في وسط حفرة أو بئر وكان هناك على مسافة قريبة منه أشخاصاً غافلين عما حلّ به من مُصائب فيجب على الإنسان المُبتلى بحكم الشرع والعقل أن يستغيث بمن حوله ويطلب العون والمدد منهم كما يجب عليهم أن يغيثوه ويهبّوا إلى نجدته ويُعينوه على الخلاص مما فيه.

أحياناً لا تكون الاستعانة والاستغاثة ضرورية جداً فعندئذ لا تكون واجبة وإن لم يكن في الاستعانة والاستغاثة في مثل هذه الحالة أيضاً أيّ مذمّة أو حرج. قال أمير المؤمنين (ع): "مَنْ شَكَا الْحَاجَةَ إِلَى مُؤْمِنٍ فَكَأَنَّما شَكَها إِلَى اللَّهِ وَمَنْ شَكَها إِلَى كَافِرٍ فَكَأَنَّما شَكَا اللَّهَ". (نهج البلاغة، قسم الكلمات القصار، رقم ٤٦٧).

لا تُعتبر الاستعانة وطلب المدد من الأشخاص والتوسُّل بالأشياء لتحقيق المطلوب في الحالات التي يستعين فيها الإنسان بعوامل ظاهرية وطبيعية وعادية يُمكنه الوصول إليها، حراماً ولا شركاً، ولا علاقة لذلك بمضمون قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. بناءً على ذلك فما يقوله بعض الأشخاص الجاهلين أو المُتجاهلين في تقديم لنا بأنه لو استعنا بالطبيب أو توقَّعنا من الدواء شفاء المريض أو نادينا ابننا أو أختنا أو جارنا المؤمن وطلبنا منه العون نكون قد أشركنا لأننا استعنا بغير الله، أو ما قاله المؤلف المحترم لكتاب «تفسير آية الكرسي»^(١) مُنتقداً لنا بأنه لو وقع رجل في بئر أو سقط سقف المنزل على رأسه فمن الواجب عليه أن يستغيث بالناس ويطلب العون منهم، ولو بقي ساكناً تحت الأنقاض أو في وسط البئر لكان مسؤولاً عن هلاك نفسه وآثماً

(١) وهو السيد زين العابدين الكاظمي الخليلي.

لذلك؟ ليس له أي علاقة بموضوع نقاشنا، لأننا نحن أيضاً نقول: إنه يجب على الإنسان في كل تلك الحالات التي ذكرها أن يستعين بمن حوله وأن يطلب من الطبيب والدواء الشفاء وهذه الأعمال ليست شركاً بل هي واجبة على المسلم ولا تتنافى مع مضمون قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ دَسْتَعِينُ﴾، وذلك لأننا لا نستعين بأولئك الأشخاص على نحو غير مُقَيَّد بشروط عالم الطبيعة التي قررها الله، بل لا نحتمل أصلاً أن يكون أولئك الذين نستعين بهم قادرين على فعل أمور فوق طبيعية وغير محدودة بحدود عالم الطبيعة، والاستعانة بغير الله والاستغاثة به إنها تكون شركاً عندما تنقطع الأسباب ولا يكون في مقدور الإنسان الاستفادة من العوامل الظاهرية والأسباب الطبيعية التي جعلها الله تحت تصرف جميع البشر، أي عندما يُصبح الإنسان مضطراً^(١)، كالذي

(١) إن تأمل الآية ٦٢ من سورة النمل يكشف لنا أن الاستعانة التي نبحث فيها هي «الاستعانة العبادية» يعني الاستعانة غير المُقَيَّدة وغير المشروطة، التي تتم في حالة الاضطرار التي يفقد فيها الإنسان إمكانية الوصول إلى الوسائل العادية أو الاستفادة من الأسباب الطبيعية، وإلا فمن الواضح تماماً أنه في غير موارد الاضطرار هذه -التي نُلبِّي فيها استغاثة الملهوف أو نستعين فيها بالآخرين- فإن كل نَفْس يتنفسه الإنسان إنها يتمُّ بإذن الله وبفيض من الله وكذلك كل زفير يتمُّ بإذن الله وفيضه وكذلك كل خطوة نخطوها وهكذا..... ولكن هذا الإذن هو الإذن الإلهي العام الذي تتمتع به جميع المخلوقات. أما الآية الكريمة فقد صرفت النظر عن هذه الحالة واهتمت بحالة الاضطرار الذي يدخل في مجال الإذن الإلهي الخاص ويُعتبر ساحة ظهور المدد الإلهي غير المُقَيَّد وغير المشروط بقوانين الطبيعة ولذلك تسأل الآية سؤالاً استنكارياً «أإله مع الله» يعني هل ثمة معبود آخر أيضاً مع المعبود الحق الله جلَّ وعلا؟! وفي النتيجة فإذا استعنا بعباد الله القادرين على إعانتنا بنحو محدود بحدود الإذن الإلهي العام الذي مُنح لهم ولجميع الخلق فليس علينا حرج ولا ملامة، أما الاستعانة غير المُقَيَّدة وغير المشروطة فلا يُمكننا أن نطلبها من أي أحد سوى الله لأن هذا المجال مجال خاص بالله وحده لا شريك له ولم يُعْطِ الله تعالى أحداً غيره مثل هذه القدرة غير المحدودة وإلا للزم أن يلوم القرآن ويؤنِّخ بذلك الأسلوب أي أسلوب السؤال الاستنكاري، الذين يتوقعون مثل هذه القدرة في غير الله على نحو الاستقلال فقط؟ (فتأمل). ويجب أن ننتبه إلى أن الآية الكريمة لم تقل «أُمة مع الله» أو «أُجيب مع الله» بل قالت: «أُعبود مع الله»؟! في الحقيقة لقد اعتبر الله مثل هذه الاستعانة في هذه الحالة عبادة، ومع ذلك فإن فئات كثيرة من شعبنا تدعوا في مثل هذه الحالة حضرة أبو الفضل (ع) وحضرة الرضا (ع)..... ومع ذلك لا ينهاهم أحد عن هذا العمل!!

يعطش وهو في بادية قفر أو في صحراء لوط، أو يمرض ولا تغني عنه مراجعة الأطباء، وكالذي انقطعت به السبل ولم يسعفه أي شيء من العوامل الطبيعية فلجأ إلى عالم ما فوق الطبيعة أو عالم الغيب، هنا يجب عليه أن يدعو الله وحده فقط وأن يستعين به وحده فقط، لا عندما يسقط في بئر ويكون حوله مئة شخص من معارفه وجيرانه يمكنهم أن يهبوا لإنقاذه، فكل إنسان يعلم أنه في الحالة الأخيرة يجب على الإنسان أن يصرخ ويستغيث كي يُجبر جميع من حوله ليأتوا لإنقاذه لأنه عندما تكون الأسباب الطبيعية الموهوبة من الله مُتاحة فإن الاستعانة بها أو توقع عونها لا يستلزم إضفاء أي صفات مطلقة على تلك الوسائط والأسباب المذكورة - والمقصود بالصفات المطلقة الصفات الخاصة بالحق تعالى - . أما لو فقدت الأسباب الطبيعية أو كانت خارج متناول اليد ومع ذلك طلبنا المدد منها أو توقعنا عونها لنا نكون بذلك - علمنا أو لم نعلم وشئنا أم أبينا - قد أضفينا على تلك الوسائط واعتقدنا فيها امتلاك صفات مختصة بالله تعالى ومنحصرة به، أي أننا في الحقيقة نكون قد اعتبرنا تلك الوسائط معيناً بلا شرط ولا قيد تماماً كما نعتبر إعانة الحق تعالى لنا غير مشروطة ولا مُقيّدة بأي قيد من قيود قوانين الطبيعة. فمثلاً لو سقط سقف بيت على رأس صاحبه في مدينة مشهد فصرخ أهل البيت مُستنجدين بمن حولهم ممن يسكن على مسافة يُمكن لصوت الإنسان عادة أن يصلها فليس في عملهم هذا أي علاقة بالشرك بل عملهم عمل مشروع تماماً لأن استمدادهم عمل عادي طبيعي وبعبارة أخرى هو استمداد محدود بقوانين عالم الطبيعة ومُقيّد بها، أما لو استعان أولئك الأشخاص ذاتهم بأبناء عماتهم وأحفاد أعمامهم الساكنين في «نیشابور»، كان ذلك شركاً قطعاً، أو لو استعانوا بالأفراد الموجودين حول منزلهم أنفسهم بمُناداتهم بصوت خافت لا يُمكن في الحالة الطبيعية أن يسمعه الموجودون في جوار ذلك البيت، أو لو توقع المصابون أن يتمكن الموجودون خارج المنزل المنهار من مساعدتهم دون أن يستفيدوا من أي وسيلة كالمجارف والرافعات وغيرها ويُنقذوهم، يكونوا قد أشركوا قطعاً لأن هذا الأمر بحد ذاته - أرادوا أو لم يُريدوا - اعترافٌ عمليٌّ بأن ما يقومون به ليس لغواً ولا باطلاً وأن أولئك الناس عندهم قدرة على سماع صوتهم ولو كان خافتاً والقدرة على إمدادهم على نحو خارج عن قوانين الطبيعة أي أنهم يتوقعون أن يكون سمعهم غير مُقيّد بفاصلة مكانية معيّنة أو حدٌ خاصٌ

من حدود قوة السمع، وأن مساعدتهم لا تستلزم الاستفادة من الوسائل الطبيعية! أو لو استعان مريض بطبيب يقف إلى جواره وطلب منه المداوة والشفاء لم يكن عمله هذه متعارضاً مع كونه إنساناً مُوحّداً. أما لو استعان مريض في «طهران» بطبيب مقيم في «كرج» دون أن يتصل به هاتفياً أو لاسلكياً وتوقع أن يستطيع ذلك الشخص شفاؤه دون معاينة ولا استخدام للطرق الطبية المعروفة يكون قد انحرف قطعاً عن صراط التوحيد المستقيم لأن إمداد جميع الموجودات -غير الله- في عالم الطبيعة أو عالم الشهادة، أو نفعهم أو ضررهم، محدود ومقيّد بشروط عديدة.

والخلاصة أن الاستعانة بحدّ ذاتها وتأمل العون أو خوف الضرر من كائن ما ليس ملاكاً للشرك والتوحيد. بل الاستعانة والتأمل من غير الله على نحو فوق طبيعي -وهو ما نُعبّر عنه بعالم الغيب- والاستعانة والأمل غير المقيدين بأيّ شرط من شروط العالم المادي (أي كيفية الدعاء والنداء والاستعانة والاستغاثة) هي ملاك الشرك والتوحيد، حتى لو تمّت تلك الاستعانة والاستغاثة من غير الله أي من الملائكة أو الأنبياء العظام أو الأئمة وأولياء الله، لأن المعين غير المقيّد وغير المشروط هو صفة مختصة بالحق تبارك وتعالى وحده لا غير^(١).

كتب هذا الأخ الكريم يقول: إن تأمل آية ﴿إِيَّاكَ نُسْتَعِينُ﴾ يُعطينا ثلاثة مفاهيم:

الأول: هو مفهوم «المستعين» أي الأشخاص الذين يطلبون العون، وهم عباد الله الذين يستعينون به.

الثاني: مفهوم «المستعان به» أي الشخص الذي يتمّ طلب العون منه وهو الله المُخاطَب بكلمة ﴿إِيَّاكَ﴾.

الثالث: مفهوم «وسيلة الاستعانة» أي العمل الذي يتمّ القيام به ومن خلاله يُطلب العون من الله وذلك كالصلاة والصيام والجهاد والدعاء والصبر. فمثلاً في هذه الآية ذاتها من سورة الفاتحة «وسيلة الاستعانة» هي الصلاة ذاتها ودعاؤنا فيها وقولنا: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿١﴾

(١) لقد اختصرت قليلاً كلام المؤلف حول هذه القضية لأنه أعاد توضيحها وكرر الأمثلة عليها رغم وضوح الفكرة تماماً فحذفت التكرار. (المُترجم)

[الفاحة: ٥، ٦]. و «المُستعان به» هنا الذي هو الله المُخاطَب بكلمة «إِيَّاكَ». ولما كان «المُستعان به» هنا في موقع «المفعول به» وقُدِّم على الفعل والفاعل أي كلمة «نُسْتَعِينُ»، أفاد ذلك من الناحية اللغوية البيانية معنى الحصر والقصر، وانطلاقاً من تقدّم المفعول به على الفعل والفاعل الذي يُفيد الحصر، واستناداً إلى أن الاستعانة جاءت بعد إعلان انحصار العبادة بعبادة الله تعالى وحده «إِيَّاكَ نَعْبُدُ»، وكان ذكر الاستعانة هنا -كما قلنا- من باب ذكر الخاص بعد العام لذلك نستنتج أن الاستعانة التي يُعلِّمنا إيّاها القرآن تُعتبر من أعلى مصاديق العبادة وأكثرها أهميّة، والاستعانة التي تُعتبر عبادة هي الاستعانة بلا قيد ولا شرط^(١). وخلاصة الكلام، أن معنى الآية هو أننا نعتبر الله وحده فقط «مُستعاناً به» بنحو غير مشروط وغير مُقيّد ونستعين به وحده على هذا النحو.

أما الوسيلة التي نستعين بواسطتها أي العمل أو الطريقة التي نطلب بواسطتها العون من الله فهو ما نُطلق عليه «وسيلة الاستعانة». ولـ«وسيلة الاستعانة» مصاديق عديدة في عالم الخارج، فعندما يتوجّه العباد إلى الله ويستعينون به وحده ولا يستعينون بغيره، من الأفضل لهم أن لا يتوجّهوا إلى ساحته القدسيّة بيد خالية بل ليكن يدهم وسيلة وهي القيام بعمل صالح قبل أن يطلبوا حاجتهم من الله كأن يتصدقوا بهال أو يُصلّوا ركعتين^(٢) أو يدعوا بدعاء ما، أو يجعلوا الله ذاته «وسيلتهم المُستعان بها». وعندئذ يطلبون العون من حضرة «المُستعان به» أي الله سبحانه وتعالى..... الخ.

ويُضيف هذا الفاضل المحترم قائلاً: "أحد علماء الشيعة الكبار لم يقبل بقصر «المُستعان به» على الله وحده فقط في جميع الأمور، وقال: في العبادة فقط تكون الاستعانة مقصورة على الله ومحدودة به، وهذا عندما نقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾

(١) أما الاستعانة المُقيّدة والمشروطة فهي خارجة عن بحثنا بالطبع.

(٢) أي أنهم يُضيفون بأعمالهم الصالحة التي تؤدي إلى تكاملهم الروحي مزيداً من الاستعداد والأهلية التي تجعلهم أهلاً لاستجلاب رحمة الحق تعالى، كما قال القرآن الكريم: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

ومن الممكن أن يقول أهل التفويض: نحن مستقلون في العبادة ودليل هذا المدعى آية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، فلرفع هذه الشبهة قال القرآن مباشرة: ﴿إِيَّاكَ دَسْتَعِينُ﴾ أي إننا نستعين بك ونطلب القوة منك على العبادة. والحاصل أن ذلك العالم يُقرُّ بأن «المستعان به» هو الله وحده فقط ولكن ليس في جميع الحالات بل في رأيه إن قصر الاستعانة على الاستعانة بالله وحده هو في موضوع عبادته، أما في الأعمال الأخرى غير العبادة فيمكن طلب العون من غير الله (من المخلوقات أو من الأفعال). وقد استدلل على ادّعائه هذا بثلاثة آيات:

الأولى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

الثانية: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢].

الثالثة: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ [الكهف: ٩٥] وهو قول ذي القرنين الذي طلب العون من الناس. (نقلًا عن البيان في تفسير القرآن).

ينبغي أن ننتبه إلى أن هذا العالم المحترم لم يُفرِّق بين عالم الشهادة (أي عالم الطبيعة) وعالم الغيب (أي عالم ما فوق الطبيعة) وخلط بين الاثنين، كما أنه غفل عن التفاوت والفرق بين الاستعانة المُقيّدة والاستعانة غير المُقيّدة وغير المشروطة التي هي من مصاديق العبادة، لأنه استند إلى آيات واستشهد بها رغم أن الآية الأولى لا تُفيد فيما يرمى إليه، والآيتان الثانية والثالثة أيضاً لا علاقة لهما ببحثنا ونقاشنا حول الاستعانة غير المُقيّدة وغير المشروطة. لأن «الصبر والصلاة» في الآية الأولى من سنخ الأفعال وكل واحد منها «وسيلة استعانة» لا «مُستعان به» و «المفعول به» لفعل «استعينوا» هو الله^(١)، ففي هذه الآية المستعان به هو الله والآية الكريمة تُؤيّد قولنا بأن المستعان به غير المُقيّد وغير المشروط هو الله وحده. وكما قلنا يمكن أن تكون «وسيلة الاستعانة»

(١) مقصود الكاتب المحترم أنه لو انتبه السيد «الخوئي» إلى هذه المسألة إلى أن «المفعول به» لفعل «استعينوا» الذي لم يُذكر في الآية لشدة وضوحه هو كلمة «الله» ومعنى الآية في الحقيقة هو «استعينوا [الله] بالصبر والصلاة» عندئذ كان سيُدرَك بوضوح أن «المستعان» في هذه الآية هو الله لا غيره وأن الصبر والصلاة وسيلتان وبتعبيرنا شيثان «مستعان بهما» لأنه من الواضح أن الصبر والصلاة ليسا مُدركين كي يُدركا استعانتنا بهما.

أي وسيلة الذهاب نحو باب الله: إما أسماء الله وصفاته أو فعلٌ صالحٌ، وقد ذكرنا أن وسيلة الاستعانة في الاستعانة العبادية لا تنحصر بالله ولكنها وسيلة مشروطة وأحد شروطها إذن الله بها وسماحه لنا بها. لقد سمح الله تعالى ذاته لنا أن ندعوه مباشرة ونتضرع إليه ونستعين به مباشرة ومن دون واسطة فقال: ﴿أَتَمَّا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا ۗ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [فصلت: ٦٠]، وقال: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] والآن نقول: لو لم يأذن الله تعالى لنا بدعائه بصورة مباشرة وقال مثلاً لا تأتوا إلي مباشرة بل ارجعوا إلى الوسطاء والشفعاء الذين عيَّنتهم لكم، في هذه الحالة لا يجوز لنا أن نُقبل على الله ونتوجه إليه مباشرة. أما موضوع أننا لا نستطيع أن نجعل أحداً غير الله «مُستعاناً به» على نحو غير مشروط وغير مُقيّد ولو جعلنا أحداً غير الله «مُستعاناً به» على نحو غير مشروط نكون قد اعتبرناه مثل الله، فمثلاً لو استغثنا بالجنِّ أو وطلبنا العون والمدد من الملائكة أو من الأنبياء العظام أو الأئمة ذوي المقام الرفيع أو.... على نحو غير مشروط، واعتقدنا أنه حتى استعانة الآخرين المتزامنة مع استعانتنا من «المُستعان به» ذاته، لا تمنع من استعانتنا به، فإن هذا العمل يدلُّ بنحو تلقائي -شعرنا أم لم نشعر- على أننا نعتبر إعانة «المُستعان به» المذكور مثل إعانة الحق تبارك وتعالى أي مدداً وإعانةً مطلقة من كل قيد، أي أننا -نعوذ بالله- نكون قد جعلنا لله شريكاً!!

ومن شروط الاستعانة الأخرى أن يكون «المُستعان به» حياً مُدرِكاً زمن استعانتنا به. ومن الواضح تماماً أن الله وحده هو المُدرِك والعليم والسميع والبصير والخير في كل لحظة وأن ودون أيّ قيد أو شرط زماني أو مكاني، أما غير الله فلا يمتلك هذه الصفة على نحو مطلق غير محدود. وبالطبع لو كان النبيُّ أو الإمام حياً ودعاهما الداعي مُراعياً كل القيود والشروط كأن يكون بينه وبين النبيِّ مسافة مُعيَّنة يُمكن من خلالها أن يسمع صوت الداعي، وأن يكون النبيُّ مُستيقظاً ولا يوجد آخرون يدعونه في الوقت ذاته وأن يسمح للداعي بأن يعرض عليه حاجته و.... في هذه الحالة لو طلبنا من النبيِّ (أو الإمام) أن يجعل الله بالنيابة عنا «مُستعاناً به» ويطلب حاجتنا منه ففي هذه الحالة نكون قد جعلنا النبيِّ (أو الإمام) «مُستعاناً به» على نحو مُقيّد ومشروط كي يجعل

الله تعالى لأجلنا «مُستعاناً به» على نحو مطلق ويطلب منه قضاء حاجتنا؛ لا يكون في مثل هذه الاستعانة أيُّ إشكال أو مانع شرعيّ. أما الآن وقد صار النبيُّ (أو الإمام) خارج متناول أيدينا - لأنه لم يعد في هذا العالم الدنيوي ولم يعد يعيش حياة دنيوية بل انتقل إلى عالم آخر وحياة أخروية - فلو دعونا النبيَّ (أو الإمام) فانطلاقاً من أننا في هذه الحالة نكون مُعتقدين ضمناً بأن من ندعوه مُجرّد من أيِّ حدود زمانية ومكانية لأننا نستطيع أن ندعوه متى شئنا في كل لحظة وفي أيِّ مكان وزمان - في حين أنه في زمن الحياة الدنيوية ولأولئك الأجلاء كنا لا ندعوهم إلا عندما نكون بقربهم وعندما يكونون مُستيقظين ومُتبهين لنا - نكون قد جعلنا النبيَّ (أو الإمام) «مُستعاناً به» بدون أيِّ قيد أو شرط^(١)، في حين أننا نعلم أن «المُستعان به» المُجرّد من كل قيد وشرط وكل حدّ من الحدود هو الله وحده فقط وهو وحده الذي يُمكن أن يكون «وسيلة الاستعانة» و «المُستعان به» في الوقت ذاته.

ينبغي أن نتبه إلى أننا عندما ندعو الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء للتقرب إلى الله أو لطلب المغفرة أو لنيل حاجة خاصة من حاجتنا، لا يكون أولئك المدعوون «وسيلة الاستعانة» بل «وسيلة الاستعانة» في هذه الحالة تكون دعاؤنا ونداؤنا ومُحاطبتنا لهم ويكونون هم «المُستعان به» بالنسبة إلينا! هذا في حين أن «وسائل الاستعانة» التي عرّفنا القرآن عليها لم يكن أيُّ فرد من أفرادها شخصاً عاقلاً مُدركاً بل كانت تلك الوسائل من سنخ الأفعال والأعمال أي من سنخ المعاني، فمثلاً الذي يجعل وسيلة طلبه العون من الله أسماء الله وصفاته الحسنى فيذكرها في دعائه [سورة الأعراف: ١٨٠] أو يتصدّق بهاله أو يصوم أو يُحجّ ليستجلب رضا الحق تعالى ويتقرب بذلك إليه، تكون أعماله هذه كلها «وسائل الاستعانة» وليست «المُستعان به».

(١) إن دعاءنا إياهم الآن في هذه الدنيا يدل على أننا لا نعتقد بأنهم مُقيّدون بقيد «الحياة الدنيوية»، ورغم أننا نعلم أن الموت الدنيوي قد نزل بهم لا نزال نناديهم وندعوهم فبعملنا هذا نقول بلسان الحال: نستطيع أن نُسمع الموتى نداءنا في حين أن النبيَّ الأكرم ﷺ ذاته لم يكن قادراً على مثل ذلك [سورة فاطر: ٢٢ - ٢٣]، ثم إننا نكون قد اعتبرنا أن سماعه لنا سماع مطلق لا يتقيّد ولا يُشترط به وجود آلة السمع مع أن الله وحده هو الذي لا يحتاج إلى آلة للإبصار ولا للسمع.

أما الآية الثانية والثالثة فكلاهما يتعلّق بعالم الشهادة (= عالم الطبيعة) والمُخاطَب في الآية الثانية هم عامّة المؤمنين الذين يجب أن يُعيّنوا بعضهم بعضاً في أعمال البرِّ والتقوى (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى). من البديهي أن هذه الإعانة والتعاون مُقيّدة ومشروطة بعالم الشهادة (= عالم الطبيعة) ولا أحد من المؤمنين يتوقع من إخوانه إعانة فوق طبيعية وخارقة للعادة. وَمِنْ ثَمَّ فالآية الثانية لا علاقة لها بموضوع نقاشنا.

في الآية الثالثة التي طلب «ذو القَرَنَيْنِ» فيها المساعدة من الناس أي أن الناس كانوا هم «المُستعان به»، قد يتبادر إلى الذهن أن «المُستعان به» لا ينحصر بالله وحده؟ ولكن يجب أن ننتبه إلى أن الإعانة التي طُلبت في الآية تدخل ضمن مجال عالم الشهادة (= عالم الطبيعة) والمُخاطَبون يطلب العون هم المؤمنون، والآية لا علاقة لها بعالم الغيب (فوق الطبيعة)، و«ذو القَرَنَيْنِ» طلب من الناس الحاضرين أمامه بصورة طبيعية أن يضعوا تحت تصرّفه قواهم طبقاً لإرشاده لهم ويتعاونوا معه ويخدموه، ولم يطلب منهم أيّ شيء فوق طبيعي أو غير مُقيّد بقيود عالم الطبيعة، فهذا لا يتنافى مع انحصار «المُستعان به» بالله وحده، لأننا كما قلنا عندما نطلب معونةً فوق طبيعية وغير مُقيّدة ولا مشروطة ونكون مُضطرين وفاقدين لجميع الوسائل والأسباب ولهذا السبب نلجأ إلى عالم الغيب، (وفي الواقع ننتجّه إلى العبادة) يجب أن نستعين بالله وحده، وهنا يكون «المُستعان به» هو الله وحده لا غيره. ودليلنا على ما نقول -إضافة إلى آية ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، آيات أخرى مثل: ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، ففي هذه الآية كما نلاحظ لما لم أسقط بيد يعقوب (ع) ولم يعد له من وسيلة أمام أبنائه لمعرفة مصير ابنه يوسف جعل الله تعالى وحده «المُستعان به» في حين أنه لو كان يعلم أن ابنه مرميٌّ في البئر لكان واجباً عليه عقلاً وشرعاً أن يهرع كفرد مُتديّن إلى إنقاذ ابنه من غياهب الجب.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الانباء: ١١٢]، ففي هذه الآية لما شعر الأنبياء بعجزهم عن فعل أيّ شيء بصورة عادية وطبيعية لمواجهة مُحاربيهم جعلوا الله وحده «المُستعان به» لهم.

في الآيات المذكورة أعلاه كان «المُستعان به» خبراً، وعندما يأتي الخبر مُحلّى بالألف واللام يدل

على معنى الحصر والعهد، ففي تلك الآيات الثلاث كلها لا بُدَّ من طلب كلِّ معونة غير مُقَيَّدَة وغير مشروط بشروط عالم الطبيعة ومُرتبطة بعالم الغيب (= عالم فوق الطبيعة) من الله وحده فقط وبشكل مباشر لأنه هو فقط يكون «المُستعان به» في هذه الحالة^(١).

أما «وسيلة الاستعانة» أو بعبارة أخرى وسيلة الذهاب إلى باب الله لطلب العون فينبغي أن تكون من سنخ الأفعال أو أسماء الله وصفاته. كما قال موسى (ع) لقومه: ﴿أَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ﴾ [الاعراف: ١٢٨]. أو بالصوم والصدقة ومئات العبادات والأعمال الصالحة الأخرى، ولا يُمكن لأيِّ إنسان في هذه الحالة أن يكون «وسيلة الاستعانة»^(٢). أما عندما نتوسَّل ونستعين بالأسباب المحدودة الظاهريَّة -أي بما هو داخل ضمن مجال عالم الطبيعة الذي هو عالم الحدود- فإننا مُجازون بالاستعانة بالناس كما قال القرآن الكريم: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤]، فهنا الله «مُستعانٌ به» غير مُقَيَّد وغير مشروط وإعانتته مدد غيبي، والمؤمنون «مُستعانٌ به» مُقَيَّد ومشروط ومدد ظاهري حصل على استطاعته من الله في حدود الإذن الإلهي العام. " (إلى هنا انتهى كلام الجلالي).

النقطة المهمة الأخرى التي ينبغي أن نُنبه إليها فيما يتعلَّق بمغالطة الخرافيين وخداعهم بشأن موضوع دعاء غير الله في الأمور العرفية هي أن كل إنسان طالب للحق ومُنصف يدرك الفرق بين

(١) كما جاء في الفقرة ٣٨ من دعاء «الجوشن الكبير» المذكور في كتاب «المفاتيح» في مناجاة الله: "يا من لا يُستعان إلا به".
 (٢) يُمكننا أن نفهم من مُقارنة الآية ١٢٨ من سورة الأعراف بالآية ٤٥ من سورة البقرة وكلاهما خطاب لبني إسرائيل، أنه لما كانت الصلاة أعلى مصاديق الدعاء لذا لو استعنا بالله بواسطة الصلاة يكون الله هو «المُستعان به» و «وسيلة الاستعانة» في الوقت ذاته. في كلا الآيتين ذُكر كلا النوعين من الاستعانة: الأولها الله وصفاته وأسمائه الحسنی، والثاني: «المُستعان به» هو الله و«وسيلة الاستعانة» هي غير الله أي الأعمال الصالحة (كالصبر والصوم والجهاد و... الخ). وبالطبع هذان النوعان من الاستعانة يُمكن أن يجتمعا مع بعضهما ولا تناقض بينهما.

(٣) لأن غير الله -حتى الأنبياء والأولياء- يخافون عذاب الله وهم أنفسهم محتاجون وبيتغون إلى الله الوسيلة كي ينالوا رحمته كما قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧].

الدعاء العُرفي والدعاء العبادي. كل إنسان يفهم بوضوح أنه عندما يُنادي طبيباً ويقول له: عاجلني من المي هذا أو يقول للخبّاز: أعطني خبزاً أو للصانع: أصلح سيارتي، لا يُقبَل الباب والجدران عند وروده إلى عيادة الطبيب أو ورشة الصانع ولا يضع جبينه عليها ولا يقرأ صفحةً تتضمن نصّ زيارة خاصة ولا يطوف حول الطبيب أو الخبّاز أو الصانع ولا يرجع إلى الوراء ووجهه مُتّجه إلى الأمام لحظة الخروج من عندهم ولا يأخذ من غبار منضدة الطبيب أو ورشة الإصلاح حفنةً ليتبرّك بها ولا يمسح بها رأسه ووجهه ولا يقول لشخص آخر يذهب إلى ذلك الطبيب أو الصانع: زر نيابةً عني، ولا يعتقد أنه إذا كان جُنُباً (أو كانت المرأة حائضاً) فلا يجوز له الذهاب إلى زيارتهم، ولا يعتبر أنهم يعلمون كل لغات العالم ويفهمون أي لغة يكلمهم بها الناس ولا أنهم يسمعون في آنٍ واحد أصوات ورغبات جميع من يرجع إليهم ويفهمونها. بل الكل يعلم أن الطبيب والخبّاز والصانع بشر محدودون وناقصون مثلهم مثل من يلجأ إليهم، ولو قصّر الطبيب أو الخبّاز أو الصانع في إجابة طلبهم غضبوا عليه أو تركوه وذهبوا إلى طبيب أو خبّاز أو صانع آخر، كما أنهم يدعونهم من مسافة محدّدة ولو كانوا نائمين أو مرضى أو مشغولين مع شخص آخر لما دعواهم كما أنهم لا يعتبرونهم عالمين بما في ضميرهم كما لا يطلبون من الطبيب إصلاح السيارة ولا من الصانع علاج المرض لأنهم يعلمون أن الصانع لا يقدر على علاج المرض ولا الطبيب يستطيع على إصلاح السيارة، بل يعلمون أن الداعي وطالب العون نفسه لو درس الطبّ لأصبح كالطبيب المدعوّ أو لو تعلّم الصنعة لأصبح كالصانع المدعوّ. وفي الحقيقة لا يعتبرون أنهم يتمتعون بحالة خاصة وقدرة خاصة وهبهم الله إياها بل يعتبرون أن استطاعتهم محدودة بحدود الإذن الإلهي العام الذي يتمتع به جميع العباد ويؤمنون أن هناك تفاوت وفرق بين حالتهم أثناء حياتهم وحالتهم بعد موتهم. أما عندما يدعو الإنسان النبيّ أو الإمام أو حضرة مريم أو حضرة عيسى (ع) أو الملائكة و..... فلا يظنّ فيهم مثل تلك الأمور ولا يُراعي في دعائهم أيّاً من تلك الحالات المذكورة أعلاه^(١). (فتأمل).

(١) لو أن ذلك الكاتب الشاب ترك جانباً تعصبه لاعتقادات آبائه وأجداده لأدرك بكل بساطة هذا الفرق ولما كتب في كتابه (ص ١٨٦): "أيّ فرق بين الاستمداد من الطبيب الجراح والاستعانة به لعمل عملية الزائدة وبين الاستمداد بجبريل والاستعانة به.....".

ولا ينحصر هذا الموضوع بالطبع بكون الله أو غير الله مُعيناً والفرق العظيم بينهما، بل يصدّق أيضاً في موارد أخرى، ولكن في الموارد الأخرى تفاوت المسألة واضح لجميع الناس وضوحاً تاماً، ولكن الخرافيين يُصوِّرون المسألة خداعاً للعوام وكأنهم لا يُدركون الفرق بين كون الله مُعيناً وكون غيره مُعيناً، في حين أن هذه المسألة أيضاً مثلها مثل سائر المسائل ومحكومة بالحكم ذاته، فمثلاً غير الله أيضاً سميع وبصير، أو بتصریح القرآن الكريم غير الله أيضاً مُحي وروؤوف ورحيم وخبير [سورة المائدة: ٣٢، التوبة: ١٢٨، الفرقان: ٥٩]، ولكن أين سمع الله وكونه خبيراً من سمع غير الله وكونه خبيراً؟! غير الله سميع وخبير بشكل محدود وناقص، أما الله تعالى فهو سميع وخبير وبصير و..... بشكل كامل ومطلق وغير محدود. ولا يخفى على أيّ عاقل هذا التفاوت بين الأمرين.

أحد المدافعين عن الخرافات المُضللين للعوام، رغم أنه لم يكن جاهلاً بأحوال المشركين في عصر الجاهلية وعقائدهم، بل بيّنهما في كتابه الموسوم بـ «راز بزرگ رسالت»^(١) [أي سر الرسالة العظيم]، كتب في كتاب آخر له إضلالاً للناس يقول:

"كان الوثنيون طبقاً لصريح الآية الثالثة من سورة الزمر يعبدون الوسطاء إلى حدّ أنهم تركوا عبادة الله وأصبحوا لا يعبدون سوى الواسطة؛ في حين أن المُتوسّلين بالمُقرّبين من ساحة الله وذوي الجاه والمنزلة لديه يعبدون الله وحده فقط ولا يعبدون غيره، ويعتبرون أولئك المُقرّبين عباداً صالحين لئله نالوا قرباً ومنزلة عظيمة لديه نتيجة عبوديتهم الخالصة لئله لا أكثر من ذلك. في هذه الحالة فإن الآية تهدف إلى تحريم التقرّب إلى الله من خلال «عبادة» أشخاص ومخلوقات خلقها الله لا التقرّب إلى الله من خلال «توسّط» أولئك الصالحين أو مقامهم ومنزلتهم"^(٢)

أولاً: استناداً إلى ما ذكره هذا المؤلّف في كتابه «راز بزرگ رسالت» [سرّ الرسالة العظيم]، يتبيّن أن قوله هنا: "كان الوثنيون يعبدون الوسطاء إلى حدّ أنهم تركوا عبادة الله وأصبحوا لا

(١) راجعوا الكتاب الحاضر، ص ١٠٧ فما بعد وقارنوا كلامه هناك مع ما ذكره هنا.

(٢) الأستاذ الشيخ جعفر السبحاني، «توسل يا استمداد از ارواح مقدسه» [التوسل أو الاستمداد من الأرواح المقدسة]، نشر قدر، صيف ١٣٦٢ هجرية شمسية (يوافق ١٩٨٣ م)، ص ٩٤.

يعبدون سوى الوساطة "كذب". كما أن القرآن - كما رأينا في الصفحات الماضية^(١) - لا يدعم هذا الكلام. لقد ذمَّ القرآن المشركين بسبب إخلاصهم الدين ودعائهم الله وحده في حالة اليأس والاضطرار فقط، فإذا نجوا من تلك الحالة عادوا إلى الشرك بالله [سورة الأنعام: ٤٠ و ٤١ و ٦٣ و ٦٤، الأعراف: ٨٩ حتى ١٩٤، النحل: ٥٣ و ٥٤، الإسراء: ٦٧، العنكبوت: ٦٥، الزمر: ٨]. في الواقع كان الإشكال في عمل المشركين هو أدائهم الأعمال العبادية لغير الله أيضاً لا أنهم كانوا لا يعبدون الله. ولهذا السبب أطلق عليهم «المشركون» أي أنهم يعتبرون غير الله مشاركاً أو شريكاً لله في الأعمال العبادية وفي اتصافه بصفات الله.

ثانياً: يجب على المتوسِّلين - حسب قولكم - وهم في رأينا مسلمون جاهلون بالقرآن، أن يعلموا أن للشرك والتوحيد من وجهة نظر القرآن - كما أوضحنا سابقاً^(٢) - معنى أوسع بكثير مما يقوله الخرافيون، ومن أبرز نماذج الإشراف بالله الاعتقاد بصفات إلهية ولا محدودة لكائن غير الله أو القيام بعمل يستلزم حكماً مثل هذا الاعتقاد بحق كائن غير الله.

بناءً على ذلك لو أن العوام خدعوا بأقوال أمثال هذا الكاتب المخادع واقتنعوا بقوله: "المتوسِّلون.... يعبدون الله وحده فقط ولا يعبدون غيره، ويعتبرون غير الله عباداً صالحين لله نالوا قرباً ومنزلة عظيمة لديه لا أكثر..."، فإن هذا لن يكون كافياً لنجاتهم من الشرك بل عليهم أن يراقبوا أنفسهم فلا يقوموا بأعمال تجاه أولئك العباد الصالحين الكرام تستلزم - شعروا أم لم يشعروا - فرض صفات غير مُقيَّدة ولا محدودة لهم، ولا يعتقدوا في قلوبهم بمثل هذه الصفات في حق أولئك الصالحين الأعزَّاء. (فتأمل جداً)

إضافةً إلى ذلك، فإن عبارة «مِنْ دُونِ اللَّهِ» شاملة وعامة وتشمل الأصنام وغير الأصنام - بما في ذلك عباد الله الصالحين - ولا دليل لدينا على أن القرآن منع اعتبار الأصنام فقط مُقَرَّبَةً إلى الله وسمح لنا أن نجعل عباد الله الصالحين «مُقَرَّبِينَ» أو «مُسْتَعَانًا بِهِمْ» دون أي قيد أو شرط، خاصةً أننا نعلم أن المشركين لم يكونوا يعتبرون الأخشاب والأحجار بحد ذاتها مُقَرَّبَةً إلى الله بل

(١) راجعوا الصفحة ١٢٤ من الكتاب الحالي.

(٢) راجعوا الصفحة ١٢٨ من الكتاب الحالي.

الأشخاص الذين تُمثِّلهم تلك التماثيل هي التي كانوا يعتبرونها تُقرِّبهم إلى الله وشفيعَةً لهم عند الله^(١). ولكن للأسف كَتَمَ الكاتب المتعصِّبُ هذه الحقائق هنا!! رغم أنه قرأ كتاب «الأصنام» للكليبي وعرف أن المشركين كانوا يطوفون حول أصنامهم وشفعائهم وينذرون لهم النذور ويذبحون باسمهم ولأجلهم الأضاحي ويحلفون بأسمائهم، ومسلمو زماننا أيضاً ينذرون لعباد الله الصالحين وكما يُقال ييسطون الموائد باسمهم ولأجلهم، ويحلفون بأسمائهم، ويطوفون حول قبورهم كي يتوسطوا لهم عند الله ويشفعوا لهم عنده!! بناءً على ذلك فإن موضوع بحثنا مع الذين يتخذون الوسائط يدور حول طريقة «التوسُّط» لأن كثيراً من اتِّخاذ الوسائط - كما لاحظنا في الصفحات السابقة - من مصاديق الشرك. (فتأمَّل)

ويقول ذلك الكاتب نفسه [أي الشيخ جعفر السَّبْحاني]:

"في موضوع «التقرب» لا بُدَّ من ثلاثة أمور: ١- المتقرب. ٢- المتقرب إليه. ٣- المقرب أو وسيلة التقرب. فالمتقرب: هو عابد الصنم. والمتقرب إليه: هو الله. ووسيلة التقرب: هي القيام بعبادة عباد الله. مثل هذا التوسيط والتوسُّل الذي تكون وسيلة التقرب فيه هي عبادة غير الله: حرامٌ.

في هذه الحالة ما علاقة مفاد الآية الثالثة من سورة الزمر بموضوع بحثنا الذي هو التوسُّل بالصالحين، حيث لا يعبد المتوسِّلون أحداً سوى الله^(٢)، وبدلاً من التقرب إلى الله من خلال عبادة غير الله، يتقربون إليه من خلال توسيط الصالحين، وتوسيط مقامهم ومنزلتهم^(٣)!!!؟"

أولاً: كما لاحظتم في الصفحات الماضية لم يكن المشركون يفعلون شيئاً سوى ذلك، وطبقاً لتصريح القرآن كان هدفهم من الأعمال التي يقومون بها تجاه معبوداتهم هو «التقرب إلى الله زُلفى» من خلال وساطة تلك المعبودات لهم عند الله وشفاعتها لهم عنده. ولم يكن المشركون -

(١) راجعوا الصفحات ٩٦ إلى ١١٥ من الكتاب الحالي.

(٢) في الحقيقة هؤلاء المتوسِّلون لا يعبدون أحداً سوى الله في مقام القول والادِّعاء فقط [ولكن عملياً يعبدون غير الله دون أن يشعروا عندما يؤدون صنوف العبادة تجاه من يتوسلون بهم].

(٣) الأستاذ الشيخ جعفر السَّبْحاني، «توسل يا استمداد از ارواح مقدسه» [أي التوسل أو الاستمداد من الأرواح المقدسة]، ص ٩٤-٩٥.

كما بيّنا مراراً وتكراراً- يعبدون الأخشاب والأحجار والمعادن بحدّ ذاتها بل كانوا يعتبرون أوثانهم تماثيل ومذكّرة بعباد الله الصالحين أو بالملائكة ومظهرها لها.

ثانياً: ينبغي أن ننتبه إلى أن نقاش الموحدين معكم هو أيضاً حول أنه لا بد أن تكون «وسيلة الاستعانة» أو «وسيلة التقرب» أو ما أطلقتم عليه «المقرب» قد عينه الله تعالى ذاته لنا وسمح لنا بأنخاذه وسيلة وعرفنا في كتابه بأنه وسيلة تُقربنا إليه. ولهذا السبب رفض الله تعالى في القرآن الكريم وجود الوسائط والشفعاء الذين يسعى الناس إلى الحصول على شفاعتهم من خلال القيام بأعمال تستلزم افتراض صفات غير مقيّدة ولا محدودة لهم^(١)، واعتبر ذلك شركاً. سورة يونس: ١٨^(٢).

ثالثاً: خصوصية «مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ» التي أثبتها القرآن للشفعاء والمعبودات التي كان يعبدها المشركون، أثبت مثلها تماماً للرسول الأكرم ﷺ حين أمره تعالى أن يقول: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الاعراف: ١٨٨، يونس ٤٩]، كما قال للنصارى عن عيسى بن مريم (ع) أنه: ﴿لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [المائدة: ٧٦].

والكذب الآخر الذي ارتكبه الكاتب قوله:

"إن المشركين كانوا يعتبرون أوثانهم مؤثرة في الكون على نحو مُستقل عن الله وذات تصرّف مُستقل بشكل كامل في تدبير العالم ومالكة لمقام الشفاعة.... في حين أن الإنسان الموحّد لا يعتقد أبداً بمثل هذه العقيدة في حق الصالحين"^(٣).

ونقول:

أولاً: لم يكن المشركون -كما أوضحنا من قبل (ص ١٢٤)- يعتبرون معبوداتهم مؤثرة مستقلة عن الله ولا مُتصرّفة مستقلة بشكل مطلق في العالم ولا كانوا يعتبرونها مالكة لمقام

(١) راجعوا ما ذكرناه في الصفحات ٩٦ إلى ١٠٣، والصفحات ١١٣ إلى ١٢٠ في الكتاب الحالي.

(٢) ونص الآية: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ

أُتِنَّا بِأَلْفِ اللَّهِ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾.

(٣) الأستاذ الشيخ جعفر السبحاني، «توسل يا استمداد از ارواح مقدسه» [أي التوسل أو الاستمداد من

الأرواح المقدسة]، ص ٩٧-٩٨.

الشفاعة المستقلة، ولا مالكة للشفاعة، بل كانوا يُؤدُّون لمعبوداتهم ولتماثيل تلك المعبودات أعمالاً عبادية (كالطواف والنذر و....) على أمل أن تشفع لهم تلك المعبودات عند الله، وفي الحقيقة كان الباعثُ والدافعُ لهم لأداء الأعمال العبادية لغير الله أملهم بأن تشفع لهم تلك الشخصيات (الملائكة أو غيرها) عند الله.

ثانياً: إن كل عاقل ومُنصف يُدرك بوضوح أن الشفاعة في جوهرها عمل ارتباطي يحتاج إلى التعلُّق بذات هي المشفوع عنده، أي أن أحد طرفي الشفاعة هو الله دائماً، والشفيع يطلب من الله الغفران للمشفوع له. ولذلك فليست الشفاعة مثل صفة الخلق والرزق و..... التي يُمكن لشخص أن يقول بشأنها: إن فلان يخلق كما يخلقُ الله أو فلانا يرزق كما يرزق الله وهكذا.....، ولكن لا يمكن القول بشأن الشفاعة: إن المشركين كانوا يعتقدون أن أوثانهم تملك الشفاعة مثلما يملكها الله! (فتأمل).

أضف إلى ذلك أن المشركين - كما مرَّ معنا في الصفحات الماضية (ص ٩٦، ١٢٨، ١٤٦) - لم يكونوا يدَّعون بأيِّ وجه من الوجوه أن معبوداتهم لا تحتاج للحصول على الإذن بالشفاعة من الله بل تقدر على الشفاعة بشكل مستقل!! بل كان الإشكال في عملهم أنهم يُؤدُّون الأعمال العبادية لها دون دليل شرعي صحيح ويدَّعون أن الله إذن لهم بذلك! وإلا فإنهم كانوا يعتبرون الله خالق العالم ومُدبِّره ومُحيي المخلوقات ومُميته و.....، كل ما في الأمر أنهم كانوا يعتقدون أن معبوداتهم تتوسط لهم عند الله وتشفع لهم عنده [سورة يونس: ١٨] كي يعفو الله عنهم أو يُنعمَ عليهم بما يطلبونه، وكان المشركون أنفسهم يعترفون أن الأعمال العبادية التي يُؤدُّونها للأصنام إنما يُؤدُّونها لكي تُقرَّبهم من الله وتجلب لهم رضا الله عنهم وإنعام الله عليهم. [سورة الزمر: ٣].

وكانت اعتراض رسول الله ﷺ على المشركين يتلخَّص بقوله لهم إن الشفاعة هي لله وحده، وإن الله هو الذي ينبغي أن يأذن لشخص بالشفاعة ويُعلمه بذلك ويأمره أن يشفع للعبد الفلاني. فخطؤكم أيها المشركون أنكم اعتقدتم بشفعاء لم يأذن الله لهم بالشفاعة لكم، ولم يعلمهم بأمره بالشفاعة لمن يستشفع بهم. وكذلك يظن مسلمو زماننا في بعض الأشخاص أنهم شفعاء لهم دون أن يمتلكوا أيِّ دليل شرعي صحيح ومُتقن على كونهم شفعاء لهم، هذا إضافةً إلى

إضافاتهم صفات غير محدودة علي أولئك الشفعاء وأدائهم الأعمال العبادية لهم كطوافهم مثلاً حول قبورهم، ونذرهم الشموع لقبورهم والحلف بأسمائهم وطلب الحاجات منهم على نحو غير مُقيّد بقوانين الطبيعة وطلب الشفاعة منهم..... الخ، ورغم أن الكاتب المتعصب لا يُنكر أن أقلية من أهل الجزيرة العربية على الأقل كانت في الجاهلية تعبد الملائكة أو المسيح (أي تؤدي لهم أعمالاً عبادية) إلا أنه تحجج قائلاً:

"لم يثبت أن عبادة المسيحيين للمسيح هي لأجل أن يتقربوا بواسطته إلى الله ، لأنه يعتبرون المسيح: الله أو جزءاً من الله، ولا يعتبرونه كائناً منفصلاً عن الله حتى تُطرح قضية التقرب بواسطته إلى الله!!"^(١)

هذا في حين أنه يعلم أن القرآن الكريم قال إن الله تعالى سيقول لعيسى (ع) يوم القيامة: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ﴾ [معبودين اثنين] من دون الله ﴿اللَّهُ﴾ [المائدة: ١١٦] وأن المسيح سيُجيب بأنه: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٧]. فَعَلِمَ أن المسيحيين الذين لم يكونوا يعتبرون حضرة مريم (ع) جزءاً من الله كانوا يُؤدُّون أعمالاً تجاهها اعتبرها الله عبادةً منهم لها واعتبر أنهم اتَّخذوها إلهاً أيضاً.

ولقد سبق أن قلتُ قبل سنوات عديدة من تأليف هذا الكاتب اللجوج لكتابه «التوسل والاستمداد من الأرواح المقدسة» في تفسيري «تابشى از قرآن» [شعاع من القرآن]، ذيل الآية ١١٦ من سورة المائدة أن بعض الكتّاب اعترضوا بأنه لم يعتبر أحد حضرة عيسى وأمه إلهين حتى يقول الله يوم القيامة مُعاتباً: ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ [معبودين اثنين] من دون الله ﴿اللَّهُ﴾ [المائدة: ١١٦] (وقوله: إلهين، أي مرجعين في حوائجكم).

وقلت: إن هذا الإشكال ناشئ من تصوّر أن كلمة «إلهين» تعني: «اللّهين» أي من تصوّر أن «إله» تعني «الله»! وغفّل صاحب هذا الإشكال أو تغافل عن أن «إله» لا تعني «الله»، بل هي أعمُّ من ذلك وهي مشتقة من مادة «إِلَهٌ يَأْلَهُ» التي تعني: «مَنْ يُقْصَدُ إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ» وتأتي بمعنى مُطلق

(١) الأستاذ الشيخ جعفر السبحاني، «توسل يا استمداد از ارواح مقدسه» [أي التوسل أو الاستمداد من الأرواح المقدسة]، ص ٩٨.

«المعبود». فالإله معناه «المألوه» (اسم مفعول) وهي كلمة قابلة للجمع وجمعها «آلهة»، في حين أن «الله» لا جمع لها. ولا شك في أن النصارى كانوا يتوجَّهون في قضاء حوائجهم وفي الشدائد والملمات نحو عيسى ومريم المُتخيلين في ذهنهم ويدعونها بصورة غير مشروطة ولا مُقيَّدة. ألا ترى أن النصارى في جميع الكنائس والمستشفيات في أمريكا وأوروبا يطلبون من هاتين الشخصيتين الجليلتين شفاء المرضى دون أيِّ حدود أو قيود؟ (وهذا يُشبه ما يفعله مسلمو زماننا تجاه حضرة الزهراء أو حضرة الإمام الرضا (ع)) ويخضعون ويتذلَّلون أمام تماثيلهما وصورهما؟!!

ويتشَبَّث كثير من الكُتَّاب الخرافيين لخداع العوام بقضية هي التالية:

«إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتُسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا، فَيُسْقَوْنَ». (صحيح البخاري، ج ٢، باب صلاة الاستسقاء). وهذا الحديث أحد الدلائل على التوسُّل بالأفراد المُقَرَّبِينَ من الله^(١).

ونحن أيضاً نذكُر بأن الشيخ الصدوق روى هذا الخبر الذي يُفيد أن عمر كان يخرج مع العباس لأجل الاستسقاء^(٢). ورُويت هذه الواقعة أيضاً في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٥٦.

اللهم إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ. حقاً إنه مما يُثير العجب الأعمال التي يقوم بها العلماء المُتَعَصِّبُونَ أو المسترزقون بالدين لخداع العامة! فتراهم مُستعدُّون لجعل الليل نهاراً كي يصلوا إلى مرادهم!! رغم أن الحديث المذكور أعلاه ليس في صالح ما يدَّعونهُ إطلاقاً رغم ذلك لا يتورَّعون عن الاستناد إليه وتصوير دلالته بشكل مقلوب رأساً على عقب:

أولاً: لا يوجد في القرآن الكريم أدنى دليل على التوسُّل بروح نبيِّ بعد وفاته، أو أن الأنبياء بعد وفاتهم يقون على اتصال بهذه الدنيا وارتباط بأهلها.

ثانياً: من هذا الخبر يتضح تماماً أن المسلمين في صدر الإسلام كانوا يفرِّقون بين الحيِّ والميِّت -

(١) الشيخ جعفر السبحاني، «توسل يا استمداد از ارواح مقدسه» [التوسل أو الاستمداد من الأرواح المقدسة]، ص ١٠٥-١٠٦.

(٢) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، كتاب الصلاة، باب ٥١ (باب صلاة الاستسقاء). الحديث ٢١. وجاء في الرواية المذكورة أن العباس كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنَّا لَا نَدْعُو إِلَّا إِلَيْكَ».

حتى لو كان نبيَّ الله - ولذلك لم يتوسَّلوا بروح رسول الله ﷺ بعد وفاته ورحيله عن الدنيا ولم يُخاطبوه^(١)، ورغم أن عُمر وأصحابه كانوا في المدينة إلا أنهم - كما يدل على ذلك نصُّ الحديث بوضوح - دعوا الله تعالى مباشرةً بدلاً من أن يذهبوا إلى قبر النبيِّ الكريم ويُخاطبوه. (فتأمل جداً).

ثالثاً: لم يدعُ عمر جناب العباس من مسافة عدَّة كيلومترات بل دعاه من مسافة متعارف عليها وأتى به معه إلى المصلَّى. (فتأمل)

رابعاً: عمل عمر في هذه الحادثة بالطريقة ذاتها التي ذكرها فقهاء الإسلام - على حدِّ قول الشيخ سبحاني - الذين قالوا: يُستحبُّ في صلاة الاستسقاء: الصوم والسير بتواضع وخشوع، واصطحاب الأطفال والشيوخ الهرمين والعجائز إلى صلاة الاستسقاء لاستجلاب رحمة الله بأكبر قدر ممكن^(٢).

بناءً على ذلك فقد قام عمر وأصحابه بعد اصطحابهم عمَّ النبيِّ لأداء صلاة الاستسقاء بدعاء الله وكان قصدهم أن يقولوا: اللهم لما كان نبياً بيننا كنا نطلب منك الغيث بركة حضوره بيننا، أما الآن وقد حُرِّمنا من حضور النبيِّ بيننا، فإن عمَّ النبيِّ - وكان حينها شيخاً مُسنّاً - بيننا فارحمنا لأجله وأنزل علينا الغيث. ومن البديهي أنه لا مانع من ذكر الصالحين المُسنِّين أو الأطفال الأبرياء المعصومين عند التوجُّه إلى الله بالدعاء والضراعة استجلاً لرحمته، وأن نسأل الله أن يرحمنا لأجلهم أو أن نطلب من الصالحين أن يدعوا الله لنا. وهذا الأمر خارج عن موضوع بحثنا تماماً^(٣). إن موضوع بحثنا يتعلَّق بأنه هل يجوز شرعاً أن نتوسَّل بالأرواح الطيبة للأنبيا والأولياء ونعتبرهم

(١) حول سلوك مسلمي صدر الإسلام تجاه أسلافهم راجعوا كتاب «زيارت وزيارتنامه» لاسيما الصفحات من ٣ إلى ٢٩.

(٢) راجعوا كتاب الأستاذ الشيخ جعفر السبحاني، «توسل يا استمداد از ارواح مقدسه» [التوسل أو الاستمداد من الأرواح المقدسة]، ص ١٠٤، نقلاً عن الجزء الأول من كتاب «الفقه على المذاهب الأربعة».

(٣) والحكم ذاته ينطبق على الحديث الآخر الذي أتى به الأستاذ الشيخ «جعفر السبحاني» في الصفحة ١٤٢ من كتابه نقلاً عن عثمان بن حنيف إذ تكلم شخص ضرير في الحديث المذكور مع النبيِّ الحيِّ من مسافة متعارف عليها (أي أن عمله يدخل تحت عنوان الاستعانة المقيَّدة) وجعل النبيِّ شفيعه، فهذا أيضاً خارج عن موضوع بحثنا.

قادرين على سماع أذعيتنا وأن نطلب منهم أن يتوسطوا بيننا وبين الله ويشفعوا لنا عنده؟!^(١).

خامساً: يا مُدَّعي أتباع أهل البيت، لو تمسَّكتُم هنا بعمل عُمر -الذي لا يُؤيِّد ادِّعاءكم بأيِّ وجه من الوجوه- فلماذا لا تذكرون كلام الإمام الباقر (ع) الذي روى عن جدِّه عَلِيِّ (ع) أنه

(١) بناءً على ذلك فما يذكره الشيوخ خداعاً للعامَّة من قولهم: إنه قد جاء في كتب الحديث -ومن جملتها السنن الكبرى للبيهقي أو المستدرک للحاكم النيسابوري أو المصنف لعبد الرزاق الصنعاني أو....- من أن حضرة الزهراء -عليها السلام- كانت تزور قبر حضرة حمزة سيد الشهداء وقبور شهداء أحد كل جمعة وتبكي هنالك وتدعو للشهداء، أو أن النبي كان يذهب أول كل سنة إلى البقيع ويدعو لأهل البقيع، أو أن عائشة كانت تزور قبر أخيها عبد الرحمن، أو أن عائشة لما سألت النبي: كيف أزور أهل البقيع؟ قال لها: "قولي: السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللَّهُ الْمُسْتَفْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لِأَحْقُونَ" (صحيح مسلم، كتاب الجنائز، ج ٢، ص ٦٧١) خارج عن موضوع بحثنا تماماً ويدخل تحت حديث رسول الله ﷺ الذي قال فيه: "إِنِّي نَهَيْتُكُمْ عَنِ زِيَارَةِ الْقُبُورِ". ثم لما ضعفت آداب الجاهلية وعاداتها بين الناس قال لهم: "أَلَا فَرُّوْهَا فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمْ الْآخِرَةَ (الموت)". (زيارات وزيارتنامه، ص ٤ و ٥).

من البديهي أنه لأجل تذكُّر زوال الدنيا وتذكُّر الموت والآخرة، لا فرق بين زيارة قبور المؤمنين وقبور غير المؤمنين ومثل هذا الهدف يحصل لدى زيارة مقبرة المدينة التي يعيش فيها الإنسان، -مثل زيارة مقبرة بهشت زهرا (أي جنة الزهراء) في طهران- وليس من الضروري أن يشدَّ فرد من أهالي مدينة ماكو (في أقصى الشمال الغربي لإيران) أو مدينة خرمشهر (في الجنوب الغربي لإيران) رحاله ويسافر إلى خراسان (في أقصى شرق إيران) ليزور الضريح الفخم والمليء بالذهب والمرابا للإمام الرضا (ع) ليتذكر الآخرة!! أضف إلى ذلك وكما نعلم جيداً لا يذهب الناس من كل حذب وصوب ومن كل فجٍّ عميق إلى زيارة الأئمة أو ذراريهم كي يدعوا لأولئك الأجلاء الكرام ويطلبوا لهم الغفران والرحمة بل هم يتحملون عناء السفر لنيل رضا أولئك الأجلاء الكرام واستجلاب وساطتهم وشفاعتهم لهم عند الله! (فتاَمَل).

من الواضح تماماً أن حضور شخص عند قبر أبويه أو أحد أقربائه أو أعزائه وتأثره وبكائه أو دعائه الله لصاحب القبر وطلبه من الله له الرحمة والغفران موضوع خارج عن بحثنا تماماً ولا خلاف فيه بين المسلمين ولِلَّهِ الْحَمْد. فإذا حضر النبي ﷺ في «الأبواء» عند قبر أمه وبكى أو كانت الزهراء (ع) تذهب إلى قبر عمِّ أبيها وكانت تبكي لتذكُّر تضحياته أو لتذكُّر شهداء أحد وكانت تدعوا لهم، فإنها لم تكن تطوف حول قبورهم ولم تكن تجعل منهم وسطاء وشفعاء بينها وبين الله، وكذلك كانت عائشة تذهب إلى قبر أخيها لقراءة الفاتحة له والدعاء له وطلب الرحمة من الله له، لا لجعله شفيعاً لها عند الله. (فتاَمَل).

قال: "كَانَ فِي الْأَرْضِ أَمَانَانِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَقَدْ رُفِعَ أَحَدُهُمَا فَدُونَكُمْ الْآخَرَ فَتَمَسَّكُوا بِهِ: أَمَّا الْأَمَانُ الَّذِي رُفِعَ فَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمَّا الْأَمَانُ الْبَاقِي فَالِاسْتِعْفَارُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]".
(نهج البلاغة، الحكمة رقم ٨٨).

كما نلاحظ يُصْرَحُ عَلَيَّ (ع) أن الرسول الأكرم ﷺ - وجميع الأنبياء - لم يعد بيننا بعد رحيله عن الدنيا. فبأيّ دليل تقولون: إننا نستطيع الوصول إلى الأنبياء والأئمة والتحدث إليهم بعد انتقاهم عن الدنيا؟ لو كان التوسّل بالنبي بعد وفاته جائزاً وسبباً لدفع العذاب وجلب الخير لقال أمير المؤمنين (ع): توسلوا بروح نبيكم فهو بينكم وهو أمان من عذاب الله.

يتشبّهون المسترزقون بالدين بالطبع، لخشيتهم من خلوّ المزارات وكساد دُكّانهم، بأنواع الخيل. ومن جملتها أنهم عندما يعجزون عن إثبات الولاية التكوينية للأنبياء والأئمة يقولون: حتى لو لم يُعْطَ الأنبياء والأولياء القدرة على صنع المعجزات والخوارق ورفع مشكلات الناس وشفاء المرضى ودفع الشرّ عنهم، فإنهم ببركة مقامهم الرفيع والعالي عند الله، مُطَّلَعُونَ على أدعية الناس وطلباتهم أو يقولون: إن الملائكة توصل إليهم أدعية الناس وطلباتهم، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنْ زيارة قبورهم والطواف حولها تهدف إلى التقرب من الله وطلب الشفاعة منهم فليس دعاؤهم من الأماكن البعيدة والقريبة والنذر لأولئك الأجلاء الكرام والتبرّك بأضرحتهم عملاً عبثياً!!

لكن ادّعاءهم هذا لا دليل عليه ولا يُؤيِّده القرآن. فالملائكة لا تنزل وتعرج بناءً على رغباتنا [مريم: ٦٤، الأنبياء: ٢٧ و ٢٨]^(١) حتى يكون من الواجب عليهم أن يوصلوا رسالتنا وكلامنا إلى النبيّ أو الإمام كلما دعونا النبيّ أو أحد الأئمّة في جوار قبورهم أو من مكان بعيد!! وليت شعري! أين ذكّر الله في القرآن أنه بعد وفاة الأنبياء والأولياء، خصّص الله ملائكةً وظيفتها إيصال أخبار الناس وأدعيتهم ونداءاتهم إلى أولئك الكرام!؟

(١) نصّ الشاهد في الآيات: ﴿وَمَا تَنْزِيلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤]. ﴿...بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٧] (المترجم)

ولحسن الحظ لا خلاف بين المسلمين في عدم جواز دعاء الملائكة، فلم تُشاهد لدى أيّ فرقة من فرق المسلمين أحداً يقول: يا جبريل اشفع لي عند الله أو أوصل رغبتني إلى الإمام الفلاني أو حفيد الإمام الفلاني!! لأن الجميع يعلم أن الملائكة في حال دائمة من العروج والنزول ولا يُمكنهم أن يكونوا في أكثر من مكان في وقتٍ واحدٍ، والله وحده فقط المُحيط بكل مكان وبكل شيء على نحو التساوي والتزامن. بناءً على ذلك إذا دعا أحدهم أولئك الملائكة دون قيد أو شرط يكون قد نسب إليهم بلسان حاله صفةً إلهية ووقع في حبال الشرك. (فتأمل).

أضف إلى ذلك أن الله أوضح لنا في القرآن أن الأنبياء أثناء حياتهم الدنيوية لم يكونوا مُطلعين على الأعمال الخفية لمعاصريهم ولا عالمين بما في صدور معاصريهم، فما بالك بأن يعلموا ذلك بعد رحيلهم عن الدنيا وانتقالهم من دار الفناء إلى عالم البقاء. وكان قدماء الشيعة يعتبرون مثل هذه العقيدة باطلة ويعدونها من عقائد الحشوية^(١).

وقال القرآن الكريم للنبي الأكرم ﷺ: إن بعض الناس الذين يُعجبك قولهم في الحياة الدنيا، باطنهم مخالف لظاهرهم [البقرة: ٢٠٤ و ٢٠٥] أو قال: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُتَنَفِّئُونَ وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى اللَّيْفِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة: ١٠١]. أو بين لنا أنه عندما أخبر الهدهد سليمان (ع) الخبر لم يكن سليمان يعلم صدق الهدهد من كذبه لذلك قال له: ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾؟ [النمل: ٢٧]. ولما نزلت آيات اللعان وقام الرجل والمرأة باللعان طبقاً لآيات القرآن، قال لهما النبي الأكرم ﷺ: أما أنتما فقد عرفتما أني لا أعلم الغيب. حسابكما على الله، أحكما كاذب. وقال مرةً للرجل ومرةً للمرأة: إن كذبت (أو كذبت) فتب إلى الله^(٢).

وطبقاً لما رواه المجلسي قال النبي ﷺ: "لَيَخْتَلِجَنَّ قَوْمٌ مِنْ أَصْحَابِي دُونِي وَأَنَا عَلَى الْحَوْضِ فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ فَأَنَادِي يَا رَبِّ أَصِيحَابِي أَصِيحَابِي (أَصْحَابِي أَصْحَابِي) فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا

(١) راجعوا كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، ص ١٣٤.

(٢) مصنف عبد الرزاق، الأحاديث: ١٢٤٤٤، ١٢٤٤٩ و ١٢٤٥٥.

تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ"^(١). بناءً على ذلك لم يكن النبي يدري بعد رحيله عن الدنيا ما أحدثه قومه من بعده. فالنبي الذي لا يعلم ما صنيع العبد الفلاني كيف يُمكن أن يشفع له في المحكمة الإلهية ويُدافع عنه؟! إن الله وحده العليم بظاهر العباد وباطنهم وبسرهم وعلايتهم وهو القائل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ولا أحد سوى الله يمتلك مثل هذا العلم. بناءً على ذلك ما من نبي ولا ملائكة يعلم من العباد ستعلق به إرادة الله، ولأجل من سيأذن الله بالشفاعة؟ فتعيين الشفيع لمُقَصِّرٍ مُعَيَّنٍ مُسْتَحِقٌّ للشفاعة، يعود إلى الله وحده ويبيده سبحانه وتعالى وحده لا بيد العباد، لأن الشفعاء أيضاً خائفون من هيبته الله وجلاله ولا يلتفتون إلى توجُّهنا إليهم: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ أَرَضَى﴾ [الانباء: ٢٨]. لأنهم يعلمون ونعلم أنه ليس كل ما يريده الإنسان يتحقق له بل: ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ۗ وَكَمْ مِنْ مَلَائِكَةٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُعْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُرِضَى﴾ [النجم: ٢٥، ٢٦] (فتأمل).

وكان حضرة عليّ (ع) يعتبر الاطلاع على الأعمال الخفية للعباد وعلى ما في صدورهم خاصاً بالله تعالى وحده الذي "لَا شَهِيدَ (شاهد) غَيْرُهُ وَلَا وَكَيْلَ دُونَهُ"^(٢). وقال عن الاطلاع على المستقبل أيضاً: "قَدْ أَفْلَقَنِي مَا أُبْهِمَ عَلَيَّ مِنْ مَصِيرِ عَاقِبَتِي"^(٣) وَمِنْ ثَمَّ فَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ الْغَيْبَ.

والأنبياء بعد رحيلهم عن الدنيا لا تبقى لهم صلة بهذا العالم الفاني. ولذلك فالنبي الذي أماته الله مئة عام ثم بعثه لم يكن يعلم المدة التي بقي ميتاً خلالها [البقرة: ٢٥٩]، وعيسى (ع) يقول: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧]. وعندما بعث الله أصحاب الكهف من نومهم العميق لم يعرفوا المدة التي قضوها نائمين ولا كانوا يعلمون أن دقيانوس الملك قد مات وأن أوضاع المنطقة قد تبدلت [الكهف: ١٩]. ولم يكن نوح

(١) المجلبي، بحار الأنوار، ج ٨، ص ٢٧. والحديث صحيح معروف في مصادر أهل السنة رواه البخاري ومسلم في صحيحهما، والترمذي والنسائي في سننهما، وأحمد في مسنده، وغيرهم، عن عدد من الصحابة منهم حذيفة وابن مسعود وابن عباس وأنس وأبي هريرة. (المترجم)

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٢٦.

(٣) الصحيفة العلوية، دعاؤه في الشاء والمناجاة، ص ١٣٤.

(ع) يعلم أن ابنه لن ينجو من الطوفان، لكنه عرف بعد غرقه أن جملة: «سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ» شملت ابنه أيضاً لذلك أتجه إلى ربه قائلاً: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [هود: ٤٥] فجاءه الجواب: ﴿قَالَ يَنْفُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود: ٤٦] أي أنه غرق بسبب أعماله السيئة فعلم أن نوح (ع) لم يكن يعلم الغيب.

ولم يكن حضرة إبراهيم (ع) يعلم أنه سيكون له ولد باسم إسحاق (ع) وحفيد باسم يعقوب (ع) لذا لما دخلت عليه الملائكة ولم يعرفهم وذبح لهم عجلاً وقدمه لهم (ولو كان يعلم الغيب لعلم منذ البداية أنهم من الملائكة وأنهم لا يأكلون الطعام ولما أوجس منهم خيفةً ولما طبخ لهم العجل وقدمه لهم من الأساس)، فلما بشرته الملائكة بمجيء ابن له تعجب قائلاً: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ يُبَشِّرُونَنِي ﴿٥٤﴾؟!﴾ فأجابوه قائلين: ﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الحجر: ٥٤، ٥٥]. ولم يكن يعلم حقيقة المهمة التي أرسل بها أولئك الملائكة لذلك سألم قائلاً: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾﴾ فقالوا: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ ثَمُودَ ﴿٥٨﴾﴾ [الحجر: ٥٧، ٥٨] فسألم إبراهيم متعجباً: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ﴿٥٩﴾﴾ أي كيف سينزل العذاب على أهل القرية وفيهم لوط؟! فأجابته الملائكة: ﴿قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [العنكبوت: ٣٢]. ولو كان إبراهيم يعلم أن الملائكة ستُنجِّي لوطاً قبل إنزال العذاب الإلهي بأهل قرية سدوم لما سألم كيف سينزل العذاب على أهل القرية وفيهم لوط؟!!

ولم يكن زكريا (ع) يعلم أنه سيصبح أباً لولد لذا لما بشر بغلام اسمه يحيى قال متعجباً: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨١﴾﴾ [مريم: ٨].

ولم يكن لوط (ع) يعلم الغيب فلم يعرف الملائكة الذين جاؤوا لعذاب قومه وكان يتصور أنهم بشر فخاف أن يتعرض لهم قومه بسوء، وحتى بعد أن علم أن قومه لن ينصرفوا عن الرغبة بالتعرض لضيوفه قال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَىٰ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٢﴾﴾ [هود: ٨٠] في تلك اللحظة كشف الملائكة عن حقيقة أنفسهم وقالوا له: ﴿يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا

أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ [هود: ٨٠، ٨١] وقالوا له: ﴿لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [العنكبوت: ٣٣].

كما لم يكن لموسى (ع) -الذي كان من أولي العزم من الرسل- علم بذلك الملك الظالم الذي يأخذ كل سفينة لا عيب فيها غصباً، ولا كان له علم بالوالدين الصالحين لذلك الغلام الذي قُتل أمامه، ولا بالكنز الذي كان تحت الجدار [الكهف: ٦٧ حتى ٨٢]. ولو كان موسى (ع) يعلم الغيب لما اعترض على رفيقه في السفر في تلك الموارد.

ونبي الإسلام ﷺ أيضاً رأى في السنة السادسة للهجرة رؤيا في منامه بأنه يدخل المسجد الحرام وأنه يؤدّي مناسك الحج، فانطلق برفقة عدد من أصحابه -زاد عددهم عن الألف- ومن جملتهم عليّ (ع) إلى مكة المكرمة ظاناً أن حُلْمُهُ سيتحقق هذا العام، ولم يدّر أن حُلْمُهُ لن يتحقق هذه السنة بل سيتحقق في السنة التالية أي السنة السابعة للهجرة. وقُرِبَ مكةَ واجه صدّ المشركين له عن البيت الحرام في مكان يُدعى «الحُدَيْبِيَّة»، فأرسل عثمان للتفاوض مع أهل مكة ليسمحوا له بدخولها، فحال المشركون بين عثمان وبين عودته إلى النبيّ ولما طال غياب عثمان وأُشيع أنه قُتل، استعدّ رسول الله ﷺ وأصحابه للدفاع وقال ﷺ: لن أبرح المكان حتى أنهي هذا الأمر، وأخذ البيعة من المسلمين تحت الشجرة فبايعوه جميعاً على القتال والثبات، وأقسموا أن يدافعوا عن الإسلام حتى آخر قطرة من دمائهم فيما عُرف بـ «بيعة الرضوان» [سورة الفتح: ١٨] إلى أن عاد عثمان وانتهت تلك الأحداث بعقد الهدنة التي عُرفت بصلح الحُدَيْبِيَّة. فهذه القصة -المتفق عليها- تُبَيِّنُ أن النَّبِيَّ الْأَكْرَمَ ﷺ وعليّ (ع): أولاً: لم يكونا يعلمان أن الرؤية التي رآها رسول الله ﷺ لن تتحقّق في تلك السنة بل في السنة التي تليها. ثانياً: لم يكن النَّبِيَّ الْأَكْرَمَ ﷺ يعلم، قبل عودة عثمان السبب في تأخر غيابه والسبب في احتفاظ المشركين به^(١).

وعندما دنا الشهيد الجليل جناب «مسلم بن عقيل» الذي كان نائب حضرة سيد الشهداء (ع)

(١) من الضروري في هذا الموضوع مراجعة كتاب «راه نجات از شر غلاة» [أي طريق النجاة من شر الغلاة] للمرحوم الأستاذ قلمداران، ص ٩٧ إلى ١٨٦، والجزء الثاني منه المُسمّى بـ «زيارت و زيارتنامه» [زيارة المزارات وأدعية الزيارات]، ص ١٩٢ إلى ١٩٦.

وُمثِّله الخاص، من الشهادة قال: وصيَّتي أن تكتبوا للإمام الحسين (ع) أن لا يأتي إلى الكوفة لأنني قد كتبت له رسالةً من قبل قلت له فيها: إن أهل الكوفة معه ومُستعدّون لُنصرتِه فرأى الحسين أن الحُجَّةَ تَمَّت عليه وانطلق نحو الكوفة، في حين أنه قد تبيَّن لي الآن أن الواقع ليس كذلك ولم أجد الفرصة كي أخبره عن تغيُّر الأوضاع وعن ادِّعاء أهل الكوفة الكاذب^(١).

لاحظوا كيف أن نائب الإمام الحسين وابن عمِّه كان يعتقد أن الإمام لا اطلاع له على وضع الكوفة المُستجدِّ وحال أهلها، وأنه لا يسمع صوته. ولو كان يسمع صوت نائبه ومبعوثه لما كان هناك من ضرورة لكتابة رسالة له! فكيف تدَّعون أن الإمام بعد رحيله عن الدنيا مُطَّلَع على أحوال أهلها وأقوالهم؟! ولقد ذكرنا أموراً مهمة حول العلم بالغيب في الباب الثاني من الفصل الثالث من هذا الكتاب فَلْتَرَا جَعُ ثَمَّةً.



ومن الأقوال الأخرى المضللة التي كثيراً ما يستندون إليها على نحو خاطئ ويذكرونها غالباً في كتبهم أو يقولونها من على منابرهم، قولهم إنه قد ورد في كتب السيرة والحديث أنه بعد أن رمى النبي ﷺ جثامين قتلى المشركين يوم بدر في القلب (بئرٍ لم تُطَوَّ) خاطبهم ﷺ قائلاً: "قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟!". ويقولون لو لم يكن الأموات يسمعون أصوات الأحياء لما خاطب النبي ﷺ أولئك الأموات.

وللأسف فإنهم ينقلون الحدِّث السابق ناقصاً ومبتوراً دائماً ولم أر أحداً من الخرافيين حتى الآن ينقل تلك الحادثة بصورتها الكاملة. وسننقل هنا - إيقاظاً للقراء الكرام - ذلك الحدِّث بصورته الكاملة استناداً إلى كتب السيرة والحديث الموثوقة كي نبطل خداع تجار الخرافات وتضليلهم.

المعروف أن كتاب «السيرة النبوية» لابن هشام أوثق كُتُب السيرة وأشهرها. كَتَبَ ابن هشام في سيرته، وكتب ابن كثير أيضاً - وكتابه «السيرة النبوية» مشهور جداً كذلك - في فصل «غزوة

(١) أورد الشيخ عبَّاس القمِّي هذا الأمر أيضاً في كتابه «منتهى الآمال»، ج ١، ص ٣١٥.

"عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: لَمَّا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْقَتْلِ أَنْ يُظْرَحُوا فِي الْقَلْبِ، طُرِحُوا فِيهِ..... وَقَفَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْقَلْبِ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا. قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَكَلَّمُ قَوْمًا مَوْتَى؟ فَقَالَ لَهُمْ: لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ مَا وَعَدَهُمْ رَبُّهُمْ حَقًّا. قَالَتْ عَائِشَةُ: وَالنَّاسُ يَقُولُونَ: لَقَدْ سَمِعُوا مَا قُلْتَ لَهُمْ، وَإِنَّمَا قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ لَقَدْ عَلِمُوا^(١).

وجاء في «السيرة الحلبية»:

"عن عائشة أنها أنكرت قوله ﷺ: لقد سمعوا ما قلت، وقالت: إنما قال: لقد علموا أن الذي كنت أقول حق، وقالت: إنما أراد النبي ﷺ - أي بقوله في حق أهل القلب ما أنتم بأسمع منهم -: الآن ليعلمون أن الذي أقول لهم هو الحق^(٢). أي لا أنهم يسمعون ما أقول بحاسة سمعهم التي كانت موجودة في الدنيا، ثم قرأت - أي محتجة على ذلك - قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ [النمل: ٨٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]"^(٣)
وقد نقل ابن كثير في سيرته النبوية في فصل «غزوة بدر العظمى» والبخاري^(٤) ومسلم^(٥) والنسائي^(٦) وابن أبي الحديد الشارح الشهير لكتاب «نهج البلاغة» هذا الخبر.

- (١) السيرة النبوية، ابن هشام، تصحيح محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة محمد علي صبيح، ج ٢، ص ٢٦٦.
- (٢) رواية عائشة هذه متفق عليها رواها الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما ولفظها: "إِنَّهُمْ الْآنَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ مَا كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ حَقًّا". صحيح البخاري (٣٧٥٩)، وصحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، الحديثان (٩٣١ و ٩٣٢). (المترجم)
- (٣) السيرة الحلبية، المكتبة الإسلامية للنجاح رياض الشيخ، بيروت، ج ٢، ص ١٨٢.
- (٤) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب ٨، الحديث ٣٩٧٨ حتى ٣٩٨١.
- (٥) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب ٩، الحديث ٢٦.
- (٦) سنن النسائي، ج ٤، ص ١١٠ و ١١١.

قال ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة:

"فلما توافوا في القلب وقد كان رسول الله ﷺ يطوف عليهم وهم مصرعون، جعل أبو بكر يخبره بهم رجلاً رجلاً ورسول الله ﷺ يحمد الله ويشكره ويقول الحمد لله الذي أنجز لي ما وعدني، فقد وعدني إحدى الطائفتين. ثم وقف على أهل القلب فناداهم رجلاً رجلاً يا عتبة بن ربيعة! يا شيبة بن ربيعة! يا أمية بن خلف! يا أبا جهل بن هشام: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً. بنس القوم كنتم لنبئكم، كذبتموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس، فقالوا: يا رسول الله، أتنادي قوماً قد ماتوا؟! فقال: لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حقاً. وقال ابن إسحاق في كتاب المغازي أن عائشة كانت تروي هذا الخبر تقول: فالناس يقولون إن رسول الله ﷺ قال: لقد سمعوا ما قلت لهم وليس كذلك، إنما قال: لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حقاً" (١).

تلاحظون أن هذا الحديث يبين كل الأحاديث الأخرى ويوضحها، فينبغي أن نفهم سائر الأحاديث على ضوء هذا الحديث؛ إذ إنه لما نُقل إلينا هذا الحديث عبر الأفواه من شخص إلى آخر ومن حافظة إلى أخرى تعرض إلى بعض التبديل والتغيير، لذلك بينت عائشة حقيقة الحادثة كي تمنع الخطأ الذي قد يعتري الآخرين في نقلهم للخبر، وكانت عائشة تعيش في بيت النبي وكان أبوها أحد الشهود العيان للواقعة، لذا كانت أقدر على معرفة ما جرى كماً وكيفاً. وفي هذه الواقعة بالذات لم يكن بقية الرواة يتمتعون بما تمتعت به عائشة من معرفة دقيقة لوقائع الحادثة لأنها سمعت ذلك مباشرة من أبيها أو من زوجها النبي ﷺ أو من كليهما. أضف إلى ذلك أنها استدلت على صحة نقلها لما جرى بعموم آيتين من القرآن الكريم وهو أمر لا ينبغي الغفلة عنه.

وكتب ابن كثير في وقائع السنة الثانية للهجرة في فصل «غزوة بدر العظمى» أيضاً يقول:

"ذكر عند عائشة أن ابن عمر رفع إلى النبي ﷺ أن الميِّت يُعذَّب في قبره ببكاء أهله، فقالت: إنما قال رسول الله ﷺ: إنه ليُعذَّب بخطيئته وذنبه وإن أهله لَيَكُون عليه الآن. قالت:

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار المعرفة والكاتب العربي وإحياء التراث العربي، بيروت، ج ٣، ص

وذلك مثل قوله إن رسول الله ﷺ قام على القليب وفيه قتلى بدر من المشركين فقال لهم ما قال، قال إنهم لَيَسْمَعُونَ ما أقول، وإنما قال: إِنَّهُمْ الآن لَيَعْلَمُونَ إنما كنت أقول لهم حقاً. ثم قرأت: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ [النمل: ٨٠]، ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مِّنَ فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢].

بناءً على ما أوردناه من أقوال أرباب السير والحديث والتاريخ، تتضح تماماً حقيقة ما جرى، فالاستناد إلى الأحاديث المخالفة لما أوردناه ليس مقبولاً، أما الذين يُصِرُّون على التثبُّت بأحاديث غير موجَّهة، كتمسُّكهم بالحديث رقم (٣٩٧٦) في البخاري، فينبغي أن نعلم ما يلي: أولاً: هؤلاء يتجاهلون الأحاديث التي أتينا بها أعلاه، ويقرؤون كما يقول المثل: «لا إله» ولا يكملون الجملة فلا يقرؤون «إلا الله»!!

ثانياً: حتى لو فرضنا أن النبيَّ خاطب المقتولين، فمن الواضح - كما يقول علماء البلاغة أيضاً - أن الخطاب لا يستلزم بالضرورة إسماع المُخاطَب الكلام بل في كثير من الحالات يكون خطاب المتكلم من باب «لسان الحال» أو «حديث النفس»؛ كما نجد أن الله ذكر لنا أن كلاً من نبيِّ الله صالح ونبيِّ الله شعيب عليهما السلام بعد أن أهلك الله قومه بالرجفة: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ﴾ [الاعراف: ٧٩ و٩٣].

ولو كان المراد هنا إسماع المهالكين الميتين لما كان هناك من داعٍ إلى أن يبدأ الله الجملة بقوله: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ﴾. وعلى قول أخينا الفاضل جناب السيد مصطفى الطباطبائي - حفظه الله - حتى المُلحدون الماديُّون الذين لا يعتقدون ببقاء الروح يستفيدون في كلامهم من هذا الفن البلاغي ويُحاطبون به الأموات الراحلين. فعلى سبيل المثال يُحاطبون «لينين» في قبره قائلين: "يا لينين ليهنأ بالك فنحن على الدرب سنواصل كفاحك في سبيل تحكيم المحرومين في الأرض!!" ولا شك أنهم لا يعتقدون أن لينين يسمع صوتهم، ولا يُمكن حمل مثل هذه الجملة على اعتقادهم بأن لينين يسمع الأصوات بعد موته! (فتأمَّل).

وروى الترمذي وابن ماجه والدارمي عن النبيِّ الأكرم ﷺ أنه وقف على منطقة في مكة تُدعى «الحَزْوَرَةَ»، ونظر إلى مكة فقال "والله إنَّكَ خَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ الْأَرْضِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْ لَا

أَنَّ أَهْلَكَ أَخْرَجُونِي مِنْكَ مَا خَرَجْتُ". ومن البديهي أنه لا يُمكن الاستدلال بهذا الخطاب على أن النبي كان يعتبر مكة أو البيت الحرام سامعاً لكلامه بل كل مُنصف يفهم أن كلام النبي هذا هو من باب حديث النفس. كما روي أن عمر بن الخطاب خاطب الحجر الأسود قائلاً: "والله إني أعلم أنك حجرٌ لا تضرُّ ولا تنفعُ، ولولا أنني رأيت رسولَ الله ﷺ يُقبِّلك ما قبَّلتك". ومن الواضح أن هذا الكلام لا يعني أن عمر كان يعتقد أن الحجر الأسود كان يسمع كلامه. يا ترى هل كان الإمام السجاد الذي خاطب القمر (الصحيفة السجادية، الدعاء ٤٣) يعتقد أن القمر يسمع كلامه؟!

نحن المسلمون نقول في ختام صلاتنا -حتى عندما نُصلي فرادى-: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. ولا شك أن المسلمين لا يعلمون أنني الآن في زاوية غرفتي أنني صلاتي بهذا السلام وأدعو لهم بالرحمة والبركات. كما أننا وأنا وأنتم لا نعتقد أن المسلمين يسمعون صوتنا، ولهذا السبب لا نتوقع أن نتلقى ردّاً على سلامنا، بل هذا التسليم هو نوع من الكلام الذي يدخل تحت فنون الخطاب والبلاغة العربية ويُستفاد منه لهدف آخر، فالمقصود أن يشعر المسلم في جميع الأحوال أنه جزء من جماعة المسلمين فيذكرهم حتى لو كان وحده، ولا يغفل عن صلته وارتباطه بهم فيدعو لهم وكأنهم إلى جانبه. وهذا الموضوع ينطبق أيضاً على صيغ الجمع في قراءة سورة الحمد في صلواتنا الفردية. ودليلنا على أن خطاب كلاً من حضرة صالح و حضرة شعيب عليهما السلام لقومه إنما كان من باب «لسان الحال وحديث النفس»؛ إضافةً إلى وجود حرف العطف «الفاء» قبل فعل «تولّى» -والذي يدل على أن ذلك الخطاب صدر بعد هلاك قوم كل منهما- أن صالح وشعيب لو أرادا إسماع الموتى كلامهما لقالا مثل ما قال نوح وهود عليهما السلام لقومهما زمن حياتهما: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾ و ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٢ و ٦٨، وقارنوا ذلك بالآيتين ٧٩ و ٩٣ من سورة الأعراف] ولما كانت هناك ضرورة لتوجيه ذلك الخطاب لهم بعد موتهم وهلاكهم لأنه لم تعد لهم أي فائدة في ذلك، ولما كانت هناك من ضرورة لمُخاطبة شعيب (ع) الموتى بأن هلاككم لا يستدعي الأسف، وبناءً على ذلك فكان خطابه: ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٩٣] من باب «حديث النفس».

ثالثاً: في الغالب لا يذكر هؤلاء المُستدلّون قول قتادة الذي جاء في آخر الحديث الذي يستشهدون به، إذ قال: "أَحْيَاهُمُ اللَّهُ، حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ، تَوْبِيخاً وَتَصْغِيراً، وَنَقِيمَةً، وَحَسْرَةً، وَنَدَمًا". في حين أنه على حدّ قول علماء الحديث حتى لو قبلنا بذلك الحديث دون التفات إلى توضيح عائشة وتصحيحها له فإن أكثر ما يُفيده ذلك الحديث هو أنهم لما كانوا رؤوس الكفر وكانوا قد سعوا كثيراً في مُعادة النبي وإيدائه، فإن الله تعالى أوصل كلام النبي إليهم بعد مقتلهم، بشكل استثنائي، في ذلك الوقت الخاص والمُحدّد، كمعجزة خارقة للعادة، لأجل تبيخهم وزيادة عذابهم، لاسيما أنه في تلك المجموعة من الأحاديث استخدم النبي الأكرم ﷺ لفظ «الآن» الذي يدل على أنهم يسمعون الآن فقط -أي في هذا الزمن المُحدّد- لا أنهم يسمعون دائماً وبشكل عام.

ويدل ما جاء في هذه المجموعة من الأحاديث^(١) من كلام النبي الذي قال عن أولئك القتلى

(١) إن الأحاديث التي تدل على اطلاع الأموات على ما يجري في هذا العالم الفاني كلها -بناءً على التحقيق فيها - أحاديث معلولة أو ضعيفة السند أو لا تنفي بمقصود الخرافيين من حيث الدلالة. ومن جملتها الحديث الذي افترى على عائشة بأنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "مَا مِنْ رَجُلٍ يَزُورُ قَبْرَ أَخِيهِ وَيَجْلِسُ عِنْدَهُ إِلَّا اسْتَأْذَنَ بِهِ وَرَدَّ عَلَيْهِ حَتَّى يَقُومَ!!" لأن أحد رواته ويُدعى «يحيى بن البيان» شخص غير موثوق، وراويهِ الآخر «عبد الله بن سمعان» ضعيف عند علماء الرجال. ومن جملتها أيضاً حديث رواه الدارمي في سننه أدعي فيه أن عائشة قالت لمن شكى إليها القحط: "انظروا قبر النبي ﷺ فَاجْعَلُوا مِنْهُ كُوَّةً إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى لَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ سَقْفٌ"، أو الحديث المنقول في «سنن ابن ماجه» الذي يقول إن عمراً ذهب يوماً إلى مسجد النبي فرأى معاذ بن جبل واقفاً يبكي إلى جوار قبر النبي، أو الخبر الذي أورده السمهودي في كتابه «وفاء الوفاء»، (ص ١٣٧٤) ومفاده أن بلالاً جاء إلى قبر النبي وقال: يا رسول الله! أسأل لأمتك المطر الخ، ونظائر هذه الأخبار كلها كذبٌ صُراخٌ ومخالفةٌ لحقائق التاريخ، إذ يعلم جيداً كل المطلعين على التاريخ أن قبر النبي الأكرم ﷺ كان حتى سنوات عديدة في غرفة عائشة حيث كانت تعيش هي في المكان نفسه، ولم يُصبح هذا القبر حتى بعد مُدة طويلة من وفاة النبي مكاناً يتردد الناس إليه ويورونه (من الضروري في هذا الصدد مراجعة كتاب «زيارات و زيارتنامه» الصفحة ١٦ فما بعد). وطبقاً لتحقيق «ابن تيمية» لم يثبت أن أحداً من أصحاب النبي شدّ رحاله وسافر لأجل زيارة قبره ﷺ الذي كان في حجرة عائشة، بل كان إذا حضر أحدهم في المدينة صلّى في مسجد النبي فإذا دخل المسجد أو خرج منه صلّى على

المرميين في القليب (البئر): "ولكنهم لا يستطيعون جواباً" على أن هذا الموضوع كان أمراً خاصاً واستثنائياً، وإلا فلو كان أولئك القتلى المذكورون يسمعون رغم فقدانهم لحاسة السمع بعد موتهم لما كانوا بحاجة أيضاً إلى قوة التكلم كي يُجيبوا عن ذلك السؤال، ولو قلنا: إنهم فقدوا قوة التكلم بعد موتهم ولذا ما كانوا قادرين على الإجابة، قلنا: بناءً على هذا الأصل لما فقدوا قوة السمع لم يكونوا قادرين على السماع أيضاً.

وعلى فرض أن أولئك القتلى سمعوا كلام النبي ﷺ فيمكن القول: إن الله تعالى بقدرته اللامتناهية أسمع في تلك اللحظة الخاصة أولئك الأفراد الخاصين، وهم كانوا حسب الأصل غير قادرين على السمع بعد موتهم وكذلك سيقون على هذا الأصل من عدم القدرة على السماع بعد تلك اللحظة الخاصة التي أسمعهم الله فيها. ولا يُمكن تعميم هذه الواقعة إلى حالات أخرى فلا تقوى هذه الأحاديث على نقض عموم أصل انقطاع صلة الأموات بهذا العالم الفاني، فلا يُفيد هذا الحديث هدف تجار الخرافات! (فتأمل).

رابعاً: في هذه المجموعة من الأحاديث لم يردّ النبيّ على تعجّب بعض أصحابه وإنكارهم وسؤالهم: كيف تُكلم أمواتاً لا يسمعون؟ أو قولهم: ماذا تقول لأجساد لا روح فيها؟ وهذا يدل على أن عدم قدرة الأموات على السماع كان أمراً عاماً ومُسَلِّماً به لدى المسلمين وقد أيده سكوت النبيّ، ولو قبلنا الحديث على ظاهره فإنه يدل على حادثة فردية واستثنائية لا غير.

رسول الله ﷺ وسلّم عليه ولم يدخل إلى حجرته ولم يقف خارج الحجره خلف بابها. ولما جهّز عمر جيشاً من اليمن وأتى به إلى المدينة لئُرسله مدداً للمسلمين الذين كانوا مشغولين بفتح العراق والشام وعلى الرغم من أن خاتم النبيين ﷺ أثنى كثيراً على إيمان أهل اليمن، لم يُروَ أن أحداً منهم ممن كان يأتي ليُصلي في مسجد النبيّ كان يذهب إلى قبره أو يُكلمه، بل كانوا يُصلّون على النبيّ ويُسلّمون من مكائهم في المسجد. إلى أن قام عمر بن عبد العزيز سنة ٩١ للهجرة بإدخال بعض البيوت المجاورة للمسجد النبوي ضمن المسجد بقصد توسعته وتمّ ضمّ حجرات زوجات النبيّ إلى المسجد بما في ذلك حجرة عائشة التي كان قبر النبيّ ﷺ المطهر فيها، فهُدمت الحجرات وجُعِلت جزءاً من المسجد وجُدِّد بناؤه لهذه التوسعة. ومن ثمّ فإن مرقد النبيّ الأكرم ﷺ قبل ذلك التاريخ لم يكن في متناول أيدي الناس، وقد غفل عن هذا الموضوع الذين وضعوا تلك الأحاديث والأخبار التي ذكرناها.

خامساً: إن العلماء يدعون أنهم ملتزمون بقاعدة «عرض الأحاديث على القرآن الكريم»، لكنهم هنا لا يعرضون هذه المجموعة من الروايات التي يُعجبهم مضمونها على القرآن كما أنهم يتجاهلون استدلال عائشة بالقرآن في ردّها لتلك الروايات!! في حين أنه يُفهم من القرآن الكريم أن الأنبياء لا علم لهم بأوضاع الدنيا الفانية [سورة المائدة: ١١٧] فما بالك بغير الأنبياء!

الشبهة السابعة:

من الآيات التي كثيراً ما يستغلها الخرافيون ويُفسّرونها على نحو خاطئ قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المائدة: ٣٥]. فهذه الآية غالباً ما يُستدلُّ بها على صحّة «التوسّل» غير الشرعي^(١).

فعلى سبيل المثال كتب المؤلف الشاب المخدوع بخرافات أهل الحوزة والمتأثر بمغالطاتهم يقول:

"إن التوسّل معناه اتّخاذ الوسيلة للاقتراب من شيء، كما يقول علماء اللغة: تَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِوَسِيلَةٍ: إِذَا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِعَمَلٍ. وَتَوَسَّلَ إِلَى اللَّهِ بِعَمَلٍ أَوْ وَسِيلَةٍ = عَمَلٌ عَمَلًا تَقَرَّبَ بِهِ إِلَيْهِ تَعَالَى. وَتَأْتِي «الوسيلة» لغةً على أحد المعاني التالية:

- ١- الاقتراب.
- ٢- المقام والمنزلة عند سلطان ما.
- ٣- الدرجة.
- ٤- البحث عن حلٍّ للوصول إلى شيء بالميل والرغبة.
- ٥- كل شيء يمكن بواسطته أو بسببه الاقتراب من الآخر.

لا شك أن الإنسان يحتاج إلى غيره، أي يحتاج إلى شيء خارج حدود وجوده الخاص به، لنيل الكمالات التي يسعى إليها أياً كانت، سواءً كمالات المادية أم كمالات المعنوية.....، وكلنا

(١) استند صاحب كتاب «توسل يا استمداد از ارواح مقدسه» [التوسل أو الاستمداد من الأرواح المقدسة]، المُضِلُّ للعوام، إلى هذه الآية أيضاً. انظر (ص ١١٤ منه، الطبعة الأولى).

يعلم أن العطشان يرتوي بشرب الماء البارد والذي أصابه البرد يدفأ بالحرارة الصادرة من النار، وأن الدواء مؤثر في تحسن صحة المريض، وأن السم يهدد بالخطر حياة الإنسان السليم، وكذلك يغدو الجاهل عالماً بالتعلم من الأستاذ، ويصبح الذي لا يملك مالاً مالكاً بوسيلة إحسان رجل غني إليه، ويهطل المطر من الغيوم في الربيع، فينبت الزرع وأنواع النباتات بوسيلة هذا الماء، ويتغذى الحيوان من النبات ويكون بدوره سبباً ووسيلة لبقاء حياة الإنسان ودوامها وهكذا.... فبكل الأحوال: النظام الموجود في العالم والقانون الحاكم فيه هو نظام «التوسل» وقانون «التسبب»، أي أن نيل كل كمال والحصول على كل مطلوب بحكم المبدأ الساري في الطبيعة، رهين باتخاذ «الوسيلة» المناسبة وموقف على تحصيل السبب الخاص بالمطلوب.... وقد بين القرآن الحكيم لنا وسيلة «القرب من الله» الذي هو أعلى وأشرف كمال يُمكن للإنسان أن يصل إليه في مسيرة عبوديته لله فقال:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥]^(١).

وأقول: لقد ذكرنا سابقاً في الشبهة السادسة من فصل «تذكير مهم حول توحيد العبادة» (ص ٢٠٩ فما بعد) توضيحات كافية حول «الاستعانة» أو «التوسل» أو «التوسيط» الشركي وغير الشركي، أو «التوسل» و«الاستعانة» غير المقيّدة والمقيّدة. ونلفت نظر القراء الكرام إلى تلك الإيضاحات^(٢). وإضافة إلى المطالب المذكورة هناك: أولاً: نضيف هنا كلام أختينا الفاضل جناب السيد مصطفی الحسيني الطباطبائي -أيده الله تعالى- الذي قال:

" تَعْلَمُ آيَةُ ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الاسراء: ٣٦] المسلمين أصلاً مفاده أنه لم تثبت للمسلم مسألة ما فلا يجوز

(١) نقد وتحليلي پيرامون وهايبگري (نقد وتحليل حول الوهابية). همايون همتي، ص ١٩١ حتى ١٩٤.

(٢) كما يلزم أيضاً مراجعة الكتاب القيم «راه نجات از شر غلاة» [طريق النجاة من شر الغلاة] لأختينا الفاضل الأستاذ المرحوم حيدر علي قلمداران، ص ٥٦ إلى ٨٤.

له أن يقبلها ويتبعها دون دليل مُتقن عليها. (فتأمل جداً).

إن القوانين العلمية التي يُمكن مُشاهدتها أو أمور الطبيعة المحسوسة والملموسة التي تتكرر بذاتها دائماً ويُمكن تجربتها في المُختبر، والتي لا فرق لديها بين المؤمن وغير المؤمن، والأمر التي لا مخالف لها (أي المُتعلّقة بالإذن الإلهي العام والتي لا تنتج عن صلة خاصة بخالق العالم) من قبيل وجود الحرارة نتيجة الاحتكاك أو النار، وإزالة العطش بواسطة الماء أو تأكيد قانون الجاذبية ونظائره الذي يُمكن رؤية آثاره الخارجية في هذا العالم الفاني، كلها أمورٌ يمكن للبشر أن يفهموها ويتعاملوا معها، وحتى لو لم تكن هناك شريعة فإنه من الممكن للإنسان أن يفهم، استناداً إلى حاجته الجسمية وميله إلى الراحة، أن الماء يُزيل العطش والطعام يُزيل الجوع والسقف يقي من أذى أشعة الشمس المُحرقة. وقد آمننا نحن البشر -سواءً كنا من المؤمنين أم من غير المؤمنين- نتيجةً للتجارب الكثيرة وتكرارها أن الحرارة مثلاً تنشأ عن النار والبرودة تنشأ عن الجليد....

لكن المهم أننا نعتبر كل هذه الأمور محدودة ومُقيّدة، فمثلاً نحن لا نتوقع من الماء رفع الجوع، ولا من الخبز رفع العطش، ولا من البراد (الثلاجة) تسخين الغرفة وتسجيل الصوت وبثّه، ولا نتظر من الراديو تبريد الغرفة أو معالجة الأرق... الخ!! كما أننا لا نتظر من الميكانيكي المُصلّح للسيارات علاج المرضى ولا نتظر من الطبيب أن يُدافع عنا في المحكمة ويُنجح قضيتنا!! لهذا السبب أيضاً لم تكن هذه الأمور موضع اهتمام ولا هدفاً لإرسال الرسل وإنزال الكتب، ولم يُنزل الله كتاباً ليقول للناس أذفئوا أنفسكم بواسطة النار وعالجوا أنفسكم بواسطة الدواء وأشبعوا أنفسكم بواسطة الطعام وسيروا في البحر بواسطة السفن وتوسّلوا بالمعول والمجرفة (المسحاة) لحفر الأرض و.... الخ، بل أغلب موضوعات القرآن هي من المسائل التي لا تُعرف نتائجها وحقيقتها إلا في العالم الآخر، عالم البقاء والخلود.

لو اختلفتُ مع شخص حول أنه إمكانية السير في البحر بالسفينة أم لا؟ فيمكننا بالتجربة والاختبار أن نحلّ هذا الاختلاف ويُمكن الحصول على نتيجة التجربة في هذا العالم الفاني ذاته، أما لو اختلفنا مع شخص حول أنه: هل يجب زيارة حائط المبكى في القدس أم زيارة الكعبة في مكة؟ فلا يُمكننا في هذه الدنيا، أي في عالم الشهادة، أن نُشاهد نتيجة هذا الخلاف ونعرف أي

الأمرين هو الصحيح والمُجزي، ولذلك في مثل هذه الأمور لا يُمكن الاستناد إلا إلى إذن الخالق وإعلام مالك عالم البقاء وسلطانه لنا. وإذا كان الأمر كذلك فانطلاقاً من المبدأ القرآني الذي ذكرناه سابقاً^(١) نتذكّر أن القرآن قال لنا على لسان حضرة إبراهيم (ع): ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨١﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٠، ٨١]. وقال القرآن في المدينة مُؤبِخاً المشركين: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ تَصْوِيرٍ ﴿٧١﴾﴾ [الحج: ٧١].

بناءً على ذلك، بالنسبة إلى الأخذ أو الاعتقاد والعمل بالأمور المتعلّقة بعالم ما فوق عالم الشهادة وفوق العالم الفاني والتي لا تظهر آثارها إلا في عالم البقاء (= البرزخ والقيامة)، لا بُدَّ أن يكون لدينا إذن وإعلامٌ صريحٌ وأكيدٌ صادرٌ عن خالق جميع العوالم ومالكها، أي لا بُدَّ أن يُرشدنا إلى ذلك القرآن الكريم. وهذا أمر يتفق عليه جميع أتباع الأديان بشكل عام والمسلمين بشكل خاص.

بناءً على ذلك، في مثل هذه الأمور لا يُمكننا أن نقبل ما لم يثبت لدينا ونتبعه. فما الذي يُدريني مثلاً أين توجد روح الشخص الصالح العظيم الفلاني بعد أن ودّع هذه الدنيا الفانية وما هي إمكانياته وكيف يُمكنني أن أتواصل معه وأرتبط به أو أتوسّل به؟

بناءً على ذلك فإن ادّعاء الذين يدّعون -دون دليل قرآني يُثبت ادّعاءهم- بأن التوسّل والتبرّك بالأنبياء والأئمة عليهم السلام وبالأولياء ودعائهم ومناداتهم على نحو غير مُقيّد، مثله مثل التوسّل والاستفادة من القوى التي وضعها الله أمامنا -سواءً كنا مؤمنين أم كافرين- في عالم الشهادة وعالم الفناء (مثل قوة الدفع المركزي أو قوة الجاذبية أو قانون تمدد الأجسام بالحرارة أو الاستفادة من الدواء والطعام...) ادّعاءٌ ينطوي على إشكالين مُهمّين:

(١) يعني آية ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦] (المُترجم)

الإشكال الأول: قياس الغائب على الشاهد، وهو أمرٌ لا يُمكن للعقل السليم أن يقبله، وللأسف لقد أدى عدم الانتباه إلى ذلك المبدأ القرآني الذي ذكرناه^(١) إلى دخول الخرافات إلى الدين وإلى جعل أهل الدين عرضةً للخطر والهلاك في الدنيا، وحتى في الآخرة أيضاً، لأن أتباع الأديان أصبحوا يقبلون مسائل لا يُؤيِّدها العلم ولا التجربة ولا الكتاب السماوي، فانطبقت عليهم الآية الكريمة التي تقول: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَدِّدُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ ۗ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [لقمان: ٢٠، ٢١].

وفي الموضوع الذي نحن فيه، فإن آيات القرآن ليس فيها أي دلالة صريحة على مطلوبكم ومُدِّعاكم، وليس هذا فحسب بل ليس لها ظهور من الأساس في هذا الموضوع، بل هناك آيات عديدة في القرآن تُؤيِّد قولنا أكثر مما تُؤيِّد مُدِّعاكم، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ۗ﴾ [الجن: ١٨]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ﴾ [الاعراف: ١٩٤]^(٢)، وآيات عديدة أخرى. ومن جملتها آية تدل على أن الأنبياء بعد وفاتهم وانتقالهم عن هذه الدنيا لا تبقى لهم صلة بهذا العالم الفاني وأحواله ولا بأحوالنا وما يجري علينا. [سورة المائدة: ١١٧].

وأساساً لا تُشاهد في القرآن أي نصٌّ يدلُّ على أن أحداً من الأنبياء كان يتوسَّل بأرواح الأنبياء الذين سبقوه أو بالملائكة. كما لا نملك في هذه المسألة أحاديث قطعية متواترة تواتراً حقيقياً (لا متواترة ادِّعاءً) تتمتع بشروط الصحة والقبول بشكل كامل، بل الأحاديث والأخبار التي تُعارض قولكم ليست بالقليلة.

(١) يقصد المبدأ المستفاد من آية ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ

عَنْهُ مَسْئُولًا ۗ﴾ [الإسراء: ٣٦] (المُتَرَجِّمُ)

(٢) قصد الأستاذ الفاضل أنه لا يُمكن لأحد أن يدَّعي أن قصد القرآن الأصنام لأن الأصنام كانت مصنوعة من الأحجار والأخشاب والمعادن وهي ليست عباداً مثلنا. وراجعوا أيضاً ما ذكرناه في الكتاب الحالي في الصفحات ٩٦ إلى ١١٥.

الإشكال الثاني: أنه لا يُمكننا أن نقيس جميع الأمور بعضها على بعض ونعتبرها متشابهة، فلا يُمكننا أن نقول: إنه لما كان الحصول على كل شيء في عالم الطبيعة منوطاً باتخاذ الوسيلة اللازمة له وموقوف على تحصيل سببه، أو أنه لما وصل إلينا وحيُّ الله من خلال واسطة فيجوز لنا أيضاً قياساً على ذلك يجوز لنا أن نجعل كل ما أعجبنا أو كل ما قاله عظمائنا وأسلافنا واسطةً لنا في التقرب إلى الله ونجعله وسيلةً لنا، فهذا العمل قياس في العمل وهو مردود حتى في مذهب الشيعة (فتأمل جداً).

إن الله تعالى هو الذي اختار أن تكون واسطة إيصال الوحي إلى النبيِّ الأكرم ﷺ جبريل عليه السلام، والله تعالى هو الذي عيّن واختار أن تكون واسطة إيصال الأحكام إلى العباد هي النبيُّ ﷺ، وبعبارة أخرى لم يختار رسول الله ﷺ جبريل ولا اختار الناس النبيِّ. بناءً على ذلك لا يحق لنا عندما يقول لنا صاحب الشريعة: ﴿أَتَمَّا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَجِدْ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُواهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [فصلت: ٦] أن نخالف أمره وندعو أفراداً لا يُمكننا أن نصل إليهم ونعتبرهم «وسيلة» التقرب إليه تعالى، ونؤدّي إليهم الأعمال العبادية «مثل النذر والطواف وطلب الحاجات والدعاء غير المُقيد و.....»، ونقول: إنهم «الوسيلة» التي تُقربنا من الله.

نعم، يختار الإنسان الوسيلة المناسبة للحصول على كل أمر، أما مسألة التقرب من الله تعالى فلا يجوز قياسها من عند أنفسنا على سائر الأمور بل لا بُدَّ أن نتعلم وسائل أو وسائط التقرب من الله، من شريعته وتعاليمه. لاحظوا أننا لا نُنكر بأيّ وجه من الوجوه أصل وجود الوسائط أو ضرورة اتّخاذ الوسائط المناسبة في أمور العالم، بل نقول: لا يجوز أن نقيس أمور العالم المختلفة بعضها على بعض ونشملها جميعاً بحكم واحد دون دليل شرعي على ذلك، بل نقول: الوسائط أو الوسائط التي جعلها الله لنا للتقرب منه هي - بحكم الشرع - الدعاء والتضرع له تعالى والعبادات التي شرعها لنا وأعمال الخير التي يُمكن تحصيلها وصرّح الشرع بها. كما أننا يجب أن نفتدي بالنبيِّ والأئمة الذين هم أنفسهم كانوا مأمورين باتّخاذ الوسيلة التي تُقربهم من الله أي بطاعة أوامر الحق واجتناب نواهيه والذين أدّوا العبادات الشرعية على أفضل نحو، وأن نستفيد من تعاليم أولئك الأجلاء الكرام لأجل أن نتقرب من الله تعالى.

وإشكالنا عليكم هو في اتِّخَاذِكُمْ طرق وأساليب للعبادة تجاه أئمة الدين والأنبياء العظام وفي التصورات التي تعتقدونها بشأنهم دون دليل شرعي متقن عليها، كاعتقادكم بأنهم يملكون ولاية تكوينية وأنهم حاضرون في كل مكان ويعلمون الغيب وعندهم القدرة على فعل كل الأمور (بها في ذلك الأمور الخارجة عن قوانين الطبيعة) وأنه يُمكنكم باختياركم أن تختاروا من تشاؤون منهم سواء في زمان حياتهم أو بعد رحيلهم شفعاء لكم و.... فكثير من الناس يندرون لأئمة الدين العظام ويطوفون حول قبورهم ويطلبون حاجاتهم منهم دون قيد أو شرط في حين أن مثل هذه الأمور ونظائرها موقوفة على الله تعالى وحده". (انتهى كلام الأستاذ الطباطبائي).

ثانياً: ونحن أيضاً سنذكر تأييداً لما ذكره ذلك الكاتب الشاب بعض الأمور من كتب المصادر والمراجع: فقد جاء في كتاب «لسان العرب» ما نصّه: "[الْوَسِيلَةُ] تُطَلَّقُ عَلَى كُلِّ عَمَلٍ خَالِصٍ سَلِكٍ بِهِ طَرِيقَ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِأَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ وَأَنْوَاعِ التَّطَوُّعَاتِ".

وجاء في كتاب «مفردات القرآن» للراغب الأصفهاني: "حقيقة الوسيلة إلى الله تعالى مُرَاعَاةُ سَبِيلِهِ بِالْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ وَتَحَرِّيِ مَكَارِمِ الشَّرِيعَةِ وَهِيَ كَالْقُرْبَى".

وجاء في كتاب معتبر آخر هو «معجم ألفاظ القرآن الكريم»: "الوسيلة، الوصلة يُتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى الْبُعْثَةِ، وَالْوَسِيلَةُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ مَا يُوصِلُ إِلَى ثَوَابِهِ وَالزُّلْفَى لَدَيْهِ وَذَلِكَ بِفِعْلِ الطَّاعَاتِ وَتَرْكِ الْمَعَاصِي؛ وَسَلَّ إِلَى كَذَا: تَقَرَّبَ إِلَيْهِ وَرَغِبَ فِيهِ"^(١).

وجاء في كتاب «تاج العروس» نقلاً عن الجوهرى ما نصّه: "الوسيلة، ما يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى الْغَيْرِ". وجاء في معجم الجامع الكبير تأليف أحمد السياح أيضاً ما نصّه: "(وَسَلَّ) إِلَى اللَّهِ بِعَمَلٍ أَوْ وَسِيلَةٍ وَ (وَسَلَّ): تَوَسَّلَ إِلَى اللَّهِ".

فكما نلاحظ يُطَلَّقُ عَلَى كُلِّ مَا يَكُونُ سَبَباً لِلنَّجَاحِ فِي عَمَلٍ مَا أَوْ نَيْلِ شَخْصٍ مَا الْقَرَبِ مِنْ آخَرَ، كَالْقَرَبِ مِنْ مَلِكٍ مَثَلًا، أَوْ يَكُونُ سَبَباً لِلْوَصُولِ إِلَى هَدَفٍ مَا اسْمُ: «الْوَسِيلَةُ»، فَمَثَلًا نَقُولُ: إِنَّ وَسِيلَةَ قَرَبِي مِنَ الْمَلِكِ أَنْ أَقُومَ بِخِدْمَتِهِ أَوْ الْوَسِيلَةَ لِجَعْلِ الْمَعْلَمِ يُجَبِّئِي أَنْ أَدْرُسَ الدَّرْسَ جَيِّدًا،

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، (مصر)، انتشارات ناصر خسرو (طهران).

أي أنني بوسيلة قراءة دروسي أنال انتباه المعلّم ومحبّته لي، وذلك لأنه لا يُقال للكائن العاقل المدرك «وسيلة»، أما لو أردنا من كائن عاقل مُدرك، كإنسان مثلاً، أن يطلب لنا من مَلِكٍ عفواً أو رُقيّاً في الدرجة أو مقاماً فهذا العمل يُقال له «استشفاعاً»، كما نُطلق على الشخص الذي حقق طلبنا وشفّع لنا عند المَلِك لقب «الشفيع» لا «الوسيلة»؛ فنقول مثلاً: "فلانٌ استشفّع زيداً إلى عمرو". ولذلك لا يُثني أيُّ عاقل على السَلَم الذي هو «وسيلة» الصعود إلى مكان مرتفع، لكن الإنسان يشكر الشخص الذي أخذ بيده وسحبه نحو مكان مرتفع، أو لا يُثني شخص على دواء كان «وسيلة» لشفائه ولا يشكر الدواء، لكنه يشكر الطبيب الذي وصف له أعمالاً رياضية خاصة (= وسيلة) أو وصف له دواء مناسباً (= وسيلة). (فتأمّل جداً). حتى مؤلف كتاب (نقد وتحليلي پيرامون وهابيجري، ص ١٩٦) قال: إن المقصود من «الوسيلة» لاسيما في الآية ٣٥ من سورة المائدة، هو المعنى الخامس، أي «كل شيء يمكن بواسطته أو بسببه الاقتراب من الآخر».

لو انتبهنا إلى الأمور التي كتبها ذلك المؤلف الشاب لرأينا أن كل ما ذكره من معانٍ للوسيلة يتناسب مع الأشياء والأعمال لا مع الأشخاص (فتأمّل). في حين أنه لو كان ادّعاء الخرافيين صحيحاً لقال القرآن الكريم بدلاً من: ﴿أَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] «استشفعوا إليه!»^(١).

بناءً على ذلك لا يمكننا أن نقول -دون دليل- إن كلمة «الوسيلة» تشمل أيضاً الأشخاص الذين لا يمكننا الوصول إليهم.

أما القول بأن: "كلمة الوسيلة جاءت في الآية المباركة (سورة المائدة: ٣٥) مطلقة غير مُقيّدة بأي قيد، ومن ثمّ فمعناها واسع وشامل ومطلق"^(٢) فلا يفي أبداً بالمقصود ولا يُفيد إلا في خداع الناس وإضلالهم، لأنه من الواضح أن مُجرّد إطلاق كلمة «الوسيلة» في الآية أي تجرّدها من

(١) في هذا التعبير لا يدخل الأشخاص وحدهم بوضوح فحسب بل يدخل غير الأشخاص أيضاً -كما سنرى في أدعية الأئمة-. وما نريد قوله إن تعبير «استشفاع إلى الله» أعم من «ابتغاء الوسيلة» وأقرب إلى المعنى الذي يطلبه الخرافيون لكن القرآن الكريم لم يستخدم هذا التعبير (فتأمّل).

(٢) نقد وتحليلي پيرامون وهابيجري، (نقد وتحليل حول الوهابية)، ص ١٩٧.

القيود وكونها مُطلقة، لا يستوجب الخروج عن حدودها الخاصة بها ولا يُعطيها إمكانية شمول الأشخاص^(١)، ولا يستوجب إلغاء أثر حرف «إلى» أيضاً، أي أن كلمة «الوسيلة» ينبغي أن تتناسب مع الهدف وتنسجم معه وتكون من سنخه، بناءً على ذلك فإن حرف «إلى» يُحدّد ويُعيّن إطلاق «الوسيلة» وعمومها^(٢). أي أن «الوسيلة» يجب أن تكون متناسبة مع التقرب من الله لا أي وسيلة كانت؛ إذ إن كثيراً من الوسائل في هذا المسير مُبعدة عن الله لا مُقربة! في الواقع المقصود هنا هي الوسائل التي أذنت بها الشريعة وبيّنتها لنا.

في رأينا إن الآية ٣٥ من سورة المائدة تقول: يا أيها الذين آمنوا إذا أردتم الوصول إلى الفلاح والنجاح فعليكم اجتناب ما نهى الله عنه والتمسك بالتقوى كما عليكم أن تبحثوا عن وسيلة إلى الله (= منزلة أو عمل أو فعل يستوجب نيل رضا الله والقرب منه) ثم ذكرت الآية الجهاد في سبيل الله كنموذج للأمر التي تستوجب نيل المنزلة عند الله أو القرب منه سبحانه وتعالى والذي تكون نتيجته الفلاح والسعادة الأبدية. وبعبارة أخرى قالت الآية: عليكم لأجل نيل الفلاح والخلاص والسعادة الأبدية أن تتقوا الله وفي الوقت ذاته أن تعبدوا الله وتطيعوه بالطاعات التي تستوجب القرب منه وتُفضي إلى سعادتك الأبدية.

وأقول: إذا كنتم لا تزالون تُصرون رغم ذلك على موقفكم وتقولون:

(١) إلا إذا وُجدت قرينة في الكلام تدل على ذلك. وإلا فإن إطلاق «أ» أو إفادتها معنى مطلقاً: معناه أنها تشمل كل مدلول «أ» بشكل كامل وتام ودون نقص، وليس معناه أن مدلولها يشمل «ب» أيضاً؟! وكل عاقل يفهم هذا الأمر.

(٢) وبعبارة أخرى فإن هناك فرق بين عبارة «ابتغوا الوسيلة» وعبارة «ابتغوا إليه الوسيلة»، أي أن ما قاله الشاعر في البيت التالي كلام باطل:

در دل دوست به حيله رهی باید جُست طاعت از دست نیاید گنهی باید کرد!!

أي:

لا بُدَّ من البحث عن وسيلة إلى قلب المحبوب فإذا لم تحصل عليه بالطاعة فعليك بالمعصية

وأقول: في هذه الأيام الأخيرة من عمري لم يعد بإمكانني الاعتماد على ذاكرتي وربما لم أنقل بيت الشعر هذا بصورة صحيحة.

"إن الفلاح والنجاح هما نيل مقام القُرب، وبحُكم لزوم المُغايرة بين «المُقدّمة» و «النتيجة» لا بُدَّ أن تكون الوسيلة غير «القُرب»، أي أنه يجب أن تكون الوسيلة شيئاً يُمكن للإنسان أن ينال بواسطته وبسببه القُرب والمنزلة عند الله التي هي الفلاح والنجاح، كما أن الأمر «بالجهاد» جاء عقب الأمر بابتغاء الوسيلة، وهذا يظهر منه أن الجهاد هو مصداق هام جداً من مصاديق ابتغاء الوسيلة، ولما كان الجهاد ذاته ليس التحقق الخارجي والعيني للقُرب من الله بل سبباً ومُقدّمةً لذلك القُرب فكلمة «الوسيلة» في هذه الآية لن يكون معناها القُرب والدرجة والمنزلة والبحث عن وسيلة وحلّ (التي هي من المعاني اللغوية للوسيلة)، بل معناها الصحيح والمتناسب مع الآية الكريمة هو المعنى الخامس (أي كل ما يستوجب القُرب من الله ويكون سبباً في حصوله)"^(١).

قلنا: إن هذا الكلام أيضاً لا ينفَعكم لأنكم لا زلتم لم تأتوا بدليل صحيح ومُتقن على ما يلي:
أولاً: لم تأتوا بدليل على أنه يُمكن الاتّصال بالأشخاص الذين تركوا هذا العالم الفاني والارتباط بهم^(٢).

(١) نقد وتحليلي پيرامون وهابگري، (نقد وتحليل حول الوهابية)، ص ١٩٦.

(٢) سألتني بعض الأصدقاء حول «الاتّصال بالأرواح» [أي تحضير الأرواح] الذي يدّعيه بعض الناس، لذا أرى من اللازم أن أذكر هنا باختصار بعض الأمور حول هذا الأمر:
أولاً: إلى الحدّ الذي أعرفه، لم تثبت حتى الآن قضية «الاتّصال بالأرواح» من الناحية العلمية والتجريبية، والأهمّ من ذلك أن هذا الادّعاء لا ينسجم مع عبارة: «تَوَفَّى» التي استُخدمت في القرآن بشأن الروح، والتي تعني الأخذ الكامل، ولا ينسجم مع قوله تعالى: ﴿وَمِنَ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، ولا مع الآيات التي تدلّ على عدم معرفة الأرواح بما يجري في عالم الدنيا والعالم الفاني بعد الانتقال عنه إلى العالم الباقي، ومن المعلوم أن هناك بين العالم الفاني والعالم الباقي حائل وبرزخ يمنع عودة الروح من العالم الثاني إلى الأول أو اطلاعها على العالم الفاني والاتّصال به. (فتأمل)

ثانياً: إن أغلب الذين يدّعون «الارتباط بالأرواح» كذابون كما جرّبنا ذلك، وقد سمعت من أخي الفاضل جناب السيد «مصطفى الطباطبائي» - حفظه الله - أنه قال: لقد حضرت إحدى جلسات تحضير الأرواح وطلبت من مُحضّر الأرواح إحضار روح جدّي المرحوم آية الله «الميرزا أحمد الآشتياني». وبعد مُدّة قال مدير الجلسة: ها قد أحضرت روح جدّك. فسألته عدّة أسئلة علمية كنت أعلم أن جدّي المرحوم يعرف الإجابة

ثانياً: لم تأتوا بدليل واحد على أنه يُمكن جعلهم «وسيلةً للتقرب إلى الله»، فإن قلتم: إن قصدنا أنهم يُمكن أن يكونوا «شُفعاء» لنا، فعندئذ تكونوا قد انتقلتم إلى ميدان «الشفاعة» فنحن أيضاً ننقلكم ونُحيلكم إلى الكتاب القيم: «راه نجات از شرِّ غُلاة» (ص ٢٢٤ فما بعد).

والأهمُّ من ذلك أن كل ما ذكرناه أعلاه إنما هو من باب المباشرة مع الخصم وإلا فإن ادعاءكم لا دليل عليه من الأساس، وإن «الفلاح والنجاح» نتيجة للقرب من الله ومن لوازمه لا أن الفلاح والسعادة الأبدية هي «القرب» ذاته. في الواقع «القرب والتقرب» سبب للفلاح لا الفلاح ذاته.

لو لم يكن مثل هذا المؤلف الشاب مخدوعاً بأقوال العلماء الخرافيين، ولو كان له معرفة بالقرآن الكريم، لعلم أن الله تعالى قال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩]. لاحظوا أن الله بدلاً من أن يذكر سبب ذكر الله -الذي هو الصلاة^(١)- ذكر المُسَبَّب وأراد به السبب، وتعلمون أن «القرب» و«الرضوان» الإلهي سببان للفلاح والسعادة لا الفلاح والسعادة ذاتهما، كما نجد في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ... يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّا اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة: ٩٩] إذ نلاحظ أن القرآن ذكر «قُرْبَاتٍ» و«قُرْبَةٍ» وأراد بهما سببهما، بناءً على ذلك حتى لو كانت «القُرْبَةُ» -بناءً على ادعاءكم الذي لا دليل عليه ولا مُستند

عنها، لكنني سمعت إجابة لا معنى لها!!! فقد تبين لي أن مدير الجلسة أضر في الاحتمال الغالب جنيًا ادعى كذباً أنه روح جدِّي لكنه لم يكن مُطلعاً بشكل صحيح على أحوال جدِّي المرحوم!! فاعتبروا يا أولي الأبصار. ثالثاً: هل استطاع أحد أن يدعي حتى الآن أنه يستطيع إحضار روح حضرة إبراهيم أو حضرة موسى أو حضرة عيسى أو حضرة الرضا أو.....؟

رابعاً: لنفرض أنه ليس من المستحيل الأتصال بالأرواح والارتباط بها، لكن هذا العمل يحتاج إلى مُقدّمات ومعرفة علم خاص وطبيِّ مراحل ومراتب مختلفة، وفي النتيجة فإن هذه المسألة خارجة عن إطار بحثنا لأن الموضوع الذي نبحثه وناقشه مع الخرافيين هو ادعاؤهم أن مُجرّد نداء أرواح الأنبياء والأولياء والتوسُّل بهم يجعلهم يطلعون على ما نريده ويحصل الارتباط بينهم وبين الناس العاديين!! (فتأمل).

(١) لأن الله تعالى قال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿٥١﴾﴾ [طه: ١٤].

له- هي «الفلاح والخلاص والسعادة» ذاتها فلا مانع أن يقول الله «القرب» ويقصد سببه، كما أنه عندما قال: ﴿وَأَبْتِغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ [الفصص: ٧٧] إنما قصد طبعاً ابتغاء الفوز والنجاح في عالم الآخرة لا ابتغاء الآخرة بحد ذاتها التي سيحضر فيها الخاسرون الهالكون أيضاً. أو أنه عندما قال: ﴿ثُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩] أو استخدم تعبير: «أَبْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ» أو «أَبْتِغَاءَ وَجْهِ الرَّبِّ» [البقرة: ٢٧٢، الرعد: ٢٢، الليل: ٢٠] إنما قصد ابتغاء رضا الله. أو عندما استخدم تعبير: «ابتغاء رضوان الله ورضا الله» كقوله تعالى: ﴿تَرْتَهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح: ٢٩] أو قوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩]^(١) أو قوله: ﴿يَأْتِيئُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٧﴾ أَرْجِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً ﴿٨﴾ فَأَدْخِلِي فِي عِبْدِي ﴿٩﴾ وَأَدْخِلِي جَنَّتِي ﴿١٠﴾﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠] إنما قال ذلك لأن نتيجة الفوز العظيم والفضل من الله والرضوان الإلهي ولازمه: دخول الجنة والسعادة والنجاح الأبديين، كما أن رضا العباد الصالحين نتيجة لنيلهم الفلاح والنجاح، لا أن رضا الله ورضوانه والقرب منه هو الفلاح والنجاح ذاته. «فلا تتجاهل».

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الواقعة: ١٠، ١١]. ومن الواضح أن بقية أهل الجنة -الذي لهم درجات أدنى- هم أيضاً من المُفلحين والناجحين، لكن الله تعالى وصف «السابقين» الذين قال عنهم: ﴿ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأُولِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الواقعة: ١٣، ١٤] بصفة: «المُقَرَّبُونَ» وميزهم بها فعلم أن القرب ليس هو الفلاح ذاته [بل القرب سبب الفلاح، والفلاح نتيجة للقرب].

بناءً على ذلك فإن أصل «لزوم المغايرة بين المقدمة والنتيجة» في البحث الذي نحن فيه، أي في معنى الآية ٣٥ من سورة المائدة، لا يمنع أن تكون كلمة «الوسيلة» بمعنى التقرب والمنزلة، لأنه مما لا شبهة فيه أن الآية الكريمة قالت إنه لا بُدَّ من حصول أمرين لأجل السعادة الأبدية والفلاح والنجاح (١- وجود المُقتضي و٢- فقدان المانع):

(١) لاحظوا الآيات التالية: البقرة: ٢٠٧ و٢٥٦، النساء: ١١٤، المائدة: ٢، الحديد: ٢٧، الحشر: ٨، المتحنة: ١.

الأول: الالتزام بالتقوى واجتناب المناهي وهما أمران يستوجبان فقدان المانع من القرب من الله. الثاني: ابتغاء الوسيلة أي ابتغاء القربة أي التقرب من الله الذي هو سبب ومقتضى لنيل الفلاح والسعادة الأبديين. ولا خلاف أن علة «التقرب» وسببه هو: العمل بأوامر الشرع ووصاياه التي أحد بنودها الجهاد في سبيل الله، وكما رأينا في الأسطر السابقة، أطلق القرآن كلمة «القربات» و«القربة» وأراد بهما سبب التقرب، فمن ثم لا إشكال في أن يأمر القرآن بابتغاء الوسيلة (ابتغاء القربة)^(١) ويقصد بذلك سبب القربة وما يؤدي إليها، ثم يذكر أحد أسباب القرب وموجباته أي الجهاد في سبيل الله كنموذج على ذلك.

ثالثاً: لو كانت كلمة «الوسيلة» -بناءً على ادّعاءكم الذي لا دليل عليه- تشمل النبي والإمام أيضاً فلماذا اعترض رسول الله ﷺ على المشركين الذين كانوا يعتبرون الأصنام تماثيل مذكّرة بأرواح عظمائهم -كما بيّنا ذلك بالتفصيل فيما سبق (ص ٩٦ إلى ١٢٨)-، وكانوا يستمدّون منها ويُقدّمون لها القرابين وينذرون لها ويطوفون حولها ويطلبون منها حاجاتهم ويعتبرونها واسطةً وشفيعاً ومقرباً، أو على حدّ قولكم «وسيلة» للتقرب إلى الله، وحاربه على هذا العمل واعتبرهم مشركين؟! أليس السبب في ذلك أن الإسلام اعتبر تلك الأعمال «عبادة»؟ وأن عبادة غير الله محرّمة بإجماع المسلمين؟

أضف إلى ذلك، حتى لو اعتبرنا أن كلمة «الوسيلة» تشمل كائناً مُدرَكاً -بسبب وجود قرائن في الكلام تدل على ذلك- فإن ذلك لا يجلُّ مشكلة أهل الخرافات لأن حضرة السجاد قال في المناجاة الأولى من المناجاة الخمس عشرة مخاطباً ربه: "اسْتَشْفَعْتُ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ إِلَيْكَ وَتَوَسَّلْتُ بِحَنَانِكَ [بِحَنَانِكَ]^(٢) وَتَرَحُّمِكَ لَدَيْكَ فَاسْتَجِبْ دُعَائِي". وقال في المناجاة السابعة: "لَا وَسِيلَةَ لَنَا إِلَيْكَ إِلَّا أَنْتَ". وقال كذلك: "وَسَيْلَتِي إِلَيْكَ التَّوْحِيدُ وَذَرِيعَتِي أَنِّي لَمْ أُشْرِكْ بِكَ شَيْئاً"^(٣).

(١) راجعوا الصفحة ٢٠٦ من الكتاب الحالي وقول الراغب الأصفهاني.

(٢) جاء في بعض النسخ «بحنانك» أي برأفتك وعطفك، وهي أكثر مناسبة للكلمة التالية التي عطف عليها أي «ترحمك» وفي هذه الحالة أيضاً لا يكون في الدعاء ما يؤيد ادّعاء الخرافيين.

(٣) الصحيفة السجادية، دعاؤه في دفاع كيد الأعداء.

وقال أيضاً: "جَعَلْتُ بِكَ اسْتِعَاثِي وَبِدُعَائِكَ تَوَسُّلِي"^(١).

وقال رسول الله ﷺ: "إِلَهِي وَسِيلَتِي إِلَيْكَ الْإِيمَانُ بِكَ". وقال حضرة عَلِيٍّ (ع): "قَدْ جِئْتُ أَظْلُبُ عَفْوَكَ وَوَسِيلَتِي إِلَيْكَ كَرَمُكَ"^(٢). وقال: "فَقَدْ جَعَلْتُ الْإِقْرَارَ بِالذَّنْبِ إِلَيْكَ وَسِيلَتِي..... مُتَوَسِّلٌ بِكَرَمِكَ إِلَيْكَ"^(٣). وقال: "فَإِنِّي أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِتَوْحِيدِكَ وَتَهْلِيلِكَ وَتَمْجِيدِكَ وَتَكْبِيرِكَ وَتَعْظِيمِكَ"^(٤). وقال: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِذِكْرِكَ وَأَسْتَشْفَعُ بِكَ إِلَى نَفْسِكَ..... وَأَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِرَبِيبَتِكَ"^(٥). وقال عَلِيٌّ (ع) في تفسير معنى «حَيٍّ عَلَى الصَّلَاةِ»: "أَيُّ قَوْمُوا إِلَى مُنَاجَاةِ رَبِّكُمْ وَعَرْضِ حَاجَاتِكُمْ عَلَى رَبِّكُمْ وَتَوَسَّلُوا إِلَيْهِ بِكَلَامِهِ وَتَشْفَعُوا بِهِ..... وَارْفَعُوا إِلَيْهِ حَوَائِجَكُمْ"^(٦) (فتأمل جداً).

وقال حضرة سيد الشهداء الحسين بن عَلِيٍّ (ع): "هَا أَنَا أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِفَقْرِي إِلَيْكَ"^(٧). وصعد رسول الله ﷺ في الأيام الأخيرة من عمره المبارك على المنبر وجلس عليه وقال: "أَيُّهَا النَّاسُ لَا وَسِيلَةَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ يَجِدُ بِسَبَبِهَا خَيْرًا أَوْ يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ بِهَا شَرًّا إِلَّا الْعَمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ"^(٨). يَتَبَيَّنُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ الصَّرِيحِ لِلنَّبِيِّ الْأَكْرَمِ ﷺ أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ الْأَشْخَاصُ «وَسِيلَةً»، وَهَذَا السَّبَبُ قَالَ عَلِيٌّ (ع)، وَيَبْدُو أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ تَأْيِيدًا لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَفْسِيرًا لِلآيَةِ ٣٥ مِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ:

"إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ: الْإِيمَانُ بِهِ وَبِرُسُولِهِ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ

- (١) مفاتيح الجنان، دعاء أبو حمزة الثمالي، ص ١٨٥.
- (٢) الصحيفة العلوية، دعاؤه (ع) في الاستغفار في سحر كل ليلة عقب ركعتي الفجر.
- (٣) الصحيفة العلوية، دعاؤه (ع) في المناجاة في شهر شعبان، ومفاتيح الجنان، المناجاة الشعبانية، ص ١٥٤ و ١٥٥.
- (٤) الصحيفة العلوية، دعاؤه (ع) في الشدائد.
- (٥) مفاتيح الجنان، دعاء كميل، ص ٦٢ و ٦٥، والصحيفة العلوية، دعاؤه المعروف بدعاء كميل ودعاؤه في ليلة الجمعة.
- (٦) مستدرک الوسائل، الطبعة الحجرية، ج ١، ص ٢٥٧.
- (٧) مفاتيح الجنان، دعاء عرفة، ص ٢٧٤.
- (٨) مُنْتَهَى الْأَمَالِ، الشَّيْخُ عَبَّاسُ الْقُمِّيُّ، ج ١، ص ١٠٢.

فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الْإِسْلَامِ وَكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ وَإِقَامَةُ الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا الْمِلَّةُ وَإِيْتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ، وَحِجُّ الْبَيْتِ..... وَصَلَةُ الرَّحِمِ" (١).

فكما نلاحظ لم يتوسل عليّ وسائر الأئمة - حتى على سبيل تعليم الأمة وإرشاد المومنين - في أدعيته بالنبي الأكرم ﷺ ولا بسائر المقرّبين والأنبياء السابقين بمن فيهم حضرة خليل الرحمن وأبي الأنبياء إبراهيم (ع) أو حضرة إسماعيل (ع) بل توسل دائماً بالإيمان والإسلام وصفات الله وبالجهاد والأعمال الصالحة وعرف لنا هذه الأشياء بوصفها «الوسيلة»، حتى أنه قال: "لَيْسَ لِي وَسِيْلَةٌ إِلَيْكَ إِلَّا عَوَاطِفُ رَأْفَتِكَ" (٢)، أو قال: "فَإِنَّا بِكَ وَوَلَكَّ وَلَا وَسِيْلَةَ لَنَا إِلَيْكَ إِلَّا بِكَ" (٣)، أو قال: "فَمَا لِي وَسِيْلَةٌ أَوْفَى مِنْ قَصْدِي إِلَيْكَ" (٤).

رابعاً: منذ أواخر القرن الثاني الهجري فما بعد لم يعد النبي والأئمة بين أظهرنا، أي لم يعد بإمكاننا الوصول إليهم حتى نبتغيهم ونجدهم!! كما لم تعد أرواحهم الطيبة في عالمنا قابلةً لابتغائها والوصول إليها والحصول عليها! لأنها انتقلت إلى عالم آخر، فكيف يُمكن أن يأمرنا الله الكريم بابتغاء شيء لا يُمكن الحصول عليه والوصول إليه (فتأمّل).

خامساً: لو كانت «الوسيلة» في الآية موضع بحثنا هي بالضبط ما يدعيه الخرافيون، فإن تلك «الوسيلة» لم يكن من الممكن العمل بها أو تحصيلها حتى في زمن الحياة الدنيوية للنبي الأكرم ﷺ أو الأئمة الكرام إلا لمن كانوا يعيشون في المدينة أو الكوفة أو..... إذ كيف يُمكن للمؤمن المقيم في اليمن أو الشام أو خراسان أو.... أن يبتغي الأئمة ويسعى للحصول عليهم؟! اللهم إلا أن يشدّ رحال السفر ويسافر إلى مقرّ إقامة الأئمة، ومثل هذا الأمر لا يتيسّر بالطبع لكل الناس، وإلا فلم يكن من الممكن ابتغاء النبي أو الأئمة أو دعائهم من مكان بعيد لأن أئمة الدين كانوا يرفضون أساساً مثل هذه الأعمال. فقد جاء في كتاب «رجال الكشي» (ص ٣٥٣) أنه عندما كان الإمام

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١١٠.

(٢) بحار الأنوار، ج ٩٦، ص ١٤٩.

(٣) بحار الأنوار، ج ٩٦، ص ١٤٧.

(٤) بحار الأنوار، ج ١٠٠، ص ٢٩٥.

الصادق عليه السلام مُقيماً في المدينة سمع أن جماعةً من أهل الكوفة نادوه قائلين: «لبيك جعفر» تأثر جداً و"حَرَ سَاجِداً وَالزَّرَقَ جُوجُوهُ بِالْأَرْضِ وَبَكَى وَأَقْبَلَ يَلُودُ بِإِصْبَعِهِ وَيَقُولُ: بَلْ عَبْدٌ لِلَّهِ قِنٌّ دَاخِرٌ مِرَاراً كَثِيرَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ" (فما بالك إذا فعلنا تجاهه مثل هذا الأمر - أي نادينا من بعيد - بعد وفاته ورحيله عن الدنيا؟!)

سادساً: لم تقل الآية الكريمة «ادعوا الوسيلة» بل قالت «ابتغوا»، ومن البديهي أن الابتغاء غير الدعاء (فلا تتجاهل). وكما قلنا: لا يُمكننا أن نبتغي، ونحن في الدنيا الفانية، الأنبياء والأولياء الذين انتقلوا إلى عالم البقاء!

سابعاً: لو انتبهنا إلى الآية الكريمة ذاتها، على ضوء ما ذكرناه في البند الثاني، لتبيّن لنا أن الآية ابتدأت - كما هو ظاهر - بجملة: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا» [البقرة: ٢٨٢] التي هي خطاب لعامة المؤمنين، وهذا الخطاب يشمل النبي الأكرم عليه السلام ذاته الذي هو - طبقاً للقرآن [البقرة: ٢٨٥] - أحد المؤمنين وداخل في خطاب الآية، والأئمة بالطبع مشمولون أيضاً بخطاب الآية، فالجميع أنفسهم عليهم أن يبتغوا «الوسيلة» إلى الله، فلا يُمكن أن يكونوا هم أنفسهم «الوسيلة» إذ لا يُمكن أن يبتغوا أنفسهم! وهنا نسأل: هل «الوسيلة» التي يبتغيها النبي والأئمة إلى الله شيء سوى الإيمان والتقوى والعمل الصالح؟ هل «الوسيلة» التي يجب على كل من الإمام والأُسوة والمأمومين أن يبتغوها شيء سوى الجهاد في الله وفي سبيل الله؟ هل هناك في الدين فرق في الأحكام بين الإمام والمأموم حتى يجوز القول أنه في هذا المورد لا ينبغي أن يقتدي المأمومون بالإمام ولا أن يتبعوه ولا أن يتخذوا «الوسيلة» ذاتها إلى الله التي يتخذها الإمام؟!

يتبيّن من التأمل في الآية أن تلك الآية الكريمة، بعد أن أمرت بالتقوى أي العمل بأوامر الله واجتناب نواهيه، أمرت بابتغاء «الوسيلة» وذكرت نموذجاً على ابتغاء «الوسيلة» حين أمرت بالجهاد بقوله تعالى: «وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» وبهذا تكون الآية قد أوضحت مباشرة المقصود من «ابتغاء الوسيلة» وبيّنته، فلا حاجة أن نُلْفَق شرحاً من عند أنفسنا لمعنى «الوسيلة». ولعل هذا هو السبب في أن أكثر المدافعين عن الخرافات لا يذكرون هذه الآية حتى آخرها في خطبهم وكتبهم بل يقتطعونها غالباً ويحذفون آخرها!

علاوة على ذلك، فإن الآيات التالية: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ٥٦﴾ أَوْلَيْتِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ٥٧﴾ [الاسراء: ٥٦، ٥٧] أوضحت معنى «الوسيلة» في القرآن وبيّنت المراد منها، وكلمة «أقرب» في الآية الكريمة قرينة على أن المقصود من «الوسيلة» المنزلة والتقرب الذي يحصل بواسطة الالتزام بأوامر الشرع واجتناب نواهيه، والأكثر قرباً من الله هم الأكثر مُراعاة للتقوى والعبادة وطاعة الحق تعالى أي هم الذين يطلبون المنزلة والتقرب من الله لا شيئاً آخر. في الواقع إن الآية تقول بشكل ضمني: إن الذين تدعونهم هم أنفسهم يبحثون عن «الوسيلة» التي تُقربهم من الله، ولا شك أن علينا أن نرى ما هي «الوسيلة» التي يتخذونها فتتخذ «الوسيلة» ذاتها، أو نرى ما الذي اعتبروه سبباً لكسب المنزلة والتقرب من الله فنعتبره نحن أيضاً سبباً لعلو الدرجات وكسب المنزلة عند الله. (فتأمل).

ثامناً: في كثير من الحالات يتم في اللغة العربية عطف كلمة «المنزلة» على كلمة «الوسيلة» كمُرادف لها وكتأكيد لمعناها. ومن جملة ذلك الجملة التالية التي وردت في الزيارة التي رواها الشيخ عباس القمي في «مفاتيح الجنان» عن الإمام الحسين (ع) نقلاً عن كتاب «مصباح الزائر» للسيد ابن طاووس: "اللَّهُمَّ.... بَلِّغْهُ الْوَسِيلَةَ وَالْمَنْزِلَةَ الْجَلِيلَةَ"^(١)، أو أن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال عن رسول الله ﷺ بعد رحيله عن الدنيا: "اللَّهُمَّ..... أَكْرِمْ لَدَيْكَ نُزْلَهُ وَشَرَّفْ عِنْدَكَ مَنْزِلَهُ وَآتِهِ الْوَسِيلَةَ وَأَعْطِهِ السَّنَاءَ وَالْفَضِيلَةَ"^(٢).

وجاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: "اسألوا الله لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لا ينالها إلا عبدٌ واحدٌ أرجو أن أكون أنا هو". أو أننا نقول في الدعاء الذي ندعو به عندما نسمع الأذان: "آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ اللَّهُمَّ مَقَامًا مُحَمَّدًا"^(٣)، ونهاج هذه التعبيرات ليست بالقليلة.

(١) مفاتيح الجنان، ص ٤٢٠ و ص ٢٠٧ في أعمال أيام شهر رمضان.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٠٦.

(٣) إشارة إلى الآية ٧٩ من سورة الإسراء، حيث جاءت كلمة «الوسيلة» في الآية ٥٧ من السورة ذاتها.

الشبهة الثامنة:

من الآيات التي يستغلها الخرافيون بشكل متكرر الآيتان التاليتان:

أ) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النساء: ٦٤].

ب) ﴿قَالُوا يَا بَنِي آدَمَ اسْجُدُوا لِلَّهِ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْرَاهِيمَ إِذْ جَاءَهُ الْيَقِينُ ﴿١٢٦﴾﴾ [يوسف: ٩٦].

غالباً ما يقولون إن الله دعا الذين ارتكبوا خطيئة وإثمًا أن يطلبوا من رسول الله ﷺ أن يستغفر لهم الله، أو يقولون: إن إخوة يوسف (ع) طلبوا من يعقوب (ع) أن يستغفر لهم الله، ولم يَتَّهِمَهُمْ يعقوب بالشرك لهذا السبب. بناءً على ذلك فلماذا تعترضون علينا وتتهمونا بالشرك إذا طلبنا من حضرة عليٍّ (ع) أو حضرة الرضا (ع) أو من سيد الشهداء (ع) أن يتوسَّط لنا عند الله ويطلب المغفرة لنا منه؟!

وليعلم القارئ الكريم أن علماءنا سودوا صفحات كثيرة عند بحثهم حول هذه الآية ونظائرها، وأنهم أخذوا ساعات كثيرة من أوقات الناس ليثبتوا لهم بقاء الروح بعد فناء الجسم كي يُقنعوا الناس بشكل غير مباشر بأن مخالفيهم لا يعتقدون ببقاء الروح!! هذا في حين أن عملهم هذا ليس سوى مغالطة فاضحة ونوع من إثارة العوام لأجل حرف أذهانهم والافتراء على المؤخِّدين. سبحانك هذا بهتان عظيم.

أيُّ مؤمن من أيِّ دين -فضلاً عن المسلم- لا يعتقد ببقاء الروح؟! بناءً على ذلك فليس الخلاف حول بقاء الروح أو فنائها، بل الخلاف حول إمكانية الارتباط بالأرواح بعد مفارقتها الأجسام وانتقالها إلى عالم البرزخ. فنحن نقول إن هذا ليس مُيسراً لنا، خاصةً أن القرآن فرَّق بشكل واضح بين الحيِّ الذي لا تزال روحه متعلِّقةً بجسمه ومُرتبطةً به والميت الذي انقطعت صلة روحه بجسمه الدنيوي وانتقلت إلى عالم آخر يعني عالم البرزخ. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ... أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ [النحل: ٢٠، ٢١]، وقال أيضاً: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [فاطر: ٢٢]، وقال عن معبودات المشركين ومدعوِّيهم: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا

دُعَاءَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]. فهذه الآيات تدل على أن دعاء المشركين أصنامهم كان باعتبار أن معبوداتهم كانت في الواقع بعض الشخصيات العظيمة والصالحة من الأسلاف^(١) ولم تكن تماثيلهم وأصنامهم سوى تجسيد وتذكير بتلك الشخصيات العظيمة، ولم يكن المشركون - كما بينا ذلك بالتفصيل في الصفحات الماضية^(٢) - يُنادون مُجَرَّدَ أخشاب وأحجار ومعادن، كما أن القرآن الكريم يقول عن تلك المعبودات: أموات غير أحياء، فمن وجهة نظر القرآن هناك فرق أساسي كامل بين الموتى وأهل القبور، وبين الأحياء في هذه الدنيا، حتى لو كان الموتى وأهل القبور من الأنبياء والصالحين والأوصياء، إذ أنه رغم أن للأنبياء والأولياء بعد موتهم حياة أخروية وحياة برزخية، إلا أنهم لا يملكون حياةً دنيويةً، أي أنهم لم يعودوا أحياء في هذه الدنيا الفانية وقطعوا صلتهم بعالمنا الفاني ولم تعد لدينا إمكانية الصلة بهم والارتباط معهم^(٣).

أضف إلى ذلك أن دعاء أحدٍ سوى الله - أعم من كونه حياً أم ميتاً -، وكما مرَّ معنا أيضاً بشكل مفصل في الصفحات الماضية^(٤)، مرفوض من الإسلام. (فَتَأْمَلْ).

على ضوء هذا التذكير المهم أعلاه، نأتي الآن إلى تفنيد ادّعاء الخرافيين:

أولاً: مثلما قلنا في موضوع استسقاء عُمَر (ص ١٨٥ إلى ١٩٤) وذكرنا أن عُمَر دعا العباس من مسافة مُتعارف عليها، نُكْرِرُ هنا أيضاً الكلام ذاته ونقول: إن إخوة يوسف كلّموا أباهم في زمن حياته لا بعد وفاته، كما أنهم طرحوا رغبتهم من مسافة مُتعارف عليها لا من مسافة عدّة كيلومترات!! أي أنهم سألوه أن يستغفر لهم وهم على مسافة يُمكنهم فيها أن يُخاطبوه ويُسمعوه صوتهم، وأجابهم حضرة يعقوب (ع) إجابةً مُؤمّلةً فقال: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يوسف: ٩٧].

ثانياً: لقد علّمنا الإسلام أيضاً أنه إذا ارتكب مسلم خطيئةً فعليه أن يستغفر ربه، ويُعبّر عن

(١) والملائكة الذين كان المشركون يعتقدون أنهم بنات الله. (المُتَرَجِمُ)

(٢) راجعوا الكتاب الحاضر، ص ١٠٥-١٠٨.

(٣) راجعوا الكتاب الحاضر، ص ١٥٨-١٦١.

(٤) راجعوا الكتاب الحاضر، ص ١٦٦-١٦٩.

ذلك بـ «حق الله»، وإذا انتهك حق شخص أو آذى إنساناً فعليه، علاوةً على استغفار الله، أن يذهب إلى الفرد المذكور - إذا كان بإمكانه الوصول إليه - ويستسمحه ويطلب منه العفو، ويُعبر عن ذلك بـ «حق الناس». كما نلاحظ في الآية ٦٤ من سورة النساء أن الله بين كلاً الأمرين فقال بشأن «حق الله»: «فَأَسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ»، وقال بشأن «حق الناس»: «وَأَسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ».

وينبغي أن نعلم أن المنافقين بتفضيلهم الاحتكام إلى غير النبي على الاحتكام إلى النبي ﷺ وقبول قضائه اعتبروا عملياً وبشكل غير مباشر أن غير النبي أعدل وأكثر إنصافاً منه ﷺ، فكان في موقفهم هذا إهانة للنبي ﷺ وإيذاء له، لذا كان من الواجب عليهم أن يعتذروا ويطلبوا السماح منه ﷺ كي يُكفروا عن ذنبهم تجاهه، وأفضل حالة من الاعتذار هي أن نطلب من صاحب الحق لا أن يُسأحنا فقط بل أن يطلب بنفسه الغفران والعفو من الله على إيذائنا له؛ لأنه في هذه الصورة لا يُفهمنا صاحب الحق أنه أنعم علينا بأعلى مراتب العفو والمسامحة والرضا وإسقاط حقه عنا فحسب، بل يؤكد لنا أنه طلب لنا من الله أيضاً أن يعفو عنا ويغفر لنا (فتأمل)، كما أنه عندما يطلب صاحب الحق نفسه من الله أن يغفر لنا فلا شك أن الله الرؤوف الرحيم وغفار الذنوب سيستجيب دعاءه. وهذا العمل يُعطي للمُذنب الطالب للغفران والسماح مزيداً من الطمأنينة وراحة النفس.

وعلى هذا الأساس لما كان أبناء يعقوب قد رموا أعزَّ أبناء أبيهم في البئر وأحرقوا فؤاد أبيهم بحرمانه سنوات مديدة من فلذة كبده وسببوا عمى بصره واتهموه بأنه ضالٌّ ومُخطئ [سورة يوسف: ٩٥] كان عليهم أن يستغفروا الله لأنفسهم كما كان من الواجب عليهم أن يذهبوا إلى أبيهم يعقوب ويعتذروا منه ويستسمحوه ويرجوه أن يطلب من الله أن يغفر لهم، مثلما قال أخوهم الكبير قبل ذلك: «فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِئِ أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٥﴾» [يوسف: ٧٩] أي أن إذن أبي علامة على قبوله عذرنا، كما أنهم أقرُّوا أمام يوسف بخطئهم اعتذاراً منه فقبل يوسف عذرهم وأجابهم قائلاً: «قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْنَا يَوْمَ يُغْفَرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩١﴾» [يوسف: ٩١].

بناءً على ذلك فقد طلب أبناء يعقوب من أبيهم أن يستغفر لهم الله في حال حياته لا بعد وفاته

ومن مسافة مُتعارف عليها (فلا تتجاهل)، ومثل هذا الطلب والسؤال طلبٌ وسؤالٌ مُتعارف عليه ومُقيّد ولا علاقة له بموضوع بحثنا.

إذن فاستدلالكم بهاتين الآيتين لا يفيدكم شيئاً ولا يثبت مدعاكم، بل عليكم أن تأتوا بآية تذكر لنا أن أشخاصاً جاؤوا إلى مرقد نبيٍّ من الأنبياء وطلبوا منه أن يستغفر لهم الله أو طلبوا ذلك منه وهم على مسافة بعيدة غير مُتعارف عليها، أما استنادكم إلى هذه الآية في مسألة هي محلّ خلاف، فهو من باب قياس الغائب على الحاضر والميت على الحيّ أي هو قياس مع الفارق، وهو غير صحيح قطعاً.

إن موضوع بحثنا هو: هل يُمكن دعاء الرسول أو الإمام غير الحاضر بيننا وغير الحي بحياته الدنيوية بل الساكن في الجنة البرزخية التي أراحه الله فيها من هموم الدنيا وأحزانها، ونداؤه والطلب منه أم لا؟ ونحن - كما بيّنا فيما سبق - تبعاً للقرآن، نعتبر الموتى وأهل القبور لا يستوون مع الأحياء في هذه الدنيا!

ثالثاً: لقد قال القرآن: ﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ [النساء: ٦١] ، وقال: ﴿جَاءُوكَ﴾ [النساء: ٦٤]، ولم يقل: «تعالوا إلى قبر الرسول» كما لم يقل: «جاؤوا قبرك»، واليوم لا يذهب أهل الخرافات لعند رسول الله ﷺ بل يذهبون عند قبره. (فلا تتجاهل)، وأكثر ما تُفيده عبارات: ﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ... الرَّسُولِ﴾ [النساء: ٦١] و ﴿جَاءُوكَ﴾ [النساء: ٦٢]، أنه يُمكننا أن نطلب من النبيّ زمن حضوره بيننا وحياته الدنيوية أن يتوسط لنا ويدعوا الله لنا ولا علاقة لهذا الأمر بفعل ذلك بعد رحيله عن الدنيا. فالיום مثلاً يقول شعبنا وهم في مدينة «سرخس»^(١): "يَا رَسُولَ اللَّهِ! اشْفَعْ لَنَا عِنْدَ اللَّهِ!"، أو يقولون: "يَا نَبِيَّ اللَّهِ! إِنَّا تَوَسَّلْنَا بِكَ إِلَى اللَّهِ!"، أو يقولون: "يَا مُحَمَّدًا! اسْتَعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا!" و.... ونحو ذلك من الدعاء والنداء غير المُقيّد الذي هو محلّ خلاف بيننا وبين الخرافيين.

إضافةً إلى ذلك يجب أن نعلم أن الآية ٦٤ من سورة النساء تتعلق بأشخاص آذوا رسول الله ﷺ زمن حياته كالمنافقين الذين كانوا أول المخاطبين بتلك الآية ولا علاقة لذلك بسائر المسلمين الذين لم

(١) مدينة حدودية في أقصى الشمال الشرقي لإيران على الحدود مع أفغانستان. (المُترجم)

يكونوا مُعاصرين للنبي لأن الله لم يقل: أيُّها المسلمون إن ارتكبتم ذنباً فاذهبوا إلى قبر النبي واطلبوا منه أن يستغفر لكم الله! فلا يُمكن تعميم الآية إلى ما بعد رحيل رسول الله ﷺ. خاصةً أننا نعلم أن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام كان يُفرِّق بين حضور رسول الله ﷺ وغيابه^(١) (نهج البلاغة، الحكمة رقم ٨٨).

ولكن قبل الانتهاء من هذا الموضوع من اللازم أن نُشير إلى حديث غالباً ما نجد مُروّجي الخرافات يستندون إليه في كتبهم، وهو حديث أورده السمهودي^(٢) في الجزء الثاني من كتابه «وفاء الوفا» وادّعى فيه أن الإمام مالك، الذي كان إمام المدينة المنورة زمن أبي جعفر المنصور الدوانيقي، قال لهذا الخليفة العباسي الذي كان في مسجد رسول الله ﷺ:

"يا أمير المؤمنين! لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَدَبَ قَوْمًا فَقَالَ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢]. وقال له أيضاً: "لِمَ تَصْرِفُ وَجْهَكَ عَنْهُ وَهُوَ وَسِيلَتُكَ وَوَسِيلَةُ أَبِيكَ آدَمَ (ع)؟.... الخ". ثم استدَلَّ على قوله بالآية ٦٤ من سورة النساء!!^(٣)

لقد أوضحنا في الصفحات الماضية ما يكفي بشأن الآية ٦٤ من سورة النساء والقارئ ذاته يعلم أن هذا ليس له علاقة ببحثنا ويُمكنه أن يفهم أنه من المُحال تقريباً أن يستند شخص كالإمام مالك إلى هذه الآية في الموضوع الذي نبحت فيه. أما بالنسبة إلى الآية الثانية من سورة الحجرات أيضاً فإن تأملاً بسيطاً في الآية يُبيِّن أن الاستدلال بها في زمن أبي جعفر المنصور الدوانيقي خطأ وبالطبع لا يفعل مالك مثل هذا الأمر. فالقرآن الكريم يقول: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ

(١) راجعوا الكتاب الحاضر، ص ١٨٧-١٩٠، وراجعوا أيضاً كتاب «زيارت وزيارتنامه» ص ٢٣٩ و ٢٤٠.

(٢) السمهودي: أبو الحسن نور الدين علي بن عبد الله بن أحمد الحسيني الشافعي (٨٤٤ - ٩١١ هـ = ١٤٤٠ - ١٥٠٦ م): مؤرخ المدينة المنورة ومفتيها. ولد في سمهود (بصعيد مصر) ونشأ في القاهرة. واستوطن المدينة سنة ٨٧٣ هـ، وتوفي بها. من كتبه: "وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى" طبع في مجلدين، و"خلاصه الوفا" اختصر به الأول، وطبع أيضاً، وله غيرهما من الكتب في الفقه والحديث. (المُترجم)

(٣) أي قوله تعالى: ﴿... وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ [النساء: ٦٤]. (المُترجم)

﴿عَامِنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢]، وبناءً على ذلك فالآية تتعلق بزمن الحياة الدنيوية لرسول الله ﷺ حيث كان من الممكن أن يوصل صوته للناس وأن يسمع صوت من يُناديه، فأمر الناس أن يكون صوتهم أخفض من صوته ﷺ ولا يرفعوا صوتهم فوق صوته. وكل عاقل يفهم أنه بعد رحيل النبي ﷺ عن الدنيا لم يعد أحد يسمه صوته فلا مجال لأن يأتي «مالك» بعد قرن من رحيل النبي ﷺ ليقول للخليفة العباسي: لا يجوز أن ترفع صوتك أمام مرقد النبي ﷺ. وكما يقول أخونا الفاضل السيد «مصطفى الطباطبائي»: يلزم عن هذا القول أن نعتبر أن جميع الوُعَاظ والمُدْرِّسين الذين يعظون أو يُدْرِّسون في مسجد النبي ﷺ ويتكلمون بصوت مُرتفع لسمعهم الحاضرون مُهينين للنبي الأكرم ﷺ ومنتهكين لحرمة!! ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨].

ولكن النقطة المهمة الأخرى التي نعتقد أنه من الضروري أن يطَّلَع عليها القارئ المحترم هي أنه إذا كان العوام لا يعلمون فإن المشايخ الذين يستندون في الغالب إلى هذا الحديث يعلمون قطعاً أن راويه أي «محمد بن حميد الرازي» لم يُدرِك مالك زمن أبي جعفر المنصور حتى يروي عنه هذا الحديث بشكل مباشر، وحتى لو فرضنا أنه أدركه فليس لحديثه أيضاً أي اعتبار لأن علماء الرجال كالنسائي وابن شيبه وأبو زرعة ضعّفوه واعتبروه غير ثقة!! فينبغي أن نسأل: لماذا يستند علماءنا إلى مثل هذا الحديث؟! (فتأمل).

في أيام الشيخوخة والوهن وضعف البصر هذه التي أعيشها الآن لا أملك القدرة على تفصيل هذا الموضوع أكثر من ذلك وأخشى أن لا أتمكن من إكمال تنقيح وإصلاح وتهذيب كتابي هذا، لذا أكتفي بهذا القدر [حول موضوع توحيد العبادة وتفنيدها الشبهات المثارة حوله]، كي يستيقظ القراء الكرام ويُحقّقوا ويتأملوا فيما يُعرض عليهم باسم الإسلام ولا يقبلوا أيّ كلام دون تفكير وتدبّر في القرآن الكريم، حتى لو كان قائله شيخاً مُعَمَّماً، ولا يَسْئُوا قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الانفال: ٢٢].^(١)

(١) إلى هنا انتهى كلام المؤلف حول توحيد العبادة وتفنيدها الشبهات المثارة حول توحيد العبادة الذي بدأه ص ١٠٧. وهو بحثٌ جامعٌ قيمٌ يصلح أن يكون كتاباً قائماً بذاته. (المترجم)

الفصل السابع [من مفاتيح الجنان]

ذكر الشيخ عَبَّاسُ الْقُمِّيُّ في هذا الفصل نقلاً عن السيّد عليخان الشيرازي^(١) في كتابه «الكلم الطيب»: "أن اسم الله الأعظم هو ما يفتح بكلمة «الله» ويختتم بكلمة «هو»، وليس في حروفه حرف منقوط.... الخ"، إلى أن قال: "إن الاسم الأعظم جاء في القرآن المجيد في خمس آيات من خمس سُور".

هنا ينبغي أن نسأل: ما هو دليل السيد عليخان ومُستنده على هذا الكلام؟ لقد لَفَّق هو والشيخ المغربي كلاماً حول آيات القرآن دون مُستند شرعيّ. نحن نؤمن بآيات القرآن الكريم ولكننا لا نعتبر ما ذكره حُجَّةً لأنه كلام ليس عليه دليل ولا نقبل كلاماً لا دليل عليه ولا مستند له.

دعاء التوسّل

هو دعاءٌ لا أصل له من أوله إلى آخره ولا صلة له إطلاقاً بأئمة الدين. ورغم ذلك يقول الشيخ عَبَّاسُ الْقُمِّيُّ:

"قال العلامة المجلسي (رحمه الله) عن بعض الكتب المعترية (!؟): روى محمّد بن بابويه هذا التوسّل عن الأئمة (عليهم السلام)!".

(١) هو السيد علي خان المُلقَّب صدر الدين ابن الأمير نظام الدين الحسيني الدشتكي الشيرازي المدني، من علماء الإمامية البارزين في عصره، ولد بالمدينة المنورة سنة ١٠٥٢هـ، ثم جاور بمكة ثم رحل إلى حيدرآباد من بلاد الهند وأقام بها مدّةً طويلةً وكان من أعيان أمرائها معظماً عند ملوكها ثم لما غلب "أورنك زيب ملك الهند" على تلك البلاد سار إلى الملك المذكور وصار من أعظم أمراء دولته، ثم توجه إلى حج بيت الله الحرام ثم جاء إلى بلاد إيران وتوفي في شيراز سنة ١١٢٠هـ. ترك عدداً من المؤلفات أشهرها شرح الصحيفة السجادية الذي أسماه «رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين»، وكتاب «الدرجات الرفيعة في طبقات الإمامية من الشيعة»، وكتاب «الحدائق الندية في شرح الصمدية في النحو للبهائي»، وكتاب «الكلم الطيب والغيث الصيّب في الأدعية المأثورة عن النبي وأهل البيت»، وغيرها من الكتب. (المترجم بالاستفادة من كتاب «أعيان الشيعة» للسيد محسن الأمين العاملي، ج ٨، ص ١٥٢-١٥٣).

ولكنه لم يذكر لنا اسم الكتاب الذي روى فيه ابن بابويه هذا الدعاء، ولا اسم راوي هذا الدعاء ولا اسم الإمام الذي روي عنه!! علماً أن هذا الدعاء لم يرد في أي من كتب الشيعة المشهورة المختصة لذكر الأدعية مثل «الصحيفة السجادية» وشرحها الموسوم بـ «رياض السالكين»، وكتاب «عُدَّة الداعي» لابن فهد الحلبي، وكتاب «مفتاح الفلاح» للشيخ البهائي.

نعم، إن دعاء التوسُّل من موضوعات صنَّاع المذاهب الذين لا يتورَّعون عن وضع الأدعية، وكما أشار صاحب «مفاتيح الجنان» فإن دعاء التوسُّل بالأئمة الاثني عشر المنسوب إلى الخواجة نصير الدين هو تركيب من هذا التوسُّل ومن الصلاة على الحُجج الطَّاهرين في خطبة بليغة أوردها الكفعمي في أواخر كتاب المصباح، كما أورد الكفعمي في كتابه «البلد الأمين» تلخيصاً لدعاء التوسُّل في المفاتيح وجعله في آخر دعاء «الفرج» في كتابه.

وأقول: لا يخفى أن «الخواجة نصير الدين» كان عالماً مُتَلَوِّناً ينطبق عليه المثل «يدور مع النعماء حيث تدور!!» فكان مُدَّةً في خدمة الإسماعيلية السَّبْعية (أي القائلين بسبعة أئمة)! وعلى كل حال لا يملك الخواجة وأمثاله الحق في التشريع ولم يجعل الله تعالى قوله حُجَّةً للمسلمين.

كما أن متن هذا الدعاء معلول ومعيب لأنه لم يثبت أن أي أحد من الأئمة توسَّل بالأئمة الآخرين في دعائه! فمثلاً لم يقل الإمام الحسين (ع) أبداً في دعائه: "يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَا حُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ، أَيُّهَا الشَّهِيدُ، يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، يَا حُجَّةَ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، يَا سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا إِنَّا تَوَجَّهْنَا وَاسْتَشْفَعْنَا وَتَوَسَّلْنَا بِكَ إِلَى اللَّهِ وَقَدَّمْنَاكَ بَيْنَ يَدَيْ حَاجَاتِنَا يَا وَجِيهًا عِنْدَ اللَّهِ اشْفَعْ لَنَا عِنْدَ اللَّهِ!!!"

أي لم يدعُ ذاته ولم يجعل نفسه شفيعاً لنفسه، أو لم يدعُ حفيدَ حفيده الذي لم يولد جدّه بعد، ليجعله شفيعه عند الله!! إن وضع مثل هذه الأدعية عمل مضحك يدل على قلة عقل واضعها.

ويقول الشيخ عبَّاس القمِّي: "وعلى رواية أخرى قُلْ بعد ذلك: ".....تَوَسَّلْتُ بِكُمْ إِلَى اللَّهِ..... وَاسْتَنْقِدُونِي مِنْ دُنُوبِي عِنْدَ اللَّهِ..... الخ!!"

ونسأل الشيخ عبَّاس القمِّي: ألم تقرأ القرآن الذي خاطب الله تعالى فيه رسوله الكريم بأسلوب الاستفهام الإنكاري فقال: ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِدُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر: ١٩]؟! أو الذي قال: ﴿وَمَنْ

يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهَ؟ [ال عمران: ١٣٥] أو الآية ٢٣ من سورة يس^(١) والآيات التي قالت إن غفران الذنوب والنجاة من عقابها أو العذاب عليها بيد الله وحده؟! فإذا كان رسول الله ﷺ لا يستطيع أن يُنقذ عبداً من عباد الله من عذاب الله فكيف يستطيع الأئمة فعل ذلك؟!

وقد قال الله تعالى عن المؤمنين أنهم: ﴿...إِذَا فَعَلُوا فَحِيشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [ال عمران: ١٣٥]، وقال إنهم يُكفِّرون عن سيئاتهم بقيامهم بالأعمال الصالحة والحسنات [سورة هود: ١١٤]^(٢)، ولم يقل إن سبيل غفران الذنوب هو توسط الأنبياء والصالحين الذين رحلوا عن الدنيا!

وقال عليّ (ع): "أَسْتَغْفِرُكَ لِذُنُوبِي الَّتِي لَا يَغْفِرُهَا غَيْرُكَ"^(٣)، وقال حضرة السجاد (ع) أيضاً: "لَيْسَ لِحَاجَتِي مَطْلَبٌ سِوَاكَ، وَلَا لِذَنْبِي غَافِرٌ غَيْرُكَ"^(٤).

ثم إن دعاء «التوسُّل» هذا اعتبر شخص رسول الله ﷺ وأشخاص الأئمة هم «الوسيلة» وهو قول بينا بطلانه بالتفصيل في الصفحات الماضية^(٥) فلا نكرّر الكلام بشأنه هنا.

للأسف لقد ابتلي الناس بالشرك وأصبحوا يدعون غير الله في أديعتهم وتعودوا بشدة على هذا العمل، ومهما أتيتهم من دليل فإنهم لا يتركون ما اعتادوا عليه، وأصبح حالهم مشابهاً لحال من قال لهم القرآن مُهدداً: ﴿إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَمَّنُوا فَاَلْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢]^(٦).

(١) أي قوله تعالى: ﴿عَاتِجٌ مِّنْ دُونِهِ ۗ ءَالِهَةٌ إِن يُّرَدْنَ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِدُون﴾ [٣٣] [يس: ٢٣]. (المترجم)

(٢) أي قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفُلًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]. (المترجم)

(٣) الصحيفة العلوية، من دعائه (ع) في الاستخارة بالله، ص ٢٣٨.

(٤) الصحيفة السجادية، الدعاء الثاني عشر.

(٥) راجعوا الكتاب الحاضر، ص ٢٠٠ إلى ٢٢٢.

(٦) راجعوا الكتاب الحاضر، ص ١١٨ البند «ز».

يجب أن تكون العبادة، ومن جملتها الدعاء، مطابقةً لأمر الله، فأين قال تعالى: ادعوا عبادي المُقَرَّبِينَ؟ إن الله تعالى حاضر وناظر في كل مكان وعليم بذات الصدور وخبيرٌ تماماً بما في ضمير عباده ومثل هذا الإله لا يحتاج بالطبع إلى واسطة. متى قال رسول الله ﷺ: أيها المسلمون! كلما وقعتُم في مشكلة فادعوني أو ادعوا أحداً من أحفادي واجعلونا واسطتكم في قضاء حوائجكم؟! ونسأل قارئ دعاء «التوسُّل»: ألم تقرأ القرآن الذي قال إن الشفاعةَ لِلَّهِ جميعاً وليست بيد أي أحد سوى الله وأن الإذن بها بيد الله وحده؟ ألا تعلم أن الأنبياء والأئمة لا يعملون عملاً مخالفاً لأوامر الله؟! فإن كنتَ حقيقةً تُريد شفاعتهم لك فعليك أولاً أن تطلب ذلك من الله وعندئذٍ فالله تعالى هو الذي يجعل من يشاء شفيعاً لك إذا رأى الصلاح في ذلك ولا يحق لك أن تختار من عند نفسك أحد أئمة الدين الكرام الذين رحلوا عن الدنيا وتجعله شفيعك؟!^(١) هل الرسول الأكرم ﷺ أو الإمام الذي تطلب منه أن يشفع لك يعلم كل ذنوبك ويعلم حقيقة حالك وما يدور في ذهنك ويعلم حقيقة سريرتك وأفكارك؟ إن النبي الأكرم ﷺ لم يكن في حال حياته مُطَّلِعاً على أعمال مُعاصريه الخفية^(٢)، كما أن القرآن الكريم قال لنا أنه ليس لأحدٍ علم بأحوال العباد ولا أحدٌ خبير بذنوبهم سوى الله: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الاسراء: ١٧ و فرقان ٥٨] فكيف تتوقع أن يقوم الإمام الذي لا يعلم أيُّ ذنوبٍ قد ارتكبت بالشفاعة لك لمجرد أنك تملَّقتَه وزُرَّته وأثَّبتَ عليه؟!!

ثم نقل الشيخ عبَّاس القمِّي دعاء توسُّلٍ آخر عن كتاب «قبس المصباح» وحذف مُقدِّمته التي يطفح الكذب من جميع نواحيها، ويُمكن أن نقرأ أصل هذا الدعاء وما فيه من أكاذيب في بحار الأنوار (ج ٩١، ص ٣٢ إلى ٣٦). وراوي هذا الدعاء هو «الحسن بن محمد بن جمهور العمي». وللاطلاع على حاله يُراجع كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول» (ص ٣١٦). وأورد الشيخ عبَّاس القمِّي في الصفحة ١٠٨^(٣) دعاءً عن كتاب «البلد الأمين» [للكفعمي]

(١) راجعوا كتاب «زيارات و زيارتنامه»، حاشية الصفحة ٢٣١ فما بعد، وتفسير «تابشی از قرآن» ذيل الآية ٢٥٤ من سورة البقرة.

(٢) راجعوا كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، ص ١٣٠-١٣١ و ص ١٣٤-١٣٥.

(٣) وهو في النسخة المعربة للمفاتيح، في ص ١٧٣.

وهو بلا سند في الكتاب المذكور. ولا إشكال في متنه لذلك يدخل تحت إذن الله العام بالدعاء.

حرز الإمام زين العابدين (عليه السلام)

روى أحد العلماء الخرافيين حرزاً عن حضرة السجاد (ع) هو كذبٌ يقيناً والإمام زين العابدين بريءٌ من هذا الكذب. فقد كَرَّرَ الإمام السجاد مراراً في الصحيفة السجادية قوله: اللهم لا حرز لي ولا ملجأ إلا ذاتك المقدسة، فقال مثلاً: "لَا يُجِيرُ، يَا إِلَهِي، إِلَّا رَبُّ عَلَيَّ مَرْبُوبٍ..... إِلَيْكَ الْمَقَرُّ وَالْمَهْرَبُ"^(١).

وقال كذلك: "وَأَجْعَلْنِي..... مِنَ الْمُصْلِحِينَ سُؤَالِي إِيَّاكَ،..... الْمُعَوِّذِينَ بِالتَّعَوُّذِ بِكَ"^(٢).

وقال أيضاً: "لَا يَشْرُكَكَ أَحَدٌ فِي رَجَائِي، وَلَا يَتَّفِقُ أَحَدٌ مَعَكَ فِي دُعَائِي..... فَتَعَالَيْتَ عَنِ الْأَشْبَاهِ وَالْأَضْدَادِ، وَتَكَبَّرْتَ عَنِ الْأَمْثَالِ وَالْأَنْدَادِ، فَسُبْحَانَكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ"^(٣).

وقال: "فَإِلَيْكَ أَفْرُ، وَمِنْكَ أَحَافُ، وَبِكَ أَسْتَعِيْثُ، وَإِيَّاكَ أَرْجُو، وَلَكَ أَدْعُو، وَإِلَيْكَ أَلْجَأُ"^(٤).

ثم إن حضرة السجاد - كما هو مذكور في كتب التاريخ - لم يدع لنفسه الإمامة المنصوص عليها من الله (راجعوا كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، ص ٦٤٠ باب ١٢٥، وص ٦٨٧ فما بعد)، ولكن في هذا الدعاء الفاقد للسند يُصَلِّيَ حضرة السجاد على الأئمة الاثني عشر فقط ويدعو نفسه «زين العابدين»! ونسأل: فلماذا لم يدع لابنه الآخر جناب «زيد» (رحمه الله)؟ ولماذا لم يدع لجناب «النفوس الزكية» (رحمه الله)؟ من هذا يتبين أن هذا الراوي المجهول الذي أراد أن يخترع مذهباً لحضرة السجاد وضع هذا الحرز ثم جاء السيد «ابن طاووس» الذي بينه وبين حضرة زين العابدين (ع) ستة قرون فروى هذا الدعاء الموضوع عن حضرة السجاد دون أن يذكر لنا الرواة الذين بينه وبين حضرة السجاد!! ومن الطريف أن حضرة السجاد طلب في هذا الدعاء زيارة قائم آل محمد ولكن لم يُستجب لدعائه!!

(١) الصحيفة السجادية، الدعاء ٢١.

(٢) الصحيفة السجادية، الدعاء ٢٥.

(٣) الصحيفة السجادية، الدعاء ٢٨.

(٤) الصحيفة السجادية، الدعاء ٥٢.

وفي الصفحة ١١٠^(١) يروي السيد «ابن طاووس» الخرافي دعاء عن حضرة الباقر (ع) لا عيب في منته ولكن راويه شخص كذاب باسم «أبي جميلة»^(٢) رواه لشخص أحق باسم «علي بن الحكم»^(٣) وهو بدوره رواه لابن فضال واقفي المذهب، ثم أثبتته «محمد بن الحسن الصفار» الذي لم يكن يُميِّز بين الحديث الصحيح وغير الصحيح، في كتابه!^(٤)

دعاء سريع الإجابة

نسب الكفعمي دعاءً إلى حضرة الكاظم (ع) دون ذكر راويه عن الإمام، و متن الدعاء يدل على أن صاحبه كان أمياً جاهلاً! يقول في هذا الدعاء: «يا قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ»!!!^(٥) ولو سأل أحد هذا الوضاع: من هو المُنادي والمُخاطَب في هذه الجملة؟ لعجز عن الجواب. ونسأل: كيف لم ينتبه الكفعمي أو صاحب المفاتيح إلى هذا الخطأ الواضح؟! هل كان ذلك بسبب كثرة علمهم وشدة زهدهم؟!

وجاء في هذا الدعاء: "وبالاسم الذي حجبته عن خلقك فلم يخرج منك إلا إليك"!!؟
سبحان الله! هل يخرج شيء من الحق ثم يدخل إليه؟! وحتى لو قلنا إن المقصود كان شيئاً آخر ولقنا هذه الجملة معنى آخر فلا شبهة في أن هذا التعبير عارٍ عن الفصاحة والبلاغة، ولا يقول حضرة الكاظم (ع) قطعاً مثل هذا الكلام. ليت شعري! لماذا ينبغي أن تُكتب مثل هذه النصوص الركيكة في كتبنا الدينية؟

ثم روى الشيخ عباس القمي في الصفحة ١١١^(٦) دعاء يتدئ بجملة: "يَا مَنْ نُحِلُّ بِهِ عَقْدُ الْمَكَارِهِ"، وقدّم لهذا الدعاء قائلاً: "روى الكفعمي في المصباح دعاءً وقال: قد أورد السيد ابن

(١) وهو في النسخة المعرّبة من المفاتيح ص ١٧٦ .

(٢) للتعرف على حاله راجعوا كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، ص ٨٠١ .

(٣) راجعوا ما ذكرناه بشأنه في الكتاب الحاضر، حاشية الصفحة ١٥ .

(٤) راجعوا بحار الأنوار، ج ٩١، ص ٢٦٨ .

(٥) مفاتيح الجنان (المعرب)، ص ١٧٦ .

(٦) مفاتيح الجنان (المعرب)، ص ١٧٧، وسماه الشيخ عباس القمي بـ«دعاء الأئمن» .

طاووس هذا الدعاء للأمن من السلطان والبلاء وظهور الأعداء، ولخوف الفقر وضيق الصدر".

ونقول: إن قول ابن طاووس ليس حجة شرعية. وهذا الدعاء هو الدعاء السابع في الصحيفة السجادية وليس من المعلوم أن حضرة السجاد كان يدعو به لأجل الحالات المذكورة. وفي الصفحة ١١٢ نقل الشيخ عباس عن الكفعمي دعاء^(١) تكلمنا عليه فيما سبق. تراجع الصفحة ٥٩ من الكتاب الحالي.

وفي الصفحة ١١٣^(٢) أورد الشيخ عباس رسالة استغاثة كتبها السيد عليخان الشيرازي خاطب بها صاحب الزمان لا سند لها ولا تتصل بأئمة الدين، بل يقولون: إن شخصاً سمع في منامه هذا الدعاء!!!^(٣) وعلينا أن نسأل: هل لصاحب الزمان الغائب -استناداً إلى الدلائل الشرعية الصحيحة- وجود؟^(٤) وهل الأحلام حجة شرعية؟ وهل يمكن أن يكون غير الله غياث المستغيثين أيضاً؟! وما هو دليلكم على جواز أن نعتبر غير الله مُغيثاً بصورة غير محدودة وغير مُقيّدة؟

في هذا الدعاء اعتبر صاحب الزمان حجة وذكر أنه يطهر الأرض من الكفر في الطول والعرض! هذا مع أن الله تعالى قال في كتابه: ﴿لَئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] فبأي دليل تجعلون صاحب الزمان حجة الله؟! ثانياً: طبقاً لآيات القرآن سيبقى الكفر والعداوة بين الناس إلى يوم القيامة كما قال تعالى عن النصارى واليهود: ﴿فَأَعْرَبْنَا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة: ١٤ و ٦٤]، فطبقاً لهذه الآية ستبقى جميع الفرق والمذاهب الباطلة بما فيها اليهود والنصارى إلى يوم القيامة، وستبقى العداوة والبغضاء بينهم ولن

(١) هو «دعاء الفرج»، الذي يتضمن جملة "يا مُحَمَّدُ يا عَلِيَّ يا عَلِيَّ يا مُحَمَّدُ اِكْفِيَانِي فَإِنَّكُمَا كَافِيَانِ... الخ". وهو في الصفحة ١٧٨ من مفاتيح الجنان (المعرب).

(٢) مفاتيح الجنان (المعرب)، ص ١٧٩، وأطلق عليه: "دعاء الاستغاثة بالحجة (عج)!"

(٣) راجعوا بحار الأنوار، ج ٩١، ص ٣١ و ٣٢.

(٤) راجعوا كتابي «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول» (ج ٢، الصفحات من ٦٦٥ إلى ٦٨٤)، وكتابي الآخر: «بررسی علمی در احادیث مهدی». [أي تحقيق علمي في أحاديث المهدي].

تُظَهَّرُ الأرض في طولها وعرضها من الكفر والعداوة والبغضاء إلى يوم القيامة.

وقال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، بناءً على ذلك لم يُرسل الله أحداً كي يُدخل شعوب العالم في الإسلام بالقوة. بل على الشعوب أن تستيقظ وأن تبحث عن الهداية وتختار طريق الحق بإرادتها الحرّة. ولا يجوز أساساً أن نُكره الناس على الإسلام وقد بيّن لنا القرآن الكريم أن رسول الله ﷺ كان يدعو الناس إلى الإسلام ولكنه لم يُجبر أحداً على الدخول فيه. فإذا لم يُدخل النَّبِيُّ الْأَكْرَمُ ﷺ بدعوته جميع الناس في الإسلام فكيف يستطيع أحد أتباعه أن يفعل ذلك؟!

وفي هذا الدعاء أو الاستغاثة اعتُبرِ الأئمةُ حُجُجُ الله واعتُبروا معصومين؟ أما بالنسبة إلى العصمة فينبغي أن نعلم أن الله تعالى قال لرسوله: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩]. نعم، إنه مما لا شك فيه - بالدلائل العقلية والنقلية - أن رسول الله ﷺ كان مصوناً من الخطأ ومحفوظاً من النسيان في إبلاغ آيات الله وأحكام الشريعة، ولكننا لا نملك دليلاً قرآنياً يدل على أنه كان مصوناً من الخطأ فيما عدا ذلك، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ «العصمة المطلقة» للأنبياء لا سند قرآني لها. والأهمُّ من ذلك أن قياس غير الأنبياء على الأنبياء خطأ، فالأنبياء ومنهم رسول الله ﷺ، يوحى إليهم وقد اختتم الوحيُ بمحمد ﷺ فلا يوحى لأحدٍ بعده، وَمِنْ ثَمَّ فلا دليل شرعيّ بأيّ وجه من الوجوه على عصمة غير الأنبياء. (فتأمل).

وفي هذا الدعاء أو الاستغاثة جُعِلت الآية الخامسة من سورة القصص التي تتعلق ببني إسرائيل وبفرعون وهامان خاصّةً بصاحب الزمان!! وليت شعري! هل يحق للسيد عليخان الشيرازي أو لأيّ أحدٍ آخر أن يُفسّر آيات القرآن على هواه أو يُفسّر لها على ضوء أحاديث ضعيفة دون مُراعاة لسياقها؟!

وفي هذا الدعاء يقول الداعي لصاحب الزمان الذي لا يعرف أين هو: "حاجتي كذا وكذا فاشفع لي في نجاحها فقد توجّهت لك بحاجتي لعلمي أن لك عند الله شفاعةً مقبولةً!!" ومرةً أخرى نسأل: هل الشفاعة بإذن الله واختياره أم بإرادة العبد المذنب واختياره؟! هل يستطيع كل عبد حقيقةً أن يجعل أحد أئمة الدين الأجلاء شفيعاً له من خلال التملُّق له وتمجيده وتبجيله؟

هل نصب الشُّفعاء وتعيينهم متروك للعباد فهم يختارون من يشاؤون ليشفع لهم؟ إن كان الأمر كذلك فالمسيحيون يرغبون أن يكون حضرة المسيح (ع) وحضرة مريم شُفعاء لهم، والصوفية يميلون إلى أن يكون عبد القادر الجيلاني شفيعاً لهم، والشيعية يرغبون أن يكون أبو الفضل العباس أو حضرة المعصومة أو أيِّ إمام أو حفيد من أحفاد الأئمة شُفعاء لهم إما جميعاً أو فرداً فرداً؟ فهل الله مُطيع لمن ذكرنا؟ هل قال الله في كتابه: لقد جعلت هؤلاء القوم شُفعاء لكم وسأقبل شفاعتهم حتماً؟ هل يستطيع كل من ارتكب إثماً أو جريمة أن يدفع -ضمن نظام العدل الإلهي- نبياً أو عبداً صالحاً للشفاعة له بالتملُّق له وتمجيده، ويكون من الواجب على الله أن يقبل شفاعة هذا الشفيع؟!

لقد قال الله في كتابه: ﴿لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٤٤]. يتبين من هذه الآية ومن تقديم «لِلَّهِ» على «الشفاعة» ومن كلمة «جميعاً» أن أمر الشفاعة وتعيين الشفيع كله بيد الله وحده فقط لا غير، ولم يوكل إلى أيِّ أحد آخر، والله تعالى يقول: إن الذي بيده مُلك السماوات والأرض والحاكم فيهما هو الذي بيده زمام أمور الشفاعة فعلى الناس أن يسعوا إلى كسب رضا الله بواسطة الأعمال الحسنة التي قال تعالى عنها: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤] وبواسطة التوبة والتضرُّع إلى الله، كي يعفو الله عنهم أو إذا أراد أن يرحمهم من خلال شفيع عيَّن لهم شفيعاً ليشفع لهم بإذنه، إذ إن الله وحده يعلم من هو المذنب الذي يستحقُّ الشفاعة ويكون أهلاً لها كما قال تعالى: ﴿مَّا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: ٣]، كما نصَّت الآية ٢٦ من سورة النجم على أن الشفاعة منوطة بإذن الله. فهذه الآيات كلها تدل بشكل قاطع على أن تعيين الشفيع ونصبه بيد الله وحده^(١).

(١) راجعوا الكتاب الحاضر، ص ٩٣، البند «ب»، وراجعوا بشكل خاص كتاب «تابشی از قرآن»، [شعاع من القرآن] ذيل الآية ٢٥٤ من سورة البقرة، وكتاب «زيارت و زيارتنامه»، ص ٢٣١، وكتابي «أحكام القرآن»، المسألة ١٨٠٢ حتى ١٨٢٢. ولا يخفى أن بعض المسائل التي أوردتها في كتابي «أحكام القرآن» لم تعد مقبولة لدي اليوم وأن كتابي المذكور يحتاج إلى التصحيح والإصلاح.

الفصل الثامن [من مفاتيح الجنان]

هذا الفصل هو الفصل الأخير من الباب الأول من مفاتيح الجنان وخاصاً بالمناجاة ويشتمل على خمس عشرة مُناجاة ثم مُناجاة منظومة منسوبة إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام. ادّعى العلامة المجلّسي أن هذه المُناجاة مروية عن حضرة السجاد (ع) وأنه وجدها في كتب بعض الأصحاب! ولكنه لم يذكر لنا اسم ذلك الكتاب ولا اسم مؤلفه ولا أسماء الرواة الذين رووه!! بناءً على ذلك فإن هذه المُناجاة الخمس عشرة لا سند لها، وحتى أنها ليست مذكورة في الصحيفة السجادية. ومن ثمّ فلا ندري هل كان رواية تلك المُناجاة مؤمنين أم لا؟ هل كانوا عدولاً أم فاسقين؟ غلاة أم لا؟ يعتبرون الله قابلاً للرؤية أم لا؟ هل كانوا صوفيين أم مسلمين مُلتزمين بالقرآن؟ وهكذا.....

إذا كان الأمر كذلك فعلينا أن نُحصّ متون هذه المُناجاة لنرى هل تحتوي على ألفاظ أو عبارات غير صحيحة أو غير لائقة بذات الباري القدسيّة تبارك وتعالى؟ في رأينا إن معظم هذه المُناجاة عبارة عن تعابير صوفية في حين أنه كما يظهر من «الصحيفة السجادية» لم يكن لدى السجاد (ع) مثل تلك التعابير ولم يكن يعتبر الله قابلاً للرؤية. في حين أنه جاء مثلاً في نصّ المُناجاة الثالثة أي «مُناجاة الخائفين» عبارة: "وَلَا تَحْجُبْ مُشْتَاقِيكَ عَنِ النَّظْرِ إِلَى جَمِيلِ رُؤْيَيْكَ"، وجاء في المُناجاة الثامنة عبارة: "وَصَلِّكَ مَنَى نَفْسِي..... وَرُؤْيَيْكَ حَاجَتِي"، وجاء في المُناجاة التاسعة قوله: "فَاجْعَلْنَا^(١) مِمَّنْ..... مَنَحْتَهُ بِالنَّظْرِ إِلَى وَجْهِكَ..... وَأَعَدْتَهُ مِنْ هَجْرِكَ..... وَاجْتَبَيْتَهُ لِمُشَاهَدَتِكَ"، ويقول أيضاً في المُناجاة الحادية عشرة: "وَعُغَلَّتِي لَا يُبَرِّدُهَا إِلَّا وَصَلِّكَ..... وَشَوْقِي إِلَيْكَ لَا يَبُلُّهُ إِلَّا النَّظْرُ إِلَى وَجْهِكَ"، ويقول في المُناجاة الثانية عشرة: "فَاجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ..... قَرَّتْ بِالنَّظْرِ إِلَى مَحْبُوبِهِمْ أَعْيُنُهُمْ"، ويقول في المُناجاة الخامسة عشرة:

(١) إذا لاحظنا الجمل التي جاءت بعد هذه الجملة تبين لنا أنه كان من الأفضل بدلاً من كلمة فاجعلنا أن يقول «فاجعلني».

"أَقْرِرْ أَعْيُنَنَا بِرُؤْيَيْكَ!!" لقد أتينا بهذه الجملة كنموذج فقط وإلا فإن المصطلحات والعبارات الصوفية كثيرة جداً في تلك المناجاة.

ولا يخفى أن بعض جمل هذه المناجاة مخالف لعقيدة صاحب المفاتيح ومن جملة ذلك قوله في المناجاة السابعة أي (مناجاة المطيعين لله): "لَا وَسِيلَةَ لَنَا إِلَيْكَ إِلَّا أَنْتَ"، ولذلك نسأل مؤلف المفاتيح: إن كنت تقبل هذه المناجاة فلماذا تعتبر الأئمة وحتى غير الأئمة وسيلة إلى الله؟ بالطبع علينا أن ننتبه إلى أنه لا يجوز أن ننسب هذه المناجاة الخمس عشرة إلى الشرع دون دليل ومستند، أما ما عدا ذلك فانطلاقاً من الإذن الإلهي العام بالدعاء لا حرج في قراءة بعض هذه المناجاة فمثلاً قراءة المُنَاجَاةِ الرَّابِعَةِ (مُنَاجَاةِ الرَّاجِينَ) لا إشكال فيه، بشرط أن لا نعتبرها واردة بنصّها عن الشرع. وسنذكر هنا ترجمة هذه المناجاة:

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. يَا مَنْ إِذَا سَأَلَهُ عَبْدٌ أَعْطَاهُ، وَإِذَا أَمَلَ مَا عِنْدَهُ بَلَغَهُ مَنَاهُ، وَإِذَا أَقْبَلَ عَلَيْهِ قَرَبَهُ وَأَذْنَاهُ، وَإِذَا جَاهَرَهُ بِالْعُصْيَانِ سَتَرَ عَلَيْهِ وَغَطَّاهُ، وَإِذَا تَوَكَّلَ عَلَيْهِ أَحْسَبَهُ وَكَفَّاهُ.

إِلَهِي! مِنَ الَّذِي نَزَلَ بِكَ مُلْتَمِسًا قِرَاكَ فَمَا قَرَيْتَهُ؟ وَمَنِ الَّذِي أَنَاخَ بِبَابِكَ مُرْتَجِيًا نَدَاكَ فَمَا أَوْلَيْتَهُ؟ أَيْحَسُنُ أَنْ أَرْجِعَ عَنْ بَابِكَ بِالْخَيْبَةِ مَضْرُوفًا وَلَسْتُ أَعْرِفُ سِوَاكَ مَوْلَى بِالْإِحْسَانِ مَوْصُوفًا؟ كَيْفَ أَرْجُو غَيْرَكَ وَالْحَيُّ كُلُّهُ بِيَدِكَ؟ وَكَيْفَ أُوْمَلُ سِوَاكَ وَالْحَلْقُ وَالْأَمْرُ لَكَ؟ أَأَقْطَعُ رَجَائِي مِنْكَ وَقَدْ أَوْلَيْتَنِي مَا لَمْ أَسْأَلْهُ مِنْ فَضْلِكَ؟ أَمْ تُفَقِّرُنِي إِلَى مِثْلِي ^(١) وَأَنَا أَعْتَصِمُ بِجَبَلِكَ؟

يَا مَنْ سَعِدَ بِرَحْمَتِهِ الْقَاصِدُونَ وَلَمْ يَشَقَّ بِنِقْمَتِهِ الْمُسْتَغْفِرُونَ، كَيْفَ أَنْسَاكَ وَلَمْ تَزَلْ ذَاكِرِي؟ وَكَيْفَ أَلْهُو عَنْكَ وَأَنْتَ مُرَاقِبِي؟ إِلَهِي! بِدَيْلِ كَرَمِكَ أَعْلَقْتُ يَدِي وَلَتَيْلِ عَطَايَاكَ بَسَطْتُ أَمَلِي، فَأَخْلِصْنِي بِخَالِصَةِ تَوْجِيدِكَ وَاجْعَلْنِي مِنْ صَفْوَةِ عِبِيدِكَ.

يَا مَنْ كُلُّ هَارِبٍ إِلَيْهِ يَلْتَجِي، وَكُلُّ طَالِبٍ إِلَيْهِ يَرْتَجِي، يَا خَيْرَ مَرْجُوٍّ وَيَا أَكْرَمَ مَدْعُوٍّ وَيَا مَنْ لَا يُرَدُّ سَأَلُهُ وَلَا يُخَيَّبُ أَمَلُهُ. يَا مَنْ بَابُهُ مَفْتُوحٌ لِذَاعِيهِ وَحِجَابُهُ مَرْفُوعٌ لِرَاجِيهِ: أَسْأَلُكَ

(١) يقول أفضل من اختاره الله: رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

بِكْرَمِكَ أَنْ تَمُنَّ عَلَيَّ مِنْ عَطَائِكَ بِمَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنِي وَمِنْ رَجَائِكَ بِمَا تَطْمَئِنُّ بِهِ نَفْسِي وَمِنْ
الْيَقِينِ بِمَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيَّ مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا وَتَجْلُو بِهِ عَنِّ بَصِيرَتِي غَشَوَاتِ الْعَمَى. بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ".

المناجاة المنظومة لأمير المؤمنين (ع)

تشتمل هذه المناجاة على قصيدة مؤلفة من ثلاثين بيتاً من الشعر بعض الأبيات لا يخلو من إشكال في معناه، ومن جملتها البيت السابع والعشرون الذي يدل على أن هذه القصيدة ليست لحضرة أمير المؤمنين علي عليه السلام وذلك لأن حضرته كان متواضعاً ولم يكن مغروراً ومعجباً بنفسه أبداً ولم يكن يعتبر نفسه ذا منزلة عزيزة جداً عند الله تعالى تسمح له أن يُقسم على الله بنفسه ويقول في مُناجاته لربه:

إِلَهِي مِحْرَمَةَ الْمُصْطَفَى وَابْنَ عَمِّهِ
وَحُرْمَةَ أَبْرَارٍ هُمْ لَكَ خُشَعٌ

وقد وقع واضعو الحديث بهذا الخطأ مراراً ومن جملة ذلك ما جاء في الصلاة والتسيّحات التي لا سند لها التي رواها الشيخ الطوسي في كتابه (مصباح المتهجد، ص ٢٥٨) ورواها الشيخ عباس القمّي في «المفاتيح» (ص ٤٠ و ٤١)^(١) وادّعى أن كل من صلّى تلك الصلاة وقال تلك التسيّحات غُفرت له جميع ذنوبه!! ففي تلك الصلاة جاء قوله: "اللَّهُمَّ بِمُحَمَّدٍ سَيِّدِي وَبِعَلِيِّ وَليِّ!! فكيف يُقسم عليّ على الله بعليّ وليّ؟! هل يُمكن أن يقول فرد عامي: إلهي أقسم عليك بنفسي أنا الذي وليّ نفسي!! فما بالك بأن يكون قائل هذا الكلام عليّ أمير الفصاحة والبلاغة والبيان؟!

إن عليّاً (ع) هو القائل: "إِيَّاكَ وَالْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ وَالثَّقَّةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا" (نهج البلاغة، الرسالة ٥٣)، والقائل: "اعْلَمْ أَنَّ الْإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ وَآفَةُ الْأَلْبَابِ" (نهج البلاغة، الرسالة ٣١).

كان حضرته يعتبر أن عزّه في عبوديته لله وقال طبقاً لما نقله عنه مؤلف كتاب «المفاتيح»: "إِلَهِي كَفَى بِي عِزًّا أَنْ أَكُونَ لَكَ عَبْدًا وَكَفَى بِي فَخْرًا أَنْ تَكُونَ لِي رَبًّا" (المفاتيح، ص ١٢٧).

(١) مفاتيح الجنان (المُعَرَّب)، ص ٧٦ - ٧٨. وقد عُنُون لها بـ «صلاة أمير المؤمنين عليه السلام». (المُتَرَجِّم)

قديماً قبل سنوات مديدة عندما قمتُ بترجمة «الصحيفة العلوية»، نظمتُ ٢٤ بيتاً من أبيات هذه المناجاة بصورة أبيات من الشعر باللغة الفارسية أضع هنا هذه الأبيات لتكون ذكري^(١).

- | | | |
|----|--|--|
| ١ | لَكَ الْحَمْدُ يَا ذَا الْجُودِ وَالْمَجْدِ وَالْعُلَى | تَبَارَكَتْ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَمْنَعُ |
| ٢ | إِلَهِي وَخَلَّاقِي وَحِرْزِي وَمَوْئِلِي | إِلَيْكَ لَدَى الْإِعْسَارِ وَالْيُسْرِ أَفْرَعُ |
| ٣ | إِلَهِي لَنْ جَلَّتْ وَجَّهَتْ خَطِيئَتِي | فَعَفْوُكَ عَنِّ دَنْبِي أَجَلُّ وَأَوْسَعُ |
| ٤ | إِلَهِي لَنْ أَعْظَيْتُ نَفْسِي سُؤْلَهَا | فَهَا أَنَا فِي رَوْضِ النَّدَامَةِ أَرْتَعُ |
| ٥ | إِلَهِي تَرَى حَالِي وَفَقْرِي وَفَاقَتِي | وَأَنْتَ مُنَاجَاتِي الْخَفِيَّةَ تَسْمَعُ |
| ٦ | إِلَهِي فَلَا تَقْطَعْ رَجَائِي وَلَا تُزِعْ | فُؤَادِي فَلَئِنْ سَبَّ جُودَكَ مَطْمَعُ |
| ٧ | إِلَهِي لَنْ أَفْضَيْتَنِي أَوْ أَهَنْتَنِي | فَمَنْ ذَا الَّذِي أَرْجُو وَمَنْ ذَا يُشْفَعُ؟ |
| ٨ | إِلَهِي أَجْرِي مِنْ عَذَابِكَ إِنِّي | أَسِيرٌ ذَلِيلٌ خَائِفٌ لَكَ أَخْضَعُ |
| ٩ | إِلَهِي فَأَنْسِنِي بِتَلْقِينِ حُجَّتِي | إِذَا كَانَ لِي فِي الْقَبْرِ مَثْوَى وَمَضْجَعُ |
| ١٠ | إِلَهِي لَنْ عَدَّ بَنِي أَلْفِ حِجَّةٍ | فَحَبْلُ رَجَائِي مِنْكَ لَا يَتَقَطَّعُ |
| ١١ | إِلَهِي أَذْقْنِي طَعْمَ عَفْوِكَ يَوْمَ لَا | بُنُونََ وَلَا مَالَ هُنَالِكَ يَنْفَعُ |
| ١٢ | إِلَهِي إِذَا لَمْ تَرْعِنِي كُنْتُ ضَائِعاً | وَإِنْ كُنْتَ تَرْعَانِي فَلَسْتُ أَضِيعُ |
| ١٣ | إِلَهِي إِذَا لَمْ تَعْفُ عَنِّي غَيْرِ مُحْسِنٍ | فَمَنْ لِمُسِيئِي بِالْهَوَى يَتَمَتَّعُ |
| ١٤ | إِلَهِي لَنْ فَرَّطْتُ فِي طَلَبِ الثُّغَى | فَهَا أَنَا إِثْرُ الْعَفْوِ أَفْقُو وَأَتَّبَعُ |
| ١٥ | إِلَهِي لَنْ أَخْطَأْتُ جَهْلًا فَطَالَ مَا | رَجَوْتُكَ حَتَّى قِيلَ مَا هُوَ يَجْرَعُ |

(١) ملاحظة: لم أذكر بالطبع الأبيات الفارسية التي أوردها المؤلف، إذ لا فائدة من ذكرها للقارئ العربي، واستعضتُ عن ذلك بذكر أصل الأبيات التي اختارها المؤلف المرحوم من تلك المناجاة وترجمها إلى الفارسية. (المترجم)

- ١٦ إِلَهِي دُنُوبِي بَدَّتِ الطُّوْدَ وَاعْتَلَّتْ
وَصَفْحُكَ عَن ذَنْبِي أَجَلٌ وَأَرْفَعُ
- ١٧ إِلَهِي يُنَجِّي ذِكْرُ طَوْلِكَ لَوْعَتِي
وَذِكْرُ الْخَطَايَا الْعَيْنَ مِنِّي يُدْمَعُ
- ١٨ إِلَهِي أَقْلِنِي عَثْرَتِي وَامْحُ حَوْبَتِي
فَلِإِي مُقَرَّرٌ خَائِفٌ مُتَضَرِّعٌ
- ١٩ إِلَهِي أَنْلِنِي مِنْكَ رَوْحاً وَرَحْمَةً
فَلَسْتُ سِوَى أَبْوَابِ فَضْلِكَ أَفْرَعُ
- ٢٠ إِلَهِي لئن خَيَّبْتَنِي أَوْ طَرَدْتَنِي
فَمَا حِيلَتِي يَا رَبِّ أَمْ كَيْفَ أَصْنَعُ؟
- ٢١ إِلَهِي حَلِيفُ الْحُبِّ بِاللَّيْلِ سَاهِرٌ
يُنَاجِي وَيَدْعُو وَالْمُعَقَّلُ يَهْجَعُ
- ٢٢ وَكُلُّهُمْ يَرْجُونَ نَوَالَكَ رَاجِعاً
بِرَحْمَتِكَ الْعُظْمَى وَفِي الْخُلْدِ يَطْمَعُ
- ٢٣ إِلَهِي يُمَنِّبُنِي رَجَائِي سَلَامَةً
وَقُسْبِحُ خَطِيئَاتِي عَلَيَّ يُشْنَعُ
- ٢٤ إِلَهِي فَإِنْ تَعَفُّو فَعَفُّوكَ مُنْقِذِي
وَالْأَقْبَالُ الذَّنْبِ الْمُدْمِرُ أَصْرَعُ



الباب الثاني [من مفاتيح الجنان]

في أعمال الأشهر العربية

الفصل الأول [من مفاتيح الجنان]

هذا الفصل هو في فضل شهر رَجَب وأعماله. في بداية هذا الفصل نقل المؤلف عن كتاب «وسائل الشيعة»^(١) افتراءً على النبي ﷺ أنه قال: "أَلَا إِنَّ رَجَبَ شَهْرَ اللَّهِ الْأَصَمِّ وَهُوَ شَهْرٌ عَظِيمٌ..... لَا يُقَارَنُ شَهْرٌ مِنَ الشُّهُورِ حُرْمَةً وَفَضْلاً..... أَلَا إِنَّ رَجَبَ شَهْرَ اللَّهِ وَشَعْبَانَ شَهْرِي وَرَمَضَانَ شَهْرُ أُمَّتِي".

في حين أنه جاء في كتاب «الوسائل» ذاته عن حضرة عَلِيِّ (ع) أنه قال: "رَجَبٌ شَهْرِي وَشَعْبَانُ شَهْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَشَهْرُ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ"^(٢)!!؟

إضافةً إلى ذلك فإن الشيخ عَبَّاسَ الْقُمِّيَّ نفسه قال في الفصل الثالث من هذا الباب الثاني في المفاتيح (ص ١٧٠)^(٣): "شهر رمضان هو شهر الله رب العالمين، وهو أشرف الشهور".

وليت شعري! ألم يُفكّر الشيخ عَبَّاسُ الْقُمِّيُّ عندما كتب هذه الأسطر في نفسه كيف يُمكن أن يكون «رجب» أشرف الشهور ومساوياً في الفضل لشهر رمضان مع أن القرآن الكريم نزل في شهر رمضان؟ وأحد العيدين الكبيرين للمسلمين يتعلّق بمناسبة انتهاء هذا الشهر المبارك، حتى أن أغلب الناس لدينا يقرؤون في المساجد بعد الصلوات في شهر رمضان هذا الدعاء الذي فيه

(١) وسائل الشيعة، ج ٧، ص ٣٥٢، وبحار الأنوار، ج ٩٢، ص ٢٦.

(٢) وسائل الشيعة، ج ٧، ص ٣٥٦.

(٣) مفاتيح الجنان (المعرب)، ص ٢٤٧. (المُترجم)

خطاب لله تعالى بالجملة التالية: "هَذَا شَهْرٌ عَظُمَتْهُ وَكُرِّمَتْهُ وَشَرَّفَتْهُ وَفَضَّلَتْهُ عَلَى الشُّهُورِ".

وقد أورد الشيخ عباس القمّي نفسه أيضاً هذا الدعاء في المفاتيح في فصل «في أعمال شهر رمضان العامة» (ص ١٧٥)^(١). كما نقل دعاءً يتعلّق بليلة شهر شعبان الأخيرة و ليلة أول شهر رمضان (ص ١٦٩)^(٢) عن الحارث بن المغيرة النضري الذي قال عنه النجاشي «ثقة ثقة». وجاء في الدعاء المذكور أيضاً: اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ الْمُبَارَكَ الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنَ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ قَدْ حَضَرَ".

وأورد صاحب المفاتيح في هذا الفصل ثوابات عجيبة وغريبة للصوم في شهر رجب هي من وضع الغلاة وليست من كلام الأئمة. وكتب في الصفحة ١٣٠^(٣) يقول: روى الشيخ [الطوسي في مصباح المتعجل] أنه خرج هذا التوقيع الشريف من الناحية المقدّسة على يد الشيخ الكبير «أبي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد» (رضي الله عنه)!

لكن الشيخ الطوسي عاش بعد ممّتي عام من عهد محمد بن عثمان، فكان حريّاً بالشيخ الطوسي أن يذكر لنا الرواية بينه وبين «محمد بن عثمان»، وعلى كل حال فإن أحد رواة هذا التوقيع هو «أحمد بن محمد بن عبيد الله العياش الجوهري»^(٤) الذي عرّفنا به في الرقم ٦٧ في كتاب «زيارت و زيارتنامه» [زيارت المزارات وأدعية الزيارات] (ص ١٦٤) وذكرنا هناك إشكالات هذا التوقيع فلا نُكرّرها هنا. (فَلْتَرَأَجِعْ ثَمَّةً). فالعجيب أن الشيخ عباس القمّي روى هذه المناجاة والمناجاتين اللتين بعدها عن شخص اعتبره علماء الرجال ومن جملتهم النجاشي والشيخ الطوسي وابن داود والعلامة الحلي وصاحب الذخيرة و... ضعيفاً!

ثم ألم يفكر الشيخ عباس في نفسه عندما كتب جملة: "لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا إِلَّا أَنَّهُمْ عِبَادُكَ"،

(١) مفاتيح الجنان (المعرب)، ص ٢٤٩. (المترجم)

(٢) مفاتيح الجنان (المعرب)، ص ٢٤٤ وعنون له بأعمال آخر ليلة من شعبان. (المترجم)

(٣) مفاتيح الجنان (المعرب)، ص ٢٠٠. هو البند: الخامس، من القسم الأول من أعمال شهر رجب. (المترجم)

(٤) هو راوي دعاء «السّمات» راجعوا الكتاب الحلي، ص ٧٦، و ص ٢٤٩ الآتية. وراجعوا أيضاً كتاب «درسي از ولايت» [درس حول الولاية]، ص ٩٢-٩٣.

كيف يُمكن أن لا يكون هناك فرق بين الله وبين عباده مع أن الله واجب الوجود وقديمٌ وغنيٌّ بالذات، أما عباده فهم ممكنو الوجود وحادثون وفقراء ومحدودون؟! أيُّها القارئ اللبيب! إن هؤلاء الوضاعين الجهلاء يُقدِّمون لنا إلهاً خَلَقَ مخلوقاتٍ مثلهُ وأنه لا فرق بينه وبين بعض مخلوقاته!!!

في هذه المناجاة تمّ نسبة «مقامات» لله تعالى!! مع أنه لم يأت في القرآن الكريم أبداً نسبة «المقامات» بصورة الجمع إلى الله بل جاءت العبارة بصورة مُفردة دائماً [سورة إبراهيم: ١٤، والرحمن: ٤٦، والنازعات: ٤٠] لأن الله صاحب مقام واحد من العظمة والجلال والكبرياء لا ينزل عنه وينفصل، ولا يترقى عنه ويرتفع حتى يكون له مقامان، بل لله تعالى أعلى وأرفع مقام ولا يُمكن تصوُّر أرفع ولا أعلى من مقامه، وصفات الله لا تتغير ولا تتبدل، بناءً على ذلك فإن دعاء شهر رجب الخرافي الذي أثبت لله «مقامات» ليس صحيحاً؛ فإن كان ذلك الدعاء قد صدر حقاً عن «الناحية»، فالويل لمن خُذع بمثل تلك «الناحية» واعتقد بها! وللأسف لقد أصدروا عن «الناحية» كل ما عنَّ لهم، وأرهبوا العوام وأغلقوا أفواه العلماء الذين يخافون من العامة ولم يسمحوا لأحد أن يسأل قائلاً: لم نر منكم سوى الادِّعاء فمن أين لنا أن نعلم أن الأمور التي تذكروها لنا صادرة عن الإمام فعلاً؟ نحن لم نر خط الإمام كي نُقارن خط المكتوبات المنسوبة إليه مع خطه؟ فبأيِّ دليل علينا أن نقبل ادِّعاءاتكم؟ خاصةً أن معظم ما تعرضونه علينا وتقولون إنه صدر من «الناحية»، لا يتفق مع القرآن الكريم!؟

ثم ذكر الشيخ عبَّاس القمِّي في الصفحة ١٣١^(١) رسالتين عن «أبي القاسم حسين بن روح» ادَّعي أنها صدرتا عن «الناحية» وراويهما هو «أحمد بن عياش» أيضاً. ولا يخفى أن «حسين بن روح» كان رجلاً مُتَلَوِّناً ومُجيد السياسة وطبقاً لما قاله الشيخ عبَّاس القمِّي عنه: "كان رحمه الله من أعقل الناس عند المخالف والموافق. وكان يستعمل التقيَّة في بغداد. وبلغ من حسن سلوكه مع الحالفين أن كلاً من المذاهب الأربعة كان يدَّعي أنه منه"^(٢).

(١) مفاتيح الجنان (المعرب)، ص ٢٠١ و ٢٠٢. (المترجم)

(٢) منتهى الآمال، ج ٢، ص ٥٠٧ و ٥٠٨. (وهو في النسخة المعربة لـ «منتهى الآمال» في: ج ٢، ص ٦٧٢).

(المترجم)

وكانت كل طائفة تُسلمه الأموال كما يُسلمه الشيعة أموالهم.

من هذا الحديث المختصر يُمكنك أيها القارئ الكريم أن تقرأ الكتاب المُفَصَّل! لنفرض أن «ابن روح» كان يعمل بالتقية، لكنه لم يكن مُضطراً إلى أن يتظاهر أمام كل واحد من أصحاب المذاهب أنه منهم بل كان يستطيع أن يختار أحد المذاهب فقط كالذهب المالكي أو الشافعي أو مذهب الأوزاعي، كي يُبعد الخطر عن نفسه. (فتاوى).

ومتن الزيارة السابعة^(١) أيضاً لا علاقة له بالتوحيد ولا بالإسلام ومن الواضح أنه من تلفيقات فرقة «المفوضة»^(٢) الملعونين^(٣) والمنحرفين، وجاء في جزء من هذه الزيارة الشركية:

"أَنَا سَائِلُكُمْ وَأَمْلِكُكُمْ فِيمَا إِلَيْكُمْ فِيهِ التَّفْوِيضُ وَعَلَيْكُمْ التَّعْوِيضُ، فَبِكُمْ يُجَبَّرُ الْمَهِيضُ وَيُشْفَى الْمَرِيضُ وَعِنْدَكُمْ مَا تَزْدَادُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَغِيضُ!!"

أيها القارئ الكريم! إن الله يقول عن نفسه: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ [الرعد: ٨، ٩].

وقال عليّ (ع) أيضاً: "إِنَّمَا عَلِمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا عَدَدَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ...﴾ [لقمان: ٣٤]، فَيَعْلَمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ..... فَهَذَا عَلِمُ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ..... الخ"^(٤).

ولكن للأسف أثبت واضعو هذا الدعاء الذين يدعون كذباً حُبَّ عَلِيٍّ، هذه الصفات الخاصة

(١) يقصد بالسابعة: الواردة في البند السابع من بنود القسم الأول من أعمال شهر رجب، الواقع في ص ٢٠٢ من مفاتيح الجنان (المعرب). (المترجم)

(٢) راجعوا حول موضوع «التفويض» و«المفوضة» ما ذكرناه في ص ١٢٢ فما بعد من الكتاب الحاضر، وكتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، الصفحات ١٤٥ و ٢٤٩ حتى ٢٦٤ والصفحة ٥٥٥-٥٥٦.

(٣) لقد لعنهم الشيخ الصدوق، راجعوا «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، ص ٧٠-٧١.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة ١٢٨.

بالله لبعض عباده أيضاً!! ألم يُفكّر الشيخ عبّاس القمّي في نفسه عندما كتب نصّ هذه الزيارة في كتابه أنه إذا كان الأنبياء - ومن جملتهم النّبّي الأكرم ﷺ - لا يملكون للناس نفعاً ولا ضرراً [سورة الأعراف: ١٨٨، ويونس: ٤٩، والجن: ٢١] فكيف يُمكن أن تُوكل هذه الأمور إلى النّبّي أو أحفاده؟ هل كان الشيخ عبّاس القمّي جاهلاً بالعقائد الباطلة لفرقة المُفوّضة المنحرفة ولا يعلم أن الأئمة اعتبروا أتباع تلك الفرقة أعداءً لله؟! ولا يخفى أن راوي هذه الزيارة هو ذاته راوي الزيارتين الخامسة والسادسة الخاصّتين بشهر رجب أي «ابن عياش الجوهري»، ولا نتوقع منه بالطبع تحفة يُقدّمها لنا أفضل من هذه!

وللأسف لقد شاهدتُ بنفسِي مرّات عديدة أو سمعتُ المشايخ يدعون الناس إلى طلب حاجاتهم من الأئمة (ع) ويقولون لهم: كل ما تريدونه من حاجة أو ما تبغونه من حلّ لمشكلة فاطلبوه من هذه الأسرة أي من أهل بيت النّبّي! ويُحيلونهم إلى كتاب «مفاتيح الجنان» وإلى الزيارة الخاصة بشهر رجب ذات العبارات الشركية!! هذا في حين أن كثيراً من الأمور المذكورة في «مفاتيح الجنان» لا اعتبار ولا وزن شرعيّ لها على الإطلاق.

ثم ذكر الشيخ عبّاس القمّي في الصفحة ١٣٢^(١) دعاءً عن «ابن طاووس» رواه الأخير عن «محمد بن ذكوان»! مع أن هناك على أقلّ تقدير خمسة قرون من الزمن بين ابن طاووس وابن ذكوان ولا أحد يعلم من هم الرواة بينهما؟! ولذلك فمثل هذه الرواية تُعتبر رواية مرفوعةً وساقطةً من الاعتبار. طبقاً لنقل «الممقاني» في رجاله (ج ٣، ص ١١٦) أحد رواة هذا الدعاء هو «محمد بن علي البرسي» الذي كان من الغلاة، والراوي المتّصل به «محمد بن ذكوان» كذاب مشهور يُدعى «محمد بن سنان»^(٢)!

لنأت الآن إلى تمحيص متن هذا الدعاء: جاء فيه: "يا مَنْ..... آمَنْ سَخَطَهُ عِنْدَ كُلِّ شَرٍّ".

(١) راجعوا «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، ص ١٤٥. كما اعتبر الإمام الرضا (ع) «المفوّضة» مشركين. انظر كتاب الاحتجاج للطبرسي، طبع النجف بتعليقات محمد باقر الخراسان، ج ٢، ص ١٩٨.

(٢) مفاتيح الجنان (المعرب)، ص ٢٠٣. (المترجم)

(٣) لقد عرّفنا به في كتابنا «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، ص ٣٠٤ إلى ٣٠٨.

هذه العبارة مخالفة للقرآن الكريم الذي يقول: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْأَقْوَمُ
الْخَاسِرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الاعراف: ٩٩]. كما قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي
عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [الانعام: ١٥].

ثم في الصفحة ١٣٤^(١) جمع الشيخ عباس القمي أحاديث تُصيب من يأخذ بها بالاغترار
وليس لها أيُّ سند، منها خبرٌ يقول: من صام من شهر حرام ثلاثة أيام؛ الخميس والجمعة
والسبت كتب له عبادة تسعمائة عام!! أي ثوابه أكثر من ثواب العبادة في ليلة القدر أيضاً!!
أو في العمل التاسع عشر ذكر جزءاً من حديث خرافي لا سند له عن كتاب «إقبال الأعمال»
لابن طاووس ضعيف العقل، ولعله استحى أن ينقل الحديث بتامه! في الحديث المذكور جاء
ذكرٌ لصلاة تُدعى «صلاة سلمان» وصفها ابن طاووس بما يلي: "عن سلمان رضي الله عنه قال:
قال رسول الله ﷺ:

"مَنْ صَلَّى لَيْلَةً مِنْ لَيَالِي رَجَبٍ عَشْرَ رَكَعَاتٍ يَفْرَأُ فِي كُلِّ رَكَعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَقُلَّ يَا أَيُّهَا
الْكَافِرُونَ وَقُلَّ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ عَفَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ كُلَّ ذَنْبٍ عَمِلَ وَسَلَفَ مِنْ
ذُنُوبِهِ وَكَتَبَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ بِكُلِّ رَكَعَةٍ عِبَادَةَ سِتِّينَ سَنَةً وَأَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى بِكُلِّ سُورَةٍ
قَصْرًا مِنْ لَوْلُؤَةٍ فِي الْجَنَّةِ وَكَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مِنَ الْأَجْرِ كَمَنْ صَامَ وَصَلَّى وَحَجَّ وَاعْتَمَرَ وَجَاهَدَ
فِي تِلْكَ السَّنَةِ وَكَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ إِلَى السَّنَةِ الْقَابِلَةِ فِي كُلِّ يَوْمٍ حَجَّةً وَعُمْرَةً وَلَا يَخْرُجُ مِنْ
صَلَاتِهِ حَتَّى يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ فَإِذَا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ نَادَاهُ مَلَكٌ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ اسْتَأْنِيفِ الْعَمَلِ يَا
وَيْلِيَ اللَّهِ فَقَدْ أَعْتَقَكَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ النَّارِ، وَكَتَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْمُصَلِّينَ تِلْكَ السَّنَةَ كُلَّهَا. وَإِنْ
مَاتَ فِيهَا بَيْنَ ذَلِكَ مَاتَ شَهِيداً وَاسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى دُعَاءَهُ وَقَضَى حَوَائِجَهُ وَأَعْطَى كِتَابَهُ
بِيَمِينِهِ وَبَيَّضَ وَجْهَهُ وَجَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ سَبْعَ خَنَادِقٍ" (٢).

لا يخفى أن الشيخ عباس ذكر تحت عنوان «العمل الخامس لأول أيام شهر رجب» صلاةً

(١) مفاتيح الجنان (المعرب)، ص ٢٠٥. (المترجم)

(٢) إقبال الأعمال، دار الكتب الإسلامية (الباب الثامن فيما نذكره مما يختص بشهر رجب وبركاته)، ص ٦٣٠،

وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٢٣٠، وبحار الأنوار، ج ٩٥، ص ٣٨٠ - ٣٨١.

تُدعى «صلاة سلمان» أيضاً ذَكَرَ لها ما يُشبه هذه الثوابات العجيبة والغريبة^(١)، ولم يذكرها مؤلف المفاتيح ثَمَّة بل أعرض عن ذكرها ربَّما لحفظ ماء الوجه!^(٢)

ألا يعلم الشيخ عَبَّاسُ أن العبادات في الإسلام توقيفيةٌ، وأنه لا يجوز أن نُعرِّف للناس عبادةً دون أن يكون عليها دليلٌ شرعيٌّ مُحْكَمٌ بل لمجرد أن الكفعمي أو المجلسي أو ابن طاووس وأمثالهم نقلوها؟! أنا لست أدري أيُّ تقوى هذه التي كانت لدى الشيخ عَبَّاسُ!

وجاء في هذا الحديث أن المنافقين لا يُصلُّون هذه الصلاة! وأقول: لو صحَّ هذا الكلام لوجب على النبي أن يُعلِّم هذه الصلاة جميع المسلمين كي ينجوا من النفاق لا أن تصل إلينا هذه الرواية بصورة حديث لا سند له!

نعم كما ذكرت أورد الشيخ عَبَّاسُ في هذا القسم من كتابه أحاديث تبث على الاغترار كقوله إن كل من عمل العمل الفلاني غُفرت له جميع ذنوبه و.....!! مثلاً في الصفحة ١٣٦^(٣) يقول: إن كل من اغتسل في أول شهر رجب ووسطه وآخره خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه!! مع أن هذا الحديث لا سند له!!^(٤) أو نقل في الصفحة ١٣٩^(٥) عن الإمام الصادق صلاةً قال أن من صلاها في ليلة ثلاث عشرة و ليلة أربع عشرة و ليلة خمس عشرة من شهر رجب..... غُفر له كل ذنب سوى الشرك^(٦). إذا كان الأمر كذلك فيمكن لكل خطأ أئيم أن يرتكب ما شاء من الذنوب طول العام ثم يأتي في شهر رجب فيغتسل كما وُصف أو يُصلي تلك الصلاة فيطهر من جميع ذنوبه!!

(١) مفاتيح الجنان (المعرب)، ص ٢١٠. (المترجم)

(٢) لرؤية الحديث المذكور راجعوا كتاب مصباح المهجد للشيخ الطوسي، باهتمام الأنصاري الزنجاني، ص ٧٥٢-٧٥٣، ووسائل الشيعة، ج ٥، ص ٢٣١ و ٢٣٢.

(٣) مفاتيح الجنان (المعرب)، ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٤) إقبال الأعمال، ص ٦٢٨، ووسائل الشيعة، ج ٢، ص ٩٥٩.

(٥) مفاتيح الجنان (المعرب)، ص ٢١١.

(٦) روى ابن طاووس في كتابه «إقبال الأعمال» (ص ٦٥٥) هذه الصلاة عن أحمد بن أبي العيناء وهو شخص مُهمَل مجهول الحال.

لقد أوضحنا في كتابنا «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول» (ص ٧٧، البند ٧) أن مثل هذه الأحاديث مردودة وأنها سبب في اغترار العاصين. إن على كل مُذنب عصى الله وتعدي حدوده أن يتوب من ذنبه ويُصلح العمل وإلا فمن غير توبة [لن يُغفر له] ولن يُقبل عمله لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة: ٢٧] و «إنما» أداة حصر، أي لا يتقبل الله إلا من المتقين.

وفي الصفحة ١٣٥ نسب عدد من المجاهيل حديثاً إلى النبيّ تحت عنوان «عمل ليلة الرغائب» لا تقوم به حُجّة^(١). ونقل في أعمال الليلة الأولى من شهر رجب دعاءً عن «موسى بن أشيم» الذي كان من أنصار «أبي الخطاب»^(٢). وقد عرّفنا بهذا الراوي في كتابنا «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول» (ص ٢٥٠). ثم روى في الصفحة ١٣٦ حديثاً عن رجل خبيث يُدعى «أبو البخترى وهب بن وهب»! وقد عرّفنا بحاله في كتاب «زيارت و زيارتنامه» [زيارات المزارات وأدعية الزيارات] (ص ١٦١ رقم ٦٢).

ولا ينقضي العجب من علمائنا مثل الشيخ الطوسي وأمثاله الذين كتبوا كتباً في علم الرجال اعتبروا فيها كثيراً من الرواة ضعفاءً وكذابين وغلاةً ومجهولي الحال و..... لكنهم رَوَوْا في كتبهم الأخرى أحاديث وأدعيةً عن أولئك الرواة الضعفاء والكذابين أنفسهم ونشروا خرافاتهم وأباطيلهم بين المسلمين!! فكان مثْلُهُم في ذلك - كما قال أخونا الفاضل جناب الأستاذ قلمداران (رحمه الله) - مثْلٌ طيب يُحذّر الناس من الجرائم ويوصيهم بالابتعاد عنها، ولكنه يقوم هو نفسه بحقن الناس بهذه الجرائم!! نعم، لقد لَوَّث علماءنا بنقلهم لهذه الأحاديث الضعيفة، الدين، وأغرقوا المسلمين في الخرافات والأباطيل.

ثم أشار في الصفحة ١٣٩ إلى ولادة أمير المؤمنين علي عليه السلام ونُحِيل القارئ في هذا الصدد إلى ما جاء في كتاب «زيارت و زيارتنامه» [أي زيارات المزارات وأدعية الزيارات] (ص ٢٧٦ حتى ٣٨٣).

(١) للاطلاع على سند الحديث المذكور راجعوا كتاب بحار الأنوار، ج ٩٥، ص ٣٩٥ فما بعد.

(٢) وإليه تُنسب فرقة «الخطابية». راجعوا كتاب «زيارت و زيارتنامه» [زيارات المزارات وأدعية الزيارات]، ص ٣٧ و ٨٧.

في الصفحة ذاتها ذكر الشيخ عبّاس صلاةً خاصةً بليلة النصف من شهر رجب راويها حسبما جاء في كتاب «إقبال الأعمال» (ص ٦٥٥): «حَرِيْزٌ» الذي ضَعَفَهُ النجاشي والكشيّ وقال النجاشي عنه إنه لم يسمع من حضرة الصادق (ع) سوى حديثين فقط، وطبقاً لما ذكره الكشيّ لم يكن حضرة الصادق يقبل حضوره في مجلسه^(١). وقال راوي هذه الصلاة أنه بعد السلام فيها يقرأ المُصَلِّي أربع مرّات: "اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً وَلَا أَخْخِذُ مِنْ دُونِهِ وَلِيّاً". ونسأل الشيخ عبّاس: إن كنتَ تقبل هذا الكلام فعلاً وكتبته، فلماذا أوردتَ في المفاتيح أدعيةً وزياراتٍ تجعل فيها كل إمام وحفيد للأئمة ولياً لك بصورة مطلقة؟! أليس اتّخاذ وليّ مطلق سوى الله عمل مخالف لمئات الآيات في القرآن الذي قال مراراً: ﴿مَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٠٧، التوبة ١١٦، العنكبوت ٢٢، الشورى ٣١]. ينبغي أن نقول: إن هؤلاء المُحدِّثين الجاهلين بالقرآن صرفوا همّتهم على نقل الأحاديث والأدعية والزيارات وتدوينها ولم يلتفتوا إلى معارضتها للقرآن ومخالفتها لتعاليمه. ثم روى في الصفحة ١٤١^(٢) دعاء باسم «دعاء أم داود» لم يذكر له الشيخ الطوسي ولا السيد بن طاووس ولا المُجَلِّبِيّ سنداً!

وذكر في الصفحة ١٤٦^(٣) دعاءً بلا سند خاصاً بليلة السابع والعشرين من رجب واعترف بنفسه أن الكفعمي ذكر أن هذا الدعاء خاصّ بليلة ٢٧ من رجب في حين أن ابن طاووس جعله خاصاً بيوم ٢٧ رجب؟! ونقول: لو كان هذا الدعاء وارداً في الشرع لما كان هناك من داعٍ إلى أن يذكر الكفعمي أو ابن طاووس وقته.

وفي الصفحة ١٤٨^(٤) قال بشأن يوم ٢٧ من رجب: «هو من الأعياد العظيمة».

ونقول: لو كان هذا اليوم عيداً لكانت له صلاة كصلاة عيدي الفطر والأضحى في حين أن الأمر ليس كذلك، وَمِنْ تَمَّ فَلَا يَجُوزُ اعتباره عيداً دون دليل شرعيّ فما بالك باعتباره عيداً عظيماً!!

(١) للتعرف على حاله راجعوا كتابنا «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، ص ٥١٩.

(٢) مفاتيح الجنان (المعرب)، ص ٢١٣. (المترجم)

(٣) مفاتيح الجنان (المعرب)، ص ٢٢٠. (المترجم)

(٤) مفاتيح الجنان (المعرب)، ص ٢٢٢. (المترجم)

ثم قال الشيخ عباس: " وفيه كان بعثة النبي ﷺ وهبوط جبرئيل عليه السلام بالرسالة!! " وهذا الكلام لا يتفق مع القرآن لأن القرآن الكريم ذكر لنا أن بعثة رسول الله ﷺ وقعت في شهر رمضان وليلة القدر، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

[بحث في أن بعثة النبي ﷺ وقعت في رمضان وليس في رجب]

للأسف، لقد اضطرت هذه الأحاديث المخالفة للقرآن العلماء الخرافيين إلى أن يُثبتوا، بأنواع المغالطات واستناداً إلى احتمالات ضعيفة، نزولين للقرآن الكريم ويقولون: إن القرآن نزل مرتين على النبي، المرة الأولى نزل دفعةً واحدة، ثم نزل ثانية منجماً خلال ٢٣ عاماً، فكان ينزل على النبي كل مرة جزءاً من آيات القرآن فيقوم حضرته بإبلاغها للناس!

وبالنسبة إلى نزول القرآن دفعةً واحدة لا يُقدّم القائلون بذلك لنا كلاماً واضحاً غير مُبهم ومستند إلى دلائل محكمة قوية، بل ترى كل واحدٍ منهم يقول شيئاً، ولكنهم غالباً ما يستندون إلى الفرق بين فعل «الإنزال» و«التنزيل». فيقولون: بما أن القرآن استخدم في حق القرآن فعل «الإنزال» وفعل «التنزيل» أيضاً فحيثما تكلم عن «إنزال» الكتاب أشار إلى نزول القرآن كله دفعةً واحدة، وحيثما قال «تنزيل» الكتاب كان يُشير إلى نزول القرآن التدريجي!

لكن هذا القول ليس سوى مغالطة لا أكثر. صحيح أن لكل باب من أبواب الفعل الثلاثي المزيد فيه دلالة خاصة، لكن هذا لا يعني أنه لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون لباين من أبواب الفعل الثلاثي المزيد فيه، المعنى ذاته! ولو رجعنا إلى كتب اللغة لرأينا نماذج عديدة لفعل من الأفعال المُجرّدة رُوي بباين من أبواب المزيد فيه مع أن لكلاهما المعنى ذاته! وكمثال على ذلك «أَفْرَغَ» و«فَرَّغَ» اللذان يُفيدان المعنى ذاته. وهناك أمثلة عديدة أخرى على ذلك.

ثانياً: من الواضح أن المطر يهطل بصورة واحدة أي قطرة قطرة أي أنه ينزل بشكل تدريجي ولهذا السبب أطلق عليه «المطر» ولا ينزل أبداً كما ينزل الماء عندما يقلب الإنسان دلواً ويصبُّ ما فيه من ماء! وكذلك جاء في القرآن الكريم بشأن المطر تعبير «تنزيل الماء» [سورة العنكبوت: ٦٣، والزخرف: ١١] ولكن استخدم القرآن أيضاً عن للمطر تعبير «إنزال الماء» [سورة البقرة:

٢٢، الأنعام: ٩٩، إبراهيم ٣٢]، وهذا بحد ذاته يمنعنا من القول: إن معنى «الإنزال» و «التنزيل» مختلف دائماً وأنه لا يجوز استخدام أحدهما بدل الآخر. ولذلك نجد أن الله استخدم الفعلين «الإنزال» و «التنزيل» في بيانه لنزول المائدة السماوية كما قال: ﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِثُونَ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ... قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ... قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ...﴾ [المائدة: ١١٢-١١٥].

ومن الواضح أن المائدة لا تنزل جزءاً جزءاً بل تنزل كلها دفعة واحدة. كما استخدم القرآن تعبير «التنزيل» لبيان نزول كتاب من السماء مكتوباً في قرطاس [سورة النساء: ١٥٣، والأنعام: ٧، والإسراء: ٩٣] واستخدم للحديث عن نزول الملاك تعبير «التنزيل» [الإسراء: ٩٥]^(١).

بل إن القرآن استخدم فعل «الإنزال» بحق نزول سورة واحدة فقط واستخدم لذلك فعل «التنزيل» أيضاً فقال: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ [حول الجهاد] فَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ ﴿مُحَمَّد: ٢٠﴾، كما تمَّ استخدام فعل «التنزيل» في سورة التوبة في الكلام عن نزول سورة واحدة [سورة التوبة: ١٢٤ و ١٢٧].

حتى أن الله استخدم فعل «التنزيل» للكلام عن نزول القرآن جملةً واحدةً فقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان: ٣٢].

وهذه الآية الأخيرة كما نلاحظ ردّت على من اقترح نزول القرآن جملةً واحدةً وبيّنت سبب عدم نزوله كذلك ولم تقل: بلى إن القرآن نزل مرةً جملةً واحدةً ولكنكم لا تعلمون ذلك!^(٢) ثالثاً: استخدم القرآن أيضاً فعلي «الإنزال» و «التنزيل» بحق التوراة [سورة آل عمران: ٣ و ٩١] مع أنه لم يدع أحد أن للتوراة نزولين أيضاً.

(١) لاحظوا أن القرآن استخدم فعل «التنزيل» للحديث عن نزول ملاك واحد لا نزول الملائكة، فلا مجال للقول بأن المقصود نزول الملائكة بشكل تدريجي متتابع. (فتأمل)

(٢) راجعوا ما ذكرناه في تفسيرنا «تابشي از قرآن» [شعاع من القرآن] حول هذه الآية.

رابعاً: لو كان القرآن قد نزل دفعةً واحدةً على قلب النبيّ لما فوجئ النبيّ ليلة القدر من شهر رمضان عندما هبط جبريل عليه بآية: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ولما سأل النبيّ: ماذا أقرأ؟ ولما رجع إلى بيته وهو يقول: «زملوني زملوني» بعد أن نزلت عليه الآيات الأولى من سورة العلق (راجعوا تفسير سورة المزمل والمدثر في «مجمع البيان»)، ولما استعجل بتحريك لسانه في قراءة ما يقرأه جبريل عند نزول القرآن التدريجي عليه (راجعوا تفسير سورة القيامة في «مجمع البيان»)، ولما قبل عذر من اعتذر عن الخروج يوم تبوك قبل التحقق من صدقه [سورة التوبة: ٤٣] ولما حرّم على نفسه ما أحلّ الله له [سورة التحريم: ١ و ٣] ولما شاور أحداً في واقعة الإفك بحق عائشة ليتحقق من الأمر (راجعوا تفسير الآيات من ١١ حتى ١٥ من سورة النور في «مجمع البيان»)، لأنه لو كان القرآن قد نزل عليه كله من قبل لعلم بنهايات كل تلك الأمور. وهناك أمثلة عديدة على ذلك في القرآن الكريم. أضف إلى ذلك أن في القرآن آيات لو فرضنا أنها نزلت دفعةً واحدةً لما كانت متفقة مع الواقع الخارجي مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ [ال عمران: ١٢٣]، وقوله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١]، أو قوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ [عبس: ١، ٢] ففي مثل هذه الموارد تمّ بيان الوقائع بفعل الماضي مع أنها لم تقع بعد وهذا خلاف الواقع والكل يعلم أن الإخبار عن فعل ما قبل وقوعه باستخدام الزمن الماضي غير صحيح.

خامساً: يُطلق على كل جزء من القرآن اسم «القرآن» أيضاً ولذلك فلا مانع من أن يُعبّر عن بدء نزول جزء من القرآن بإنزال القرآن.

وينبغي أن نتنبه إلى أن بعثة النبيّ هي ابتداء نزول آيات القرآن الكريمة (الآيات الأولى من سورة العلق) عليه ﷺ وكان ذلك في شهر رمضان، ومن ثمّ فقول الشيخ عبّاس القمّيّ عن يوم ٢٧ رجب: " وفيه كان بعثة النبيّ ﷺ وهبوط جبرئيل عليه السلام بالرسالة" (١)!! غير صحيح (٢).

(١) مفاتيح الجنان (الفارسي)، ص ١٤٨. ومفاتيح الجنان (المعرب)، ص ٢٢٢.

(٢) راجعوا كتاب «زيارت وزيارتنامه»، ص ١٣٥ فما بعد.

بناءً على ما تقدّم فإن ما قيل في الباب السادس من المفاتيح حول «زيارة ليلة المبعث ويومه» خرافة لا أساس شرعي لها لأن المبعث لم يكن في شهر رجب أصلاً.

ورغم أن الشيخ عباس أورد دعاءً جيداً في آخر الفصل المتعلّق بشهر شعبان ذكر فيه أن القرآن نزل في شهر رمضان^(١)، إلا أنه اعتبر هنا أن البعثة وقعت في شهر رجب! في ذلك الدعاء المشار إليه قال الإمام الصادق عليه السلام: "اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ الْمُبَارَكَ الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنَ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ قَدْ حَضَرَ".

وبالنسبة إلى ثواب الصوم في شهر رجب رُوِيَتْ أحاديث عديدة منها ما رواه «ابن عياش الجوهري»^(٢) مختل العقل عن النبي أنه قال: "إِنَّ رَجَبًا شَهْرٌ عَظِيمٌ مَنْ صَامَ مِنْهُ يَوْمًا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ صَوْمَ أَلْفِ سَنَةٍ، وَمَنْ صَامَ مِنْهُ يَوْمَيْنِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ صَوْمَ أَلْفِي سَنَةٍ، وَمَنْ صَامَ مِنْهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ صَوْمَ ثَلَاثِ آلَافِ سَنَةٍ"!!!^(٣)

ورَوَوْا أيضاً أن الإمام الصادق عليه السلام قال: "فِي السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْهُ [أي من شهر رجب] نَزَلَتْ النُّبُوَّةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَمَنْ صَامَ هَذَا الْيَوْمَ كَانَ ثَوَابُهُ ثَوَابَ مَنْ صَامَ سِتِّينَ شَهْرًا"^(٤).

ورَوَوْا أيضاً أن الإمام الصادق والإمام الرضا - عليهما السلام - قالوا: "فَصَوْمُ ذَلِكَ الْيَوْمِ [أي ٢٧ رجب] كَصَوْمِ سَبْعِينَ عَامًا"^(٥).

وقد اختار الشيخ عباس من هذه المجموعة من الأحاديث الثلاثة في كتابه (ص ١٤٨)^(٦) رواية السبعين عاماً، واعتبر أن صيام يوم ٢٧ من رجب يعدل صيام سبعين سنة!! وللأسف لم

(١) مفاتيح الجنان (الفارسي)، ص ١٦٩ و ١٧٠. ومفاتيح الجنان (المعرب)، ص ٢٤٤.

(٢) راجعوا الكتاب الحالي، حاشية الصفحة ٢٣٨.

(٣) بحار الأنوار، ج ٩٤، ص ٥٤ و ٥٥.

(٤) بحار الأنوار، ج ٩٤، ص ٣٥، وسائل الشيعة، ج ٧، ٣٣٠.

(٥) بحار الأنوار، ج ٩٤، ص ٣٥.

(٦) مفاتيح الجنان (المعرب)، ص ٢٢٢، تحت عنوان: «يوم المبعث: اليوم السابع والعشرون».

يُفَكِّرُ بِأَنَّ اللَّهَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ ذَا الْفَضْلِ الْعَظِيمِ قَالَ: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا» [الانعام: ١٦٠] أي أنه إذا وقع عمل الخير موقع القبول مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَعَالَى أُعْطِيَ عَلَيْهِ عَشْرَةَ أَمْثَالِهِ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ. وَبِنَاءٍ عَلَى ذَلِكَ فَتِلْكَ الْأَحَادِيثُ الَّتِي تُعْطِي ثَوَابَاتٍ جُزْأً بِلَا مِيزَانَ وَلَا حِسَابٍ لَا يُمَكِّنُ الْوَثُوقَ بِهَا. لَكِنْ لِلْأَسْفَلِ لَمْ يَكُنْ لِلشَّيْخِ عَبَّاسٍ مَعْرِفَةٌ كَافِيَةً بِالْقُرْآنِ.

في هذه الأيام لا أملك القدرة على تمحيص أسانيد كل رواية من الروايات التي ذكرها الشيخ عباس حول أعمال شهر رجب أو سائر الشهور، إضافةً إلى أنني لو أردت أن أُحْصِيَ جَمِيعَ الرِّوَايَاتِ وَالْأُمُورِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْمَفَاتِيحِ لِأَدَّى ذَلِكَ إِلَى أَنْ يُصْبِحَ كِتَابِي هَذَا كِتَابًا ضَخْمًا وَمُفَصَّلًا جَدًّا وَلَا صَبِحَ مُمَلًّا لَكَثِيرٍ مِنَ الْقُرَّاءِ لِذَلِكَ سَأَكْتَفِي فِي كُلِّ فِصْلٍ وَبَابٍ مِنْ فِصُولِ الْمَفَاتِيحِ وَأَبْوَابِهِ بِتَمْحِيصٍ وَنَقْدٍ بَعْضٍ مَا فِيهِ تَوْعِيَةٌ لِلْقُرَّاءِ وَلِيَكُونَ ذَلِكَ نَمُودَجًا لِلْبَقِيَّةِ. وَيَنْبَغِي أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ أَكْثَرَ مَا لَمْ نَذْكُرْهُ لَيْسَ لَهُ وَضْعٌ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ! وَيُمْكِنُ لِأَهْلِ التَّحْقِيقِ أَنْ يُحَقِّقُوا بِأَنْفُسِهِمْ فِي الْمَطَالِبِ الَّتِي لَمْ تُذْكَرْ هُنَا وَيُنَبِّهُوا الْآخَرِينَ بِشَأْنِهَا.

ولكن قبل الانتقال إلى الموضوعات المتعلقة بشهر «شعبان» أرى من الواجب عليّ أن أقول كلمةً بشأن ما قاله الشيخ عباس نقلاً عن كتاب «رحلة ابن بطوطة» (أعمال ليلة المبعث، ليلة السابع والعشرين من شهر رجب، ص ١٤٥ فما بعد)^(١). وقد أشار إلى كتاب «رحلة ابن بطوطة» أيضاً في الصفحة ٣٨٦ قبل بداية الفصل الخامس من الباب الثالث من المفاتيح^(٢).

[تعليق على ما ذكره ابن بطوطة في كتاب رحلته]

كتب الشيخ عباس يقول:

"واعلم أن أبا عبد الله محمد بن بطوطة الذي هو من علماء أهل السنة وقد عاش قبل ستّة قرون قد أتى بذكر المرقد الطاهر لمولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) في رحلته المعروفة باسمه (رحلة ابن بطوطة) عندما ذكر دخوله مدينة النجف الأشرف في عودته من مكة المعظمة، فقال:

(١) مفاتيح الجنان (المعرب)، ص ٢١٩.

(٢) مفاتيح الجنان (المعرب)، ص ٥٠١.

وأهل هذه المدينة كلهم رافضية وهذه الروضة ظهرت لها كرامات، منها أن في ليلة السابع والعشرين من رجب وتسمى عندهم ليلة المحيا يؤتى إلى تلك الروضة بكل مقعد، من العراقيين وخراسان وبلاد فارس والروم، فيجتمع منهم الثلاثون والأربعون ونحو ذلك، فإذا كان بعد العشاء الآخرة جعلوا فوق الصريح المقدس والناس ينتظرون قيامهم وهم ما بين مصلى وذاكر وتال ومشاهد الروضة، فإذا مضى من الليل نصفه أو ثلثاه أو نحو ذلك قام الجميع (!!؟) أصحاء من غير سوء، وهم يقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله، وهذا أمر مستفيض عندهم سمعته من الثقات ولم أحضر تلك الليلة، لكنني رأيت بمدرسة الضياف ثلاثة من الرجال، أحدهم من أرض الروم، والثاني من أصفهان، والثالث من خراسان، وهم مقعدون فاستخبرتهم عن شأنهم فأخبروني أنهم لم يدركوا الليلة المحيا، وإنهم مُتظرون أوانها من عام آخر، وهذه الليلة يجتمع لها الناس من البلاد خلق كثير، ويقيمون سوقاً عظيمة مدة عشرة أيام. (انتهى كلام ابن بطوطة)

أقول: لا تستبعد هذا الحديث فإن ما برز من هذه الروضات الشريفة من الكرامات الثابتة لنا عن طريق التواتر تفوق حد الإحصاء، وهذا شهر شوال من السنة الماضية سنة ألف وثلاثمائة وأربعين قد شاهد الملا فيه معجزة باهرة غير قابلة للأفكار ومن المرقد الطاهر لإمامنا ثامن الأئمة الهداة، وَصَامِنُ الْأُمَّةِ الْعَصَاةِ (!!؟) مولانا أبو الحسن علي بن موسى الرضا - صلوات الله عليه -، فثلاث نسوة مقعدة مصابة بالفالج أو نظائره قد توصلن بهذا المرقد الشريف والأطباء ودكاترة الطب كانت قد أبدت عجزها عن علاجهن، فبان ما رزقن من الشفاء للملا ناصعاً كالشمس في السماء الصّاحية، وكمعجزة انفتاح باب مدينة النّجف على أعراب البادية، وقد تجلّت هذه الحقيقة للجميع فأمن بها على ما حكى حتى دكاترة الطبّ الواقفين على أماكن مصابة به من الأسقام، فأبدوا تصديقهم لها مع شدة تبيّنهم للأمر ورقّتهم فيه، وقد سجّل بعضهم كتاباً يشهد فيه على ما رزقن من الشفاء.... الخ" ^(١). (انتهى كلام الشيخ عباس القمي).

(١) مفاتيح الجنان، ص ١٤٥ و ١٤٦. وفي مفاتيح الجنان (المعرب)، ص ٢١٩ - ٢٢٠.

ونقول:

أولاً: ليس من المعلوم دفن حضرة أمير المؤمنين علي عليه السلام في هذا المرقد المشهور في النجف^(١).
ثانياً: ابن بطوطة كما قال عنه المترجم الفاضل لرحلته: "رغم أنه كان من الفقهاء والقضاة إلا أنه لم يكن من أهل النظر والتعمق في دقائق العلوم ومشكلاتها"^(٢). وَمِنْ ثَمَّ فَنسبة كلام إليه لا يُعطي هذا الكلام أي اعتبار وموثوقية.

ثالثاً: قال مترجم رحلة ابن بطوطة: "يمتاز كتاب «رحلة ابن بطوطة» ويتفوق على سائر كتب الرحلات الإسلامية في أمرين..... الثاني: من ناحية صدقه في بيان أوضاع البلدان التي رآها وأحوالها، وما قام به من تسجيل وتوثيق وتصوير لعادات الشعوب الذين صادفهم في خط سيره الطويل وتقاليدهم وطقوسهم..... في الواقع يُعتبر كتاب «رحلة ابن بطوطة» مرآة تعكس حياة مُعاصريه بكل مظاهرها الحسنة والسيئة ويشتمل على جميع الطقوس والآداب التي كانت شائعة في زمنه"^(٣).

بناءً على ذلك نقل «ابن بطوطة» الشائعات التي كان يتداولها الناس في المناطق التي زارها، ولكنه -كما صرح بذلك - لم يُشاهد بعينه شفاء أحد من الناس كما لم يتكلم مباشرة مع أي شخص من الذين نالوا الشفاء.

ولدينا تجربة مع مثل هذه الشائعات المشتهرة بين الناس التي تتجاوز أحياناً حد الاستفاضة!! ففي سنة ١٣٥٧ هجرية شمسية^(٤) شاع بين الناس أن ظلَّ وجه آية الله الخميني قد تمت مشاهدته على القمر، ولم يُنكر أحد ذلك ولم يستبعده! أو شاع بين أهالي شيراز وأهالي قرية «آباد» خبر عن إمام الزمان، وقد بيننا حقيقة ذلك في كتابنا «سوانح أيام» (ص ٣٤). إن مثل هذه الشائعات تنتشر بين عوام الناس انتشار النار في الهشيم وتصل إلى حد الاستفاضة بل التواتر (!!!). لذلك

(١) حول هذا الموضوع من الضروري مراجعة كتاب «زيارات وزيارتنامه» ص ١٠٧ إلى ١١٣.

(٢) سفرنامه (رحلة) ابن بطوطة، ترجمة محمد علي موحد، بنگاه ترجمة ونشر كتاب، ص ١٠.

(٣) سفرنامه (رحلة) ابن بطوطة، ص ٩ و ١٠.

(٤) يطابق سنة ١٩٧٨ ميلادية. (المترجم)

لا ينبغي قبول مثل هذه المتواترات المخالفة للشرع دون تأمل وتحقيق^(١)، لأنها في الواقع ليست متواترة حقيقةً بل شبه متواترة. (فتأمل)^(٢).

رابعاً: إن اعتقاد الناس بالشفاء ببركة المرقد المشهور في النجف مشابه لعقيدة الناس تجاه منارة مسجد البصرة المتحرّكة. لقد كتب ابن بطوطة عن ذلك يقول:

"ولهذا الجامع سبع صوامع، إحداها الصومعة التي تتحرك بزعمهم، عند ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه. صعدت إليها من أعلى سطح الجامع، ومعني بعض أهل البصرة، فوجدت في ركن من أركانها مقبض خشب مسمراً فيها، كأنه مقبض مملسة البناء. فجعل الرجل الذي كان معي يده في ذلك المقبض، وقال: بحق رأس أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، تحركي، وهزّ المقبض، فتحركت الصومعة، فجعلت أنا يدي في المقبض وقلت له، وأنا أقول: بحق رأس أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ تحركي، وهزّزت المقبض فتحركت الصومعة فعجبوا من ذلك.

وأهل البصرة على مذهب السنة والجماعة، ولا يخاف من يفعل مثل فعلي عندهم، ولو جرى مثل هذا بمشهد الحسين، أو بالحلة، أو بالبحرين، أو قم، أو كاشان، أو ساوة، أو آوة، أو طوس، لهلك فاعله، لأنهم رافضة غالية"^(٣).

خامساً: بالنسبة إلى الأمور التي ذكرها الشيخ عبّاس عن حرم الإمام الرضا (ع) نُحيل القراء المحترمين إلى كتاب «زيارات وزيارتنامه» [زيارات المزارات وأدعية الزيارات] (ص ٣٥٧ فما بعد)، وتؤكد هنا أن هناك فوائد مادية ومالية كثيرة تترتب على إشاعة مثل هذه الأخبار لذلك فإن مثل هذه المنقولات والمشهورات لا يمكن الوثوق بها في الغالب. قال ابن بطوطة بشأن ضريح النجف:

"..... ثم يدخل القبّة^(٤) وهي مفروشة بأنواع البسط من الحرير وسواه، وبها قناديل الذهب

(١) حول مخالفة هذه الأقوال للشرع راجعوا البند التاسع في هذا الفصل.

(٢) إن قراءة ما ذكرناه في الصفحات من ١٤٨ إلى ١٥٦ من الكتاب الحاضر مفيدة.

(٣) سفرنامه (رحلة) ابن بطوطة، ص ١٧٧.

(٤) يقصد بالقبّة الفناء الداخلي الذي فيه الضريح الواقع تحت القبّة.

والفضة، منها الكبار والصغار. وفي وسط القبة مسطبة مربعة مكسوة بالخشب، عليه صفائح الذهب المنقوشة المحكمة العمل، مسمرة بمسامير الفضة، قد غلبت على الخشب بحيث لا يظهر منه شيء. وارتفاعها دون القامة، وفوقها ثلاثة من القبور، يزعمون أن أحدها قبر آدم (ع)، والثاني قبر نوح (ع)، والثالث قبر علي (ع) وبين القبور طسوت ذهب وفضة فيها ماء الورد والمسك وأنواع الطيب يغمس الزائر يده في ذلك ويدهن به وجهه تبركاً!

وللقبة باب آخر عتبه أيضاً من الفضة وعليه ستور الحرير الملون يفضي إلى مسجد مفروش بالبسط الحسان، مستورة حيطانه وسقفه بستور الحرير، وله أربعة أبواب، عتباتها فضة وعليها ستور الحرير.

وأهل هذه المدينة كلهم رافضية. وهذه الروضة ظهرت لها كرامات ثبت بها عندهم أن بها قبر علي (ع)، فمنها أن في ليلة السابع والعشرين من رجب وتُسَمَّى عندهم ليلة المحيا.....^(١). ثم ذكر تلك الأمور التي نقلها الشيخ عباس أنفأ، وقال:

"وهذه الليلة [أي ليلة المحيا] يجتمع لها الناس من البلاد، ويُقيمون سوقاً عظيمة مدة عشرة أيام..... ومن الناس في بلاد العراق وغيرها من يصيبه المرض فينذر للروضة [أي روضة عليّ (ع)] نذراً إذا برئ، ومنهم من يمرض رأسه فيصنع رأساً من ذهب أو فضة ويأتي به إلى الروضة، فيجعله النقيب في الخزانة. وكذلك اليد والرجل وغيرهما من الأعضاء. وخزانة الروضة عظيمة فيها من الأموال ما لا يُضبط لكثرتة"^(٢). اهـ.

سادساً: ما أحسن ما قاله أخونا الفاضل الأستاذ السيد مصطفى الحسيني الطباطبائي - حفظه الله تعالى - أنه من الأولى أن يستدل كل مذهب - لاسيما في المسائل المتعلقة بالتوحيد ومسائل الدين الأصلية بالدلائل القطعية والواضحة أو بالأدلة العقلية المحضة أو بآيات الكتاب الإلهي

(١) لا يُستبعد أن تكون أيدي الثقباء ومسؤولي إدارة الحرم هي التي تعمل بالخفاء من وراء الكواليس، وقد بينا ما يُشبه ذلك في الصفحات ٣٥٨ و ٣٥٩ من كتاب «زيارات و زيارتنامه» [زيارات المزارات وأدعية الزيارات]. والصفحات من ٢١ إلى ٢٥ من الكتاب الحاضر.

(٢) سفرنامه (رحلة) ابن بطوطة، ص ١٦٦ و ١٦٧.

الصریحة كي لا يكونوا مصداقاً للآية الكريمة التي تقول: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَدِّدُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ... وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَدِّدُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [الحج : ٣-٨]، وإلا فإن التثبث بمثل هذه الأخبار والقصص لا يفيد أي مذهب أو مرام، لأن أهل كل فرقة ومذهب يروون عن أئمة دينهم العظماء الكبار مثل هذه العجائب والكرامات بل لا يخلو العالم غير الإسلامي الذي نُسخَت مِلَّةُ وأمرنا أن ندعوهم إلى الإسلام من مثل هذه القصص والأخبار. فعلى سبيل المثال كتبوا عن «بلزپاسكال» العالم والمفكر الفرنسي المشهور في القرن السابع عشر:

"..... كان پاسكال يسعى في بداية فترة تحوله الديني إلى أن يجعل أخته ووالده وجميع أفراد أسرته يعتقدون ما آمن به، والآن يسعى لجذب أصدقائه نحو عقيدته..... وكرّس كل همّه لتأليف كتاب كبير باسم «مدح المسيحية» وكان قصده من تأليف ذلك الكتاب أن يُفحم الملاحدة ويُرشدهم ويحثهم على تغيير عقيدتهم.... وفي ٢٤ مارس (آذار) كان أفراد دير [پور رويال] يزورون شجيرة شوك تُمكّل تاج عيسى. وعندما وصل الدور إلى مارجريت [الحورية، وهي ابنة أخت پاسكال التي كانت تُعاني من مرض في العين] كي تجثو على ركبتها [أمام تاج الشوك] مسحت عينها بشجيرة الشوك فشُفيت على الفور! وقد وقعت معجزات مشابهة أخرى في الأيام التالية لذلك اليوم على نحو أخذ الناس يتصوّرون شيئاً فشيئاً أن عناية الله قد شملت حال دير [پور رويال] لأن شجيرة الشوك تلك قد صنعت من قبل مثل تلك الشفاءات العجيبة..... وقد أدّت معجزة القديسة ايبين في دير [پور رويال] إلى ازدحام عجيب في ذلك الدير....."^(١).

أو أنه في النصف الثاني للقرن التاسع عشر الميلادي ادّعت امرأة تُدعى «برناديت سوبيرو» (وُلدت عام ١٨٤٤م وتُوفيت عام ١٨٧٩م) في مدينة «لور» التي تقع في فرنسا وعدد سكانها يُقارب العشرين ألف نسمة، أن السيدة الجليلة قد ظهرت لها. وقد فسّر الناس أن المقصود من السيدة المذكورة حضرة مريم العذراء -عليها السلام-!! فقاموا ببناء مزار في المكان الذي تحدثت

(١) فلاسفة بزرگ [الفلاسفة العظام]، تأليف آندريه كرسون، ترجمة كاظم عمادي، انتشارات صفی علیشاه، ج

عنه السيدة «برناديت» وأصبح معروفاً جداً، ولا يوجد وبالطبع أحد مدفون في ذلك المزار.

في هذا المعبد كلما نال شخص الشفاء في حضور جماعة من الشهود كُتِبَ في دفتر خاص وُضِعَ هناك محضر جلسة في ذلك و وقَّع عليه أولئك الشهود الذين شهدوا حادثة الشفاء. وهناك أمثلة كثيرة على مثل هذا الأمر. بناءً على ذلك هل تقبلون أن يُقال لكم: إذا كان إمامكم يصنع معجزات عجيبة فإن لدينا تاج شوك ومكان ظهر فيه شخص عظيم، يصنعان معجزات أيضاً، فتعالوا وآمنوا بديننا!!!".

وكتب «ابن بطوطة» يقول:

"يُحكى أن الشيخ الولي أحمد الرفاعي رضي الله عنه كان مسكنه بأم عبيدة [قرية] بمقربة من مدينة واسط..... وكانت محلاً لاجتماع الصوفية وال دراويش".

قال ابن بطوطة عن أولئك الجماعة:

".....ولما انقضت صلاة العصر ضربت الطبول والدفوف، وأخذ الفقراء في الرقص، ثم صلوا المغرب وقدموا السماط، وهو خبز الأرز والسمك واللبن والتمر، فأكل الناس، ثم صلوا العشاء الآخرة، وأخذوا في الذكر، والشيخ أحمد قاعد على سجادة جدّه المذكور، ثم أخذوا في السماع، وقد أعدوا أحمالاً من الحطب فأججوها ناراً، ودخلوا في وسطها يرقصون ومنهم من يتمرغ فيها ومنهم من يأكلها بضمه حتى أطفأها جميعاً وهذا دأبهم. وهذه الطائفة الأحمدية مخصوصون بهذا، وفيهم من يأخذ الحيّة العظيمة فيعض بأسنانه على رأسها حتى يقطعها"^(١).

أو قال ابن بطوطة عن الجماعة الذين شاهدتهم قرب «نهر السرور»:

".....ووصل إلى هنالك جماعة من الفقراء [أي الصوفية الدراويش] في أعناقهم أطواق الحديد وفي أيديهم، وكبيرهم رجل أسود حالك اللون. وهم من الطائفة المعروفة بالحيدرية. فباتوا عندنا ليلة، وطلب مني كبيرهم أن آتية بالحطب ليوقدوه عند رقصهم، فكلفت والي تلك الجهة..... أن يأتي بالحطب فوجه منه عشرة أحمال، فأضرموا فيه النار بعد صلاة العشاء الآخرة

(١) سفرنامه (رحلة) ابن بطوطة، ص ١٧٤ و ١٧٥.

حتى صارت جمرًا، وأخذوا في السماع، ثم دخلوا في تلك النار. فما زالوا يرقصون ويتمرغون فيها. وطلب مني كبيرهم قميصاً، فأعطيته قميصاً في النهاية من الرقة، فلبسه وجعل يتمرغ به في النار ويضربها بأكمامه حتى طفئت تلك النار، وخمدت. وجاء إليّ بالقميص، والنار لم تُؤثّر فيه شيئاً البتة. فطال عجبني منه" (١).

لا يذهبن بكم الظن أنني أريد أن أعتبر أن جميع حالات الشفاء تلك هي بلا استثناء كذب، بل ما أرمي إليه هو أن لا نغفل عن الحالات غير الموثوقة لمثل هذه الأخبار. أما بالنسبة إلى حالات الشفاء الصادقة فينبغي أن نتنبه إلى أن مثل هذه الوقائع إنما تنشأ من الهيجان والتحوّلات الداخلية التي تعترى نفوس أتباع كل دين من الأديان فتحدث أثرها في جسمه، ولا يُمكننا أن نعتبر مثل هذه الوقائع دليلاً على حقانية دين من الأديان أو مذهب من المذاهب. وأذكر أنني في الأيام التي كنت أدرّس فيها قال لي أحد طلاب الصف أن أحد أقربائه أصيب أثناء مشاهدته لمباراة كرة قدم بالعمى لشدة الهياج! وقد قال الأطباء إن عماء ليس له علة جسمية بل نتيجة الصدمة والهياج وأنه من الممكن إذا تعرّض إلى حالة مشابهة من الهياج والصدمة بالقوة ذاتها أن يعود إليه بصره. فالشفاء أو تغير الحال المفاجئ ينشأ في كثير من الحالات نتيجة التهيج والهزة العاطفية والاختلاجات النفسية. بناءً على ذلك ليس مستبعداً أبداً أن يتأثر فرد خرافي وحساس من الحضور في مكان خاص فتتحرك مشاعره وأحاسيسه بشدة ويدخل في حالة من الهياج النفسي، وبالنتيجة يحدث فيه تغير مفاجئ.

ولا شك ولا ريب أن كل الوقائع التي تحدث في العالم سواء كانت حسنة أم سيئة إنما تتحقق بإذن الله وتدييره، وما من شيء يخرج عن إحاطة الله وقيوميته، ولكن لما كانت مثل هذه الوقائع غير العادية والخارقة منوطة بالإذن الإلهي الخاص فقط، (مثل معجزات الأنبياء والتغيرات المفاجئة وحالات الشفاء الخارقة للعادة وغير المقيّدة بأصول الطب^(٢) و.....) ولا دخل لسائر الموجودات فيها ولو على نحو مقيّد، لذلك ففي نظرنا، لا بُدَّ علينا - نحن الذين نتبع القرآن - أن

(١) سفرنامه (رحلة) ابن بطوطة، ص ١٧٤ و ١٧٥.

(٢) لأن الشفاء المستند إلى استخدام أصول علم الطب العادية يتعلق بالإذن الإلهي العام.

نعتبر مثل هذه النعم -ومن جملتها نعمة السلامة- عطاءً مباشراً من الله من دون واسطة، وأن نقول مُتَّبِعِينَ لما قاله حضرة سليمان (ع): ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠] حتى لا يشملنا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [النمل: ٧٣]، وكى لا نكون من الذين قال تعالى عنهم: ﴿فَلَمَّا ءَاتَيْنَهُمَا [أي الله] صَالِحًا [أي ولدًا صالحًا] جَعَلَا لَهُ [أي لله] شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَيْنَهُمَا فَتَعَلَّىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣٧﴾ [الاعراف: ١٩٠]، أو قال عنهم أنهم عندما ننجيهم من الضيق والهلاك في الصحراء أو في البحر أو في العاصفة يجعلون لنا شركاء في هذه النعمة التي أنعمناها عليهم [الأنعام: ٦٣ و ٦٤، النحل: ٥٣ إلى ٥٥، الإسراء: ٦٦ و ٦٧، العنكبوت: ٦٥]»^(١). (إلى هنا انتهى كلام السيد مصطفى الطباطبائي)

تاسعاً: إن ادّعاءكم هذا مخالف للشرع ومخالف للتوحيد لأننا كما قلنا في تفنيدينا للشبهة السادسة (في الصفحة ١٦٥ فما بعد)، كل طلب للشفاء، بل كل طلب لشيء من أحد سوى الله على نحو غير مُقَيَّدٍ شَرَكٌ، ويجب أن لا نُخَدِّعَ بقول من يقول: «ما الفرق بين الاستمداد من الطبيب الجراح وطلب العون منه لإجراء عملية الزائدة الدودية والاستمداد من جبريل؟!» لأن استمدادنا من الطبيب -أو حتى من الأنبياء والأئمة في زمن حياتهم الدنيوية- محدود ومشروط بقيود كثيرة فنحن نستعين بغير الله ضمن الحدود والشروط والقيود المذكورة، أما الكيفية التي يدعو الناس فيها الأئمة فهي غير مُقَيَّدَةٍ، وكما ذكرنا فيما سبق المعين والمجيب غير المُقَيَّدِ والمُطْلَقِ والمُجَرَّدِ من جميع الحدود هو الله وحده فقط لا غير.

فعلى سبيل المثال لا أحد يطلب من الكَحَّال سلامة معدته أو يتوقع منه قبوله في الجامعة، كما لا يتوقع أحد من طبيب الأسنان علاج مرض عينيه، ولا يطلب أحد من الطبيب أو من الخباز أن يجد ابنه الضائع أو يعود من سفره سالماً! كما أن من يطلب من الطبيب أو من الخباز شيئاً إنما يطلبه من مسافة مُحدَّدة وعندما يكون الطبيب أو الخباز مستيقظاً واعياً ولا يتوقع أن يتمكن الطبيب من

(١) لقد ذكرنا نصوص هذه الآيات في الصفحات ١٢٥ من الكتاب الحاضر.

معالجته أو شفائه دون الاستفادة من القواعد الطبية، وأمثال هذه القيود والشروط..... لأنه يعتبر أولئك الأشخاص أشخاصاً ذوي قدرة وأهلية محدودة ومُقيّدة. (فتأمل).

أما الناس لدينا فيطلبون حاجاتهم دون أي قيد أو حدود أو شرط في كل زمان وفي أي مكان مجتمعين ومتفرّقين أياً كانت تلك الحاجات من الإمام، وإن كانوا في مرقد طافوا حول المرقد واعتبروا أن الإمام حاضراً وناظراً يُشاهدهم ويسمع كلامهم!! ولا يعتقدون أن وجود مسافة بعيدة بينهم وبين الإمام تُشكّل مانعاً أو عائقاً يمنع سماعه لدعائهم واستعانتهم!!

بناءً على ما ذكر في البند «و» في فصل «تذكير مهم حول توحيد العبادة» (ص ١١٦ إلى ١٢٣) إذا كان النبي الأكرم ﷺ لا يستطيع أن يوصل كلامه إلى من رحلوا عن هذه الدنيا الفانية فمن باب أولى أن لا نستطيع نحن أن نوصل كلامنا إليهم.

وإذا كانت الملائكة لا تنزل على النبي طبقاً لرغبته - كما لم تنزل عليه في فترة انقطاع الوحي رغم رغبته في ذلك^(١) - فإنها قطعاً لن تنزل علينا برغبتنا، كي توصل رسالتنا إلى الأنبياء والأولياء. وقد قال القرآن الكريم عن الملائكة: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]. أي أن الماضي والحاضر والمستقبل بيد الله وحده وهو المحيط بنا وبكل شيء وهو الذي يعلم متى يُنزلنا. وقال تعالى أيضاً: ﴿لَا يَسْئَلُونَكَ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٣٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ أَرَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الانباء: ٢٧، ٢٨]. أي أن الملائكة لا يقومون بعمل إلا إذا أمرهم الله به، إلى درجة لا يتكلمون دون إذن من الله. (وراجعوا أيضاً الآية ٣٨ من سورة النبأ).

لهذا السبب فإن أمة الإسلام مُتَّفقة ومُجمعة ولِلَّهِ الحمد على عدم دعاء الملائكة وليس بينها أي خلاف في ذلك، فلا أحد يقول: يا ميكائيل افتح لي باب الرزق، أو يا جبريل اشفع لنا عند الله، لأن الكل يعلم أن الملائكة عباد مأمورون مُطيعون لأمر الله لا يتنزلون إلا بأمره ولا يقومون

(١) راجعوا تفسير سورة الضحى وتفسير الآيات ٩ إلى ١٣ من سورة الكهف في تفسير «مجمع البيان» للطبرسي.

بأيّ عمل بطلبنا ورغبتنا.

والأنبياء والأولياء بإجماع أمة الإسلام رحلوا عن هذه الدنيا الفانية إلى الدار الباقية. بناءً على ذلك لا نملك إمكانية الاتصال بهم.

يقول حضرة أبو الأنبياء إبراهيم (ع) - ومقامه أعلى وأرفع من كل إمام - وهو أسوة المؤمنين جميعهم: «وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٥﴾» [الشعراء: ٨٥]. ونحن نقرأ في الدعاء: "يَا طَيِّبُ مَنْ لَا طَيِّبَ لَهُ..... يَا مَنْ لَا يَصْرِفُ السُّوءَ إِلَّا هُوَ"^(١). ولكنكم هنا تقولون: إن قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام أو قبر حضرة الرضا (ع) محلّ للشفاء؟!!

وليت شعري! لماذا تشفي قبور السيد نصر الدين في طهران أو السيد جلال الدين أشرف في جيلان أو قبر أحمد بن موسى المعروف بشاهچراغ في شيراز و..... ولا تشفي قبور جناب «زيد بن علي» أو جناب «النفس الزكية» أو جناب «الحسين بن علي» المشهور بشهيد فنج و..... - رضوان الله عليهم-!!؟ (فتأمل).

لقد كان حضرة الرضا (ع) يقول في دعائه الله تعالى: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِينَ ادَّعَوْا لَنَا مَا لَيْسَ لَنَا بِحَقِّكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا فِيْنَا مَا لَمْ نَقُلْهُ فِي أَنْفُسِنَا، اللَّهُمَّ لَكَ الْخَلْقُ وَمِنَكَ الرَّزْقُ وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [الفاحة: ٥]..... اللَّهُمَّ لَا تَلِيْقُ الرُّبُوبِيَّةُ إِلَّا بِكَ وَلَا تَصْلُحُ الإِلَهِيَّةُ إِلَّا لَكَ فَالْعَنِ النَّصَارَى الَّذِينَ صَعَّرُوا عَظْمَتَكَ وَالْعَنِ الْمُضَاهِيَةَ لِقَوْلِهِمْ مِنْ بَرِيَّتِكَ، اللَّهُمَّ إِنَّا عبيدك وأبناء عبيدك، لَا نَمْلِكُ لِأَنْفُسِنَا نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَلَا مَوْتًا وَحَيَاةً وَلَا نُشُورًا، اللَّهُمَّ..... مَنْ رَعَمَ أَنْ إِلَيْنَا الْخَلْقُ وَعَلَيْنَا الرَّزْقُ فَنَحْنُ بِرَاءٍ مِنْهُ كِبْرَاءَةَ عَيْسَى (ع) مِنَ النَّصَارَى، اللَّهُمَّ إِنَّا لَمْ نَدْعُهُمْ إِلَى مَا يَزْعُمُونَ فَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا يَقُولُونَ وَاعْفِرْ لَنَا مَا يَدْعُونَ"^(٢).

كما قال حضرة الإمام الصادق عليه السلام: "قَوَّ اللَّهُ مَا نَحْنُ إِلَّا عبيدُ الَّذِي خَلَقَنَا وَاصْطَفَانَا، مَا نَقْدِرُ عَلَى ضَرٍّ وَلَا نَنْفَعُ وَإِنْ رَحِمْنَا فَبِرَحْمَتِهِ وَإِنْ عَذَّبَنَا فَبِعَذُوبَتِهِ وَاللَّهُ مَا لَنَا عَلَى اللَّهِ مِنْ حُجَّةٍ

(١) دعاء الجوشن الكبير، البند ٥٩ و ٩٠.

(٢) الشيخ الصدوق، كتاب الاعتقادات.

وَلَا مَعَنَا مِنَ اللَّهِ بَرَاءَةٌ وَإِنَّا لَمَيِّتُونَ وَمَقْبُورُونَ وَمُنْشَرُونَ وَمَبْعُوثُونَ وَمَوْفُوتُونَ وَمَسْئُولُونَ.....
وَاللَّهُ لَوِ ابْتُلُوا بِنَا وَأَمْرَانَاهُمْ بِذَلِكَ لَكَانَ الْوَاجِبَ أَنْ لَا يَقْبَلُوهُ، فَكَيْفَ وَهُمْ يَرَوْنِي خَائِفًا وَجِلًّا
أَسْتَعِدِّي اللَّهُ عَلَيْنِهِمْ وَأَتَبَرَّأُ إِلَى اللَّهِ مِنْهُمْ، أَشْهَدُكُمْ أَيُّ امْرُؤٍ وَلَدَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا مَعِيَ
بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ، إِنْ أَطَعْتَهُ رَحِمَنِي وَإِنْ عَصَيْتُهُ عَذَّبَنِي عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ أَشَدَّ عَذَابِهِ". (رجال
الكشي، طبع كربلاء، ص ١٩٦ و ١٩٧).

وقال المجلسي:

"أي لو كنا أمرناهم بذلك على فرض المحال فكانوا هم مبتلين بذلك مُرَدِّدين بين مخالفتنا
وبين قبوله منا، والوقوع في البدعة، لكان الواجب عليهم أن لا يقبلوه منا فكيف وإنا ننهاهم عن
ذلك؟ وهم يروننا مرعوبين وجلين من الله تعالى مستعدين الله عليهم فيما يكذبون علينا"^(١).

فكيف يُمكن أن يرضى الأئمة أن تأتي من أماكن بعيدة إلى قبورهم فنطوف حولها ونجعلهم
وسائط بيننا وبين الله ونطلب منهم الشفاء من أمراضنا وتلبية حاجاتنا.

عاشراً: لقد كان الأنبياء والأولياء - لاسيما حضرة أبو تراب (ع) - يعيشون حياةً دنيويةً غايةً
في البساطة وبعيدةً عن التجمُّل ولم يكونوا يُجِبُّون الحياة المترفة والعيش الباذخ والحياة في القصور
الملئية بالذهب والفضة، ولا شك أنهم كارهون لهذه الأضرحة الفخمة المُجَلَّلَة المليئة بالذهب
والفضة والمرايا والفسيفساء ذات الألوان المختلفة وأحجار المرمر التي بناها الجبَّارون والظَلَمَة
بالمال الحرام - أو على الأقل بالمال الذي فيه شبهة - والأغلب أنهم فعلوا ذلك بقصد خداع
العوام^(٢)، فكيف يشفون الناس في مثل هذه الأمكنة.

لديّ ذكرى أرى من المناسب أن أذكرها هنا:

في صباح أحد الأيام في آخر فترة إقامتي في مدينة «مشهد»، عندما أردت الخروج من حرم
حضرة الرضا (ع) رأيت رجلاً قد أمسك الضريح بيديه ووضع جبينه عليه يتمتم بكلمات

(١) بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٢٩٠.

(٢) من الضروري مراجعة كتاب «زيارت وزيارتنامه» [زيارات المزارات وأدعية الزيارات] ص ٢٠٧ إلى ٢١٣،
والكتاب الحاضر ص ١٥٦ - ١٦٣.

بشفتيه، فتقدمت نحوه وقلت: أيها السيد! مع من تتكلم؟ فرفع رأسه ونظر إليّ وقال: معلومٌ أنني أكلّم الإمام الرضا! فقلت: وهل الإمام الرضا (ع) حيٌّ؟ فنظر إليّ هذا الزائر بتعجب إذ كنتُ أرثدي لباس علماء الدين المعمّين وقال: أجل إنه حيٌّ! فقلت: أنا مجتهد، وطبقاً لشرع الإسلام، يجب علينا أنا وأمثالك الذين نعلم أن حضرته لم يمّت، أن نأتي بالمجرفة والمعول ونستخرج إمامنا الجليل من داخل القبر، فلا يجوز أن يُدفن المسلم -فما بالك بالإمام- في القبر وهو حيٌّ! ثم هل تعتقد أن المأمون العباسي لم يسمّ الإمام ولم يمّت الإمام من جرّاء ذلك؟! فلماذا إذن تُحيي ذكرى يوم وفاته؟! قال: إن الإمام قد مات ولكننا نُكلم روح الإمام. قلتُ: هل روح الإمام في الضريح؟ فهزّ رأسه أن: «نعم»، فقلتُ: إن الذي بنى هذا القبر هو الشاه عباس المجرم شارب الخمر، فأين كانت روح الإمام قبل الشاه عباس؟ ثم أين قال القرآن أو الحديث إن روح الإمام تكون في الضريح؟ وأي مرجع قال إن روح الإمام في الضريح؟ فقال: لا أعلم؟ فقلتُ: هل تعتقد أن روح الإمام تسكن في دنيانا هذه؟ قال: فأنت ماذا تقول؟ قلتُ: إن روح النبيّ والإمام في عالم البقاء وليست في عالم الفناء وهي لا تسمع صوتي ولا صوتك ولا صوت أحد من الناس، أفلم تقرأ القرآن الذي خاطب الله تعالى فيه نبيّه قائلاً: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مِّنَ فِي الْقُبُورِ ۝﴾ [فاطر: ٢٢]، وقال له أيضاً: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠] فإذا كان النبيّ لا يستطيع أن يُسمع الموتى فبالطبع لن تستطيع أنت ولا أنا أن نفعل ذلك. تعجب الرجل كثيراً لسماعه هذا الكلام من شيخ مُعمّم ولم يكن يُصدق ما تسمعه أذنيه من فرد مُعمّم!!^(١)

وأ تذكر ذكرى أخرى عجيبة جداً أيضاً وتدّل على مدى تعصّب المشايخ الشديد وعدم صدقهم، ومن المفيد أن أذكرها هنا لإيقاظ الناس وتوعيتهم وهي من النماذج البارزة للآية المباركة التي تقول: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ١٤]:

قبل سنوات ماضية كنا في إحدى المجالس الخاصة وكان معنا شخص أو شخصان وقام أحد المشايخ الذي كان مشهوراً إلى حد ما وله وجه بين الناس بالتحاوّر معي حول توحيد العبادة

(١) لقد أجريت ما يُشبه هذا الحوار مرات عديدة وفي أكثر من مزار مع بعض الزوار.

والطواف والنذر والذبح و الخ... وكان يقول: إذا كنت في ميدان فردوسي^(١) تبحث عن محل خاص - مثلاً بائع حلويات - ولأجل أن تجده كنت تلفّ حول الميدان، فهل يجوز أن نقول بما أنك طفت حول تمثال الشاعر فردوسي فإنك قد عبدته؟! وما رأيك بقوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ﴾ [الطور: ٢٣]، هل يمكن القول إن الغلمان يعبدون أهل الجنة؟!؟

وأردف يقول: والأهم من ذلك أن «السجود» من أقوى وأوضح أشكال العبادة ويدل على غاية الخضوع التذلل، ولكننا نرى في القرآن أن الملائكة يسجدون لغير الله أي لآدم ولم يُعْتَبَر هذا الأمر عبادة لآدم، بناء على ذلك فإن السجود والطواف والنذر و..... وأمثال هذه الأعمال لا تكون عبادة إلا إذا اقترنت باعتقاد فاعلها بإلهية من تُقَدَّم له!!

واستنتج قائلاً: لا يجوز لكم أن تحكموا على عمل ما بأنه عبادة استناداً إلى ظاهر هذا العمل فقط دون أخذ نية العامل بعين الاعتبار، بل لا بد أن يكون العمل قد تمّ بنية التقرب إلى من يُعتقد فيه الإلهية كي يُعْتَبَر عبادةً، فإن قلتَ لقد نذرت ألف تومان للمسكين الذي في حيناً كي يشقى ابني فهل تكون قد نذرت لله أم لذلك المسكين؟! و (العقيقة)^(٢) مثل النذر حيث يقوم المسلم بذبح أضحية لأجل سلامة طفله الوليد. إنك تقدم الأضحية أو العقيقة لله أي أنك في الواقع تفعل ذلك لتنال رضا الحق وتدفع مبلغاً للمسكين، لا أن المسكين هو الذي تنذر له بل الذي تنذر له هو الله. فإذا قال شخص لقد نذرت للإمام الرضا أو لحضرة موسى بن جعفر أو..... أنني لو عاد ابني المسافر سالماً فسأذهب لزيارتهم، فليس قصده أنه نذر للإمام بل هو يقصد أنه يهدي ثواب عمله له!!! وهذا كمثال الإنفاق: فإذا أنفقتَ بتبغى بذلك وجه الله، أُعْتَبِرَ إنفاقك عبادةً، أما لو أنفقتَ لَلْفَتِ أنظار الناس نحوك ونيل الجاه لديهم، أُعْتَبِرَ إنفاقك رياءً ومعصيةً، في حين أن ظاهر العمَلين واحد وهو إعطاء المال أو اللباس أو الطعام لفقير! [فالنية

(١) أحد الميادين (الساحات) المعروفة في وسط مدينة طهران. (المترجم)

(٢) العقيقة إحدى السنن الإسلامية التي يقوم المسلم فيها - لكي يحفظ الله له ولده المولود حديثاً - بحلق شعر ولده في اليوم السابع من عمره ويتصدق بوزن الشعر فضة أو بما يعادل قيمتها ويعطي هذا المال للفقراء أو يذبح أضحية ويوزعها على المستحقين.

هي التي تحكم على العمل وليس مجرد شكله الظاهري].

وتابع يقول: لاحظوا أن القرآن قال: ﴿مَا دُيِّعَ عَلَى الثُّبُوبِ... ذَلِكَمُ فِسْقٌ﴾ [المائدة: ٣]، وأنتم تعلمون أن من عادات الناس في الجزيرة العربية في عهد الجاهلية كان تقديم القرابين للأصنام، وقد حرم الإسلام هذا العمل، وحتى أهل السنة - كما في سنن أبي داود - روي أن النبي ﷺ كان يحرص بشدة على أن لا يضحّي الناس للأوثان والأصنام بناءً على عاداتهم القديمة. فلماذا تعمّمون قول القرآن حول المشركين والوثنيين على المسلمين؟!

وتابع قوله : كما أنكم تخطئون في فهم الآية التي تقول: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، إذ اعتبرتم أن عمل المسلمين في زيارة مراقد الأئمة والطواف حولها يشابه أعمال المشركين [الذي يتقربون بأوليائهم إلى الله]، مع أنه لا علاقة للآية المذكورة بالمسلمين، فلماذا لا تنتبهون إلى الجزء الأخير من الآية الذي يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]. بناء على ذلك يتبين أن المشركين كانوا يكذبون ولم يكونوا يعتبرون في قلوبهم الأصنام مجرد «واسطة» أو «وسيلة» للتقرب إلى الله، بل كانوا يعطون للأصنام مقاماً أعلى من هذا المقام ويعتقدون فيهم أمراً أرفع شأنًا!! (انتهى كلام الشيخ المحاور لي).

كان كلام هذا المحاور عجباً في نظري فعلاً، لأنه كان يتشبّه بأمور بطلانها في غاية الوضوح والبداهة، كي لا يتخلى عن عقيدته الخرافية!! قلت له: نعم لو أن العمل يتم بالصورة التي تذكرها، لا يمكن اعتباره طوافاً عبادياً، لكن بالله عليك قل لي بكل تجرّد وصدق: هل طواف الذين يطوفون حول مراقد أئمة الدين في حرم مشهد أو كربلاء أو حرم قم يشبه طوافي حول ميدان فردوسي بحثاً عن محل بائع الحلويات؟! ألا تعلم حقيقة أن الناس يعتبرون صاحب القبر الذي يطوفون حوله عليماً بحالهم ويتوقعون منه أن يلبي حاجاتهم ويشفع لهم بالقدرة التي منحها الله له، الأمر الذي لا دليل شرعي عليه بالطبع؟

وبالنسبة إلى النذر: أنا أيضاً أعتقد مثلك أنه لا ينعقد أي نذر إلا إذا كان لله وأدّي بصيغة خاصة كقول الناذر: «لله عليّ.....» أي: أنذر لله إن حقّق لي حاجتي أن أقوم بالعمل الفلاني

[عمل خير مطلوب شرعاً]. لكنني أسألك وأقسم بالله عليك: ألا تعلم أن ٩٩٪ من النذور التي يفعلها الناس لا تتم بهذه الصورة؟ هل تدعي هذه الادعاءات صادقاً وبدافع خيرٍ؟ إن لم يكن هذا العمل تعصباً ولجاجاً فما هو إذاً؟

أجل، عندما تُحشّر في الزاوية أمام المعارضين المطلعين على أعمال الناس تجاه أئمة الدين تقول إن إقامة مجالس مائدة أبي الفضل أو النذر للإمام الرضا... إنما تتم بهذه الصورة وهي قول الناذر نذرت لله وأهديت ثواب ذلك إلى حضرة أبي الفضل أو الإمام الرضا أو موسى بن جعفر أو.....، لكن هذا الادعاء كذب محض وأنت تعلم جيداً أن ٩٩٪ من الناس لا يندرون بهذه الطريقة ومع ذلك فإنك لا تنهاهم عن ذلك، فأنا لم أسمع نبيك عن ذلك.

أنت تعلم جيداً أن الناس يقولون: إذا شُفيت من مرضي أو قُبل ابني في الجامعة أو كسب أبي القضية في المحكمة أو عاد أحد أعزائي من السفر سالماً أو..... فسأذهب لزيارة الإمام الرضا (ع) بنية أن الإمام عالمٌ بكلامي وقصدي - وإن لم نقل إن قائل ذلك الكلام يعتقد أن الإمام يمكنه أن يلبي حاجته بالقدرة التي أعطاها الله إياها - فعلى الأقل نقول على وجه القطع واليقين أن قائل ذلك الكلام يعتقد أن الإمام سيسفح له عند الله ويأخذ له حاجته من الله عندما يعلم أن قائل ذلك الكلام سيذهب إلى مرقدہ ويعظمه ويكرمه ويظهر له محبته، فما هو الباعث على أن يقوم الناذر - هذا طبعاً حسب ادّعاءك - بإهداء ثواب نذره أو أضحيته إلى السيد نصر الدين أو شاه چراغ ولا يهدي ثواب ذلك إلى روح أبيه أو أمه أو أخيه أو أخته؟ أليسوا هم أكثر حاجة إلى هذا الثواب من ذلك الإمام أو حفيد الإمام؟! نعم، إنه لا يفعل ذلك لأنه يعلم أن أباه وأمّه لا يقدران على فعل شيء، ولكنه يعتقد أن الإمام الفلاني أو حفيد الإمام الفلاني عليم بحاله وعلى الأقل يشفع له عند الله ويحقّق له مطلوبه وحاجته من الله!!

أما قولك إن الله تعالى قال: ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النور: ٥٨] فإن المراد من هذه الجملة المعاشرة والمصاحبة لا الطواف التعظيمي الذي نقصده نحن، ومثل تلك المعاشرة خارجة عن بحثنا تماماً، أو قول الله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الطور: ٢٣]، أو قوله: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ

وَكَايِسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ [الواقعة: ١٧، ١٨]، فالمراد هو الضيافة الكاملة والخدمة التامة، يعني أن هؤلاء الخدم يعتبرون مخدموهم بحاجة دائمة إلى خدماتهم لا أن الخدم ينظرون إلى مخدموهم بوصفهم شفعاء لهم عند الله! كما أنهم لا يطلبون أي حاجة من مخدموهم المَطاف بهم. هذا بالطبع إذا اعتبرنا «الطواف» في هذه الآيات هو الدوران حول الشخص لا خدمته، في حين أن القرآن يذكره للأكواب والأباريق والكؤوس يبيّن لنا أن المقصود هو الخدمة لا الطواف بمعنى الدوران. وأنت تعلم جيداً أنه إذا قيل أن الخُدَّام في العرس الفلاني أو في المطعم الفلاني «كانوا يطوفون على الضيوف أو الزبائن بالأواني المملوءة بالأطعمة والفواكه والأشربة كما تطوف الفراشة حول الشمعة» فليس المقصود أن الخُدَّام كانوا يدورون ٣٦٠ درجة حول كل ضيف أو زبون!! بل المقصود إنهم كانوا يبذلون قصارى جهدهم في الخدمة والضيافة^(٢). لاحظوا أننا في موضوع «الطواف» لا ننكر «نية» الطائف ولسنا غافلين عن حقيقة حاله ولا نقول: إن «النية» ليست شرطاً، بل نقول: إن الطواف يقع في ورطة الشرك بنية أقل من اعتبار المطوف به إلهاً خالقاً محيياً مميّناً ومالكاً للسموات والأرض.

إن الإشكال في عمل الناس هو أنهم يعتبرون أئمة الدين مطلعين على أحوالهم، ولهذا السبب يطوفون حول قبورهم ويُقَبَّلُونَ أضرحتهم ويتبرّكون بها وبعد أن يلمسوا الضريح يمسحون رؤوسهم ووجوههم بأيديهم ويطوفون بأمواتهم حول أضرحة الأئمة أو يطوفون بخليط المكسرات أو السكر النباتي^(٣) حول الضريح لتحلّ فيها البركة أو يحتفظون بغبار ضريح الإمام الرضا للتبرك به، أو يقدمونه إلى أعزّتهم كهدية ويدعون الأئمة بلا قيد أو شرط. وأنت مُطَّلَعٌ

(١) قارنوا هذه الآية بـ[سورة الإنسان: ١٥ و ١٩، والصفات: ٤٥، والزخرف: ٧١].

(٢) لو لاحظنا الروايات لرأينا أن خلفية مثل هذه الآيات هي الخدمة، فمن ذلك أن العلامة المجلسي روى حديثين عن النبي وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام بأن «الولدان» يقومون بخدمة أهل الجنة. وجاء في حديث رسول الله ﷺ: «خَلِقُوا لِحُدْمَةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ» (بحار الأنوار، ج ٥، ص ٢٩١، الحديث ٥ و ٦).

(٣) خليط المكسرات خليط من الفستق والبندق واللوز والكاجو والتوت المجفف ونحوها. والسكر النباتي يستخدمه الإيرانيون أحياناً مع الشاي لوجع المعدة. (المُتَرَجِّمُ)

تماماً على هذا الأمور لكنك تتجاهل هذه الحقيقة! بناءً على ذلك ليس من الضروري أن يعتبر الطائف أن المطوف به هو الله الخالق حتى يكون طوافه به عبادة له، بل مجرد قيام الطائف بدعاء أئمة الدين بنحو غير مقيد واعتباره أئمة الدين مطلعين على أحواله، ومجرد قيامه بهذا العمل [الحج إلى قبورهم والطواف حولها] والتبرك بأضرحتهم يكفي للحكم بأن عمله مخالف للشرع وغير جائز. لماذا تتجنب الصدق والإنصاف في نقاشك وتكتم الحقائق وتصور أن طواف الناس حول قبور الأئمة يماثل الدوران حول ميدان (ساحة) فردوسي؟! عندما أدور حول ميدان فردوس فإنني لا أفكر في تمثال فردوسي إطلاقاً بل كل ما أفعله هو البحث عن الدكان المطلوب، أما الناس فعندما يطوفون حول قبور الأئمة فإنهم يفعلون ذلك ليهتم بهم المطاف به ويوليهم عنايته، فأين هذا من ذلك؟!

ثم متى قال الله تعالى في كتابه أن لزيارة قبور الأئمة ثواب وأجر حتى يُهدي الزائر ثواب زيارته إلى الإمام؟ هل هناك من معنى أن أقوم بالسفر من أهواز إلى مشهد لأزور قبر الإمام رضا (ع) وأطوف بقبره لمجرد أن أقدم الثواب الذي تدعونه لهذا العمل إلى الإمام؟ هل تبحث فعلاً عن الحق والحقيقة عندما تقول مثل هذا الكلام في نقاشك؟! هل أنت غافل حقيقة عن الفرق بين الدوران حول ميدان فردوسي بحثاً عن محل ما وطواف الناس حول أضرحة الأئمة أو أحفادهم وتعتبر من صميم قلبك أن العاملين مثل بعضهما؟!!

أما بالنسبة إلى «السجدة» فإن في كلامك مغالطة، ذلك بأننا لم نرَ أنا ولا أنت الملائكة والجنّ - والشيطان من الفريق الثاني [الكهف: ٥٠] -؛ بناءً على ذلك من أين تعلم أن للملائكة والجنّ جهةً وأيدٍ ورُكْباً وأقداماً مثلنا، وأن السجود الذي طُلب منهم يُبائنل سجودنا؟ هل كان قصد يوسف (ع) من قوله لحضرة يعقوب (ع): ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٥١﴾﴾ [يوسف: ٤] أن الشمس والقمر يسجدان له بوضع أعضائها السبعة^(١) على الأرض؟! أو أن القرآن الذي قال: ﴿وَالتَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾﴾ [الرحمن: ٦] قصد

(١) أعضاء السجود السبعة هي: الجبَّهة (أو الوجَّه) والرُّكْبَانِ، وَالْيَدَانِ، وَالْقَدَمَانِ. (المُتَرَجِّمُ)

أنهما يضعان أعضائهما السبعة على الأرض ساجدين؟! وكذلك إذا تأملنا الآية ١٠٠ من سورة يوسف (ع) التي تقول: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ [يوسف: ٩٩] لتبين لنا أن سجدتهما - كما ذكر ذلك أبو الفتوح الرازي - كانت سجدة تعظيم وتكريم لا سجدة عبادة، لأن الآية تُصَرِّحُ بأن يوسف رفع أبويه على العرش، ومعلومٌ أن الذي يجلس على العرش أو كرسي الحكم لا يمكنه أن يضع جبهته على الأرض في هذه الحالة. (فتأمل) بناءً على ذلك لقد قام والده يوسف وإخوته - الذين شملتهم عبارة «خَرُّوا لَهُ سُجَّدًا» - بعمل كان في عرف ذلك الزمان دالاً على الإكرام والخضوع ولم يكن سجود عبادة.

كل شيخ يعلم أن مفردات مثل «الصلاة»^(١) و«الركوع» [سورة المائدة: ٥٥، وص: ٢٤] لم تأت في القرآن الكريم دائماً بمعناها الشرعي المنقول والفقهي بل استعملها القرآن الكريم أحياناً بمعناها اللغوي الأصلي.

وبالنسبة إلى موضوع «السجود» لآدم ينبغي أن ننتبه إلى أن المأمورين بالسجود لم يكونوا بشراً، وَمِنْ ثَمَّ فمن الواضح أن السجود هنا لم يأت بمعناه المصطلح الشرعي، بل المقصود منه المعنى اللغوي الأصلي وهو إظهار التعظيم والتكريم. ولذلك فلا يجوز قياس سجود الملائكة، أي تعظيمهم وتكريمهم لآدم، على السجود العبادي وسائر العبادات التي يقوم بها البشر.

ثانياً: أمر الله تعالى الملائكة والجن صراحةً بالسجود لآدم، ولو أمرنا الله في القرآن أن نؤدي العبادات لغيره تعالى لأطعناه فيما أمر ولما كان بيننا وبينكم خلاف. فعليكم أن تأتوا بدليل واحد على أن الله أجاز لنا أداء العبادة لغيره، كأن ندعو ونتضرع لغيره ونطلب منه حاجاتنا على نحو غير مقيد، أو نؤدي الطواف والنذر ونحر الأضاحي لغيره.... في حين أن الأمر خلاف ما تدعون إذ نهانا القرآن مراراً وتكراراً عن دعاء غير الله دعاءً غير مقيد، وذمَّ المشركين على قيامهم بأعمال عبادية كالطواف والنذر تجاه معبوداتهم التي يدعونها من دون الله رغم أن كثيراً منهم - على أقل تقدير (إن لم نقل كلهم) - ما كانوا يعتبرون معبوداتهم مستقلةً (عن الله).

(١) على سبيل المثال لم تُستخدَم كلمة «الصلاة» ومشتقاتها بمعناها الاصطلاحي أو معناها الشرعي المنقول في الآيات الكريمة التالية: البقرة: ١٥٧، التوبة: ٩٩، والنور: ٤١، الأحزاب: ٤٣ و٥٦.

ثالثاً: إذا كان «السجود» لا يُعتَبَرُ سجوداً شرعياً إلا إذا اقترن بنية الساجد واعتقاده أن المسجد له إلهاً وأدعت أن القرآن ينص على أن السجود قد أمر به لغير الله، فلماذا نهى الإسلام عن مطلق السجود لغير الله واعتبره عملاً ممنوعاً ومحرمًا دون أن يُقَيَّدَ ذلك بأي قيد؟ لقد أتيت بمثال عن أمر لا يجوز فعله لغير الله، فإن كنت محققاً في كلامك فأتنا من القرآن بمثال عن عمل عبادي تم أدائه لغير الله ولم ينه الإسلام عنه.

أما قولك بأن للعبادات ظاهراً وباطناً ونيّةً، فأنت تعلم جيداً أننا لا نجعل هذه الأمور وكلنا نعلم أنه لو قُدِّفَ بشخص عارٍ بالقوة في حوض ماء فلا يُعتَبَرُ عمله غسلًا ارتماسياً! وأنه لو أعطى شخصٌ فقيراً لباساً أو مالاً أو طعاماً لا لوجه الله بل تلبية لرغبة نفسية فلا يُعتَبَرُ عمله ممارسة لعبادة الإنفاق ولا يُثاب عليها، أو لو أعطى فقيراً شيئاً رياءً وسمعةً - كما تقول - لكان عمله معصية قطعاً لأنه لم يرد بعمله نيل رضا الله.

لكنك تعلم أن العبادات نوعان: النوع الأول العبادات التي لها قالب محدد ومعين كالصلاة والسجود والنذر والطواف ونحر الأضاحي و..... فمثل هذه العبادات لا يجوز القيام بها لغير الله حتى بشكلها الظاهري. النوع الثاني: أعمال الخير والعبادات التي ليس لها قالب محدد كالإنفاق العام الذي يمكن أن يؤديه الإنسان جالساً أو واقفاً، ليلاً أو نهاراً، للقريب أو للغير، بيده مباشرة أو عبر شخص آخر..... الخ. أولاً: إنك ضربت مثلاً للعبادات من النوع الثاني لا من النوع الأول، ثانياً في كلا النوعين من العبادات النقطة الرئيسية المهمة هي الجهة التي تؤدَّى إليها الأعمال العبادية! لهذا السبب إذا عمل الإنسان عمل خير يحبّه الله ولكنه لم يقصد بعمله هذا وجه الله بل عمّله رياءً أو بنية غير الرياء كأن يريد به استعطاف ولفت نظر غير الله، كان عمله معصيةً وأعتبر هذا الرياء شعبة من الشرك. (فتأمل).

بناء على ذلك، حتى لو أراد شخص أن ينحر شاةً لله ولكنه فعل ذلك أمام إمام أو ملك أو رئيس جمهورية أو أمام عزيز عاد من السفر، فإن عمله هذا مُنتَقَدٌ في عقيدتنا لأنه أراد بهذه التضحية جلب اهتمام الإمام أو الملك أو..... (يعني غير الله). أما الذي يطوف حول مرقد أحد أئمة الدين الأجلاء فإنه يريد أن يطلع صاحب القبر على عمله، ولو كان يعتبره غير مطلع على

عمله لما جاء من أماكن بعيدة لزيارته ولما طاف حول قبره ولما ناداه، بناء على ذلك، فإنه يريد من طوافه حول قبره أن يلتفت إليه صاحب القبر ويهتم بأمره، لأنه يريد في الواقع أن يتوسط له عند الله ويشفع له.

أما الذي ينذر إذا شفي مريضه أن يعطي مالا لمسكين في حيته أو يطعمه فإنه لا يريد لفت انتباه المريض إليه واهتمام المريض به، ولا لفت انتباه الفقير إليه واهتمامه به، بل كل ما يريده هو أن ينتفع مريضه بهذا النذر، وكذلك الذي يقوم بسنة العقيقة يعلم جيداً أن وليده لا يعلم شيئاً عن عمل أبيه هذا، بل الذي يقوم بالعقيقة يبغى أن يعلم الله بعمله ويقبله ويدفع عن وليده الشر بعمل الخير هذا الذي فعله لأجله، هذا في حين أنك تعلم جيداً أن الناس لدينا عندما ينذرون للإمام فإن الإمام لا ينتفع بالنذر بل الناذر هو الذي يبحث عن النفع ويبحث عن الثفات للإمام إليه واهتمامه به، وفي الواقع يريد من المنذور له (الإمام) أن يشفع له عند الله ويتوسط له عنده.

أما بالنسبة إلى قولك إن المشركين كانوا يعتبرون معبوداتهم أعلى شأنًا وأعظم مقاماً من مجرد وسطاء وشفعاء فهو قولٌ عارٍ عن الدليل لأن القرآن يقول صريحاً إن المشركين كانوا يقولون: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، والشفيع هو الواسطة أو الوسيط، علاوة على ذلك لا يجوز لنا أن نلحق من عند أنفسنا أموراً وأقوالاً حول هذه الآيات القرآنية، ألم تقرأ قول الله في إحدى السور المكية من القرآن: ﴿قُلْ لَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ صَلَّوْا عَنْهُمْ وَذَلِكِ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَرُونَ﴾ [الاحقاف: ٢٨]، فالقرآن نفسه بين أن هدف المشركين من قيامهم بالأعمال العبادية لمعبوداتهم أن يتقربوا بها إلى الله ولا نستطيع نحن أن نلحق كلاماً مخالفاً لذلك من عند أنفسنا. إن الله تعالى العليم بالسرائر يقول إن كذب المشركين كان هذا الأمر بالذات، أما أنت فتدعي أن كذبهم كان شيئاً آخر!!! فلماذا لم يشر القرآن إلى كذبهم ذاك الذي تتحدث عنه؟

قال صاحب تفسير «الميزان» لدى تفسيره الآية الثالثة من سورة الزمر:

".... وهؤلاء هم الملائكة والجن وقديسو البشر وهؤلاء هم الأرباب والآلهة بالحقيقة [عند المشركين]. أما الأصنام المصنوعة المنصوبة في الهياكل والمعابد فإنها هي تماثيل للأرباب والآلهة

وليس في نفسها أرباباً ولا آلهة غير أن الجهلة من عامتهم ربما لم يفرقوا بين الأصنام وأرباب الأصنام فعبدوا الأصنام كما يعبد الأرباب والآلهة وكذلك كانت عرب الجاهلية^(١).

ثم تابع يقول أنه في عقيدة المشركين: "... الأرباب والآلهة هم المعبودون عندهم وهم موجودات ممكنة مخلوقة لله مُقَرَّبَةٌ عنده، مُفَوَّضَةٌ إليهم تدير أمر العالم، لكل بحسب منزلته وأما الله سبحانه فليس له إلا الخلق والإيجاد وهو رب الأرباب وإله الآلهة^(٢)".^(٣)

(١) السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٧، ص ٢٣٣. (المُتَرَجِّمُ)

(٢) المصدر السابق نفسه، ج ١٧، ص ٢٣٤. (المُتَرَجِّمُ)

(٣) اعتبر «تفسير نمونه» [آية الله الشيخ ناصر مكارم الشيرازي] أيضاً أن معبودات المشركين لم تكن الأحجار والأخشاب والمعادن بل كانت الملائكة والجن وبشكل عام بعض الموجودات المقدسة في العالم. وننقل إليكم هنا ما جاء في تفسير «نمونه» على نحو الاختصار، ومن أراد التفصيل فليراجع تفسير سورة الزمر في التفسير المذكور:

" منطق عبدة الأصنام واضح هنا، فأحد أسباب عبادة الأصنام هي أن مجموعة كانت تزعم أن الله سبحانه وتعالى أجل من أن يحيط به الإدراك الإنساني من عقل أو وهم أو حس، فهو منزّه عن أن يكون مورداً للعبادة مباشرة، فلذا قالوا: من الواجب أن نتقرب إليه بالتقرب إلى مقربه من خلقه، وهم الذين فوض إليهم تدبير شؤون العالم، فتخذهم أرباباً من دون الله ثم آلهة نعبدهم ونتقرب إليهم ليشفعوا لنا عند الله ويقربونا إليه زلفى، وهؤلاء هم الملائكة والجن وقديسو البشر.

ولما أحسوا بأن ليس باستطاعتهم الوصول إلى أولئك المقدسين، بنوا تماثيل لهم، وأخذوا يعبدونها، وهذه التماثيل هي نفسها الأصنام، وبهذا الشكل فإن الأرباب في نظرهم، هم أولئك الذين خلقهم الله وقربهم إلى نفسه، وفوض إليهم تدبير شؤون العالم بأمره تعالى. [لاحظ أيها القارئ الكريم أن علماء قم اعترفوا أن المشركين لم يكونوا يعتبرون معبوداتهم مستقلة] وكانوا يعتبرون الباري عز وجل هو (رب الأرباب) وهو خالق عالم الوجود، ومن النادر أن يوجد من الوثنيين من يقول بأن هذه الأصنام المصنوعة من الحجر والخشب، أو حتى ألهتهم الوهمية -أي الملائكة والجن وأمثالهم- هي التي خلقت هذا الكون وأوجدته. وبالطبع فإن هناك أسباباً أخرى لعبادة الأصنام، ومنها أن الاحترام الفائق الذي يُكُونُهُ في بعض الأحيان للأنبياء والصالحين يتسبب في احترام حتى التمثال التي تُنحَت أو تُصنَع لهم بعد وفاتهم، ومع مرور الزمن تأخذ هذه التماثيل طابعاً استقلالياً، ويتبدل الاحترام إلى عبادة، ولهذا فإن الإسلام نهى بشدة عن صنع التماثيل.

وقد ورد في كتب التاريخ أنّ عرب الجاهلية كانوا يُكِنُّونَ احتراماً فائقاً للكعبة الشريفة ولأرض مكة المكرمة، ولهذا كانوا يأخذون معهم قطعة حجر صغيرة من تلك الأرض عندما يذهبون إلى مكان آخر، ويضعونها عليها الاحترام والتقديس، ومن ثمَّ يعمدون إلى عبادتها".

[أقول: وهذا يشبه عمل الناس لدينا الذين يأخذون من غبار حرم حضرة الرضا (ع) ويعطونه للناس للتبرّك به، أو يطوفون بخليط المكسرات أو السكر النباتي حول الضريح لتحلّ فيها البركة، ثم يهدونها للآخرين!! فتأمل].

وتابع الشيخ ناصر مكارم الشيرازي يقول في تفسيره:

"وعادة الأصنام- بأي شكل كانت- ما هي إلا أوهام وخيالات لا صحة لها ترشحت من أفكار ضعيفة وعاجزة، حرفت الناس عن الطريق الرئيسي الأصل لمعرفة الله. والقرآن المجيد يؤكّد بصورة خاصّة على أنّ الإنسان يستطيع أن يتّصل بالله من دون أي واسطة، وأن يتحدّث معه ويناجيه ويطلب منه حاجته، ويطلب العفو والتّوبة، فكلّ هذه الأمور من الله وتحت تسلط قدرته. وسورة الحمد توضّح هذه الحقيقة، لأنّ قراءة العباد المستمّر لهذه السورة في صلواتهم اليومية، تجعل العبد على اتصال مباشر مع البارئ، عزّ وجلّ، إذ أنّه يقرؤها ويطلب من الله- دون أي واسطة- حاجاته منه. فالإسلام لا يرى وجود واسطة في هذا الأمر، وهذه هي حقيقة التوحيد. حتى أن مسألة الشفاعة والتوسل بأولياء الله مشروطة بإذن البارئ عزّ وجلّ وسماحه، وهذا تأكيد على مسألة التوحيد.

ويجب أن تكون العلاقة هكذا، لأنّ الله سبحانه وتعالى أقرب إلينا من أيّ شيء، كما يقول بذلك القرآن: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق: ١٦] ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال: ٢٤]. وبهذا الشكل فالبارئ عزّ وجلّ ليس ببعيد عنّا، ولسنا ببعيدين عنه كي تكون هناك حاجة للوساطة بين الطرفين، إنّه أقرب إلينا من كلّ قريب، وموجود في مكان وفي أعماق قلوبنا.

وفقاً لهذا فإنّ عبادة الوسطاء من الملائكة والجنّ ونظائرهم، [بأي دليل لم يذكر عبادة الأئمة والصالحين العظماء ضمن المعبودات أيضاً؟] أو الأصنام الحجرية والخشبية، عمل باطل لا صحّة له، إضافةً إلى أنّه يعدّ كفراً بنعمة الله، لأنّ الذي يهب النعم أجدر بالعبادة من تلك الموجودات الميتة، أو المحتاجة إلى الآخرين من أعلى رأسها إلى أخمص قدمها. لذا يقول القرآن المجيد في نهاية الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣] فلا يهديه إلى الطريق الصحيح في هذا العالم، ولا إلى الجنّة في العالم الآخر، لأنّه أوصد بكلتا يديه أبواب الهداية أمامه، ولأنّ البارئ عزّ وجلّ يعث فيض هدايته إلى من يراه لائقاً ومستعداً لاستقبالها، ولا يعثها إلى الذين تعمدوا قتل الاستعدادات الموجودة في قلوبهم وذاتهم". انتهى كلام الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في «تفسير نمونه» نقلاً عن ترجمته العربية «الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل»، ج ١٥، ص ١١-١٤.

قُلْ لي الآن: ما الفرق بين نظرة الناس لدينا إلى الأئمة والشخصيات الدينية المقدسة العظيمة وسلوكهم نحوهم وبين نظرة المشركين وسلوكهم نحو الشخصيات التي كانوا يعبدونها؟ لاحظ أن أستاذك العلامة [محمد حسين] الطباطبائي صرَّح في تفسيره لسورة الزمر في تفسير «الميزان»: "إن الله لا يقبل عبادة شخص يعبد الله ويعبد غير الله أيضاً". (فتأمل). فلنترض أن المشركين - بناء على فرضك الذي لا دليل عليه - كانوا يعتبرون معبوداتهم أرفع مقاماً وأعلى شأنًا من مجرد شفعاء ومُقرَّبين من الله، أفلم يكن القرآن ليعترض عليهم لو كانوا يعتبرون معبوداتهم شفعاء ومُقرَّبين من الله فقط؟! لقد ذمَّهم القرآن حول هذا الموضوع بالذات كما يقول صاحب تفسير «الميزان» واعترض عليهم فيه؟!^(١)

أما ما نسبته إلى سنن أبي داود فإن لم تُحني ذاكرتي فهو حديث لا يفيد بأي حال من الأحوال حصْر النهي عن نحر الأضاحي لغير الله بنحرها للأصنام فقط بل نهى الإسلام شامل لنحر الأضاحي لأي أحد غير الله سواء للأصنام أم لغير الأصنام، وبعبارة أخرى الإسلام لا يُجيزُ النذر إلا لله وحده فقط. ثم قلتُ له: على كل حال إذا عدتُ إلى المنزل فسوف أقرأ الأحاديث ذات العلاقة ولو كنتُ مخطئاً فسأتصل بك هاتفياً لأخبرك وأعترف بخطئي.

نعم، في تلك الجلسة لم يقدم الشيخ المذكور أي جواب مقنع، ولما حان وقت طعام الغداء انتهى النقاش دون الوصول إلى نتيجة مفيدة.

ولما رجعت إلى منزلي أخذت كتاب سنن أبي داود وقرأت الحديث الذي أشار إليه الشيخ المذكور ورأيت أن الشيخ - كما كنت أتوقع - لم يكن صادقاً في نقله وأن الحديث الذي أشار إليه يؤيد كلامنا لا كلامه. وفيما يلي أنقل لكم نصَّ هذا الحديث من الجزء الثالث من سنن أبي داود، كتاب الأيمان والندور، (باب ما يؤمر به من الوفاء بالندور)، كي يحكم القراء بأنفسهم في هذا الأمر:

الحديث ٣٣١٢: "..... أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي نَدَرْتُ أَنْ

(١) راجعوا قول العلامة الطباطبائي ذيل الآية ٢٨ من سورة الأحقاف الآتي بعد صفحتين من الكتاب الحالي.

أَضْرَبَ عَلَى رَأْسِكَ بِالذُّفِّ، قَالَ: أَوْ فِي بِنْدَرِكَ. قَالَتْ: إِيَّيْ نَذَرْتُ أَنْ أُذْبِحَ بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا، مَكَانٌ كَانَ يَذْبَحُ فِيهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ، قَالَ: لِيَصْنَمٍ؟ قَالَتْ: لَا. قَالَ: لَوْثُنٍ؟ قَالَتْ: لَا. قَالَ: أَوْ فِي بِنْدَرِكَ^(١).

٣٣١٣: "نَذَرَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُؤَانَةَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِيَّيْ نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلًا بِبُؤَانَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثْنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «هَلْ كَانَ فِيهَا عَيْدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْ فِي بِنْدَرِكَ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ»."

ثم في الحديثين اللذين وردا في سنن أبي داود أيضاً بعد الحديثين المذكورين، جاء أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِيَّيْ نَذَرْتُ أَنْ أُذْبِحَ وَكَلْدِي وَلَدِي وَكَلْدَ ذَكَرٍ أَنْ أَنْحَرَ عَلَى رَأْسِ بُؤَانَةَ فِي عَقَبَةِ مِنَ الثَّنَائِيَا عِدَّةً مِنَ الْعَنَمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ بِهَا مِنَ الْأَوْثَانِ شَيْءٌ؟». أو «هَلْ بِهَا وَثْنٌ أَوْ عَيْدٌ مِنْ أَعْيَادِ الْجَاهِلِيَّةِ» قَالَ: لَا. فَقَالَ ﷺ: «فَأَوْفِ بِمَا نَذَرْتَ بِهِ لِلَّهِ».

لاحظوا كيف أن الإسلام يحرم نحر الأضاحي لغير الله والذي عبّر عنه [أي عن غير الله] في الأحاديث المذكورة أعلاه بكلمة: «الصنم»، وكما قلنا في الصفحات الماضية كانت أصنام المشركين وأوثانهم تماثيل تذكرهم بالملائكة وبالشخصيات المقدّسة العظيمة ولم يكن المشركون يؤدّون تلك الأعمال للأخشاب والأحجار والمعادن بحد ذاتها. وهنا نقول إن الشخصيات العظيمة والجليلة في الإسلام (الأنبياء والأئمة والأولياء) ليسوا بخارجين عن عنوان «غير الله» ومن ثمّ فلا يجوز أداء الأعمال العبادية لهم أيضاً مثل النذر ونحر الأضاحي والطواف وغير ذلك. (فتأمل جدّاً).

قل اختتام هذا المبحث، ولكي يطمئن القارئ الطالب للحق إلى أن الشيخ المذكور لأجل أن

(١) اعلم أن بين «الصنم» و «الوثن» علاقة عموم و خصوص مطلق لأن علماء اللغة قالوا عن «الصنم» أنه: «ما اتَّخَذَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ» أو قالوا: «كل ما يُشْغَلُ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى». أما عن «الوثن» فقالوا: "تمثالٌ يُعْبَدُ وَيُتَّخَذُ مِنَ الْخَشَبِ أَوْ الْحِجَارَةِ أَوْ الذَّهَبِ أَوْ الْفِضَّةِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ". وقيل للوثن وثناً لأنه يُنْصَبُ فِي مَكَانٍ مُحَدَّدٍ وَيَثْبِتُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ. لذا ترجمنا الحديث بالصورة المذكورة. هذا والله هو العالم.

ينقذ نفسه من الزاوية التي حُشِرَ بها، ادعى بشأن الآية ٣ من سورة الزمر^(١) ادعاءً يفتقر إلى الدليل، وأنه وخلافاً لكلامه، كان المشركون يعتبرون معبوداتهم مُقَرَّبَةً لهم إلى الله، وكان كذبهم المُشار إليه في آخر الآية هو هذا الأمر بالذات أي هو ادعاؤهم أن معبوداتهم تقربهم من الله وتشفع لهم عنده، تأتي بما قاله صاحب تفسير «الميزان» في تفسيره للآية ٢٨ من سورة الأحقاف أي قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا ءِالِهَةً ۗ بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأحقاف: ٢٨]، قال:

"و«قُرْبَانًا» بمعنى ما يُتَقَرَّبُ به، والكلام مسوق للتهكم، والمعنى: فلولا نصرهم الذين اتخذوهم آلهةً حال كونهم مُتَقَرَّبًا بهم إلى الله كما كانوا يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]."

وقوله: ﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٨]: أي ضل الآلهة عن أهل القرى وانقطعت رابطة الألوهية والعبودية التي كانوا يزعمونها ويرجون بذلك أن ينصروهم عند الشدائد والمكاره فالضلال عنهم كناية عن بطلان مزعمتهم."

كما اعتبر تفسير «منهج الصادقين»^(٢) أيضاً -ذيل تفسيره للآية ٣ من سورة الزمر- أن المشركين كانوا كافرين بنعمة المنعم الحقيقي، وكاذبين بما ادَّعوه من شفاعة الآلهة.

وجاء في «تفسير نمونه» أيضاً ذيل تفسيره الآية ٢٨ من سورة الأحقاف:

"وتوبُّخ الآية الأخيرة من هذه الآيات هؤلاء العصاة، وتذمُّهم بهذا البيان: ﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا ءِالِهَةً﴾؟"

(١) أي قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الزمر: ٢٨]. (المُتَرَجِّمُ)

(٢) اسمه الكامل: «تفسير منهج الصادقين في إلزام المخالفين»، وهو تفسير روائي أدبي ألفه بالفارسية: الملا فتح الله الكاشاني، من علماء الشيعة الإمامية في القرن العاشر الهجري (ت ٩٨٨هـ)، ويقع في ١٠ مجلدات، وقد طبع في طهران محققاً أكثر من مرة. (المُتَرَجِّمُ)

حقاً، إذا كانت هذه آلهة على حق، فلماذا لا تعين أتباعها وعبادها وتنصرهم في تلك الظروف الحساسة، ولا تنقذهم من قبضة العذاب المهول المرعب؟ إن هذا بنفسه دليل محكم على بطلان عقيدتهم حيث كانوا يظنون أن هذه الآلهة المخترعة هي ملجأهم وحماهم في يوم تعاستهم وشقائهم.....

وأخيراً تقول الآية: ﴿ذَلِكَ إِنْكُفُّهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ فإن هذا الهلاك والشقاء، وهذا العذاب الأليم، واختفاء الآلهة وقت الشدة والعسر، كان نتيجة لأكاذيب أولئك وأوهامهم وافتراءاتهم^(١). انتهى.

وقال شيخ الطائفة الطوسي في تفسيره «التبيان» ذيل تفسيره الآية ٣ من سورة الزمر:

"وقوله ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] معناه الحكاية عما يقول الكافرون الذين يعبدون الأصنام فإنهم يقولون: ليس نعبد هذه الأصنام إلا ليقربونا إلى الله زلفى أي «قربى» - في قول ابن زيد- وقال السدي: الزلْفَى: «المنزلة». و(الأولياء) جمع ولي، وهو من يقوم بأمر غيره في نصرته، وحذف (يقولون) لدلالة الكلام عليه، وهو أفصح، وأوجز.

ثم اخبر تعالى فقال ﴿إِنَّ اللَّهَ يَخْتَصُمُ بَيْنَهُمْ [يوم القيامة] فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من إخلاص العبادة لله والإشراك به، ثم قال ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزمر: ٣] معناه إن الله تعالى لا يهديه إلى طريق الجنة أو لا يحكم بهديته إلى الحق، (مَنْ هُوَ كَاذِبٌ) على الله في أنه أمره باتخاذ الأصنام^(٢)، كافر بما أنعم الله عليه، جاحد لإخلاص العبادة، ولم يرد الهداية إلى الإيمان^(٣).

(١) آية الله ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١٦، ص ٢٩٣.

(٢) لعله يشير إلى الآية ٢٨ من سورة الأعراف التي تقول: ﴿وَإِذَا قَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ

أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحِشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

(٣) الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٣٤٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج ٩، ص ٥. (المترجم)

هذا وقد ذكرت بعض كتب التفسير لدى تفسير الآية ٣ من سورة الزمر حديثاً عن النبي ﷺ فيما يلي نصه:

"إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِكُلِّ شَيْءٍ يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَمْسٍ أَوْ قَمَرٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، ثُمَّ يُسْأَلُ كُلُّ إِنْسَانٍ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ فَيَقُولُ كُلُّ مَنْ عَبَدَ غَيْرَهُ: رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُهَا لِتَقَرَّبِنَا إِلَيْكَ زُلْفَى! قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ: اذْهَبُوا بِهِمْ وَبِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ إِلَى النَّارِ مَا خَلَا مِنْ أَسْتَنْثَيْتُ فَإِنَّ أَوْلِيَّكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ" [الأنبياء: ١٠١]. (نور الثقلين^(١)، ج ٤، ص ٤٧٥).

وقال المرحوم الطبرسي في تفسيره «مجمع البيان» ذيل تفسيره للآية ٣ من سورة الزمر، عن المشركين:

"وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ": أي زعموا أن لهم من دون الله مالكا يملكهم وهاهنا حذف يدل الكلام عليه أي يقولون «مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى» أي ليشفعا لنا إلى الله. والزلفى: «القريبى»، وهو اسم أقيم مقام المصدر.... «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي» إلى طريق الجنة أو لا يحكم بهديته إلى الحق «مَنْ هُوَ كَاذِبٌ» على الله وعلى رسوله [يقصد الأنبياء السابقين]^(٢).

وقال في تفسيره للآية ٢٨ من سورة الأحقاف:

"فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً": أي فهلا نصر هؤلاء المهلكين الذين اتخذوهم آلهة وزعموا أنهم يعبدونهم تقرباً إلى الله تعالى، ثم لم ينصروهم لأن هذا استفهام إنكار «بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ» أي ضلَّت الآلهة وقت الحاجة إليها فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم

(١) «تفسير نور الثقلين» تفسير أخباري جمع مؤلفه فيه كل الأخبار تقريباً الواردة في تفسير الآيات، ومؤلفه هو: الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي من علماء الشيعة الإمامية في القرن الحادي عشر الهجري، كان أستاذاً للشيخ نعمت الله الجزائري، ومعاصراً للمجلسي صاحب البحار وللحر العاملي صاحب الوسائل وللسيد هاشم البحراني وللملا محسن فيض الكاشاني، وقد طبع تفسيره في قم، المطبعة العلمية سنة ١٣٨٣ هـ. ق.، في ٥ مجلدات، بتحقيق وتصحيح السيد هاشم رسولي المحلاتي. (المترجم)

(٢) الشيخ الطبرسي، «مجمع البيان»، ج ٨، ص ٧٦٢. (المترجم)

«وَذَلِكَ إِنْكُفُّهُمْ» أي اتخذهم الآلهة دون الله كذبهم وافتراؤهم وهو قوله «وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ» أي يكذبون من أنها آلهة^(١).

هذا، ثم سمعت بعدها أن الشيخ المذكور بقي يكرّر الكلام ذاته في جلسات تدريسه للطلاب الشباب أو في خطبه المنبرية التي يلقيها على العامة ويواصل خداعه لهم وتضليله. وقد بعثتُ إليه برسالةٍ قلتُ له فيها: إن كنتَ تريدُ الحق والخير فعليك أن تطرح الإشكالات التي أذكرها أنا وأمثالي على ما تقوله ثم تفنّدها بالدليل والبرهان، أما إصرارك على إعادة الكلام نفسه الذي قلته ورددت عليه فهو أمرٌ مخالفٌ للإنصاف العلمي وهو في الواقع خداع للعامة، ألا تخاف الله عندما تكتم دلائل الخصم وتتجاهلها وتعرض للناس كلاماً أنت تعرف الردّ عليه؟ ولم يجب على رسالتي وفي الوقت ذاته لم يتوقف عن تكرار كلامه واستمر على ذلك. ولقد ثبت لي مراراً خلال السنين الطويلة التي قضيتها بين المشايخ أن أكثرهم لا يبحث عن الحق والحقيقة. واللهُ وِيٌّ التَّوْفِيقِ وَلَهُ الْحَمْدُ.

إن تعصب المشايخ ومخالفتهم للحق لا تنحصر بهذا الشخص. من النماذج الأخرى لذلك أحد طلاب الشريعة الشباب الذي كان يحضر أحياناً جلسات التفسير التي أعقدها في منزلي وكان يطرح إشكالات مختلفة على ما أقوله، وكان من الواضح أنه متردد بين قبول عقائدنا أو قبول خرافات أهل الحوزة^(٢)، وجاء يوماً وحده لعيادتي حيث كنت مريضاً طريح الفراش، وقال لي أثناء كلامه: أنت مثل الوهابيين تعمّم نهي القرآن عن دعاء الأصنام على المسلمين الذين لا يدعون الأصنام، فما دليلك على هذا التعميم؟ مثلاً قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر: ١٣، ١٤] فهذا يبيّن أنّ المدعوين لا يملكون القشرة الرقيقة التي تغلف نواة التمرة (= قطمير) وهو كناية عن عدم ملكهم لشيء مطلقاً. ومن الواضح أنّ الأصنام لم تكن تمتلك شيئاً، أما النبي الأكرم ﷺ أو أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فليس كذلك. فهل

(١) الشيخ الطبريّ، «مجمع البيان»، ج ٩، ص ١٣٩. (المترجم)

(٢) قلنا إن المقصود بالحوزة: مركز الدراسات الدينية في قم أو مشهد أو النجف أو غيرها من العواصم الدينية الشيعية حيث يتلقى طلاب الشريعة العلوم الشرعية الإسلامية. (المترجم)

تعتقد الآن أن النبي لا يملك شيئاً على الإطلاق؟! ألا يملك حضرته ﷺ عند الله أعلى المقامات؟! أليس هو حيٌّ عند ربه يُرَزَق؟! أليس مصداقاً لقوله تعالى: «عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَّقُونَ»؟! ألا تعتبر أنّ شهداء بدر وأحد وجميع الذين استشهدوا في سبيل الله أحياء عند ربهم يُرَزَّقُونَ؟! ألا تعتبرهم مالكين لدرجات عالية رفيعة ومالكين للرزق الذي يُرَزَّقونه عند الله؟! فكيف تعتبر المسلمين الذين لا يدعون الله بل يدعون النبي والأئمة الذين مقامهم أعلى من مقام الشهداء مشمولين بالآيات التي نزلت في حق عبّاد الأصنام والأوثان؟!!

قبل أن أردّ على شبهة هذا الشاب سألته: هل تعرف آية الله العظمى السيد محسن الحكيم؟ قال: أجل. قلت: كيف كان هذا العالم؟ فأثنى عليه الشاب ثناءً كبيراً معتبراً إياه مجتهداً ومرجعاً مشهوراً ذا مقام رفيع وأستاذاً كبيراً من أساتذة الحوزة العلمية في العراق وأثنى على أسرته أيضاً وقال إن أولاده يناضلون ضد الحكومة العراقية و.... فعرفتُ أنه حسن الظن جداً بالمرحوم الحكيم. ولما كنت طريح الفراش بسبب المرض وكانت كتبي على الرفوف إلى جوارى أشرت إلى كتابي «أحكام القرآن» ورجوته أن يحضره لي فقام وأخذ الكتاب من الرف وأعطاني إياه. فقلت له: لو قلت لك إن آية الله الحكيم كان سُنيّاً بل كان وهابياً فهل تصدق؟ قال: لا أصدق ذلك أبداً، ما هذا الكلام الذي تقوله؟ إنه كان مرجعاً عظيماً من مراجع الشيعة وهذا أظهر من الشمس. عند ذلك فتحت كتاب «أحكام القرآن» واستخرجت منه كُتَيْباً صغيراً وأعطيته إياه وقلت له اقرأه، إن هذا الكُتَيْب الذي يحمل على غلافه عنوان «أباطيل الحكيم»، اعتبر السيد الحكيم مروّجاً لمذهب الوهابية ومنكراً للأُمور المعروفة من الدين بالضرورة بل اعتبر آية الله الحكيم دجّالاً ومروّجاً للوهابية^(١). بهت الشاب من رؤية هذا الكُتَيْب وتعجّب كثيراً ولم يدر ما

(١) كُتَيْب «أباطيل الحكيم» طبعته الهيئة العلمية في النجف الأشرف في ثمان صفحات بالقطع الصغير وباللغتين العربية والفارسية وسعّرته بريالين، وانتقدت فيه آراء السيد الحكيم في المجلد الأول من كتابه «مُسْتَمْسَكُ العُرْوَةِ الوُثْقَى» في خمسة عشر مورداً، دون ذكر للدليل الشرعي. في الصفحة ٧ من هذا الكُتَيْب قيل: «غير خفي على العوام فضلاً عن الخواص، أن الفتاوى المدرجة أعلاه للسيد محسن الحكيم بدعة في الدين وإنكار للضروري من شريعة سيد المرسلين ﷺ وتشكيك من أصول الدين وترويج لمذهب الوهابيين.

يقول، وفي النهاية قال: ما علاقة هذا الكتيب بموضوع نقاشنا؟! قلت له: لا علاقة لهذا الكتيب ببحثنا، لكنك رأيت بأمر عينك اتهام عدد من شيوخ النجف للعالم الذي تعتبره مرجعاً رفيع القدر للشيعة بأنه دجال وأنه وهابي. لقد أردتُ بذلك أن أفهمك أنه لا ينبغي أن يخاف الإنسان ويرتعب من كل تهمة واقتراء. كثير من علماء المذاهب - سواء من الشيعة أو من السنة - عندما يواجهون رأياً مخالفاً لمزاجهم ولما اعتادوا عليه يعتبرون المخالف منحرفاً ويتهمون به بالخروج من مذهبهم. إن كانوا شيعةً اتهموا من يخالفهم في الرأي بأنه وهابيٌّ أو سُنيٌّ وفاقد للولاية و.... وإن كان سُنيّاً اعتُبر من يخالفه بالرأي شيعياً رافضياً و....! هذا في حين أن الواجب على الإنسان عندما يُراد إبطال رأي الطرف المقابل أن يُبرز دليلاً وبرهاناً على بطلان قول خصمه فقط. بناء على ذلك، من المهم أن تعلم:

أولاً: أنه لا أهمية لكون كلامنا يشبه كلام الوهابيين أو لا يشبهه، وكذلك سأقول لشخص سُنيٍّ إذا قال لي إن كلامك في هذا الموضوع يماثل كلام الشيعة: لا أهمية لمشابهة كلامي لكلام الشيعة، المهم: ما هو الدليل والمستند على ما أقوله وأدعيه؟

ثانياً: هذه الشبهة التي سمعتها من شيوخ الحوزة العلمية ضعيفةٌ للغاية، وقد بينتُ مرات عديدة بطلان هذه المغالطة في جلساتي ولعلك لم تسمع ذلك ولكن طلبك مني أن آتيك بالدليل على التعميم طلبٌ جيدٌ جداً. وإليك بيان الدليل على ما أقول: أولاً: يجب أن نتبه إلى أن تصورنا نحن الناطقون باللغة الفارسية عن كلمة «مَلِك» و «مَالِك» لا ينطبق تماماً على معنى الكلمتين في لغة القرآن. لو رجعنا إلى كتاب الله للاحظنا أن المَلِك ومشتقاته - والتي مصدرها في اللغة العربية من «مَلِك ومُلْك ومَلِك» بمعنى: استولى على الشيء وكان في قدرته أن يتصرف فيه بما يريد - جاءت في القرآن الكريم على معانٍ أوسع بكثير مما تظنه. فمثلاً نقول في اللغة الفارسية: «مَنْ دَسْتُ دَارَم» [وترجمته الحرفية: أنا أملك يداً] أو «من دارندهي دستم» أو ربما نقول: «من مالك دست خويشم» [وترجمته الحرفية: أنا مالك يدي]، أما في اللغة العربية فنقول في مثل هذه الموارد «لي يدٌ» أو «عندي يد»، ولا يُقال في العربية «فلانٌ يملك يداً»، وبعبارة أخرى، لا يُستفاد في اللغة العربية من فعل «المَلِك» للتعبير عن امتلاك شيء إلا إذا كان المراد هو أكثر من امتلاك شيء.

فمثلاً في القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿مَا أَخْلَقْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا﴾ [طه: ٨٧] أي لم نخلف موعدك باختيارنا وإرادتنا، فكما يُلاحظ كلمة «مَلِك» هنا ليست بمعنى امتلاك الشيء. أو يقول تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ [النبا: ٣٧] ومن الواضح أن فعل «يَمْلِكُونَ» في الآية ليس بمعنى مُلِك الشيء لأن «الخطاب» ليس شيئاً قابلاً للتملُّك! أو عندما يقول تعالى على لسان الهدهد: ﴿وَجَدْتُ أُمَّرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ [النمل: ٢٣] فليس المراد أن جميع أهل سبأ كانوا عبيداً مملوكين ملك اليمين لبلقيس، بل المقصود أن بلقيس كان حاكمة لهم متصرفة بأمرهم، وأنها صاحبة القرار وزمام أمور شعب سبأ بيدها. ولهذا السبب يُطلق على الشاه الذي يملك التصرف بأمور الناس عبارة «الملك». أو عندما يقول تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نَشُورًا﴾ [الفرقان: ٣] فإنه من الواضح أن إماتة الأحياء أو إحياء الموتى أو بعثهم ونشورهم ليست أشياء قابلة للتملُّك والحيازة، بل المراد أن مثل هذه الأمور لا يقدر عليها أحدٌ سوى الله. لقد استخدم القرآن الكريم بشأن من توضع لديه أمانة بحيث يجوز له التصرف فيه فعل «مَلِك يَمْلِك» رغم أن من بيده الأمانة ليس مالكا لها في الواقع لأنه ليس صاحبها، فقال تعالى: ﴿مَلِكْتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾ [النور: ٦١] فأنت تعلم أن المجاهدين الذين كانوا يخرجون للجهاد مع رسول الله ﷺ كانوا يتركون مفاتيح بيوتهم أمانة لدى بعض معارفهم كي يهتموا بأمور بيوتهم. فلم يكن أولئك المعارف مالكين حقيقيين للمفاتيح ولكن كان لهم حق التصرف بها في فترة غياب أصحابها.

ثالثاً: إذا كنت ذا سلامة في بدني فهذا لا يعني أنني أملك السلامة بل يعني أنني سالم أي أنني واجد للسلامة، وكذلك إذا كنت ذا جمال فهذا لا يعني أنني أملك جمالاً بل يعني أنني جميل أي واجد للجمال، ولهذا السبب ذاته لا أستطيع أن أنقل السلامة أو الجمال أو أبيعها أو أعطيها لآخر كما لا أستطيع أحد أن يأخذها مني (فتأمل). وقياساً على هذا إذا كان لي يوم القيامة مقامات عالية فإنني أكون واجداً لهذه الدرجات والمقامات لا أكون مالكا لها ولا أستطيع أن أعطي هذه الدرجات لك أما الله تعالى فهو مالك الدرجات ويمكنه أن يمنح ما يشاء هذه الصفة أو المقام أو أي صفة أخرى أو يأخذها ممن يشاء. بناء على ذلك، فإن الأمور التي لا تقبل التملك إذا عبّر عنها بفعل الملك فإنها يُقصد من ذلك وجدان تلك الأمور أو الاتصاف بها. وفي رأينا إن رسول

الله ﷻ الذي يملك أعلى الدرجات عند الله هو «واجد» لتلك الدرجات لا تمتلك لها (فتأمل).
وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ بِالطَّبَعِ أَنْ يُعْطِيَكَ تِلْكَ الدَّرَجَاتِ أَوْ جِزْءًا مِنْهَا أَوْ يَسْلُبَكَ دَرَجَاتِكَ أَوْ
يَسْلُبَنِي دَرَجَاتِي. إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْذَنْ لِأَحَدٍ بِمِثْلِ ذَلِكَ.

فإذا قال القرآن: إن المعبودات التي تدعونها لا تملك شيئاً مطلقاً فمعنى ذلك أنها لا تملك
التصرف بشيء وهذا لا يتنافى مع امتلاكها لمقامات عظيمة ودرجات كثيرة. إن مغالطة المشايخ
هي أنهم يتجاهلون الفرق بين «الاتصاف» بالشيء وبين «ملك» الشيء كي يستطيعوا أن يدافعوا
عن الخرافات ويخدعوا العوام. لأن كثيراً من الناس لا يعلمون أن فعل «مَلَكٌ يَمْلِكُ فَهُوَ مَالِكٌ»
في اللغة العربية يعني في كثير من الحالات صاحب القدرة على التصرف ونفاد الإرادة.

رابعاً: لقد بين لنا القرآن أن الأنبياء لا يعلمون شيئاً عن العالم الفاني بعد رحيلهم عنه [سورة
المائدة: ١١٧]، وبناء على ذلك لا نستطيع أن نوصل صوتنا إليهم، كما نرى أنه تعالى قال في الآية
التي تم الاستشهاد بها: ﴿لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]، وذلك لأنهم انتقلوا إلى عالم البقاء
ولم يعودوا قاطنين في عالم الفناء. ولو كان المقصود مجرد التماثيل الخشبية والحجرية و... لما كان
هناك من ضرورة لذكر جملة ﴿لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ لأن المشركين كانوا يعلمون جيداً أن
أصنامهم هذه غير قادرة على الكلام والسمع والرؤية ولا تملك فعل شيء [الأنبياء: ٦٥]^(١).
وأضاف القرآن كذلك قوله عنها: ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ
بِشْرِكِكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]، ولو كان المشركون يعبدون جمادات من الخشب والمعادن والحجر فإن
الجماد لا شعور له ولا قدرة له على فعل شيء حتى يكفروا بشرك من أشرك به يوم القيامة.
ولانتفى كليا احتمال سماعه لعبادة من عبده، لكن هذا الفرض ذُكر في الآية مما يفيد أن المعبودات
التي كان المشركون يدعونها كانت أشخاصاً ذات شعور ولم تكن التماثيل سوى تجسيدا لها
ومذكراً بها، ولذلك فإن تلك المعبودات سوف تعترض على عمل المشركين تجاهها وتجاه تماثيلها.

(١) ونص الآية هو: ﴿ثُمَّ نُكْسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾. (المترجم)

خامساً: لقد قرأت أيضاً في تفسير «الميزان»^(١) وتفسير «نمونه»^(٢) اللذين ألفهما علماء قم، قوهما إن المشركين لم يكونوا يعبدون مجرد تماثيل خشبية أو معدنية بحد ذاتها، بل كانوا يعتبرون تلك التماثيل مظاهر تمثل لهم الملائكة والجن والأنبياء والصُّلحاء والكائنات المُقدَّسة وتذكُّرهم بها.... بناء على ذلك كان الملائكة والصُّلحاء أيضاً ذوي مقامات عالية ودرجات رفيعة عند الله. هل تعتقد أن النبي الأكرم ﷺ و أمير المؤمنين علي عليه السلام وحدهما فقط لديهما مقاماً رفيعاً وشأناً عظيماً عند الله وأنها وحدهما حيَّين عند ربها يُرزقان؟! وأن سائر الأنبياء والصالحين والملائكة و... - مثل حضرة المسيح (ع) وحضرة مريم (ع) اللذين نجد تماثيلهما في الكنائس واللذين يدعوها النصرى في الشدائد والمُلبَّات بصورة غير مقيَّدة مع أن قول القرآن بأنهما ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ يشملهما - ليس لهم أي مقام رفيع ولا منزلة عالية عند الله وليسوا «أحياء عند ربهم يُرزقون»!؟

لقد قال القرآن عن شفعاء المشركين: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلُوا كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الزمر: ٤٣]، ألم يكن لأولئك الشفعاء درجات ولم يكن لهم حواس وصفات!!؟

بناء على ذلك، عليك أن تأتي بدليل يفيد أن القرآن حصر النهي عن دعاء غير الله دعاءً غير مقيَّد بدعاء الأصنام في عصر الجاهلية في الجزيرة العربية في حين أن في نظرنا نهي القرآن يشمل كل ما يدخل تحت عنوان «من دون الله» ولا يختص بالتماثيل الخشبية والحجرية و.... ولما كان الأنبياء والأولياء والأوصياء والملائكة والجن و.... غير خارجين من عموم عبارة «من دون الله» لذا كل من كان تابعاً للقرآن كان عليه أن يُراقب نفسه بشدة كي لا يقوم بعمل نحو غير الله يدخل تحت ذلك النهي القرآني. وبعبارة أخرى تخصيصك هو الذي لا دليل عليه لا تعميمنا. (فتأمل).

(١) لقد ذكرنا ما جاء في تفسير «الميزان» ذيل تفسير الآية ٣ من سورة الزمر في الصفحة ٢٧٠ من الكتاب الحاضر.

(٢) راجعوا قول مؤلف تفسير «نمونه» في الصفحة ٢٧١ إلى ٢٨٢ من الكتاب الحاضر.

وهكذا انتهى النقاش ولم يعد ذلك الشاب إلى زيارتنا، لكنني سمعت أنه كان يغتابني ويسيء الكلام بحقي هنا وهناك. نعوذ بالله من العصبية.

تذكرت الآن وأنا أكتب هذه الأسطر الآية الكريمة التي يقول تعالى فيها: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧]. ويجب أن نتنبه إلى أن جملة «لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ» صفة بعد الصفة للموصوف الذي هو كلمة «إِلَهًا». يعني أن هذه الجملة تصف الصفة التي جاءت قبلها. وبعبارة أخرى فإن القرآن الذي قال: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨] واعتبر الدعاء عبادةً وقال: ﴿أَمَرَ آلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠] وكرر أكثر من مرة الاستفهام الإنكاري: ﴿أَأَلَهُ مَعَ اللَّهِ؟﴾ [النمل: ٦٢ و ٦٤]، ونهى عن عبادة ما ليس هناك من حجة ولا برهان على جواز عبادته [سورة آل عمران: ١٥١، الأنعام: ٨١، الأعراف: ٣٣، الحج: ٧١] لا يقول بالطبع أن «مِنْ دُونِ اللَّهِ» على نوعين: نوع يوجد عليه برهان (أي: لَهُ بُرْهَانٌ بِهِ) ونوع يفتقد إلى البرهان على عبادته (أي: لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ)، بل يقول إن كل ما هو «مِنْ دُونِ اللَّهِ» صفته أنه (لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ) (فتأمل جداً). وجملة: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [المؤمنون: ١١٧] جزاء الشرط وللتهديد، وعلى المسلم أن يتنبه إليها كثيراً.

في رأي كاتب هذه السطور لما كان المشايخ لا برهان لهم فيما يقولون، فإنهم يضطرون إلى المغالطة والسفسطة وإثارة العوام. نعوذ بالله من العصبية.

الفصل الثاني [من مفاتيح الجنان] : في فضل شهر شعبان وأعماله

هذا الفصل يتعلق بشهر شعبان. نجد فيه عدداً من الروايات المروية عن أسرة «الفضال» الذين كانوا فطحبي المذهب^(١). أو نجد أحاديث رواها أشخاص ضعفاء غير موثوقي الرواية مثل محمد بن جمهور والسياري وداود بن كثير الرقي وأحمد بن هلال العبرتائي و.....^(٢).

يبدو أن الشيخ عباس القمّي نسي في هذا الفصل ما كان قد كتبه في بداية الفصل الأول المتعلق بشهر رجب حين قال إن شهر رجب شهر الله. فقد روى في هذا الفصل الثاني جزءاً من حديث جاء فيه "شَعْبَانُ شَهْرِي وَرَمَضَانُ شَهْرُ اللَّهِ"^(٣). وفي الحديث ذاته جاء بعد ذلك: "... فَمَنْ صَامَ مِنْ شَهْرِي يَوْمًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ!!". وفي آخر الحديث جاء: "وَمَنْ صَامَ الشَّهْرَ كُلَّهُ وَوَصَلَهُ بِشَهْرِ رَمَضَانَ كَانَ ذَلِكَ تَوْبَةً لَهُ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ وَلَوْ مِنْ دَمٍ حَرَامٍ" أي أن من صام شهر شعبان حتى لو كان قد ارتكب قتل النفس المحرّمة نفعه ذلك وغُفِرَ له ذنبه!!!

أو ذكر حديثاً آخر يقول: "وَمَنْ قَالَ فِي شَعْبَانَ أَلْفَ مَرَّةٍ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عِبَادَةَ أَلْفِ سَنَةٍ". [أي ما يعادل عشرات أضعاف ليلة القدر؟!]، وقد ذكر الشيخ عباس القمّي -ربما حفظاً لماء الوجه- قيد «في كل الشهر» مع أن هذا القيد غير مذكور في أصل الحديث. ثانياً: لم يذكر الشيخ عباس بقية الحديث الذي جاء فيه: "وَمَحَا عَنْهُ ذَنْبَ أَلْفِ سَنَةٍ، وَيَخْرُجُ مِنْ قَبْرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَوَجْهُهُ يَتَلَأَلُ مِثْلَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَكُتِبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا"^(٤).

(١) اعتبر ابن داود الحليّ وصاحب كتاب السرائر وغيرهما: «ابن فضال» ضعيفاً. للتعرف على أحواله راجعوا

كتاب «الزكاة» للمرحوم قلمداران، فصل «شرح حال علي بن فضال» ص ١٨٩ فما بعد.

(٢) للتعرف على أحوال هؤلاء الرواة راجعوا كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول».

(٣) وسائل الشيعة، ج ٧، ص ٣٧٧، الحديث ٢٨.

(٤) إقبال الأعمال، السيد ابن طاووس، ص ٦٨٥، ووسائل الشيعة، ج ٧، ص ٣٨٠.

ألم يتساءل الشيخ عباس في نفسه: كيف عرف الله الرحيم لنا شهر رمضان وليلة القدر في القرآن الكريم رغم أن ثوابها أقل، وامتنع عن تعريفنا بأهمية شهر شعبان رغم هذا الفضل والثواب الأكثر بكثير له؟!

توجد في هذا الباب كثير من مثل هذه الروايات التي تعطي ثوابات عجيبة وغريبة لا حد لها ولا حصر على أعمال ضئيلة. ولكن كما سبق أن بيّنا كل الروايات التي توجب الجنة لمن قام بعمل مستحب روايات مردودة وباطلة أن النظام الإلهي نظام قائم على العدل والحساب الدقيق وليس نظاماً لا حساب فيه ولا كتاب.

إننا لتعجب من عدم تورّع الشيخ عباس القمّي عن رواية مثل هذه الروايات الباعثة على الاغترار والفتنة، ولكنه لا يروي في كتابه الحديث التالي الذي يوافق القرآن ويستند إليه: "عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ صَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ كَانَ كَمَنْ صَامَ الدَّهْرَ، لِأَنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- يَقُولُ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الانعام: ١٦٠]"^(١).

يقول الشيخ عباس القمّي في هذا الفصل إن رسول الله ﷺ كان يصل صيام هذا الشهر بصيام شهر رمضان، في حين أن هناك حديثاً معارضاً لهذا الكلام رواه الشيخ الصدوق يقول: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ شَعْبَانَ يَصُومُ فِي أَوَّلِهِ ثَلَاثًا وَفِي وَسْطِهِ ثَلَاثًا وَفِي آخِرِهِ ثَلَاثًا وَإِذَا دَخَلَ شَهْرَ رَمَضَانَ أَفْطَرَ قَبْلَهُ بِيَوْمَيْنِ ثُمَّ يَصُومُ"^(٢). من المفيد في هذا الموضوع مراجعة كتاب «المُصَنَّف» تأليف الحافظ عبد الرزاق الصنعاني الذي كان من قدماء الشيعة (ج ٤، ص ١٥٨).

في هذا الفصل افتري حديث على حضرة السجاد (ع) (ص ١٥٢ - ١٥٣) وُصِفَ فِيهِ النَّبِيُّ وَآلَهُ بِأَنَّهُمْ «غِيَاثُ الْمُضْطَرِّ»! ويبدو أن الشيخ عباس القمّي لم يكن يعلم أن «غياث المضطرّ» هو

(١) بحار الأنوار، ج ٧، ص ١٠٨.

(٢) وسائل الشيعة، ج ٧، ص ٣٧٥، وبحار الأنوار: ج ٩٤، ص ٧٣.

الله وحده [النمل: ٦٢ إلى ٦٤]^(١)، وإلا لما أورد تلك الصلوات الفاضحة في كتابه^(٢). وبالطبع فإن الرواية التي يُتَحَفُّ المسلمون بها شخص مثل «أحمد السيارى»^(٣) لن تكون أفضل من ذلك.

ثم روى الشيخ عبَّاس القُمِّيُّ تحت عنوان «الأعمال العامة في شهر شعبان» مناجاة عن «ابن خالويه» ادَّعى أنها كانت مناجاة جميع الأئمَّة. هذا مع أنَّ «أبو عبد الله الحسين بن محمد خالويه» كان من علماء القرن الرابع الهجري وأكثر ما يمكن قوله أنه وُلِدَ في آخر القرن الثالث الهجري وكان من أهالي مدينة «حلب». وعليه فإن الشيخ عباس روى عنه هذه المناجاة الشعبانية دون أن يعرفنا بالرواة الذين رووها له عن الأئمَّة، ولذلك فليس من البعيد أن تكون هذه المناجاة التي نسبها إلى الأئمَّة من صياغته هو نفسه أو يكون قد تصرَّف فيها من عنده. ولا شك أنه كان ينبغي أن تكون هذه المناجاة - التي يدَّعي أنها كانت مناجاة الأئمَّة جميعهم - مشهورة أكثر من أن يقتصر الاطلاع عليها على «ابن خالويه» وحده، ولا ينقلها أحد غيره من مشاهير المحدثين كالكليني الذي كان ساكناً في العراق أو الشيخ الصدوق أو..... وَمِنْ ثَمَّ فمجرد انتساب رواية إلى «ابن خالويه» لا يستوجب الثقة بصحتها. وقد رُوِيَ عن الشخص ذاته أن رسول الله ﷺ قال: "مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِقَصَبَةِ الْيَاقُوتِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ لَهَا كُونِي فَكَانَتْ، فَلَيْتَوَلَّ عَلَيَّ بَنَ أَبِي طَالِبٍ مِنْ بَعْدِي"^(٤).

لاحظوا أن واضع هذا الحديث لما سمع أن الله خلق حضرة آدم من التراب ثم قال له كن فكان، طبق هذا الموضوع على قصبة (أي غصن) الياقوت. في حين أن المقصود بالنسبة إلى حضرة آدم كان نفخ الروح والحياة في قلبه الجسدي، أما قصبة الياقوت فلا تتشكل من روح وجسم بل بمجرد خلقها يكون قد اكتمل وجودها ولا حاجة لنفخ الروح فيها حتى يُقال لها بعد خلقها: كُونِي فَكَانَتْ!

(١) ونص الشاهد في الآية هو: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ

أَوْلَاهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾. (المترجم)

(٢) رغم أن الشيخ الطوسي مع الأسف أورد هذه الصلوات في كتابه «مصباح المتهجد»، (ص ٧٦٠)!!

(٣) للتعرف على حاله راجعوا كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول» ص ١٤٩.

(٤) المجلبي، بحار الأنوار، ج ٣٩، ص ٢٦٧. (المترجم)

على كل حال، يمكننا أن نقول إنه لا إشكال في نص المناجاة الشعبانية لكن الإشكال هو في نسبتها إلى الشارع دون دليل قوي على ذلك، وأكثر ما يمكن قوله أنها مشمولة بالإذن العام بالدعاء الذي تحدّثنا عنه سابقاً. وإنّي لأتعبج من بعض ملفّقي العرفان والتصوف الخرافيين في زماننا الذين يتجاهلون إظهار الأئمة لتقصيرهم واعترافهم بالذنب أمام الله تعالى كله الذي نقرّوه في مثل هذه الأدعية، ولكنهم إذا وجدوا عبارتين كبيرتين فخمتين تتناسبان مع أفكارهم الصوفية اهتمّوا بها اهتماماً بالغاً واستخرجوا منها مقامات عرفانية وسوّدوا حول هذا الموضوع صفحات كثيرة.

فمثلاً جاء في هذه المناجاة ذاتها: "فَقَدْ جَعَلْتُ الْإِفْرَارَ بِالذَّنْبِ إِلَيْكَ وَسِيْلِي". وجاء أيضاً: "عُدَّ عَلَيَّ بِفَضْلِكَ عَلَيَّ مُذْنِبٌ قَدْ عَمَّرَهُ جَهْلُهُ، إِلَهِي قَدْ سَتَرْتَ عَلَيَّ ذُنُوبًا فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَحْوَجُ إِلَى سَتْرِهَا عَلَيَّ مِنْكَ فِي الْآخِرَى.....". أو جاء كذلك: "إِلَهِي أَنَا عَبْدُكَ الضَّعِيفُ الْمُذْنِبُ".

مثل هذه الجمل يمر عليها أهل التصوف والعرفان مرور الكرام لكنهم عندما يصادفون عبارات مثل: "إِلَهِي هَبْ لِي كَمَالَ الْإِنْفِطَاعِ إِلَيْكَ وَأَنْزِ أَبْصَارَ قُلُوبِنَا بِضِيَاءِ نَظَرِهَا إِلَيْكَ حَتَّى تَحْرِقَ أَبْصَارَ الْقُلُوبِ حُجَبَ الثُّورِ فَتَصِلَ إِلَى مَعْدِنِ الْعِظْمَةِ"، أخذوا هذه الجمل التشبيهية والمبهمة وبنو عليها عقيدتهم بوصال الحق والانفصال عنه واخترعوا مقامات ربوية وتالية للربوبية! وينبغي أن نقول لهم: لا تجعلوا هذه العبارات الكنائية والتشبيهية حجة ومستمسكاً لتلفيقاتكم، واذهبوا وافرّوا القرآن الذي بين لنا طريق معرفة الله ونيل الكمالات الإنسانية بعبارات واضحة بينة ليس فيها وصال بالحق وانفصال عنه. ولا يخفى بالطبع أن لحن هذا الدعاء يختلف عن الأدعية الموثوقة المروية عن النبي الأكرم عليه السلام (فتأمل).

من جملة الكتب التي استند إليها الشيخ عبّاس في كتابه كتاب منحول ساقط من الاعتبار يسمى «تفسير الإمام الحسن العسكري (ع)». فمثلاً استند إلى هذا الكتاب في بيانه للأعمال الخاصة بشهر شعبان واليوم الأول من هذا الشهر!! ولكي يطّلع القراء الكرام على وضع ذلك التفسير الموضوع ننقل فيما يلي ما ذكره المحقق المجاهد جناب الأستاذ «حيدر علي قلمداران» (رحمه الله) بشأنه:

"إذا رجعنا إلى سند هذا التفسير تَبَيَّنَ لنا أن الرجال الذين رووه مجهولون غير معروفين الحال وكذّابون، فأحد رواة سنده «سهيل بن أحمد الديباجي» الذي قال ابن الغضائري عنه: «إنه كان يضع الأحاديث ويروي عن المجاهيل». وقد رواه «سهيل بن أحمد» هذا عن «محمد بن القاسم الاسترآبادي». قال العلامة الحلي في رجاله عن هذا التفسير ما يلي:

«محمد بن القاسم وقيل: ابن أبي القاسم، المُفسِّر الاسترآبادي روى عنه «أبو جعفر ابن بابويه» ضعيفٌ كذابٌ، روى عنه تفسيراً يرويه عن رجلين مجهولين أحدهما يُعرف بيوسف بن محمد بن زياد، والآخر علي بن محمد بن يسار عن أبيهما عن أبي الحسن الثالث (ع). والتفسير موضوع عن سهل الديباجي عن أبيه بأحاديثٍ من هذه المناكير»^(١).

هذا من حيث السند، أما من حيث متن هذا التفسير المنسوب للإمام ومضامينه، فحدث ولا حرج عن الأغاليط والمنكرات العجيبة التي فيه:

أولاً: كاتبه جاهل إلى حدٍّ كبير بالتاريخ إلى درجة أنه يقول فيه إن الحجاج بن يوسف الثقفي الذي كان والياً على العرَاقين من قِبَل عبد الملك [بن مروان]، أراد قتل المختار بن أبي عبيدة الثقفي أكثر من مرّة، لكنه لم ينجح في ذلك، بل نجّاه الله منه وتمكّن من الانتقام من قتل الحسين بن علي (ع)!! هذا رغم أن جميع التواريخ تشهد بأن الحجاج تولى إمارة العرَاقين سنة ٧٥ للهجرة، أما قتل المختار فتمّ قبل ذلك بعدة سنوات إذ قُتل سنة ٦٧ هجرية على يد مصعب بن الزبير المأمور من قِبَل أخيه عبد الله بن الزبير بمحاربة المختار.

وقصة عبد الملك بن مروان وقتل مصعب و وضع رأسه [بين يدي عبد الملك] في دار الإمارة في الكوفة من مشهورات التاريخ. إن مؤلّف هذا التفسير مثله مثل مؤلّف كتاب «بحر الأنساب» المنسوب إلى الإمام جعفر الصادق (ع) - الذي قام أحد باعة الكتب المعتمدين في طهران بطباعته ونشره قبل بضعة سنين قُرْبَةً إلى الله (!!)- لم يكن يملك أية معلومات تاريخية، إلى الحد الذي ذكر

(١) رجال العلامة الحلي، مطبعة الحيدرية (النجف) الطبعة الثانية، ص ٢٥٦ و ٢٥٧. ومن الجدير بالذكر أن هذا الكلام نقله العلامة الحلي بالحرف من كلام ابن الغضائري في رجاله عن «محمد بن القاسم المُفسِّر الاسترآبادي». رجال ابن الغضائري، ج ٦، ص ٢٥. (المُترجم)

ثانياً: إن التدقيق في مضامين هذا التفسير يُظهر اشتماله على كثيرٍ من التُّرّهات أو «المناكير» - على حد قول العلامة الحليّ - التي لا نجد ما يؤيدها في أي كتاب آخر، والتي يمكننا أن ندرّك أنها لا تقتصر على مخالفة صريح القرآن فحسب بل لا تنسجم مع أي عقل ومنطق. كما أن فيه كثيراً من الأمور التي هي من موضوعات الغلاة، بل حتى لا نجد لها مثيلاً في أي كتاب من كتب الغلاة أيضاً! ففي معرض تفسيره لآية ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣] التي تحدى الله تعالى فيها الناس جميعاً أن يأتوا بمثل هذا القرآن، ذكر معجزة دفع غائط النبي ﷺ وكيف أن المنافقين كانوا يتعقبون النبي ﷺ ليروا عورته وغائطه فحرموا من ذلك ويُسّوا منه، وظهرت لهم معجزة كبيرة في ذلك! كما تحدث عن ضيق فروج نساء الجنة ووسعتها!! وتُرّهات لا طائل تحتها مثل نطق حمار كعب بن الأشرف وإيمانه، وشراء قيس بن شماس لهذا الحمار المؤمن!! وفيه من مثل هذه الأباطيل ما يحير الإنسان ويصيبه بالدهشة!! هل يجب على الناس في الدنيا أن ترجع إلى مثل هذا التفسير وتنهل من فيضه!!؟.

هذا، ولقد قام العلامة المحقق جناب الحاج الشيخ «محمد تقي الشوشترى»^(١) في كتابه القيم "الأخبار الدخيلة" -الذي طُبِعَ بعد اثنتي عشرة سنة من نشر كتابي «ارمغان آسان» - بانتقاد هذا التفسير في الصفحات من ١٥٢ حتى ٢٢٨ منه، ويبيّن وضع مندرجاته وكذبها، وقال في ختام ذلك: لو كان هذا التفسير صحيحاً لكان الإسلام من أساسه كذباً! لأنه يتضمّن الجمع

(١) هو العلامة المدقق والرجاليّ المحقق آية الله الشيخ «محمد تقي بن الشيخ محمد كاظم الشوشترى» أو «التستري»، من علماء الإمامية المعاصرين في إيران ولد في النجف عام ١٣٢٠هـ، ثم انتقل مع أبيه صغيراً إلى «تستّر» جنوب إيران واستقر فيها حتى وافاه الأجل عام ١٤١٥هـ، ترك عدة آثار قيمة أشهرها كتابه «الأخبار الدخيلة» في مجلد ثم أضاف إليه فيما بعد مستدركاته في ٣ مجلدات، ويعتبر أول كتاب يعالج موضوع وضع و دس وتحريف الحديث في مصادر الحديث الإمامية. وله «قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب» و «النجعة في شرح اللمعة» وله كتاب رجالي ضخم باسم «قاموس الرجال في شرح تنقيح المقال» طبع في ١١ مجلداً. قال عنه الشيخ المعاصر آية الله جعفر السبحاني: "هو من المشايخ الأعظم الذي يضمن بهم الدهر إلا في فترات قليلة". (المُترجم)

بين التقيضين وهو مُحال.

إن مطالعة كتاب السيد الشوشتري تُبيِّن لنا مقدار الكذب والافتراء على الأئمة عليهم السلام الذي قام به أعداء الدين والأصدقاء الجاهلين الذين هم أسوأ من الأعداء، في فترة حياة أولئك الأئمة الكرام، وتُظهِرُ لنا كيف أن الوضاعين الكذبة كانوا يجاربون الأئمة المظلومين ويقتلونهم لا بالسيف والسنان بل بالقلم واللسان!! إلى حد تصوير أولئك الأئمة الأجلاء الكرام بصورة أشخاصٍ أعداءٍ للحقيقة -والعياذ بالله- يؤهلون أنفسهم ولا يعرفون الله!!^(١). انتهى.

"والكتاب الثاني الرائج بين الشيعة باسم تفسير الأئمة المعصومين كتاب «تفسير البرهان» تأليف السيد هاشم البحراني. في هذا الكتاب أورد مؤلفه كل ما رُوي عن الأئمة من أقوال التفسير، وأغلب الأحاديث التي يذكرها في تفسيره للآيات لا تتعلق بتفسير الآية، بل معظمها ليس له أدنى ارتباط بالآيات! إضافة إلى ذلك، توجد فيه أحاديث تخالف القرآن وتتعارض مع ضروريات الإسلام كالحديث الذي أورده (في الصفحة ٢٦٧ من الجزء الأول) ذيل تفسيره لقوله تعالى: ﴿عَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ...﴾ [البقرة: ٢٨٥] وحاصله أنه عندما وصل رسول الله ﷺ إلى أبواب السماء نفرت الملائكة عن أبواب السماء، فقالت: إلهين؟ إله في الأرض، وإله في السماء؟! (وقصدهم من الإله الذي في الأرض حضرة الرسول ﷺ)!!

لاحظوا كيف يصوّر هذا الحديث الملائكة -الذين هم قديسو العالم العلوي ومدبرو الملأ الأعلى- فيصوّرهم بأنهم عديمو الفهم والإدراك بل مشركون إلى درجة أنهم عندما رأوا رسول الله ﷺ تخيلوا أن هناك إلهين في العالم!! تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ ونستجير به. وكان سكان السماء أقل فهماً وشعوراً من سكان زريبة!! ألا لعنة الله على الكاذبين.

هذا الحديث رواه «محمد بن الحسن الصفار» [مؤلف «بصائر الدرجات»] بصورة أظرف ومضمون حديثه الخرافي من أوله إلى آخره "أن ملائكة السماء الأولى بمجرد أن رأوا النبي نفروا

(١) نقلاً عن كتاب «ارمغان آسمان» [هدية السماء]، ص ١٨٨ حتى ١٩٠، وكتاب «راه نجات از شر غلاة» [طريق النجاة من شر الغلاة]، فصل «النبي لا يعلم سوى الوحي»، بشيء من التصرف اليسير.

وهربوا وقالوا هذا إلهنا! فأمر الله جبريل أن يقول مرتين «الله أكبر». فعندما قال ذلك رجعت الملائكة إلى أبواب السماء وعلمت عندئذ أن النبي مخلوق وعندئذ فُتِحَتْ أبواب السماء حتى وصل رسول الله ﷺ إلى السماء الثانية، فهناك أيضاً هربت الملائكة من أبواب السماء وقالت: إلهين؟ إله في الأرض، وإله في السماء؟! عندئذ قال جبريل: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، فرجعت الملائكة وعلمت أن النبي مخلوق، عندئذ فُتِحَ الباب وصعد رسول الله ﷺ إلى السماء الثالثة، وهناك أيضاً فُتِحَتْ أبواب السماء وتكررت قضية السماء الأولى والثانية، حتى وصل النبي إلى السماء الرابعة فَإِذَا هُوَ بِمَلَكٍ مُتَّكِئٍ وَهُوَ عَلَى سَرِيرٍ تَحْتَهُ يَدِيهِ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ مَلَكٍ تَحْتَهُ كُلُّ مَلَكٍ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ مَلَكٍ. [فَهَمَّ النَّبِيُّ ﷺ بِالسُّجُودِ وَظَنَّ أَنَّهُ]، فَنُودِيَ الْمَلَكُ أَنْ قُمْ! قَالَ: فَقَامَ الْمَلَكُ عَلَى رِجْلَيْهِ، [قَالَ: فَعَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ عَبْدٌ مَخْلُوقٌ] قَالَ: فلا يزال الملك قائماً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ..!!!^(١).

بالله عليكم! انظروا إلى أي حد يصور هذا الحديث الملائكة الذين هم أشرف الكائنات العلوية والذين يعملون بتدبير الكائنات بأمر رب العالمين مخلوقات عديمة الفهم والشعور وجاهلة تفرّ وتنفر بمجرد رؤيتها لرسول الله ظناً منها أنه الله وكأن الملائكة الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الانباء: ٢٦] والذين ذكر الله اسمهم بتجليل بعد اسمه فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [ال عمران: ١٨] لم يكن لهم أدنى مقدار من الفهم والعلم ولم يكونوا يعلمون حتى ذلك الوقت أن رب العالمين ليس بشراً وليس جسماً، بل يصورهم الحديث مشركين يعتقدون أن في الأرض إله كما في السماء، والأسوأ من ذلك أنه نسب إلى النبي أيضاً الذي تصورت ملائكة السماوات الثلاثة الأولى أنه إله، أنه بمجرد أن رأى ملاكاً مُتَّكِئاً عَلَى سَرِيرٍ تَحْتَهُ يَدِيهِ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ مَلَكٍ تَحْتَهُ كُلُّ مَلَكٍ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ مَلَكٍ ظَنَّهُ اللَّهُ وَهَمَّ أَنْ يسجد له فنودي ذلك الملاك أن قم من مكانك! وحُكِمَ على ذلك الملاك المسكين الذي لم يرتكب

(١) تفسير العياشي، ج ١، ص ١٥٧ - ١٥٨. ومن الجدير بالذكر أن المجلسي نقل الرواية بتمامها عن تفسير العياشي هذا في كتابه بحار الأنوار، ج ٨١، ص ١١٩ - ١٢٠، لكنه لم يورد ما بين المعقوفين []، مما يبيّن أنه لم يتقبّل ما فيها من فضائح! (المُتَرَجِّمُ)

ذنباً، أن يُعَدَّبَ بإجباره على الوقوف على رجليه إلى يوم القيامة؟! في حين أنه إن كان هناك ذنب فهو - والعياذ بالله - ذنب النبي الذي أخطأ فظنه الله. وانطبق على ذلك المثل الفارسي القائل:

گنه کرد در بلخ آهنگری به شوشتر زدند گردن مسگری!

أي: أذنب حدّادٌ في مدينة بلخ فضربوا عنق نحّاس في مدينة شوشتر!

أي عَقْلٍ وَمَنْطِقٍ وَوُجْدَانٍ يَحْكُمُ بِأَنْ مِنْ يقرأ الآية الكريمة: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥] التي معناها في غاية الوضوح وتتضمن معانٍ عاليةً ساميةً عليه أن يرجع إلى مثل تلك التُرّهات والأراجيف التي لا طائل تحتها والتي يتضمنها ذلك الحديث ويعتبرها تفسير الأئمة للقرآن؟! إن سائر التفاسير لا سيما تفسير العياشي أيضاً لا تخلو من مثل هذه الأخبار الباطلة^(١). (انتهى كلام الأستاذ قلمداران)

لنأت الآن إلى الأمور التي ذكرها الشيخ عباس حول ما يستحب عمله في اليوم الثالث من شهر شعبان. روى الشيخ عباس دعاءً نقله عن كتاب «مُصْبِحُ الْمُتَهَجِّدِ» للشيخ الطوسي (ص ٧٥٨)، وراويها «ابن عياش» مختل العقل الذي نعلم أن أحاديثه غير مقبولة^(٢). في هذه الرواية ادّعى القاسم بن العلاء الهمداني - الذي كان يدعي النيابة عن حضرة العسكري - وصول توقيع إليه ذكر فيه أن الإمام الحسين... الخ. لقد نشروا كل ما أرادوه باسم تلك التوقيعات، إذ لم يكن أحد يشاهد الكاتب الحقيقي لها ولا يعرف خط صاحبها.

متن الدعاء أيضاً يكشف عن اختلال عقل راويه لأنه يقول عن الإمام الحسين (ع): "... الْمَعْوِضُ مِنْ قَتْلِهِ أَنَّ الْأَيْمَةَ مِنْ نَسْلِهِ وَالشَّفَاءَ فِي تُرْبَتِهِ وَالْفَوْزَ مَعَهُ فِي أَوْبَتِهِ وَالْأَوْصِيَاءَ مِنْ عِزَّتِهِ بَعْدَ قَائِمِهِمْ وَعَيْبَتِهِ حَتَّى يُدْرِكُوا الْأَوْتَارَ وَيَتَأَرُوا الثَّارَ!!...".

تلاحظون أن هذا الدعاء يقول إن الله عوّض الإمام الحسين (ع) عن شهادته بأن جعل الأئمة

(١) حيدر علي قلمداران، «أرمغان آسان»، ص ١٩٠ - ١٩٤. بتصرف يسير.

(٢) راجعوا كتاب «زيارت و زيارتنامه» [زيارة المزارات وأدعية الزيارات] تأليف المرحوم الأستاذ حيدر علي قلمداران، ص ١٦٤، رقم ٦٧، والكتاب الحالي الصفحات ٧٦ و ٨٠ و ٢٤٩.

من ذريته! هذا في حين أن الشيعة يقولون إن الله عَيَّن سابقاً جميع الأئمة وبيَّنهم للنبي ﷺ وأن جميع أسمائهم كانت مكتوبة في لوحٍ عنده^(١). فكلمات هذا الدعاء تتعارض مع ذلك الادِّعاء، ولكن رغم ذلك لم يردِّ علماء الشيعة هذا الدعاء مما يبيِّن أن لا شأن لهم بالتناقضات بين الروايات التي يعتمدونها [إما يجهلون هذا التناقض أو يتجاهلونه]! أضف إلى ذلك أن الدعاء يقول إن أوصياء الرسول يكونون بعد القائم وغيبته!! أي أنه اعتبر أئمة الشيعة وأوصيائهم بعد الإمام الغائب!! فكيف لم ينتبه علماء الشيعة ومحدثوهم إلى هذا الخطأ الفاضح؟! ويبدو أن واضع هذا الدعاء كان ممن يشارك ملفقي الحديث -الذي أورده المرحوم قلمداران في كتابه «شاهراه اتحاد» [طريق الاتحاد] (ص ٢١٩ حتى ٢٢٣) بعنوان الحديث التاسع - في عقيدتهم إذ يشاهد اسم «الحسين بن علي بن سفيان البزوفري» في ذلك الحديث أيضاً.

وجاء في هذا الدعاء إن الله جعل الشفاء في تربة الإمام الحسين (ع)!

فنسأل: فلماذا لم يجعل الشفاء في تربة النبي ﷺ؟! ألا يعلم الشيخ عبَّاس أن أكل التراب حرامٌ شرعاً ومخالفٌ للصحة؟!!

وتمت الإشارة في هذا الدعاء إلى قصة «فطرس» المضحكة^(٢) واعتبر الأوصياء حُجَّةً على البشر أجمعين، مع أن القرآن و نهج البلاغة، يقولان إنه ليس هناك حُجَّة على الناس بعد الأنبياء^(٣).

ويقول ذلك الدعاء أيضاً: "فَنَحْنُ عَائِدُونَ بِقَبْرِهِ مِنْ بَعْدِهِ.... وَنَنْتَظِرُ أَوْبَتَهُ". في حين أنه يجب على المسلم أن يعوذ بالله، كما أن فكرة «الرجعة» مخالفة للقرآن وهي خرافة لفقها هؤلاء الرواة الكذَّابون أنفسهم.

يقول راوي هذا الدعاء إن الإمام الحسين (ع) اشتكى في آخره إلى الله تعالى من الذين كانوا

(١) راجعوا كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، ص ٦٠٩ فما بعد.

(٢) راجعوا كتاب «زيارات وزيارتنامه» [زيارة المزارات وأدعية الزيارات]، ص ٧٦.

(٣) راجعوا كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، ص ٥٩.

يريدون قتله، وسأل الله تعالى الفرج والمخرج فقال:

"اللَّهُمَّ احْكُم بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا، فَإِنَّهُمْ عَرُّونَا وَخَدَعُونَا وَخَذَلُونَا وَعَدَرُوا بِنَا وَقَتَلُونَا وَخَنُّ عِثْرَةَ نَبِيِّكَ..... فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا فَرْجًا وَمَخْرَجًا..."

وأقول: إذا كان الأمر كذلك فلماذا يقول قراء المراثي لدينا إن حضرة الإمام الحسين (ع) إنما ذهب إلى كربلاء بهدف أن يستشهد فيها؟! هنا ندعو القارئ إلى أن يرجع - في موضوع سيد الشهداء عليه آلاف التحية والثناء - إلى كتاب «شهادت جاوید» [الشهيد الخالد]^(١) أو إلى اختصاره المسمى: «پرتوی از نهضت حسینی تلخیص وقایع سالهای ۶۰ و ۶۱ هجری» [قبس من النهضة الحسينية، تلخیص وقائع الستين ۶۰ و ۶۱ هجرية]، اقتباس وتحرير عفت نوابي نجاد، (نشر: دفتر نشر فرهنگ قرآن، طهران، ۱۳۶۴ هجرية شمسية).

ثم أتى الشيخ عباس في الصفحة ۱۶۳^(٢) من المفاتيح بأخبار تتعارض مع العقل والقرآن في فضل ليلة النصف من شهر شعبان، وقال إن الإمام قال: "وَإِنَّهَا اللَّيْلَةُ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ بِإِزَاءِ مَا جَعَلَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ لِبَنِيَّاتِنَا!"

ويجب أن نقول: وهل يوحى إلى الإمام حتى يجعل الله له ليلة خاصة به؟! وثانياً: ليلة القدر لجميع المسلمين بمن فيهم أئمة المسلمين جميعاً، فلا حاجة إلى أن تجعل لهم ليلة خاصة.

ثم قال في الصفحة ذاتها: "ومن عظيم بركات هذه الليلة المباركة أنها ميلاد سلطان العصر وإمام الزمان أرواحنا له الفداء، وُلِدَ عند السحر سنة خمس وخمسين ومائتين في سُرٍّ مَنْ رَأَى".

هذا، في حين أن المجلسي ذكر في «بحار الأنوار» في الجزء ۵۱، الصفحة ۶۱، تواريخ متعددة أخرى لولادته، فقال إنه وُلِدَ ليلة الجمعة من شهر رمضان، وفي الصفحة ۱۹ من ذلك الجزء نقل عن عمته حكيمة أنه وُلِدَ ليلة النصف من شهر رمضان، وفي الصفحة ۲۳ قال إنه ولد في ۲۴

(١) تأليف المرحوم آية الله الشيخ صالح نجف آبادي (توفي سنة ۱۴۲۷هـ / ۲۰۰۶م) في مدينة نجف آباد من توابع محافظة أصفهان. وقد طبع كتابه المشار إليه أكثر من ۱۸ مرة. (المترجم)

(٢) أو في ص ۲۳۶ - ۲۳۷ من النسخة المعربة للمفاتيح. (المترجم)

رمضان. وفي الصفحة ١٥ نقل أن ولادته كانت في ٨ شعبان، وفي الصفحة ٢٥ قال إنها كانت في ٣ شعبان، وفي الصفحة ٢٤ قال إنها كانت في ٩ ربيع الأول!! يقول كاتب هذه السطور إن جميع هذه الروايات من وضع الرواة الكذبة^(١).

ثم واصل الشيخ عباس كلامه في فضائل ليلة النصف من شهر شعبان فقال:

"الثالث: زيارة الحسين (عليه السلام) وهي أفضل أعمال هذه الليلة، وتوجب غفران الذنوب، ومن أراد أن يضافحه أرواح مائة وأربعة وعشرين ألف نبي فليزره (عليه السلام) في هذه الليلة، وأقل ما يُزار به (عليه السلام) أن يصعد الزائر سطحاً مرتفعاً فينظر يمنة ويسرة ثم يرفع رأسه إلى السماء فيزوره (عليه السلام) بهذه الكلمات: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أبا عَبْدِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ»، ويرجى لمن زار الحسين (عليه السلام) حينها كان بهذه الزيارة أن يكتب له أجر حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ!!".

ونسأل الشيخ عباس: هل أهمية الحج الذي خصَّص الله تعالى له في كتابه عديداً من الآيات، هي بمقدار قول جملتين على السطح؟! إذا كان الأمر كذلك فلماذا نتجشَّم عناء سفر الحج إذا كان بإمكاننا أن نحصل الثواب ذاته بقول جملتين!! لقد أثبتنا كذب مثل هذه الروايات في كتاب «زيارت وزيارتنامه» [أي زيارة المزارات وأدعية الزيارات]. [فَلْيُرَاجَع تَمَّةً].

ثم أورد الشيخ عباس القمِّي دعاءً نقلًا عن كتاب «مِصْبَاحُ الْمُتَهَجِّدِ» للشيخ الطوسي وكتاب «إقبال الأعمال» للسيد ابن طاووس وهو بلا سند في الكتابين. في هذا الدعاء تمت الإشارة إلى الحجة والموعود في هذه الليلة، فنسأل الذين رووا هذا الدعاء: أين عرفنا الله تعالى في القرآن بهذا الحجة والموعود؟ ألم تقرأوا قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الانعام: ١٤٤] وقوله سبحانه: ﴿... وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦] إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا

(١) راجعوا في هذا الموضوع كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، الصفحات من ٦٦٥ إلى ٦٨٤. و الصفحات من ٨٤٠ إلى ٨٦١. وكتاب «بررسی علمی در احادیث مهدی» [تحقیق علمی في أحاديث المهدي] لكاتب هذه السطور.

عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ [البقرة: ١٦٨، ١٦٩].

وفي هذا الدعاء يصف الداعي شخصاً غائباً بصفات تدلُّ على أنه يقصد جماعة من الغائبين لا فرداً واحداً، إذ يقول في الدعاء: "وَنَوَامِيْسُ الْعَصْرِ وَوُلَاةُ الْأَمْرِ وَالْمُنْزَلُ عَلَيْهِمْ مَا يَنْتَزِلُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَأَصْحَابُ الْحَشْرِ وَالنَّشْرِ، تَرَاجِمَةٌ وَحِيَهُ وَوُلَاةُ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ"!!؟

ولا أدري لماذا كرَّر عبارة «وُلَاةُ الْأَمْرِ» مرتين؟! ثم إن الوحي والقرآن والملائكة والروح تنزل في ليلة القدر، فهل ينزل الله على الأئمة أيضاً الملائكة والوحي؟!^(١). وهل حشر العباد ونشروهم الذي هو بيد الله، بيد أولئك المشار إليهم في الدعاء أيضاً؟! في حين أن المسلمين مجمعون على أن الوحي انقطع بعد رسول الله ﷺ، وهذا ما قاله أيضاً أمير المؤمنين علي عليه السلام^(٢) فلا شيء ينزل على أحد - بما في ذلك الأئمة عليهم السلام - سواء كان ذلك في ليلة القدر أم في غيرها. ثم إن الحشر والنشر بيد الله وبقدرته وحده، ولا علاقة للأئمة بذلك، ونسبة الحشر والنشر إليهم كفرٌ وعداوةٌ لأولئك الكرام.

ثم ذكَّر في الصفحة ١٦٣ استحباب الغُسل في تلك الليلة وأنه يوجب تخفيف الذنوب! ولكن الراوي لذلك رجل ضعيفٌ يدعى «أحمد بن هلال العبرتائي»^(٣).

ثم ذكر في الصفحة ١٦٩^(٤) تحت عنوان «أعمال ما بقي من هذا الشهر» (أعمال آخر ليلة من شعبان) دعاءً عن الإمام الصادق عليه السلام رواه عنه: «الْحَارِثُ بْنُ الْمُغِيرَةِ النَّضْرِيُّ» وقد ذكرنا سابقاً

(١) من المفيد الرجوع في هذا الموضوع إلى ما ذكرناه في كتابنا «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول» (ص

٥٦٠ حتى ٥٦٤)، حول ما جاء في الباب ٩٩ من أصول الكافي.

(٢) قال علي - عليه السلام - عن النبي ﷺ: "فَقَفَى بِهِ الرُّسُلَ وَخَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ" (نهج البلاغة، الخطبة ١٣٣).

وقال: "بِأَيِّ أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَقَدْ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النَّبِيِّ وَالْإِنْبَاءِ وَأَخْبَارِ

السَّمَاءِ". (نهج البلاغة، الخطبة ٢٣٥). (المترجم)

(٣) للتعرف على حاله راجعوا كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول» ص ٤٥٧ فما بعد، وكتاب

«زيارات وزياراتنا» [زيارات المزارات وأدعية الزيارات]، ص ١٢٨.

(٤) أو الصفحة ٢٤٤ من النسخة المعربة للمفاتيح. (المترجم)

قول النجاشي عن الحارث بن المغيرة هذا إنه ثقة جداً. وسأذكر فيما يلي ترجمة هذا الدعاء كي يعلم القراء أن الأئمة الكرام - ومن جملتهم الإمام الصادق عليه السلام - لم يكونوا يدعون لأنفسهم العصمة: "رَوَى الْحَارِثُ بْنُ الْمُغِيرَةِ النَّضْرِيُّ قَالَ كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ مِنْ شَعْبَانَ وَأَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ:

اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ الْمُبَارَكَ الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنَ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ قَدْ حَضَرَ؛ فَسَلِّمْنَا فِيهِ وَسَلِّمْنَا لَنَا وَتَسَلِّمْنَا مِنَّا فِي يُسْرِ مِنْكَ وَعَافِيَةٍ. يَا مَنْ أَخَذَ الْقَلِيلَ وَشَكَرَ الْكَثِيرَ اقْبَلْ مِنِّي الْيُسِيرَ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ لِي إِلَى كُلِّ خَيْرٍ سَبِيلًا، وَمِنْ كُلِّ مَا لَا تُحِبُّ مَانِعًا، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. يَا مَنْ عَفَا عَنِّي وَعَمَّا خَلَوْتُ بِهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ، يَا مَنْ لَمْ يُؤَاخِذْنِي بِإِثْمِي الْمَعَاصِي: عَفْوِكَ عَفْوِكَ يَا كَرِيمُ. إِلَهِي وَعَظْمَتِي فَلَمْ أَتَّعِظْ، وَزَجَرْتَنِي عَنْ مَحَارِمِكَ فَلَمْ أَنْزَجِرْ، فَمَا عُذْرِي؟! فَاعْفُ عَنِّي يَا كَرِيمُ عَفْوِكَ عَفْوِكَ! اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الرَّاحَةَ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَفْوَ عِنْدَ الْحِسَابِ. عَظْمَ الدَّنْبِ مِنْ عَبْدِكَ فَلْيَحْسِنِ التَّجَاوُزُ مِنْ عِنْدِكَ. يَا أَهْلَ التَّقْوَى وَيَا أَهْلَ الْمَغْفِرَةِ! عَفْوِكَ عَفْوِكَ!

اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَإِنُّ عَبْدُكَ وَإِنُّ أَمْتِكَ ضَعِيفٌ فَقِيرٌ إِلَى رَحْمَتِكَ، وَأَنْتَ مُنْزِلُ الْعَنَى وَالْبَرَكَاتِ عَلَى الْعِبَادِ قَاهِرٌ مُفْتَدِرٌ أَحْصَيْتَ أَعْمَالَهُمْ وَقَسَمْتَ أَرْزَاقَهُمْ وَجَعَلْتَهُمْ مُخْتَلِفَةً أَلْسِنَتُهُمْ وَأَلْوَانُهُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ لَا يَعْلَمُ الْعِبَادُ عِلْمَكَ وَلَا يَقْدِرُ الْعِبَادُ قَدْرَكَ، وَكُنَّا فَقِيرٌ إِلَى رَحْمَتِكَ، فَلَا تَصْرِفْ عَنِّي وَجْهَكَ وَاجْعَلْنِي مِنْ صَالِحِي خَلْقِكَ فِي الْعَمَلِ وَالْأَمَلِ وَالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ. اللَّهُمَّ أَبْقِنِي خَيْرَ الْبَقَاءِ وَأَقْبِنِي خَيْرَ الْفَنَاءِ عَلَى مَوْلَاةٍ أَوْلِيَائِكَ وَمُعَادَاةٍ أَعْدَائِكَ وَالرَّغْبَةِ إِلَيْكَ وَالرَّهْبَةِ مِنْكَ وَالْحُشُوعِ وَالْوَفَاءِ وَالتَّسْلِيمِ لَكَ وَالتَّصَدِيقِ بِكِتَابِكَ وَاتَّبَاعِ سُنَّةِ رَسُولِكَ.

اللَّهُمَّ مَا كَانَ فِي قَلْبِي مِنْ شَكٍّ أَوْ رَيْبَةٍ أَوْ جُحُودٍ أَوْ قُنُوطٍ أَوْ فَرَحٍ أَوْ بَدَخٍ أَوْ بَطْرٍ أَوْ خِيَلَاءٍ أَوْ رِيَاءٍ أَوْ سُمْعَةٍ أَوْ شِقَاقٍ أَوْ نِفَاقٍ أَوْ كُفْرٍ أَوْ فُسُوقٍ أَوْ عِصْيَانٍ أَوْ عَظْمَةٍ أَوْ شَيْءٍ لَا تُحِبُّ فَاسْأَلْكَ يَا رَبِّ أَنْ تُبَدِّلَنِي مَكَانَهُ إِيْمَانًا بِوَعْدِكَ وَوَفَاءً بِعَهْدِكَ وَرِضًا بِقَضَائِكَ وَرُهْدًا فِي الدُّنْيَا وَرَعْبَةً فِيمَا عِنْدَكَ وَأَثْرَةً وَطُمَأْنِينَةً وَتَوْبَةً نَصُوحًا. أَسْأَلُكَ ذَلِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

إِلَهِي أَنْتَ مِنْ حِلْمِكَ تُعْصَى وَمِنْ كَرَمِكَ وَجُودِكَ تُطَاعُ فَكَأَنَّكَ لَمْ تُعْصَ وَأَنَا وَمَنْ لَمْ يَعْصِكَ سَكَانُ أَرْضِكَ فَكُنْ عَلَيْنَا بِالْفَضْلِ جَوَادًا وَبِالْخَيْرِ عَوَادًا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ

عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ صَلَاةً دَائِمَةً لَا تُحْصَى وَلَا تُعَدُّ وَلَا يَقْدِرُ قَدْرَهَا غَيْرُكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ".



الفصل الثالث [من مفاتيح الجنان]: في فضل شهر رمضان وأعماله

هذا الفصل الثالث مُخَصَّصٌ لشهر رمضان المبارك. اعتبر الشيخ عبَّاس في هذا الفصل، خلافاً لما ذكره في الفصل الأول من الباب الثاني من قوله إن شهر رجب أفضل الشهور، أن شهر رمضان أفضل الشهور عند الله، وهذا هو الصحيح بالطبع. وينبغي أن نعلم أن ما رُوي عن رسول الله ﷺ في الكتب الموثوقة من الأدعية والمستحبات يتفق جميعه مع القرآن الكريم، بيد أنه للأسف الشديد قد نُسبت كثير من الأمور في الكتاب الخرافية إلى الأئمة تطفح بالمبالغات والغلو والكذب ومخالفة القرآن.

قال الشيخ عبَّاس القمِّي في (الصفحة ١٦٧)^(١): "وفي الحديث أن لكل شيء ربيعاً وربيع القرآن هو شهر رمضان".

بناء على ذلك فإن كان المرء من أهل الدعاء والعبادة فعليه أولاً وقبل كل شيء أن يقرأ أدعية القرآن كثيراً، فينال بذلك ثواباً مضاعفاً: ثواب قراءة القرآن وثواب الدعاء^(٢).

ثانياً: ما عدا أدعية القرآن علينا أن نختار الأدعية التي وصلتنا عن رسول الله ﷺ في الكتب المعتبرة الموثوقة والتي يتوافق متنها مع القرآن الكريم.

هنا نشير إلى أن بعض الأحاديث التي لا تحالف القرآن لم تنج مع الأسف من تصرف صنَّاع المذاهب وتحريفاتهم، ومن ذلك الحديث الأول في هذا الباب الذي رواه فردُّ فاسد العقيدة ذو مذهب باطل من أسرة «الفضال» - الذين كانوا من الواقفة! - النص الكامل للحديث موجود في كتاب «إقبال الأعمال» للسيد ابن طاووس (ص ٣). في نهاية هذا الحديث افتراء على رسول الله ﷺ أنه قال لحضرة علي (ع): "إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَنِي وَإِيَّاكَ وَأَصْطَفَانِي وَإِيَّاكَ وَاخْتَارَنِي لِلنُّبُوَّةِ وَاخْتَارَكَ

(١) أو الصفحة ٢٥٠ من النسخة المعرَّبة للمفاتيح. (المترجم)

(٢) لقد كتبنا رسالة مختصرة عن أدعية القرآن وقمنا أخيراً بتنقيحها وإعادة النظر فيها لكن المدافعين عن الخرافات منعونا من إعادة طبعها.

لِلْإِمَامَةِ فَمَنْ أَنْكَرَ إِمَامَتَكَ فَقَدْ أَنْكَرَ نُبُوَّتِي. يَا عَلِيُّ أَنْتَ وَصِيِّي وَأَبُو وُلْدِي وَرَوْحُ ابْنَتِي وَخَلِيفَتِي عَلَى أُمَّتِي فِي حَيَاتِي^(١) وَبَعْدَ مَوْتِي..... أَقْسِمُ بِالَّذِي بَعَثَنِي بِالثُّبُوءِ وَجَعَلَنِي خَيْرَ الْبَرِيَّةِ إِنَّكَ لِحُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ وَأَمِينُهُ عَلَى سِرِّهِ وَخَلِيفَتُهُ عَلَى عِبَادِهِ!!

إن واضح هذا الحديث لم ينتبه إلى أنه لو كان إنكار الإمامة يعني إنكار النبوة لكان معنى ذلك أن منكر الإمامة كافر وَمِنْ ثَمَّ فَإِنْ مَبَايَعَةَ الْكَافِرِ أَوْ قَبُولَ الْكَافِرِ صَهْرًا أَمْرَانِ مُحَرَّمَانِ، لكن إمام المتقين حضرة علي (ع) بايع أبا بكر وعمر، وقيل أن يكون الخليفة الثاني صهره في ابنته. أفلا تعقلون؟

لحسن الحظ لم يذكر الشيخ عباس تلك العبارات التي أوردناها أعلاه التي جاءت في نهاية الحديث، بل اكتفى بذكر بداية الحديث فقط التي لا تخالف القرآن.

وقال الشيخ عباس في القسم الأول من الفصل الخاص بأعمال شهر رمضان العامة (ص ١٧٥)^(٢): "روى السيد ابن طاووس (رحمه الله) عن الصادق والكاظم (عليهما السلام) قالا: تقول في شهر رمضان من أوله إلى آخره بعد كل فريضة: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حَجَّ بَيْتِكَ الْحَرَامِ فِي عَامِي هَذَا وَفِي كُلِّ عَامٍ.... الخ".

أما أولاً: فينبغي أن نعلم أن السيد ابن طاووس كان متساهلاً في الأخذ بالحديث.

ثانياً: متن هذا الحديث أيضاً فيه إشكال، لأنه قد ثبت بالدلائل التي ذُكِرَتْ في كتاب «زيارات وزيارتنامه» [زيارة المزارات وأدعية الزيارات] والكتاب الحاضر، أن الأئمة ما كانوا يزورون قبور أئمة الدين، حتى يقول قائلهم بعد كل صلاة: "اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي زِيَارَةَ قَبْرِ نَبِيِّكَ صَلَّى صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ!" بل هذا الطلب يطلبه الغلاة والذين ينتفعون من عبادة القبور!

وفي الصفحة (١٧٥) ذاتها ذكر الشيخ عباس دعائين آخرين ليس فيها ما يخالف القرآن، لذا لا مانع من قراءتها لأنها يدخلان تحت إذن الشرع العام بالدعاء.

(١) راجعوا كتاب «شاهراه اتحاد» [طريق الاتحاد] للمرحوم قلمداران، ص ٨٠.

(٢) أو الصفحة ٢٤٨ من النسخة المعربة للمفاتيح. (المترجم)

وفي الصفحة ١٧٦^(١) أورد الشيخ عباس دعاءً [رواه الكليني في الكافي] عن الإمام الصادق عليه السلام نذكر ترجمته فيما يلي أملين أن ينتبه إليه القراء ويتأملوا معانيه جيداً:

"اللَّهُمَّ إِنِّي بِكَ أَتَوَسَّلُ^(٢) وَمِنْكَ أَطْلُبُ حَاجَتِي، مَنْ طَلَبَ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ فَإِنِّي لَا أَطْلُبُ حَاجَتِي إِلَّا مِنْكَ وَحَدِّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ. وَأَسْأَلُكَ بِفَضْلِكَ وَرِضْوَانِكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَنْ تَجْعَلَ لِي فِي عَامِي هَذَا إِلَى بَيْتِكَ الْحَرَامِ سَبِيلًا حَجَّةً مَبْرُورَةً مُتَقَبَّلَةً زَاكِيَةً خَالِصَةً لَكَ تُقَرُّ بِهَا عَيْنِي وَتَرْفَعُ بِهَا دَرَجَتِي وَتَرْزُقُنِي أَنْ أَعْصُ بِصَرِي وَأَنْ أَحْفَظَ فَرْجِي وَأَنْ أَكْفَ بِهَا عَنْ جَمِيعِ مَحَارِمِكَ حَتَّى لَا يَكُونَ شَيْءٌ آثَرَ عِنْدِي مِنْ طَاعَتِكَ وَخَشْيَتِكَ وَالْعَمَلِ بِمَا أَحْبَبْتَ وَالتَّرَكُّ لِمَا كَرِهْتَ وَنَهَيْتَ عَنْهُ. وَاجْعَلْ ذَلِكَ فِي يُسْرٍ وَيَسَارٍ وَعَافِيَةٍ، وَأَوْزِعْنِي شُكْرَ مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيَّ. وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ وَقَاتِي قِتْلًا فِي سَبِيلِكَ تَحْتَ رَايَةِ نَبِيِّكَ مَعَ أَوْلِيَائِكَ. وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَقْتُلَ بِي أَعْدَاءَكَ وَأَعْدَاءَ رَسُولِكَ. وَأَسْأَلُكَ أَنْ تُكْرِمَنِي بِهَوَانٍ مَنْ شِئْتَ مِنْ خَلْقِكَ وَلَا تُهَيِّئَ بِكَرَامَةٍ أَحَدٍ مِنْ أَوْلِيَائِكَ. اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا^(٣)، حَسْبِيَ اللَّهُ، مَا شَاءَ اللَّهُ."

ثم كتب الشيخ عباس يقول:

"واعلم أن أفضل الأعمال في ليالي شهر رمضان وأيامه هو تلاوة القرآن الكريم... ويستحب في سائر الأيام ختم القرآن ختمة واحدة في كل شهر، وأما شهر رمضان فالمسنون فيه ختمه في كل ثلاثة أيام^(٤)، ويحسن إن تيسر له أن يختمه ختمة في كل يوم، وروى العلامة المجلسي رحمه الله أن بعض الأئمة الأطهار (عليهم السلام) كانوا يختمون القرآن في هذا الشهر أربعين ختمة وأكثر من ذلك!!"

أقول: أولاً: إن كانت سنة رسول الله ﷺ ختم القرآن في شهر رمضان في كل ثلاثة أيام،

(١) أو الصفحة ٢٥٠ من النسخة المعربة للمفاتيح. (المترجم)

(٢) كلمة «أَتَوَسَّلُ» مذكورة في أصل الدعاء في كتاب الكافي للكليني ولم يذكرها الشيخ عباس القمي في المفاتيح بل ذكر العبارة على النحو التالي: "اللَّهُمَّ إِنِّي بِكَ وَمِنْكَ أَطْلُبُ حَاجَتِي... الخ". والمعنى واحد. (المترجم)

(٣) إشارة إلى الآية ٢٧ من سورة الفرقان التي تقول: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ

الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾».

(٤) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٤، ص ٨٦٤، الحديث ٨.

فالحديث الذي يقول إن بعض الأئمة كانوا يجتمعون القرآن في شهر رمضان أربعين ختمه كذب قطعاً. ثانياً: الحديث الذي أشار إليه المجلسي رواه «البرقي» فهو حديث غير معتبر، وكذلك يتعارض مع الحديث [الذي رواه الكليني في الكافي^(١)] والذي يقول: إن الإمام الصادق عليه السلام سئل: "أقرأ القرآن في ليلة؟ فقال: لا. فقال في ليلتين؟ فقال: لا حتى بلغ ست ليل فأشار بيده فقال: ها. ثم قال: يا أبا محمد! إن من كان قبلكم من أصحاب محمد عليه السلام كان يقرأ القرآن في شهر وأقل، إن القرآن لا يقرأ هذرمة ولكن يرتل ترتيلاً، إذا مررت بآية فيها ذكر النار وقفت عندها وتعوذت بالله من النار.... ثم أومأ الإمام بيده نعم، شهر رمضان لا يشبهه شيء من الشهور له حق وحرمة...."^(٢).

وقال الشيخ عباس في الصفحة ١٧٧^(٣): "روى آية الله العلامة الحلي في الرسالة السعدية عن الصادق (عليه السلام): «أيما مؤمن أطعم مؤمناً لقمه في شهر رمضان كتب الله له أجر من أعتق ثلاثين رقبة مؤمنة، وكان له عند الله تعالى دعوة مستجابة». في حين أن السيد ابن طاووس روى حديثين عن النبي وعن الإمام الصادق ينصان على أن ثواب هذا العمل ثواب عتق رقبة مؤمنة^(٤). فبأيها نأخذ؟!

وفي الصفحة ١٧٨^(٥) ذكر الشيخ عباس حديثاً حول سورة الدخان، وهو من أكاذيب «الحسن بن حريش»^(٦) وقد عرفنا بحاله بقدر كافٍ في كتابنا «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، (الصفحات ٥٦٠ فما بعد) فليراجع ثمة.

والآن نأتي إلى ما ذكره الشيخ عباس في الصفحة ١٧٨ من المفاتيح^(٧) باسم «دعاء الافتتاح»

(١) أصول الكافي، ج ٢، ص ٦١٩.

(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٤، ص ٨٦٢، الحديث ٣، ويتفق مع الحديث ٨ في الصفحة ٨٦٤.

(٣) أو الصفحة ٢٥٢ من النسخة المعربة للمفاتيح. (المترجم)

(٤) الشيخ الطوسي، مصباح المتهجد، ص ٥٦٩، والسيد ابن طاووس، إقبال الأعمال، ص ٧.

(٥) أو الصفحة ٢٥٢ من النسخة المعربة للمفاتيح. (المترجم)

(٦) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٧، ص ٢٦٥، الحديث ١.

(٧) أو الصفحات ٢٥٢-٢٥٦ من النسخة المعربة للمفاتيح. (المترجم)

وهو دعاء رواه الشيخ الطوسي في «مصباح المهجّد» (ص ٥٢٠) والمجلسي في «زاد المعاد» والكفعمي في كتابه، كلهم دون أن يذكر له سنداً!

أما السيد «ابن طاووس» الخرافي فقد أورد في كتابه «إقبال الأعمال» (ص ٥٨) سنداً لهذا الدعاء لا يتصل بأي إمام من الأئمة بل يقول إن ابن أخ «عثمان بن سعيد العمري» - الذي كان يدعي أنه من نواب إمام الزمان!! - أخرج دفترًا مجلدًا بالأحمر وأراه لـ «محمد بن محمد بن نصر السكوني» وقال إن عمّي «عثمان بن سعيد العمري» كتب أدعيته في هذا الدفتر ومن جعلتها أنه كان يقرأ في شهر رمضان بهذا الدعاء.

يتبيّن من القرائن أن حال الأدعية المكتوبة في ذلك الدفتر ذي الجلد الأحمر فاضح! وقد أشار الشيخ عباس مرة أخرى في المفاتيح إلى دعاء مأخوذ من ذلك الكتاب (ص ٢٤٨^(١)) العمل الثاني من أعمال يوم الفطر) ولكن لما كان الدعاء فاضحاً اكتفى الشيخ عباس بكتابة الجملة الأولى منه فقط ولم ينقل بقيته ربما لحفظ ماء الوجه!!^(٢) وسنذكر هنا هذا الدعاء^(٣) نقلاً عن كتاب «إقبال الأعمال» (ص ٢٧٥ فما بعد): "وَتَدْعُو بَعْدَ صَلَاةِ الْعِيدِ بِهَذَا الدُّعَاءِ تَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي تَوَجَّهْتُ إِلَيْكَ بِمُحَمَّدٍ أَمَامِي وَعَلِيٍّ مِنْ خَلْفِي وَأَيْمَتِي عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي، أَسْتَتِرُ بِهِمْ مِنْ عَذَابِكَ وَأَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ زُلْفَى، لَا أَجِدُ أَحَدًا أَقْرَبَ إِلَيْكَ مِنْهُمْ، فَهُمْ أَيْمَتِي، فَأَمِنْ بِهِمْ حَوْفِي مِنْ عَذَابِكَ وَسَخَطِكَ، وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ الْجَنَّةَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ. أَصْبَحْتُ بِاللَّهِ مُؤْمِنًا مُوقِنًا مُخْلِصًا عَلَى دِينِ مُحَمَّدٍ وَعَلَى دِينِ عَلِيٍّ وَسُنَّتِهِ وَعَلَى دِينِ الْأَوْصِيَاءِ وَسُنَّتِهِمْ".

ونسأل: هل بمجرد أن يقول الداعي في دعائه: النبي أمامي وعلي خلفي، سيقوم أولئك الأجلاء الكرام بطاعته فيصطف النبي أمامه وعلي خلفه والأئمة عن يساره ويمينه؟!!

(١) أو الصفحة ٣٣٤ من النسخة المعربة للمفاتيح. (المترجم)

(٢) نُذَكِّرُ بأننا نستند إلى نسخة من المفاتيح صحّحها الملا علي واعظ تبريزي الخياباني على نسخة المؤلف نفسه، وقابلها عليها وصحح أخطاءها.

(٣) من المثير للانتباه أن الشيخ الطوسي والكفعمي والمجلسي أوصوا بهذا الدعاء ليقرا بعد صلاة العيد، في حين أوصى «ابن طاووس» بقراءته بعد صلاة الصبح وقبل صلاة العيد!!

ألم يقرأ جناب الشيخ الطوسي الذي كتب في كتابه هذا الدعاء، القرآن الذي قال تعالى فيه للنبي ﷺ بأسلوب الاستفهام الإنكاري: ﴿أَقْمَنَ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر: ١٩] أو قال له ﷺ: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠، منافقون ٦]، وأنه تعالى لم يقبل شفاعة نوح عليه السلام بحق ابنه [هود: ٤٥] و.....؟

ألا يعلم الشيخ عباس أن النبي ﷺ قال: "أيها الناس! إنَّه لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ نَسَبٌ وَلَا شَيْءٌ يُعْطِيهِ بِهِ خَيْرًا أَوْ يَصْرِفُ عَنْهُ بِهِ شَرًّا إِلَّا الْعَمَلُ، أَيُّهَا النَّاسُ! لَا يَدْعِي مُدْعٍ وَلَا يَتَمَتَّى مُتَمَتِّنًّا، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا لَا يُنْجِي إِلَّا عَمَلٌ مَعَ رَحْمَةٍ وَلَوْ عَصَيْتُ لَهَوَيْتُ. اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتَ؟"^(١). (كتاب «زيارت وزيارتنامه» [زيارة المزارات وأدعية الزيارات]، ص ٢٣٣ - ٢٣٤). وأنه ﷺ قال: "يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرَوْا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ؛ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا."^(٢). "يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، يَا فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ، اشْتَرَوْا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةَ عَمَةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا"^(٣).

لنلاحظ أن ملفق الدعاء يوافق في جملة التي يقول فيها: "بِهِمْ.... أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ زُلْفَى" كلام المشركين الذي كانوا يقولونه عن معبوداتهم وشفعائهم ووبخهم القرآن عليه قائلاً: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ [الزمر: ٣].

(١) المَجْلِسِيُّ، بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٤٦٧، وابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٠، ص ١٨٣ - ١٨٤. (المُتَرَجِّمُ).

(٢) حديث متفق عليه في مصادر أهل السنة رواه البخاري ومسلم في الصحيحين والنسائي في السنن، وغيرهم. (المُتَرَجِّمُ).

(٣) تفسير أبو الفتوح الرازي، ج ٤، تفسير سورة الشعراء، ص ١٤١. أقول: وهو في مصادر أهل السنة في المراجع المذكورة في الحاشية السابقة بشيء من الاختلاف في التقديم والتأخير والمعنى واحد. (المُتَرَجِّمُ).

ثم يقول في الدعاء: "آمنت بالله.... عَلَى دِينِ مُحَمَّدٍ وَسُنَّتِهِ وَعَلَى دِينِ عَلِيٍّ وَسُنَّتِهِ وَعَلَى دِينِ الْأَوْصِيَاءِ وَسُنَّتِهِمْ!!" في حين أنه من الواضح أن دين علي (ع) وسائر الأوصياء هو دين النبي عينه لا غير، إضافة إلى أنه ليس لدينا في الإسلام إلا سنة واحدة هي سنة النبي ﷺ، وليس لعليّ (ع) سنة خاصة بل هو تابع لسنة النبي^(١). أضف إلى ذلك أن واضع الحديث الجاهل تصرف بشكل يدل على قلة مراسه وعدم مهارته إذ أثبت لسائر الأئمة أيضاً سنناً ولم يفهم أن سنة الأئمة والأوصياء هي سنة علي (ع) ذاتها ولم يكن لعلي - كما ذكرنا - سنة خاصة به بل كان تابعاً لسنة النبي وقال: "السُّنَّةُ مَا سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْبِدْعَةُ مَا أُحْدِثَ بَعْدَهُ"^(٢). ولم يُعَرَّفْ لنا سنة غير سنة النبي.

الآن لنعدّ إلى «دعاء الافتتاح» وننتبه إلى أن هذا الدعاء نُقِلَ عن مثل ذلك الدفتر الذي تحدثنا عنه أعلاه وننتبه إلى أنه لا يوجد دليل موثوق على وجود ابنِ حضرة العسكري (ع) فضلاً أن يكون له نائبٌ! والذي ادعى النيابة له كان مُخَادِعاً للعوام.

ثانياً: لم يقل النائب المذكور إنه أخذ هذا الدعاء عن الإمام.

ثالثاً: في متن هذا الدعاء أمورٌ غير صحيحة تُظهِرُ أنه دعاءٌ موضوعٌ وضعه صنّاعُ المذاهب والمتكسّبين بالدين، فمثلاً اعتبر الداعي حضرة عليّ (ع) «النبأ العظيم» في حين أننا نعلم أن علياً (ع) قال في دعاء يوم الاثنين في الصحيفة العلوية: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ... وَعَرَّفَنِي الْحَقَّ وَالنَّبِيَّ الْعَظِيمَ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ" (كتاب «زيارات وزيارتنامه» [زيارة المزارات وأدعية الزيارات] الصفحة ٢٨٦). وقد أوضحنا في الكتاب الحاضر أيضاً بطلان ذلك القول (ص ٥٦). أو اعتبر علياً (ع) «الآية الكبرى» مع أن القرآن الكريم لم يُعَرَّفْ لنا مثل هذه الآية. ثم قال عن الأولاد الكرام لأمير المؤمنين (ع): «حُجِّجَكَ عَلَى عِبَادِكَ» في حين أن هذا القول مخالف للقرآن الذي بيّن لنا أنه ما من حجة بعد الأنبياء [النساء: ١٦٥]، ومخالف لكلام أمير المؤمنين علي عليه السلام.

(١) حول موضوع أن حضرة علي (ع) كان تابعاً لسنة النبي ﷺ راجعوا كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، ص ٤٠٨-٤٠٩.

(٢) بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٦٦، الحديث ٢٣.

نفسه الذي قال: "تَمَّتْ بِبَيِّنَاتٍ مُحَمَّدٌ (صلى الله عليه وآله) حُجَّتُهُ" (نهج البلاغة، الخطبة ٩١). إضافةً إلى ذلك، فإنه لا دليل شرعي على مسألة الإمامة التي يتصورها ويؤمن بها واضع هذا الدعاء ولا يمكننا إثبات الإمامة المنصوص عليها من الله بمجرد دعاءٍ قد عرفنا حال سنده!

لقد ابتدأ «دعاء الافتتاح» بدايةً ممتازةً ورائعةً جداً ومطالبه (حتى السطر ٦ من الصفحة ١٨٠)^(١) مطالب يؤديها كل مؤمن بالله - فضلاً عن كل مسلم -، ويقبلها من كل قلبه، ويبدو أن واضع الدعاء أراد بهذه الطريقة أن يمهد لتلقي أفكاره المذهبية وخرافاته التي سيذكرها بعد هذه المقدمة الصحيحة! لذا علينا أن ننتبه ولا نتمدعنا العبارات الصحيحة التي نشاهدها في بعض الأحاديث أو الأدعية غير الموثوقة أو الموضوعية، بل علينا أن نميز دائماً بين الصحيح والسقيم في كل شيء. والله وليُّ التوفيق.

في هذا الدعاء يطلب الداعي من الله أن "اشفِ بالحق صدورنا وأذهب به غيظ قلوبنا". ولنا أن نسأل: هذا الحقد في الصدر وغيظ في القلب، تجاه مَنْ؟ نسأل الله تعالى أن يهدي الحاقدين الذين أنشؤوا مثل هذه الأدعية أو روجوها.

واعتبر الدعاء الإمامة منحصرةً باثني عشر فرداً في حين أن الإسلام ليس ديناً انحصارياً يحصر أئمةً أو من بيدهم زمام أمور المسلمين بعدد محدد من الأفراد سواء كانوا ستة أو سبعة أو اثني عشر إماماً، بل كلُّ مسلم تتوفر فيه شروط الإمامة الكبرى كالعلم والكفاءة والعمل بالكتاب والسنة يمكنه أن يأخذ على عاتقه إمامة الأمة. ولذلك نجد أن القرآن الكريم اعتبر أن كل من اتصف بصفات عباد الرحمن المؤمنين يمكنه أن يكون إماماً، فقال: ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]. وقال عن أئمة الكفر: ﴿فَقَتِلُوا أئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٢]. فهل أئمة الكفر اثنا عشر إماماً حتى يكون أئمة الإيذان اثنا عشر نفرًا؟! وقال تعالى أيضاً: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِئْمَانِهِمْ﴾ [الاسراء: ٧١] فهل الناس في الدنيا اثنا عشر فرقة فقط حتى يكون لهم اثنا عشر إماماً؟ بالطبع لا بل الناس آلاف الفرق وكل فرقة ستحشر مع إمامها. وقد جعل الله تعالى

(١) يقابله ص ٢٤٢ إلى ٢٥٥ من الدعاء في النسخة المعرَّبة للمفاتيح.

الأنبياء جميعهم أئمة فقال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أئمةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣]، كما جعل في أحد السور المكية المستضعفين المؤمنين المعاصرين لفرعون أئمة لسائر المستضعفين فقال: ﴿وَوَرِيدٌ أَنْ تَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أئمةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥]. وقال الإمام الصادق عليه السلام - كما في الباب الأول من «الكافي» (العقل والجهل، الحديث ٢٢) - : "حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ النَّبِيُّ وَالْحُجَّةُ فِيمَا بَيْنَ الْعِبَادِ وَبَيْنَ اللَّهِ الْعَقْلُ". أي أن الله جعل للناس حجتين الأولى ظاهرة وهي الأنبياء والثانية باطنة وهي العقل، أما دعاء الافتتاح فقد اخترع حججاً أخرى وحصروهم باثني عشر نفرًا! فكل دعاء يكون كذلك أي يخترع حججاً ساقطاً من الاعتبار ومن وَضَعَ صُنَاعَ الْمَذَاهِبِ، وقد قُلْنَا مراراً [كما ذكرنا في تقديمنا لكتاب «شاهراه اتحاد» (الصفحات: م إلى ن)] إن الله ذاته بيّن لنا أصول الإيمان وأصول الدين بشكل كامل (البقرة: ١٧٧، النساء: ١٣٦). ورسول الله ﷺ - موافقاً لكتاب الله - أجاب مَنْ سَأَلَهُ: ما الإيمان؟ فقال: "أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ...." ^(١).

ولما سأله أبو ذر عن الإيمان قرأ عليه الآية ١٧٧ من سورة البقرة بتامها (المصنّف للحافظ عبد الرزاق، ج ١١، ص ١٢٧ و ١٢٨، الحديثان ٢٠١٠٧ و ٢٠١١٠).

والآية التي تلاها رسول الله ﷺ هي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]. وكما نلاحظ لو كان هناك ضرورة لما امتنع الله من عطف كلمة «الحجج» أو «الأئمة» على كلمة «النبيين». (فتأمل). وبقية الآية كالتالي: ﴿وَعَائِي الْمَالِ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَعَائِي الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبُيُوتِ وَالصَّرَائِعِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

إن على القارئ المحترم ألا يمرّ مرور الكرام على هذه الآية الكريمة التي تلاها رسول الله ﷺ

(١) أخرجه أبو داود في سننه، (٤٦٩٧) والنسائي في السنن الكبرى، (٥٨٥٣)، وأحمد في المسند، ج ١، ص ٥٢ و

٥٣، ج ٢، ص ١٠٧. (المترجم)

نعم، لنعد الآن إلى «دعاء الافتتاح». يُظهر قائل الدعاء الحزن والعيول على «العدل المُتَنظِّر» ويتمنى ظهوره ليفعل كيت وكيت، هذا في حين أن الله تعالى دعا الناس جميعاً إلى النهوض والقيام لأجل إقامة العدل وبسط القسط ولم يقل عليكم أن تنتظروا من يفعل ذلك لكم، كما نقرأ في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]. لاحظوا أنه تعالى قال «ليقوم الناس بالقسط» ولم يقل «ليقوم المُتَنظِّر بالقسط»! إنهم ينتظرون حتى يرسل الله لهم في المستقبل شخصاً لينهض هو لإقامة العدل! وهذا من أفكار القدماء الفاسدة والخرافية التي تركوها لنا وكثير من أخبارهم أيضاً تدل على أن ذلك الفرد المُتَنظِّر سيكون عمله القتل وسفك الدماء! إذا عرفنا الآن أن مثل هذه الأدعية هي من وضع صنَّاع المذاهب فحيثما وجدنا في المفاتيح مثل هذا النحو من الدعاء فإننا نعتبره مشمولاً بحكم «دعاء الافتتاح» أيضاً أي نعتبره موضوعاً؛ مثل ما ذكره الشيخ عباس تحت عنوان «أعمال ليالي القدر المشتركة» (العمل الرابع، ٢٢١)^(١) من سؤال الله بالحجج الاثني عشر الذين لا دليل شرعي صحيح على كونهم حججاً. ويبدو أن السيد ابن طاووس هو وحده فقط الذي نقل ذلك الدعاء! وكذلك الدعاء المخصَّص لليلة الثالث والعشرين من رمضان والمروي عن شخصين من الضعفاء (أحدهما من أسرة «الفضال» الذين كانوا من الواقعة والآخر «محمد بن عيسى بن عبيد» الذي كان من الغلاة)^(٢)، وفيه: "اللَّهُمَّ كُنْ لَوْلِيَّكَ الْحُجَّةَ بْنَ الْحَسَنِ صَلَوَاتِكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ وَلِيًّا وَحَافِظًا وَقَائِدًا وَنَاصِرًا وَدَلِيلًا وَعَيْنًا، حَتَّى تُسَكِّنَهُ أَرْضَكَ طَوْعًا وَتُمَتِّعَهُ فِيهَا طَوِيلًا...".

أيها القارئ المحترم، لاحظ جيداً ما تقوله تلك الفقرة من الدعاء. لقد قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقال: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [ال عمران: ٦٨]. لاحظوا أنه عندما يكون الله ولي المؤمنين فلا ضرورة لقول كلمة «كُن»، كما أنه عندما يقول

(١) وهو في الصفحة ٣٠٧ - ٣٠٨ من النسخة المُعرَّبة للمفاتيح. (المُترجم)

(٢) لقد عرفنا بحاله في التنقيح الثاني لكتابنا «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، ص ٢١٤.

تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر: ٦٢] لا يكون هناك ضرورة لقولنا «اللهم كن لفلان خالقاً ورباً!» ثم إن مخاطبة الله أن يكون لفلان «عيناً» أي جاسوساً مخالف للأدب في الدعاء، والمؤمن العارف لا يكلم الله سبحانه وتعالى بمثل هذا الكلام، ولم يؤثر عن رسول الله ﷺ استخدامه مثل هذا التعبير في الدعاء. وللأسف فإن من ييدهم زمام الأمر في بلادنا يكررون بث هذه الجملة في الإذاعة ولا أحد يسأل ما معنى هذا الدعاء؟!

أجل، في «دعاء الافتتاح» هذا أُعْتَبِرَ الإمام الغائب الذي يقول الخرافيون إنه غاب في طفولته «ولي الأمر» مِنْ قِبَلِ الله. هذا في حين أنه لم يأخذ على عاتقه أبداً ولاية أمور المؤمنين، فما هو الدليل على أنه ولي أمر المسلمين؟ أي أمر قد قام به ولي الأمر هذا؟ هل أصلح حال البلاد؟ هل علّم الكفار وأرشدتهم؟ هل بنى مشفى أو مدرسة؟

وفي هذا الدعاء يقول عن الإمام الغائب: "اللَّهُمَّ أَظْهِرْ بِهِ دِينَكَ وَسُنَّةَ نَبِيِّكَ حَتَّى لَا يَسْتَخْفِيَ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ مَخَافَةَ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ" (١)!!

أولاً: هل يمكن أن يُخْفِيَ الإمام شيئاً من الحق عن الناس خوفاً من أحد؟ هل الأئمة السابقون كانوا يفعلون ذلك؟! هل فهم واضح هذا الدعاء أي كلام لفقّه؟

ثانياً: إذا أراد شخص أن يظهر كتاب الله وسنة رسوله قام عليه صنّاع المذاهب وأهل البدعة وحالوا بينه وبين ذلك ونصبوا له الحرب والعداء. نعم، يقول هذا الدعاء: «اللهم أظهر به دينك» ولكن لو أراد أحد اليوم أن يظهر حقائق الدين والتوحيد فإن قارئ هذا الدعاء أنفسهم سيعادونه وسيُقَدِّمون على قتله، كما حصل لكاتب هذه السطور عندما قُمت بإظهار حقائق من كتاب الله فاتفقوا جميعاً على إسكاتي وافتروا علي واتهموني بمئات التُّهَم، ومن جملة ذلك أنهم قالوا إنه على مذهب الوهابية في حين أن هذا العبد الفقير لست لا وهابياً ولا تابعاً لأي مذهب آخر بل أنا مسلم فحسب. إنهم لا يتنبهون إلى أن دعاءهم وتضرّعهم مخالف لعملهم. نسأل الله تعالى

(١) الكليني، أصول الكافي، ج ٣، ص ٤٢٣. (المُتَرَجِّمُ)

لهم الهداية وأن ينجّي شعبنا من شرّ أعداء القرآن وكيد الخرافيين، وأن يوقظ هذا الشعب وينقذه من الخرافات. آمين يا ربّ العالمين.

ثم في الصفحة ١٨٣^(١) أورد الشيخ عبّاس القمّي دعاءً ليُقرأ في أسحار شهر رمضان بعنوان العمل الثالث من أعمال شهر رمضان العامة، وهو دعاء لا إشكال في قراءته استناداً إلى إذن الشرع العام بالدعاء. والدعاء الرابع من أدعية هذا القسم هو الدعاء المشهور بـ «دعاء أبي حمزة الثمالي» (= ثابت بن دينار) وفي رأينا لم يُنقل إلينا هذا الدعاء بأمانة تامة بل تصرف به صنّاع المذاهب في بعض المواضع، فقد أضافوا في موضعين منه: "وَارزُقْنِي زِيَارَةَ قَبْرِ نَبِيِّكَ ﷺ وَالْأئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَلَا تُخْلِنِي يَا رَبِّ مِنْ تِلْكَ الْمَشَاهِدِ الشَّرِيفَةِ وَالْمَوَاقِفِ الْكَرِيمَةِ" (ص ١٨٨، سطر ١٤، و ص ١٨٩ سطر ٤ و ٥)^(٢)! وذلك لأنه كما ذكرنا في كتابنا الحالي (حاشية ص ١٩٨ - ٢٠١) نقلاً عن كتاب «زيارات وزيارتنامه» [زيارة المزارات وأدعية الزيارات]، لم يكن مرقد النبي الأكرم ﷺ في القرن الهجري الأول مزاراً كما لم تكن قبور حضرات علي والحسين عليهم السلام في ذلك الزمان مزارات للناس حتى يسأل حضرة السجاد (ع) الله تعالى أن يرزقه زياره قبورهم! (فتأمل).

ولا يفوتني أن أذكر أنني أحبُّ كثيراً هذا الدعاء والأدعية من الخامس وحتى الثامن في هذا القسم وقد قرأتها مراراً وتكراراً وأوصي إخوتي وأخواتي في الإيمان أن يقرؤوها، والله وبيُّ التوفيق، بشرط أن يحصلوا على ترجمتها (إلى الفارسية) بالطبع كي يستفيدوا من معانيها وإلا فإن مجرد قراءة جمل دون معرفة معناها لا فائدة منه للقارئ.

الدعاء السابع من أعمال أيام شهر رمضان (ص ٢١١)^(٣) لا سند له أيضاً وليس منسوباً إلى أي إمام من الأئمة ولست أدري كي عرف الكفعمي أن ذنوب أربعين سنة تُغفر بقراءته؟! وفي العمل التاسع روى الشيخ عبّاس عن الشيخ المفيد قوله: "من سنَّ شهر رمضان الصلاة على

(١) أو ص ٢٥٩ - ٢٦٠ في النسخة المعرّبة للمفاتيح، ويُسمّى بدعاء «البهاء».

(٢) أو ص ٢٦٦ سطر ٢ ثم سطر ١٤ من الصفحة ذاتها، في النسخة المعرّبة للمفاتيح.

(٣) أو ص ٢٧٨ في النسخة المعرّبة للمفاتيح، ويُسمّى بدعاء «يا مفرعي».

النبي ﷺ في كل يوم مئة مرة.... " وهو عمل جيد جداً. وهنا أتذكر أن المجلسي نقل حديثاً يقول: "مَنْ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِائَةَ حَسَنَةٍ، وَمَنْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ حَسَنَةٍ"^(١).

ونسأل هل آل محمد ﷺ غير أهل بيته حتى يكون ثواب الصلاة عليهم أقل من ثواب الصلاة على أهل البيت!؟

هنا، من الضروري أن نوضح معنى «الآل». فاعلم أن لكلمة «الآل» في النصوص الشرعية عدة معانٍ وقرينة الكلام هي التي تبيّن المراد منها. فمن جملة ذلك أنها تأتي بمعنى أهل بيت الشخص (أي زوجته وأبناءه وأهله الذي يسكنون معه في بيته)، وعائلته، وأُسرتها، كما جاء في القرآن من قوله تعالى: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَىٰ وَعَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، وقوله سبحانه: ﴿وَيُؤْتِيهِمْ نِعْمَتَهُ وَعَلَيْكَ وَعَالِي آلِ يَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعَالًا إِبْرَاهِيمَ وَعَالًا عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴿٣٤﴾﴾ [آل عمران: ٣٣، ٣٤]، وقوله سبحانه: ﴿اعْمَلُوا آءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبا: ١٣]، وقوله: ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا أَمْرًا تَهُو﴾ [الحجر: ٥٨، ٦٠].

والمعنى الآخر لكلمة «الآل» أتباع الشخص، كعبارة «آل فرعون» التي تتكرر في القرآن (البقرة: ٤٩ و ٥٠، والأنفال: ٥٢ و إبراهيم: ٦) كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: "قُلِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ فَسَنَكُونُ نَحْنُ وَشِيعَتُنَا قَدْ دَخَلْنَا فِيهِ"^(٢). بناء على ذلك فإن الشيعة جميعهم آل محمد. وكذلك المراد من عبارة «آل محمد» التي نقرأها في صلواتنا ونحوها: الأتباع الصادقون لرسول الله ﷺ والأتقياء من أمته الذين نصلي عليهم معه. بناء على ذلك فإن عبارة «آل محمد» تشمل حضرة علي (ع) وكل ابن مؤمن نقي القلب من ذريته كما تشمل سائر

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٩١، ص ٥٨، الحديث ٣٧.

(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٤، أبواب الذكر، باب ٤٢، الحديث ١١.

الأطهار من أمة الإسلام. إن الله تبارك وتعالى صَلَّى أيضاً في القرآن الكريم على النبي ﷺ وعلى أتباعه وقال: ﴿أَوْلَيْتِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧]، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ [الاحزاب: ٤٣]، وقال: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]

وقال الإمام السجاد (ع) في الدعاء الرابع من «الصحيفة السجادية»: "اللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَيَّ التَّابِعِينَ مِنْ يَوْمِنَا هَذَا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَعَلَى أَزْوَاجِهِمْ وَعَلَى ذُرِّيَّاتِهِمْ وَعَلَى مَنْ أَطَاعَكَ مِنْهُمْ"، وقال في الدعاء الواحد والعشرين من الصحيفة: "اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْنِي لَهُمْ قَرِينًا، وَاجْعَلْنِي لَهُمْ نَصِيرًا".

بالطبع عبارة «آل مُحَمَّد» التي تُذكر في كتب الفقه وأبواب الزكاة والصدقات، يُقصد منها - كما يُستفاد من الآثار والأدلة وكما قال الفقهاء أيضاً- أبناء علي (ع) وجعفر وعقيل والعباس والحارث و.... أي «بني هاشم»^(١). أما الذين ادَّعوا أن «آل محمد» ينحصرون بحضرة الزهراء وعلي -عليهما السلام- وإحدى عشراً من أولادهما فهو قول لا دليل عليه. أيها القارئ المحترم! لاحظ أن الناس لدينا يقولون كل يوم: "اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ" من جهة، ومن الجهة الأخرى يعتبرون عدداً من أتباع النبي الذين مدحهم القرآن، مُرتدِّين وغاصبين لخلافة عَلِيِّ (ع) المنصوص عليها من الله ويُبعضونهم. (فتأمل جداً).

لنتقل الآن إلى بقية موضوعات الفصل المتعلق بأعمال شهر رمضان:

يقول الشيخ عباس تحت عنوان العمل السابع من أعمال ليلة أول شهر رمضان: "السابع: أن يزور قبر الحسين (ع) لتذهب عنه ذنوبه ويكون له ثواب الحجَّاج والمُعتمرين في تلك السنة". هذه الرواية منقولة عن كتاب «إقبال الأعمال» للسيد ابن طاووس (ص ١٠) ورواه «فيض بن مختار» الذي عرَّفنا به في كتابنا «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، (ص ٦٤٣-٦٤٦).

(١) راجعوا كتاب «جامع المنقول في سنن الرسول» تأليف كاتب هذه السطور، كتاب الزكاة، باب ٢١.

وكذلك قال الشيخ عباس في قسم «أعمال ليالي القدر المشتركة»، العمل الخامس: «الخامس: زيارة الحسين (عليه السلام): ففي الحديث إنه إذا كان ليلة القدر نادى مناد من السماء السابعة من بطنان العرش: إن الله قد غفر لمن زار قبر الحسين (عليه السلام)». ورواها فرد مجهول يُدعى «صندل» ولا اعتبار لحديثه^(١).

وكتب الشيخ عباس تحت عنوان العمل الأول من «أعمال اليوم الأول من شهر رمضان»: «مَنْ اغْتَسَلَ أَوَّلَ يَوْمٍ مِنَ السَّنَةِ فِي مَاءٍ جَارٍ وَصَبَّ عَلَى رَأْسِهِ ثَلَاثِينَ غُرْفَةً كَانَ دَوَاءَ السَّنَةِ» أي كان له في ذلك أمان من جميع الأوجاع والآلام في كل السنة القادمة!!!. ولكن هذه الرواية نقلها الشيخ عباس من كتاب «إقبال الأعمال» للسيد ابن طاووس (ص ٨٦) في حين أنه قد ذكر في آخر الرواية ذاتها: «وإنَّ أَوَّلَ كُلِّ سَنَةٍ أَوَّلُ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ!!!» ورغم ذلك اعتمد الشيخ عباس على مثل هذه الرواية وأوردها في كتابه!

ثم نقل تحت عنوان: العمل السابع من «أعمال اليوم الأول من شهر رمضان» دعاء جيداً لا إشكال في متنه، كما أن الأدعية التي أوردها في الصفحتين ٢٢٣ و ٢٢٤ تحت عنوان: «أعمال ليالي العشر الأواخر من شهر رمضان» لا إشكال فيها وكذلك أدعية الليلة ٢٤ إلى الليلة ٣٠ من شهر رمضان.

ثم روى في أعمال الليلة الثالثة والعشرين من شهر رمضان حديثاً عن عدد من الضعفاء مثل «إسماعيل بن مهران» و «علي بن أبي حمزة»^(٢) و «محمد بن حسان»^(٣) يقول: «... وقد آلى الصادق عليه السلام أن من قرأ هاتين السورتين [العنكبوت والروم] في هذه الليلة كان من أهل الجنة!!!»

(١) وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٣٧٠.

(٢) لقد عرفنا بإسماعيل بن مهران في ص ٦٦٢-٦٦٣ و ٨١٣ وبعلي بن أبي حمزة في ص ١٦٣ و ١٩٦ فما بعد من كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول». والرواية التي ذكرها موجودة في كتاب «وسائل الشيعة»، ج ٧، ص ٢٦٤.

(٣) «محمد بن حسان» اعتبره العلامة الحلي من الضعفاء وقال: إن النجاشي قال عنه: إنه يروي كثيراً عن الضعفاء، وضعفه ابن الغضائري أيضاً.

ثم ذكر في أعمال ليلة آخر يوم من رمضان صلاة خاصة قال إنها منسوبة إلى عبد الله بن مسعود^(١)، ولكننا لا نجد في سنة النبي ﷺ مثل هذه الصلوات، ولو صلى رسول الله ﷺ فعلاً مثل هذه الصلوات لعرف ذلك أصحابه ولعلمها النبي ﷺ لجميع المسلمين. ولو قرأ شخص مسند أحمد بن حنبل الذي جمع أحاديث ابن مسعود لرأى أنه لم ينقل مثل هذه الصلاة الخاصة بشهر رمضان عن النبي، ولما كانت العبادات توقيفية فلا يمكننا أن ننسب إلى الشرع صلاةً مخصوصةً استناداً إلى حديثين ضعيفين غير معتبرين. والأمر ذاته ينطبق على الصلوات التي ذكرها لكل يوم من أيام شهر رمضان (ص ٢٤١ إلى ٢٤٣)^(٢) وذكر لها ثوابات عجيبة! ثم نقل الكفعمي أن صلاة الليلة الأولى من رمضان تتم بقراءة سورة التوحيد ٢٥ مرة أما المجلسي فذكر أنها تكون بقراءة سورة التوحيد ١٥ مرة!!!^(٣)، ورواة هذه الصلوات لا يتمتعون بحال جيدة فمحمد بن جعفر الحسين و«إسماعيل البشير» مهملان و«محمد بن محمد بن الحسين بن هارون» مجهول الحال!!

كما ذكر الشيخ عباس لكل يوم من أيام رمضان دعاءً مختصراً ذكر لها الكفعمي في كتابه «المصباح» و«البلد الأمين» (ص ٢١٩ إلى ٢٢٢) ثوابات عجيبة وغريبة لكل منها، مثلاً قال: إن ثواب قراءة دعاء من سطرين في اليوم الثامن عشر من رمضان يُعادل ثواب ألف نبي!!! أو ذكر أن ثواب دعاء يوم التاسع والعشرين أن يُبنى له ألف مدينة في الجنة من الذهب والفضة والزمرد واللؤلؤ!! وقد ذكر المجلسي أيضاً في كتابه «زاد المعاد» (ص ٢١٥ إلى ٢٢٠) هذه الأدعية وقال في ختامها: إنني لا أعتد هذه الرواية، ورغم ذلك أورد الأدعية في كتابه!!! ولا يخفى أن دعاء اليوم الأول يتضمن الإشكال ذاته الذي ذكره جناب الأستاذ قلمداران -رحمه الله- في كتابه القيم «شاهراه اتحاد» [طريق الاتحاد] في تمحيص الحديث السابع (ص ٢١٠ و ٢١١). فَلْيُرَاجَع نَمَّةً.

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٥، ص ١٨٩ و ٢٢٢، وكتاب «مستدرک الوسائل» ج ١، ص ٤٤٥.

(٢) أو الصفحات من ٣٢٢ إلى ٣٢٤ في النسخة المعربة للمفاتيح.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٩٤، ص ٣٨١ فما بعد. و«وسائل الشيعة» ج ٥، ص ١٨٦ إلى ١٨٩.

[بحث حول ادعاء علم النبي والأئمة بالغيب]

لقد تكلمت كثيراً في خطبي وكتبي عن العلم بالغيب الذي يُنسب للنبي والأئمة، ومن جملة ذلك بحثٌ مُفصّلٌ في التنقيح والإصدار الثاني لكتابي «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، (ص ١٣٠ فما بعد) وفي الكتاب الحاضر (ص ١٨٩ إلى ١٩٦). إحدى الموارد المتعلّقة ببحث العلم بالغيب مسألة ليالي القدر في شهر رمضان. روى الشيخ الصدوق في كتاب الصوم من كتابه «من لا يحضره الفقيه» (ص ١٧٤، الحديث ٤) عن الإمام أبي جعفر الباقر (ع): "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا انصَرَفَ مِنْ عَرَافَاتٍ وَسَارَ إِلَى مِثِّي دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ فَقَامَ خَطِيباً فَقَالَ بَعْدَ الثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّكُمْ سَأَلْتُمُونِي عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَلَمْ أَطُوهَا عَنْكُمْ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ بِهَا عَالِماً، اَعْلَمُوا أَيُّهَا النَّاسُ! أَنَّهُ مَنْ وَرَدَ عَلَيْهِ شَهْرُ رَمَضَانَ وَهُوَ صَاحِحٌ سَوِيٌّ فَصَامَ نَهَارَهُ وَقَامَ وَرَدّاً مِنْ لَيْلِهِ وَوَأظَبَ عَلَى صَلَاتِهِ وَهَجَرَ إِلَى جُمُعَتِهِ وَعَدَا إِلَى عِيدِهِ فَقَدْ أَدْرَكَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ وَقَارَ بِجَائِزَةِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ".^(١)

كما نلاحظ صرّح رسول الله ﷺ أنه لا يعلم على وجه الدقة أي ليلة هي ليلة القدر. وكما ذكرت في كتابي «جامع المنقول في سنن الرسول» (كتاب الصيام، باب أن ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان) لم يتم تعيين ليلة القدر في سائر الروايات، لذلك يهتم الناس بالعشر الأواخر أو بالأسبوع الأخير من شهر رمضان.

ولا يخفى أن الحديث الذي ذكرناه أعلاه ونظائره تنفي الأكاذيب التي ادّعوها من أن الملائكة تنزل على الإمام في ليلة القدر وتطلعه على المُقدّرات في السنة القادمة. وقد جمع الكليني هذه الأكاذيب في الباب ٩٩ من الجزء الأول من أصول الكافي. (راجعوا كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، ص ٥٦٠ فما بعد).

(١) وسائل الشيعة، ج ٧، ص ٢١٩.

وبالطبع لا ينحصر نفي علم الغيب عن غير الله في الحديث المذكور أعلاه بل هناك أحاديث أخرى تنص على ذلك. ومن جملتها حديث مروى عن حضرة عليّ (ع) أنه قال: "كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَخْبِرُونِي أَيُّ شَيْءٍ خَيْرٌ لِلنِّسَاءِ؟ فَعَيَّنَا بِذَلِكَ كُنَّا حَتَّى تَفَرَّقْنَا، فَرَجَعْتُ إِلَى فَاطِمَةَ (ع) فَأَخْبَرْتُهَا بِالَّذِي قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَّا عَلِمَهُ وَلَا عَرَفَهُ؛ فَقَالَتْ: وَلَكِنِّي أَعْرِفُهُ خَيْرٌ لِلنِّسَاءِ أَنْ لَا يَرَيْنَ الرَّجَالَ وَلَا يَرَاهُنَّ الرَّجَالُ. فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! سَأَلْتَنَا أَيُّ شَيْءٍ خَيْرٌ لِلنِّسَاءِ؟ خَيْرٌ لَهُنَّ أَنْ لَا يَرَيْنَ الرَّجَالَ وَلَا يَرَاهُنَّ الرَّجَالَ. فَقَالَ: مَنْ أَخْبَرَكَ فَلَمْ تَعْلَمْهُ وَأَنْتِ عِنْدِي؟ فَقُلْتُ: فَاطِمَةُ فَأَعْجَبَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «إِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي»^(١).

وهناك حديث آخر أيضاً: "عن الرُّبَيْعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَبِيحَةَ غُرْسِي وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تَعْتَيَانِ وَتَنْدُبَانِ آبَائِي الَّذِينَ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ وَتَقُولَانِ فِيمَا تَقُولَانِ: «وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي عَدِي». فَقَالَ ﷺ: «أَمَّا هَذَا فَلَا تَقُولُوهُ، مَا يَعْلَمُ مَا فِي عَدِي إِلَّا اللَّهُ»^(٢).

ونماذج هذه الأحاديث كثيرة آمل أن لا يغفل عنها المؤمنون.



للأسف في هذه الأيام الأخيرة من عمري وبهذا الجسم الواهن والضعيف ومع ضعف البصر ورجفان اليد والبدن العليل الذي أعاني منه، وفقدان الأمن والعيش بالتخفي والتواري عن أعين مأموري الحكومة الذين لا يزالون يتعقبونني بصورة مخفية وغير رسمية ليُنجزوا المهمة التي فشلوا في إنجازها سابقاً أي اغتيايي، مما يضطرنني إلى تغيير مكان إقامتي بشكل متواصل وإلى قضاء عدة أيام في منزل أحد أصدقائي الخيّرين أو عدد من أقربائي غير الخرافيين! لم أعد قادراً على إنجاز كثير من الأبحاث. هذا وقد قام عددٌ من المأمورين المسلحين التابعين للحكومة، قبل فترة قريبة، بمداهمة منزلي فلما لم يجدوني فيه وواجهوا المستأجر سألوه عني لكنه لم يكن يعلم مكاني، فرجعوا خائبين خاسرين! وقد أخبرني بعض أهل الخير عن هذه الأعمال الخفية (التي تتم

(١) وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٣، الحديث رقم ٧.

(٢) سنن ابن ماجه، ج ١، س ٦١١، الحديث ١٨٩٧.

دون مذكرة قانونية ودون استناد إلى حكم محكمة أو قاض ودون إعطاء المتهم إمكانية الدفاع عن نفسه أو إبلاغه عن التهمة التي هو متهم بها...). ومثل هذا الأمر يتم كثيراً في هذه الحكومة، مثل وفاة المرحوم أبو القاسم اللاهوتي وابنه في ظروف غامضة!! لقد كان المرحوم اللاهوتي شيخاً خرافياً ولكنه كان صادقاً غير مرء وكان من أنصار السيد الخميني المتحمسين والمخلصين له جداً، لكنه لما لم يُنفذ رغبات أولئك الذين وصلوا إلى السلطة حديثاً وأسكرتهم قوة الجاه والسلطان حذو النعل بالنعل أزاحوه اجتماعياً وصقوه من ساحة الحياة!! والعجيب كيف لم يُبد السيد الخميني ردّ فعلٍ جدّي في مواجهة مثل هذه الحادثة ولم يُلاحق أو يعتقل الذين كانت لهم علاقة بحادثة توقيف ووفاة المرحوم اللاهوتي الغامضة!! نعوذ بالله من مُضلات الفتن.

لقد تذكرت ذلك الحديث الذي وصف الإمام الصادق عليه السلام فيه علماء السوء بقوله: "... وَإِنَّ شِرَارَكُمْ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوطَأَ عَقْبُهُ، إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ كَذَابٍ أَوْ عَاجِزٍ الرَّأْيِ"^(١)، أي أن شراركم من يُحب أن يسير الناس وراءه ويكون قائداً وقدوة للناس ويضطر لأجل ذلك أن يكون كاذباً وأن يكون عاجزاً عن إظهار رأيه ويضطر إلى موافقة ما يُعجب العامة.

كما قال الإمام الصادق عليه السلام: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَخْتَلُونَ الدُّنْيَا بِالَّذِينَ وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَسِيرُ الْمُؤْمِنُ فِيهِمْ بِالتَّقِيَّةِ. أَبِي يَعْتَرُونَ؟ أَمْ عَلِيٌّ يَجْتَرُونَ؟ فَبِي حَلَفْتُ لَا تِيحَنَ لَهُمْ فِتْنَةً تَتْرُكُ الْحَلِيمَ مِنْهُمْ حَيْرَانًا!"^(٢).

في رأينا إن مسؤولي البلاد كاذبون في ادّعائهم حُبّ عليّ عليه السلام (ع)^(٣)، وشيعة عليّ الحقيقيون (ع)

(١) أصول الكافي، ج ٢، ص ٢٩٩.

(٢) الكليني، أصول الكافي، ج ٢، باب «طلب الرئاسة»، الحديث ٨، وباب «من وصف عدلاً وعمل بغيره»،

الحديثان ١ و ٢، وباب «اختتال الدنيا بالدين»، الحديث ١.

(٣) رُوِيَ عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: "ألا إن هذه الأمة لا بُدَّ مفترقة كما افترقت الأمم قبلهم، فنعوذ بالله من

شر ما هو كائن ثم عاد ثانية فقال: إنه لا بد مما هو كائن أن يكون ألا وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين

فرقة، شرها فرقة تتحلني ولا تعمل بعلمي، فقد أدركتم ورأيتم فالزموا دينكم واهدوا بهدى نبيكم صلى الله عليه وآله واتبعوا

وأتباعه ومُحبّوه الصادقون هم نحن قطعاً الذين نُبرِّئ ساحة ذلك الإمام الهمام من الأحاديث الكاذبة التي ينسبونها إلى حضرته ونسعى أن نتبعه.

إن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام لم يفرض على الخوارج - طالما لم يلجؤوا إلى السيف ولم يُقدموا بعد على إيذاء الناس وقتلهم - أيّ حدود بل حتى لم يقطع رزقهم من بيت المال، ورغم أنهم كانوا يشتمونه ويُسيئون الأدب بحقه [بل كانوا يُكفّرونه] لم يمنعهم من التعبير عن رأيهم، أما اليوم فمدّعو حُبّ عليّ (ع) سجنوني عدّة مرّات وسعى بعضهم إلى قتلي، ولم يسمحوا لأيّ أحد مخالف لرأيهم أن يُعبّر عن رأيه، كما لم يسمحوا لي أن أقيم صلاة الجمعة في منزلي مع عدد من أصدقائي ومنعوا جلسات تفسير القرآن الأسبوعية التي كنت أعقدها في منزلي!!

إن هذه الطريقة في إدارة بلد إسلامي لن تُثمر سوى الآثار الوخيمة التي أثمرتها أعمال الكنيسة في القرون الوسطى، وعلينا فقط أن نتضرّع إلى الله بأعين دامعة وأن نسأله من كل قلوبنا وبنية خالصة أن لا تضع الأجيال اللاحقة هذه الأعمال على حساب الإسلام، وأن يدركوا أن مثل هذه الأعمال لا علاقة لها بالإسلام والقرآن الكريم، كما أن أعمال آباء الكنيسة لم يكن لها علاقة بتعاليم حضرة عيسى (ع). إنني أدعو في هذه الأيام دائماً أن يحفظ الله الإسلام من خطر المشايخ الخرافيين. آمين يا رب العالمين.

نقد كتاب «علم النبي والإمام في القرآن»

في هذه الأيام التي أعمل فيها في كتابة هذه الصفحات وتنقيحها وتكميلها أراني مضيفي - جزاه الله كل خير - كتاباً باسم «علم پیامبر وامام در قرآن» [أي علم النبي والإمام في القرآن]، تأليف «أحمد المطهري» و«غلام رضا كاردان»، وقد طبعته ونشرته مؤسسة «در راه حق» [أي «في طريق الحق»] في قم. وتأسفت كثيراً لما رأيت أن هذا الكتاب طُبع منه في الطبعة الواحدة ثلاثون

سنته واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن، فما عرفه القرآن فالزموه وما أنكره فردوه، وارضوا بالله عزّ وجلّ ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً وبالقرآن حكماً وإماماً" (تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٤٧٩). وقال الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: "لقد أمسينا وما أحد أعدى لنا ممن يتحلل مودتنا." (رجال الكشي، ص ٢٩٥. وانظروا أيضاً كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، حاشية ص ٢٧).

ألف نسخة، لكنهم لا يسمحون لي بطباعة نسخة واحدة من كتبي وكتب أمثالي!! «سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ». ليتهم سمحوا لنا أن ننشر كلامنا ويتركوا للناس أنفسهم أن يحكموا في الأمر.

نعم، إن كتاب «علم النبي والإمام في القرآن» يتضمن إشكالات عديدة. والأحاديث التي ذكرت في ذلك الكتاب مأخوذة كلها من الروايات الخرافية لكتاب «بصائر الدرجات» للصفار، و«الكافي» للكليبي، وكتاب السيد هاشم البحراني و..... الذين لا يُمَيِّزُ كتبهم بين الأحاديث المعتمدة وغير المعتمدة والذين لم يكن لهم معرفة كما يجب بالقرآن الكريم. من الضروري قراءة كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول» كي نعلم مدى معرفة الكليبي وأمثاله بالإسلام والقرآن! كما أن معظم أقوال ذلك الكتاب حول آيات القرآن محل إشكال أيضاً.

المعنى الصحيح لشهادة الرسول على أمته

فعلى سبيل المثال عندما أخذت بتصفح كتاب «علم النبي والإمام في القرآن» رأيت أن مؤلفيه استشهدوا في الصفحتين ١٠٤ و ١٠٥ منه بسبع آيات من القرآن نذكرها فيما يلي:

- ١- ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الاحزاب: ٤٥].
- ٢- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الفتح: ٨].
- ٣- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [المزمل: ١٥].
- ٤- ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١].
- ٥- ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].
- ٦- ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأْنَا اللَّهَ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [التوبة: ٩٤].
- ٧- ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [التوبة: ١٠٥].

أولاً: قبل أن نتكلم على معنى الآيات المذكورة نُذَكِّرُ أن كلمة «الغيب» كثيراً ما تُفسَّرُ بمعنى غير معناها الحقيقي وهو أحد الأمور التي كنا دائماً نختلف فيها وتناقش حولها مع الخرافيين، إذ كثيراً ما يُفسَّرُ معنى «الغيب» بأمور هي أصول الشريعة وفروعها وأخبارها والأخبار التي ذُكرت في القرآن والتي تُوحى إلى النبيّ وحده فقط لا غير، ومن جملة ذلك آية: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ مِمَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الجن: ٢٥، ٢٨] وكذلك آية: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [التكوير: ٢٤].

من البديهي أن الغيب الذي لا يجعله الله تحت تصرف أي شخص إلا النبيّ الذي لا يضمن بإظهاره، والذي يجعل الله أمامه وخلفه حَفَظَةً يُشْرَفُونَ على تبليغه كي يصل إلى الناس كاملاً تاماً دون تغيير ولا زيادة ولا نقصان، ليس سوى ما نُعبّر عنه بـ «شريعة الإسلام»، وهو يُوحى إلى النبيّ فقط الذي يقوم بإبلاغه لعامة الناس على حدّ سواء^(١) (الأنبياء: ١٠٩). إن هذا المعنى للغيب خارج عن بحثنا تماماً ولا مخالف له [أي لا أحد من المسلمين يختلف في أن النبيّ يعلم هذا الغيب]، لكن بحثنا هو حول ما يقوله الكتاب المذكور من أن:

"إن الاطلاع والمعرفة التي يعجز عنها الآخرون [أي غير النبيّ والإمام] ولا يمكن الحصول عليها بواسطة الوسائل الطبيعية والأسباب العادية، يُعتبر علماً بالغيب. وليس من الضروري أن يكون ما يتعلّق به هذا العلم والمعرفة أموراً غير محسوسة أو أموراً خارجة عن مجال الحواس الظاهرية، إذ إن الشخص قد يُشاهد بواسطة طرق غير عادية أموراً خارجة عن قدرة عامة الناس واستطاعتهم"^(٢).

- (١) كما جاء في حديث أبي الطُّفَيْلِ: عَامِرُ بْنُ وَائِلَةَ قَالَ: "كُنْتُ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (ع) فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسِرُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ فَغَضِبَ وَقَالَ: مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسِرُّ إِلَيَّ شَيْئًا كَتَمَهُ النَّاسُ". (التاج الجامع للأصول، ج ٣، ص ١٠٩، نقلاً عن صحيح مسلم).
- (٢) علم پیامبر و امام در قرآن، [أي علم النبي والإمام في القرآن]، ص ١٣.

أي أن معنى الغيب الذي يقصدونه هو بالضبط معنى كلمة «الغيب» التي وردت في آيات كالأيات التالية:

١- ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنِّي أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الانعام: ٥٠].

٢- ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الاعراف: ١٨٨].

٣- ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٣١]. ونظائرها.

ثانياً: من الضروري أن يرجع القارئ إلى القرآن الكريم بشأن الآيتين اللتين ذكرناهما تحت رقم ٦ و ٧ (أي الآيتان ٩٤ و ١٠٥ من سورة التوبة) اللتين يستغلها مؤلفو الكتاب المذكور كي يعلم أنه قبل الآية ٩٤ من سورة التوبة بين الله تعالى في الآية ٩١ فما بعد شأن الذين لم يكن واجباً عليهم الجهاد بالمال والنفس، ومن ثم لم يكن هناك لومٌ عليهم لعدم خروجهم إلى الجهاد، ثم قال في الآيتين ٩٣ و ٩٤: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَعِذُّونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رِضْوَانًا يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٩٣] يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ٩٣، ٩٤].

من الواضح أن الآيات المذكورة ومنها الآية ٩٤ والآية ١٠٥ من سورة التوبة نزلت بشأن غزوة تبوك التي امتنع فيها المنافقون عن الخروج إلى الجهاد لأنهم لم يكونوا يتوقعون أن يعود جيش الإسلام سالماً من حربه مع الروم، لذا أخذوا يختلقون الأعذار ليبرروا عدم خروجهم! فقال تعالى في الآيات المذكورة لرسوله ﷺ - وبالطبع أطلع رسول الله ﷺ سائر المؤمنين على هذا الإخبار الإلهي -: يا أيها النبي! قل لهم أن لا يعتذروا بل المطلوب منهم العمل، أما مجرد

الادعاء اللساني فلن يُقبل منهم، قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ونحن نعلم أن ادعاءاتكم ادعاءات كاذبة، وقريباً جداً سوف يرى الله ورسوله عملكم في المعارك الآتية وأنكم هل ستشاركون في الجهاد أم ستتخلفون عنه أيضاً؟ وسيبين هل تبتم من نفاقكم أم أنكم لا تزالون مستمرين عليه؟ ثم في الآيات التالية يواصل تعالى الموضوع ذاته ويُخبرنا قائلاً: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآؤُهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۗ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾ [التوبة: ٩٥، ٩٩]، إلى قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُتَنَفِقُونَ ۗ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَىٰ النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١].

لاحظوا كيف يُصرح القرآن أن النبي ﷺ لا يعرف هؤلاء المنافقين من أهل المدينة الذين مردوا على النفاق أي تمرسوا فيه، في حين أنه لو كان النبي شاهداً لأعمالهم، حتى على نحو العلم غير الاستقلالي، لعرفهم بالطبع. (فتأمل جداً).

ثم يُعرف القرآن لنا فريقياً آخر فيقول: ﴿وَعَاخِرُونَ أَعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَعَاخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [التوبة: ١٠٢]. عندئذ يأمر تعالى النبي بأن يأخذ من أموالهم الصدقات فيقول: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۗ إِنَّ صَلَوَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ [التوبة: ١٠٣، ١٠٤].

ثم مرة أخرى يأمر رسوله في الآية ١٠٥ أن يقول: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَلِيمٍ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

[التوبة: ١٠٥] أي أن الله ورسوله والمؤمنون سوف يرون عملكم ولا داعي إلى أن تدعوا ما تدعونه بلسانكم. إذن علينا أن ننتبه إلى أن الآية ١٠٥ مبيّنة للآية ٩٤ السابقة ومفسّرة لها^(١).

تقول الآية ١٠٥: «فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ»، أي أن الآية الكريمة تشجع المعذّرين على العمل وتطمئنهم أنكم إذا عملتم فإن عملكم لن يتم تجاهله من قِبَلِ الله والنبى والمؤمنين. من الواضح تماماً أن الله لا يحتاج إلى أن يتحقق العمل بالواقع الخارجي حتى يراه ويعلمه! سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

من الذي لا يعلم أن علم الله تعالى بالأشياء جميعها يستوي فيه علمه بها قبل وجودها وعلمه بها أثناء وجودها وبعد إيجادها؟ وأن الله عالمٌ أزلٌ بكل شيء وبصير وخبير بكل شيء وشاهدٌ له.

يقول الشيخ الطوسي في تفسيره «التبيان» (ذيل تفسير الآيات ٩٤ و ١٠٥ من سورة التوبة):
"وإنما قال «فَسَيَرَى اللَّهُ» على وجه الاستقبال، وهو عالم بالأشياء قبل وجودها؛ لأن المراد بذلك أنه سيعلمها موجودةً بعد أن علمها معدومةً. وكونه عالماً بأنها ستوجد من [أي مثل] كونه عالماً بوجودها إذا وجدت، لا يُجَدِّدُ حال له بذلك"^(٢).

وقال أيضاً: "والمراد بالرؤية ها هنا العلم الذي هو المعرفة، ولذلك عدّاه إلى مفعول واحد، ولو كان بمعنى العلم الذي ليس بمعرفة لتعدّى إلى مفعولين، وليس لأحد أن يقول: إن أعمال العباد من الحركات يصحّ رؤيتها لمكان هذه الآية، لأنه لو كان المراد بها العلم لعدّاه إلى الجملة وذلك أن العلم الذي يتعدّى إلى مفعولين ما كان بمعنى الظن، وذلك لا يجوز على الله، وإنما يجوز عليه ما كان بمعنى المعرفة"^(٣). انتهى.

أما غير الله تعالى فليس كذلك. إضافة إلى ذلك فإن الرؤية الإلهية وإبصار الله للأشياء لا يتم بالعين ولا يُجَدُّ بأي حد ولا يُقَيَّدُ بقيد، في حين أن الرؤية وحصول العلم البصري للبشر مُقَيَّدُ

(١) حول الآيات ٩٤ و ١٠٥ من سورة التوبة، راجعوا كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، من الصفحات من ١٩٨ إلى ٢٠٠.

(٢) الشيخ الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ٥، ص ٢٩٥. (المترجم)

(٣) المصدر السابق نفسه. (المترجم)

بقيود عديدة من جملتها أنه لا يتم إلا بالعين ولا يتيسر إلا عند وجود الشيء المرئي وتحققه وحضوره في مسافة محدودة أمام العين، كما أنه عندما يردُّ حرف الاستقبال «س» على الفعل المضارع «يرى» فإنه يفيد هذا المعنى بشأن غير الله، وبعبارةٍ أخرى فإن الفعل له معنى خاص يتناسب مع كل فاعل من فاعليه. (فلا تتجاهل)

بناءً على ذلك فلا يعني عطف الرسول والمؤمنين - الذين هم بشر محدودون- على الله الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] أن البشر يمكن أن يكونوا أيضاً بصيرين مثل بصر الله عز وجل!! فأين بصيرة الله من بصيرة غير الله؟! أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟

إن بصيرة النبي والمؤمنين الذين هم جميعاً بشر، بصيرةٌ محدودةٌ لا تتم إلا بالعين ولا تتيسر إلا عند ظهور الشيء أو العمل، فهم لا يستطيعون أن يروا أعمال جميع المؤمنين الخفية والظاهرة. إن هذه النقطة بديهية إلى درجة لا يمكن لأي عاقل معها أن يعتبر أن عطف النبي والمؤمنين على الله تعالى في موضوع الرؤية، يمكن أن يكون حجةً للقول بأن بصر البشر ورؤيتهم تشابه بصر الله وشهوده ورؤيته! بناءً على ذلك لا يمكننا أن نقض عموم لفظ «المؤمنين» وأن نقول هناك ثلاثة عشر مؤمن فقط- ومعظمهم لم يكن قد ولد بعد عند نزول الآية-، إضافةً إلى النبي، يتمتعون برؤية وشهود جميع الأعمال الظاهرة والخفية للناس!!

بدلاً من أن نقض عموم لفظ «المؤمنين» ونخصّصه بلا دليل بعدة أشخاص فقط، فنعتبرهم مراقبين لأعمال المؤمنين الظاهرة والخفية شاهدين لها جميعها كشهود الله لها، فإن المعقول والمنطقي أكثر أن لا تتغافل عن الفرق بين بصر الله وشهوده وبصر غير الله وشهوده وهو تفاوت واضح لا يخفى على أحد. (فتأمل).

أضف إلى ذلك أننا نعلم أن الله نهى عن التجسس والاطلاع على ذنوب الغير، وقال: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الاسراء: ١٧ و فرقان ٥٨]. وأساساً، الكل يعلم أن رؤية كثير من أعمال الناس^(١) محرمة على رسول الله ﷺ كما هي محرمة على سائر المؤمنين بلا استثناء.

(١) كالجماع والاعتسال ببدن عار والتخلي وكل عمل تظهر فيه عورة الإنسان مثلاً. (المُتَرَجِّمُ)

في إحدى رسائله يوصي حضرة عليّ (ع) أحدَ عمّالِهِ بتقوى الله في السرّ والعلن، ولا يعتبر أحداً سوى الله شاهداً على أعمال العباد الخفية. نقرأ في الرسالة ٦٢ في نهج البلاغة: ".... أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي سَرَائِرِ أَمْرِهِ وَخَفِيَّاتِ عَمَلِهِ حَيْثُ لَا شَهِيدَ عَمْرَهُ". (فتأمل)

كما اعتبر عليّ (ع) أن الشاهد والحاكم في الأمور المستورة والخفية التي يقوم بها الناس، واحداً، ويقول: "اتَّقُوا مَعَاصِيَ اللَّهِ فِي الْخُلُوتِ فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِمُ" (نهج البلاغة، الكلمات القصار، ٣٢٤).

والثير للانتباه أن مؤلّفِي الكتاب المذكور كتب في كتابها ذاك أن كلمة «شَهْدَةٌ» في كتب اللغة تعني حضر الأمر وشاهده، وكلمة «شَهِيدٌ» تعني الحاضر. وأنه يُقال للمكان الذي يحضر فيه الناس ويجتمعون فيه «مَشْهَدٌ». ويعلمون أن كلمة «شهود» استُخْدِمَتْ في نهج البلاغة في مقابل كلمة «غياب»، وأن أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) قال: "إِنَّ شَهِدَ لَمْ يُعْرَفْ وَإِنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَدْ" (نهج البلاغة، الخطبة ١٠٣). وقال: "مَا لِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلا أَرْوَاحٍ..... وَشُهُوداً غُيْباً" (نهج البلاغة، الخطبة ١٠٨). وقال: "هَذَا مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْيَمَنِ حَاضِرُهَا وَبَادِيهَا..... عَلَى ذَلِكَ شَاهِدُهُمْ وَغَائِبُهُمْ" (نهج البلاغة، الرسالة ٧٤). ولكنها لم يستخدما عقليهما ليدركا أنه لا يمكن لغير الله - بما في ذلك الإنسان - أن يشهد - أي يكون حاضراً شاهداً ومراقباً - عمليين أو مكانين في آن واحد، سواء كان ذلك أثناء حياته في هذه الدنيا الفانية، أم بعد انتقاله عنها إلى عالم البقاء، أي سواء كان حيا بالحياة الدنيوية أم ميتاً بالنسبة إلى الدنيا، هذا فضلاً عن أن يشهد - أي يحضر - في أماكن عديدة لا حصر لها في آن واحد؟!!

إن الله تعالى وحده فقط الذي يتّصف بصفة "لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَن شَأْنٍ"، كما بيّن أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) اختصاص هذه الصفة بالله تعالى وحده عندما قال: "اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَأَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ وَلَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ لِأَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ لَا يَكُونُ مُسْتَصْحَباً وَالْمُسْتَصْحَبَ لَا يَكُونُ مُسْتَخْلَفاً". (نهج البلاغة، الخطبة ٤٦).

على ضوء ما بيّناه أعلاه، يمكننا أن ندرك أن جميع الآيات التي ذُكِرَتْ فيها شهادة غير الله ومراقبته هي على النحو الذي بيّناه، ومن ذلك آية: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا

شُهِدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا» [البقرة: ١٤٣] فليس هذا الشهود أو الشهادة على المعنى الذي يدعيه الغلاة والخرافيون وتجار الخرافات الذين يقولون إن معنى الآية أنكم أيها المؤمنون شاهدون وناظرون لجميع طاعات الناس ومعاصيهم، حتى لو فعلوها في الخفاء، وستشهدون عليهم، والرسول كذلك سيشهد عليكم!. في حين أن الاطلاع على أعمال الناس والتجسس عليهم حرام! بل المقصود أنكم أيها المؤمنون أمة معتدلة خيرة، وطالما كنتم أحياء وكنتم تنتفعون من تعاليم النبي فعليكم أن تبلغوا سائر البشر تعاليمه، وأن تكونوا مراقبين وناصحين لأفراد مجتمعكم، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، ويوم القيامة ستشهدون على من قمتم بإبلاغهم تعاليم الإسلام وأوامره ونواهيه. والنبي كذلك أيضاً، فطالما كان حياً ومكلفاً، وكان يعيش في هذا العالم الفاني، فعليه أن يبلغ شريعة الإسلام للناس وأن يهتم بصلاح أفراد مجتمعه، وأن يشهد عليهم يوم القيامة بأني قد أبلغتكم ما أمرني ربي بإبلاغكم إياه. وليس معنى شهادته على الناس أنه يطلع -أثناء حياته أو بعد رحيله وانتقاله إلى دار البقاء- على أعمال الناس المستورة والخفية، ويغتم لما يراه من المعاصي والآثام، فتتحول دار السلام التي هو فيها إلى دار همٍّ وحزنٍ!! إن الله ستارٌ للعيوب لا كشفٌ للعيوب، والله وحده فقط المطلع على أحوال العباد وأعمالهم الظاهرة والخفية والعليم بها والخبير بها والشهيد عليها، ولا شريك له في هذه الصفة كما أسلفنا. (فلا تتجاهل). وبعبارة أخرى تقول آية سورة التوبة للمتخلفين المعدِّرين: إن كنتم صادقين في اعتذاركم فعليكم العمل بدلاً من الادِّعاء، وسيشهد الله ورسوله والمؤمنون أعمالكم التي ستظهر منكم ثم سترجعون إلى الله الذي يعلم الجهر وما نُعلن ويعلم الغيب وما نُخفي، وسوف يُنبئكم الله، الشاهد والشهيد على كل شيء، بما كنتم تعملونه في الظاهر والباطن، ويحكم بينكم. ولا تريد الآية أن تقول إن النبي أو بعض المؤمنين يكتسبون صفة الله الشاهد للظاهر والباطن!! (فتأمل)

أضف إلى ذلك أن موضوع الشهادة تكرر في الآية [أي آية لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً] مرتين وكلاهما يفيد المعنى ذاته، لأن المعطوف والمعطوف عليه كلاهما بشر، ورغم أن روح البشر لا تفنى إلا أن أحياءهم وأمواتهم لا يستون [فاطر: ٢٢]. ومن ثمَّ

فكيفها كانت شهادة المؤمنين فإن شهادة الرسول ستكون مثلها أيضاً، ولا يمكننا أن نفسر كلمة واحدة في آية واحدة بمعنيين مختلفين دون دليل ومستند.

علاوة على ذلك، لو كان الأنبياء - سواء أثناء حياتهم أم بعد وفاتهم - شاهدين لأعمال الناس جميعهم لما قال حضرة نوح (ع) زمن حياته: ﴿وَمَا عَلَّمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ؟﴾ [الشعراء: ١١٢]، ولما قال حضرة عيسى (ع) يوم القيامة: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٧] (فتأمل جداً). بل الأنبياء ومن جملتهم حضرة عيسى (ع) يشهدون أنهم أبلغوا الناس التوحيد ودين الله كما جاءهم من عند الله، لا أنهم كانوا شاهدين لأعمال الناس فرداً فرداً.

كما قال الله لرسوله: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعَرَبِ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [القصص: ٤٤] فهذا يدل على أن شهادة النبي (أي شهوده) غير شهادة الله. كما نعلم أيضاً أن النصارى، بعد رحيل المسيح وأمه مريم - عليهما السلام -، اتخذوهما إلهين (المائدة: ١١٦) ولكن المسيح وأمه يوم القيامة سيعلنان عدم علمهما بعمل المنحرفين ذاك، وهذا بحد ذاته دليل على أن أعمال العباد لا تُعرض على الأنبياء.

ثانياً: لقد تجاهل مؤلفي الكتاب أن كلمة «الأمة» في القرآن لا تعني دائماً جميع أتباع ملّة ما، كأن تكون أمة اليهود شاملة لجميع أتباع حضرة كليم الله (ع) أو أمة النصارى شاملة لجميع أتباع حضرة المسيح (ع)، وهكذا... بل لا بد أن نعلم أن كلمة «الأمة» تُطلق أحياناً على جماعة معينة من الأمة أو على بعض أفرادها. فمثلاً كلمة أمة في آية: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ﴾ [القصص: ٢٣] أو في آية: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ

(١) تدل الآيات ٤٤ إلى ٤٦ من سورة القصص دلالة بيّنة على كذب الأخبار الواردة في كتب الحديث والتي تقول إن حضرة محمد (ص) وحضرة علي بن أبي طالب (ص) كانا قبل الأنبياء ومع جميع الأنبياء، لأنه عندما لا يكون النبي محمد ﷺ ذاته مع الأنبياء وفي زم الأنبياء السابقين ولا يكون له علم بهم ولا يطّلع على أحوالهم إلى بعد أن تجاوز سنه الأربعين سنة وجاءه الوحي بأخبارهم من عند الله، فمن باب أولى أن لا يكون وصيه مع الأنبياء السابقين ولا يكون له علم بهم.

لَمْ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ ﴿[الاعراف: ١٦٤] جاءت بمعنى «جماعة من الناس» لا بمعنى جميع أتباع دين ما.

والأمر ذاته ينطبق أيضاً على مخاطبة المخاطب الجَمْع في القرآن. فينبغي أن نعلم أن خطاب الجمع الحاضر لا يتوجّه دائماً إلى جميع الأمة أو جميع المسلمين بالضرورة. فمثلاً المخاطب الجمع في آيات مثل قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ...﴾ [البقرة: ١٧٨] أو قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣] وكثير من الموارد المشابهة مُوجَّهٌ إلى المسلمين جميعهم - الماضين والمعاصرين والآتين في المستقبل - أي هو خطاب لأمة الإسلام جمعاء، ولكن هناك حالات لا يكون فيها خطاب الجمع مثل هذا العموم الشامل، كما في الآيات ١٢١ حتى ١٢٧ من سورة آل عمران مثلاً أو آية ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ [ال عمران: ١٤٠] فضمير «كُم» في الآية يعود على مجاهدي معركة «أُحُد» لا على جميع المسلمين، والمراد من «القوم» أيضاً مشركو مكة لا غير. وكذلك الآيات من ١١ إلى ١٧ من سورة النور لا تعود مخاطبة الجمع فيها على المسلمين جميعاً^(١) بل على فريق منهم وهم الذين خاضوا في الإفك بحق عائشة، وهكذا....

وكذلك لا تعني كلمة «الناس» دائماً عامة البشر، بل تدلُّ أحياناً على عدد محدود منهم، فمثلاً من البديهي أن كلمة «الناس» في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ [ال عمران: ١٧٣] لا يُراد منها جميع البشر في كل الأزمنة والأمكنة! بل المقصود من «الناس» الأولى عدد من المخبرين الذين جاؤوا إلى مجاهدي الإسلام وكلموهم، ومن «الناس» الثانية بقية جيش المشركين الذين عزموا على العودة إلى مهاجمة مجاهدي معركة أحد من جديد. وكذلك في آية: ﴿لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [يوسف: ٤٥] المقصود من «الناس» هنا الملك وسائر مسؤولي البلاط الملكي وحاشية «عزير مصر» في زمن يوسف لا عامة الناس!! أو آية: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ [الاعراف: ١١٦] من الواضح أن

(١) هذا بمعزل بالطبع عن أن في مثل هذه الآيات عظة و عبرة لجميع المسلمين.

المقصود من «الناس» فيها جماعة الناس الذين كانوا حاضرين لمشاهدة منافسة السحرة لحضرة موسى (ع) لا جميع أهل مصر، وهكذا....

على ضوء ما تقدم يتبين أن ما ادعاه مؤلفا الكتاب حول الآية ١٥ من سورة المزمل [أي قوله تعالى: إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا] وبعض الآيات الأخرى، بأن المقصود بالخطاب جميع الأمة في جميع الأزمنة وأن هذه الآيات نظائرها تثبت بوضوح شهادة النبي ﷺ على أعمال أمته^(١) لا يعدو المغالطة وخذاع العوام.

وكذلك الأمر بشأن مسألة «الجعل»؛ إذ من الضروري أن نعلم أن الجعل الإلهي في القرآن لا ينحصر بنوعين من الجعل فقط، إما الجعل التكويني المباشر أو الجعل الاعتباري والتشريعي، بل ثمة موارد يكون الجعل فيها من سنخ جعل النتيجة والقابلية، أي أن ترتب النتيجة على الجعل الإلهي يُعدُّ «جعلاً» أيضاً. وهذا «الجعل» الأخير نوعٌ من الجعل المشروط أو الجعل التكويني غير المباشر. فمثلاً يقول تعالى في القرآن: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ [القصص: ٤١]، ومن البديهي أن الله الرحمن الرحيم الحكيم لم يخلقهم مباشرةً لأئمةً لأهل النار، بل هم الذين أصبحوا - بناءً على سنن الله في خلقه - أئمةً لأهل النار بسبب ظلمهم واستكبارهم ومحاربتهم للحق وسوء استغلالهم للقوة والقدرة التي أعطاهم الله إياها^(٢)، لأن من سنن الله في خلقه أنه إذا ظلم أكابر قوم وحاربوا الحق، فإن هناك - شئنا أم أبينا - جماعة من الناس ستجتمع حولهم، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا جُرْمِهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الانعام: ١٢٣]، وقال: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الاسراء: ١٦، ١٧]. من المعلوم إذن أن من السنن الإلهية في المجتمعات البشرية أنه إذا عصى سادة المجتمع وأصحاب القدرة فيه الله، فإن الذين تحت أيديهم سيتبعونهم في ذلك قهراً، فيستحق الجميع نزول العذاب الإلهي بهم، رغم أن المسؤولية الأصلية

(١) علم پیامبر و امام در قرآن، [أي علم النبي والإمام في القرآن]، ص ١٠٨ - ١٠٩.

(٢) انتبهوا إلى الآيات من ٣٦ فما بعد من سورة القصص، وسائر الآيات التي تتحدث عن آل فرعون.

تقع على عاتق السادة وأصحاب القدرة الذين يصبحون دعاةً إلى النار، لا أن الله تعالى جعلهم مباشرةً أئمةً للنار. (فتأمل ولا تتجاهل). كما نجد القرآن يقول: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الاعراف: ٢٧] أي أنه طبقاً للسنة الإلهية، فإن من يكتمون الحق و يتبعون آباءهم وأجدادهم بتعصب وعناد ودون تفكير أو تأمل، ينشأ بينهم وبين الشياطين المعادين للحق نوع من الاتحاد في الجهة والهدف والولاية.

وإذا قال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقُضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ [المائدة: ١٣] فمن البديهي أن الربّ الرؤوف الرحيم الحليم لم يخلق قلوبهم قاسيةً من البداية وبشكل مباشر، بل طبقاً للسنة الإلهية، قست قلوبهم نتيجة نقضهم ميثاقهم، وهكذا.... وأمثلة هذه النماذج في القرآن ليست بالقليلة. (فلا تتجاهل).

ولكن للأسف فإن كاتب الكتاب المذكور قال ما يفيد (ص ١١٨) أن «الجعل» ينحصر في أمرين: إما أن يكون جعلاً تشريعياً أو يكون جعلاً تكوينياً مباشراً غير مشروط. فإذا لم يكن «الجعل» تشريعياً فهو بالضرورة جعلٌ تكويني مباشر لا غير!! في حين أن «الجعل» في الآية ١٤٣ من سورة البقرة [أي قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾] [البقرة: ١٤٣] هو - على ضوء ما ذكرناه أعلاه ونماذج عديدة أخرى في القرآن - من باب الجعل الذي يحصل طبقاً للسنة الإلهية أي الجعل الذي يتم من خلال ترتب النتيجة على الفعل، لا جعلٌ تكوينيٌّ مباشرٌ غير مشروط. بناء على ذلك، وبملاحظة أن الآية ١٤٣ من سورة البقرة تكلمت عن موضوع تغيير القبلة، فإن كل عاقل يدرك أن خطاب الآية موجهٌ إلى معاصري النبي الذين أذعنوا لتغيير القبلة، وهي تقول في الواقع للمسلمين المقصودين: إنكم بإطاعتكم للنبي الأكرم ﷺ وإيمانكم به وأتباعكم له، و عدم إعطائكم أي أهمية لتحجج اليهود حول القبلة، والتزامكم بشريعة الرسول الخاتم، خلافاً لأهل الكتاب الذين اختلفوا بين أنفسهم حول القبلة، وأظهروا أنهم غير مستعدين لتغيير قبلتهم وقبول قبلة المسلمين بأي ثمن حتى ولو أتوا بكل آية، رغم علمهم في قرارة أنفسهم بأن قبلة الإسلام حقّة وصحيحة (البقرة: ١٤٤)، إنكم أيها المؤمنون، نتيجة لذلك، أصبحتم أمةً صالحةً

عادلةً أو معتدلةً ومتوازنةً، والنبي الذي ربّاكم وزكّى نفوسكم وعلمكم هذا الكتاب السماوي والحكمة وما لم تكونوا تعلمون (البقرة: ١٥١) سيكون شاهداً لكم يوم القيامة، بأنكم تعلمتم منه التربية وأخذتم عنه معارفكم عن الشريعة الإلهية وأنتم أيضاً ستكونون شهداء على من أخذ عنكم دين النبي ﷺ. ولا ننس أن القرآن الكريم وصل إلينا عن طريق أصحاب النبي ﷺ.

وكذلك الآية ٧٨ من سورة الحج^(١) المدنية تخاطب أصحاب النبي ﷺ الملتفتين حوله الذين كانوا يعتبرون أنفسهم من ذرية إبراهيم (ع) وتقول لهم: إن الله سماكم - في زمن جدكم الأعلى إبراهيم (البقرة: ١٢٨ و ١٣١ حتى ١٣٣، وآل عمران: ٦٧) وفي هذا الكتاب (= القرآن) - : «مُسْلِمِينَ»، وهذا الدين الذي أنتم عليه الآن موافقٌ لدين جدكم إبراهيم فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ واعبدوا الله وجاهدوا في سبيله واعمَلُوا الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ لِيَكُونَ الرَّسُولَ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَكُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ الَّذِينَ أَخَذُوا عَنْكُمْ دِينَ النَّبِيِّ. بناء على ذلك فإن صيرورة أصحاب النبي الأمة الوسط (الصالحة الخيرة أو المعتدلة المتوازنة) هو نتيجة لاتباعهم الرسول ﷺ، لا أن الله تعالى جعلهم هكذا جعلاً تكوينياً مباشراً غير مشروط، كما أن صيرورتهم خير أمة أخرجت للناس هو نتيجة لإيمانهم بالنبي الخاتم وقيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (آل عمران: ١١٠) خاصة أن القرآن الكريم قال: ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [القصص: ٧٥] وهو نبيها الذي يشهد على أمته بالحق، وقال: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ [أي على معاصري النبي] شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، بناء على ذلك فإن ما يلقفه الخرافيون متأثرٌ برواية موضوعة ساقطة من الاعتبار، لا تستند إلى دليل شرعي قويم.

الآن، على ضوء ما تم بيانه، إذا أردنا أن نعرف معنى الآيات السبعة التي يستغلها الخرافيون

(١) ونص الآية: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨] (المترجم)

ويسيتون تفسيرها، وأن لا نُخَدَع بتلفيقاتهم، فعلينا أن نتنبه إلى المسائل التالية:

أولاً: قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر: ٢٢]، وقال أيضاً: ﴿أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٣]، وقال: ﴿عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون: ٩٢]، بناء على ذلك لا يجوز أن نعتبر غير الله شاهداً على أعمال الناس الخفية استناداً إلى أحاديث موضوعه لا اعتبار لها!

ثانياً: علينا أن نعلم أن الأنبياء عليهم السلام لم يكونوا مُطَّلَعِينَ على أعمال الناس الخفية أثناء حياتهم، كما قال تعالى لرسوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٥٦﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٥٧﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥] في حين أنه لو كانت الأعمال المفسدة لأمثال أولئك الأشخاص تُعْرَضُ على النبي ﷺ لما أعجبه قولهم لأنه كان سيعرف أنه مجرد قول بلا عمل. بناء على ذلك فإن شهادة الأنبياء منحصرة بفترة حياتهم الدنيوية وبمعاصريهم فقط، كما أنهم في فترة حياتهم الدنيوية غير مطلعين على أعمال الناس الخفية (الشعراء: ١٢٢). أما بعد انتهاء حياتهم الدنيوية وانتقالهم إلى دار البقاء، فلا تعود لهم أي صلة بعالمنا أو ارتباط به (المائدة: ١١٧). ويوم القيامة يقول بعض المعبودين من دون الله - ومن جملتهم الأنبياء السابقين - لعبادهم: ﴿فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [يونس: ٢٩]. ويقول القرآن أيضاً للرسول ﷺ: ﴿وَإِنَّمَا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّئُكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يونس: ٤٦]، مما يبيِّن أن أعمال العباد لا تُعْرَضُ على الأنبياء، فهم ليسوا شهداء على أعمال جميع أتباعهم من المعاصرين لهم^(١).

ثالثاً: علينا أن نعلم أن شهادة الأنبياء تكون حول أصول الدين وإبلاغ أحكام شريعتهم للناس، لا شهادتهم على جميع أعمال الناس. إن الله تعالى يقول: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ

(١) راجعوا الحديث الذي ذكرناه في الصفحة ١٨٩ في الكتاب الحاضر.

مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمْتَ الْغُيُوبِ ﴿١٦٦﴾ [المائدة: ١٦٦] ويقول أيضاً: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٧﴾﴾ [الاعراف: ٦]. وعلى سبيل المثال بين لنا أنه سيسأل يوم القيامة عيسى بن مريم (ع) فيقول: ﴿... وَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَتُنَا مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّي إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمْتَ الْغُيُوبِ ﴿١٦٨﴾﴾ مَا قُلْتَ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتَ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتَ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٦٩﴾﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧] والحواريون وأتباع حضرة المسيح وأصحابه الذين أخذوا تعاليم دين الله منه مباشرة ودون واسطة، وكان واجباً عليهم أن ينقلوا تلك التعاليم إلى سائر الناس، سيشهدون على صدق معجزات المسيح (ع) وتعاليم ذلك النبي الكريم للآخرين في الدنيا والآخرة، بأننا تلقينا تعاليم ذلك النبي منه وكنا شاهدين لمعجزاته، ومنها نزول المائدة السهاوية. (آل عمران: ٥٣، والمائدة: ١١٣).

كما أن علماء اليهود العالمين بالتوراة والذين كان واجباً عليهم أن يبلغوها للآخرين كانوا يُعَدُّون من زمرة الشهود (المائدة: ٤٤). والأمر نفسه ينطبق على القسيسين والرهبان المتواضعين لله الذين لا يَسْتَكْبِرُونَ والذين أسلموا فكانوا من الشاهدين (المائدة: ٨٣).

بناء على ما سبق، نرى أن الشهداء ليسوا محصورين في عدة معدودة من الأفراد - كأن يكونوا مثلاً أربعة عشر نفرًا فقط.

على ضوء كل ذلك أعلاه، نلاحظ أن في الآية ٤٥ من سورة الأحزاب، والآية ٨ من سورة الفتح تم ذكر ثلاث صفات هي: «شاهد» و«بشير» و«نذير» ولكن لم يُذكر موضوع الشهادة والبشارة والإنذار [أي لم تُبين الآيتان على أي شيء يشهد النبي وبماذا يبشّر ويُنذِر]، لذا فلا بد أن ننظر في القرآن الكريم ذاته لنعلم موضوع الشهادة والبشارة والإنذار.

والنقطة الأخرى التي لا تجوز الغفلة عنها أن صفتي «بشير» أو «مُبَشِّر»، و«نذير» أو «مُنذِر» تم التأكيد عليها بالنسبة إلى الأنبياء - ومن جملتهم الرسول الأكرم ﷺ - أشدّ وأكثر من التأكيد على صفة «الشاهد»، بل جاءت صفتا «البشير والنذير» في بعض الموارد في القرآن، تستهدف - بلا

ريب - جميع الناس إلى يوم القيامة، ومن جملة ذلك الآيات التالية:

- ١- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة: ١١٩]
 - ٢- ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ اللَّاتِيحِينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣]
 - ٣- ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]
 - ٤- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الاسراء: ١٠٥ و الفرقان ٥٦]، كما قال تعالى عن عامّة الأنبياء: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [الانعام: ٤٨].
 - ٥- ﴿إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [هود: ٢]، و ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود: ١٢]
 - ٦- ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الحج: ٤٩]
 - ٧- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبا: ٢٨]
- والمسألة الثانية التي ينبغي أن نعرفها هي: ما هو الذي يبشّر به الأنبياء وممّ يحذرون الناس منه وينذرونهم؟ هذا ما بيّنه لنا القرآن كما في الآيات التالية:
- ١- ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدُنَّا﴾ [مريم: ٩٧] أي لتبشّر بالقرآن المتقين وتُنذِر بالقرآن المعاندين اللجوجين.
 - ٢- ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥].
 - ٣- وقال تعالى مستخدماً أسلوب التّهكّم والتوبيخ بحق المنافقين والكفار: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٣٨] و: ﴿... بَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣].
 - ٤- ﴿وَأُنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ [ابراهيم: ٤٤]. وقال بشأن أهالي شبه الجزيرة العربية: ﴿وَتُنذِرِ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

المسألة الثالثة: أن نعلم أن الأنبياء يشتركون في صفتي «البشير» و«النذير» مع كتابهم، أي أن «البشير» و«النذير» صفتان للنبي، وصفتان للكتاب الذي أتى به النبي من عند الله أيضاً.

قال تعالى عن كتابه المنزّل: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝﴾ [الاسراء: ٩، ١٠]. وقال أيضاً: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝ قَيِّمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝﴾ [الكهف: ١، ٢].

المسألة الرابعة: أن على أتباع الأنبياء الصادقين أن يتمثلوا هم أيضاً بصفتي «المبشّر»، و«المُنذِر» كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ۝﴾ [التوبة: ١٢٢].

من الذي لا يعلم أن الأنبياء بشروا الناس، بواسطة آيات الكتاب السماوي المنزّل وبواسطة أقوالهم وأفعالهم، بالجنة والسعادة الآخروية الأبدية بشرط أن يؤمنوا ويعملوا بأوامر الأنبياء ويحبتوا نواهيهم، وأنهم أنذروا الناس الذين لم يؤمنوا: عذاب الله الأخروي والجحيم والشقاء الأبديين. وعلى المؤمنون بالأنبياء أيضاً مهمة إبلاغ كُتُب الله المنزّلة إلى سائر الناس، وأن يبشّروهم ويُنذروهم، وهكذا كان الأمر دائماً وانتقل الدين من جيل إلى جيل بهذه الطريقة.

ولكن ينبغي أن نتبه إلى أن صفة «الشاهد» أو «الشهيد» ليست كذلك. ولمعرفة المقصود من هذه الصفة التي وُصِفَ بها النبي في الآية ٤٥ من سورة الأحزاب والآية ٨ من سورة الفتح، علينا أن نتبه إلى الآية الكريمة التي يقول تعالى فيها: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ۝﴾ [النساء: ٤١] إذ من الواضح أن المُشار إليه باسم الإشارة «هَؤُلَاءِ» هم أصحاب النبي ومعاصروه، لأنه لو كان المراد «أُمَّة» النبي لوجب أن تتم الإشارة إليها باسم الإشارة «هذه». (فتأمل)

(١) من المفيد الانتباه إلى معنى كلمة «أمة» الذي أوضحناه قبل بضع صفحات (ص ٣٢٧).

كما يجب أن ننتبه إلى الآية الكريمة التالية: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] (١)، وإلى الآية الكريمة التالية أيضاً: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِيدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [المزمل: ١٥]؛ إذ من الواضح أن أعمال العباد لم تكن تُعرض على حضرة موسى (ع) وإلا لما لام موسى (ع) أخاه هارون (ع) ووبَّخه عندما رجع إلى قومه بعدما كان قد تعجَّل بالمجيء إلى ميقات ربه في الطور، متقدماً على الجماعة الذين كانوا معه، فأخبره تعالى بإضلال السامري لقومه، ولعلَّ أن أخاه هارون كان قد نهى المنحرفين عن عبادة العجل (طه: ٨٤ - ٨٥، و ٩٣ - ٩٤). بناء على ذلك فإن النبي الأكرم ﷺ - مثله في ذلك مثل حضرة عيسى (ع) وسائر الأنبياء - عليهم السلام - سيشهد يوم القيامة على معاصريه قائلاً: اللهم لقد أبلغت الناس من أهل زماني كتابك وتعاليمك كما سيشهد حضرة موسى (ع) أيضاً يوم القيامة قائلاً: اللهم لقد أبلغت فرعون وآله ورعيته كتابك وتعاليمك. وكذلك سيشهد أتباع النبي الصادقون على الناس الذين أبلغوهم رسالة الله وكتابه، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤَدُّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [النحل: ٨٤]، وقال: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ﴾ [النحل: ٨٩]؛ ومن الواضح تماماً أن المراد من كلمة «هؤولاء» - كالمراد من «هؤولاء» في الآية ٤١ من سورة البقرة - ليسوا سوى أصحاب النبي ومعاصريه (٢). (فلا تتجاهل).

(١) سبق أن أوضحنا قبل عدة صفحات المعنى المقصود من هذه الآية بالتفصيل، راجع ص ٤٢٠-٤٢١.

(٢) قال رسول الله ﷺ: "سَيَأْتِيكُمْ قَوْمٌ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ يَتَفَقَّهُونَ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَاسْتَوْصُوا بِهِمْ خَيْرًا" (المصنّف، ج ١، ص ٥٣، وبحار الأنوار، ج ١، ص ١٧٠). وجاء في رواية أخرى أنه ﷺ قال: "سَيَأْتِيكُمْ أَقْوَامٌ يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَقُولُوا لَهُمْ مَرْحَبًا بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ وَأَفْتُوهُمْ" وفي رواية أخرى: "فَرَحَّبُوا بِهِمْ وَحَيَّوهُمْ وَعَلَّمُوهُمْ" (كلاهما في سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٩٠ - ٩١). وخاطب النبي ﷺ أصحابه قائلاً: "إِنَّ النَّاسَ لَكُمْ تَبَعٌ، وَإِنْ رِجَالًا يَأْتُونَكُمْ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ يَتَفَقَّهُونَ فِي الدِّينِ فَإِذَا أَتَوْكُمْ فَاسْتَوْصُوا بِهِمْ خَيْرًا" (بحار الأنوار، ج ٢، ص ٦٢، والتاج الجامع للأصول، ج ١، ص ٧٣).

وقد خاطب الله تعالى المشركين أيضاً فقال: ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾ [القصص: ٧٥]، وخاطب معاصري النبي ﷺ الذين كانوا يُعَدُّونَ أنفسهم ذرية إبراهيم (ع): ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

لِنْتَبِهَ إلى مقطع الآية الذي يقول: "فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ"، فعندما يأتي الكلام على أداء «الشهادة» فإن مثل هذه الأوامر أكثر تناسباً مع المؤمنين العاديين من مناسبتها للنبي ولأشخاص يُفْتَرَضُ أنهم منصوبون ومعينون من قِبَلِ الله، وتُعْرَضُ عليهم أعمال العباد!!^(١)

وكما علّم القرآن الكريم المسلمين أن يسألوا الله أن يجعلهم أئمةً لأهل التقوى ويقولوا: ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤] أمرهم أيضاً أن يسألوا الله تعالى أن ينيلهم مقام «الشاهدين» ويقولوا: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣ والمائدة ٨٣]؛ بناء على ذلك لا يمكن أن نحصر الشاهدين بأربعة عشر نفرًا فقط. (فتأمل)

يَتَضَحُّ مما بيّناه أعلاه بطلان ما قاله مُؤَلِّفِي الكتاب حول آيات الشهادة السبع التي أوردناها في بداية هذا البحث (راجعوا ص ٣٢١)، ولكن الإنصاف يقتضي أن نُقَرَّ أن مسؤولية الانحرافات وترسيخ الخرافات بين الناس تقع على عاتق المتقدمين الذين جمعوا في كتبهم كل خبر خرافي تحت عنوان «الأثار الصحيحة عن الصادقين»!! ثم بالغ الكُتَّاب المتأخرون بتكريم أولئك المتقدمين وتجليلهم مبالغة شديدة، حتى وصل الأمر إلى سعي الكُتَّاب وخرّيجي الحوزة العلمية اليوم إلى تحميل معاني الأحاديث الخرافية على آيات كتاب الله، من خلال أنواع التلفيق

(١) يعني أن أمر الله تعالى بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والاعتصام بالله يناسب المؤمنين العاديين، أكثر مما يناسب أشخاصاً معصومين منصوبين من قِبَلِ الله. (المُتَرَجِّمُ)

والمغالطات والتأويلات الباردة غير المتناسبة مع معاني الآيات!!

نعم، إن إشكالات كتاب «علم پیامبر وامام در قرآن» [علم النبي والإمام في القرآن]، تأليف «أحمد المطهري» و«غلام رضا كاردان»، كثيرة للغاية ويحتاج بيانها جميعاً إلى كتاب مستقل، وهو أمر غير ميسور لي في مثل ظروف التشرد والتنقل من بيت إلى بيت هذه التي أعيشها هذه الأيام. وليت أخين الفاضل جناب الأستاذ «مصطفى الحسيني الطباطبائي» -حفظه الله تعالى من شر أعدائه - يقوم بنقد شامل لهذا الكتاب المشحون بالخرافات من أوله إلى آخره، و يبرز الإشكالات العديدة التي يطفح بها لإخوتنا وأخواتنا في الإيمان. إن شاء الله تعالى.

هذا وقد ذُكرت في ذلك الكتاب (ص ٢٠١ إلى ٢١٢) أمورٌ بيّناً بطلانها في تنقيحنا الثاني لكتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، (ص ٥٣٨ إلى ٥٤٠) والكتاب الحاضر (ص ١٤١ إلى ١٤٩).

وأورد الكتاب المذكور (في ص ١٤١) مغالطةً حول الآية ١٢٤ من سورة البقرة^(١) نقلها عن «تفسير الميزان»، ولعله أراد بهذا الاقتباس من تفسير الميزان أن يُرهبَ القراءَ نظراً إلى الشهرة والاحترام الكبيرين اللذين يحظى بهما مؤلف «تفسير الميزان»، العلامة محمد حسين الطباطبائي، بين الناس. ولكن من الواضح أن القول غير الصحيح لا تثبت صحته لمجرد انتسابه إلى أحد العلماء الكبار! ولقد ذكرنا توضيحات كافية بشأن الآية الكريمة ١٢٤ من سورة البقرة، في كتابنا «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، (ص ٣٨٤ إلى ٣٨٩) فلا نفصل الكلام عليها هنا، ولكننا نذكر هنا هذه النقطة الواضحة وهي أن الصفة المضادة لصفة «الظالم» هي «العادل» لا «المعصوم»^(٢) (فلا تتجاهل).

(١) ونص الآية: ﴿وَإِذْ أَبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۗ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۗ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۗ

قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿٥٣﴾ [البقرة: ١٢٤]. (المترجم)

(٢) لا يخفى -كما قلنا ذلك مراراً - أن موضوع عصمة الأنبياء (ع) في تبليغ الشريعة الإلهية وتعليمها للناس أمر يؤيده القرآن الكريم (الجن: ٢٦ حتى ٢٨، والأعلى: ٦) وهو موضوع خارج عن بحثنا تماماً. واختلافنا مع المتأخرين بالخرافات بشأن مسألة العصمة وعلم الغيب و...، خارج عن هذا الموضوع تماماً. على سبيل

المثال عندما نرى أن القرآن ينسب إلى النبي النسيان (الكهف: ٢٤ و ٦١ و ٦٣ و ٧٣، وطه: ١١٥) لا نسعى إلى تأويل ذلك بمعان أخرى باستخدام أنواع التلفيقات الباردة. كما أننا لا نقول بشأن آيات مثل قوله تعالى ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩] أو الآيات المشابهة [النساء: ١٠٦، وغافر: ٥٥، والفتح: ٢] أن الأنبياء - معاذ الله - يمكنهم أن يرتكبوا القتل والزنا والغدر والسرقه والقتل و...!! حاشا وكلاً، حاشا وكلاً، حاشا وكلاً، ويشهد الله أننا ننكر من أعماق قلوبنا الأساطير التي ذكرها المفسرون من أمثال الزمخشري أو الطبرسي أو المبيدي.... متأثرين بالإسرائيليات، عن حضرة داود (ع) وزوجة «أوريا» ولا نعتبر ذنب ذلك النبي الكريم - عليه آلاف التحية والثناء - سوى استعجاله في القضاء قبل سماعه كلام الطرف الآخر. ولكننا في الوقت ذاته لا نفسر قوله تعالى «ذَنْبِكَ» بـ «ذَنْبِ أُمَّتِكَ» بل نقول لو أن الله أراد هذا المعنى فعلاً لعبر عنه بصورة أوضح، وكذلك كلمة «ذنب» لا تنتزل بها عن معناها الظاهر إلى معنى «ترك الأولى»، وفي الوقت ذاته الذي نقول فيه - وكفى بالله شهيداً - أن ذنوب أنبياء الله ليست من الكبائر، كما نرى مثلاً في سيرة النبي الأكرم ﷺ أنه لم يبرز عنه أي ذنب ذي أهمية، نقول أتباعاً للقرآن الكريم، دون أن نحمل القرآن على رأينا: إن ذنب النبي الناجم عن كونه بشراً كان صغيرة لا تحتاج لمحوها إلا إلى الاستغفار (لأننا نرى أن الله تعالى أمر بالاستغفار منها) في حين أن ترك الأولى لا يستلزم الاستغفار بل يستلزم طلب التوفيق من الله، ولذلك نجد أن الله تعالى لم يأمر حضرة داود (ع) الذي لم يصدر الحكم القضائي الأفضل بالاستغفار ولم يقل له: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ...﴾ [التوبة: ٤٣]، ولذلك نقول: إن ذنب النبي الأكرم ﷺ كان أيضاً استعجاله وقلة صبره إلى ما قبل فتح مكة. لقد كان رسول الله بشراً في نهاية الأمر وكان شديد الشوق وحرصاً على إيمان الناس إلى درجة أن الله تعالى قال له: ﴿فَلَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦]، وقال له أيضاً: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ صِدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر: ٩٧]. ولذلك دعاه مراراً وتكراراً إلى الصبر، وقال له مثلاً: ﴿فَأَصْبِرْ لِكُلِّ رِيٍّ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨]، وقال له كذلك: ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ وَسَيِّحُ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾ [غافر: ٥٥]، وقال له أيضاً: ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠]، وقال له كذلك: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧] وأمثلة هذه الآيات.

من البديهي أن الإنسان المبعوث ﷺ كان يُبدي أحياناً قلة صبر واستعجال للنصر (البقرة: ٢١٤) ويشكي (يوسف: ٨٦) ولو قليلاً، ولذلك بعد «فتح مكة» ودخول الناس في دين الله أفواجا، قال تعالى له استغفر على استعجالك وقلة صبرك. بناءً على ذلك يتبين أن المفسرين الذين قالوا: ما علاقة «الفتح» بالاستغفار؟ (سورة

وينبغي أن نعلم أن الذي يصدر عنه مرة واحدة أو مرات نادرة أمرٌ مخالفٌ للعدل لا يخرج عن صفة «العادل» [أي لا تُنتَقَضُ عدالته] وإلا للزم أن لا ينال كل من حضرة آدم (ع) (الأعراف: ١٩ إلى ٢٣) وحضرة يونس (ع) (الأنبياء: ٨٧ و ٨٨، والقلم: ٤٩، والصفات: ١٤٢ و ١٤٣) وحضرة موسى (ع) (القصص: ١٦) وحضرة داود (ع) (ص: ٢٤ - ٢٥) وابنه حضرة سليمان (ع) (ص: ٣٥) الذين احتاجوا على الأقل مرة واحدة إلى غفران الله وسألوه المغفرة؛ العهد الإلهي أو النبوة والإمامة.

وعلى القارئ بالطبع أن ينتبه جيداً ويعلم أنه رغم أن القرآن قال عن حضرة آدم (ع): ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾^(١) [طه: ١٢١] وأن الأنبياء اعتبروا أن الخسران الأخروي هو النتيجة الحتمية لعصيان الله - هذا بالطبع إن لم يُعقبه الذي عصى بالتوبة وإصلاح العمل

الفتح: ١ و ٢) لم يتأملوا جيداً في الآية ولم يتبهاوا إلى سورة «النصر» المباركة وإلا لو أنهم قارنوا سورة «النصر» بالآيتين ٥٥ و ٧٧ من سورة غافر، والآية ٣ من سورة الشعراء والآية ٦ من سورة الكهف وسائر الآيات التي ذكرناها أعلاه لأمكنهم أن يدركوا أنه بعد «النصر» الإلهي وحصول «الفتح» للمسلمين، أمر الله التواب بالاستغفار عن قلة الصبر. على كل حال، نحن نعتبر أن «ذنوب» الأنبياء هي بهذه الحدود فقط لا أكثر. أضف إلى ذلك أن العقل أيضاً يشهد أنه لو كانت إمكانية الذنب معدومة تماماً لدى إنسانٍ ما، أي أن الله خلقه معصوماً لا يمكنه أن يذنب، لما كان له أيُّ فضل في عدم ارتكاب الذنوب ولما استحقَّ الثواب، وكان الذي حافظ على التقوى وهو غير معصوم أفضل منه، خاصةً أنه لو كان للأنبياء والأئمة تلك العصمة التي يدعيها الخرافيون لما كان من المعقول أن يكونوا قدوةً وأسوةً للناس العاديين، لأنه لا يمكننا أن نقول للشخص الذي لم تُسَلَبْ منه القدرة على الذنب أو الخطأ، أتبع شخصاً قد سُلبت منه القدرة على الذنب والخطأ وتأسى به في كل أفعاله، أو بعبارة أخرى لا يمكننا أن نقول لمن له جسم وغريزة عليك أن تُقلد النور!! أضف إلى ذلك أنه لا بُدَّ من الإتيان بدليلٍ من كتاب الله على عصمة الأنبياء خارج إطار تبليغ الدين وتعليم الشريعة، والحال أنه لا يوجد في القرآن هكذا دليل. للأسف! إن الشيوخ غالباً ما يسعون إلى الخلط بين موضوع «العصمة في تبليغ الدين وتعليم الشريعة» وموضوع «العصمة خارج تلك الأمور»!!

(١) لقد ترجمنا الآية بالصورة المذكورة استناداً إلى ما جاء في الآيتين ١٩ و ٢٢ من سورة الأعراف. إذا تأملنا في الآية ١٩ عرفنا أنه لا يمكن أن نقول إن حضرة آدم (ع) ترك الأولى أو ترك النصيحة لكن حواء أذنبت!! أو مثل هذا الكلام الذي لا دليل صحيح عليه.

والاستغفار- (الأنعام ويونس: ١٥، وهود: ٦٣)، ورغم أنهم اعتبروا أنفسهم «قد ظلموا» (الأعراف: ٢٣، والأنبياء: ٨٧) واستناداً إلى أن كلمة «الظالمين» جاءت في الآية ١٢٤ من سورة البقرة مطلقاً غير مُقيّدة، رغم كل ذلك يُصرُّ الشيوخ بكل عناد ولجاجة -لأنهم يعلمون أن ملاحظة الأمور المذكورة أعلاه تُطيح بكل مغالطاتهم- يُصرُّون على أن المراد من الموارد المذكورة أعلاه ترك الأولى على أكثر حد!! هذا في حين أنه من الواضح تماماً أن أهل النار الذين يقولون: ﴿فَأَعْوَبْتَكُمْ إِذْ كُنَّا غُلُوبِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [الصفافات: ٣٢] ليس مقصودهم أننا كنا نترك الأولى! (فلا تتجاهل). بناءً على ذلك فإن ترك الأولى ليس ضلالاً بل هو عدم التوفيق لاختيار الأفضل ومثل هذا الأمر لا يستوجب طبعاً الخسران الأخروي ولا العذاب الإلهي بل أكثر ما يستوجب عدم الرقي في الدرجة.

أمل أن يكون هذا المقدار الذي عرضناه كافياً ليقظة القراء وأن لا أكون قد قصرتُ في أداء واجبي في بيان هذا الأمر. ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. آمين يا رب العالمين.



عوداً إلى نقد فصل «أعمال شهر رمضان وعيد الفطر» في المفاتيح

نعم، لنعد الآن إلى مواصلة بحثنا حول ما ذكره الشيخ عبّاس القمّي في فصل «أعمال شهر رمضان» و «عيد الفطر» في «مفاتيح الجنان».

أورد الشيخ عبّاس صلاةً نقلاً عن «إقبال الأعمال» للسيد ابن طاووس الخرافي الذي ذكر روايتين عن «الحارث الأعور» (إقبال الأعمال، ص ٢٧٢) يقول في الرواية الأولى: يصلي ركعتين يقرأ في الأولى بعد الحمد: التوحيد ألف مرّة! ولكنه يقول في الرواية الثانية: "ووردت التوحيد في رواية أخرى مائة مرّة عوض الألف مرّة!! وبالمناسبة ليس في هذه الرواية الثانية ذلك الدعاء الذي جاء في الرواية الأولى بعد جملة: "أتوبُ إلى الله!!" ثم أورد في العمل الرابع من أعمال ليلة

عيد الفطر دعاءً رواه عدوُّ القرآن «أحمد بن محمد السيارى»^(١). وفي العمل الثاني من أعمال يوم عيد الفطر أورد دعاءً أشرنا إليه خلال نقدنا لـ «دعاء الافتتاح» فلا نُكرِّر الكلام عليه هنا^(٢).

في الصفحة ١٧٨^(٣) روى الشيخ عباس رواية ذات سند عليل ومجهول نقلاً عن كتاب «إقبال الأعمال» للسيد ابن طاووس الخرافي ادّعى فيها أن من قرأ دعاءً ذا ثلاثة أسطر "غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبٌ أَرْبَعِينَ سَنَةً!!" وهذه الرواية كذب يقيناً، ولا بُدَّ على أن يتوب المذنب من ذنبه ليُغْفَرَ له، أمّا إن لم يقدم على ذنبه ولم يعزم عزمًا صادقاً على عدم تكراره فلن ينفعه دعاءٌ من ثلاثة أسطر.

ثم بيّن الشيخ عبّاس في الفصل الرابع من الباب الثاني (أعمال يوم عيد الفطر) كيفية صلاة العيد، وهنا ينبغي أن نعلم أنه لا سند للدعاء الذي ذكره لقنوت صلاة العيد!! ولهذا، وبسبب فقدان هذا الدعاء للسند، لم يذكره الحر العاملي في «وسائل الشيعة». لقد رأى الشيخ عبّاس هذا الدعاء في «بلد الأمين» و«المصباح» للكفعمي و«إقبال الأعمال» للسيد ابن طاووس وهم جميعاً نقلوا الدعاء المذكور عن كتاب «مِصْبَاحِ الْمُتَهَجِّدِ» للشيخ الطوسي. لكن الشيخ الطوسي لم يذكر لهذا الدعاء أيّ سند، ولهذا السبب صرّح المجلّسيّ بشأن هذا الدعاء قائلاً: "أَمَّا مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ فِي الْمِصْبَاحِ فَلَمْ أَرَهُ فِي رِوَايَةٍ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مَا خُوذَ مِنْ رِوَايَةٍ مُعْتَبَرَةٍ عِنْدَهُ اخْتَارَهُ فِيهِ إِذْ لَا سَبِيلَ لِلِاجْتِهَادِ فِي مِثْلِهِ" (بحار الأنوار، ج ٨٧، ص ٣٨١).

من الواضح أن قول الشيخ الطوسي ليس حُجَّةً لنا ما لم يأتنا بسند لروايته، ولكن الطريف أن الشيخ عبّاس ترك الروايات المسندة في هذا الأمر وذهب وراء رواية فاقدة للسند في حين أنه توجد في «وسائل الشيعة»^(٤) رواية تقترب ألفاظها من رواية «المفاتيح» لكن الشيخ عبّاس رجّح الدعاء فاقد السند عليها!!

(١) وسائل الشيعة، ج ٢، ص ٩٥٤. وقد عرّفنا بأحمد السيارى في الصفحة ١٤٩ - ١٥٠ من كتابنا «عرض

أخبار الأصول على القرآن والعقول».

(٢) راجعوا ص ٣٠٣ - ٣١٤ من الكتاب الحاضر.

(٣) أو الصفحة ٢٥٢ من النسخة المُعرَّبة من المفاتيح. (المُترجم)

(٤) وسائل الشيعة، ج ٥، أبواب صلاة العيد، الباب ٢٦، الحديث الثاني.

لقد قرأت في شبابي أحاديث عديدة حول أسماء الله الحسنى، وقد نظمت تلك الأسماء في قصيدة شعرية، وبما أن الشيخ عباس أورد في قسم أعمال ليلة عيد الفطر من المفاتيح دعاءً يتضمن الأسماء الحسنى رأيت من المناسب أن أدرج هنا تلك القصيدة التي نظمتها في شبابي لتبقى ذكرى. والأسماء والصفات التي أوردتها في تلك القصيدة هي التالية:

١- الله	٢- الإله	٣- الرحمان	٤- الواحد
٥- الأحد	٦- الصمد	٧- المَلِك	٨- القُدُّوس
٩- السميع	١٠- الحَتَّان	١١- المؤمن	١٢- المهمين
١٣- المتكبر	١٤- العزيز	١٥- الجَبَّار	١٦- الكبير
١٧- السبحان	١٨- البديع	١٩- البارئ	٢٠- الحليم
٢١- القادر	٢٢- العليّ	٢٣- الأعلى	٢٤- الباقي
٢٥- القاهر	٢٦- الباطن	٢٧- الظاهر	٢٨- الأوّل
٢٩- الآخر	٣٠- الحيّ	٣١- الحقّ	٣٢- الربّ
٣٣- الغياث	٣٤- الفاطر	٣٥- الكفيل	٣٦- الوتر
٣٧- النور	٣٨- البرّ	٣٩- الوارث	٤٠- الديان
٤١- الكريم	٤٢- الحافظ	٤٣- الرحيم	٤٤- الشافي
٤٥- الحكيم	٤٦- الذارئ	٤٧- الرقيب	٤٨- الكافي
٤٩- الرائي	٥٠- الرؤوف	٥١- الوافي	٥٢- العليم
٥٣- السيّد	٥٤- البصير	٥٦- المَنَّان	٥٧- السلام
٥٨- الفتّاح	٥٩- الشهيد	٦٠- الصادق	٦١- الغفور
٦٢- العادل	٦٣- العَفُوّ	٦٤- الرازق	٦٥- الحسيب
٦٦- الطاهر	٦٧- الصبور	٦٨- الفالِق	٦٩- المُقيت

تعارض «مفاتيح الجنان» مع القرآن

٧٠- الفرد	٧١- القاضي	٧٢- الخالق	٧٣- القديم
٧٤- المولى	٧٥- الحميد	٧٦- البرهان	٧٧- القريب
٧٨- القيوم	٧٩- الوقي	٨٠- القابض	٨١- الباسط
٨٢- الخفي	٨٣- المحيط	٨٤- المحيي	٨٥- الكامل
٨٦- الغني	٨٧- المصور	٨٨- الكاشف	٨٩- الناصر
٩٠- القوي	٩١- الحفي	٩٢- الواسع	٩٣- مُنزل الفرقان
٩٤- الودود	٩٥- الهادي	٩٦- الوكيل	٩٧- الرافع
٨٩- الجليل	٩٩- الباعث	١٠٠- الجواد	١٠١- النافع
١٠٢- الخبير	١٠٣- التواب	١٠٤- الشكور	١٠٥- المانع
١٠٦- العظيم	١٠٧- الوهاب	١٠٨- اللطيف	١٠٩- الصانع
١١٠- المجيد	١١١- الجامع.		

(ملاحظة: لم أجد داعياً لترجمة القصيدة لأن ترجمتها ستُخلُّ بنظمها وقافيتها وتُفقدُها جمالها، أما معناها فهو لا يعدو ذكر الأسماء الحسنی التي أشار المؤلف إليها).



الفصل الخامس والسادس [من مفاتيح الجنان]

يتعلّق هذان الفصلان بشهري ذي القعدة وذي الحجة.

ذكر الشيخ عبّاس في أعمال اليوم الثالث والعشرين من ذي القعدة نقلاً عن السيد ابن طاووس قوله في «الإقبال»: " ورأيت في بعض تصانيف أصحابنا العجم رضوان الله عليهم أنه يُستحبُّ أن يُزارَ مولانا الرضا عليه السلام يوم الثالث والعشرين من ذي القعدة من قُرب أو بُعد ببعض زياراته المعروفة!"

لاحظ أيها القارئ الكريم كيف أن ابن طاووس الخرافي لم يُبيّن لنا الكتاب الذي استقى منه ذلك الكلام ولا مؤلفه، وجعل كتاباً مجهولاً مستنداً لاستحباب زيارة حضرة الرضا (ع).

ثم كتب في أعمال يوم ٢٥ من ذي القعدة أن لعبادة ليلته ثواب عبادة سبعين سنة وكفارة ذنوب مئة عام (أي ذنوب عمر كامل)^(١)! إذن يُمكن للإنسان أن يرتكب الذنوب سبعين سنة ثم يصوم ذلك اليوم فلا يبقى عليه حساب ولا عذاب ويرتاح باله!!

ثم قال: هناك عمelan مُستحبّان في هذا اليوم: "الأول: صلاة مروية في كتب الشيعة القميين". لكنه لم يُبيّن لنا أيُّ قُمِّيٍّ ذكر تلك الصلاة ولا الكتاب الذي جاءت فيه ولا السّنة التي أُلّف فيها ولا الراوي التي نُقلت عنه و.....؟! ولا بُدَّ أن نُذكّر هنا بأن الشيخ عبّاس تعهد في بداية كتابه «المفاتيح» (ص ١٢) أن لا يذكر إلا الأدعية والأعمال المُعتبرة والمُسندة! فليت شعري! هل هذا الذي أورده هو معنى الأدعية والأعمال الموثوقة والمُسندة!!؟

ثم أورد عن راوٍ غير موثوق يُدعى «الحسن الوشاء»^(٢)، حديثاً حول دحو الأرض (أي

(١) مفاتيح الجنان (النسخة المُعرّبة)، ص ٣٤٢. (المُترجم)

(٢) لقد عرّفنا به في كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، ص ١٥١ فما بعد.

بسطها تحت الكعبة فوق الماء!!^(١) لاحظوا كيف لوَّثوا الإسلام بمثل هذه الخرافات المضحكة! وليت شعري! هل كان هناك قبل وجود الأرض معنى لتواريخ ٢٥ أو ٢٩ ذي القعدة أو ٢٥ يناير أو.....؟! من هذا يتبين أن مُلَفَّقَ هذا الدعاء لم يكن يعلم أن الأرض كانت موجودة ثم أهبط الله آدم وزوجته إلى الأرض ثم بُنيت الكعبة بعد هبوطها!!

وكذلك أورد دعاءً لا سند له يُعرف بدعاء «دحو الأرض» روه كلهم نقلاً عن كتاب الشيخ الطوسي وليس من المُستبعد أن يكون الدعاء من اختراعه! وكثيرٌ من جمل هذا الدعاء معيبة، فمثلاً يقول: "اللهم داحي الكعبة" بدلاً من قوله: «يا داحي الأرض». أو يقول عن رسول الله ﷺ: «المتعجب في الميثاق القريب يوم التلاق» مع أن «يوم التلاق» هو يوم القيامة ولا مفهوم مفيد له هنا لأن النبي ﷺ اصطفاه الله وبعثه قبل يوم القيامة! وقال عن الأئمة: «وولاية الجنة والنار»!! أفلا يعلم أنه إذا كان الأنبياء سيُسألون يوم القيامة فلا يمكن بالطبع أن يكون الأئمة ولاة الجنة والنار؟ وأنه ليس لله ولاة لثوابه وعقابه؟ أو اعتبر الأئمة خزنة سرِّ الله وقد بيَّنا مراراً بطلان هذا القول.

وأورد في الصفحة ٢٥٤^(٢) عن حضرة الجواد (ع) أنه أخبر من حوله عن موعد وفاته مسبقاً، وهذا كلام لا يتفق مع القرآن الذي قال: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤] ولا مع قول عليّ (ع) في نهج البلاغة (الخطبة ١٢٨). فهل يريد صاحب «المفاتيح» أن يقول إن الإمام الجواد -نعوذ بالله- لم يكن يعتقد بالقرآن ولا بقول جدّه!! هل كان الشيخ عبَّاس محباً لحضرة الجواد (ع)!!

في بداية الفصل السادس -المُخصَّص لأعمال شهر ذي الحجة- يقول: إن صيام الأيام التسعة الأولى من شهر ذي الحجة يعدل صيام العمر كله. وهذا هو مضمون الحديث الثاني من أحاديث باب "استِحْبَابِ صَوْمِ أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ" في «وسائل الشيعة» (ج ٧، ص ٣٣٤)^(٣). ويجب

(١) ذكر أستاذ الشيخ عبَّاس القمِّي -أي الميرزا حسين النوري الطبرسي- في كتابه «مستدرك الوسائل» (ج ١،

ص ٥٩٣) رواية تقول: إن يوم ٢٩ ذي القعدة هو يوم هبوط الكعبة!

(٢) أو ص ٣٤٤ من النسخة المعرَّبة من المفاتيح. (المترجم)

(٣) ونص الحديث في الوسائل: "مَنْ صَامَ أَوَّلَ يَوْمٍ مِنَ الْعَشْرِ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ - كَتَبَ اللَّهُ لَهُ صَوْمَ ثَمَانِينَ شَهْرًا، فَإِنْ صَامَ النَّسْعَ كَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ صَوْمَ الدَّهْرِ". (المترجم)

أن نعلم أنه قد جاء في الحديث المذكور أن من صام أول يوم من العشر من ذي الحجة كتب الله له صوم ثمانين شهراً. ولكن جاء في الرواية التي قبلها أي في الحديث الأول في ذلك الباب أن من صام ذلك اليوم كتب الله له صيام ستين شهراً. وجاء في الرواية الخامسة من الباب ذاته أن من صام ذلك اليوم كان كفارة تسعين سنة؟! ألا يتلاعب هؤلاء بدين الله؟!!

من أعمال الشيخ عباس المثيرة للعجب أنه ذكر في الفصل الخامس من كتابه (ص ٢٥٢)^(١) - تأسيساً أعمى بالروايات - أن شهر ذي القعدة شهر ولادة حضرة إبراهيم (ع)، ولكنه بعد خمس صفحات ذكر في الفصل السادس أن شهر ذي الحجة هو شهر ولادة إبراهيم (ع)!!

ثم أورد الشيخ عباس دعاءً ممتازاً جداً باسم «دعاء عرفة» منسوباً إلى سيد الشهداء حضرة الإمام الحسين (ع) وهو - حسب قول الكفعمي في حاشية «البلد الأمين» - منقول عن ابني «غالب الأسدي» ولا سند معتبر له. وعلى كل حال فهذا الدعاء دعاءً جيّداً إذا عرف الإنسان معانيه ولا إشكال في قراءته عملاً بإذن الشريعة العام بالدعاء. أما الزيارة التي أوردها ابن طاووس في كتابه «إقبال الأعمال» فتشتمل على اصطلاحات العرفاء والصوفية مما يُبين أنها من وضع بعض أتباعهم.

في الصفحة ٢٧٧^(٢) يوصي الشيخ عباس بقراءة «الزيارة الجامعة الثالثة» ويذكر الدعاء المذكور في الباب الثالث الخاص بالزيارات بعد قصة السيد الرشتي (ص ٥٥٣) وهو دعاء خرافي تماماً ويُعجب الاستعمار ومليء من لعن بعض المسلمين وإعلان البراءة منهم!! ورغم أن هذه الزيارة منقولة عن الإمام الصادق عليه السلام إلا أنه جاء فيها: «السَّلَامُ عَلَیْكَ يَا مَوْلَايَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ!!»

اعتبر كتاب «المفاتيح» أن يوم الثامن عشر من ذي الحجة هو يوم «عيد الغدير»، وطبقاً للحديث الذي أورد جزءاً منه في الصفحة ٢٧٨ وجزءاً آخر في الصفحة ٢٨١ فإن الإمام الصادق عليه السلام قال: "صِيَامُ يَوْمِ غَدِيرِ حُمٍّ يَعْدِلُ صِيَامَ عُمَرِ الدُّنْيَا" (وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٢٢٤) [ونقول إذا كان

(١) الصفحة ٣٤٢ من النسخة المعربة من «المفاتيح». (المترجم)

(٢) الصفحة ٣٧٦ من النسخة المعربة من «المفاتيح». (المترجم)

هذا اليوم عيداً حقاً فكيف يكون لصيامه أجر وثواب، خلافاً لعيدي الفطر والأضحى - أي الأعياد التي تحل مرة في السنة - التي لا يجوز الصيام فيها. وإن كان يوم الغدير عيداً حقاً فلماذا لم تُشرع له صلاة العيد جماعةً، كما شرعت لعيدي الفطر والأضحى؟!]. ثم يقول: "وَهُوَ عِيدُ اللَّهِ الْأَكْبَرُ وَمَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا وَتَعَيَّدَ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَعَرَفَ حُرْمَتَهُ [ونقول كيف يحتفل الأنبياء السابقون وأتباعهم بواقعة الغدير التي لم تقع بعد؟! أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟!] وَأَسْمُهُ فِي السَّمَاءِ يَوْمَ الْعَهْدِ الْمَعْهُودِ وَفِي الْأَرْضِ يَوْمَ الْمِيثَاقِ الْمَأْخُودِ وَالْجَمْعِ الْمَشْهُودِ^(١) وَمَنْ صَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ يَغْتَسِلُ عِنْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَزُولَ مِقْدَارَ نِصْفِ سَاعَةٍ يَسْأَلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ سُورَةَ الْحَمْدِ مَرَّةً وَعَشْرَ مَرَّاتٍ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَعَشْرَ مَرَّاتٍ آيَةَ الْكُرْسِيِّ وَعَشْرَ مَرَّاتٍ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ عَدَلَتْ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِائَةَ أَلْفِ حَبَّةٍ وَمِائَةَ أَلْفِ عُمْرَةٍ. وَمَا سَأَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَاجَةً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا وَحَوَائِجِ الْآخِرَةِ إِلَّا قُضِيَتْ كَأَنَّمَا مَا كَانَتْ الْحَاجَةُ!"^(٢).

إن الشيخ عباس يتجاهل أن أحد رواه هذا الحديث: «علي بن الحسين العبدى» المهمل ومجهول الحال و«محمد بن موسى الهمداني» الضعيف والوضاع للأحاديث كما يقول علماء الرجال! لكنه يعترف قائلاً:

"ولا يخفى عليك أن السيد في «الإقبال» قدّم ذكر سورة «القدر» على «آية الكرسي» في هذه الصلاة، وتابعه العلامة المجلّسي في «زاد المعاد» فقدّم ذكر «القدر» كما صنعتُ أنا في سائر كتبي، ولكنني بعد التتبع وجدت الأغلب ممن ذكروا هذه الصلاة قد قدّموا ذكر «آية الكرسي» على «القدر»، واحتمال سهو القلم من السيد نفسه أو من النّاسخين لكتابه في كلا موردي الخلاف وهما عدد الحمد وتقديم «القدر» بعيداً غاية البعد، كاحتمال كون ما ذكره السيد عملاً مستقلاً مغايراً للعمل المشهور، والله تعالى هو العالم..^(٣).

(١) لما كان جبل الكذب قصير فإنه ذكر في الدعاء المنقول عن الشيخ المفيد أن هذا اليوم هو يوم «الجمع

المسؤول»!

(٢) وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٢٢٤.

(٣) مفاتيح الجنان، النسخة المعربة، ص ٣٧٨. (المترجم)

ثم نقل الشيخ عبّاس حديثاً آخر عن «سهل بن زياد»^(١) يقول إن الإمام الصادق عليه السلام سُئِلَ: "هَلْ لِلْمُسْلِمِينَ عِيدٌ غَيْرَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَالْأَضْحَى وَالْفِطْرِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ أَعْظَمُهَا حُرْمَةً. قُلْتُ: وَأَيُّ عِيدٍ هُوَ جُعِلَتْ فِدَاكَ؟ قَالَ: الْيَوْمُ الَّذِي نَصَبَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (ع) وَقَالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ..... الخ"^(٢).

ونقول: لو أن النبيّ اعتبر يوم الغدير عيداً فلماذا لم يكن الراوي يعلم ذلك الأمر في زمن الإمام الصادق عليه السلام حتى سأل الإمام عن ذلك؟ ألم يسمع من آبائه أن هذا اليوم عيد؟ ثم لماذا لم يعمل حضرة علي (ع) بوصية النبيّ ولم يتخذ ذلك اليوم عيداً في فترة خلافته؟ ولم يُعرّف للناس هذا العيد والأعمال الخاصة به؟! ولماذا لم يُعيد النبيّ زمن إقامته في المدينة في هذا اليوم الذي كان أنبياء السلف أيضاً يُعيدون فيه؟! في أيّ كتاب مُعتبر من كتب السيرة النبوية قرأتم أن النبيّ صلى الله عليه وآله كان يُعيد كل سنة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة؟!

ثم نقل الشيخ عبّاس في هذا الفصل روايةً عن خبيث باسم «أبي النصر البزنطي» الذي عرفنا به في التنقيح الثاني لكتابنا «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، (ص ٢٥٧). هذا الكذاب اعتبر يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة أفضل وأعلى شأنًا من ليلة القدر في شهر رمضان المبارك!!

ولكن الأكثر أهميةً من كل ذلك هو موضوع نصب علي (ع) بأمر الله خليفةً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مباشرة في ذلك اليوم. وهذا ادّعاء مخالف للتحقيق بل كذب. وَمَنْ تَمَّ إِذَا كَانَ أَصْلَ الْقَضِيَّةِ كَذِبٌ فَمَصِيرُ التَّعْيِيدِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَصِحَّةُ أَوْ سَقَمُ مَا لَفَّقُوهُ مِنَ الْعِبَادَاتِ وَالْأَدْعِيَةِ الْخَاصَّةِ بِهِ يُصْبِحُ مَعْلُومًا. (فتأمل)

النقطة المهمة التي من الضروري أن نعلمها هي أن علماءنا وكتّابنا - مع الأسف - غالباً ما يقولون في خطبهم وكتبهم أن النبيّ صلى الله عليه وآله جمع الناس في الثامن عشر من ذي الحجة من السنة العاشرة للهجرة إلى جانب غدير خم ورفع يد عليّ وقال: "مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ...."

(١) عرّفنا به في كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، ص ٨٦ فما بعد.

(٢) وسائل الشيعة، ج ٧، ص ٣٢٣، الحديث ١.

الخ". ولكنهم مع كل أسف لا يُشيرون إلى مُقَدِّمات تلك الحادثة ويُبيِّنون واقعة الغدير بشكل مبتور وناقص ليخدعوا بذلك العوام!! والحقيقة هي أن النَّبِيَّ الْأَكْرَمَ ﷺ كان قد أرسل جماعةً بإمرة عَلِيٍّ (ع) إلى منطقة اليمن - حيث كانت تُقيم قبيلة «همدان» - لأجل الدعوة وجباية الزكاة. وبعد أن نفَّذَ أمير المؤمنين عليّ ﷺ المِهْمَاتِ التي أوكلت إليه^(١) ورأى أن أيام الحج قد اقتربت وهو يعلم أن رسول الله ﷺ قد عَزَمَ هذا العام على الحج، لذا كان مستعجلاً للحاق بالنبيِّ بسرعة كي لا تفوته فرصة أداء الحج مع رسول الله ﷺ، لكن القافلة التي كانت معه وفيها أموال الزكاة ومن جملتها الجمال والشِّياه وأحمال أخرى كانت تسير ببطء وكان من الممكن إذا ظلَّ معها أن يصل متأخراً إلى النبيِّ ولا يدركه إلى بعد أن يكون قد انتهى من مناسك الحج، لذا أناب عليٌّ شخصاً مكانه أميراً على القافلة وأسرع السير إلى مكة فوصل إلى النبيِّ ﷺ في الوقت المناسب. وبعد أداء مناسك الحج عاد عليٌّ إلى قافلته التي أصبحت على مشارف مكة فرأى أن المسؤولين عن القافلة تصرَّفوا ببعض أموال الزكاة فيها فركبوا على الجمال التي كانت من مال الزكاة ولبسوا بعض الحلل من مال الزكاة معتبرين أن لهم الحق في ذلك باعتبارهم من العاملين عليها (التوبة: ٦٠)، فغضب عليٌّ من هذا العمل الذي قاموا به دون إذن من النبيِّ، ووبَّخ نائبه الذي ناب عنه في إمارة القافلة خلال غيبته، ونزع ما أخذه المسؤولين عن القافلة من أيديهم وقال: لا بُدَّ من تسليم هذه الأموال أولاً إلى رسول الله ﷺ ليقوم هو عندئذ بإعطاء كل ذي حق حقه.

ثَقَّلَ على أفراد القافلة هذا الالتزام الشديد والصرامة التي مارسها عَلِيٌّ (ع) في تنفيذه للأمر بشكل صحيح ودقيق، وانزعجوا منه، لذا عندما حضروا عند رسول الله ﷺ بسطوا ألسنتهم بغيبة عَلِيٍّ (ع) عند النبيِّ واشتكوا تشدُّده وصرامته معهم إلى النبيِّ وأظهروا انزعاجهم من ذلك ومن جملة ذلك أن ذهب رئيس القافلة إلى النبيِّ ﷺ وأبدى سخطه وعدم رضاه عن مرافقة عَلِيٍّ في السفر بسبب تشدُّده، بيد أن النَّبِيَّ الْأَكْرَمَ ﷺ -خلافاً لما توقعوه- أيد دقة نظر عَلِيٍّ والتزامه التام بموازين الشرع ودافع عن عَلِيٍّ إلى درجة أن أمير القافلة ندم على ما قاله بحق عَلِيٍّ (ع). ولكن

(١) دعا عَلِيٌّ (ع) الناس في اليمن إلى الإسلام وقضى بين المسلمين وأشرف على جباية الزكاة.

سائر أفراد القافلة أعربوا حيثما حلّوا عن تأديهم وعدم رضاهم عما حصل فوصلت تلك الشكاوى إلى مسامع النبيّ المباركة. لذا قام النبيّ لأجل أن يفهم مسؤولي القافلة المذكورة والناس الذين كانوا مع النبيّ في عودته من مكة إلى المدينة والذين كان كثير منهم قد سمع إساءة القول وطعن مسؤولي القافلة بحضرة عليّ (ع)، أن يفهمهم أنهم أخطؤوا، هذا من جهة، ولكي يبيّن من الجهة الأخرى تأييده لعمل عليّ (ع) وتصويبه له^(١)، جمع الناس قرب غدير خم وقال: "مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَأَنْصُرْ مَنْ نَصَّرَهُ وَاحْذُلْ مَنْ حَذَلَهُ"^(٢).

(١) لا شك أن هدف النبيّ ﷺ من كلامه بحق عليّ في ذلك الموقف لا يقتصر على ما ذكره المؤلف بل من الواضح أنه يدل على رغبة النبيّ ﷺ ببيان استقامة عليّ (ع) ونزاهته ومكانته العظيمة في الإسلام وشدة قربه من النبيّ ووجوب نصرته وحرمة قتاله، ولا يخفى أن الله تعالى ألهم رسوله قول ذلك في ذلك المقام واللحظات الأخيرة من عمره الشريف لعلمه تعالى بانقسام المسلمين في المستقبل ومحاربة فريق منهم - أي الناكثين والقاسطين والمارقين - لعليّ عليه السلام. (المُتَرَجِّمُ)

(٢) الجملة الأولى "مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ" أخرجها الترمذي وابن ماجه في سننها وأحمد في مواضع من مسنده، والحاكم في المستدرک، والطبراني في مواضع من معجمه، وَحَكَمَ غير واحدٍ من أساطين المحدثين بتواترها، منهم: الإمام السيوطي في كتابه: "الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة"، والإمام المناوي في "التيسير بشرح الجامع الصغير"، والعلامة الزرقاني شارح المواهب اللدنيّة بالمنح المحمديّة للقسطلاني، والفقهاء المحدث محمد بن جعفر الحسني الإدريسي الشهير بالكتاني في كتابه: "نظم المتناثر من الحديث المتواتر". أما الحديث بتمامه فقد الإمام أحمد في مسنده، ج ١، ص ١١٨ و ١١٩، وأرقام ٩٥٠ و ٩٥١ في الطبعة التي حققها أحمد محمد شاكر، وقال: إسناده صحيح. وأخرجه الحاكم في المستدرک، عن «زيد بن أرقم» مرفوعاً، ج ٣، ص ١٠٩، ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرّجاه بطوله. وأخرجه من طريق آخر عن «زيد بن أرقم» في ج ٣، ص ٥٣٣، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه. وأورده الذهبي في تلخيصه مُقَرَّراً بصحته. ورواه النسائي في «السنن الكبرى»، ج ٥، ص ١٣٦ و ص ١٥٥، وفي «خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب»، ص ٢١ طبعة التقدم بمصر، و ص ٩٣ ط الحيدري، و ص ٣٥ ط بيروت. وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير عن حبشي بن جنادة (ج ٤، ص ١٦، رقم ٣٥١٤) وقال الهيثمي في المجمع (ج ٩، ص ١٠٦): رجاله وثقوا. وأخرجه البزار في مسنده (ج ٣، ص ٣٤، رقم ٧٨٦) وقال الهيثمي (ج ٩، ص ١٠٥): رجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة. (المُتَرَجِّمُ)

أَمَّا لو أراد النبي ﷺ أَنْ يُعَيِّنَ عَلِيًّا خَلِيفَةً لَهُ فِي حُكْمِ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَتِهِمْ بَعْدَهُ مَبَاشَرَةً لِفِعْلِهِ ذَلِكَ فِي مَكَّةَ عِنْدَمَا كَانَ جَمِيعُ الْمُسْلِمِينَ حَاضِرِينَ فِي مَنَاسِكِ الْحَجِّ وَلَمْ يَفْعَلْهُ فِي مَنطِقَةِ غَدِيرِ خَمِّ الَّتِي تَبْعُدُ مَتْنِي كِيلُومِتْرَ تَقْرِيبًا عَنِ مَكَّةَ!!!^(١) عِنْدَمَا لَمْ يَبِيقَ مَعَهُ لَا أَهْلَ مَكَّةَ وَلَا أَهْلِي كَثِيرٌ مِنْ مَنَاطِقِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْأُخْرَى! (فَلَا تَتَجَاهَلْ).

ثَانِيًا: لو أراد النبي ﷺ الَّذِي كَانَ أَفْصَحَ النَّاسِ بَيَانًا، بَيَانِ إِيمَارَةِ عَلِيٍّ وَخِلَافَتِهِ فِي حُكْمِ الْمُسْلِمِينَ الَّتِي يُفْتَرَضُ أَنَّهَا أَحَدُ أَهْمِ أَصُولِ الدِّينِ، لَبَيَّنَ ذَلِكَ بِأَوْضَحِ الْعِبَارَاتِ كَأَن يَقُولُ مِثْلًا: «أَيُّهَا النَّاسُ عَلِيٌّ خَلِيفَتِي فِيكُمْ بَعْدَ وَفَاتِي»^(٢) لَا أَنْ يَسْتَعْمِدَ كَلِمَةً لَهَا - كَمَا يَقُولُ عِلْمَاءُ اللُّغَةِ - ٢٥ مَعْنَى ثُمَّ يَتَكَلَّمُ فِي بَقِيَّةِ الْجُمْلَةِ عَنِ مَحَبَّةِ عَلِيٍّ وَمَعَادَاتِهِ كَيْ يَكُونَ ذَلِكَ قَرِينَةً مُؤَيَّدَةً لِمَعْنَى الْمَحَبَّةِ وَالنُّصْرَةِ وَالْوَلَاءِ لَا مَعْنَى الْخِلَافَةِ وَالزَّعَامَةِ!! حَتَّى أَنَّهُ لَمْ يَسْتَعْمِدْ كَلِمَةَ «الْوَالِي» (فَتَأَمَّلْ) (بِشَأْنِ الْآيَةِ ٦٧ مِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ مِنَ الضَّرُورِيِّ مَرَاجِعَةَ كِتَابِ «عَرَضُ أَخْبَارِ الْأَصُولِ عَلَى الْقُرْآنِ وَالْعُقُولِ» ص ٦٢٣).

(١) مِنَ الضَّرُورِيِّ أَن نَذَكِّرَ بِنُقْطَةِ هَامَةٍ تَوْعِيَّةٍ لِلقُرَّاءِ الْمُحْتَرَمِينَ وَهِيَ أَن عَلَيْهِمْ أَن يُلْقُوا نَظْرَةً إِلَى خَرِيطَةِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ كَيْ يَلْحَظُوا أَن غَدِيرَ خَمِّ يَبْعُدُ عَنِ مَكَّةَ حَوَالِي ٢٠٠ كِيلُومِتْرَ شِمَالًا أَوْ أَكْثَرَ. إِنْ الْإِتْبَاهُ إِلَى هَذِهِ النُّقْطَةِ يَلْفِتُ اتِّبَاهُنَا إِلَى كَذْبِ مَا يَدَّعِيهِ مَشَايخُنَا مِنْ أَن النَّبِيَّ أَذَلَّ بِحَدِيثِ الْغَدِيرِ فِي مَكَانٍ كَانَ أَهْلُ كُلِّ مَنطِقَةٍ يَتَفَرَّقُونَ فِيهِ عَنِ الْقَافِلَةِ لِتَجْهُوا نَحْوَ أَوْطَانِهِمْ!! إِذْ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنَ الضَّرُورِيِّ لِأَهْلِ الْقَبِيلَةِ الْفِلَانِيَّةِ الْقَاطِنِينَ فِي شَرْقِ مَكَّةَ مِثْلًا أَن يَقْطَعُوا مَتْنِي كِيلُومِتْرَ شِمَالًا كَيْ يَفْتَرِقُوا عَنِ الْقَافِلَةِ وَيَتَجْهُوا نَحْوَ الشَّرْقِ!! فَمِثْلًا إِذَا أَرَادَ أَهْلُ الْيَمَنِ - الَّتِي تَقَعُ جَنُوبَ مَكَّةَ - الْعُودَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ أَوْ أَرَادَ أَهْلُ الطَّائِفِ أَيْضًا أَن يَرْجِعُوا إِلَى مَوْطِنِهِمْ أَوْ أَرَادَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِرَاقِ الْعُودَةَ إِلَى دِيَارِهِمْ لِفِعْلِهِمْ ذَلِكَ مِنْ مِيقَاتِهِمُ الَّذِي يَقَعُ عَلَى بَعْدِ حَوَالِي ٩٥ إِلَى ١١٠ كِيلُومِتْرَاتٍ شِمَالِ شَرْقِ مَكَّةَ لَا أَن يَقْطَعُوا مَسَافَةَ ٢٠٠ كِيلُومِتْرَ شِمَالِ مَكَّةَ ثُمَّ يَخْتَارُوا طَرِيقَهُمْ لِلذَّهَابِ إِلَى بِلَادِهِمْ!! (فَتَأَمَّلْ). بِنَاءً عَلَى مَا تَقَدَّمَ فَإِنَّ الَّذِينَ بَقُوا ضَمَّنَ قَافِلَةَ النَّبِيِّ بَعْدَ قَطْعِ مَتْنِي كِيلُومِتْرَ بَعِيدًا عَنِ مَكَّةَ كَانُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْضِدُونَ الْعُودَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَأَطْرَافِهَا أَوْ الْعُودَةَ إِلَى الْمَنَاطِقِ الْوَاقِعَةِ فِي طَرِيقِهِمْ نَحْوَ الْمَدِينَةِ فَحَسَبَ.

(٢) مِنَ الضَّرُورِيِّ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ مَرَاجِعَةَ التَّنْقِيحِ وَالْإِصْدَارِ الثَّانِي لِكِتَابِنَا «عَرَضُ أَخْبَارِ الْأَصُولِ عَلَى الْقُرْآنِ وَالْعُقُولِ»، ص ٦٥٧.

ثالثاً: لنفرض جدلاً أن أبا بكر وعمر كانا طالبا جاهٍ وأن حبَّ الرئاسة أو الحسد دفعهما إلى تحطّي أمر الله ورسوله وعصيانه! فالسؤال المُلحّ الذي يطرح نفسه: لماذا لم يُعِر الأَنْصار (= أهل المدينة) الذين لم يتوانوا لسنوات طويلة بعد رحيل النبيّ عن بذل النفوس والأموال والأولاد في سبيل الله، والذين لم تكن في رئاسة أبي بكر أيُّ منفعة دنيوية لهم، والذين جاهدوا سنوات عديدة في سبيل علوّ شأن الإسلام وطاعة النبيّ وكانوا إلى جانبه، لم يُعيروا أيّ اهتمام لأمر الله ورسوله وبايعوا أبا بكر خليفةً للنبيّ ﷺ طواعيةً ولم يُعطوا عَلِيّاً (ع) مقام الزعامة عليهم!!؟

ويجب أن نعلم أن أبا بكر وعمر كانا من المهاجرين ولم يكن لهما أقرباء كُثُر في المدينة ولا كان لهما هناك جيشٌ وأجهزةٌ أمنٌ مُجهّزةٌ تآتمر بأمرهم وتقاتل لأجلهم، مما يعني أن الأَنْصار كانوا يستطيعون بسهولة أن يُزيحاهما ويبايعون عَلِيّاً مكانهما ويُجلسونه على مسند الخلافة. أضف إلى ذلك أنه يجب أن لا ننسى - كما يقول أخونا الفاضل جناب السيد مصطفى الطباطبائي أيده الله تعالى - أن القول بأن عَلِيّاً بايع الخلفاء بالإكراه والإجبار وتجاهل حقه الإلهي فيه إهانةٌ لذلك الإمام الهُمام وانتقاصٌ من قدره!!؟

رابعاً: لماذا لم يستند حضرة عَلِيٍّ (ع) في تلك الأيام إلى حديث الغدير ولم يعتبر ذينك الشخصين مرتدّين؟! في رأيكم هل يُعتبر من يتنكّر لأحد أصول الدين مسلماً. (فتأمّل جداً). هل الذي يُزيح من اختاره الله ويرفضه مسلم؟! (فلا تتجاهل). لماذا لم يستشهد ابن عمّة عَلِيٍّ (ع) «الزبير بن العوام» الذي كان من مجاهدي الإسلام الكبار وكان رجلاً شجاعاً، وكان في بداية الأمر غير موافق على اختيار أبي بكر لمنصب الخلافة بعد النبيّ ﷺ، بحديث الغدير؟! ولماذا لم يستند عمُّ عَلِيٍّ جناب «العباس بن عبد المطلب» الذي كان من وجوه قريش، وابنه «عبد الله بن عباس» الملقّب بحبر الأمة والذي كان مُفسّراً للقرآن ومعظم الأحاديث المتعلّقة بسيرة عَلِيٍّ (ع) منقولة عنه، وأخوه «الفضل بن العباس» وأخوه الآخر «قثم بن العباس» الذي كان من أنصار عَلِيٍّ (ع) ولم يكن من الموافقين على خلافة أبي بكر، إلى حديث الغدير وإلى النصّ الإلهي على

خامساً: رغم أن عليّاً (ع) لم يستند إلى حديث الغدير، وطبقاً لما نقلته التواريخ، لم يكن عليٌّ راضياً - مثله مثل جناب العباس بن عبد المطلب أيضاً - عن إسراع الناس إلى السقيفة واستعجالهم في اختيار الخليفة دون مشاورة رأي كبار المهاجرين بمن فيهم عليٌّ نفسه والعباس وأولاده والزبير و..... بشأن خلافة النبي، وقد أعرب بصراحة عن عدم رضاه عن ذلك الأمر واعترض على ما فعله الصحابة لأنه عندما بايع أبا بكر قال له: "[إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا فَضْلَكَ وَمَا أَعْطَاكَ اللَّهُ وَلَمْ نَنْفَسْ عَلَيْكَ خَيْرًا سَأَقَهُ اللَّهُ إِلَيْكَ] وَلَكِنَّكَ اسْتَبَدَدْتَ عَلَيْنَا بِالْأَمْرِ وَكُنَّا نَرَى لِقَرَابَتِنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَصِيْبًا"، بناءً على ذلك لا يمكننا القول: إن الجو في ذلك الزمن كان جواً استبدادياً خانقاً لا يستطيع المسلم فيه أن يظهر رأيه ومخالفته للحاكم وأن عليّاً لم يكن قادراً على إبراز عقيدته، لأن امتناع عليٍّ عن مبايعة أبي بكر مدة شهرين ونصف أو ثلاثة

(١) اعلم أن أنصار عليٍّ (ع) كانوا أكثر ممن ذكرناه في المتن، والذين ذكرناهم هم نهاذج منهم فقط، وبما أننا ذكرنا اسم «الزبير» فينبغي أن ننتبه إلى أن علماءنا يُضللون الناس بشأن «الزبير بن العوام»، ومن الضروري أن نتعرف قليلاً على أحواله. كان «الزبير» ابن عمه عليٍّ (ع) ومن مجاهدي الإسلام الكبار ومن العشرة المبشرين. أسلم وعمره ستة عشر عاماً، وشهد غزوات الرسول جميعها وهاجر إلى الحبشة والمدينة وبذل تصحيات في فتح مصر. كان «الزبير» من أنصار عليٍّ (ع) الصادقين وقد صرح عليٌّ قائلاً: "مَا زَالَ الرَّبِيزُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، حَتَّى نَشَأَ ابْنُهُ الْمَشُومُ عَبْدُ اللَّهِ فَأَفْسَدَهُ". (نهج البلاغة، الكلمات القصار، رقم ٤٥٣). إن الناس لدينا لم يسمعوا عن الزبير إلا أنه خرج في حرب عليٍّ (ع)، في حين أن ذلك ليس هو القصة بتمامها، ورغم أن الزبير كان سنة ٣٦ للهجرة في صفِّ المحاربين لعليٍّ (ع) إلا أنه قبل وقوع القتال بين الفريقين ندم وتنحى عن الجيش جانباً، فلما رأى الثوار الهائجون أن خروج شخصية بارزة مشهورة كالزبير سبب لضعفهم في مواجهة جيش عليٍّ (ع) قام شخص انتهازيٌّ يدعى «عمرو بن جرموز» باغتيال «الزبير» على حين غرة. بناءً على ذلك فإن «الزبير» اغتيل خارج المعركة. ولكن مما يؤسف له أن علماءنا وكتّابنا لا يُشيرون إلى نصرة الزبير لعليٍّ (ع) مُدَّةً طويلةً من عمره ولا إلى ندمه وعدم مشاركته في الحرب ضدَّ عليٍّ (ع)، وببالغون في تضخيم حضوره في جيش مخالفي عليٍّ (ع) سنة ٣٦ للهجرة!! وعلى كل حال كلامنا هنا هو أننا نلقت نظر القراء الكرام إلى أن مثل تلك الشخصية الكبيرة لو فهمت من حديث غدير خم في السنة العاشرة للهجرة النصَّ على خلافة عليٍّ (ع) لما كتتم ذلك قطعاً ولما تجاهله. (فتاوى)

أشهر أو ستة أشهر - إن صحَّ الخبر بشأن هذه المدة^(١) - يدل على حرّيته في العمل ويدل على أن عليّاً كان يعتبر نفسه أليق وأكثر أهلية على إدارة شؤون المسلمين من أبي بكر وسائر الصحابة، لكنه لما رأى أوضاع المسلمين بعد النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ ﷺ مضطربةً بسبب ظهور مُدَّعي النبوة ومانعي الزكاة وانتهاز اليهود والنصارى والمنافقين لفرصة ضعف المسلمين والصدمة التي صدم بها المسلمون نتيجة رحيل رسول الله ﷺ، قرَّر التخلّي عن رأيه الشخصي ورأى سائر أنصاره وعدم الإصرار عليه، وتقدّم بكل كرم نفس وإنكار للذات إلى مبايعة أبي بكر وأعطى أبا بكر بهذا المشروعية الكاملة لخلافته ولم يكن يمتنع أبداً عن نصحه وإرادة الخير له. (فتأمل جداً). وإلا - [لو كان عليٌّ منصوبٌ ومُعَيَّنٌ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ لحكم المسلمين] -، لاستحال أن يقوم هذا الإمام الهمام الذي قال: "إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ لَقَيْتُهُمْ وَاحِداً وَهُمْ طَلَاغُ الْأَرْضِ كُلَّهَا مَا بَالَيْتُ وَلَا اسْتَوْحَشْتُ. وَإِنِّي مِنْ ضَلَالِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ وَالْهُدَى الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ، لَعَلِّي بَصِيرَةٌ مِنْ نَفْسِي وَيَقِينٌ مِنْ رَبِّي. وَإِنِّي إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ لَمُسْتَتَائِقٌ وَحُسْنِ تَوَابِهِ لَمُنْتَظِرٌ رَاجِعٌ. وَلَكِنِّي آسَى أَنْ يَلِيَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ سُفَهَاؤُهَا وَفُجَّارُهَا فَيَتَّخِذُوا مَالَ اللَّهِ دُولاً وَعِبَادَهُ خَوَلاً وَالصَّالِحِينَ حَرْباً وَالْفَاسِقِينَ حِزْباً.....". (نهج البلاغة، الرسالة ٦٢) بمبايعة مرتدٍّ مثل أبي بكر تنكّر - حسب قولكم - لأصل من أصول الدين بل لقاوم انتخاب أبا بكر بغير وجه حق لمخالفته للشرع ولأمر الله، وكَرَفَضَ مُبايعته كما فعل «سعد بن عباد» وَهَاجَرَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةِ أَوْ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ، ليسعى إلى هداية الناس وإرشادهم إلى حقيقة الأمر. لأنه ما من ريب في أن مُبايعة المعصوم لفرد بالخلافة تستوجب منحه المشروعية، فإذا كان ذلك الشخص المَبَّاعِ غير أهل للخلافة كانت مُبايعة المعصوم له سبباً في

(١) إذا أخذنا اهتمام عليّ الشديد بصيانة الإسلام بعين الاعتبار وأخذنا بعين الاعتبار أيضاً الفتن المتلاحقة للمرتدين ومُدَّعي النبوة التي بدأت بعد رحيل النبي ﷺ، فإنه من المستبعد أن يتأخر ذلك الإمام الجليل الذي كان من أعظم مجاهدي الإسلام وفدائييه مدة ٣ أشهر أو ٦ أشهر عن بيعه أبي بكر وإكمال مشروعية خلافته. وهذا الادّعاء لا يتوافق مع قول أمير المؤمنين الذي قال - في الرسالة ٦٢ من نهج البلاغة -: ".... فَأَمْسَكْتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ يَدْعُونَ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثُلماً أَوْ هَدْماً تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ قُوَّةِ وَلَايَتِكُمْ".

إضلال الأمة، ولا يرضى الإمام المنسوب من عند الله بضلال الأمة بالطبع. (راجعوا «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول» ص ٦٠٢ - ٦٠٣).

سادساً: يقول مُفسِّرو الشيعة في تفسيرهم لآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا^(١)...﴾ [المائدة: ٣] التي هي جزء من الآية ٣ من سورة المائدة وتفسيرهم للآية ٦٧ من سورة المائدة أيضاً التي يتعلّق ما قبلها وما بعدها بأهل الكتاب، إنه لما نصب رسول الله ﷺ عَلِيًّا خَلِيفَةً لَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ يوم غدیر خم، نزلت عليه الآية ٣ من سورة المائدة. ويقولون: إن هذه الآية مُتعلّقة بولاية عَلِيٍّ (ع) وإمامته المنصوص عليها من الله!! هذا في حين أن العبارة التي ذُكرت أعلاه هي جزء من الآية ٣ فقط ولو لاحظنا الآية بتامها لعلمنا أنها لا تتناسب مع ادّعائهم؛ لأن بداية الآية والآيتين اللتين قبلها والآيات التي بعدها كلها تتعلّق بفروع الأحكام والحلال والحرام ولا تتناسب مع البيان المُفاجئ في وسط الكلام دون مراعاة لسياق الآيات للولاية والإمامة المنصوص عليها من الله لعليٍّ (ع) (فتأمل). ثم إن الادّعاء بأن هذا الجزء من الآية نزل في غدیر خم مخالف لقول الإمام الصادق عليه السلام الذي قال: "نزلت المائدة كاملاً ونزل معها سبعون ألف ملك"^(٢)، ومخالف للأحاديث التي تقول: إن الآية موضع الاستشهاد نزلت في عرفة لا في غدیر خم! باؤك تجرّ وبائي لا تجرّ!!؟

أما بالنسبة إلى الآية ٦٧ من سورة المائدة فإن عَلِيًّا (ع) لم يعتبر في أيّ وقت من الأوقات تلك الآية مُتعلّقةً بخلافته الإلهية وإلا لقام بتذكير المسلمين بها بعد وقائع السقيفة، من باب الأمر

(١) يقول أخونا الفاضل جناب السيد مصطفى الطباطبائي طبقاً للنص الصريح لهذه الآية تمّ دين الله بالقرآن وسنة النبي الأكرم ﷺ القطعية ووصل إلى كماله ولم يبق فيه نقص أو شيء لم يُقَل بعد، حتى يأتي آخرون بعد النبي فيكمّلونه! ولهذا السبب ورد عن الأئمة الكرام أحاديث عديدة يقولون فيها: اعرضوا ما رُوي عنا على القرآن فما وافق القرآن فاقبلوه وما خالفه فارفضوه. أما في الموارد التي سكّت عنها الدين فإن القرآن قد بيّن لنا الطريق التي يجب على المسلمين أن يسلكوها وهي تشاور العلماء والمحقّقين المسلمين في الأمور واتّخاذهم القرارات بشأنها لا اتّباع الفتاوى الشخصية لهذا أو ذاك! (فتأمل)

(٢) مجمع البيان للطبرسي، مُقدّمة تفسير سورة المائدة.

بالمعروف والنهي عن المنكر وإتمام الحجّة على أقلّ تقدير، ولدعا جميع المسلمين إلى طاعة أمر الله، لا أن يكتفي بالشكاية من عدم مشاورته في الأمر فقط!! وبصرف النظر عن إيهانه بأنه أولى بالأمر! (فتأمل).

يقول المُفسّر الكبير وأخونا الفاضل السيد مصطفى الطباطبائي - حفظه الله تعالى من شرّ أعدائه- أنه مذكور في المصادر الشيعية أن عَلِيّاً نفسه قال إنه إذا مات ولي أمر المسلمين فعليهم أن يبادروا إلى اختيار إمام لهم قبل أي عملٍ آخر، مما يبيّن أن عَلِيّاً كان يعتبر رئاسة المسلمين وإمرتهم أمراً انتخابياً لا انتصابياً ولهذا السبب لم يقل أبداً إنه طالما كنت موجوداً أو كان أحد عشر فرداً من أولادي موجودون فعلى المسلمين أن يعتبروننا زعماءهم وبعد رحيلنا جميعاً فقط يُمكنهم أن يختاروا من يُدير زمام أمورهم!

ويؤكّد ذلك أن الآيات قبل الآية ٦٧ وبعدها تتعلّق بأهل الكتاب، والقول بأن الآية ٦٧ تنصّ على خليفة إلهي بعد النبي - مثله مثل ادّعاء هذا الأمر بشأن الآية الثالثة من سورة المائدة-، مُحلٌّ بالسياق وغير متناسب مع موضوع الآيات. أضف إلى ذلك فإن ما تدّعيه الأحاديث والروايات حول سورة المائدة يستدعي السؤال القائل: لماذا ذُكرت المُقدّمة في القرآن ولم يُذكر ذو المُقدّمة فيه؟! وثالثاً: إن عدم وجود «واو» العطف في بداية الآية ٦٨ يدل على أن الرسالة التي يجب تبليغها هي ما ذُكر في هذه الآية التي تلت الآية ٦٧ مباشرة وليس شيئاً آخر لا يتناسب مع سياق الكلام والآيات السابقة واللاحقة (لاسيما أننا نعلم أن النصرى في الدولة الرومانية البيزنطية الشرقية كانوا قد أعدّوا جيشاً لمهاجمة المسلمين في أواخر حياة النبي المباركة، وكانوا ينوون شنّ حملة على المسلمين انطلاقاً من تبوك). فمثلاً لو قيل: "أبلغ فلاناً ما سأقوله لك وأعلن له ما أريده وكُن صريحاً وقاطعاً في كلامك" فإنه من المعقول أن يُقال إن مراد المتكلم من الجملة التي تأتي بعد «الواو» أمر كُليّ يتعلّق بطول الحياة بشكل عام، أما لو قال ذلك القائل دون «واو» عطف: "اللق فلاناً وأعلن له ما أريده: كُن صريحاً وقاطعاً في كلامك" فإن هذا يدل على أن قصد المتكلم من الصراحة والقطع هو الصراحة والقطع في إعلان ما يُريده المتكلم والرسالة التي يذكرها. رابعاً: لو كانت الرسالة الواجب إبلاغها خلافة عَلِيٍّ لوجب أن تُختتم الآية بإعلام الله

نبيّه بحمايته من المنافقين لا من الكافرين في حين أن نهاية الآية ٦٧ و ٦٨ تُشير إلى حمايته من الكافرين. أضف إلى ذلك لو كان الموضوع الواجب تبليغه خلافة عليّ بعد النبي لكان من المناسب أن يتمّ التأكيد على حفظ روح خليفة النبي (أي عليّ) وحمايته من مؤامرات المنافقين المعارضين لخلافته ودسائسهم لا حماية النبي الذي كان جميع المسلمين مطيعين لأمره. (فتأمل).

سابعاً: لا يُمكننا القول إنه لو لم يُبايع عليّ (ع) أبا بكر، رغم أنه يعتبره - حسب قولكم - مرتداً، لربما تعرّض إلى الاغتيال. وذلك لأن الله لا يترك حماية حُجّته التي نصبها لأجل هداية أمة خاتم النبيين، كما همى رسولهُ ﷺ - الذي كان في بداية بعثته أكثر وحدةً من عليّ (ع) -، من شرّ المشركين. كتب العالم العراقي الشهير المرحوم الشيخ «محمد حسين آل كاشف الغطاء» في كتابه «أصل الشيعة وأصولها» يقول:

"ولكن يخطر على بالي أنّي جمعت ما وجدته في كتب تراجم الصحابة كالإصابة [في تمييز الصحابة] وأسد الغابة [في معرفة الصحابة] والاستيعاب [في معرفة الأصحاب] ونظائرها من الصحابة الشّيعيّة زهاء ثلاثمائة رجل من عظماء أصحاب النبي ﷺ كلّهم من شيعة علي عليه السّلام، ولعل المتتبع يعثر على أكثر من ذلك"^(١).

بناءً على ذلك لا يُمكن أن نقول إن عليّاً كان وحيداً ولم يكن له أنصار ولم يكن أمامه من خيار سوى البيعة مضطراً! وكما لم يكن في عدم مبايعة «خالد بن سعيد بن العاص» وأخيه «أبان» ونظائرها خطراً عليهما، كذلك لم يكن هناك خطر على حياة عليّ إذا امتنع عن البيعة.

على ضوء ما ذكر أعلاه ينبغي أن نعلم أن بيعة عليّ، الذي كان تلميذ مدرسة النبي الأول، لأبي بكر أكبر دليل على أن خلافة أبي بكر لم تكن مغايرةً لأصول دين الإسلام، وأهمّ سند وشاهد على مشروعية خلافة الخلفاء الراشدين، وامتياز كبير وخاصّ لهم. (فلا تتجاهل). لقد كان لمبايعة عليّ لأبي بكر تأثير كبير على سائر المسلمين كما اعترف بذلك المرحوم «كاشف الغطاء» قائلاً:

"ولكنّه [أي الإمام علي عليه السلام] باتفاق الفريقين [أي الشيعة والسنة] امتنع أولاً عن

(١) الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها، الطبعة السابعة، ص ١٤٥.

البيعة، بل في صحيح البخاري - في باب غزوة خيبر - أنه لم يُبايع إلا بعد ستة أشهر وتبعه على ذلك جماعة من عيون الصحابة كالزبير وعمّار والمقداد وآخرين^(١).

أي أن بيعة عليّ (ع) لأبي بكر هي التي حملت أنصار عليّ (ع) وأتباعه إلى أن يُبايعوا أبا بكر أيضاً. (فتأمل).

أضف إلى ذلك أن عليّاً (ع) الذي كان أعلم من الآخرين بأحكام البيعة والذي قال نفسه: "لأنّها بيعةٌ واحدةٌ لا يُثنى فيها التّظّر ولا يُستأنف فيها الحيارُ" (نهج البلاغة، الرسالة ٧). ولهذا السبب قال زمن خلافته لطلحة والزبير: "فإن كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي طَائِعِينَ فَارْجِعَا وَتُوبَا إِلَى اللَّهِ مِنْ قَرِيبٍ، وَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي كَارِهَيْنِ فَقَدْ جَعَلْتُمَا لِي عَلَيْكُمَا السَّبِيلَ بِإِظْهَارِكُمَا الطَّاعَةَ وَإِسْرَارِكُمَا الْمَعْصِيَةَ"^(٢). ولعمري ما كُنْتُمَا بِأَحَقَّ الْمُهَاجِرِينَ بِالتَّقِيَّةِ وَالْكِتْمَانِ، وَإِنَّ دَفْعَكُمَا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَدْخُلَا فِيهِ كَانَ أَوْسَعَ عَلَيْكُمَا مِنْ خُرُوجِكُمَا مِنْهُ بَعْدَ إِفْرَارِكُمَا بِهِ". (نهج البلاغة، الرسالة ٥٤).

(١) أصل الشيعة وأصولها، ص ١٩٢ - ١٩٣. من الملفت للانتباه أن المرحوم كاشف الغطاء روى في كتابه هذا ذاته ستة أحاديث تدل على منزلة عليّ الخاصة ومكانته المتميزة في الإسلام. وذكر الحديث السادس قائلاً: "٦- الحديث المشهور: «عليٌّ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ». ولكن ياليتك ذكر في متابعة كلامه أن «ابن أبي الحديد» شارح نهج البلاغة المعروف قال: "قد صرح شيخنا أبو القاسم البلخي رحمه الله تعالى بهذا وصرح به تلامذته وقالوا: لو نازع عقيب وفاة رسول الله ﷺ وسل سيفه لحكمتنا بهلاك كل من خالفه وتقدم عليه، كما حكمتنا بهلاك من نازعه حين أظهر نفسه، ولكنه مالك الأمر وصاحب الخلافة إذا طلبها وجب علينا القول بتفسيق من ينازعه فيها وإذا أمسك عنها وجب علينا القول بعدالة من أغضى له عليها، وحكمه في ذلك حكم رسول الله ﷺ لأنه قد ثبت عنه في الأخبار الصحيحة أنه قال «عليٌّ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ» يدور حيثما دار» وقال له غير مرة «حربك حربي وسلمك سلمتي». (شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، در المعرفة ودار الكتاب العربي و...، المجلد الأول، ص ٢١١ و ٢١٢، في شرح الخطبة رقم ٣٨).

(٢) من الواضح تماماً أنه في العمل الذي لا يتم بالإجبار والإكراه فإنه بعد تحقق عقد البيعة لا يُسمع ادعاء عدم الرضا القلبي بها، والشاهد على ذلك أن حضرة أمير المؤمنين عليّ الكليّ قال عن الزبير يدعوه للدخول في البيعة ثانية: "يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ وَلَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ فَقَدْ أَقْرَبَ بِالْبَيْعَةِ وَادَّعَى الْوَلِيَجَةَ؛ فَلْيَأْتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ وَإِلَّا فَلْيَدْخُلْ فِيهَا حَرَجَ مِنْهُ". (نهج البلاغة، الخطبة ٨).

بناءً على ذلك واستناداً إلى تصريحات الإمام بشأن البيعة وبشأن حكم المسلمين - خاصةً ما ذكرناه في الرسالة ٦٤ من نهج البلاغة - لا يمكننا أن نقول إن حضرة عليّ (ع) بايع أبا بكر مكرهاً ومجبراً!! إن من يعرف عليّاً (ع) يعلم جيداً أنه من المستحيل على مثله أن يُبايع حتى ولو مجبراً وبالإكراه، شخصاً يرى أن خلافته مخالفةٌ صريحةٌ لأمر رسول الله ﷺ! (فتأمل دون العصبية). إنهم ينسبون إلى عليّ (ع) ما لم يقبله هو نفسه من الآخرين. (فتأمل) فهل هم صادقون في ادّعائهم حُبَّ عليّ؟!!

ثامناً: إن مشاركة عليّ (ع) في مجلس الشورى المكوّن من ستة أشخاص الذي اقترحه عمر دليل واضح أيضاً على أن حضرته لم يكن يعتبر نفسه منصوباً عليه من الله ومنصوباً في مقام الحكم والإمامة من قِبَلِ النبي ﷺ. لأن كل مسلم - فضلاً عن عليّ (ع) - يعلم أنه لا يجوز التشاور في أمر إلهي صريح بل المشاورة تكون فيما ليس فيه أمرٌ أو نهْيٌ شرعيّ. هل شاور النبيّ مثلاً أحداً من الناس حول أي شهر من أشهر السنة ينبغي صومه؟!!

بناءً على ذلك لو كان عليّ (ع) يعتقد أنه مأمور من قِبَلِ الله بأن يتولّى خلافة المسلمين وإمارتهم، لما جاز له أن يُشارك في الشورى بل كان من الواجب عليه أن يقول: إن تشاوركم في أمر منصوب عليه شرعاً هو من باب الاجتهاد في مقابل النص وهو أمر باطل!

هنا أرى من الضروري في هذه الأيام الأخيرة من عمري أن أكتب كلمات بشأن شورى الأشخاص الستة توعيةً لإخوتي في الإسلام لأن المشايخ لدينا في الغالب يُضللّون الناس حول هذا الموضوع وليس لهم اهتمام بإظهار الحقيقة، حتى أن بعض علمائنا الكبار الذين كان أحدهم أستاذاً جامعياً وكانت له بصيرة كافية وجيدة في تاريخ الإسلام وكان يتبرأ من جنائيات التاريخ، لم يتجاوز ما يُعجب الناس وما تعودوا سماعه في بيانه لحقيقة قصة شورى الأشخاص الستة في كتبه وخطبه ربما خوفاً من المشايخ والعوام!! ولكننا نعتبر أنفسنا مسؤولين عن توعية إخوتنا المسلمين وعن العمل لأجل الوحدة الإسلامية لذلك سنعرض للقراء المحترمين في هذا الصدد بعض الأمور باختصار كي يتأمّلوا فيها أنفسهم وبعد التحقيق والتفكير يتبعوا ما يرونه حقاً، ونقدّم هذه السطور استناداً إلى تأليف كتبه أحد علماء مدينة بندر عباس المعاصرين الذي هو في

نظرنا بعيد عن التعصب الذي نُشاهده لدى كثير من أهل السنة - مثل كثير من الشيعة - الذين يتعصبون لجميع أجزاء مذهبهم، بل نراه عالماً مُحَقِّقاً لا فاضلاً مُقلِّداً ومُرادنا هو السيد «عبد الرحيم الخطيب» وكتابه المؤلف من جزأين الأول باسم «الشيخين» والثاني باسم «الصهرين» ونوصي بهذه المناسبة إخواننا بقراءة هذين الكتابين.

اعلم أنه كبار وأعيان أهل المدينة، خوفاً من وقوع اختلاف ونزاع بين المسلمين حول مسألة الخلافة أصروا على عمر أن يُعَيِّن خليفة له على المسلمين كي يُبايعه الناس؛ فاقترح عمر في نهاية المطاف أن يُرَّشَّح ستة أشخاص من كبار أصحاب رسول الله ﷺ كانت لهم سوابق عظيمة ومؤثرة في نُصرة الإسلام والتضحية في سبيل إعلاء كلمة دين الله، وكان أولئك الستة هم:

١- حضرة عليّ (ع).

٢- الزبير بن العوام ابن عمه عليّ (ع).

٣- طلحة بن عبيد الله الذي كان مسافراً حين أُصيب عمر ولم يكن حاضراً في المدينة وكان من العشرة المُبَشِّرة وقد سُلِّت يده بسبب ما أصابه من جراح في معركة أُحد.

٤- عثمان بن عفان صهر النبي وعديل عليّ (ع).

٥- عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المُبَشِّرين وثامن فرد دخل إلى الإسلام بدعوة أبي بكر، وقد هاجر مرّة إلى الحبشة وأخرى إلى المدينة وكان زوج أخت عثمان.

٦- سعد بن أبي وقاص ابن عمه عبد الرحمن بن عوف فاتح القادسية.

دعا عمر أولئك الستة ما عدا طلحة الذي كان غائباً وقال لهم: "إني نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم، لا يكون هذا الأمر إلا فيكم. وقد قبض رسول الله ﷺ وهو عنكم راضٍ. إني لا أخاف الناس عليكم إن استقمتم، ولكنني أخاف عليكم اختلافكم فيما بينكم فيختلف الناس". (أي إذا أحستهم النية وسلكتهم الصراط المستقيم ووضعتم مصلحة الإسلام نُصب أعينكم فلا خشية من الناس عليكم لأن الناس ستُسَلِّم لكم وترضى بمن اخترتموه. أما الذي أخشاه فهو أن تختلفوا فيما بينكم فيؤدي اختلافكم إلى وقوع النزاع بين المسلمين والهرج والمرج). وسيحضر ابني «عبد الله» اجتماعكم ويشهد سعيكم ولكن لا يحق له أن يُنتخب لهذا المنصب،

ولديكم بعد رحيلي عن الدنيا ثلاثة أيام تجتمعون فيها وتشاورون ولا بُدَّ أن يتمَّ اختيار الخليفة من بينكم في اليوم الرابع ويتولَّى زمام أمور المسلمين.

ثم أمر عمر «صهيب بن سنان الرومي» أن يُصليَّ في الناس في المسجد إماماً تلك الأيام الثلاثة كي يجتمع أولئك المرشَّحون الستة ويتشاورن فيما بينهم في أمر الخلافة مع ابنه عبد الله -الذي لم يكن من المرشَّحين-. واجتمع المرشَّحون -عدا طلحة الذي كان مسافراً- في بيت «المسور بن مخرمة». ولما سمع الناس أصوات المرشَّحين تعالَى إلى خارج المنزل وعرفوا أن كلاً من المرشَّحين كان يُدافع عن أهليَّته للخلافة، تعجَّب أحد كبار الأنصار ويُدعى «أبو طلحة الأنصاري» الذي كان مسؤولاً مع عددٍ من أصحاب النبي ﷺ عن حراسة دار الشورى بأمر عمر، وقال: كنت أظنُّ أن كلاً منكم سيمتنع عن قبول مقام الخلافة خوفاً من مسؤوليَّتها الخطيرة، وأن كلاً منكم سيكل هذه المهمة للأخر لكنني أرى الآن أنكم جميعاً حريصون على الخلافة وكلاً منكم يُجادل الآخر لإقناعه بذلك وأنكم تتجادلون وتتنافسون على الخلافة. أقسم بالله أنني لن أحرس هذا المنزل بعد الأيام الثلاثة التي أوصى بها عمر بل سأترك المنزل وأجلس في بيتي لأنظر ماذا تفعلون!

في ختام المطاف قام عبد الرحمن بن عوف لأجل إنهاء النزاع والمنافسة بين المرشَّحين الذين كان لكل منهم أنصار فقال: أيُّكم يُخْرِجُ نفسه منها ويوليُّها غيره على أن يُوليَّها أفضلكم؟ فأمسكوا عنه ولم يُجبه أحد من المرشَّحين إجابةً صريحةً، فقال عبد الرحمن بن عوف: "أنا أُخْرِجُ نفسي، فرضي القوم بذلك وعليَّ ساكت، فقال له: «ما تقول يا أبا الحسن؟» فقال: «أعطني موثقاً لتؤثِّرَنَّ الحقَّ ولا تتبَّع الهوى، ولا تخصَّ ذا رحم لرحمه، ولا تألو الأمة». فقال: «أعطوني موثيقكم على أن تكونوا معي على من بدَّل وغير، وأن ترضوا من اخترت، ولكم عليَّ ميثاق الله أن لا أخصَّ ذا رحم ولا آلو المسلمين». فأخذ منهم ميثاقاً وأعطاهم مثله، ومن ثم أخذ عبد الرحمن يستشير الصحابة وأمراء الأجناد وأشرف الناس فيمن يصحُّ أن يُختارَ خليفةً من بين هؤلاء. وكان يستشير رؤساء القبائل الذين جاؤوا إلى المدينة للاطلاع على ما يجري في أمر الخلافة حتى أنه استشار عدداً من النساء العارفات ذوات البصيرة. يقول ابن كثير في كتابه «البداية

والنهاية» ما يُشبهه ما ذكره البخاري أن جميع الناس كانوا يميلون إلى عثمان ما عدا «عمار بن ياسر» و«المقداد بن الأسود» اللذين كانا يُفضَّلان عليّاً (ع)!

ولكن هناك مسألة في هذه الروايات ينبغي أن لا نغفل عن شرحها. تتفق جميع التواريخ بما في ذلك دائرة المعارف لفريد وجدي على أنه في صبيحة اليوم الرابع استدعى عبد الرحمن بن عوف في المسجد النبوي وأمام الملائمة حضرة عليّ (ع) في بداية الأمر وبسط إليه يد المبايعة، في حين أنه بناءً على ادّعاء الأحاديث [كحديث البخاري وكلام ابن كثير] كانت أكثرية الناس القاطعة تُرجِّح عثمان، وعلى هذا كان من الواجب على عبد الرحمن طبقاً لتعهده أن يُبايع عثمان مباشرة ودون تردد ويُعرِّفه للناس خليفةً لا أن يمدّ يده بالمبايعة أولاً لعليّ (ع)! (فتأمل دون العصبية).

فمن الواضح أن نتيجة تحقيق عبد الرحمن بن عوف وتفحصه للأمر بين وجوه الناس وأعيان أهل المدينة أفادت أن أياً من المرشَّحين الأصليين، أي عليّ وعثمان، لم يحظَ بأكثرية ساحقة، بل كان بعض الناس يُشير بعليّ وبعضهم الآخر يُشير بعثمان. بل ربما كانت الآراء التي تُشير إلى عليّ أكثر قليلاً من التي أشارت إلى عثمان ولهذا السبب بدأ عبد الرحمن ببسط يده بمبايعة عليّ ابتداءً أو أن رأيه الشخصي كان تقديم عليّ (ع).

نعم، في صبيحة اليوم الرابع أرسل عبد الرحمن بن عوف «المسور بن مخرمة» الذي عُقدت مشاورات انتخاب الخليفة في منزله، ليطلب من عليّ (ع) وعثمان الحضور إليه، وذهبوا جميعاً لأداء صلاة الفجر في مسجد النبي. وكان كبار صحابة رسول الله ﷺ - من المهاجرين والأنصار - ورؤساء القبائل وأمراء الجند وسائر طبقات الناس قد اجتمعوا في المسجد ينتظرون ما آل إليه أمر الخلافة في دار الشورى. امتلأ المسجد بالناس حتى أن أعضاء مجلس الشورى لم يجدوا مكاناً يجلسون فيه إلا بصعوبة.

بعد انتهاء الصلاة وقف عبد الرحمن بن عوف على منبر النبي ﷺ وعليه عمامته التي عممه بها رسول الله ﷺ، وقال: أيها الناس إني قد سألتكم سراً وجهراً عن إمامكم فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين إما عليّ وإما عثمان. فقم إليّ يا عليّ فقام إليه عليّ فوقف فوق منبره فأخذ عبد الرحمن بيده فقال: هل أنت مُبايعي على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وفعل أبي بكر وعمر؟ فقال عليّ:

«اللهم لا، ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي». فأرسل يده ثم نادى: قم إلي يا عثمان فأخذ بيده وهو في موقف عليّ الذي كان فيه فقال: هل أنت مُبايعي على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وفِعْلِ أَبِي بكر وعمر؟ قال: اللهم نعم. فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان ثم قال: اللهم اسمع واشهد اللهم إني قد جعلت ما في رقبتني من ذاك في رقبة عثمان^(١). فأقعد عثمان على الدرجة الثانية من المنبر وجعل الناس يُبايعونه. وطبقاً لما روته كتب التاريخ كان عليّ (ع) -كما تعهد- أول من بايع عثمان خليفةً بعد عبد الرحمن بن عوف، عندئذ بايع عامة الناس عثمان بالخلافة بمن في ذلك أولئك الذين كانوا يميلون قبل ذلك إلى عليّ. ورضي الجميع ببيعة عثمان. ورجع طلحة الذي كان مسافراً إلى المدينة بعد أن انتهى أمر تعيين الخليفة فبايع عثمان أيضاً.

هنا ينبغي أن تتأمل في عدة مسائل أحدها: لماذا لم يُجِبْ حضرة عليّ (ع) على سؤال عبد الرحمن بن عوف إجابةً صريحةً وقاطعةً؟

استناداً إلى ذكاء عليّ ودرايته الكبيرة ودقة فهمه وُبُعد نظره في الأمور المختلفة والتزامه الشديد بأمر الشرع حتى في أدق الأمور وأصغرها، وهذه المزايا كانت مشهورة عنه يعرفها الخاص والعام، لذا في قضية دار الشورى هذه كان عليّ (ع) الوحيد الذي لم يقبل اقتراح عبد الرحمن دون قيد أو شرط خلافاً للآخرين الذين قبلوا اقتراحه دون قيد أو شرط؛ فعليّ -استناداً إلى الدراية التي كان يتمتع بها- لم يقبل اقتراحه لأنه رأى أن عبد الرحمن لم يلتزم بما تعهد به في بداية الأمر من أن لا يخصّ ذا رحم ولا يألو المسلمين. لقد كان عليّ يعلم أكثر من أيّ شخص آخر أن الإسلام ليس سوى القرآن والسنة وأن إضافة شرط «اتباع سيرة الشيخين والعمل بفعل أبي بكر وعمر» أمر زائد. هل كان أحد ينتظر من أبي بكر أن يعمل في زمن خلافته بشيء سوى القرآن والسنة حتى يحق لعبد الرحمن بن عوف أن يشترط مثل ذلك الشرط على الخليفة الثالث؟

والأمر الثاني: أنه مما يؤسف له أن بعض الناس تحججوا بهذا العمل الذي فعله عبد الرحمن وكبّروا الموضوع وقالوا: لو كان عمل الخليفين الأول والثاني صحيحاً لرضي عليّ بشرط عبد

(١) تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٢٧٨٦، والكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج ٣، ص ٣٧، والبداية والنهاية، ابن كثير، ج ٤، ص ١٤٦.

الرحمن! مع أن المسألة ليست كذلك، بل من الواضح أن الأمر في غاية كان إعراباً من عليّ (ع) عن عدم رغبته في أن لم يُرد أن يكون مُقلِّداً لهما. هذا فحسب (فتأمل).

لقد كان مقام عليّ (ع) أرفع من ذلك والواقع أنه لا يجوز لأيّ مجتهد أن يكون مُقلِّداً لغيره بل عليه أن يعمل بالكتاب والسنة طبقاً لعلمه وتحقيقه فما بالك بالتلميذ الأول لمدرسة الإسلام حضرة عليّ الذي كان الخليفان الأول والثاني ذاتهما يرجعان إليه لحلّ غوامض الأمور ومعضلات المسائل^(١).

من المعروف أنه في زمن «مالك بن أنس» فقيه المدينة المشهور وإمام المذهب المالكي، قام الخليفة العباسي [هارون] بإحضار «مالك» واقترح عليه أن يقوم بجمع كتب وفتاوى سائر

(١) كان النصح الخاص والمودة الصادقة سائداً بين كبار الصحابة، وإذا حصلت كدورة بين بعضهم أحياناً فإن ذلك لم يكن يذهب بأصل الصداقة والأخوة بينهم وسرعان ما كانت تلك الكدورة تنتهي بالصلح والصفاء. كان الخلفاء يقبلون دائماً وصايا حضرة عليّ (ع) واقتراحاته. فالكل يعلم أن أبا بكر قبيل رأي عليّ (ع) بشأن مبدأ تاريخ الإسلام وأنه كان يُشاور عليّاً (ع) في أموره. وكان عليّ يقوم بمهمة تقسيم الغنائم في زمن خلافة الشيخين. وفي زمن فتوح الشام رجّح أبو بكر رأي عليّ (ع) على آراء الآخرين وعمل به. وكانت أمور القضاء أيضاً في فترة خلافة الشيخين بيد عليّ. وكان عمر كثيراً ما يُرجع المُستفتين في المسائل الفقهية إلى حضرة عليّ. (راجعوا كتاب «شاهراه اتحاد» [طريق الاتحاد] (ص ١٢٠ و ١٢١) والإصدار الثاني لكتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، الصفحات ٤٢٧ - ٤٢٨ و ٦٠٠ حتى ٦٠٣). وعلى الأقل فالمشهور بيننا أن عمر كان يقول: «أفضانا علي» أو يقول: «أعوذ بالله من مسألة ليس لها أبو الحسن» أو يقول: «عجزت النساء أن تلد مثل علي». وقد روى الشيعة والسنة أخباراً تُفيد أن عمر عدل عن رأيه بعد أن سمع رأي عليّ. والمعروف أن عمر كان يقول: «إذا حكم عليّ بأمر خلافاً لرأيي فأتبعوا رأيه» إلى حدّ أن عمر قام مرّةً بحبس غلام، فصادف عليّ في طريقه الغلام والمأمورين وسأل عن الموضوع فلما علم بحال الغلام حكم ببراءته فأعادوا الغلام إلى أهله فسأل عمر المأمورين: لماذا لم تُنفذوا أمري؟ فقالوا له: ألم تقل أنت نفسك مرات عديدة إذا حكم عليّ خلافاً لحكمي فاعملوا بقوله؟ وقد فعلنا بما أمرت! (من الضروري مراجعة حاشية الصفحة ١٢٠ من كتاب «شاهراه اتحاد» [طريق الاتحاد]). أيها القارئ اللبيب: هل يقوم غاصبو الخلافة عادةً باحترام من عُصب حقه والرجوع إليه لإجلاله وإكرامه والثناء عليه وتمجيده والعمل برأيه، أم يقومون بإبعاد الناس عنه وحرفهم عنه؟!!!

الفقهاء، ولا يُبقي إلا القرآن وكتاب «الموطأ» لملك فقط، كي يعمل الناس جميعاً بآرائه الفقهية، فرفض الإمام مالك هذا الاقتراح وقال: أنا لا أرضى بمثل هذا العمل أبداً ولا أحمّل مثل هذه المسؤولية، ولا ينبغي للناس أن يُقلّدوني بل إذا وجدوا أن استنباطي من الكتاب والسنة والأدلة التي استندتُ إليها صحيحة فيمكنهم أن يقبلوا رأيي. هل يُمكن لأحد أن يقول: إن مالكا لم يكن يقبل بآراء نفسه وفتاواه؟! لو قيل اليوم لآية الله منتظري أو گلپايگاني: هل أنت مستعد لحكم إيران طبقاً للكتاب والسنة وسيرة آية الله الخميني والمطهري؟ فقالا: بل نعمل بالكتاب والسنة وما يؤدي إليه علمنا، فهل يعني ذلك أنها يُخالفان السيد الخميني والمطهري ويعتبران أقوالهما ضلالاً وأعمالهما باطلة؟!!

بناءً على ذلك فإذا قال عليّ: أعمل بالقرآن والسنة ولم يقبل شرطاً إضافياً فإنه قال قولاً صحيحاً مبنياً على الموازين الشرعية والعقلية، لكن كلامه هذا ليس دليلاً على أنه كان معارضاً للخليفين من قبله ومُخَطَّئاً لهما، وإلا لما أثنى عليهما أحسن الثناء، ولو كان غير قادر على إعلان خطئهما فكان يستطيع على الأقل أن يسكت، في حين أنه -خلافاً لميل المُفرّقين بين المسلمين- كان يذكرهما بالخير في موارد متعددة. لو كان عليّ (ع) يرفض اعتبار معظم أعمال الشيخين عادلةً وجيدة فلماذا أقسم قائلاً: "ولعمري إن مكانهما من الإسلام لعظيم وإن المصاب بهما لجرح في الإسلام شديد رحمهما الله وجزاهما بأحسن الجزاء"^(١).

كما لم يكن مضطراً أن يقول: "فتولّى أبو بكر تلك الأمور فيسرّ وشدّد وقارب واقتصد"، أو يقول: "فصحبته مناصحاً وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهداً". أو يقول: "فلما احتضر بعث إلى عمر فولّاه فسمعنا وأطعنا وناصحنا"^(٢).

(١) نصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢ هـ)، وقعة صفين، ص ٨٩.

(٢) إبراهيم بن محمد الثقفي (ت ٢٨٣ هـ)، الغارات، ج ١، ص ٣٠٦. ولا تنحصر جمل عليّ (ع) في تأييد الشيخين بالموارد المشار إليها أعلاه ولكن ما ذكرناه هنا ناهج تكفي في بحثنا هنا. وندعو القراء الكرام إلى الرجوع إلى الكتاب القيم: «راهي به سوى وحدت اسلامي» [أي طريق نحو الوحدة الإسلامية، تأليف السيد مصطفى الحسيني الطباطبائي]، ص من ١٦٣ حتى ١٨٢.

هل تحتملون أن يقول مسلمٌ عاديٌّ بشأن غاصبي مقام الإمامة الإلهية مثل ذلك الكلام، فما بالك أن يقوله عليٌّ (ع)؟! هل يدافع الفرد مغضوب الحق عن غاصبي مقامه الإلهي إلى درجة قوله: "والله لقد دفعتُ عنه حتى خشيتُ أن أكونَ آثماً". (نهج البلاغة، الخطبة ٢٤٠). هل يُرسل مغضوب الحق ابنه العزيزين حضرات الحسين لحراسة الغاصب والدفاع عنه كي لا يُصيبه أذى؟! ألم يكن مغضوب الحق قادراً على أقل تقدير أن يسكت عن قول شيء بشأن الغاصب وأن يعتزل أمره ولا يُبدي اهتماماً به؟! أفلا تعقلون؟!

وبالنسبة إلى عثمان يجب أن نعلم أنه لم يكن يعتبر أعمال الخليفين قبله مخالفةً للكتاب والسنة ولم يكن قبوله للشرط الزائد الذي لا دليل عليه الذي اقترحه عبد الرحمن أمراً عجيباً، رغم أن دقة نظر حضرة عليٍّ امتيازٌ كبيرٌ خاصٌّ به ولا يُنكره أحد. لكن الأهم من كل شيء هو مُبايعة حضرة عليٍّ له الأمر الذي لا يترك حُجَّةً لأحد^(١). (فلا تتجاهل). ولكن مع الأسف الشديد فإن علماءنا وكتّابنا يروون قضية خلافة عثمان في كتبهم أو من على منابرهم بالصورة التالية فقط:

أمر عمرٌ في مرض موته صهيبَ الروميَّ أن يختار ستة أفراد من أصحاب النبي وأن يجمعهم في منزلٍ ليتشاوروا ويختاروا من بينهم خليفةً ويقوم على رؤوسهم، وأمر عمرٌ صهيباً قائلاً: إن اجتمع خمسةٌ ورضوا رجلاً وأبى واحد فاشدخ رأسه أو اضرب رأسه بالسيف، وإن اتفق أربعةٌ فرضوا رجلاً منهم وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما، فإن رضي ثلاثةٌ رجلاً منهم وثلاثةٌ رجلاً منهم فحكّموا عبد الله بن عمر، فأبى الفريقين حكم له فليختاروا رجلاً منه فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، واقتلوا [الثلاثة] الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس!!!^(٢) ثم قال ذلك الكاتب: من الواضح تماماً إن الطريقة التي أمر عمرٌ باتباعها في الشورى والترتيب الذي اتَّخذه لتعيين خليفته لم يكن ليُتيح لعلِّي أن يصل إلى الخلافة، لأن عبد الرحمن بن عوف سيميل إلى عثمان قطعاً لقربته منه!

(١) راجعوا حاشية الصفحة ٣٥٩ من الكتاب الحاضر.

(٢) انظر تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٩٤، والكامل في التاريخ لابن الأثير، أحداث سنة ٢٣ هـ، ذكر قصة الشورى. (المُترجم)

وأقول: إن أغلب علمائنا يتجاهلون تماماً عيوب الرواية المذكورة!! في حين أننا لو تأملنا في متن هذه الرواية لانتضح لنا خطأها وأنها رواية موضوعة لأنها تقول: أنه إذا اجتمع خمسة ورضوا رجلاً وأبى واحد فعلى صهيب أن يضرب عنقه ويفصل رأسه عن جسده!! في حين أنه من الواضح أنه إذا اجتمع خمسة ورضوا رجلاً خليفة فإن الشخص الذي رضوه سيكون هو الخليفة ولن يبقى هناك مخالف يأبى ذلك ليقطع صهيب عنقه!!

وكذلك بالنسبة إلى ادعاء تلك الرواية أن عمر قال: إن اتفق أربعة فرضوا رجلاً منهم وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما، لأنه عندما يجتمع أربعة ويختارون شخصاً فإن من يخالف ذلك لن يكون الشخصان الباقيان بل واحداً منها فقط لأن الآخر سيكون هو الذي تم اختياره للخلافة! والأمر ذاته ينطبق على مقولة: إن رضي ثلاثة رجلاً منهم وثلاثة رجلاً منهم فافعل كيت وكيت. وذلك لأنه عندما يختار ثلاثة أشخاص رجلاً فإن المعترضين على ذلك لن يكونوا ثلاثة بل اثنين فقط إذ الثلاثة هم الذين قاموا بالاختيار والرابع هو الذي تم اختياره فلم يبق إلا شخصين مخالفين ومن ثمّ فيما أن الأكثرية مع ذلك الاختيار والمعترضين أقلية فلا مشكلة في الأمر ورأي الأقلية لن يكون نافذاً ولن تكون هناك حاجة إلى الأمر بقتلها! إن صدور مثل هذا الأمر غير محتمل من شخص قليل العقل فما بالك بأن يصدر عن عمر الذي كان -بمساعدة مشاوريه ومنهم حضرة عليّ (ع)- يُدير إحدى أكبر إمبراطوريات عصره وكان الجميع مطيعين له.

أضف إلى ذلك أنه جاء في ذلك الأمر المنسوب لعمر أن كل من خالف من أعضاء الشورى الستة أولئك وجب ضرب عنقه!! فهل كان شخص مثل عليّ (ع) أو الزبير أو سعد فاتح القادسية الذي كان لكل منهم أنصار ومؤيدون سيقبى جالساً مكتوف الأيدي حتى يُنفذ مأمور عمر أمره بضرب عنقه؟! هل كان مأمور عمر يستطيع أن يواجه عدة أشخاص ويقتلهم؟! ولنفرض أن الأمر كذلك فهل كان قتل أصحاب النبي الكبار في المدينة سيمرُّ بهذه البساطة، وهل كان أحد سيقبل بتنفيذ مثل ذلك الأمر؟ وهل كان قتلهم سيحلُّ مشكلة الخلافة أم على العكس سيحدث فتنة كبيرة لا تُعلم عاقبتها؟ إن مثل تلك الفتنة التي ستشعب عندئذ لن تكون في صالح أي أحد وبالطبع فليس من المعقول أن يُصدر عمر مثل هذا الأمر!

والنقطة الأخرى أننا لو افترضنا جدلاً أن عمر أراد مثل ذلك المجلس التشاوري وأمر بإقامته بمثل ذلك الأمر المخالف للشرع، فهل كان عليّ (ع) سيشارك في مثل مجلس الشورى ذلك؟! أضف إلى ذلك أنه لو كان عليّ (ع) يعتبر نفسه منصوباً من قِبَلِ الله فهل كان سيشارك في ذلك المجلس التشاوري ويقبل بالتعهدات التي أخذت فيه ويبيع من اختاره أصحاب ذلك المجلس ويمنح خلافته الغاصبة المشروعية؟! لو كان الأمر واضحاً منذ البداية بأن أعضاء الشورى رتبوا الأمر على نحو لن يُنتخب فيه عليّ فلماذا لم يرفض عليّ المشاركة في ذلك المجلس المرتب على ذلك النحو منذ بداية الأمر؟! هل كان يريد أن لا يفوته مشاركة الآخرين في تجاهلهم وإعراضهم عن الإمام المنصوص عليه من الله!!؟! أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟!!

والنقطة الأخرى أن راوي رواية قتل المخالفين تلك شخصٌ يُدعى «أبو مخنف» وهو ليس موثقاً في نظر علماء الرجال^(١).

وكذلك بالنسبة إلى الروايات التي تقول: إن علي ثلاثة أشخاص أن يتنازلوا عن حقهم إلى ثلاثة آخرين فهي روايات متعارضة مختلفة فبعض المؤرخين ومنهم «ابن الأثير» يقول: بعد انتهاء مهلة الأيام الثلاثة التي حددها عمر، طلب عبد الرحمن بن عوف في صبيحة اليوم الرابع من أهل الشورى أن يتنازل بعضهم عن حقه لآخر فتنازل الزبير عن حقه لصالح ابن عمته عليّ وتنازل سعدٌ عن حقه إلى عثمان [في حين أن ابن خلدون قال في تاريخه: إن سعداً تنازل عن حقه إلى عليّ. وقد روى الطبري بالطبع أن حضرة عليّ ذهب إلى سعد وأقسم عليه أن لا يتحد ضده مع عبد الرحمن بن عوف لصالح عثمان] ولا يوجد هنا ذكر لطلحة. لكن بعضهم مثل «ابن كثير الدمشقي» يقولون: منذ اليوم الأول أراد عبد الرحمن من المرشّحين أن يتنازل بعضهم للآخر،

(١) قال الدَّارَقُطَنِيُّ عنه (في الضعفاء والمتروكون، رقم ٤٤٩): "إخباريٌّ ضعيفٌ". انتهى. وقال عنه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (الترجمة رقم ١٦٢١): "عن يحيى [بن معين] قال: أبو مخنف ليس بشيء، وهذا الذي قاله ابن معين يوافقه عليه الأئمة، فإن لوط بن يحيى معروف بكنيته وباسمه حدّث بأخبار من تقدّم من السلف الصالحين ولا يبعد منه أن يتناولهم، وهو شيعيٌّ محترق". انتهى. وقال: الذهبي في ميزان الاعتدال (ج ٣، الترجمة رقم ٦٩٩٢): "لوط بن يحيى أبو مخنف، أخباريٌّ تالفٌ، لا يُوثقُ به". انتهى. (المُتَرَجِّمُ)

فتنازل الزبير لعليّ وطلحة لعثمان وسعد لعبد الرحمن، في حين أن التواريخ تقول: إن طلحة كان مسافراً وغائباً. كما أنه جاء في تلك الروايات أن عمر أمر «المقداد بن الأسود» أن يقتل المخالفين إذا لم يتفقوا بعد مضي مهلة الأيام الثلاثة، في حين أن الكل يعلم أن المقداد كان من محبيّ حضرة عليّ (ع) وأنصاره الصادقين إلى درجة أنهم اعتبروه من شيعة عليّ (!؟) ففي هذه الحالة كيف يُمكن لعمر أن يختاره لمثل هذه المهمة؟! (فلا تتجاهل).

تاسعاً: النقطة الأخرى التي تُستغلُّ غالباً لتضليل العوام هي أنهم يقولون: لو لم يُعيّن رسول الله ﷺ شخصاً خليفةً بعده مباشرةً وكانت مهمة انتخاب الخليفة تقع على عاتق شوري المسلمين فلماذا لم يجعل عمر أيّ شخص من الأنصار ضمن مجلس التشاور الذي عيّنه؟! أو لماذا قام أبو بكر بتعيين عمر ونصبه خليفةً له من بعده؟!

أُفّر أن العوام لو خُدعوا بمثل هذا الإشكال لما استطاع أحد أن يلومهم! لأن أغلب الناس، حسبما رأيت حتى اليوم، لا يعرفون أن معظم صحابة النبي ﷺ في صدر الإسلام كانوا مُتفقين على أن زعيم المسلمين ينبغي أن يُختار من المهاجرين الذين كان أغلبهم من قريش، وأن هذا أقرب إلى ما كان رسول الله ﷺ يميل إليه ويُعجبه. ذلك أن قريش بسبب ما كانت تمتهنه في ذلك العهد من التجارة [وخدمة بيت الله الحرام]، كانت أكثر معرفةً بأمور البلاد وبأحوال الناس وأكثر قدرةً على التعامل مع طبقات الناس المختلفة من الأنصار الذين كان أغلبهم يعمل بالزراعة ومعرفةً بسائر مناطق الجزيرة العربية أقل من قريش.

ولم يكن هناك -ولله الحمد والمنّة- اختلاف في هذا الأمر بين أبي بكر الذي قال: «الأئمة من قريش» وحضرة عليّ (ع) (نهج البلاغة، الخطبة ٦٠ - ٦٧)، بل كان اختلاف عليّ مع الخلفاء يدور حول الأليق بمنصب الخلافة من بين المهاجرين. (فتأمل جداً). ولكنهم كانوا مُتفقين جميعاً على أن الخليفة ينبغي أن يكون قُرشياً يرضى به جميع المسلمين!^(١)

(١) أُؤكّد هنا على ضرورة ملاحظة ما ذُكر في الكتاب القيم «شَاهِرَاهُ اتِّحَاد» [طريق الاتِّحاد]، (ص من ٨٢ إلى

ولكن المسألة المهمة جداً هنا هي مسألة البيعة التي تُعتبر الطريق الأُوحد لاكتساب الخليفة المشروعية، ولا فرق في أمر البيعة بين المهاجرين والأنصار. أي أنه حتى المهاجر القرشي لا تُصبح إمارته شرعية ما لم يرص به الأنصار ويبيعونه طوعاً، كما صرح حضرة عليّ (ع) بشأن تعيين الخليفة فقال: "إِنَّمَا الشُّورَى لِمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَامًا كَانَ ذَلِكَ لِيَلِهِ رِضًا" (نهج البلاغة، الرسالة ٦، وجاءت هذه الرسالة أيضاً في كتاب «وقعة صفين»). يقول أخونا الفاضل جناب السيد «مصطفى الطباطبائي» -حفظه الله تعالى-: "لو اكتفى عليّ في رسالته تلك بقوله: "إِنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ" لكان هناك وجه لصحة فرضية من قال: إن قصد عليّ من تلك الرسالة كان «الاحتجاج على الخصم» بما يؤمن به، ولكننا نلاحظ أن عليّاً (ع) لم يكتفِ بهذه الجملة بل أعقبها بكلام ابتدأه بأداة الحصر «إنما» مبيّناً أن الشورى حق المهاجرين والأنصار فقط وقال: "فَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَامًا كَانَ ذَلِكَ لِيَلِهِ رِضًا". وهذه الجملة لا علاقة لها بما يؤمن به الخصم كي نقول: إن عليّاً أراد أن يُجادل خصمه بلسانه وبما يعتقد به، بل الجملة في مقام تقرير مبدأ شرعيّ بشأن انتخاب حاكم مجتمع المسلمين. (انتهى كلام الطباطبائي). وإلا فلم تكن هناك ضرورة أن يحتجّ عليّ (ع) على الخصم بمسألة «رضا الله» وينسب إلى الله تعالى نسبة خاطئة ومخالفة للحقيقة!! أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟!

أجل لم يكن فارس ميدان الفصاحة مضطراً أن يحرص اختيار الخليفة بإجماع المهاجرين والأنصار وأن يعتبر في الوقت ذاته أيضاً أن «رضا الله» يتحقق بذلك الإجماع!! بل كان بإمكانه أن يكتفي في الاحتجاج على الخصم بكتابة جملة: (إِنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ). وقد واصل الإمام رسالته تلك قائلاً: "فَإِنِ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بَطْعَنٍ أَوْ بَدْعَةٍ رَدُّهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ فَإِنِ أَبِي قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ^(١)

(١) لاحظوا أن الإمام اعتبر المهاجرين والأنصار الذين -حسب قولكم- أزاخوا الإمام المنسوب من قبل الله جانباً وولّوا غيره مكانه: «مؤمنين»!! في حين أنه كان يستطيع في مقام مُحاججة الخصم أن يكتب بدلاً من ذلك عبارة «أكثر الناس» مثلاً أو نظائرها ولا ينصّ على أن أولئك الأفراد «مؤمنين». (فتأمل)

وَوَلَاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى". ولم يكن الإمام مُضْطَرّاً أن يستشهد في كلامه بالقرآن ويتأسى بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

على ضوء ما ذُكِرَ أعلاه، لو رجعنا إلى مسألة «البيعة» لعلمنا أن مُجَرِّد اقتراح شخص أو عدة أشخاص لمنصب الخلافة مِنْ قِبَلِ أَبِي بَكْرٍ وعمر لم يكن وحده سبباً لصيرورة هذا الشخص خليفةً شرعاً ما لم ينل رضا ومبايعة المهاجرين والأنصار له بالخلافة (فاتق الله ولا تتجاهل). بناءً على ذلك فإن الشخص القُرْشِيِّ - في زمن الصحابة - الذي كان يستطيع أن ينال رضا «الأنصار» ومبايعتهم له بالخلافة، يُصبح خليفةً شرعاً، أما لو كان ذلك الشخص المعين لا يحظى برضا الأنصار الذين كانوا يُشكّلون الأكثرية فإن تعيين أبي بكر وعمر له لن يُفيده في شيء.

وبالمناسبة فقد اختلق بعضهم قصةً بشأن أن النبي عيّن حتماً شخصاً بعده لمنصب الخلافة، نذكرها هنا لإيقاظ إخواننا المؤمنين. مضمون القصة يقول: إن رجلاً شيعياً نزل ضيفاً على جماعة من السنة وعاهدهم أن لا يتطرق إلى أيّ بحث مذهبي فقبلوا منه ذلك. وقام في مجلسهم بمدح أبي بكر وتمجيده ولكنه قال في ختام كلامه: لقد كان أبو بكر أكثر حرصاً على خير المسلمين من النبي!! تعجّب أهل المجلس من كلامه وانزعجوا منه وقالوا: كيف تقول ذلك؟ كيف يُمكن أن يكون أبو بكر أكثر حرصاً من رسول الله ﷺ على مصلحة المسلمين وخيرهم؟! فقال الرجل الشيعي: لأن أبا بكر لم يترك أمة الإسلام دون أن يُعيّن لها حاكماً بل نصب عمر خليفةً على المسلمين من بعده، ولكن حسب عقيدتكم ترك رسول الله ﷺ أمته بلا حاكم ولم يُعيّن لهم خليفة؟! ثم غادر الضيف المجلس!

إن ضعف هذا الاحتجاج واضح لأن رسول الله ﷺ لم يترك الأمة بلا راعٍ بل ترك بينهم القرآن الكريم وسنته أي شريعة الإسلام التي من ضمنها قانون «البيعة»، وكان يجب على المسلمين بعد رحيل خاتم النبيين أن يستفيدوا من تعاليمه ويتشاوروا فيما بينهم في أمر الحكم (الشورى: ٣٨) ويحلّوا مسائلهم من خلال الشورى. ولو قام النبي بتعيين أحد خليفة على المسلمين لأصبح ذلك أمراً شرعياً ولم يكن هناك مجال لاكتساب التجربة وارتقاء المسلمين

(فَتَأْمَلُ). ولكن مُجَرَّد رأي أبي بكر وعمر أو غيرهما لم يكن له في نظر المسلمين أي حُجَّة شرعية فإذا وقع بينهم خلاف في مسألة من المسائل كانوا مُلزمين، لإثبات رأيهم، أن يستشهدوا بالقرآن والسنة ويستندوا إليهما، ولم يكن لهما سبيل سوى هذا. بناءً على ذلك لم يكن أحد يُصبح خليفة بمُجَرَّد قول أبي بكر وعمر ما لم يُبايعه المُهاجرون والأنصار عن رضا فإن لم ينل رضاهم وبيعتهم لم يُعدَّ خليفة. وَمِنْ ثَمَّ فَإِنْ قَوْل أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ كَانَ بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ مُجَرَّد اقْتِرَاحَ لَهُمُ الْحَقِّ فِي أَنْ يَقْبَلُوهُ أَوْ يَرْفُضُوهُ. (فلا تتجاهل).

ومن الطريف أن نعلم أن أهل السنة أيضاً اخترعوا قصةً حكاها لي أحد الإخوة البلوش. مضمون القصة: إن عالماً سُنِّيًّا ذهب إلى النجف ونزل في ليلةٍ ضيفاً عند أحد علمائها. ولما أراد العالم الشيعي المضيف أن يذهب في صباح اليوم التالي إلى الحوزة العلمية طلب منه ضيفه أن يصطحبه معه في طريقه إلى المدرسة لِيُسَافِرَ مِنْ هُنَاكَ فِيمَا بَعْدَ. قَبْلَ الْمُضِيفِ ذَلِكَ وَفِي الطَّرِيقِ سَأَلَ الْعَالِمَ السُّنِّيَّ مُضِيفَهُ قَائِلاً: كَيْفَ حَالُ مَدَارِسِكُمْ فِي النُّجْفِ؟ فَبَدَأَ الْعَالِمُ الشَّيْعِيُّ يُحَدِّثُهُ عَنِ النِّشَاطَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ لِتَلَامِيذِهِ فِي الْمَدَارِسِ الشَّرْعِيَّةِ وَمِنْ جَمَلَةِ ذَلِكَ الْكُتُبِ الَّتِي يَوْلِفُونَهَا وَالِدَعَاةِ الَّذِينَ يُرْسَلُونَ إِلَى الْمَنَاطِقِ الْمُخْتَلِفَةِ لِيَدْعُوا النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَيُعَلِّمُوهُمْ أَحْكَامَ الدِّينِ وَأَهْمَ يُشَارِكُونَ فِي الْأَعْمَالِ ذَاتِ النِّعَمِ الْعَامِ كَمَا أَنَّ لَطَّلَابَ الشَّرِيعَةِ دَوْرَ بَارِزٍ فِي النِّضَالِ السِّيَاسِيِّ وَمُحَارَبَةِ انْحِرَافَاتِ حُكُومَةِ الْعِرَاقِ وَهَكَذَا. فَسَأَلَ الْمُضِيفَ السُّنِّيَّ قَائِلاً: هَلْ يَوْمَنْ فُضِّلَءَ حُوزَتِكُمُ الَّذِينَ يَقُومُونَ بِهَذِهِ الْأَعْمَالِ بِالْإِسْلَامِ؟! تَعْجَبُ الْعَالِمُ الشَّيْعِيُّ مِنْ سَأَلِهِ وَقَالَ: مَا هَذَا الْكَلَامُ الَّذِي تَقُولُهُ؟! بِالطَّبَعِ هُمْ مُؤْمِنُونَ وَيَقُومُونَ بِهَذِهِ الْأَعْمَالِ الْإِيمَانِيَّةِ وَيَتَحَمَّلُونَ فِي سَبِيلِ الْإِسْلَامِ السَّجْنَ وَالتَّعْذِيبَ! فَقَالَ الْعَالِمُ السُّنِّيُّ: إِنَّ هَذَا يُبَيِّنُ أَنَّكُمْ أَكْثَرُ نَجَاحاً فِي عَمَلِكُمْ مِنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ﷺ لِأَنَّكُمْ اسْتَطَعْتُمْ خِلَالَ مَدَّةِ عَشْرٍ أَوْ اثْنَيْ عَشْرٍ أَوْ خَمْسَةَ عَشْرَ عَاماً مِنْ عَمَلِكُمْ الدَّعْوِيَّ وَالتَّرْبُويَّ فِي الْحُوزَةِ أَنْ تُرَبُّوا مِائَاتَ الْفُضِّلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَمَا الرَّسُولُ الْخَاتَمُ فَإِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ خِلَالَ مَدَّةِ ثَلَاثَةِ وَعَشْرِينَ عَاماً أَنْ يُرَبِّيَ سِوَى ثَلَاثَةِ أَوْ سَبْعَةِ مُؤْمِنِينَ فِي حِينِ ارْتِدِّ أَكْثَرِ مَنْ تَرَبُّوا بِشَكْلِ مَبَاشَرٍ عَلَى أَيْدِيهِ وَأَزَاحُوا الْإِمَامَ الَّذِي عَيَّنَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حَاكِماً، عَنْ مَنْصِبِهِ، وَكَسَرُوا ضَلَعِ ابْنِهِ نَبِيَّهِمْ وَأَسْقَطُوا جَنِينَهَا (أَي حَفِيدَ النَّبِيِّ) وَأَضَلُّوا أَكْثَرَ عَالَمِ الْإِسْلَامِ!!! بَعْدَ هَذَا الْكَلَامِ وَدَّعَ

عاشراً: المسألة المهمة جداً والتي تُعدُّ من معضلات التشيع التي لا تُحلُّ والتي تصافق جميع علمائنا تقريباً على كتابتها ولا يتعرَّضون لها بعد فراغهم من بحث حديث الغدير ويتوقعون أن مسألة النصِّ على سائر الأئمة وعصمتهم أصبحت مُسلمةً أيضاً ووضعوا حديث اللوح الفاضح لحلَّ هذه المشكلة بالذات، هي أنه حتى لو أغمضنا أعيننا وأذاننا وقبلنا ما يقوله علمائنا بشأن حديث الغدير دون تأمل، فلا خلاف في أن حديث الغدير حتى لو دلَّ على الإمامة الإلهية فإنه يُثبتها لعلِّي (ع) فقط فكيف تُثبتون النصَّ الإلهي على سائر الأئمة؟! هل تستطيعون أن تُقدِّموا لنا نصّاً حول إمامتهم الإلهية له عشرُ شهرة حديث الغدير!!؟

على القارئ الطالب للحق أن يعلم أن أحد أكبر علماء الشيعة القدامى هو الشيخُ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ النُّعْمَانِ العكبري البغدادي (ت ١٣٤ هـ)، ويُلقَّب بالشيخ «المفيد» ويعتبرونه شيخ الأمة وعلم الشيعة. ألف الشيخ المفيد كتاباً معروفاً ومُعتمداً كثيراً لدى الشيعة عنوانه «الإرشاد في معرفة حُجج الله على العباد»، ويهدف الكتاب إلى إثبات الإمامة الإلهية للأئمة الاثني عشر. خُصِّصَ الجزء الأول منه للمسائل المتعلقة بحضرة عَلِيِّ (ع)، والجزء الثاني خُصِّصه مؤلفه لسائر الأئمة. بعد أن ذكر المسائل التاريخية في الجزء الأول لم يتورَّع الشيخ المفيد عن الإتيان بالقصص التي تُعجب العامة رغم ضعف سندها ووضوح بطلان متونها، كالقصة التي أتى بها في الفصل ٧٤ من الباب الثالث حول اكتشاف نبع للماء كان مستوراً تحت صخرة كبيرة مما أدى إلى إسلام راهب نصراني مُعتزل في دير!

جاء في هذه القصة أن ساكن الدير قال لحضرة عَلِيِّ (ع): "إِنَّا نَجِدُ فِي كِتَابٍ مِنْ كُتُبِنَا وَتَأَثَّرُ عَنْ عَلَمَائِنَا أَنَّ فِي هَذَا الصُّفْعِ عَيْنًا عَلَيْهَا صَخْرَةٌ لَا يَعْرِفُ مَكَانَهَا إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ وَصِيٌّ نَبِيٍّ وَأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ وُلِيِّ لِيَلَّهُ يَدْعُو إِلَى الْحَقِّ آيَتُهُ مَعْرِفَةُ مَكَانِ هَذِهِ الصَّخْرَةِ وَقُدْرَتُهُ عَلَى قَلْعِهَا".

وأقول: ألم يفكر شيخ الأمة وعلم الشيعة في نفسه أنه لو تمَّ التعريف بوصي النبي الأكرم ﷺ في كتب النصاري على ذلك النحو فلا بُدَّ ولا ريب في أن تكون تلك الكتب قد عرَّفت - كما بين القرآن - بالنبي ذاته أيضاً، ومن ثمَّ فلو كانت تلك الفرقة من النصاري تؤمن بتلك الآيات لوجب

أن تعتنق الإسلام أولاً وبعد ذلك تطلع على خبر نصب عليّ (ع) في منصب الخلافة في الغدير وتعرف وصيّ النبيّ أو -حسب قول مُلّفّق القصة- كان عليها أن تنتظر حتى يأتي إليها وصيّ النبيّ ويكشف لها عن نبع الماء، لا أن يبقى أهل تلك الفرقة نصارى وساكنين في الدير حتى سنة ٣٦ هجرية!!

والطريف أن أهل الدير رغم أنهم لم يكن عندهم علم بأن في أرضهم نبع للماء لم ينوا صومعتهم إلا في جوار ذلك المكان الذي اكتشف فيه ذلك النبع؟! والأعجب من ذلك أن مُلّفّق القصة لم يكن له علم بسيرة أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) لأنه قال في القصة: "ثُمَّ جَاءَ إِلَى الصَّخْرَةِ فَتَنَاوَلَهَا بِيَدِهِ وَوَضَعَهَا حَيْثُ كَانَتْ فَأَمَرَ أَنْ يُعْفَى أَثْرُهَا بِالتُّرَابِ!!" مع أن الذين لهم علم بسيرة ذلك الإمام الجليل يعلمون جيداً أن حضرة عليّ (ع) حفر في حياته المباركة كثيراً من الآبار ووقفها على المسلمين فإذا وجد نبع ماء في أرض الجزيرة العربية القاحلة ما كان سيغطيّه أبداً بل كان سيتركه ظاهراً كي ينتفع الناس به، لكن مُلّفّق القصة الجاهل بعليّ (ع) لما أدرك أن أهل التفكير من سامعيه سيسألون: أين تقع تلك العين التي كشفها عليّ في زمن معركة صفين؟ اضطر -وهو يعلم أن تلك العين ليست سوى أسطورة من اختراعه ولا وجود لها في عالم الواقع- إلى القول بأن الإمام أخفاها بعدما اكتشفها!!

ثم أتى جناب شيخ الأمة وعلم الشيعة في الفصلين ٧٦ و٧٨ من الباب الثالث من الجزء الأول بأسطورة «ردّ الشمس» و«التكلم مع الثعبان»!!^(١)

النقطة المهمة جداً التي نلفت إليها نظر القارئ المحترم بشدة هي أن الشيخ المفيد لم يُقدّم لنا في الجزء الثاني من كتابه «الإرشاد» أيّ نصّ مُعتبر وموثوق يثبت الإمامة الإلهية لسائر الأئمة، بل كل ما قدّمه لنا هو الادّعاء وعدد من القصص وأحياناً بعض الأحاديث واضحة البطلان أو الروايات التي لا تدل على المقصود!!! من هذا يُعلم أنه لم يكن لديه نصوص مُعتبرة [في النصّ الإلهي على الأئمة]!! (فلا تتجاهل).

(١) راجعوا بشأن هاتين الأسطورتين كتاب «زيارات و زيارتنامه» [زيارات المزارات وأدعية الزيارات]، ص ١١٤ حتى ١١٦ و ٢٥١ حتى ٢٥٣.

يُمكننا مثلاً أن نشاهد أحد أقواله المضحكة في الفصل المُخصَّص لحضرة سيد الشهداء عليه آلاف التحية والثناء، حين يقول: "طاعته لجميع الخلق لازمة وإن لم يدعُ إلى نفسه للتيقُّة التي كان عليها؟!!!"^(١). وأقول: إذن فما ذنب الذين لم يعتبروا ذلك الإمامَ منصوباً من عند الله؟! أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟

أو أنه صرَّح في الفصل المُتعلِّق بحضرة السجاد (ع) أن محمد بن الحنفية «أخ الإمام الحسين لأبيه» ليس إماماً لعدم وجود نصٍّ على إمامته، ولكنه اعتبر حضرة السجاد (ع) صاحب منصب إمامة المسلمين في عصره دون ذكر نصٍّ مُعتبر على ذلك ولم يستند في ذلك إلا إلى حديث اللوح الفاضح!!!^(٢) أو مثلاً نجده في الباب الخاص بالإمام الحسن العسكري (ع) لا يأتي بأيِّ شيء سوى أحاديث الباب ١٣٢ من المجلد الأول من أصول الكافي الذي يشتمل على ١٣ حديث، والعجيب أنه ليس هناك من تلك الأحاديث الثلاثة عشر حديث واحد صحيح^(٣). (فتأمَّل جداً).

ما ذكرناه هو مُجرَّد نماذج بالطبع، وليس لبقية أبواب الجزء الثاني من «الإرشاد» من ناحية إثبات الإمامة الإلهية، وضع أفضل^(٤). وإني لأتعبج من السيد «محمد رضا الحكيمي» الذي خصَّص نصف أحد كتبه للحديث عن الشيخ المفيد، ولكنه لم يُشر أيَّ إشارة إلى عيوب مؤلفاته!! علينا أن ندعو الله أن لا ينخدع الناس بتلك المدائح والثناءات وأنواع التمجيد.

(١) حقاً إنه لمن الظلم والبُعد عن الإنصاف نسبة التقيَّة إلى حضرة سيد الشهداء رضوان الله تعالى عليه.
(٢) بشأن حديث اللوح الفاضح راجعوا كتاب «شَاهِرَاهُ النَّجَادِ» [طَرِيقُ الْإِتِّحَادِ]، الصفحة ١٦٦ فما بعد، فصل «نظرة إلى أحاديث النص وبيان درجتها من الصحة» والتنقيح الثاني لكتابنا «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، القسم المُتعلِّق بتمحيص أحاديث الباب ١٨٣ من المجلد الأول من أصول الكافي، ج ٢، ص ٨٦٢ إلى ٨٩٣.

(٣) راجعوا بشأن هذه الأحاديث الثلاثة عشر كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، ص ٦٦٣ - ٦٦٤.

(٤) في نظرنا من المُفيد للأفراد المُحقِّقين إذا واجهوا عالماً خرافياً أن يقولوا: ليس عندنا أيُّ نقاش بشأن دلالة حديث الغدير، ونحن نفترض أن حضرة عَلِيِّ (ع) منصوب عليه ومنسوب من عند الله وخليفة مباشر لرسول الله ﷺ، فإتتنا بنصٍّ مُعتبر واحد على النصِّ الإلهي على سائر الأئمة!

تذكير: في نظرنا إن أفضل كتاب حول موضوع خلافة حضرة عَليِّ (ع) الكتاب الشريف «شَاهِرَاهُ اتِّحَادٍ» [طَرِيقُ الاتِّحَادِ] تأليف أخينا الفاضل المحقق المُجاهد جناب «حيدر علي قلمداران» (رحمه الله). والذين يقرؤون كتباً من قبيل «عَبَقَاتُ الْأَنْوَارِ» أو «الغدير» أو.... من الضروري أن لا يغفلوا عن قراءة هذا الكتاب. وبالنسبة إلى إمامة سائر الأئمة من المُفيد أيضاً ما ذكرناه في الإصدار الثاني لكتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول» (الصفحات ٦٠٩ إلى ٦٧٦ و٨٠٧ إلى ٨٩٣ على الأقل).

بعد أن ثبت أن حديث الغدير لا يدل على الخلافة المباشرة لعَليِّ بعد النبي وأن عيد الغدير لا يستند إلى دليل وسند شرعي، نأتي الآن إلى الكلام على صلاة رواها كذابون وُضعفاء مثل «محمد بن سنان»^(١) و«داود بن كثير الرقي»^(٢) وأتحفوا بها المسلمين ولَفَقُوا في نهايتها دعاءً تنضح منه رائحة النفاق والشقاق والتفرقة! فمثلاً لما كان أبو بكر مشهوراً بين المسلمين بلقب «الصديق»، اعتبر هذا الدعاء حضرة عَليِّ (ع) «الصديق الأكبر»^(٣)، كما اعتبر عَليّاً: «الْحُجَّةَ عَلَى بَرِيَّتِهِ الْمُؤَيَّدِ بِهِ نَبِيُّهُ وَدِينُهُ». أي أن هذا الدعاء اعتبر عَليّاً حُجَّةَ الله مع أن هذا مخالف لقول عَليِّ نفسه الذي قال: «كَمَّتْ بِنَيْبِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُجَّتُهُ» (نهج البلاغة، الخطبة ٩١). والله تعالى إضافةً إلى تأييد نبيه ودينه بعَليِّ (ع)، أيّد دينه أيضاً بأفراد آخرين فتلك الصفة ليست خاصة بعَليِّ (ع) وحده. في هذا الدعاء اعتبر عَليّاً (ع): "خازناً لِعِلْمِهِ [أي علم الله]، وَعَيْبَةَ^(٤) غَيْبِ اللَّهِ، وَمَوْضِعَ سِرِّ اللَّهِ...". وهذه الأقوال مخالفة للعقل والقرآن لأن علم الله عين ذاته ولا يحتاج علم الله إلى خازن وحافظ للخزانة (راجعوا كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، صفحة ٤٢٧ و صفحة ٨٧٠)، وغيبُ الله وسرُّه خاصُّ بذاته الأحدية ولا يحتاج إلى عَيْبَةٍ وأمين! في هذا الدعاء اعتبر عَليّاً شاهداً

(١) عرّفنا به في كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، ص ٣٠٤ إلى ٣٠٨.

(٢) عرّفنا به في كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، ص ٣٩٩ - ٤٠٠ و ٤٥٨.

(٣) كما أنه في دعاء الصفحة ٢٨١ و ٢٨٢ من المفاتيح المنقول عن الشيخ المفيد تمّ تلقيب عَليّاً بـ «الفاروق بين الحق والباطل» أسوةً بلقب الفاروق الذي اشتهر به عمر.

(٤) معنى كلمة «عيبَة» الوعاء والخزانة التي توضع فيها الثياب.

على الخلق، وهذه الصفة - كما أوضحنا في الصفحات السابقة (ص ٣٢٢ فما بعد) - لا إطلاق لها بل هي مُقَيِّدة بشهادته على مُعاصري حضرته.

واعلم أن أعداء الإسلام والمسلمين - كما نشاهد ذلك في أحاديث موضوعة أخرى - أساءوا القول بنحو الكناية بحق الشيخين أو الخلفاء الثلاثة الأوائل. وفي هذا الدعاء أيضاً إشارة إلى الجبت والطاغوت و..... في حين أنه بعد فتح مكة لم يبقَ ثمة أثر للجبت والطاغوت والأوثان كي يبرأ المسلمون منها!! هل يُفيد مثل هذا الدعاء ونظائره سوى بثّ سوء الظن والعناد والعداء بين المسلمين؟!!

كتب الشيخ عباس بعنوان العمل التاسع من أعمال يوم الغدير يقول: "أن يهنئ من لاقاه من إخوانه المؤمنين بقوله: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا مِنَ الْمُتَمَسِّكِينَ بِوِلَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَيْمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ".

من البدهي أنه لا يوجد مسلمٌ مخالفٌ لهذه الجملة لأن جميع المسلمين يُجَبِّونَ عَلِيًّا (ع) ويعتبرونه أسوةً لهم، ولكن إذا عرف القارئ المحترم الرواية التي أخذت عنها تلك الجملة الصحيحة لتعجب كثيراً قطعاً! جاء الحديث المذكور في كتاب «إقبال الأعمال» (ص ٤٦٤) ويدّعي أن الملائكة الكاتبتين الذين يكتبون أعمال العباد يرفعون القلم في عيد الغدير لمدة ثلاثة أيام عن محبي أهل البيت وشيعتهم ولا يكتبون ذنوبهم [كي يرتكبوا ما شاؤوا من الأفعال!!] وأن ذلك اليوم هو يوم الصفح عن مُذنبِي شِيعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ!!!^(١)

اعلم أنه لا يوجد في زماننا شخص عدوٌّ - نعوذ بالله - لِعَلِيِّ أَوْ مُنْكَرٍ لَوْجُوبِ وَوَلَايَتِهِ وَمُحَبَّتِهِ أَوْ

(١) جاء في جزء من الرواية المذكورة ما يلي: "وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي يَأْمُرُ اللَّهُ فِيهِ الْكِرَامَ الْكَاتِبِينَ أَنْ يَرْفَعُوا الْقَلَمَ عَنِ مُحِبِّي أَهْلِ الْبَيْتِ وَشِيعَتِهِمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ يَوْمِ الْغَدِيرِ وَلَا يَكْتُبُونَ عَلَيْهِمْ شَيْئاً مِنْ خَطَايَاهُمْ كِرَامَةً لِمُحَمَّدٍ وَعَلِيِّ وَالْأَيْمَّةِ..... وَيَوْمُ الْبِشَارَةِ وَالْعِيدِ الْأَكْبَرِ..... وَيَوْمُ الصَّفْحِ عَنْ مُذْنِبِي شِيعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ..... وَيَوْمُ عِيدِ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ.... وَهُوَ يَوْمُ التَّهْنِئَةِ يَهَيَّ بِعُضُكُمُ بَعْضاً فَإِذَا لَقِيَ الْمُؤْمِنُ أَخَاهُ يَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا مِنَ الْمُتَمَسِّكِينَ بِوِلَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَيْمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ". وفي هذه الرواية أمور عجيبة أخرى أيضاً ولكننا نكتفي بما ذكرناه منها هنا.

لا يرى أنه إمام وقدوة للمؤمنين. في حين أننا رأينا ضمن الأعمال والأدعية المنسوبة إلى عيد الغدير جملاً تتضمن لعن مُنكري ولاية عَلِيٍّ والبراءة منهم، بشكل مُتكرّر، مع أنه لا أحد يُنكر قضايا الغدير وكل المسلمين يعلمون أن رسول الله ﷺ أوصى في غدير خم بموالاته حضرة الأمير (ع)، ولكن هؤلاء الكُتّاب يريدون أن يُثبتوا بالقوة أو بالأحاديث الموضوعية خلافة عَلِيٍّ (ع) المباشرة للنبي!! هذا رغم أن عَلِيًّا (ع) نفسه وأنصاره - كما مرّ معنا في الصفحات السابقة - لم يكونوا يدعون الخلافة المنصوص عليها من الله. (فلا تتجاهل).

يطلب الداعون في هذه الأدعية من الله تعالى مراراً أن يجعلهم من المُتمسكين بولاية عَلِيٍّ (ع) في حين أنهم بسبب البدع والعقائد غير المُستندة أو الموضوعية التي ابتدعوها والتي تُخالف عقائد ذلك الإمام الجليل وأعماله جعلوا أنفسهم في زُمرة مُخالفِي الإمام أو أعدائه! ولذلك نقول: إن مُجرّد الدعاء والادّعاء لا يُصبح شيئاً بل على الإنسان أن يُثبت بعمله أنه مُحَبٌّ فعلاً لأمير المؤمنين (ع) وليس عدواً له.

في فضل يوم المباهلة^(١) يقول إن جبريل هبط في ذلك اليوم بآية التطهير^(٢) التي نزلت في علي وفاطمة والحسين عليهم السلام. وقد تكلمنا بالتفصيل في التنقيح الثاني لكتابنا كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، (ص ٦١٣ إلى ٦٢٠) عن آية التطهير فلا نكرر الكلام هنا. ويقول أيضاً: "في هذا اليوم أيضاً تصدّق أمير المؤمنين (عليه السلام) بخاتمه على الفقير وهو راعع، فنزل فيه الآية إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ [المائدة: ٥٥]."

أقول: حول موضوع تصدّق أمير أو إعطائه الزكاة أثناء الركوع في الصلاة يُراجع ما جاء في الكتاب الشريف: «شاهراه اتّحاد» [طريق الاتّحاد] (ص ١٤٥ إلى ١٤٨). وما ذكرناه في كتابنا «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، (ص ٦٢١ حتى ٦٢٨).

(١) مفاتيح الجنان (النسخة المُعرّبة)، ص ٣٨١. (المُترجم)

(٢) يقصد بآية التطهير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً

﴿٣٣﴾ [الأحزاب: ٣٣]. (المُترجم)

ثم يقول في أعمال يوم ٢٥ من ذي الحجة: "وهو اليوم الذي نزلت فيه ﴿هَلْ أُنِيتُ...﴾ في شأن أهل البيت لأنهم كانوا قد صاموا ثلاثة أيام وأعطوا فطورهم مسكيناً ویتياً وأسيراً وأفطروا على الماء!!!"

هنا أذكر ذكرى كنت قد أوردتها أيضاً في مقدمة تفسير «تابشي از قرآن» [شعاع أو قبس من القرآن]:

"جاءني يوماً أحد الخطباء الدينيين وقال: هل تؤمن بأن سورة الإنسان (الدهر) في الجزء ٢٩ من القرآن نزلت بشأن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وأهل بيته؟ قلت له: نعم، أو من بذلك، ولكن ما موقفك أنت؟ فأنا أعتقد أنك لا تؤمن بذلك، بل لا تعتبر الإمام علياً (ع) مُتَّبِعاً للعقل ولا للقرآن، وأنت تُقَلِّلُ من شأن القرآن!! فاستاء الرجل وقال: لماذا تتهمني؟! فقلتُ له: لا أتهمك بل أدعي أمراً لديّ الدليل عليه، وسأثبت لك الآن على نحو يجعلك أنت نفسك تُقَرُّ بما أقول. هل تعتقد أن هذه السورة نزلت من أولها إلى آخرها بشأن عليّ (ع)؟ قال الرجل: نعم. قلتُ: حسناً، جاء في بداية السورة ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ [الإنسان: ٢]، وجاء في تفاسير الشيعة أن المقصود من الإنسان هنا هو الإمام عليّ، أتؤمن بذلك؟ قال: أجل. قلتُ: حسنٌ جداً. ثم قال تعالى بعدها: ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان: ٢]، هل تؤمن - كما جاء في الآية - بأن الإمام علياً خُلِقَ من نُطْفَةٍ حضرة أبي طالب وفاطمة بنت أسد، فتأمل الرجل قليلاً وسكت ولم يُجِبْ، ثم قال: كلا إن علياً خُلِقَ من نور، وكان موجوداً قبل أبيه بمئات آلاف السنين. قلتُ: إذن بَيَّنَّ أنك لا تؤمن بأن هذه الآية وهذه السورة نزلت بشأن عليّ عليه السلام، فلماذا أقررت بنزولها بشأن عليّ في بداية الأمر؟ ولماذا كتبتم في تفاسيركم^(١) بأن هذه السورة نزلت بشأن عليّ عليه السلام؟؟ أضف إلى ذلك أنه جاء في [بعض] تفاسير الشيعة أن الحسن والحسين مرضا فنذر عليّ وفاطمة [وفضة جارية لهما] إن برئتا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام، فلما شفيا، فقام عليّ -

(١) يُنظَر مثلاً تفاسير: التبيان للشيخ الطوسي، وتفسير فرات الكوفي، وتفسير البرهان للشيخ البحراني، وتفسير نور الثقلين للحويزي، ومن المعاصرين تفسير الأمل لآية الله ناصر مكارم الشيرازي، كلها ذيل تفسيرهم للآية ٨ من سورة الإنسان.

استعداداً للصوم - بشراء ثلاثة أصواع من شعير، فطحنت فاطمة صاعاً واختبزه خمسة أرغفة، فوضعوا الأرغفة بين أيديهم ليفطروا أول يوم من أيام الصوم، فوقف عليهم سائل وقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكينٌ من مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فأثروه بأقراص الخبز الخمسة!!! وباتوا لم يذوقوا إلا الماء - بها في ذلك أمتهم فضة - وأصبحوا صياماً!! فلما أمسوا في اليوم الثاني ووضعوا الطعام بين أيديهم، وقف عليهم يتيم، فأثروه بأقراص الخبز الخمسة، وباتوا مرةً أخرى لم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صياماً، ووقف عليهم أسيرٌ في الثالثة عند الغروب، ففعلوا مثل ذلك. فلما أصبحوا أخذ عليُّ بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول الله ﷺ، فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع، قال: كذا وكذا... فنزل عندئذٍ قوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الانسان: ٨]!؟

هل تقبل بهذه القصة؟ قال: بلى. قلت: حسناً، إن كانت هذه القصة صحيحة، فإن علياً وأهل بيته عليهم السلام لم يتبعوا الحكمة والعقل ولا اتبعوا القرآن، بل خالفوا أمر الله بعملهم هذا. قال: كيف؟ قلت: أولاً: ألم يكف ذلك السائل أو اليتيم نصف رغيفٍ من الخُبز؟ هل كان ذلك السائل أو اليتيم يريد فتح دُكانٍ لبيع الخُبز؟ ثم أليس الأقربون أولى بالمعروف؟ ألم يكن بمقدور الإمام عليٍّ أن يعطي السائل نصف رغيفٍ من الخبز ويطعم نفسه وزوجه وأولاده بقية الأرغفة حفظاً لصحتهم وسدّاً لجوعهم. ألم يخالف بإعطائه كل الأرغفة للمسكين وترك أولاده جوعى قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الاسراء: ٢٩] وآية ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]؟! ألم يخالف بذلك أيضاً حكم العقل الذي جعله الله حجةً على الإنسان؟! ألم يكن النبي ﷺ والإمام (ع) تابعين للقرآن؟ كيف لا وقد أمر الله تعالى رسوله باتِّباع القرآن فقال: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الانعام: ١٠٦]؟! ألم يكن أهل بيته مأمورون بالعمل بأمر الله تعالى هذا؟ وإذا كان الله تعالى قد أمر نبيه باتِّباع العقل، فكيف لا يتبع عليٌّ وأهل بيته العقل والقرآن؟ كيف يترك أولاده

(١) والآية ٤١ من سورة الأنعام.

المساكين ضعافاً وجوعى؟ وهل الإمام الذي لا يعرف واجباته العقلية ولا أوامر القرآن إماماً؟ ثم ما ذنب الجارية [فَصَّة] حتى يُعطى خُبْزُها للآخرين؟!^(١)

فما جاء في التفاسير مخالفاً للقرآن ومخالفاً للعقل، ومُضْعَفٌ للقرآن، ويُظْهِرُ أهل بيت رسول الله ﷺ وكأَنَّهُم جاهلين بالقرآن.

و الله لا ينزل أي آياتٍ في الثناء على شخص جاهل بالقرآن لا يتبع العقل، ولا يوحى سورة في مدحه. إننا نؤمن أن القرآن مجموعة من الحقائق وأنه مُطابِقٌ للفطرة وأن حضرة عليٍّ وحضرة الزهراء - عليهما السلام - كانا عاقلين وعالمين بالشريعة، وأن ما ذكره الرواة الخرافيون تهمة لهم. إذا تأملنا الآية الشريفة وتدبرناها بعيداً عن التعصب للاحظنا أن الْمِسْكِينَ وَالْيَتِيمَ وَالْأَسِيرَ عَطْفَ بعضهم على بعض بواو العطف التي تدل على الجمع بين المعطوفات، فأكثر ما يمكن قوله: إن الثلاثة: المسكين واليتيم والأسير، جاؤوا إلى باب بيت عليٍّ (ع) مع بعضهم في ليلة واحدة، فأعطاهم الأُرغفة في تلك الليلة فقط، وطبخ خبزاً آخر للسحور من صاعِي الشعير الباقيين^(٢). (فتأمل) إن كلمات مسكين ويتيم وأسير لم تُعطف على بعضها بحرف "ثُمَّ" فلا ضرورة لتفسير الآية الكريمة بأن السائلين جاؤوا في ثلاثة أيام متوالية، وعندئذٍ فلا يبقى ثَمَّة مبرراً أن يقوم خمسة أشخاص صائمين جائعين بإعطاء ثلاثة جائعين خمسة أرغفة من الخبز، بل الأكثر تناسباً مع تعاليم الشرع أن يتم إعطاؤهم ثلاثة أرغفة على أكثر تقدير، (ولا دليل على

(١) من الطريف أنه يظهر من القصة أن المسكين واليتيم والأسير كانوا في تلك الأيام الثلاثة مراقبين تماماً لذلك البيت! وكانوا لا يأتون لطلب الصدقة إلا في لحظة الإفطار بالضبط، عندما تكون أيدي أصحاب البيت قد امتدَّت إلى الخبز لتفطر عليه، ولم يأتِ أحدٌ من أولئك الثلاثة الطالبين للصدقة متأخراً ولو ثلاثة دقائق عن وقت الإفطار بما يعطي الفرصة لأهل البيت أن يأكلوا ولو لقمة أو لقمتين من خبزهم، وينفقوا ما بقي منه!!.

(٢) إذا كان كل صاع يساوي ٢٤٠٠ أو ٢١٧٦ غراماً، فإن ثلاثة أصواع من الشعير تعدل ٦,٥ كغ من الشعير وهذا يكفي لخبز ١٥ رغيفاً!

استحباب التصدق برغيف الأمة الفقيرة فضة أيضاً!!^(١) ويتم إبقاء رغيفين ليطعمَ منها طفلين
تعافيا للتو من مرضهما ولا يُبقيا جائعين!

فما جاء في الروايات مخالفاً للقرآن ومخالفاً للعقل والمنطق، كما أنه يُظهرُ أمير المؤمنين علي
(ع) وأهل بيته جاهلين بالشرعية!! . فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا؟



(١) لم أسمع حتى الآن أحداً يقول إن الآيات المذكورة نزلت في فضة أيضاً!

الفصل السابع والثامن [من مفاتيح الجنان]

هذا الفصلان مُحَصَّصَان لشهري مُحَرَّم وَصَفَر. يقول مؤلف المفاتيح: "قال الشيخ الطوسي: يُسْتَحَبُّ صِيَامُ أَيَّامِ التَّسْعَةِ مِنْ أَوَّلِ مُحَرَّمٍ، وَفِي الْيَوْمِ الْعَاشِرِ يُمَسِكُ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَى بَعْدِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يُفْطِرُ عَلَى قَلِيلٍ مِنْ تَرْتِيبَةِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ!!"^(١) وأقول: هل يملك الشيخ الطوسي الحق في التشريع حتى يضيف من عند نفسه مستحبات أو مكروهات على الشريعة؟! هل الإسلام يأمر بأمور مخالفة للصحة؟! هل هؤلاء يريدون خيراً للإسلام والمسلمين؟!

وفي الصفحة ٢٩٠ ينسب إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام صلاةً رواها «وهب بن منبه» الذي كان مروّجاً للإسرائيليات!! ثم يقول عن شهر صفر: "اعلم أن هذا الشهر معروف بالتحوسة!!" وأقول: هل هناك خرافة أوضح من أن نعتبر شهراً من هشور السنة نحساً؟! إن مثل هذه الأقاويل التي لا دليل عليها هي التي تجعل بعض من المفكرين يسيئون الظن بالإسلام.

ثم يقول الشيخ عباس: "روى الشيخ [الطوسي] في «التّهذيب» و«المصباح» عن الإمام الحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ (عليه السلام) أَنَّهُ قَالَ: عَلَامَاتُ الْمُؤْمِنِ حَمْسٌ: صَلَاةُ الْحَمْسِينَ، وَزِيَارَةُ الْأَرْبَعِينَ، وَالتَّخْتُمُ فِي الْيَمِينِ، وَتَغْفِيرُ الْجَبِينِ، وَالْجَهْرُ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"^(٢).

هذه الرواية ذكرها الشيخ الطوسي في «مُصْبَاحِ الْمُتَهَجِّدِ» (ص ٧٣٠) ولم يذكر لها سنداً، لأنه كان يعلم أن رواها من الضعفاء والمجاهيل. لكم الأهم من ذلك هو متن الرواية المعلول والمعيب لأنه وضع «الصلاة» التي أوصى بها القرآن الكريم إلى جانب «التَّخْتُمِ فِي الْيَمِينِ» أو «زِيَارَةَ الْأَرْبَعِينَ» المروية عن ابن فضال الواقفي وعن «سعدان بن مسلم» الذي لم يُوثَّق!! وليت شعري لولم يقم المسلم بتلك الأمور ألا يُعَدُّ مؤمناً؟! هذا في حين أن ما نقرؤه في كتاب الله

(١) مفاتيح الجنان (النسخة المعرّبة)، ص ٣٨٧-٣٨٨. (المُترجم)

(٢) ذكر الشيخ عباس القمّي هذه الرواية مرة ثانية بعد زيارة عاشوراء غير المشهورة (ص ٤٦٨ من المفاتيح) [أو ص ٥٩٣ من النسخة المعرّبة للمفاتيح].

يخالف لهذا الكلام. لقد بين لنا القرآن الكريم علامات المؤمن بصراحة ووضوح ولا نجد بينها ثلاثة من العلامات المذكورة في الرواية. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٠﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنفال: ٢، ٣].

وقال عز من قائل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [المؤمنون: ١ - ٩].

نعم، لقد ذُكرت في القرآن الكريم علامات متعددة ليس بينها ثلاثة من تلك العلامات المذكورة في الرواية في حين أن لدينا في طهران كثير من الناس يتختمون باليمين أو يقرؤون زيارة الأربعين ولا يعطون الزكاة لأنهم مقلدون لعلماء حصورا الزكاة في أجناس تسعة فقط ووضعوا لها شروطاً عجيبة من النادر تحققها!!^(١)

لماذا أصبح حالنا هكذا؟ لأن كتاب المفاتيح أصبح له بين الناس مشترين أكثر من القرآن، ولا أحد من العلماء يقول للعوام إنكم لا تفهمون المفاتيح ولكن أكثر العلماء يقولون للعوام إن القرآن ظنيّ الدلالة وعليكم أن تدرسوا في الحوزة العلمية سنوات عديدة كي تتمكنوا من فهم القرآن بصورة ظنيّة!!



(١) من الضروري في هذا المجال مراجعة كتاب «حقايق عريان در اقتصاد قرآن - زكات» [أي الحقائق الجلية في اقتصاد القرآن - الزكاة]، تأليف المرحوم حيدر علي قلمداران.

الفصل التاسع [من مفاتيح الجنان]

يتعلق هذا الفصل بشهر ربيع الأول. يقول مؤلف المفاتيح:

"فيها في السنة الثالثة عشرة من البعثة هاجر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة المنورة فاختبأ هذه الليلة في غار ثور، وفاداه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بنفسه فنام في فراشه غير بجانب سيوف قبائل المشركين، وظهر بذلك على العالمين فضله ومواساته وإخاءه النبي ﷺ؛ فنزلت فيه الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]."^(١) انتهى.

أقول: إن هذا الكلام صحيح تماماً وكل المسلمين يؤمنون به، ولكنكم تقولون: لا شيء يخفى على الإمام سواء كان من أمور الماضي أم الحاضر أم المستقبل (الباب ١٠٦ من أصول الكافي)^(٢)، بناءً على ذلك فالإمام عليّ كان عالماً «بما كان وما يكون وما هو كائن» ومن ثمّ كان يعلم أنه لن يصل إليه أذى من المشركين، ومن ثمّ، فالذي يُقدم على عمل خطير حسب الظاهر ولكنه يعلم أنه لن يُصيبه منه أيّ ضرر، ليس له في الإقدام على هذا العمل أيّ امتياز أو فضيلة. أضف إلى ذلك أنه في ليلة المبيت ذاتها ذهب رسول الله ﷺ برفقة أبي بكر إلى غار ثور وكان أبو بكر قد جهّز للنبيّ مُقدّمات السفر من الزاد والراحلة وسائر اللوازم، ولم يكن أبو بكر عالماً بالمستقبل عندما كان في غار ثور مع النبيّ وواجه الاثنان خطر المشركين، ونزلت الآية ٤٠ من سورة التوبة في شأن رسول الله ﷺ وأبي بكر. فإن كنتم من أتباع عليّ ومُحبّيه حقاً فإن ذلك الإمام الجليل كان مظهرًا للإنصاف والعدل، فلماذا لا تُشيرون أدنى إشارة إلى جهود أبي بكر طيلة سفر الهجرة إلى المدينة الذي تمّ خفاءً وكان محفوفاً بالمخاطر؟!

ومما يُؤسّف له أن بعض علمائنا يقولون عن الآية - التي لا مُنكر لنزولها في شأن أبي بكر -

(١) مفاتيح الجنان (النسخة المعرّبة)، ص ٣٩٧. (المُترجم)

(٢) حول أحاديث الباب ١٠٦ من أصول الكافي راجعوا «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، صفحة

كلاماً للعوام مضمونه أنه ليس في وجود أبي بكر مع رسول الله ﷺ في غار ثور آية فضيلة، مثلما لم يكن لوجود صاحبي يوسف (ع) المُشْرِكَيْن برفقة يوسف (ع) في السجن أيّ فضيلة!!! مع أنه من الواضح تماماً أن مُصاحبة المشركين ليوسف في السجن لم يكن باختيارهما ورجبتها بعكس مُصاحبة أبي بكر للنبي الأكرم ﷺ طول الهجرة وفي غار ثور الذي كان باختياره ورجبته، ووضع نفسه وماله على طبق من الإخلاص وخاطر بهما -دون أيّ معرفة بالمستقبل- في مرافقته للنبي ﷺ.

أو يقولون: إن المراد من المعية الإلهية التي ذُكرت في الآية ٤٠ من سورة التوبة [أي جملة: إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا]: الإحاطة الإلهية بكل شيء التي تشمل إحاطته تعالى بالكفار أيضاً مع أنه ليس في هذا أيّ فضيلة خاصة لأبي بكر!! ولكن هذا الكلام لا يعدو المغالطة والخداع للعامة، لأنه ليس المقصود من تلك الجملة في الآية الإحاطة والقيومية الإلهية التكوينية لأن النبي لا يقول لمُرافقه في لحظة الخطر: لا تحزن لأن الله معنا مثلما هو مع الكفار والحيوانات والجمادات!! إنهم بكلامهم الناشئ من التعصب هذا لا يُراعون حتى مقام النبي ﷺ أيضاً!! من البديهي أن المراد من المعية الإلهية في الآية ٤٠ من سورة التوبة معية التأيد والرحمة والنصرة. أي أن النبي قال لصاحبه: إن لطف الله وحمایته معنا أنا وأنت مثلما قال تعالى لموسى وهارون -عليهما السلام-: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦] فهل قال الله تعالى لموسى وهارون الخائفين من بطش فرعون: إنني معكما كما أنا مع فرعون وسائر الموجودات؟! أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟! إن الله قال عن معيته الخاصة -أي معية اللطف- للمتقين: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]. بناءً على ذلك فإن المعية الإلهية في الآية ٤٠ من سورة التوبة تدل على فضيلة كبيرة لأبي بكر لأنها معية التأيد والحفظ والنصرة الخاصة بالمؤمنين الصادقين والمتقين الحقيقيين.

أو أنهم يقولون: إن أبا بكر لم يكن مؤمناً إيماناً صحيحاً لأن المؤمن إيماناً راسخاً لا يخاف من شيء إذا كان مع نبي الله!! وهذا أيضاً كلام باطل لأن القرآن الكريم قال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]. فأولاً: أنتم فسّرتُم كلمة «لَا تَحْزَنْ» على معنى «لا تخف» وهذا تحريف لمعنى الآية ومخالف للإينصاف العلمي! وفي نظرنا لا يصح لشخص من أتباع عليّ أن يترك الأمانة جانباً

ويترجم الآية على نحو مغلوط! (فتأمل دون العصبية).

وثانياً: إن حزن أبي بكر الذي لا يعلم الغيب أمرٌ في محله ولا يستحق اللوم أو الذم، لأن رسول الله ﷺ كان في الظاهر في معرض الخطر تماماً وإذا كان في معرض الخطر فإن كل مجاهداته وتعاليمه وشريعته أيضاً كانت في معرض الخطر وفي رأينا كل مسلم صادق يجب أن يجزن في مثل هذا الموقف. فكيف تعتبرون حزن أبي بكر وغمه هنا أمراً قابلاً للذم؟ أضف إلى ذلك أن حزن الإنسان لوحده وفقدانه الأيمن خاصة لمن لا يعلم الغيب أمر طبيعي لا ملامة عليه فيه.

ثالثاً: ثم إن النهي في هذه الآية ليس نهي تحريم بل نهي المداورة والتسلية. فقد قال تعالى مراراً لرسوله: «لَا تَحْزَنْ»، ومن ذلك قوله تعالى: «وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٧﴾ [النحل: ١٢٧]. وقال تعالى على لسان الملائكة الذين أرسلهم إلى حضرة لوط (ع): «وَقَالُوا لَا تَحْزَنْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ [العنكبوت: ٣٣]، وقال سبحانه لنبيه الأكرم: «فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٦﴾ [يس: ٦٦]، فهل ارتكب النبي عملاً محرماً في حزنه بسبب عداوة الكفار له ومكرهم به؟ بالطبع لا. إذن فإن النهي في الآية ٤٠ من سورة التوبة لم يكن نهي تحريم بل نهي مواساة وتسلية. إن كنا صادقين في قولنا: إننا شيعة عليّ (ع) فعلينا أن نكون مُنصفين وصادقين وأن نقتدي بالإمام في إنصافه وعدله، أما مجرد الادّعاء فلا يُفيدنا في شيء (فتأمل).

ثم يقول الشيخ عباس القميّ بشأن يوم التاسع من ربيع الأول: "اليوم التاسع: عيد عظيم وهو عيد البقر وشرحه طويل مذكور في محله"^(١). ولكنه لم يوضح لنا لماذا عدّ هذا اليوم عيداً؟! إن قصدهم هو اليوم الذي طعن فيه الخليفة الثاني في محراب الصلاة بخنجر كافر مجوسيّ وتوفي بتلك الطعنة. لكنهم بدلاً من لعن ذلك المجوسي القاتل الذي قتل صهر عليّ (ع) وأبو زوجته رسول الله ﷺ، والبراءة منه، اعتبروا ذلك اليوم عيداً عظيماً ولم يعتبروا الشخص الذي نال

(١) مفاتيح الجنان (النسخة المعرّبة)، ص ٣٩٧. (المترجم)

شرف مُبايعة عَلِيٍّ له بالخلافة، شهيدَ المحراب، وكم من أعمال غير معقولة ولغو يقومون بها في ذلك اليوم! ويعلم من أمضى زماناً في الحوزات العلمية الشيعية ماذا يفعلون!!

قال المَجْلِسِيُّ عن هذا اليوم في كتابه «زاد المعاد» (ص ٤٠٤ فما بعد):

"وأما اليوم التاسع من ربيع الأول، فاعلم أن بين علماء العامة والخاصة خلافاً في تاريخ وفاة عمر بن الخطَّاب -عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ وَالْعَذَابُ^(١)-، والأشهر بين الفريقين أن قَتْلَهُ كان في اليوم السادس والعشرين من شهر ذي الحجة كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، وقال بعض في اليوم السابع والعشرين أيضاً. ومستند هذين القولين نقل المؤرخين، ويظهر من الكتب المعتبرة - وكما هو مشهور الآن بين عوام الشيعة - أن قتله كان في اليوم التاسع من ربيع الأول، وكان ذلك مشهوراً أيضاً في السابق بين جمعٍ من محدثي الشيعة، وقد أشار السيد الأجل علي بن طاووس في كتاب «الإقبال» إلى أن ابن بابويه نقل رواية عن الإمام الصادق عليه السلام في أن مقتل ذلك الملعون كان في التاسع من ربيع الأول...".

لست أدري لماذا يُصْرُّ هؤلاء الكُتَّاب كلَّ هذا الإصرار على بثِّ الفرقة بين المسلمين وإبعاد بعضهم عن بعض، رغم كل تأكيدات الإسلام على الوحدة والاتِّحاد؟! ويلٌ للمسلمين من أولئك الكُتَّاب!

ثم قال الشيخ عبَّاس [في البند الخامس من أعمال يوم ١٧ ربيع الأول]^(٢):

"ويدعو بالدعاء «اللَّهُمَّ أَنْتَ حَيٌّ لَا تَمُوتُ... الخ» وهو دعاء مبسوط لم أجده مسنداً إلى المعصوم، لذلك رأيت أن أتركه رعاية للاختصار فمن شاء فليطلبه من «زاد المعاد»".

وعلينا أن نسأل الشيخ عبَّاس: وهل لبقية الموضوعات التي نقلتها في كتابك سندٌ صحيحٌ!!؟

(١) هكذا ذكر المصنَّف، ولكن هذه العبارة غير موجودة في الترجمة العربية لكتاب «زاد المعاد»، تعريب وتعليق علاء الدين الأعلمي، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، باب فضائل شهر ربيع الأول، ص ٢٥٣. ويبدو أن هذه العبارة كانت موجودة في الأصل الفارسي الذي نقل عنه المؤلف البرقي، وأن المعرَّب أي علاء الدين الأعلمي حذفها من ترجمته لقباحتها. (المُترجم)

(٢) مفاتيح الجنان (النسخة المعرَّبة)، ص ٣٩٨. (المُترجم)

بالطبع لا!! ثانياً: إن الرواية التي ليس لها سند صحيح يجب تركها وطرحها جانباً، لا أن نحيل القراء لأجلها إلى كتب أخرى!

ويقول أيضاً نقلاً عن الشيخ الخرافي سيد ابن طاووس:

"قد وجدت النصارى سوجاعة من الملمين يعظّمون مولد عيسى (عليه السلام) تعظيماً لا يعظّمون فيه أحداً من العالمين، وتعجّبْتُ كيف قنع من يعظّم ذلك المولد من أهل الإسلام كيف يقنعون أن يكون مولد نبيّهم الذي هو أعظم من كلّ نبيّ دون مولد واحد من الأنبياء... الخ"^(١).

وينبغي أن نقول: هل النصارى الذين يحتفلون بيوم مولد عيسى (ع) ويُنفقون أموالاً طائلةً في ذلك اليوم يفعلون ذلك لأمرٍ عيسى (ع) لهم بذلك؟! بالطبع لا. وفي الإسلام كذلك، فلا يُجَبَّد الشارع صرف الأموال على إضاءة المصابيح وطباعة أنواع الأوراق و..... لأجل ولادة الأنبياء والأولياء، في حين أنه لدينا كل هذا العدد من الفقراء والمرضى والأميين في المجتمعات الإسلامية. ولهذا السبب فلم يُقم أمير المؤمنين علي عليه السلام في فترة خلافته أيّ مراسم خاصة للاحتفال أو للعزاء في مناسبات ولادة أو وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله أو أبنائه أو ولادة أو وفاة حضرة الزهراء (ع)، ولم يُعلن عطلةً عامةً في تلك المناسبات، ولم يعترض على الخلفاء الذين سبقوه بسبب عدم إقامتهم مثل تلك الاحتفالات أو العزاء لأجل ولادة النبيّ أو رحيله صلى الله عليه وآله؟! فهل ترغبون أن يُقلد المسلمون النصارى في هذه الأمور؟!!



(١) مفاتيح الجنان (النسخة المعرّبة)، البند السادس من أعمال ١٧ ربيع الأول، ص ٣٩٩. (المُترجم)

الفصل العاشر [من مفاتيح الجنان]

هذا الفصل يتعلّق بأشهر ربيع الثاني وجمادى الأولى وجمادى الآخرة. هنا أيضاً ينقل الشيخ عبّاس القُمّي قول السيد ابن طاووس الخرافي وقول الآخرين. وعلينا أن نقول إن الأمر الذي لا يوجد في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وصايا حوله لا يحق للسيد ابن طاووس ولا للآخرين أن يقرّروا لنا مُستحبات أو مكروهات دينية بشأنه^(١).

في هذا الفصل أوصى صاحب «المفاتيح» بإقامة المآتم لأجل حضرة الزهراء (ع) وقد أوجدوا استناداً إلى هذه التوصية أياماً عديدةً باسم الأيام الفاطميّة أصبحت دُكاناً مُزدهراً يتكسب به المدّاحون وقُرّاء المراثي الذين يقرؤون في مجالسهم أشعاراً في المديح أو في ذكر المصائب غالباً ما تكون غير واقعية ويُقيمون مجالس العزاء والنياحة ولطم الصدور وضرب البدن بالسلاسل.... الخ، وتُصرف أموال كثيرة على هذه الأعمال. وللأسف فقد أصبحت هذه الأعمال منبعاً لكسب المال من قِبَل عدد من الخرافيين الجهلة الانتهازين الذين يقرؤون الأشعار في تلك المجالس وقرؤون النياحات ويأخذون على ذلك الأجر والمال من الناس!! وقد زادت تلك المنقولات غير الصحيحة وغير المُعتبرة والموضوعة والمُفتراة من شدة العداة بين الشيعة والسنة وزادت من التفرقة بين المسلمين وتباعدهم عن بعضهم وتشتتهم كي يستطيع الاستعمار أن يستفيد من هذه الفرقة على نحو أفضل! في حين أن الإسلام وشريعة خاتم المرسلين لم تضع ضمن برامجها أو عباداتها الاحتفال بولادة الأشخاص أو إقامة المآتم ومجالس العزاء السنوية بمناسبة وفاة الأشخاص، وكما لاحظنا في آخر الفصل المتعلّق بشهر ربيع الأول قلّد المسلمون أصحاب الملل الأخرى (كالنصارى) في قيامهم بمثل هذه الأعمال.

إن المدّاحين وقُرّاء المراثي يُكرّرون في تلك المجالس القضايا التي وقعت قبل ألف وأربعمئة

(١) مثلاً لا يُعلّم ما سند الزيارة التي أوردها صاحب «المفاتيح» نقلاً عن السيد ابن طاووس على أنها خاصة بالثالث من جمادى الآخرة!

عام مع أن الله سبحانه وتعالى قال لنا: ﴿يَلِكْ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ^ط وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ [البقرة: ١٣٤ و ١٤١]. ولو انتبه المسلمون إلى هذه الآية وتدبروها جيداً لما قاموا بصرف كل تلك الأوقات والأموال على إقامة مجالس قتل عمر أو مراسم العزاء التي تُطرح فيها أمور خرافية ومكذوبة ويُعالَى فيها بحقّ عباد الله وتُقام مجالس ضرب الأبدان بالسلاسل..... الخ التي توجب ترويح الخرافات وتعميق الفجوة بين المسلمين، بل لصرفوا هذه الأموال على بناء المدارس والمستشفيات وعلى مجالس تعليم القرآن وسائر الأمور ذات النفع العام.



الفصل الحادي عشر [من مفاتيح الجنان]

هذا الفصل خاص بأعمال النيروز وأعمال الأشهر الروميه!! وقد أشرنا في مقدمة الكتاب الحالي (ص ٣٧) إلى أن الشيخ عباس أورد في هذا الفصل رواية عجيبة نقلًا عن المجلسي^(١)، ونصرت أن يقرأ الأطباء وطلاب الطب وأهل الفكر والتحقيق هذا الفصل بالتأكيد، وأن يُطلِعُوا الآخرين عليه كي يعرف الناس ما فعله أمثال المجلسي بشعبنا!؟

في هذا الفصل ذكر الشيخ عباس خواصاً لماء شهر «نيسان» مع أن التعرض لمثل هذه الأمور لم يكن من وظائف رسل الله الذين أرسلهم الله للتبشير والإنذار فحسب وقد أمر القرآن الكريم مراراً النبي ﷺ أن يقول: ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [الاعراف: ١٨٨]. فكيف لا يستيقظ الناس رغم وجود مثل هذه الآيات الواضحة بل يقبلون كل خرافة تأتيهم باسم الدين؟ الله أعلم.

والمسألة الأخرى أن الشيخ عباس أورد في كتابه «منتهى الآمال» (ج ٢، ص ١٨٧) حديثاً عن الإمام الصادق (ع)^(٢) قال فيه: "إِنِّي قَدْ فَتَشْتُ الْأَخْبَارَ عَنْ جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أَجِدْ لِهَذَا [العيد] خَبْرًا وَإِنَّهُ سَنَةٌ لِلْفُرْسِ وَمَحَاهَا الْإِسْلَامُ، وَمَعَادَ اللَّهِ أَنْ نُحْيِيَ مَا مَحَاهُ الْإِسْلَامُ.... الخ".

(١) رُوي الحديث المذكور عن شخص مهمل يُدعى «عيسى بن هارون»! ولا يخفى أن السيد ابن طاووس نقل الحديث في كتابه «مهج الدعوات» (ص ٣٥٦، انتشارات سنائي) عن نافع عن عمر، أما المجلسي فقد روى الرواية في كتابه «بحار الأنوار» (ج ٩٥، ٤١٩) وكتابه «زاد المعاد» (ص ٥٣٤) عن نافع عن عبد الله بن عمر، وتبع مؤلف المفاتيح ما جاء في «زاد المعاد».

(٢) هكذا قال المؤلف البرقي وهي من هفواته، لأن الذي جاء في كتاب «منتهى الآمال» أن الحديث قاله الإمام الكاظم (ع) لا الإمام الصادق (ع). علماً أن ابن شهر آشوب المازندراني روى أصل هذا الخبر في كتابه: «مناقب آل أبي طالب عليهم السلام»، ج ٤، ص ٣١٩، كما يلي: "وَحِكِي أَنَّ [أبا جَعْفَرَ] الْمَنْصُورَ تَقَدَّمَ إِلَى مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ (ع) بِالْجُلُوسِ لِلتَّهْنِئَةِ فِي يَوْمِ النَّيْرُوزِ وَقَبِضَ مَا يُحْمَلُ إِلَيْهِ، فَقَالَ ﷺ: إِنِّي قَدْ فَتَشْتُ الْأَخْبَارَ عَنْ جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أَجِدْ لِهَذَا [العيد] خَبْرًا وَإِنَّهُ سَنَةٌ لِلْفُرْسِ وَمَحَاهَا الْإِسْلَامُ، وَمَعَادَ اللَّهِ أَنْ نُحْيِيَ مَا مَحَاهُ الْإِسْلَامُ". انتهى. (المترجم)

ولا يخفى أن الأخبار المتعلقة بعيد النيروز الذي كان عيداً للمجوس قبل الإسلام، أخبارٌ مُتَنَاقِضَةٌ ومُتَعَارِضَةٌ فبعضها اعتبر هذا العيد غير إسلامي كالحديث الأخير وبعضها يخالف ذلك! ولم يُصَادَفْ كاتب هذه السطور أية رواية موثوقة تُؤيد النيروز، ولذلك فربما كانت الأحاديث المُوافقة للنيروز مِنْ وَضَع مَنْ أَرَادُوا إِشَاعَةَ الاحتفال بهذا اليوم بين المسلمين! والله تعالى أعلم.



الباب الثالث [من مفاتيح الجنان]

في الزيارات

الباب الثالث من «المفاتيح» خاص بالزيارات وقد خصَّص مؤلِّفه مُقدِّمةً هذا الباب لبيان «آداب السفر» واعتبر بعض الأيام منحوسة بالنسبة إلى السفر!! في حين أنه عندما يكون السفر مباحاً أو لطلب العلم أو لكسب الرزق الحلال ولا يكون سفر معصية فلا إشكال في الشروع في السفر في أيِّ يومٍ من الأيام. ويكفي أن يبدأ الإنسان سفره باسم الله وبذكر الله ويتصدَّق ويدعو الله عملاً بالإذن العام للدعاء، ولو دعا بالدعاءين اللذين ذكرهما الشيخ عبَّاس في الصفحة ٣٠٧^(١) فلا إشكال في ذلك وهما دعاءان مناسبان في مثل هذا الموقف. أما القصة التي أوردها حول خاتم الفيروزج وحول الأسد الذي يفهم اللغة العربية (!!!) فهي من وضع أشخاص خرافيين ولا علاقة لها بالإسلام والمسلمين.

وأورد الشيخ عبَّاس القمِّي في الصفحة ٣١٠^(٢) حديثاً ممتازاً جداً عن سيرة الرسول الأكرم ﷺ مع أصحابه في السفر وهو حديث مفيد للغاية وفيه دروس عظيمة^(٣).

(١) مفاتيح الجنان (النسخة المُعرَّبة)، ص ٤٠٨. (المُترجمُ)

(٢) مفاتيح الجنان (النسخة المُعرَّبة)، ص ٤١٠-٤١١. (المُترجمُ)

(٣) ونص الحديث كما أورده الشيخ عباس: "ومن الأخلاق الكريمة للنبي ﷺ أنه كان مع صحابته في بعض الأسفار فأرادوا ذبح شاة يأتون بها، فقال أحدهم: عليّ ذبحها، وقال آخر: عليّ سلق جلدتها، وقال الآخر: عليّ طبخها، فقال ﷺ: عليّ الاحتطاب، فقالوا: يا رسول الله! نحن نعمل ذلك فلا تتكلّفه أنت، فأجاب: أنا أعلم أنكم تعملونه ولكن لا يسرني أن أمتاز عنكم، فإن الله يكره أن يرى عبده قد فضّل نفسه على أصحابه". انتهى. (المُترجمُ)

حول زيارة قبور الصالحين وما جاء في المفاتيح حول آداب الزيارة!

بعد بيانه آداب السَّفَرِ عَقَدَ مؤلِّف «المفاتيح» باباً باسم: «في آداب الزيارة»!.

فنقول وبالله التوفيق: اعلم أن زيارة القبور، بالصورة الشائعة اليوم بيننا، لم تُشرع في الإسلام، وكل ما كُتب في هذا المجال هو من وضع المذاهب المنحرفة وأكاذيب أهل الخرافات، وإلا فإن رسول الله ﷺ - كما لا يخفى على أحد - دُفن في منزله وفي غرفة عائشة، وكانت عائشة تسكن في تلك الغرفة طول حياتها، ولم يأت أحدٌ من أصحاب النبيّ طول تلك المدة التي تصل إلى أربعين عاماً أو ثلاثين ونيّف - أي في الواقع حتى سنة ٩١ هجرية - إلى غرفة عائشة طارِقاً بابها قائلاً: نريد أن نزور مرقد رسول الله ﷺ أو نريد أن نُسلم على حضرته أو نتوسل به إلى الله ونستشفع به ونجعله واسطتنا إلى الله سبحانه!! وهذا بحدّ ذاته دليلٌ بيّنٌ على أن الزيارة لم تُشرع في الإسلام وأنه لم يكن هناك بين مسلمي صدر الإسلام وأصحاب النبيّ وتابعيهم شيء باسم «زيارة قبور الصالحين وأئمة الدين والتوسل بهم إلى الله»، بل نشأت هذه الرسوم والطقوس ودخلت إلى الإسلام في فترة لاحقة!

عندما اختلط المسلمون بأتباع الملل الأخرى وعندما كان السلاطين والحكومات الجائرة يأخذون أموال الناس ظلماً وبغير وجه حقّ ويننون بها الأضرحة، بدأت تروج بين المسلمين مسألة تعظيم قبور الصالحين وتقديسها وبناء القباب الذهبية والأضرحة الفضية عليها، وكان حُكّام الجور يقومون ببناء المقابر الفاخرة للصالحين وأئمة الدين كي يكسبوا بهذا الجاه بين الناس ويصرفوا فكر الناس عن العمل بالقرآن وأحكام الإسلام والجهاد لأجل وحدة المسلمين ويجعلوهم يصرفون اهتمامهم إلى عبادة القبور وزياراتها وإقامة المآتم ومجالس العزاء.

ولو أردنا أن نذكر هنا الأحاديث الكثيرة التي جاءت في ذمّ تقديس القبور وتعظيمها وشدّ الرحال إليها لاحتجنا إلى كتاب ضخم، لكننا نحيل القارئ في موضوع القبور وزيارتها إلى كتاب «زيارات وزيارتنامه» [زيارة المزارات وأدعية الزيارات]، حيث تم توضيح هذه المسألة بشكل كامل ومفصّل، ونكتفي هنا بذكر حديثين من كتاب «المُصنّف» الذي يُعدُّ من كتب الحديث القديمة والمعتبرة، وألّفه الحافظ «عبد الرزّاق الصنعاني» الذي كان من قدماء الشيعة:

١- "نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ تَجْصِيسِ^(١) الْقُبُورِ، وَتَكْلِيلِهَا^(٢)، وَالكِتَابَةِ عَلَيْهَا".
(المصنّف، ج ٣، ص ٥٠٧)

٢- وقال رسول الله ﷺ: "اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُصَلَّى إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ". (المصنّف، ج ١، ص ٤٠٦)

أخذ صاحب المفاتيح، بدءاً من الصفحة ٣١١ فما بعد، ببيان آداب الزيارة^(٣) وذكر للزيارة ٢٨ أدباً مع أنه لم يذكر أحد من العلماء مثل هذه الآداب حتى لزيارة بيت الله الحرام أو للذهاب إلى المسجد!! إن هؤلاء القوم بسبب غلوهم في صالحهم وعظائمهم يكتبون كتباً في مناسك زيار القبور وآدابها!! فهل علمنا رسول الله ﷺ هذه الآداب والسُنن؟ هل بين رسول الله ﷺ آداباً وسُنناً لزيارة قبور الأنبياء والصالحين؟! لا والله.

مثلاً كتبوا في كُتب الزيارة لدينا: إذا أردت زيارة النبي ﷺ في ما عدا المدينة الطيبة من البلاد فاغتسل ومثل بين يديك شبه القبر واكتب عليه اسمه الشريف ثم قف وتوجه بقلبك إليه ورزّه... الخ!!^(٤)، في حين أن مثل هذا العمل ليس عملاً عقلاً. فليت شعري هل تحضر روح رسول الله ﷺ لدينا لمجرد أننا بنينا مقبرة كاذبة له؟! أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟!

والعجيب أنه جاء في أكثر الزيارات صفحات عديدة مليئة بالمدح والثناء والغلو في حق الأئمة (ع)! فليت شعري! هل أمر الأئمة أنفسهم أن نقرأ لهم صحائف طويلة في المبالغة في

(١) جاء في كتاب «المصنّف» كلمة «تجصيص» القبور: بدلاً من تجصيص القبور. قال الزمخشري في الفائق: "تجصيص القبور: هو تجصيصها. والقصة: الجصة؛ وليس أحد الحرفين بدلاً من صاحبه لاستواء التصرف؛ ولكن الفصحاء على القاف". انتهى. (المترجم)

(٢) تكليلها: أي رفعها ببناء مثل الكليل وهي الصوامع والقباب، وقيل: هو ضرب الكيلة عليها وهي ستر مربع يضرب على القبور، وقال غيره: التكليل أن يطل فوقها شبه القصة (قاله ابن الأثير في النهاية). وقال الزمخشري في الفائق: "التكليل: أن يحوطها ببناء، من كلل رأسه بالإكليل.... وقيل: هو أن يضرب عليها كلل". (المترجم)

(٣) مفاتيح الجنان (النسخة المعرّبة)، ص ٤١٢ فما بعد. (المترجم)

(٤) راجعوا الكتاب الحاضر، ص ٣٩ - ٤٣.

مدحهم والغلو في شأنهم وأن نقف أمام قبورهم ونقوم بكيل المدائح لهم والإكثار من تمجيدهم كي يرضوا عنا؟! كيف وقد نهى أمير المؤمنين علي عليه السلام من قام يمدحه وقال: "... فلا تُثَنُّوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ، لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَالْيَكْمُ مِنَ التَّقِيَّةِ فِي حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا وَفَرَائِضٍ لَا بُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا؛ فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلِّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةَ وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ وَلَا تَتَّظُّنُوا بِي اسْتِثْقَالًا فِي حَقِّي قِيلَ لِي وَلَا التَّمَّاسِ إِعْظَامٍ لِتَفْسِي؛ فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقُّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوْ الْعَدْلُ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ؛ فَلَا تَكْفُفُوا عَن مَقَالَةٍ بِحَقِّي أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقٍ أَنْ أُخْطِئَ وَلَا آمَنُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي إِلَّا أَنْ يَكْفِي اللَّهَ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي؛ فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبِّ لَا رَبَّ غَيْرُهُ يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ فَأَبْدَلْنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى". (نهج البلاغة، الخطبة ٢١٦).

إن أمير المؤمنين علي عليه السلام هو ذاته الشخص الذي لقيه عند مسيره إلى الشام دهاقين الأنبار فترجلوا له واشتدوا بين يديه ^(١) فقال: مَا هَذَا الَّذِي صَنَعْتُمُوهُ؟! فَقَالُوا: خُلِقْنَا مِنْ نِعْمَتِهِ بِهٍ أَمْرَاءَنَا... ^(٢) فنهاهم عن ذلك ولم يرض أن يتدللوا بين يديه ويخضعوا له ويعظموه بهذه الطريقة. فإذا كان الأمر كذلك فهل يرضى مثل هذا الإمام الكريم بما يقوم به المداحون وقراء الزيارات من الغلو في حقه والتجاوز في مدحه وتقدير عتبة مقبرته وضريحه والمبالغة في مدحه وتمجيده؟! في رأينا إن الإمام علياً (ع) بريء من واضعي مثل تلك الزيارات وقارئها. والعجيب أنهم لم يضعوا لزيارة رسول الله صلى الله عليه وآله واحد بالمئة مما وضعوه لزيارات الأئمة.

ومن العجائب أنك تقرأ في حاشية الصفحة ٣١٢ من «المفاتيح» أنه من المستحسن أن يتمثل الزائر بالأشعار التالية:

(١) دهاقين الأنبار (دهاقين: جمع دهقان: معرب «دهبان»: رئيس القرية. أي جماعة من رؤساء القرى في منطقة الأنبار في العراق) فترجلوا له (أي نزلوا من على خيولهم) واشتدوا بين يديه: (أي ركضوا أمامه). (المترجم)

(٢) انظر نهج البلاغة، قسم الحكم والأمثال، الحمة رقم ٣٥. (المترجم)

ها عبدك واقف ذليل بالباب يمدُّ كفَّ سائل!

يا أكرم من رجاء راجٍ عن بابك لا يُردُّ سائل!

ويقول أيضاً (أبياتاً بالفارسية ترجمتها كما يلي):

أيها الملك إن كزمتك كلبٌ فلعلِّي أكون أنا كلبُك

أنا كلبٌ قفز من محبسه تعلق بغصنٍ وردةٍ هوائك

نظرةً منك على كلبك لا تطردني بحجرةٍ من عندك

هذا في حين أن من الشرك بالله أن يعتبر الإنسان نفسه عبداً لغير الله. ألم يكن هؤلاء القوم أتباعاً لعلِّي (ع) الذي قال: "لا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرّاً". (نهج البلاغة، الرسالة ٣١).

كل تلك الكلمات والأشعار تملق وتزلف، في حين أن الإمام كان داعياً إلى الحق ولم يكن يُحبب المتملقين المتزلفين وكان يكره المدح والتملق. إن الإمام الذي نهى عن مدحه والثناء عليه يكره قطعاً أن يصف أحد من الناس نفسه بأنه كلبه! ليت شعري! هل كان الإمام يلعب بالكلاب حتى يعتبر الناس أنفسهم كلاباً له؟! عندما كان الإمام حياً بحياته الدنيوية كان يكره التملق والمديح والآن بعد أن فقد الحياة الدنيوية وانتقل إلى عالم البقاء، لم يعد له أي علم بالدنيا وبالمتملقين الذين يعدون أنفسهم كلاباً له!^(١)

(١) سألت سائق سيارة أجرة مرةً كاتب هذه السطور: هل كان إمام الزمان يُربي الكلاب؟ أو يُسرُّ من اللعب بالكلاب أو من التملق والتزلف إليه؟ فقلتُ له: ما الذي يملك على هذا السؤال؟ فقال: كنت في مسجد «گوهرشاد» في مدينة مشهد فرأيت الشيخ «أحمد الكافي» (وكان قارئاً مشهوراً للمراثي ومُضللاً للعوام وكان يكسب مالاً وفيراً من عمله هذا وقد تعرّضت سيارته لحادث سير أودى بحياته هو وعياله في أوائل الثورة الإيرانية) قد صعد المنبر في مجلس كان يضمُّ عشرات الأشخاص من المُعمِّمين والعلماء وأخذ بقراءة المراثي والبكاء والوعويل وقال: أيها الناس ضعوا رؤوسكم جميعاً على الأرض وضعوا رجلاً على الأرض وارفعوا الرجل الأخرى وقولوا جميعاً: يا إمام الزمان نحن كلنا كلابك عو عو عو عو. ففعل الحاضرون جميعاً مثلها قال: وقالوا: نحن كلابك عو عو عو عو وكرّروا هذه الجملة عدة مرات!!!
فانزعجت وحزنت من كلامه هذا كثيراً وقلت في نفسي: ماذا أقول في هذه المدة القصيرة لهذا السائل الذي ساء ظنه بالإسلام كثيراً من رؤية هذه الحادثة كي أمنعه من سوء الظن بأصل الإسلام والقرآن الكريم، ولم أستطع

ثم كتب صاحب المفاتيح (ص ٣١٣)^(١): "العاشر: تقبيل العتبة العالية المباركة..!".

ونقول: إن مثل هذه التوصية تدل على غرور كاتبها وتكبره ولم يكن الأئمة الكرام مُعجبين بأنفسهم ولا مُتكبرين.

أو قال أيضاً: "الثالث: أن يغتسل لزيارة الأئمة عليهم السلام وأن يدعو بالمأثور من دعواته!!".

ونسأل: هل قال رسول الله ﷺ إن كل من أراد أن يلتقي بحضرته أو يزوره فعليه أن يغتسل ويقرأ الأدعية الواردة عنه وأن يُقبّل عتبة منزله؟! وإذا لم يكن هناك أمر بفعل ذلك في زمن حياة النبي والإمام فكيف ورد مثل هذا الأمر تجاه قبورهم؟! ثانياً: لم يكن لقبور النبي والأئمة حتى سنوات عديدة بعد وفاتهم حرمٌ وضريحٌ وعتبةٌ و... الخ؛ ومن ثمّ فلا يُمكن أن تصدر عنهم مثل تلك الأوامر بل من الواضح أنها وُضعت بعد زمانهم بمرحلة بعيدة. (فلا تتجاهل).

وكتبوا في كُتُب الدعاء والزيارة: "إذا ذهبتَ إلى زيارة رسول الله ﷺ فقبّل منبره وافعل كيت وكيت عند عمود «حنانة» وامسح عينيك بالعمود..".

سبحان الله! ألا يعلم هؤلاء الكُتّاب أن منبر رسول الله ﷺ قد اندثر منذ مئات السنين وأن عمود «حنانة» خربَ وزال منذ عهد بعيد وأن تغييرات كثيرة قد لحقت بمسجد الرسول، ولكنهم يظنون أن الباب والجدران والأعمدة الموجودة حالياً في المسجد النبوي هي ذاتها التي كانت للمسجد زمن رسول الله ﷺ!

كما نجد في كتب الدعاء والزيارة أموراً وموضوعات مخالفة للتواريخ المعتمدة والتي تدل على أن ملفقيها كانوا جهلة بالتاريخ، فمثلاً جاء في آداب زيارة الإمام الحسين (ع) في كتاب «المفاتيح»

أن أعطيه جواباً مُفيداً بل اكتفيت بقولي له: لا يجوز لك أن تُعمّم نظرتك هذه تجاه الشيوخ والمُعتمدين جميعاً وعلينا أن نتأمل القرآن وتندبره. وبهذه المناسبة أرجو من العلماء المسؤولين ومُريدي الخير والإصلاح أن يبذلوا أقصى جهدهم لتعريف الناس بالإسلام الحقيقي وأن لا يُوفّروا أيّ جهد في هذا المسعى. والواقع أنني ما ألفتُ كتابي الحالي وسائر مؤلفاتي إلا لهذا الغرض؛ آملاً أن تكون مُفيدة في ذلك، وما ذلك على الله بعزيز.

(١) مفاتيح الجنان (النسخة المُعرّبة)، ص ٤١٤. (المُترجم)

هذا (ص ٤١٦ - ٤١٧)^(١): "التاسع: أن يدخل الحائر المقدس من الباب الشرقي على ما أمر الصادق صلوات الله وسلامه عليه يوسف الكناسي.!! هذا مع أنه لم يكن هناك بناء على قبر الإمام الحسين (ع) في زمن الإمام الصادق (ع)، وبالتالي لم يكن هناك باب شرقي ولا غربي! ويبدو أن الخرافيين نسوا ما رووه عن الإمام الصادق (ع) أنه قال ضمن حديث^(٢) - جاء في المفاتيح أيضاً (ص ٤٢٣)^(٣) -: ".... زيارَةُ جَدِّي الْحُسَيْنِ (ع) فَإِنَّهُ غَرِيبٌ بِأَرْضِ غُرْبَةٍ يَبْكِيهِ مَنْ زَارَهُ وَيَحْزَنُ لَهُ مَنْ لَمْ يَزُرْهُ... وَيَرْحَمُهُ مَنْ نَظَرَ إِلَى قَبْرِ ابْنِهِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ وَلَا حَيِّمٍ قُرْبَهُ وَلَا قَرِيبٍ...". أو جاء في الصفحة ٣٥٥ من المفاتيح عن «صفوان الجمال»^(٤) أنه ذهب لزيارة قبر أمير المؤمنين عليه السلام مع الإمام الصادق (ع) وفيه: " قال لي (أي الإمام الصادق): يا صفوان! أنخ الرّاحلة فهذا قبر جدّي أمير المؤمنين (ع)، فأنختها... إلى أن بلغنا الذّكوات والتّلول، فوقف (عليه السلام) ونظر يمينه ويسرةً وخطّ بعكازته فقال لي: اطلب فطلبت، فاذا أثر القبر، ثم أرسل دُموعه على خده.... الخ!!"

فهذا يُبيّن أنه حتى ذلك العهد لم يكن هناك حرمٌ حتى يذكر الأئمة آداباً له، فكل ما ذكر من آداب زيارة الحرم إنما تم وضعه بعد عهد الأئمة بمُدّة، وكذلك أذن الدخول، موضوعةٌ كلّها.

ومثل ذلك الرواية التي أوردها صاحب «المفاتيح» ص ٣٤٢^(٥) عن السيد عبد الكريم بن طاووس عن «محمد بن علي الشباني» قال: خرجت أنا وأبي وعمّي حسن ليلاً متخفّين إلى الغريّ لزيارة أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وكان ذلك سنة ماتتین وبضع وستين سنة وكنّت طفلاً صغيراً فلما وصلنا إلى القبر الشريف، وكان يومئذٍ قبراً حوله حجارة سوداء ولا بناء

(١) مفاتيح الجنان (النسخة المعرّبة)، ص ٥٣٥. (المترجم)

(٢) رواه ابن قولويه في «كامل الزيارات»، ص ٣٢٥، ونقله عنه المجلسي، بحار الأنوار، ج ٩٨، ص ٧٣.

(المترجم)

(٣) مفاتيح الجنان (النسخة المعرّبة)، ص ٥٤١. (المترجم)

(٤) مفاتيح الجنان (النسخة المعرّبة)، ص ٤٦٦ - ٤٦٧. (المترجم)

(٥) مفاتيح الجنان (النسخة المعرّبة)، ص ٤٥١. (المترجم)

عنده...". فهذا الخبر أيضاً يدل على أنه حتى عهد الإمام المذكور - على أقل تقدير - لم يكن لقبر الإمام عليّ (ع) أي بناء أو فناء أو قبة أو ضريح، بل تمّ بناء هذه الأبنية فيما بعد من قبل السلاطين الجبّارين وأصحاب السلطة الذين يعزّون الناس.

لكن رغم ذلك فإن مؤلّف «المفاتيح» كتب أن أحد آداب الزيارة تقييل عتبة الحرم، أو كتب في البند العشرين من آداب زيارة حرم الإمام الحسين:

"قال السيّد ابن طاووس (رحمه الله) يُستحبُّ للمرء إذا فرغ من زيارته (ع) وأراد الخروج من الروضة المقدّسة أن ينكبّ على الصّريح ويُقبّله.... الخ!"^(١)

هذا في حين أن تلك الأضرحة - كما أوضح كتاب «زيارت وزيارتنامه» [زيارة المزارات وأدعية الزيارات] - بناها الأمراء الجبابرة والخادعين للعوام من المال الحرام أو المال الذي فيه شبهة بعد زمن الأئمة ولا علاقة لعمليهم بالدين.

ويقول مؤلّف «المفاتيح» في آداب الزيارة (ص ٣١٥)^(٢): "الخامس والعشرون: الإنفاق على سدنة المشهد الشريف..!!"

لكن هذا الكلام ضدّ ما أمر به الأئمة. فمن حيث المبدأ إذا نذر شخص نذراً للكعبة فإن عليه أن يعطي نذره للحجّاج الذين نفق زادهم أو سُرقت أموالهم أو أضاعوها أو كانوا فقراء من الأساس، لأن الكعبة لا تحتاج إلى المال. وقد جاء في وسائل الشيعة (ج ٩، الباب ٢٢ من أحكام الطواف) عدة أحاديث عن رسول الله ﷺ و حضرات الصادقين - عليهما السلام - مضمونها أن من أهدى أو نذر شيئاً للكعبة فليقم ويُناد في زوّار بيت الله الحرام ألا من قَصَرَتْ بِهِ نَفَقَتُهُ أَوْ قَطَعَ بِهِ طَرِيقُهُ أَوْ نَفَدَ طَعَامُهُ فليأت... ثم يعطي كُلَّ مُنْقَطِعٍ بِهِ وَكُلَّ مُحْتَاجٍ مِنَ الْحُجَّاجِ مِنَ الْمَالِ الذي نذره للكعبة، ولا يعطي لِحَجَبَةِ الكعبة وسدنتها منه. والحكمة في ذلك أن لا يزداد عدد الأشخاص الطُفيليين العاطلين عن العمل الذين يكسبون المال تحت اسم خُدام الحرم و حَجَبَتِهِ

(١) مفاتيح الجنان (النسخة العربيّة)، ص ٥٤٢. (المترجم)

(٢) مفاتيح الجنان (النسخة العربيّة)، ص ٤١٦. (المترجم)

وينصرف الناس إلى أعمال أكثر فائدة وأن لا يُقدم أشخاص كثيرون أكثر مما يلزم على العمل في خدمة نظافة المسجد وأن تكون نيَّتُهُمْ إذا اتَّجَّهُوا إلى هذا العمل التقرب إلى الله بخدمة بيته لا اتِّخَاذ ذلك باب رزق لكسب الأموال من الناس (فَتَأَمَّلْ).

يجب على القارئ المحترم أن ينتبه إلى أن المسؤولين عن إدارة المراقد الأئمة وأضرحتهم وخُدَّام العتبات والمزارات وأقربائهم ينتفعون كثيراً من تشييد هذه المزارات ومن إقبال الناس الجاهلين بالقرآن عليها وقد أدَّى هذا إلى بناء البيوت والدكاكين والفنادق حول المزارات وأدَّى الإقبال على شراء الأراضي المجاورة للمزارات إنشاء القبور فيها إلى ارتفاع أسعارها كثيراً، هذا إضافة إلى الأموال التي تُوقف على تلك البُقْع باسم النذور والصدقات والأوقاف مما يَصُبُّ في جيوب عددٍ مُعيَّنٍ من الأشخاص وهذه المنافع والمصالح هي التي تدفع أفراداً من مُضَلِّي العوام إلى ترويج زيارات القبور وحثِّ الناس عليها! (فَتَأَمَّلْ جداً).

ومع الأسف لا تختصُّ هذه المسألة بالناس في بلادنا بل يُشاهد مثلها في بلدان المسلمين الأخرى، كما ذكر ذلك الكاتب المصري المشهور «مصطفى لطفى المنفلوطي» في كتابه «المنظرات» حيث ذكر قيام عدد من الذين يَغُرُّون عوام الناس بإشاعة ما يُشبه تلك التوصيات بينهم عند زيارتهم لقبر «عبد القادر الجيلاني»!! جاء في كتاب «المنظرات»:

"على زائر قبر عبد القادر الجيلاني أن يتوضأ ويصلي ركعتين بخشوع وحضور للقلب، ثم يتوجه بوجهه إلى القبر الشريف وبعد السلام على صاحب القبر يقول: يا صاحب الثقلين(!!؟) أعنِّي على قضاء حاجتي وحلِّ مشكلتي وزوالِ حُزني وأمددني بمددك. أعنِّي يا محيي الدين يا عبد القادر، أعنِّي أيها الوليُّ عبد القادر، أعنِّي أيها السلطان عبد القادر، أعنِّي أيها الملك عبد القادر، أعنِّي يا خواجه عبد القادر.

نعم إن الناس يُقدِّمون لخدِّام الضريح مالاً وثيراً ويصرفون أموالاً طائلةً في أيام ولادته ووفاته.!" (فَتَأَمَّلْ)

وللأسف، فإن الناس لا يعلمون أن واضعي نصوص الزيارات تلك لم يكونوا أصحاب علم بالقرآن وغالباً ما نسبوا إلى القرآن أموراً غير صحيحة، ويظنُّ الناس أن لنصوص الزيارات هذه

أصل في الشرع ومُعتبرة شرعاً! فمثلاً جاء في «المفاتيح» في زيارة رسول الله ﷺ قول الزائر ضمن زيارته: "اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ إلهي فَقَدْ أَتَيْتُ نَبِيَّكَ مُسْتَغْفِرًا تَائِبًا مِنْ دُنُوبِي... الخ" (١).

لاحظوا كيف استنبط واضعو هذه الزيارة استنباطاً باطلاً من تلك الآية القرآنية الكريمة!! إذ يعلم من لهم معرفة بالقرآن وتفسيره أن الآية المذكورة تتعلق بالمنافقين الذين لم يرضوا بالتحاكم إلى رسول الله ﷺ ولم يقبلوا قضاءه فيما وقع بينهم من نزاع، وفضلوا التحاكم إلى يهودي وقضاءه بينهم فكان في ذلك إهانة كبيرة لرسول الله ﷺ وشريعته ودليل على كفرهم، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم تبين لنا بوضوح أن الآيات من ٥٩ إلى ٦٥ من سورة النساء تتحدث عن وقوع تنازع بين المسلمين وأنه يجب على المؤمن أن يستسلم لحكم الله ورسوله ويقبله من صميم قلبه وأن عدم قبول حكم الله وترجيح حكم آخر على حكم الله ورسوله دليل على عدم الإيمان، وَذَكَرَتِ الْآيَاتُ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ ارْتَكَبُوا مِثْلَ هَذَا الْإِثْمِ (٢). بناءً على ذلك فإن الآية ٦٤ من سورة النساء تتعلق بلا ريب بالمنافقين الذين آذوا رسول الله ﷺ وكان من الواجب عليهم وعلى كل من آذى النبي أثناء حياته الدنيوية أن يذهب إليه ويعتذر منه ويطلب منه السماح والعفو والمغفرة، وأن يطلب منه أن يستغفر الله له، ولا علاقة لهذه الآية بسائر المؤمنين. فهل كان سائر المؤمنين منافقين وآذوا النبي؟! هل اتجه المؤمنون جميعهم إلى رفض حكم النبي (ورفض التحاكم إلى الشرع) حتى يكون من الواجب

(١) روى هذه الزيارة كل من «الحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ» و «ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ» و «مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ» وقد عرفنا بالثلاثة في التنقيح الثاني لكتابنا «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، (ص ٢٩٨، ١٨٧ - ١٨٨، و ١٧٩ على الترتيب). وراجعوا بحار الأنوار، ج ٩٧، ص ١٥٠-١٥١.

(٢) حول هذه الآية من سورة النساء راجعوا ما ذكرناه من توضيحات في الصفحات ٢١٨ إلى ٢٢٨ من الكتاب الحاضر.

عليهم أن يذهبوا إلى صاحب الشريعة ويعتذروا منه ويطلبوا منه الغفران؟!!

ومن حيث المبدأ لم يأمر الله كل من أذنب في هذه الدنيا أن يذهب إلى رسول الله ﷺ ولم يقل إنه يجب على المذنبين بعد مئة سنة أو ألف سنة من رحيل رسول الله ﷺ أن يذهبوا إليه رغم أنه ليس في إمكانهم الوصول إليه!! وإذا كان المنافقون قد أمروا بالذهاب إلى النبي فإن القصد من ذلك في الآية هو أن يلتقي أولئك الأشخاص بحضرته شخصياً ويجلسوا في محضره المبارك ويطلبوا العذر منه من مسافة مُتعارف عليها ويدل على هذا أن الآية تقول بصراحة «جاؤوك» ولم تقل أنهم كانوا يُكلمون رسول الله ﷺ من على بُعد عدة أزقة وشوارع!! بناءً على ذلك فإن الآية المذكورة تتعلق بزمن الحياة الدنيوية للنبي ﷺ ولا علاقة لها بما بعد رحيله عن الدنيا، أما ما يفعله الناس اليوم فهم لا يذهبون إلى لقاء النبي ذاته ﷺ بل يذهبون إلى جوار مرقدته ومن المعلوم أن مرقد الشخص غير ذات الشخص. أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟!!

هل تعتقدون أن الآيات التي تقول: ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۝ وَهُوَ يَخْشَى ۝ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۝﴾ [عبس : ٨، ١٠] تدل على أنه لو جاء شخص اليوم أيضاً إلى قبر النبي فإن النبي سيتلهى عنه ويتصدى للاهتمام بشخص آخر؟! لا ريب أن كل عاقل مُنصف يعلم أن هذه الآية مُتعلقة بزمن النبي ولا يعتبرها شاملةً لغير ذلك من الموارد. بناءً على ذلك فلماذا تجعلون الآية ٦٤ من سورة النساء التي لا اختلاف بين المسلمين في شأن نزولها، عامّةً شاملةً لجميع الأزمنة، دون دليل على ذلك؟!!

وعلى كل حال فليس المطلوب ممن كانت له حاجة أو أراد التوبة أن يذهب إلى قبر النبي أو الإمام. ولكن انظروا كيف استنبط صنّاع الزيارات من تلك الآية القرآنية الكريمة نتيجة باطلة؟! نعم، يقول قساوسة النصارى إن كل من أذنب فعليه أن يذهب إلى القسيس ويعترف أمامه كي يغفر الله له ذنبه. وفي نظرنا لا يُستبعد أن يكون بعض الأفراد من اليهود والنصارى والمجوس قد قاموا بعد إظهارهم الإسلام ببيت عقائدهم بين المسلمين بصورة أحاديث أو نصوص زيارات، أما القرآن الكريم فإن الله تعالى قال لنا فيه -خلافاً لقول النصارى- إنه أقرب إلينا من جبل الوريد وأنه يجب على كل إنسان أن يستقيم إلى الله ويتوجه إليه دون واسطة ويدعوه مباشرة كما

قال تعالى: ﴿فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦] ^(١).

وقال صاحب «المفاتيح» في الأدب الثالث عشر من آداب الزيارة: "أن يقف للزيارة مستقبلاً القبر مُستدبراً القبلة وهذا الأدب مما يخص زيارة المعصوم على الظاهر!!" من هذا يتبين أن الغلاة يُرجّحون القبر على القبلة!! وأتى الشيخ عباس برواية عن «علي بن يقطين» فيها أنه ركب من البقيع في المدينة جملاً مسرّجاً وانطلق به إلى الكوفة فطوى الأرض ووصل إلى بيت إبراهيم الجمال في الكوفة من ليلته ثم عاد في الليلة ذاتها إلى المدينة!!

هذا في حين أن النبي الأكرم ﷺ لم يطو الأرض في هجرته من مكة إلى المدينة بل استغرقت هجرته عدة أيام، فكيف يذهب علي بن يقطين إلى الكوفة ويعود منها بطي الأرض!!؟ ولا يخفى أن هذه القصة منقولة من كتاب «عيون المعجزات» المليء بالروايات الموضوعية الفاقدة لأي سند صحيح.

وكتب مؤلف «المفاتيح» تحت عنوان الأدب التاسع من آداب الزيارة:

"أن يقف على باب الحرم الشريف ويستأذن ويجهت لتحصيل الرقة والخضوع والانكسار والتفكير في عظمة صاحب ذلك المرقد المنور وجلاله، وأنه يرى مقامه ويسمع كلامه ويرد سلامه".

لكن هذا الكلام مخالف للقرآن الذي قال: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ [سورة النمل: ٨٠ والروم: ٥٢]، وقال كذلك: ﴿... وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ ۗ﴾ [فاطر: ٢٢]. ومخالف لكلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي قال عن أهل القبور: "وَأَصْبَحَتْ مَسَاكِينُهُمْ أَجْدَاثًا، وَأَمْوَالُهُمْ مِيرَاثًا، لَا يَعْرِفُونَ مَنْ أَتَاهُمْ وَلَا يَحْفَلُونَ مَنْ بَكَاهُمْ وَلَا يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ..". (نهج البلاغة، الخطبة ٢٣٠) ^(٢).

- (١) لأن الله قريبٌ يُجيب دعوة الداعي إذا دعاه كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۗ﴾ [البقرة: ١٨٦] (المترجم).
- (٢) راجعوا كتاب «زيارات وزيارتنامه» [زيارات المزارات وأدعية الزيارات] ص ١٩٩ و ٢٠٠.

ولكن الأعجب من كل ذلك أن صاحب «المفاتيح» يوصي الزائر في الأدب السادس عشر من آداب الزيارة "أن يزور بالزيارات المأثورة المروية عن سادات الأنام (عليهم السلام) ويترك الزيارات المخترعة التي لفقها بعض الأغبياء من عوام الناس فأشغل بها الجهال"^(١).

وليت شعري! هل أورد الشيخ عباس نفسه في كتابه شيئاً سوى آداب وزيارات مخترعة؟! وقد بينا في كتاب «زيارت وزيارتنامه» [زيارة المزارات وأدعية الزيارات] عدم صحة كثير من الزيارات التي جمعها الشيخ عباس في المفاتيح. (فلترجع ثمّة).

ثم كتب الشيخ عباس تحت البند ٢٦ من آداب الزيارة يقول:

"السادس والعشرون: الإنفاق على المجاورين لتلك البقعة من الفقراء والمساكين المتعففين والإحسان اليهم لاسيما السادة وأهل العلم المنقطعين الذين يعيشون في غربة وضيق وهم يرفعون لواء التعظيم لشعائر الله..."^(٢).

وعلينا أن نقول للشيخ عباس: أيها الرجل الخرافي! إن الأعمال والشعائر التي ابتدعها الخرافيون والمبتدعون حول قبور الأئمة والصالحين ليست شعائر الله بل شعائر الناس وشعائر الخرافيين والمبتدعين وشعائر أصحاب الدكاكين المذهبية أما النبي والأئمة فهم بريئون من هذه الشعائر.



(١) مفاتيح الجنان (النسخة المعربة)، ص ٤١٥. (المترجم)

(٢) مفاتيح الجنان (النسخة المعربة)، ص ٤١٦. (المترجم)

الفصل الثاني [من مفاتيح الجنان]: في ذكر الاستئذان للدخول إلى الروضات الشريفة

عنونه الشيخ عباس بعنوان: "في ذكر الاستئذان للدخول في كل من الروضات الشريفة"، لذا نسأله: هل يحتاج من أراد زيارة قبر إلى إذن للدخول؟ وإن كان عليه الاستئذان للدخول فمن الذي سيأذن له؟

يقول صاحب «المفاتيح»: "الأول: إذا أردت دخول مسجد النبي (ﷺ) أو أحد المشاهد الشريفة لأحد الأئمة (عليهم السلام) فقل: اللَّهُمَّ إِنِّي وَقَفْتُ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ بُيُوتِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ،... وَأَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَكَ وَخُلَفَاءَكَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَحْيَاءٌ عِنْدَكَ يُرَزَقُونَ، يَرُونَ مَقَامِي، وَيَسْمَعُونَ كَلَامِي، وَيَرُدُّونَ سَلَامِي..... الخ"^(١). فنسأل: هل تريد القول إن قبور الأئمة وأحفاد الأئمة هي «بيوت النبي صلوات الله عليه وآله»!! أليس هذا كذب محض؟! هل لا يزال بيت رسول الله (ﷺ) باقياً حتى اليوم؟! هل كان صحابة رسول الله يزورون قبره المطهر ويطلبون منه الإذن لزيارة قبره؟!!

ثم إنه رغم أن أئمة الدين والصالحين أحياء عند ربهم ولكن حياتهم هذه في دار البقاء وعند

(١) العجيب أن الشيخ عباس نفسه يقول: "في روايات عديدة أن النبي (ﷺ) يبلغه سلام المسلمين عليه، وصلوات المصلين عليه حيثما كانوا، وفي الحديث أن ملكاً من الملائكة قد وكل على أن يرد على من قال من المؤمنين صلى الله على محمد وآله وسلم فيقول في جوابه: «وعليك»، ثم يقول الملك: يا رسول الله! إن فلاناً يقرئك السلام، فيقول رسول الله (ﷺ): «وعليه السلام» (مفاتيح الجنان، ص ٣٣٠) [أو في ص ٤٣٦ من النسخة المعربة. (المترجم)].

فنسأل الشيخ: كيف تقول إذن أيها الشيخ إن الأئمة يرون مقامي ويسمعون كلامي، مع أنك تقرُّ هنا بأن رسول الله (ﷺ) نفسه لا يرى الزائر ولا يسمع كلامه بل الله تعالى خصَّص ملكاً وظيفته أن يخبر النبي بسلام من سلم عليه؟! أفلا تعقلون؟! (فتأمل).

رَبِّهِمْ لَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ. فَهَمَّ «أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» [آل عمران: ١٦٩] وليسوا «أحياءَ عِنْدَ خَلْقِهِ أَوْ عِنْدَ قُبُورِهِمْ!» (فتأمل). ولم يكن رسول الله ﷺ - رغم أن مقامه أعلى من الجميع - علياً بكل شيء عندما كان حياً بين الناس في هذه الدنيا الفانية قبل رحيله عنها، ولم يكن يرى كل مكان في آنٍ واحد، ولم يكن قادراً على أن يُجيب عدة أشخاص في وقت واحد، وليس من وظيفة النبي أو الإمام أن يكون مُطَّلِعاً على ما يجري في كل مكان وعالمًا بكل شيء. أضف إلى ذلك أن الله تعالى وصف أوليائه الأحياء المُنعمين عنده بأنهم: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي أن أولياء الله الصالحين هم في دار البقاء لا خوف عليهم ولا حزن يعتريهم. في حين أنهم لو كانوا مُطَّلعين على أحوال أهل الدنيا الفانية وأقوالهم، لأصابهم الحزن والغم على الدوام.

بناءً على ذلك يُعلم أن ما لَقَّه أهل العُلُوِّ مثل الكفعمي وأمثاله مُعارض للقرآن، لأن القرآن قال إن أنبياء الله لا علم لهم بالدنيا بعد رحيلهم عنها وأنهم يوم القيامة يقولون: لا علم لنا بأحوال الأمة بعد أن تَوَفَّيْتَنَا (البقرة: ٢٥٩، والمائدة: ١٠٩ و١١٧).

ثم يقول الشيخ عباس مُبيناً ألفاظ طلب إذن الدخول إلى قبر أمير المؤمنين: ".... أَدْخُلْ يَا مَوْلَايَ؟ أَدْخُلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ أَدْخُلْ يَا حُجَّةَ اللَّهِ؟!..." في حين أن القرآن يبيِّن لنا أنه ليس للناس بعد الأنبياء حُجَّةٌ (النساء: ١٦٥) كما صرَّح أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً أن الحُجَّةَ الإلهية أختتمت بالنبي ﷺ فقال: "كَمَتَ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ حُجَّتَهُ". (نهج البلاغة، الخطبة ٩١).

ثم يقول الشيخ عباس: "ثُمَّ قَبْلَ الْعَتَبَةِ الشَّرِيفَةِ وَأَدْخُلْ". هذا مع أننا نعلم أنه لم يكن زمن الأئمة عتبة لقبورهم حتى يأمرونا بتقبيلها بل إن الملوك الظلمة، والوزراء اللصوص هم الذين بنوا كل تلك الأضرحة والمقابر ذات الأبهة والفخامة والجلال!!

ثم ما هو سند الكفعمي وأمثاله ودليلهم على أذون الدخول تلك؟! وليت شعري! هل يملك الكفعمي حق التشريع ويحق له أن يضيف شيئاً إلى تعاليم الإسلام؟! لماذا لم يذكر الكفعمي لنا سند ما يدَّعيه ودليله؟

ثم يضيف مؤلف «المفاتيح» قائلاً: " [إذن الدخول] الثاني: [هو] الاستئذان الذي رواه المجلسي (قُدَّسَ سِرُّهُ) عن نسخة قديمة من مؤلفات الأصحاب للدخول في السرداب المقدس

وفي البقاع المنورة للأئمة (عليهم السلام) "!! انتهى.

ونسأله: أي نسخة قديمة؟ ولماذا لم تذكر لنا اسم مؤلفها؟ هل مثل هذا يُعدُّ سنداً ودليلاً شرعياً؟! هل مجرد كون نسخة ما قديمةً يوجب شرعيتها؟ أفلاً تعقلون؟!

ومن الطريف أنه لفق ما شاء من أمورٍ، ضمنَ إذن الدخول هذا، لا تتفق مع الدين ولا ما التاريخ، مثل قوله: "اللَّهُمَّ فَلكَ الْحَمْدُ وَالثَنَاءُ... كما جَعَلْتَ نَبِيَّنا خَيْرَ النَّبِيِّينَ،... وَمُلُوكِنا أَفْضَلَ الْمَخْلُوقِينَ...". فالجملة الأخيرة واضحة الكذب إذ نعلم جميعاً أن ملوكنا لم يكونوا أفضل المخلوقين! أو قوله: "فَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سَادَةِ غَائِبِينَ، وَمِنْ سُلَالَةِ طَاهِرِينَ، وَمِنْ أُمَّةٍ مَعْصُومِينَ...". مع أن الأئمة أنفسهم لم يعتبروا أنفسهم معصومين! أو قوله: "وَاللهُ أَكْبَرُ الَّذِي أَظْهَرَهُمْ لَنَا بِمُعْجِزَاتٍ يَعْجِزُ عَنْهَا الثَّقَلَانِ...!!" ونسأل بأي معجزة أظهر الله تعالى لنا الإمام الحسن (ع) مثلاً؟ ومتى قال الإمام الحسن (ع) عن نفسه: أنا حُجَّةُ الله؟! ثم العجيب أنهم يطلبون إذن الدخول ثم يدخلون دون أن يأذن لهم أحد؟! أفلاً تعقلون؟!



الفصل الثالث [من مفاتيح الجنان]: في زيارة النبي والزَّهراء والأئمة بالبقيع

ثم يقول الشيخ عباس [في بداية الفصل الثالث^(١)] الصفحة ٣١٨:

"اعلم أنه يُستحبُّ أكيداً لكافة النَّاسِ ولا سيَّما للحجَّاجِ أن يتشرَّفوا بزيارة الرّوضة الطَّاهرة والعتبة المنوّرة لمفخرة الدَّهر مولانا سيّد المرسلين محمّد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، وترك زيارته جفاء في حقّه يوم القيامة. وقال الشَّهيد (رحمه الله): فإن تَرَكَ النَّاسُ زيارته فعلى الإمام أن يجبرهم عليها، فإن ترك زيارته جفاءً محرّمٌ...!!"

عندئذٍ إذا سأل أحدٌ هؤلاء المُبتدعة: لو أن شخصاً مؤمناً كان يقطن في قبيلة بعيدة عن المدينة أثناء الحياة الشريفة لرسول الله ﷺ في هذه الدنيا ولم يقم بزيارته ﷺ هل كان يُعتبر مُجافياً للنبي؟ فلن يجيبوه عن سؤاله سوى بإثارة اللغظ والصيحاح واتِّهامه والافتراء عليه! من هذا يتبيّن على أحوال أصحاب النبي وأعمالهم بعد رحيله ﷺ^(٢) أو تجاهل ذلك كي يُثبت صحّة خرافاته!!

ثم أورد الشيخ عباس عقب ذلك مباشرةً (ص ٣١٩) حديثاً غير معتبر راويه «إسماعيل بن مهران»^(٣) ادّعى فيه أن الإمام الصادق (ع) قال: "إِذَا حَجَّ أَحَدُكُمْ فَلْيَخْنِمِ حَجَّهُ بِزِيَارَتِنَا لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ تَمَامِ الْحَجِّ". (بحار الأنوار، ج ٩٧، ص ١٣٩). أو ادّعى نقلاً عن راويين ضعيفين هما: «هارون بن مسلم» و«مسعدة بن صدقة»^(٤) أن رسول الله ﷺ قال: "مَنْ زَارَنِي حَيًّا أَوْ مَيِّتًا

(١) تحت عنوان: "في زيارة النبي والزَّهراء والأئمة بالبقيع صلوات الله عليهم أجمعين في المدينة الطيبة". مفاتيح

الجنان (النسخة المُعرَّبة)، ص ٤٢١. (المترجم)

(٢) يُراجع الكتاب الحاضر، حاشية الصفحة ١٩٨، وكتاب «زيارات و زيارتنامه» [زيارة المزارات وأدعية الزيارات] الصفحة ١٢ فما بعد.

(٣) عرّفنا بحاله في كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، ج ٢، ص ٦٦٢ - ٦٦٣ و ٨١٣.

(٤) عرّفنا بحاله في كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، ج ١، ص ٢١٦ - ٢١٧.

كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١). وقد بيَّنا عيوب هذه الأحاديث وسائر الأحاديث التي جاءت في هذا الفصل في كتاب «زيارت وزيارتنامه» (ص ٢٣٠ فما بعد) فلا نُكْرِرُ ذلك هنا.

للأسف، يسعى مُجَارِ الخرافات دائماً أن لا يعلم الناس أن تعيين الشفيع وتكليفه بالشفاعة أمرٌ منوطٌ بالله وحده وليس متروكاً للناس، وأن الأنبياء والأولياء بعد انتقالهم من دار الفناء إلى دار البقاء لا تبقى لهم صلة بهذه الدنيا الفانية ومُجرياتِها. وأن الأئمة أنفسهم الذين يحثُّ مُجَارِ الخرافاتِ الناسَ دائماً على ويُرغِّبونهم زيارة مراقدهم بذلك قد صرَّحوا بما يُخالف هذا الأمر!! من ذلك قول الإمام الباقر (ع): "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْإِسْتِغْفَارُ لَكُمْ حِصْنَيْنِ حَصِينَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ، فَمَضَى أَكْبَرُ الْحِصْنَيْنِ وَبَقِيَ الْإِسْتِغْفَارُ؛ فَأَكْثَرُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ مِنْحَةٌ لِلذُّنُوبِ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]"^(٢). (بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٢٧٩ و ٢٨١). بناءً على ذلك لا يمكننا اليوم الوصول إلى شخص رسول الله ﷺ وعلينا إذا أذنبنا أن نستغفر الله أنفسنا.

فصل: زيارة الزهراء (ع) في المدينة

ورغم ما سبق، نجد الخرافيين مثل مؤلف «المفاتيح» يحضون الناس، للأسف، على زيارة مراقد أولياء الدين الصالحين ومن جملتهم حضرة فاطمة الزهراء (ع) التي لا يَعْلَمُ أحدٌ موضع قبرها، ويذكر: أن هناك ثلاثة أمكنة يُحتمل أن يكون قبرها فيها، ويقول: "ومن زارها في هذه الثلاثة مواضع كان أفضل!!"^(٣)، ويحثُّ على قراءة جمل ركيكة^(٤) في زيارتها!! مثلاً جاء في الزيارة التي ذكرها مخاطبة الزائر لحضرة الزهراء بقوله: "فَاتَا نَسَأَلُكَ إِنْ كُنَّا صَدَقْنَاكَ إِلَّا أَلْحَقْتِنَا بِتَصَدِيقِنَا لَهُمَا!!" وليت شعري! هل الأئمة مأمورون بإيصال الناس إلى مقامات مختلفة في

(١) هذا الحديث الموضوع أصله في كتاب «قرب الإسناد» للحميري، ص ٣١، ونقله عنه صاحب الوسائل

والبحار وغيرهما. انظر مثلاً بحار الأنوار، ج ٩٧، ص ١٣٩. (المترجم)

(٢) راجعوا الصفحة ١٨٧ من الكتاب الحالي.

(٣) مفاتيح الجنان (النسخة المُعَرَّبَة)، ص ٤٢٤. (المترجم)

(٤) راجعوا الصفحة ٦٨ من الكتاب الحالي.

الآخرة؟! وهل وقوف الإنسان ساعةً مقابل قبر حضرة الزهراء وتملّقه لها وتزلفه إليها يُعجبها ويجعلها ترضى عنه وتسعى لرفع مقامه عند الله؟! أضف إلى ذلك أن الأموات ليس لهم الأذن التي يسمعون بها الأصوات الطبيعية في هذا العالم وهم لا يستطيعون السماع دون آلة السمع، والله وحده هو الذي لا يحتاج إلى آلة للسمع، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف الحق تعالى: "وَالسَّمِيعُ لَا بِأَدَاةٍ وَالْبَصِيرُ لَا بِتَفْرِيقِ آلِهَةٍ" (نهج البلاغة، الخطبة ١٥٢)، وقال: "بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْحَاسَةِ" (نهج البلاغة، الخطبة ١٧٩). أما سائر الكائنات فهي بحاجة إلى آلة خاصّة لأجل الرؤية والسمع.

ولكننا نعلم أن واضعي هذه الزيارات ليس لديهم آذان صاغية لهذه الحقائق، لأن غرضهم، إضافةً إلى الانتفاع، إيجاد الفرقة بين المسلمين كي يتعدوا عن بعضهم فتضعف قوتهم. كما نقرأ في زيارة حضرة الزهراء (ع) (ص ٣٢٣)^(١) بعد مقدار من التملق والتزلف إلى تلك السيدة الطاهرة المطهرة: "وَمَنْ جَفَاكَ فَقَدْ جَفَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَمَنْ آذَاكَ فَقَدْ آذَى رَسُولَ اللَّهِ..... أَشْهَدُ اللَّهَ وَرُسُلَهُ وَمَلَائِكَتَهُ أَنِّي رَاضٍ عَمَّنْ رَضِيَ عَنْهُ، سَاخِطٌ عَلَى مَنْ سَخِطَ عَلَيْهِ، مُتَبَرِّئٌ مِمَّنْ تَبَرَّأَتْ مِنْهُ.....!".

يُريد هذا الزائر أن يقول: إن أصحاب أبيك الذين تعلموا وتربوا على يديه سنوات طويلة، أي المهاجرين والأنصار الذين مدحهم الله تعالى في آيات عديدة من كتابه، قد جفوك وعلينا أن نظهر العداوة تجاه أولئك الأشخاص كي نُفرح قلوب أعداء الإسلام!! وعليه فلو فرضنا -على سبيل الفرض المحال- أن فاطمة (ع) بُعثت اليوم وعادت إلى الدنيا الفانية وقالت: لست حاقدةً على أحد ولست ساخطةً على أحد، وكُفوا عن إثارة هذه الضجّة والفتنة ومدوا أيدي الوحدة والاتحاد بعضكم إلى بعض، واسعوا في حلّ مشكلات الإسلام والمسلمين، لأجابوها قائلين: كلا! يجب عليك أن تكوني ساخطةً! فإن رضيت فنحن غير راضين!! نعم! لأن ازدهار تجارتهم رهين باستمرار هذه الاختلافات والأحقاد!

(١) مفاتيح الجنان (النسخة المعرّبة)، ص ٤٢٥. (المُترجم)

سمعتُ مرّةً قارئاً مرثيةً يقرأ في مأتمِ حضرة الزهراء (ع) البيت التالي (بالفارسية):

عَمَر دَر زِد به پهلويش شكست از كينه بازويش... الخ
أي: ضرب عَمَرُ خاصرتها بالباب وكسر من حقه عضدها... الخ

فلما نزل من المنبر قلتُ له: إن جميعَ مؤرّخي الشيعة ومُحدّثيهم مُتفقون على أن عليّاً (ع) أنكحَ الخليفةَ الثاني عمرَ بن الخطاب ابنةَ حضرة فاطمة (ع) ذاتها [أي أم كلثوم] (الكافي، ج ٢، ص ٣١١، طبع الهند، تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي، ج ٣، ص ٣٨٠، ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب، ج ٣، ص ١٦٢، ومسالك الأفهام للشهيد الثاني، باب النكاح، طبع إيران وسائر الكتب المعتمدة الأخرى). ووُلِدَ لأمير المؤمنين عليّ (ع) من عُمَر حفيدين باسم: زيد الأكبر ورُقَيّة. ثم قلتُ لقارئ المرثية هذا: لو كان ما تقوله صحيحاً فكيف أقدم عليّ على هذا العمل وأنكحَ ابنةَ حضرة الزهراء (ع) قاتلَ أمّها، وكيف رضيت ابنةَ فاطمة بهذا العمل وتزوَّجت قاتلَ أمّها؟ وكيف رضي أخو أم كلثوم حضرات الحسين ذوي الشهامة والنخوة بزواج أختها من قاتل أمهما؟! فقال في الإجابة: لم أكن أعلم هذا الأمر!! وأقول: آه! ما الحيلة مع مثل هؤلاء الجاهلين إلى هذا الحدِّ، ورغم جهلهم يقرؤون المراثي ويأخذون على ذلك الأموال من الناس ويثنون كلَّ سَنَةٍ الفرقة والعداوة بين المسلمين؟!!

ثم في فصل «زيارة أئمة البقيع» ذكر الشيخ عبّاس في نصّ الزيارة قول الزائر خطاباً للأئمة: "يا مَوَالِيَّ يا أبنَاءَ رَسولِ اللهِ، عَبَدُكُمْ وَاثْنُ أَمَتِكُمْ الدَّلِيلُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ...!!" (١) هل من يقول مثل هذا الكلام يعرف رسول الله ﷺ وله أدنى اطلاع على سيرة ذلك النبي الكريم؟ كلا والله. هل كان رسول الله ﷺ يسمح لأصحابه أن يُخاطبوه بمثل هذه الصورة أم أنه كان سينهاهم عن ذلك حتماً؟ من هذا نعلم أن صنّاع تلك الزيارات لم يكن لهم أيّ معرفة بسيرة نبيّ الإسلام ﷺ وحضرة عليّ (ع) ولم يكونوا يعلمون أن أمير المؤمنين عليّ (ع) قال: "وَلَا تَكُنْ عَبْدَ عَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللهُ حُرّاً" (نهج البلاغة، الرسالة رقم ٣١).

(١) وذكر الشيخ عبّاس ما يُشبه هذا القول أيضاً في زيارة الإمام الحسين (ع) في العيدين.

والنموذج الآخر لجهل هؤلاء المُبتدِعِينَ أنهم يقولون في الزيارة: "وهذا مقامٌ من أسرفٍ وأخطأً
 وأسْتَكَانَ وَأَقَرَّ بِمَا جَنَى، وَرَجَا بِمَقَامِهِ الْخُلَاصَ، وَأَنْ يَسْتَنْقِذَهُ بِكُمْ مُسْتَنْقِذُ الْهَلْكِ مِنَ الرَّدَى،
 فَكُونُوا لِي شَفَعَاءَ.....!!" وينبغي أن نقول لهذا الجاهل الخرافي: أولاً: إن تعيين الشفيع واختياره
 خاصٌّ بالله وليس بأيدي عبيد الله (بل لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً). ثانياً: ألا تعلم أن رسول الله ﷺ وأئمة
 الإسلام الأجلاء الكرام ما كانوا يُجْبُونَ أثناء حياتهم الدنيوية أن يُفصح لهم الناس عن ذنوبهم
 وخطاياهم. فمثلاً إذا ارتكب أحدهم الزنا أو السرقة أو..... فجاء إليهم وأخبرهم عما اقترفت
 يدها وطلب منهم العفو والشفاعة أو إقامة الحدِّ عليه كي يتطهر من عواقب ذنبه وخطيئته كانوا
 يُعرضون عنه ولا يُعبرونه اهتمامهم، كما قال عليّ (ع): " ... مَا أَقْبَحَ بِالرَّجُلِ مِنْكُمْ أَنْ يَأْتِيَ بَعْضَ
 هَذِهِ الْفَوَاحِشِ فَيُفْصَحَ نَفْسُهُ عَلَى رُءُوسِ الْمَلَائِكَةِ أَقْلًا تَابَ فِي بَيْتِهِ؟ فَوَاللَّهِ لَتَوْبَتُهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ
 اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ إِقَامَتِي عَلَيْهِ الْحَدَّ..."^(١). فإذا كان الأمر كذلك فكيف يُمكن أن يرضى ذلك الإمام
 الجليل أن يحضر المسلمون بعد وفاته من أماكن بعيدة إلى قبره ليُقرُّوا أمامه بإسرافهم وخطئهم
 وجرمهم وذنوبهم ويطلبون منه نجاة أنفسهم؟! أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟!

يجب أن نقول للأشخاص الذين ضلُّوا الطريق وأذنبوا: اذهبوا وتوبوا توبةً صادقةً وقوموا
 بأعمالٍ خَيْرَةٍ تكفيراً عن ذنوبكم فإن الحسنات يُذهبن السيئات ولا تكشفوا عن ذنوبكم لأحد
 غير الله، لأنه لا يملك أحد غير الله إنقاذكم من العذاب كما قال تعالى لنبيِّه الكريم: ﴿أَقْمِنْ حَقِّي
 عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٧﴾﴾ [الزمر: ١٩]. فإذا كان رسول الله ﷺ
 لا يستطيع أن يُنقذ إنساناً من عذاب الله فكيف يُمكن للآخرين فِعْلُ ذلك؟! إن الذين يطلب
 الزَّوَارُ منهم إنقاذهم من عذاب الله هم أنفسهم خائفون من عذابه تعالى ولا يستطيعون أن
 يتكلَّموا دون إذن من الحق تعالى، وهم أنفسهم يبتغون إلى ربِّهم الوسيلة أي أعمال الخير التي
 تُقربهم منه تعالى، وَمِنْ ثَمَّ فبدلاً من تملُّقهم وإظهار الذل أمام مراقدهم يجب الاقتداء بأعمالهم
 واتباع أقوالهم.

(١) فروع الكافي، ج ٨، ص ١٨٨.

ثم أورد الشيخ عبّاس في الصفحة ٣٣٧^(١) أموراً بهدف ترغيب الناس بقراءة نصوص زيارات أئمة الدين وتشجيعهم على زيارة قبورهم. وينبغي أن نقول: أيها الخرافي الجاهل! اذهب وتعلّم القرآن والسنة والسيرة كي تعلم كيف كان عمل رسول الله ﷺ واعلم أن كلمات الآخرين ليست حُجَّةً عليك.

ثم ذكر الشيخ عبّاس زيارةً لشهداء أحد -رضوان الله عليهم- لم يأتِ المجلِّب لها بسند (بحار الأنوار، ج ٩٧، ص ٢٢١ و٢٢٢). ولا ندري هل كانت هذه التلفيقات وليدة الفراغ والبطالة أم كان وراءها هدف آخر؟ الله أعلم.

ثم روى في الصفحة ٣٣٩^(٢) عن أستاذه -الذي كان يعتقد بتحريف القرآن^(٣)- إن قبر رسول الله ﷺ والأئمة أشرف من الكعبة!! في حين أن النبي نفسه كان يذهب إلى زيارة الكعبة ويركع أمامها ويسجد. نعم هذه هي معلومات هؤلاء الغلاة!! ولا يخفى أن الشيخ عبّاس ذكر في الصفحة ذاتها حديثاً يدّعي أن الصلاة في مسجد النبي الأكرم ﷺ تُعادل عشرة آلاف صلاة في غيره من المساجد ولم يستثنِ المسجد الحرام (بحار الأنوار، ج ٩٧، ص ١٤٧، وفروع الكافي، ج ٤، ص ٥٥٦). ومن المثير للانتباه أن نعلم أن راوي هذا الحديث الكاذب «عدي بن الحكم» الذي كان أيضاً من القائلين بتحريف القرآن!! فَاغْتَرِبُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ؟



(١) مفاتيح الجنان (النسخة المَعْرَبَة)، ص ٤٣٩-٤٤٠. (المُترجم)

(٢) مفاتيح الجنان (النسخة المَعْرَبَة)، ص ٤٤٨. (المُترجم)

(٣) يقصد الحاج الميرزا حسين نوري الطَّبْرَيْبِي صاحب كتاب «مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل»، والذي ألّف كتاباً في إثبات تحريف القرآن سمّاه: «فصل الخطاب في تحريف الكتاب!!!» وقد ذكر بعض تلامذته كصاحب الذريعة (آقا بزرك الطهراني) وصاحب «أعيان الشيعة» (السيد محسن الأمين العاملي) أنه تراجع عن بعض ما فيه في آخر عمره واقتصر على القول بوقوع النقص في مصحف عثمان عن المصحف المنزل!! (وتوفي سنة ١٣٢٠ هـ). (المُترجم)

الفصل الرابع [من مفاتيح الجنان]: في فضل زيارة مولانا أمير المؤمنين علي (ع)

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: "هَلَكَ فِي رَجُلَانِ مُحِبُّ عَالٍ وَمُبْغِضُ قَالٍ"، وقال: "يَهْلِكُ فِي رَجُلَانِ مُحِبُّ مُفْرِطٍ وَبَاهِتٌ مُفْتَرٍ" (نهج البلاغة، الحكمة ١١٧ و ٤٦٩)^(١). ولحسن الحظ لا يوجد في زماننا أحد مُبْغِضٍ لِعَلِيِّ، ولكن المُحِبِّينَ الجاهلين - الذين هم أسوأ من الأعداء - كثيرون!! ولما كُنَّا قد تعرَّضنا في كتاب «زيارت وزيارتنامه» [زيارة المزارات وأدعية الزيارات] (ص ٢٥٩ فما بعد) إلى نقد الزيارات المذكورة في هذا الباب فإننا نُحيلُ القُرَّاءَ المحترمين إلى ذلك الكتاب ونذكر هنا على نحو الاختصار بعض الأمور في هذا الموضوع.

يقول الشيخ عباس: "فَإِذَا بَلَغْتَ بَابَ حِصْنِ التَّجْفِ فَقُلْ....."^(٢) في حين أنه لم يكن في زمن الإمام بَوَابَ للتجف بل لم تكن هناك قرية حتى يأمر الإمام بأننا إذا وصلنا إلى باب حصنها أن نقول كذا وكذا! من هذا يَتَبَيَّنُ أن جميع هذه الأقوال وُضِعَتْ في القرون اللاحقة!! أو يروي في فضل زيارة أمير المؤمنين حديثاً فيه: "... وَاللَّهِ يَا ابْنَ مَارِدٍ مَا يُطْعِمُ اللَّهُ التَّارَ قَدَمًا اغْبَرَّتْ فِي زِيَارَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (ع) مَا شِئًا كَانَ أَوْ رَاكِبًا.."^(٣).

بناءً على هذا الكلام فإن أهل العراق جميعهم من أهل الجنة ولن يرى أحدهم النار أصلاً، لماذا؟ لأنهم يزورون مرقد عليّ (ع)! في حين أنه لو التقى مسلمٌ بعليّ (ع) أثناء حياته أو زاره لم

(١) وجاء أيضاً عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قوله في هذا المعنى: "وَسَيَهْلِكُ فِي صِنْفَانِ مُحِبُّ مُفْرِطٍ يَذْهَبُ بِهِ الْخُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَخَيْرُ النَّاسِ فِي حَالًا التَّمَطُّ الْأَوْسَطُ، فَالزُّمُوهُ وَالزُّمُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ.....". (نهج

البلاغة، الخطبة ١٢٧) (المترجم)

(٢) مفاتيح الجنان (النسخة المعرّبة)، ص ٤٥٥. (المترجم)

(٣) مفاتيح الجنان (النسخة المعرّبة)، ص ٤٥٠. والحديث رواه الشيخ الطوسي في التهذيب، ج ٦، ص ٢١-٢٢.

والمجلبّي في بحار الأنوار، ج ٢، ص ١٤٧ نقلاً عن كتاب فرحة الغري. (المترجم)

يكن ذلك موجباً لدخوله الجنة، لكن يبدو أن قبر الإمام في نظر الغلاة أكثر أهمية من الإمام نفسه!! ثم جاء في آخر الحديث: "يَا ابْنَ مَارِدٍ اكْتُبْ هَذَا الْحَدِيثَ بِمَاءِ الذَّهَبِ". نعم، يجب كتابة موضوعات هؤلاء الجاهلين الغلاة بماء الذهب لأنها تُؤدِّي دوراً مهماً في إضلال الناس وإبعادهم عن القرآن وتشغلهم بالخرافات وهذا كله يُعجب المستعمرين ويُسعدهم!

أو يروي الشيخ عباس خبراً لا اعتبار له يقول: "بِظَهْرِ الْكُوفَةِ قَبْرٌ لَا يَلُودُ بِهِ ذُو عَاهَةِ إِلَّا شَفَاهُ اللَّهُ"^(١) ولو سألهم سائل فقال: فلماذا إذن يذهب مراجع التقليد الساكنون في النجف إلى بلدان أوروبا للعلاج كلما أُصيبوا بمرض أو يُحْضرون لهم طبيياً من تلك البلدان، بدلاً من ذهابهم إلى مرقد حضرة عليّ (ع)؟! أضف إلى ذلك أن أمير المؤمنين عليه السلام نفسه كان يمرض! فكيف يكون الذهاب إلى قبره سبباً للشفاء؟! فيماذا يُجيبون؟ اللهم حلّ لنا هذا اللغز!

أو يقول: «اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا الْحَرَمَ حَرَمُكَ وَالْمَقَامَ مَقَامُكَ!!» أي هذا الحرم الذي بناه الظلمة بالمال الحرام أو المال الذي فيه شُبْهة هو حرمك يا الله! فليت شعري! هل علم الأئمة أنفسهم هذه الجمل للمؤمنين، وهل كان الأئمة يُزَكُّون أنفسهم ويرفعون من شأن ذواتهم إلى هذا الحد؟ وهل كانوا مُعجبين بأنفسهم ومُصابون بالغرور إلى هذا الحد؟ أم أن الوضّاعين نسبوا إليهم نصوص الزيارات هذه كذباً وزوراً؟ إن الذين وضعوا هذه الزيارات ما كانوا يعرفون الله حق المعرفة ولا كان لهم علمٌ بسيرة النبي والأئمة عليهم السلام.

وجاء في فصل «في الزيارات المطلقة» في وصف حضرة الأمير (ع) أن الزائر يقول: «انْتَجَبْتُهُ بِعِلْمِكَ وَجَعَلْتَهُ هَادِيًا لِمَنْ شِئْتَ مِنْ خَلْقِكَ وَالذَّلِيلَ عَلَى مَنْ بَعَثْتَهُ بِرِسَالَاتِكَ وَدَيَّانِ الدِّينِ..... الخ» أليس هذا الكلام كفراً؟ ألا يُخالِف كلام عليّ؟ إن لم يكن مثل هذا الكلام كفراً فما الكفر إذن؟! هل كان عليّ الذي كان يأمر بالافتداء بسنة النبي (نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٥) مُتبعاً لرسول الله ﷺ أم دليلاً للرسول؟^(٢) لماذا لم يعهد الله بهداية الأمة إلى دليل الأنبياء؟! أَفَلَا تَعْقُلُونَ؟!

(١) مفاتيح الجنان (النسخة المعرّبة)، ص ٤٥٠.

(٢) وقع المؤلف البرقي هنا بهفوة كبيرة إذ ظن أن معنى جملة: «وَالذَّلِيلَ عَلَى مَنْ بَعَثْتَهُ بِرِسَالَاتِكَ» أن علياً دليلٌ ومرشدٌ للنبي ﷺ والعياذ بالله، ولم يُفرّق بين الدليل للشيء، والدليل على الشيء، فالدليل على الشيء هو

لعنة الله على الذين أشاعوا بين المسلمين وأتباع القرآن كل خرافة وكل كلام باطل باسم المدائح والثناء والتمجيد وإظهار المحبة و..... يجب أن يتم إفهام الناس أن الإسلام ليس دين المدائح والنياحة والأعمال غير المنطقية وقد نهى رسول الله ﷺ عن مثل هذه الأعمال، كما قال: «احْثُوا فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ»^(١). وقال عن النياحة: «التَّيَّاحَةُ مِنْ عَمَلِ الْجَاهِلِيَّةِ»^(٢). و: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الرِّثَّةِ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ وَنَهَى عَنِ التَّيَّاحَةِ وَالِاسْتِمَاعِ إِلَيْهَا»^(٣). وعندما قُتِلَ جناب جعفر بن أبي طالب -رضوان الله عليه- قال النبي لفاطمة (ع): «لَا تَدْعِي بِذُلٍّ وَلَا تُكْلِي وَلَا حُزْنَ»^(٤). وجاء في الحديث أيضاً: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِفَاطِمَةَ (ع): إِذَا أَنَا مِتُّ فَلَا تَحْمِشِي عَلَيَّ وَجْهًا وَلَا تَنْشُرِي عَلَيَّ شَعْرًا وَلَا تُنَادِي بِالْوَيْلِ وَلَا تُقِيمِي عَلَيَّ نَائِحَةً»^(٥). وقال ﷺ: «لَعَنَ الْحَامِشَةَ وَجْهَهَا وَالشَّاقَّةَ جَيْبَهَا وَالِدَاعِيَةَ بِالْوَيْلِ وَالشُّبُورَ»^(٦). وقال ﷺ: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ

الذي يدل الناس ويرشد الآخرين إليه، فمعنى الجملة: إن الله جعل علياً دليلاً يرشد الناس إلى رسول الله وإلى سنته وشريعته. وهذا المعنى موضع اتفاق بين المسلمين فليس في هذه الجملة أي عيب فضلاً عن أن تكون كفرة!! والعجيب أن المرحوم البرقي علق على هذه الجملة غير المعيبة وترك التعليق على الجملة التي بعدها وهي وصف علي (ع) بأنه: "دَيَّانُ الدِّينِ بِعَدْلِكَ!!" مع أن الدَيَّانَ: اسمٌ من أسماء الله الحسنى، ومعناه: المحاسبُ المُجَازِي، والحكَمُ القاضي بين العباد يوم الدين. فنسبة هذه الصفة لغير الله هي الغلو المحض الذي لا يقبله الله ولا رسوله ﷺ ولا علي (ع). (المترجم)

- (١) وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ١٣٢، الحديث الأول.
- (٢) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٧٦. ووسائل الشيعة، ج ٢، ص ٩١٥.
- (٣) وسائل الشيعة، ج ٢، ص ٩١٥، وج ١٢، ص ٩١، وروى في مسند زيد (ص ١٧٥) عن علي (ع) أنه قال: "نهى النبي ﷺ عن النوح".
- (٤) وسائل الشيعة، ج ٢، ص ٩١٥، وج ١٢، ص ٩١.
- (٥) وسائل الشيعة، ج ٢، ص ٩١٦، وقال حضرة سيد الشهداء (ع) - مُتَّبِعاً سنة جده الكريم - لأخته زينب: "يا أختي! إِنِّي أَقْسِمُ عَلَيْكَ فَأَبْرِي قَسَمِي: لَا تَشُقِّي عَلَيَّ جَيْبًا وَلَا تَحْمِشِي عَلَيَّ وَجْهًا، وَلَا تَدْعِي عَلَيَّ بِالْوَيْلِ وَالشُّبُورِ إِذَا أَنَا هَلَكْتُ!". (الإرشاد، الشيخ المفيد، ج ٢، ص ٩٧).
- (٦) مُسَكَّنُ الْفُؤَادِ، زين الدين العاملي، ص ١٠٨. ومستدرک الوسائل، ج ١، ص ١٤٤.

حَلَقٌ، وَلَا مِنْ سَلَقٌ، وَلَا مِنْ حَرَقٌ، وَلَا مَنْ دَعَا بِالْوَيْلِ وَالشُّبُورِ" (١). وقال: "إِنَّمَا نَهَيْتُ عَنِ النَّوْحِ عَنْ صَوْتَيْنِ أَحْمَقَيْنِ فَاجِرَيْنِ صَوْتِ عِنْدَ نَعَمٍ لَعِبٍ وَلَهْوٍ وَمَرَامِيرِ شَيْطَانٍ وَصَوْتِ عِنْدَ مُصِيبَةٍ حَمْسٍ وَجُوهٍ وَشَقِّ جُيُوبٍ وَرَتَّةِ شَيْطَانٍ" (٢). وقال: "أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالظُّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ" (٣). ونهى النبي ﷺ الناس عن النياحة عندما استشهد عمه جناب حمزة بن عبد المطلب (ع) (٤). وقال: "صَوْتَانِ مَلْعُونَانِ يُبْعِضُهُمَا اللَّهُ إِعْوَالٌ عِنْدَ مُصِيبَةٍ وَصَوْتٌ عِنْدَ نَعْمَةٍ يَعْنِي النَّوْحَ وَالْغِنَاءَ" (٥). وقال أيضاً: "صَرَبُ الْمُسْلِمِ يَدُهُ عَلَى فَخْذِهِ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ إِحْبَابٌ لِأَجْرِهِ" (٦). وقال الإمام الباقر (ع) أيضاً: "أَشَدُّ الْحُزَنِ الصَّرَاخُ بِالْوَيْلِ وَالْعَوِيلِ وَالظُّمُّ الْوَجْهِ وَالصَّدْرِ وَجَزُّ الشَّعْرِ مِنَ النَّوَاصِي وَمَنْ أَقَامَ النَّوَاحَةَ فَقَدْ تَرَكَ الصَّبْرَ وَأَخَذَ فِي غَيْرِ طَرِيقِهِ" (٧).



إن سائر زيارات أمير المؤمنين علي عليه السلام التي جاءت في «المفاتيح» -وتعرضنا لنقدتها باختصار في كتاب «زيارات وزيارتنامة» [زيارة المزارات وأدعية الزيارات]- معيبة أيضاً لاسيما الزيارة السادسة التي جمعت كل ما أمكنها من عبارات كُفْرية وخرافية!! وأحد رواة هذه الزيارة هو «سيف بن عميرة» الذي لُعن على لسان الأئمة (٨). في هذه الزيارة وُصِفَ عليٌّ (ع) بأنه: «باب الله»

(١) مسند الإمام زيد، ص ١٧٥. وقد أورد الشهيد الثاني هذا الحديث في كتابه بالصورة التالية: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ صَرَبَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ" (مُسَكَّنُ الْفُؤَادِ، ص ١٠٨).

(٢) مستدرک الوسائل، ج ١، ص ١٤٤-١٤٥.

(٣) المصنّف، ج ٣، ص ٥٥٩. ووسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٩١. ومستدرک الوسائل، ج ١، ص ١٤٣.

(٤) المصنّف، ج ٣، ص ٥٦١.

(٥) مستدرک الوسائل، ج ١، ص ١٤٤.

(٦) الكليني، فروع الكافي، ج ١، ص ٢٢٤. وكذلك قال أمير المؤمنين علي عليه السلام أيضاً: "مَنْ صَرَبَ يَدَهُ عَلَى فَخْذِهِ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ حَبَطَ عَمَلُهُ" (نهج البلاغة، الحكمة ١٤٤).

(٧) فروع الكافي، ج ١، ص ٢٢٢.

(٨) وقد عرّفنا به في كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، في الصفحات ١٠٥ إلى ١٠٦.

وَ«عين الله» وَ«جنب الله» وَ«وجه الله» وَ«قسيم الجنة والنار» وَ.....، ثم اعتبر علياً «نور الأنوار» مما يُبين أن مُلْفَق هذه الزيارة كان من المُتأثرين بعقائد الفلاسفة اليونانيين الذين كانوا يقولون: إنَّ اللهَ خَلَقَ العَقْلَ الأوَّلَ أو نورَ الأنوار ثم خلق العَقْلَ الأوَّلَ كُلَّ شيءٍ أو خُلِقَ كُلُّ شيءٍ من نور الأنوار!! كما اعتبرت الزيارة علياً «حبل الله المتين» في حين أن أمير المؤمنين علي عليه السلام اعتبر أن القرآن هو «حبل الله المتين» (نهج البلاغة، الخطبة ١٥٦ و١٧٦ و١٩٠).

وجاء في هذه الزيارة أيضاً: «السَّلَامُ عَلَى الْأَصْلِ الْقَدِيمِ وَالْفَرْعِ الْكَرِيمِ. السَّلَامُ عَلَى الثَّمَرِ الْحَنِينِ». وهذا يُبين أن واضح هذه الزيارة مُتأثرٌ بالنصارى وقد دسَّ فكرة التثليث في هذه الزيارة! ويأتي الزائر الغافل ويقرأ الزيارة المذكورة ولا يدري أنها تتضمن عبارات مشوبة بالشرك، ويتقرب بقراءتها إلى الله!! ولقد ذكرنا في كتاب «زيارات وزيارتنامه» [زيارة المزارات وأدعية الزيارات] (الصفحة ٢٧٢) رأي الشيخ محمد حسن النجفي صاحب «الجواهر» بهذه الزيارة، لذا من الضروري قراءة الكتاب المذكور بشأن هذه الزيارة والزيارة السابعة؟

وفي فقرة «وداع الأمير عليه السلام» (الصفحة ٣٦٥)^(١) يقول الشيخ عبّاس:

"فإذا شئت وداعه فودعه بهذا الوداع الذي أوردته العلماءُ تلو ما ذكروه من الزيارة الخامسة".

إن مما يُثير العجب أن الخرافيين - من جهة - يعتبرون علياً حاضراً وناظراً في كل مكان ويدعونه ويُنادونه في كل الأحوال قائلين: «يا علي مدد»، ومن الجهة الأخرى يعتبرونه موجوداً في حرمه فقط فإذا غادروا الحرم ودّعوه!! والواقع أن كلا الأمرين خطأ لأن الإمام (ع) قد غادر هذه الدنيا المادية الفانية نهائياً وإلى غير رجعة بعد استشهاده وانتقل إلى دار البقاء ولم تعد له صلة بدنيا المادية وهو مُتَّعَم بنعم ربه.

(١) مفاتيح الجنان (النسخة المعرّبة)، ص ٤٧٨. (المُترجم)

المقصد الثاني: في زيارات الأمير (عليه السلام) المخصوصة

أورد الشيخ عباس تحت هذا العنوان زيارةً خاصةً بيوم عيد الغدير وذكر لها ثوابات عجيبة وغريبة، وناقل هذه الثوابات راوٍ غير موثوق يُدعى «ابن أبي نصر [البزنطي]»^(١) وقد تكلمنا في كتابنا الحاضر هذا (ص ٣٤٩ فما بعد) إلى حدٍّ ما على عيد الغدير وما يتعلّق به من مسائل فلا نُكرّر ذلك هنا، ونُحيل القُرّاء المحترمين إضافةً إلى ما ذكرناه هناك إلى الكتاب القيم «شاهراه النّجاد» [طريق النّجاد] ونأمل أن لا يغفلوا عن مطالعته.

للأسف، إن التأكيد والإصرار على مسألة الغدير بعد مئات السنين من عهد الخلفاء الراشدين ليس فيه أيّ منفعة لمسلمي عصرنا، فما الفائدة التي نجنّنها من الإصرار على إثبات خلافة زيد أو عمرو في هذا الزمن الذي وقعت فيه الفرقة بين المسلمين وأصبح أتباع كل مذهب يُعادون أتباع المذاهب الأخرى وصار المسلمون في غاية الضعف وتأخروا عن الشعوب الأخرى؟! ربما كان من الأفضل أن يستلم علي (ع) زمام الخلافة مباشرةً بعد رحيل رسول الله ﷺ، ولكن ما علاقة هذا الأمر بزمنا الحاضر؟ فهذا الأمر خرج الآن عن قدرتنا ولا نستطيع الآن أن نخلع أبا بكر من الخلافة ولا أن نوليها علياً (ع). ولهذا السبب جاء إرشاد القرآن لنا بشأن الأمم السابقة: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤ و ١٤١].

ألا ترون أيها الشيعة الذين تهتمّون ليل نهار وفي السر والعلن بأمر الخليفة أو الإمام المُحقّق وغير المُحقّق قبل ألف سنة، أن حُكّامكم اليوم أسوأ بكثير من حُكّام صدر الإسلام؟ فلماذا لا تهتمّون بيوكم هذا ولا تسعون إلى تحصيل حقوقكم؟!

نعم، لقد تمّ خلط الحق بالباطل في زيارات «المقصد الثاني» بهدف خداع عوام الناس وجاء في نصّ الزيارة -بحُجّة إظهار المحبّة والولاء لأمر المؤمنين (ع)- عبارات مفادها أنك آمنّت حين كان الآخرون مشركين، وصدقت حين كان الآخرون مكذّبين، وجاهدت ولم يجاهد الآخرون..... الخ.

(١) عرّفناه في كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، ص ٢٥٧.

وينبغي أن نقول: أحد هؤلاء الأفراد الفاقدين للإيمان هو واضع هذه الزيارة ذاته الذي أراد إثارة الفتنة، وإلا فأبي فائدة تعود علينا من إساءة الكلام بحق الأسلاف ومن ذمهم والقدح بهم بعد قرون متتالية من رحيلهم؟! نعم، من المعلوم أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا في البداية مشركين وكافرين ومكذّبين ولكنهم آمنوا بالتدريج وقَبِلَ اللهُ المَنانَ منهم إيمانهم بل أثنى على فريق منهم في كتابه. فما علاقتكم الآن بما كانوا عليه في الماضي؟ خاصة الأشخاص الذين ذكرهم أمير المؤمنين علي عليه السلام بالخير وأثنى عليهم.

لكن واضع هذه الزيارة أخذ بالتملُّق لأمير المؤمنين للوصول إلى مقصده -الذي لم يكن خيراً قطعاً- وأخذ يقول: "السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَ الوَصِيِّينَ وَيَا سَيِّدَ المُسْلِمِينَ وَيَا مَوْلَى المُؤْمِنِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا إِمَامَ المُتَّقِينَ، وَيَا سَيِّدَ الأَوْصِيَاءِ، وَيَا وَارِثَ عِلْمِ التَّيَّبِينَ (في حين أن العلم لا يورث وراثته)، أشهد أنك كذا وكذا... الخ".

وينبغي أن نقول: مهما كانت لأمر المؤمنين (ع) من فضيلة فهذا لا علاقة له بك يا واضع هذه الزيارة. إن حضرة الأمير (ع) كان يسعى أكثر من أي شخص آخر لأجل الوحدة الإسلامية واتحاد المسلمين وكان يبذل التضحيات في هذا السبيل، أما أنت فلا تسعى إلا في إيجاد الفرقة، فما علاقتك به؟! نعم، لقد اعتبر هذا المفرق للمسلمين آيات من القرآن مُحْتَصَةً بعلي (ع) وقال مثلاً: "أَشْهَدُ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ أَنَّ الشَّاكَّ فِيكَ مَا آمَنَ بِالرَّسُولِ الأَمِينِ!!" يريد أن يُصوِّرَ أن عَلِيّاً أصل من أصول الدين لأن الإيمان بأصول الدين جميعها واجب. هذا في حين أن عَلِيّاً كان يعتبر نفسه تابعاً للدين ولا يعتبر نفسه لا من أصول الدين ولا من فروعه. ثم قال واضع الزيارة: "الدِّينَ الْقَوِيمَ الَّذِي ارْتَضَاهُ لَنَا رَبُّ الْعَالَمِينَ وَأَكْمَلَهُ بِوَلَايَتِكَ يَوْمَ العَدِيدِ!!" وهذا افتراء على الله الذي قال: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الانعام: ١٤٤] لأن الله تعالى بيّن لنا أصول الدين بشكل واضح في القرآن ولم يذكر فيها موضوع الولاية^(١). (فتأمل جداً).

(١) راجعوا الصفحات ٣٠٦ - ٣١٨ من الكتاب الحاضر.

ثم قال: "أشهد أنك.... الصراط المستقيم!!" فنسأل واضح الزيارة: فهل كان عليّ (ع) يمزح عندما كان يقول في كل يوم مرّات عديدة في صلواته: اهدنا الصراط المستقيم، إذ كان هو نفسه الصراط المستقيم؟! أم أن عليّاً كان يقصد اللهم اهديني إلى نفسي؟! إن هذا يبيّن أن واضح هذه الزيارة لم يكن من أهل العلم بالقرآن الكريم الذي جاء فيه: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الانعام: ١٦١]. فبناءً على ما بيّنه القرآن الكريم لم يكن النبي ولا عليّ «الصراط المستقيم» بل كانا قد هُديا إلى «الصراط المستقيم» وكانا يدعوان الناس إلى «الصراط المستقيم».

ولو كان واضح هذه الزيارة على معرفة بالقرآن الكريم لأدرك أنه ليس من الأصلح في حقّ عليّ (ع) أن يُصوّر بأنه هو الصراط المستقيم لأن كتاب الله يقول: ﴿قَالَ فِيمَا أُعْوِيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الاعراف: ١٦]، فهل يُمكننا القول: إن الشيطان كان يقعد فقط على طريق عليّ (ع)؟! لاحظ أيها القارئ المحترم أيّ خيانة للقرآن الكريم قام بها واضح هذه الزيارة وكيف فسّر آيات الله برأيه، وكيف يُكرّر قوله في الزيارة إن كل من لا يؤمن بتلفيقاته هذه فهو ضالٌّ قد عدل عن الحق أو عاند الحق، هذا في حين أن الواقع أن واضح الزيارة ومُلفّقها هو الذي لم يكن له إيمان حقيقي بالله وكتابه وإلا لم يضع صفحات عديدة من الأمور الدينية وينسبها لأئمّة الدين الكرام.

نعم، لقد تمّ التلاعب في هذه الزيارة بمعاني كثير من آيات القرآن ومن جملتها الآية ١٥٣ من سورة الأنعام المكية^(١). ولو رجع القارئ المحترم إلى القرآن الكريم للاحظ أن الله تعالى قال في الآيتين اللتين قبلها: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقْتُمْ نَحْنُ نَرِزُقُهُمْ وَإِيَاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمُ وَصَلَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

(١) نصّ الآية هو: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَلَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. (المترجم)

وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَلِّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ [الانعام: ١٥١، ١٥٢].

ثم بعد ذلك قال: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَلِّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الانعام: ١٥٣].

فأولاً: هذه السورة مكية ولم تكن مسألة الولاية وخلافة عليّ (ع) مطروحة أصلاً في الفترة المكية من عهد الرسالة. ثانياً: كما لاحظتم لا علاقة للآيات المذكورة أعلاه بحضرة الأمير (ع) ورغم ذلك فإن واضح الزيارة يقول: "وَأَشْهَدُ أَنَّكَ الْمَعْنِيُّ بِقَوْلِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ: وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ!!" ومن ثم فقد لعب في الواقع بمعنى آيات القرآن. وكل من كان له أدنى معرفة بالقرآن يعلم أن النبي والإمام ليسا «الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» بل هما سالكا «الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» والهاديان إلى «الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ». كما قال تعالى لِنَبِيِّهِ [بعد أن تلا عليه ما حرّمه وما أمره به من وصايا]: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣]. ولم يقل: «وَإِنَّكَ لَأَنْتَ الصِّرَاطُ». (فلا تتجاهل).

ثم يقول: "لَعَنَ اللَّهُ مَنْ سَاوَاكَ بِمَنْ نَاوَاكَ"، وفي هذا الكلام مخالفة لأمر المؤمنين نفسه الذي قال في الخطبة ١٦٤ من نهج البلاغة مخاطباً عثمان: "إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي وَقَدْ اسْتَسْفَرُونِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا أَقُولُ لَكَ؟! مَا أَعْرِفُ شَيْئًا تَجْهَلُهُ وَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ أَمْرٍ لَا تَعْرِفُهُ، إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ مَا سَبَقْنَاكَ إِلَىٰ شَيْءٍ فَتُخْبِرَكَ عَنْهُ وَلَا خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَنُبَلِّغُكَ، وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) كَمَا صَحَبْنَا، وَمَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَلَا ابْنَ الْخَطَّابِ بِأَوْلَىٰ بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) وَشِجَّةِ رَحِمٍ مِنْهُمَا، وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صَهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالَا..... الخ".

وعلى كل حال، فإن الآيات التي أتى بها واضح الزيارة في نصّ زيارته إما آيات عامة وليست خاصة بعليّ (ع) وحده - هذا رغم أن عليّاً (ع) من أفضل مصاديق الآيات المذكورة - (فتأمل). أو أنها لا علاقة لها بحضرة الإمام أصلاً. فمثلاً يقول: "وَلَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِيكَ مِنْ قَبْلِ وَهْمٍ كَارِهُونَ ﴿يَنَاطِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ

وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾^(١). مع أن هذه الآيات لا تتعلق بعليٍّ (ع).

لننتبه إلى أن واضح الزيارة كان جاهلاً تماماً (أو معانداً جداً) فيما ذكره بشأن الآية ٥٤ من سورة المائدة، إذ لم يكن مُطَّلِعاً حتى على تفاسير الشيعة، وإلا لعلم أن هناك ١٣ طائفة -ثلاثة منهم في السنة الأخيرة من الحياة المباركة لرسول الله ﷺ والبقية في زمن خلافة أبي بكر- ارتدوا عن الإسلام ومنهم الأسود العنسي الكاهن في اليمن ومُسيلم الكذاب في اليمامة وطليحة بن خويلد من بني أسد و..... -المذكورين بالتفصيل في كتب التفسير والتاريخ- وقد حاربهم المسلمون في زمن خلافة أبي بكر فهزموهم جميعاً بفضل الله وبُصْرته وانتصر الإسلام. ويجب أن نلاحظ أن الفعل في الآية ٥٤ جاء في زمن المستقبل (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ...) ولما كانت سورة المائدة آخر سورة طويلة نزلت وأخبرت الآية عن ارتداد عدد من الناس وقد تحقق ما أخبر به القرآن عندما ارتدت جماعات من الناس -كما ذكرنا- في السنة الأخيرة من حياة رسول الله ﷺ وارتدَّ آخرون بعد رحيله ﷺ.

بناءً على ذلك فإن أوضح مصداق لقوله تعالى: «يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ» هم مجاهدو الإسلام زمن أبي بكر الذين حاربوا المرتدِّين. (فلا تتجاهل). ورغم أن الآية المذكورة غير منحصرة بحضرة عليٍّ (ع) إلا أن هذا لا يتنافى مع كون عليٍّ (ع) في صدر مصاديق الآية بسبب دعمه ومعاونته التامة لأبي بكر في الحروب المذكورة.

أما قول ذلك الفريق من علماء الشيعة الذين يقولون: إن مصداق الآية المذكورة عليٍّ (ع) الذي حارب أهل البصرة والشام، فهو قولٌ غيرٌ صحيح لأنه رغم أن حضرة الأمير حارب بشدة من خرجوا عليه وحاربوه إلا أنه لم يعتبرهم مُرتدِّين (فلا تتجاهل)، ولم يستأصلهم بل تعامل

(١) حول الآية ٥٥ من سورة المائدة من الضروري مراجعة «شَاهِرَاهُ اتِّحَادٍ» [طريق الاتِّحاد]، (ص ١٤٥ فما بعد)، و «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول» الصفحات ٣١٧ و ٤١١ إلى ٤١٤ و ٦٢٢ - ٦٢٣.

معهم كمسلمين ولم يقل عنهم إنهم كانوا كافرين أو مُرتدّين^(١)، في حين أن الآية التي تمّ الاستشهاد بها تتكلم عن المرتدّين ولهذا السبب عُرفت حروب أبي بكر في التاريخ بـ «حروب

(١) لو رجعنا إلى الكتب التي أُلّفت حول سيرة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام لرأينا أن حضرة الأمير لم يتعامل أبداً مع الذين حاربوه بوصفهم مُرتدّين وكفرة. وليس لديّ اليوم الكتب اللازمة لبيان هذا الأمر لذا سأقتل كنموذج فقط ما ذكره محمد بن جرير الطبري في وقائع سنة ٣٦ للهجرة حيث قال إنه بعد انتصار عليّ في معركة الجمل على مُناوئيه: "... وأقام عليّ ابن أبي طالب في عسكره ثلاثة أيام لا يدخل البصرة، وتَدَبَّ الناس إلى موتاهم فخرجوا إليهم فدفنوهم فطاف على من معهم في القتلى فلما أتى بكعب بن سور قال: زعمتم أنما خرج معهم السفهاء وهذا الخبر قد ترون وأتى على عبد الرحمن بن عتاب فقال: هذا يعسوب القوم، يقول الذي كانوا يطيفون به يعني أنهم قد كانوا اجتمعوا عليه ورضوا به لصلاتهم، وجعل عليّ كلما مرَّ برجل فيه خير قال: زعم من زعم أنه لم يخرج إلينا إلا الغوغاء هذا العابد المجتهد. وصَلَّى على قتلاهم من أهل البصرة وعلى قتلاهم من أهل الكوفة وصَلَّى على قريش من هؤلاء وهؤلاء فكانوا مدينين ومكيين ودفن على الأطراف في قبر عظيم، وجمع ما كان في العسكر من شيء ثم بعث به إلى مسجد البصرة أن من عرف شيئاً فليأخذه إلا سلاحاً كان في الخزان عليه سمة السلطان فإنه مما بقي ما لم يعرف خذوا ما أجليوا به عليكم من مال الله عز وجل لا يحل لمسلم من مال المسلم المتوفى شيء". (تاريخ الأمم والملوك، دار القاموس الحديث، ج ٥، ص ٢٢٢). فكما نلاحظ لم يعتبر حضرة عليّ (ع) من خرجوا لحره مُرتدّين ولا كافرين بل تعامل معهم بوصفهم بُغاة. ولم يغنم عليّ (ع) في جميع حروبه سواءً في الجمل أم النهروان أم صفين شيئاً من أموال مُحاربيه، وصَلَّى على قتلاهم.

وتعامل الإمام في صفين مع الأسرى المقبوض عليهم بالصورة التالية: أولاً: اقترح عليهم طاعته ومُبايعته فإن قبلوا أطلق سراحهم وإن لم يقبلوا فكان يأخذ سلاحهم ويستحلفهم بالله أن لا يخرجوا إلى مُحاربتة من جديد ثم يُطلق سراحهم، أما إن رفضوا الاقتراحين فكان يحتفظ بهم أسرى مُعتقلين لديه. وقال عليّ (ع) عن أهل الشام: "أَنَّ رَبَّنَا وَاحِدٌ وَنَبِيِّنَا وَاحِدٌ وَدَعْوَتَنَا فِي الْإِسْلَامِ وَاحِدَةٌ وَلَا نَسْتَزِيدُهُمْ فِي الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالتَّصْدِيقِ بِرَسُولِهِ وَلَا يَسْتَزِيدُونَنَا" (نهج البلاغة، الخطبة ٥٨)، إلى درجة أنه لم يكن يرضى أن يقوم أتباعه بسبّ أهل الشام وقال: "إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ وَلِكَيْتَكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ كَانَ أَصَوَّبَ فِي الْقَوْلِ وَأَبْلَغَ فِي الْعُدْرِ وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ، اللَّهُمَّ احْقِنِ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنَهُمْ" (نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٦). من البديهي أن هذا السلوك يبيّن بوضوح أن الإمام لم يكن يعتبرهم مرتدّين أو كافرين! (فلا تتجاهل).

الرَّذَّةُ» أما حروبِ حَضْرَةِ عَلِيٍّ (ع) ضِدَّ الْخَارِجِينَ عَلَيْهِ فَعُرِفَتْ بِقِتَالِ الْقَاسِطِينَ وَالنَّاكِثِينَ وَالْمَارِقِينَ. نَعُوذُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْعَصْبِيَّةِ.

في الزيارة الخاصة الثانية أيضاً نجد كثيراً من قرائن الكذب، من ذلك وَصْفُ عَلِيٍّ بِأَوْصَافٍ يَبْرَأُ مِنْهَا الْإِمَامُ (ع)، كَقَوْلِ الزَّائِرِ مِثْلًا: «يَا عَصْمَةَ الْأَوْلِيَاءِ، يَا خَالِصَ الْأَخْلَاءِ» وهي عبارات ينبغي أن يأتي واضح الزيارة ويوضح لنا مراده منها! أو قوله: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا قَسِيمَ الْجَنَّةِ وَلَطَى. السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ شَرَّفَتْ بِهِ مَكَّةُ وَمِنَى؟!؟! في حين أن الإمام لم يصف نفسه أبداً بمثل هذه الأوصاف بل كان يعتبر نفسه مُكَلَّفًا بتعظيم مكة ومنى وزيارتها ويؤمن بالثواب على ذلك وكان يحجُّ بقصد نيل الأجر والثواب عند الله. كما قال: "أَنْ تَكْتُبَنِي مِنْ حُجَّاجِ بَيْتِكَ الْحَرَامِ الْمَبْرُورِ حَجُّهُمْ"^(١). فليس في ذكر هذه الجملة المُسَجَّعة سوى غُلُوٍّ نهى الإسلام عنه (النساء: ١٧١) والكل يعلم أن حاضرة الإمام كان يكره المديح. هل يُمكن أن يُسَرَّ الإمام من وقوف الناس مقابل قبره ليقوموا بكل هذا التملُّق والتزُّلف وكيل المدائح والإطراء؟ كلا والله. بل إنه سيُخاصم يوم القيامة قارئ هذه الزيارة كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا حُيِّرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الاحقاف: ٥، ٦].

ماذا سيُجيب هؤلاء القوم عَلِيًّا إذا قال لهم يوم القيامة: هل قرأتم في القرآن أنه يجب عليكم أن تدعوني حتى بعد وفاتي أو تأتوا من مناطق بعيدة إلى قبري وتطلبوا مني حوائجكم وتقرؤوا أمام قبري صحائف من المدائح لي وأنواع الثناء؟! لماذا وبأمر من وضعتم لأجلي هذه العبارات المشوبة بالغُلُوِّ والتملُّق؟! لماذا جعلتموني وسيلة لكم وكنتم في حياتي تُؤذونني، ثم لم تكفوا عن إيذائي بعد وفاتي بل أقمت كل هذه الفتن واللغظ والضجيج بحُجَّةِ موالاتي ونُصرتي وأصبحتم أعداء بعضكم بعضاً وأرقتم في هذا السبيل هذه الدماء كلها؟!

ومن حيث المبدأ، لم يطلب الله منا مدح الماضين ولم يكن رسول الله ﷺ وأئمة الإسلام

(١) الصحيفة العلوية، دعاؤه في اليوم الثلاثين من الشهر.

الكرام يُجَبُّونَ هذا التملُّقَ والمدائحَ والمرائي. وبدلاً من هذه الأعمال الأولى أن يُقرأ كتاب الله ويُفهم ويُعمل بتعاليمه. لم يطلب الله ورسوله منا مثل تلك الأعمال. ولم يوص الأئمة أثناء حياتهم في هذه الدنيا الفانية أحداً بأن يأتي ويحضر عند قبورهم ويتملقهم ويمدحهم، بل كانوا ينهون عن المديح، أما الآن وقد ذهبوا ورحلوا عن هذه الدنيا وانتقلوا إلى دار البقاء ولم يعد لهم علم بمدائحنا فما فائدة مثل هذه الأعمال؟! إن الذي لم يكن يرضى بالمدائح في حال حياته الدنيوية كيف يُمكننا أن نقول إنه أوصى بفعل ذلك بعد وفاته وأمر أن تُقرأ عشرات الصفحات في مدحه؟! ولكن ما العمل، إننا لا نستطيع أن نفهم هذه الحقائق للعوام! ما أحسن ما قاله الشاعر:

(أربعة أبيات بالفارسية) وترجمتها كالتالي:

إنني مختار في أمر عبّاد الأموات هؤلاء

هذه الطائفة التي تقتل الحيّ وتعبد الميت!

أذلّوه بالجفاء عندما كان حياً

فإذا مات أعزّوه ورفعوه بأيديهم!

عندما كنا لم نكن شيئاً

كان يقتلنا غمّ الوحدة

وعندما ذهبنا أصبح الكل صديقاً لنا

نمنا واستيقظ الجميع!

فصل: «زيارة الأمير ليلة المبعث ويومه»

نقل الشيخ عبّاس تحت هذا العنوان^(١) ثلاثة زيارات لم تُروَ أيّ واحدة منها عن الله ورسوله ﷺ، بل الزيارة الأولى مروية عن صاحب كتاب «المزار القديم» والشيخ «محمد بن المشهدي»^(٢)، والزيارة

(١) مفاتيح الجنان (النسخة المعرّبة)، ص ٤٩٦. (المترجم)

(٢) هو الشيخ محمد بن جعفر بن علي المشهدي الحائري مؤلّف كتاب «المزار» المشهور بمزار محمد ابن المشهدي، أو «المزار الكبير»، فرغ من تأليفه سنة ٥٧٣ هـ. ق. (وتُوِّفِّي بعد ٥٩٤ هـ)، وكان من شيوخ الإمامية في القرن السادس الهجري، واشتهر بكتابه «المزار» هذا. (المترجم)

الثانية منقولة عن صاحب «المزار القديم»، والزيارة الثالثة منقولة عن الشيخ المفيد والسيد ابن طاووس وأمثالهما! ونريد أن نسأل: ما هي مكانة «الشيخ محمد بن المشهدي» أو صاحب المزار القديم في الدين حتى يأتوا ويُقدِّموا للناس زيارات يقرؤونها؟ هل تعليم أمور الدين والمناسك والعبادات أمرٌ منوطٌ بالله ورسوله فقط أم هو من مسؤولية الشيخ فلان والزاهد المتظاهر بالتقوى علان؟!

وبشأن هذه الزيارة نُذكر بأن من كتبها اعتبر أن يوم ٢٧ رجب هو يوم بعثة النبي ﷺ وقد سبق أن قلنا (ص ٢٤٥ فما بعد) إن هذا القول محلُّ تأملٍ جداً وأن التحقيق يُوصلنا إلى ما يُخالف ذلك وأن الأقوى والأرجح أن بعثة النبي وقعت في ليلة القدر في شهر رمضان.

لقد بلغ واضع الزيارة المدى في التملُّق والتزلف والغلو مما لا يقبله حضرة الأمير ولا نفع فيه لفارئ تلك العبارات. أضف إلى ذلك أن الفضائل التي يذكرها الزائر مُختصةٌ بعليٍّ (ع) الذي كان عالماً وعابداً وزاهداً وعاملاً بأوامر الله وجاهد جهاداً كبيراً في سبيله، وثواب كل ذلك يعود بالطبع على الإمام نفسه ولن يُعطي الله ثواب هذه الأعمال لأحد من زائريه!

وبالطبع، فإن عدداً من العبارات التي وردت في هذه الزيارة، في غير محلِّها وغلو واضح كقوله مخاطباً علياً (ع): "السَّلَامُ عَلَى أَبِي الْأَيْمَةِ وَمَعْدِنِ الثُّبُوتِ" ويجب أن نسأل: كيف يكون عليٌّ (ع) «مَعْدِنِ الثُّبُوتِ»؟! والاعتراض الآخر أن واضع الزيارة أدخل فيها تعصباته الجاهلة كي يثير الفتنة ويبث الفرقة والاختلاف بين المسلمين لذلك خاطب علياً قائلاً: "السَّلَامَ عَلَيْكَ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ الْأَكْبَرُ، السَّلَامَ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْفَارُوقُ الْأَعْظَمُ"! لأنه كان يعلم أن أهل التاريخ والسيرة لقبوا أبا بكر بلقب «الصدِّيق» ولقبوا الخليفة الثاني بلقب «الفاروق»، فأراد واضع الزيارة التفاخر والقول: بل نحن لدينا الصدِّيق الأكبر والفاروق الأعظم! وفي نظرنا إن من يريد الخير للمسلمين ويريد وحدتهم لا يفعل مثل هذا الفعل وإلا فلا اعتقد أن هناك مسلماً لا يعتبر حضرة عليٍّ (ع) صدِّيقاً. (فتأمل).

وجاء في بعض عبارات هذه الزيارة: "وَلَكَ عِنْدَ اللَّهِ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ وَالْحِجَاهُ الْعَظِيمُ وَالشَّانُ الْكَبِيرُ وَالشَّفَاعَةُ الْمَقْبُولَةُ"! في حين أن واضع الزيارة لم يكن يعلم أو يعلم ولكنه تجاهل أن الأنبياء أنفسهم لا يملكون حق الشفاعة بنحو مطلق ولا يُمكنهم التشفُّع لشخصٍ ما لم يأذن لهم

الله بدايةً بذلك بحق هذا الشخص بالذات. (طه: ١٠٩، وهود: ٤٥ و ٧٤ و ٧٦، والتوبة: ٨٠).
أو اعتبر حضرة عَلِيٍّ (ع) «تاج سرِّ رسول الله ﷺ» فهل الذي وضع مثل هذا التعبير عن حضرة
الأمير من مُريديه الحقيقيين ومن المُتبعين حقيقةً لحضرتَه؟! (فلا تتجاهل).

هنا يجب أن نسأل المدّاحين والمُتملِّقين: ما هي النتيجة التي حققتموها من تلفيقكم لهذه
النصوص المخالفة لتعاليم الأئمة سوى دفع عوام الشيعة إلى الغرور؟! حتى قال أحد شعرائهم:

در مذهب عارفان آگاه الله على است على است الله!!!^(١)

أي: في مذهب العارفين العالمين الله عَلِيٌّ وَعَلِيٌّ هو الله!!!

وقال شاعر آخر:

از گرمی روز محشرم غمّ نیست تا سایه‌ی مرتضیٰ علی بر سر ماست!!!

أي: لا خوف علينا من حرارة يوم المحشر

طالما كان ظلُّ المرتضیٰ عَلِيٍّ فوق رؤوسنا

وقال شاعر ثالث:

لي خمسةٌ أظفي بهم نارَ الجحيم الهاوية

المُصطفى والمُرتضى وابناهما والفاطمة!!!

أو يقولون: "إذا كان عندي عَلِيٌّ فَأَيُّ غمٍ لديّ؟!!".

نعم، إن نتيجة ذلك العُلُوّ والتملُّق والمُدّاح المُغالية هي مثل هذه الأقوال الكفرية والخرافية!
ومن ذلك ما نجده في آخر نصِّ الزيارة التي وضعها ذلك الوضّاع الخبيث حين يقول: "مُتَعَوِّذًا
بِكَ مِنَ النَّارِ هَارِبًا مِنْ دُنُوبِي الَّتِي احْتَضَبْتُهَا عَلَى ظَهْرِي". فينبغي أن نقول لهذا المُغالي الضال:
اذهب وتُب من ذنوبك توبةً صادقةً واركع عَلِيًّا الخيالي الذي اخترعته في ذهنك وانظر ماذا قال

(١) أعتقد أن هذا البيت هو للشاعر صغير الأصفهاني.

عَلِيٍّ الْحَقِيقِي وَأَتْبَعُهُ. إِنَّ ذَلِكَ الْإِمَامَ الْحَقَّ وَإِمَامَ الْمُتَّقِينَ يَقُولُ: "لَا مَلْجَأَ إِلَّا اللَّهُ"^(١)، فَلَا تُضَلُّ
النَّاسَ بِهَذِهِ الزِّيَارَاتِ الْمَوْضُوعَةِ وَلَا تَعْرِهُمُ بِهَا.

وقال الشيخ عباس في نهاية الزيارة:

"أقول: وَرُوِيَ بِسَنَدٍ مُعْتَبَرٍ أَنَّ الْحَضَرَ (ع) أَسْرَعَ إِلَى دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ شَهَادَتِهِ
وَهُوَ يَبْكِي وَيَسْتَرْجِعُ فَوْقَ عَلِيِّ الْبَابِ فَقَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَبَا الْحَسَنِ، كُنْتُ أَوَّلَ الْقَوْمِ إِسْلَامًا
وَأَخْلَصَهُمْ إِيمَانًا.... الخ"^(٢). وذكر العبارات ذاتها التي جاءت في الزيارة.

وينبغي أن نقول: أولاً: لا دليل شرعي على خَصْرِكُمْ الموهوم الذي لا يزال حياً حتى الآن،
لأسيما أن الله تعالى قال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾^(٣) كُلُّ
نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴿[الانباء: ٣٤، ٣٥]، وثانياً: إن كثير من عبارات هذه الزيارة معيبة ومُتَّفَدَّة
ولا يقرأ جناب الحضر عبارات معيبة خاطئة. إنهم يتصورون أن أولياء الله مثلهم يُحِبُّونَ التَّمَلُّقَ
وَكَيْلَ الْمَدَائِحِ!!



(١) راجعوا كتاب «زيارات وزيارتنامه» [زيارات المزارات وأدعية الزيارات] ص ٢٦٣ و ٢٦٥ و.....

(٢) مفاتيح الجنان (النسخة المعرّبة)، ص ٥٠١. (المترجم)

الفصل الخامس [من مفاتيح الجنان] : في فضل الكوفة ومسجدها الأعظم

وأعماله

بيّن الشيخ عباس القمّي في هذا الفصل فضيلة الكوفة ومسجدها وقد ذكرنا سابقاً توضيحات حول هذا الموضوع (ص ٣٥). في هذا الفصل نقل الشيخ عباس أموراً من كتاب «مصباح الزائر» للسيد ابن طاووس الخرافي مضمونها أنه إذا كنت في الكوفة ومسجدها فقل كذا وكذا. ونسأل: هل ما جاء في كتاب «مصباح الزائر» هو من عند الله أو علمه رسول الله ﷺ للمسلمين؟!

ثم أورد زيارةً لأمر المؤمنين (ع) في مسجد الكوفة. ونسأل: أليس مسجد الكوفة مسجد الله؟! هل يختلف مسجد الكوفة عن سائر المساجد؟! أليست المساجد لله ولا يجوز أن ندعو مع الله أحداً؟ فهل يجوز أن ندعو غير الله في المسجد ونكيل له المدائح ونتملقه بصنوف الإطراء والثناء؟! لا سيما عبارات وجمل لم يقل الإمام أي واحدة منها بحق نفسه أو أولاده!! هل عليّ حاضر في المسجد وحاضر في مرقده في الوقت ذاته ويسمع كلامكم؟! في هذه الزيارة يقول الزائر ما يُشبه قول المشركين (سورة الزمر: ٣): "يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَ أَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، أَنْتَ وَوَلِيِّي وَسَيِّدِي وَوَسِيْلَتِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ!!"

ونسأل: لو كان الإمام حياً في دنيانا الفانية هذه وقال: لست راضياً عن هذه المدائح ولست وسيلتكم^(١)، أو لم تقرؤوا أقوالي في «نهج البلاغة» (الخطبة ١١٠) إذ اعتبرت أن وسيلة التقرب إلى الله هي الإيمان والعمل لا الأشخاص؟! ألم تقرؤوا قول حفيدي: "مَنْ تَوَجَّهَ بِحَاجَتِهِ إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ أَوْ جَعَلَهُ سَبَبَ مُجْهِهَا دُونَكَ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْجُرْمَانِ، وَاسْتَحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ قَوْتَ الْإِحْسَانِ"^(٢). فما هذه الأوهام التي تقولونها عني؟ متى سميتُ نفسي الصديق الأكبر والفاروق الأعظم؟ متى اعتبرت نفسي "الحَبْلَ الْمُؤَصَّلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ"؟ ما معنى قولكم عني أنني

(١) من الضروري الرجوع إلى الصفحة ٢٠٠ فما بعد من الكتاب الحالي، فقرة: الشبهة السابعة.

(٢) الصحيفة السجادية، الدعاء الثالث عشر.

"خَاصَّةُ نَفْسِ الْمُتَنَجِّبِينَ"؟ لماذا تقولون كلاماً مشوشاً مثل: "أَنْتُمْ نُورُ اللَّهِ مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَمِنْ خَلْفِنَا أَنْتُمْ سُنَّةُ اللَّهِ"؟ هل عَلِيٌّ تابع لسنة الله أم هو ذاته سنة الله؟ كل عالم يعلم أن هذه الجمل خرافات وأوهام فكيف لم يعلم بذلك كُتَّاب تلك الأدعية والزيارات؟!

ثم روى الشيخ عباس بعد ذلك أسطورة حول حضرة الأمير (ع) وصفها بأنها «معجزة»^(١) لأمر المؤمنين عليه السلام فقال: "في بنت عزياء كانت قد غاصت في ماء فيه العلق فَوَلَجَتْ علقه في جوفها فَنَمَتْ وَكَبُرَتْ مما امتصته من الدم، فعَلا بذلك بطن البنت، فحسبها إخوتها حُبلى فراموا قتلها، فأتوا أمير المؤمنين عليه السلام ليحكم بينهم... الخ"^(٢).

هذا في حين أن دودة العلق مهما كَبُرَتْ لا يُمكنها أن تصل إلى حدٍّ يجعل البطن كبيرةً. ثم إنه طبقاً لهذه الأسطورة لم يَقُمْ عَلِيٌّ (ع) باستدعاء قابله ماهرة، وإلا لو فعل ذلك لأدرَكَت القابله الماهرة ببساطة أن المرأة ليست حاملاً. وثالثاً: قال في آخر هذه القصة: "وفي بعض الروايات: أنه (ع) مدَّ يده فأتمى بِقَطْع من الثَّلج من جبال الشام وجعله عند الطَّسْت فأنسَلَّت العَلَقَة". والجمله لا تحتاج إلى تعليق. أَفَلَا تَعْقُلُونَ؟!

ثم عنون صاحب المفاتيح فقرةً بعنوان: «أعمال باب الفرج المعروف بمقام نوح (ع)»^(٣)، هذا في حين أن مدينة الكوفة بُنيت في زمن الخليفة الثاني ولم تكن هناك أي مدينة في ذلك قبل ذلك، فما علاقة هذه المدينة ومسجدها بحضرة نوح (ع)؟ الله أعلم!

وليت شعري! هل قام رسول الله ﷺ بهذه الأعمال وهل كان يقرأ تلك الكلمات العجيبة والغريبة، فمثلاً يقول الزائر: "لَا تَجْعَلْ هَذِهِ الشَّدَّةَ وَلَا هَذِهِ المِحْنَةَ مُتَّصِلَةً بِاسْتِيصَالِ الشَّافَةِ". أي إمام صالح من أئمة الدين الكرام أجرى على لسانه مثل هذه الجمل الركيكة؟! قارنوا هذه العبارات بالأدعية المعتبرة المروية عن رسول الله ﷺ كي تعلموا الفرق بين الثرى والثريا!

(١) في الغالب عندما ينسب كُتَّابنا الأعمال الخارقة للطبيعة إلى غير الأنبياء يستخدمون كلمة «الكرامات» خداعاً للعوام، ولكن الشيخ عباس هنا يستخدم بصراحة كلمة «المعجزة».

(٢) مفاتيح الجنان (النسخة المَعْرَبَة)، ص ٥٠٥-٥٠٦. (المُترجم)

(٣) مفاتيح الجنان (النسخة المَعْرَبَة)، ص ٥١٤. (المُترجم)

الفصلان السادس والسابع [من مفاتيح الجنان]

في بداية الفصل السادس (ص ٤٠٤)^(١) ينسب الشيخ عبّاس حديثاً إلى الإمام الصادق عليه السلام رواه شخص ضعيف غير ثقة يُدعى «مُحَمَّدُ بْنُ جُمُهورِ العَمِّيِّ»^(٢) ومتن الحديث شاهد على كذبه. وفي المقصد الثالث من الفصل السابع في هذا الباب أورد الشيخ عبّاس ثلاث زيارات، روى الأولى منها الكُليّني عن «الحسن بن ثوير» الذي لم يُوثق ولا نعلم حقيقة حاله، عن «يونس بن ظبيان» الخبيث الملعون الذي لعنه الإمام الرضا (ع) ألف مرّة لأنه كان يدّعي أنه يُوحى إليه وقال: "كنت في بعض الليالي وأنا في الطواف فإذا نداء من فوق رأسي: يا يونس! إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَأَعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي [طه: ١٤]، فرفعت رأسي فإذا ج (أي جبريل)"^(٣) والراوي الآخر هو «المُفَضَّلُ بْنُ عُمَرَ» وهو مجروح وضعيف للغاية^(٤). وعلامات الكذب الفاضح تطفح من نصّ هذه الزيارة إذ جاء فيها مثلاً:

"بَكَى لَهُ (= حضرة سيد الشهداء) جَمِيعُ الخَلَائِقِ وَبَكَتْ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ وَمَا فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُنَّ وَمَنْ يَتَقَلَّبُ فِي الجَنَّةِ وَالتَّارِ مِنْ خَلْقِ رَبَّنَا وَمَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى".
ويجب أن نسأل هذا الوضّاع الجاهل: وهل بكى أيضاً بنو أمية الذين كانوا من سكان

(١) مفاتيح الجنان (النسخة المعرّبة)، ص ٥٢٣. (المُتَرَجِّمُ)

(٢) لقد عرفنا به في كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، ص ٣١٥-٣١٦، والرواية المذكورة أعلاه نقلها المجلسي في بحار الأنوار، ج ٩٧، ص ٤٣٥.

(٣) رجال الكشيّ، طبع كربلاء، ص ٣٠٩. وتتمّة الرواية: "فغضب أبو الحسن (ع) غضباً لم يملك نفسه ثم قال للرجل: اخرج عني لعنك الله ولعن من حدثك ولعن يونس بن ظبيان ألف لعنة يتبعها ألف لعنة كل لعنة منها تبلغك قعر جهنم". (المُتَرَجِّمُ)

(٤) للتعرف على حاله راجعوا كتاب «زيارات وزياراتنا» [زيارات المزارات وأدعية الزيارات] ص ٨٦. وكتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، ص ١٧١ فما بعد.

الأرض؟! وهل بكى الكفار والمنافقون الذين كانوا لا يريدون الإسلام؟! وكيف بكى أهل الجنة وهم في دارٍ لا خوفٌ عليهم فيها ولا هم يحزنون؟! أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟!!

والزيارة الثانية مروية عن «سلمة بن الخطاب البراوستاني» الذي هو من المجروحين الضعفاء أيضاً^(١) (بحار الأنوار، ج ٩٨، ص ١٧٢). والزيارة الثالثة أيضاً مروية عن عدد من الغلاة والضعفاء أحدهم «المفضّل بن عمّار» (راوي الزيارة الأولى)! وليس لباقي الزيارات في هذا الفصل وضع أفضل من هذه الزيارات الثلاث، ونُحِيلُ القراء في ذلك إلى كتاب «زيارات وزيارتنامه» [زيارة المزارات وأدعية الزيارات] (ص ٣١٨ فما بعد).

زيارة وارث

أما «الزيارة السابعة» المشهورة بـ «زيارة وارث»^(٢) فلا يُعَلِّمُ حال روايتها. وهذه الزيارة مجموعة من الكلام الموضوع ومن الأكاذيب والأمور المخالفة للعقل والشرع أي أنها جمعت عيوب الروايات السابقة مجتمعة، فمثلاً يروي الشيخ عباس في بدايتها عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: " ... فَإِنَّ أَبِي حَدَّثَنِي عَنْ آبَائِهِ (عليهم السلام) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ ابْنِي هَذَا الْحُسَيْنَ (عليه السلام) يُقْتَلُ بَعْدِي عَلَى شَاطِئِ الْفَرَاتِ، وَمَنْ اغْتَسَلَ مِنَ الْفَرَاتِ تَسَاقَطَتْ خَطَايَاهُ كَهَيْئَةِ يَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ!!"

ومن الواضح أن هذا الادعاء غير صحيح بل يجب على المذنب أن يتوب، وإن كان للناس حقٌّ في ذمّته فعليه أن يُؤدّيهِ لهم، وإن كان قد ظلم أحداً فعليه أن يستسمح المظلوم ويطلب منه العفو وأن يُجِلَّهُ ممَّا أذنبه في حقّه، وإن كان قد أضلَّ الناس وقال لهم أموراً غير صحيحة أو كتم حقائق عنهم فعليه أن يُبيِّن الحق وهكذا.... كي يستحق رحمة الله تعالى وفضله وكرمه.

(١) للتعرف على حاله راجعوا كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، ص ٥٠١.

(٢) مفاتيح الجنان (النسخة المعرّبة)، ص ٥٤٨ - ٥٢٢ تحت عنوان «الزيارة السابعة»، وقد كرّر الشيخ عباس «زيارة وارث» في المفاتيح عدة مرات، فكررهما في ص ٥٧٠ تحت عنوان «زيارة الحسين (ع) في عيدي الفطر والأضحى»، وفي ص ٥٧٥ تحت عنوان: «زيارة الحسين (ع) في يوم عرفة» (الصفحات المذكورة كلها في النسخة المعرّبة بالطبع). (المترجم)

ثانياً: يقول الشيخ عباس: "فإذا أتيت باب الحائر فقف وقُلْ كذا وكذا"، أو يقول: اقرأ إذن الدخول أو يقول: "ثم أتت باب القبة من حيث يلي الرأس وقُلْ...." أو يقول: "ثم قم وصِرْ إلى عند رجلي القبر وقف عند رأس علي بن الحسين (ع) وقُلْ....."^(١). ولكن -كما ذكرنا سابقاً (ص ٤٦٢)- لم يكن لمرقد الإمام الحسين (ع) زمن حضرة الصادق (ع) بناء حتى يكون له باب وقبة.....الخ.

ثالثاً: يقول: "السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أُمَّتِكَ الْمُقَرَّرُ بِالرَّقِّ!!" من هذا يُعلم أن واضح الزيارة -كما قلنا سابقاً (ص ٣٧٧)- لم يكن له علم بسُنن رسول الله ﷺ وسيرته وسيرة عليّ (ع).

رابعاً: يقول: "فإن خشع قلبك ودمعت عينك فهو علامة الإذن، ثم ادخل وقُلْ....."^(٢). وأقول: إذن لو لم تدمع عيني الزائر فمعنى ذلك أن إذن الدخول لم يصدر له، ومن ثم فلا يجوز لغير الباكين أن يدخلوا! فلماذا لا تمنعون غير الباكين من الدخول؟ أليس من عاقل يقول لو اضع مثل ذلك الحديث: ما معنى هذه الجمل؟ أو لو سأل شخص: ماذا تقصدون من جملة: "يَايَاكُمْ مُوقِنٌ بِشَرَائِعِ دِينِي وَخَوَاتِيمِ عَمَلِي"! فيهاذا سيُجيب واضح هذه الزيارة ومُلقَّ عباراتها؟

ولا نحتاج هنا إلى تعليق حول ما ذكره مؤلف «المفاتيح» بشأن تربة الإمام الحسين وترك للقرء أنفسهم الحكم، ونكتفي هنا بذكر هذا النموذج وهو أنه أتى بحديث عن «الحسن بن محبوب» (بحار الأنوار، ج ٩٨، ص ١٣٣) يدعي فيه أنه إذا كانت المسبحة مصنوعة من تربة الإمام الحسين (ع) وكانت في يد الإنسان فإنها تُسبِّح الله ولو لم يُسبِّح صاحبها!!!

زيارة عاشوراء

والزيارة الأخرى الشائعة جداً بين الناس لدينا هي الزيارة المعروفة بـ «زيارة عاشوراء». ولقد نقل مؤلف «المفاتيح» زيارتين ليوم عاشوراء: الأولى منقولة عن أحد الرواة سيئي السمعة الذي

(١) مفاتيح الجنان (النسخة المعرّبة)، ص ٥٥٢. (المُترجم)

(٢) مفاتيح الجنان (النسخة المعرّبة)، ص ٥٤٩. (المُترجم)

ضعّفه علماء الرجال جميعهم ومنهم «العلامة الحلي» الذي قال عنه: «صالح بن عقبة بن قيس... كذّاب غال لا يلتفت إليه». وقد رُويت عن هذا الراوي أحاديث عجيبة وغير معقولة بشأن الإمام الحسين منها أنه قال: "وَمَنْ ذُكِرَ الْحُسَيْنُ عِنْدَهُ فَخَرَجَ مِنْ عَيْنِهِ مِنَ الدَّمُوعِ مِقْدَارُ جَنَاحِ دُبَابٍ كَانَ تَوَابُهُ عَلَى اللَّهِ، وَلَمْ يَرِضْ لَهُ بِدُونِ الْجَنَّةِ!!"^(١) وأبوه «عقبة بن قيس أيضاً» مجهول الحال.

والراوي الآخر غير الموثوق لهذه الزيارة هو «سيف بن عميرة»^(٢). وأما راوي الزيارة الثانية فهو فرد مجهول يُدعى «علقمة بن محمد الحضرمي»!!

يقول في هذه الزيارة: "إِنِّي حَرَبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ!!" فواضع هذه الزيارة يدّعي أنه سيحارب من حارب حضرة سيد الشهداء (ع) الذين هلكوا منذ مئات السنين!! إن كان صادقاً فيما يقول فلماذا لا ينصر الله وكتابه ولا يسعى لأجل وحدة المسلمين وأئمتهم، ولماذا لا يجارب الذين يستأكلون بالدين ويصنعون المذاهب للمسلمين ويُسبّبون افتراق المسلمين بعضهم عن بعض، ولماذا يقوم هو نفسه بوضع زيارات باسم الدين؟! ولماذا لا يجارب الذين يخترعون ثوابات عجيبة وغريبة لا تتناسب مع العمل لمن قرأ زيارة من عدة أسطر أو عدة صفحات كي لا يفتّر العوامُّ بهذه الأكاذيب!؟

في هذه الزيارة يُعرب الزائر مراراً عن براءته من الظالمين ويلعنهم ولكنه لا يقول شيئاً بشأن بعض علماء الشيعة مثل العلامة الحلي والخواجة نصير الدين الطوسي اللذين كانا من نُدماء سلاطين المغول المتوحّشين الظالمين ووزرائها، أو الشيخ البهائي ومير داماد والمجلسي، وخاصةً المحقّق الكرّكي الذي كان من مؤيّدَي السلاطين الصفويّين الفسقة الظلمة آكلي لحوم البشر، بل يُثني على هؤلاء العلماء ويمتدحهم ويُعلي من شأنهم، ولكنه في الوقت ذاته يُظهر المحبّة والولاء والعزاء لحضرة سيد الشهداء -عليه آلاف التحية والثناء- الذي لم يكن بأيّ وجه من الوجوه

(١) وسائل الشيعة، ج ١٠، (أبواب المزار وما يُناسبه)، ص ٣٩٦. وقد عرّفنا بحال هذا الراوي في كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، ص ٣١٠ إلى ٣١٢، وفي كتاب «زيارت وزيارتنامه» [زيارات المزارات وأدعية الزيارات] ص ٦٥ و ٦٩.

(٢) عرّفنا به في كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، ص ١٠٥ إلى ١٠٦.

مُثَالْتاً وَلَا مُهَادِنَةً لِلظَّالِمِينَ!! فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَعْلَمُوا أَنْ لَا عِلَاقَةَ لَهُمْ بِذَلِكَ الْإِمَامِ الْجَلِيلِ! وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَعْلَمُوا أَنْ مُجَرَّدَ قِرَاءَةِ زِيَارَةِ لَا يُفِيدُهُمْ شَيْئاً، وَلَا أَثَرَ لَهُ، بَلْ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّبِعُوا سِيرَةَ أَوْلِيكَ الْأُئِمَّةِ الْأَجْلَاءِ عَمَلِيّاً فِي حَيَاتِهِمْ. إِنْ الْفُوزَ وَالْفَلَاحَ يَكُونَانِ بِالْعَمَلِ لَا بِالْكَلَامِ.

فِي الدُّعَاءِ الَّذِي أَوْصَى بِهِ بَعْدَ صَلَاةِ الزِّيَارَةِ دَسَّ الرَّاوِي كُلَّ مَا أَمَكْنَهُ مِنْ عَقَائِدِهِ الْخِرَافِيَّةِ بِاسْمِ الدُّعَاءِ وَالزِّيَارَةِ، وَمِنْ جَمَلَةِ ذَلِكَ قَوْلُهُ: "بِاسْمِكَ الَّذِي جَعَلْتَهُ عِنْدَهُمْ وَبِهِ خَصَصْتَهُمْ دُونَ الْعَالَمِينَ وَبِهِ أَبْنَتُهُمْ وَأَبْنَتْ فَضْلَهُمْ مِنْ فَضْلِ الْعَالَمِينَ حَتَّى فَاقَ فَضْلُهُمْ فَضْلَ الْعَالَمِينَ جَمِيعاً".

وَهَذِهِ الْجَمَلُ كَذِبٌ وَاضِحٌ فَمَنْ أَيْنَ عِلْمُ الْوَاضِعِ أَنْ لَدَى الْأُئِمَّةِ اسْمٌ خَاصٌ بِهِمْ دُونَ الْعَالَمِينَ؟! وَلَقَدْ قَالَ الْأُئِمَّةُ مَراراً: إِنْ كَلَّ مِنْ نَالَ فَضْلاً أَوْ مَقَاماً فَإِنَّمَا يَنَالُهُ بِالْعَمَلِ وَالْمُجَاهِدَاتِ وَالتَّقْوَى وَالطَّاعَةَ لَا بِاسْمٍ وَضَعُ لَدَيْهِ وَخُصَّ بِهِ. إِنْ اللَّهُ تَعَالَى أَنْزَلَ أَسْمَاءَهُ الْحُسْنَى وَمَعَارِفَ الْإِسْلَامِ لِجَمِيعِ عِبَادِهِ وَقَدْ بَلَّغَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِجَمِيعِ النَّاسِ عَلَى حَدِّ سِوَاءِ (الْأَنْبِيَاءِ: ١٠٩) وَعَلَى الْجَمِيعِ السَّعْيِ لِتَعَلُّمِهَا. نَعَمْ، إِنْ الدُّعَاءِ الَّذِي يَرُوهُ شَخْصٌ مَجْهُولٌ مِثْلُ «مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدِ الطَّيَالِسِيِّ» أَوْ رَاوٍ ضَعِيفٌ مِثْلُ «سَيْفِ بْنِ عَمِيرَةَ» لَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ مِنْ هَذَا.

وَالْأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ بَعْدَ هَذَا الدُّعَاءِ يَنْسَبُ إِلَى الْإِمَامِ الصَّادِقِ ﷺ قَوْلُهُ^(١): "فَإِنِّي صَامِنٌ عَلَى اللَّهِ لِكُلِّ مَنْ زَارَهُمَا بِهَذِهِ الزِّيَارَةِ وَدَعَا بِهَذَا الدُّعَاءِ مِنْ قُرْبٍ أَوْ بُعْدٍ أَنْ زِيَارَتَهُ مَقْبُولَةٌ.... وَحَاجَّتُهُ مَقْضِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ بِالْغَا مَا بَلَغَتْ (١٩).... قَالَ آلِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ مَنْ زَارَ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ بِهَذِهِ الزِّيَارَةِ مِنْ قُرْبٍ أَوْ بُعْدٍ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ وَدَعَا بِهَذَا الدُّعَاءِ قَبِلَتْ زِيَارَتُهُ وَشَفَعَتْهُ فِي مَسْأَلَتِهِ بِالْغَا مَا بَلَغَ وَأَعْظَمَتْهُ سُؤْلُهُ ثُمَّ لَا يَنْقَلِبُ عَنِّي خَائِباً وَأَقْلِبُهُ مَسْرُوراً قَرِيراً عَيْنُهُ بِقَضَاءِ حَوَائِجِهِ وَالْفُوزِ بِالْحَنَّةِ وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ وَشَفَعَتْهُ فِي كُلِّ مَنْ يَشْفَعُ..."^(٢)!!

هنا ينبغي أن نسأل: أين بين الله تعالى لنا هذا الضمان الذي لم يطلع عليه أحد سوى عدة أفراد مجهولين أو ضعيفي الرواية؟! وإذا كان النبي قد قال: «مَا أَدْرِي مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا بِكُمْ» [الاحقاف: ٩] فكيف لحفيده أن يضمن الآخرين؟!

(١) مفاتيح الجنان (النسخة المعرّبة)، ص ٥٨٧ - ٥٨٨. (المترجم)

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٩٧، ص ٣١٠ - ٣١١. (المترجم)

ومن الطريف أنه جاء في هذه الزيارة -على خلاف ما جاء في سائر الزيارات- قول الزائر مخاطباً الله عز وجل: "اَكْفِنِي يَا كَافِي مَا لَا يَكْفِي سِوَاكَ فَإِنَّكَ الْكَافِي لَا كَافِي سِوَاكَ وَمُفَرِّجٌ لَا مُفَرِّجَ سِوَاكَ وَمُغِيثٌ لَا مُغِيثَ سِوَاكَ وَجَارٌ لَا جَارَ سِوَاكَ خَابَ مَنْ كَانَ جَارُهُ سِوَاكَ وَمُغِيثُهُ سِوَاكَ وَمَفْرَعُهُ إِلَى سِوَاكَ وَمَهْرُبُهُ إِلَى سِوَاكَ وَمَلْجَأُهُ إِلَى غَيْرِكَ (سِوَاكَ) وَمَنْجَاهُ مِنْ مَخْلُوقٍ غَيْرِكَ".

أما في الزيارات والأدعية الأخرى فاعتبر النبي والإمام كافيان ومغيثان!!^(١) من هذا يعلم أن الذين جمعوا هذه الأدعية والزيارات لم يكونوا يتنبهون إلى التناقضات فيما ذكروه!! (فتأمل).

ثم في الصفحة ٤٧١^(٢) يروي عن عدد من الضعفاء أحدهم «يونس بن عبد الرحمن»^(٣) (بحار الأنوار، ج ٩٨، ص ٣٦٥) أن الإمام الصادق عليه السلام قال لـ «سدير»: "..... وَمَا عَلَيْكَ يَا سَدِيرُ أَنْ تَزُورَ قَبْرَ الْحُسَيْنِ (ع) فِي الْجُمُعَةِ حَمْسَ مَرَّاتٍ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً؟ قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ! بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَرَايِحٌ كَثِيرَةٌ. قَالَ لِي: اصْعَدْ فَوْقَ سَطْحِكَ ثُمَّ تَلْتَفِتْ يَمَنَةً وَيَسْرَةً ثُمَّ تَرَفَّعْ رَأْسَكَ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ تَنَحُّوْا نَحْوَ الْقَبْرِ وَتَقُولُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ تُكْتَبُ لَهُ زُورَةٌ وَالزُّورَةُ حَجَّةٌ وَعُمْرَةٌ!!" أي أن قراءة جملة من سطر واحد لها ثواب حجة وعمرة!

ثم كتب الشيخ عباس: "تذييل: في فضل تربة الحسين (ع) المقدسة وآدابها". وسود عدة صفحات في فضل تربة الإمام الحسين (ع)! هذا في حين أن حرم الإمام الحسين (ع) قد فرش بالمرمر ولا يستطيع أحد أن يأخذ حتى مثقالاً من تراب ذلك القبر. ولكن للأسف صار لدينا في زماننا مئات الدكاكين في قم ومشهد والكاظمين والنجف وكربلاء و..... لبيع قطع التربة الممهورة حيث يبيعون قطعاً من التربة بأشكال مختلفة فإذا كانت التربة من مشهد طبع عليها:

تربة أقدس مشهد مقدس

وإذا كانت من كربلاء طبع عليها:

تربة أعلى مال كربلاء

(١) راجعوا على سبيل المثال ما ذكرناه في الكتاب الحالي صفحة ٥٩ و صفحة ٢٢٨.

(٢) مفاتيح الجنان (النسخة المعرّبة)، ص ٥٩٥ - ٥٩٦. (المترجم)

(٣) عرفناه في كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، ص ٢١٤-٢١٥.

ثم روى صاحب المفاتيح عن «ابن المشهدي» الخرافي (المزار الكبير، ١١٩) روايةً تقول: "إن الحور العين إذا أبصرنَ بواحد من الأملاك يهبط إلى الأرض لأمرٍ ما، يستهدين منه السَّبْح والتَّرب من طين قبر الحسين (ع)!!" (١).

يُعلم من هذا أن هناك شيء ناقص في الجنة التي وصف الله أهلها بقوله: ﴿وَهُمْ فِي مَا أُسْتَهَتْتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الانبيا: ١٠٢]، وقوله: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَا كُنْتُمْ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت: ٣١]، وهو تربة قبر الإمام الحسين (ع)!!؟

ثم يقول الشيخ عبَّاس في الصفحة ذاتها: إن تربة الإمام الحسين دواء من كل داء وشفاء من كل سقم!! هذا، ولكن إذا أكل شخص من هذا التراب الملوَّث ولم تتحسن حاله قالوا: إن عقيدته فاسدة وهو منحرف، ولكن في الواقع أن مرادهم أو المعنى الحقيقي لهذا الكلام أنه لم يعد بالإمكان خداعه واستحماره!! وبعبارة أخرى يكون قد تعرَّف على الدين والقرآن ولم يعد يُخدع بالخرافات.

أجل، لقد أصبح بيع قطع التربة مصدر عيش وكسب، في حين أن مؤلف المفاتيح يقول في الصفحة ٤٧٥: "من باع تراب قبر الحسين (ع) فكأنما تبايع على لحمه (ع)" (٢). (فتأمل).

والأعجب من ذلك كله - كما ذكرنا ذلك سابقاً (ص ١٩٢ فما بعد) - مسألة زيارة النُّواب الأربعة! ونسأل: هل كان النُّواب الأربعة أعلم الناس في زمانهم؟ هل كانوا أصحاب منصبٍ من قِبَلِ الله عزَّ وجلَّ؟! هل زيارة قبرهم جزء من أحكام الله وسُنَّة رسول الله ﷺ؟ إن أكثر ما يُمكن قوله بشأن أولئك الأفراد أنهم كانوا أشخاصاً يأخذون الأموال الشرعية من الناس ويوصلونها - حسب قولهم - إلى الناحية (أي إمام الزمان). بناءً عليه فإننا نسأل: إذا كان الإمام قد غاب بأمر الله فهل يحتاج إلى الأموال؟!؟

ويقول صاحب المفاتيح: "وهم قد فاقوا جميع أصحاب الأئمة عليهم السلام وخواصهم

(١) مفاتيح الجنان (النسخة المعرَّبة)، ص ٥٩٧.

(٢) مفاتيح الجنان (النسخة المعرَّبة)، حاشية الصفحة ٦٠٠.

مرتبةً وفضلاً وفازوا بالنيابة عن الإمام (ع) وسفارته والوساطة بينه وبين الرعية خلال سبعين سنة^(١).

ونقول: كثيرٌ من وكلاء الأئمة عليهم السلام ونوابهم وممثليهم تبين فيما بعد، كما يشهد بذلك التاريخ، أنهم أشخاص غير عدول وخائنين ومحتالين. كبعض العمال الذين ولّاهم حضرة أمير المؤمنين علي عليه السلام^(٢) أو وكلاء ونواب حضرة الكاظم^(٣) الذين أوجدوا بعد وفاته مذهب «الوقف» وسببوا الفرقة بين أبناء أمة الإسلام وكانوا سبباً في ضلال فريق من المسلمين! أو وكلاء سائر الأئمة^(٤) الذين لم يكونوا ذوي سيرة حسنة. (فتأمل).

ويقول في زيارتهم (ص ٤٩٣): "أشهد... أَنَّكَ مَا خُنْتَ فِي التَّأْدِيَةِ وَالسَّفَارَةِ!!"^(٥) في حين أن الزائر لا يعرف ذلك النائب ولا علم له بأحواله فكيف يشهد على ما لا علم به، فكلامه ليس سوى ادّعاء. فمثلاً: كان «أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري» أول من ادّعى الوكالة لإمام الزمان والنيابة عنه وكان يأخذ المال من الناس تحت هذا العنوان، ولكننا لا نملك أي دليل قاطع على صدقه سوى ادّعائه فقط!! ومن الواضح أن شهادة المدّعي لصالح نفسه لا تُسمع. أضف إلى ذلك أن وجود مؤكّله ذاته (الإمام الغائب) موضع شك وريب من الأساس، دَعَكَ مِمَّنْ ادَّعَى الوكالة عنه! (فتأمل). خاصة أنه لا بُدَّ أن تكون الشهادة في الإسلام مبنيةً على العلم، وأن شهادة الزور والشهادة دون علم حرام.

(١) مفاتيح الجنان (النسخة المعرّبة)، ص ٦١٩.

(٢) من الضروري في هذا الموضوع مراجعة كتاب «زيارت وزيارتنامه» [زيارات المزارات وأدعية الزيارات] ص ٢٦٩ - ٢٧٠.

(٣) حول وكلاء الإمام الكاظم هؤلاء يُراجع كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، ص ١٦٣ و ١٩٦ - ١٩٧.

(٤) حول وكلاء سائر الأئمة من الضروري مطالعة الصفحات من ٨٤٨ إلى ٨٦١ من كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول».

(٥) مفاتيح الجنان (النسخة المعرّبة)، ص ٦١٩.

بناءً على ذلك، فإن مُجَرَّد عنوان الوكيل أو النائب أو السفير والممثل لا ليكفي ولا يدل على أعلمية صاحبه أو عدالته أو تمتعه بتأييد الله له، ولا يُمكننا أن نخترع زيارة له ونشتغل بمدحه والثناء عليه بعد وفاته دون دليل شرعي صحيح.

ويروي مؤلف «المفاتيح» (ص ٤٧٧) قصةً طويلةً لا يُعلم من هم رواها لامرأة بغدادية ورجل حنبلي المذهب نقلاً عن كتاب «تاريخ بغداد»!!

ثم يكتب في (الصفحة ٤٩٣): "وينبغي أيضاً أن يُزار في بغداد الشيخ الأجل الأفخم ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني عطر الله مرقده، وقد كان زعيم الشيعة وأوثقهم وأثبتهم في الحديث، وقد صنّف كتاب الكافي في خلال عشرين سنة وهو الكتاب القيم الذي تقرّ به عُيون الشيعة، وهو منّة منّ بها على الشيعة ولاسيما رجال الدين منهم، وقد عدّه ابن الأثير مجدّد مذهب الإمامية في بدء القرن الثالث...."^(١).

ونقول: من المفيد أن يعلم القارئ المحترم أنني كتبتُ خلال شهر كتاباً باسم «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول» ولم يكن بالطبع خالياً من الإشكالات، وبعد الخروج من السجن الرابع، قُمتُ بتهديب ذلك الكتاب وإصلاحه وسمّيته «التنقيح الثاني» لكتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول». وقد محّصتُ فيه الجزء الأول من «أصول الكافي» سنداً ومنتأً وبيّنتُ بالدلائل الواضحة أن أكثر أخباره مخالفة للقرآن ومناقضة للعقل أو مُتعارضة مع حقائق التاريخ!! وقراءة ذلك الكتاب تُبيّن أن الكليني كان -على أقل تقدير- شخصاً عديم الاطلاع جاهلاً بالقرآن وأنه لم يكن يُميّز بين الأخبار الصحيحة والخرافية السقيمة، ونحن نعتقد أنه لم يكن شخصاً مغرضاً وأنه جمع كل تلك الخرافات العجيبة نتيجة لقلّة معرفته واطّلاعه، وإلا لو كان الكليني قد جمع ودوّن تلك الخرافات عالماً وعماداً لكان خائناً للإسلام والقرآن قطعاً. وعلى كل حال، فلا يستحق الأمر أن يُبنى على قبره أو قبر الشيخ الصدوق ضريحٌ وتُكتب لهما زيارة وتُضَيّع أوقات الناس بقراءتها!!

(١) مفاتيح الجنان (النسخة المعرّبة)، ص ٦٢٠.

واقعة طريفة في مسجد جمكران

ذهبتُ يوماً من الأيام إلى مسجد جمكران الذي يقع على بُعد فرسخ من مدينة قم، وتوجد في هذا المسجد بئر صغيرة، يكتب العوام رسائل إلى إمام الزمان يذكرون فيها حوائجهم ويُلقون برسائلهم في تلك البئر!! وكانت هناك قرب المسجد منضدة عليها أوراق مطبوعة تُباع كل ورقة منها بتومانين (٢٠ ريال إيراني)، فكل من أراد كتابة رسالة إلى إمام الزمان يشتري ورقة من تلك الأوراق ويملؤها! ألقىت نظرة على تلك الأوراق فرأيت أن أعلاها يحتوي على عبارات مطبوعة تحتها عدة أسطر فارغة ينبغي أن يملأها المشتري ويكتب فيها حاجته ثم في أسفل الورقة توجد عبارات أخرى أيضاً مطبوعة تقول: يا حسين بن روح (أحد النواب الأربعة) أوصل هذه الرسالة إلى إمام الزمان!! فكان الزوار يشترون تلك الأوراق ويكتبون فيها حاجاتهم ويرمونها داخل البئر. سألتُ الذي كان جالساً خلف تلك المنضدة يبيع تلك الأوراق: إن هذا النائب (الحسين بن روح) مات قبل ألف ومئتي عام فكيف يُمكن لمن مات أن يستلم رسالة ويوصلها إلى إمام الزمان؟! إنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ! فقال لي: هنا حوزة علمية ولو كان في هذا العمل إشكال لا اعتراض عليه علماء قم ومراجعها؟! لم أرَ حيلة سوى السكوت لأن الأمر لا يقتصر -مع الأسف الشديد- على عدم اعتراض العلماء والكتّاب على هذه الخرافة بل تجد في كتبهم تقريراً لها، ومن جملة ذلك ما قاله صاحب كتاب «المفاتيح» إذ كتب يقول:

"وغير خفيّ إنهم في مماتهم أيضاً وسائط، فمن اللازم أن يُبلِّغ الإمام (عليه السلام) ما يُكتَبُ في الحاجات والشّدائد من الرّقاع عن طريقهم وبوسيلتهم، كما عُرف في محله!!"^(١).

وينبغي أن نقول: أجل، هذه هي معلومات هؤلاء العلماء والمُحدّثين والكتّاب الذين جذبوا الناس إليهم وحرّفوهم عن جادة الصواب! وما من أحد يسأل: كيف يُمكن لميت أن يوصل رسائل الناس إلى الإمام الحيّ؟! يبدو أن هؤلاء القوم لا يؤمنون بما يقوله القرآن الكريم من أن الأحياء والأموات لا يستون (فاطر: ٢٢)، فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا؟ في الصفحة ٥١٠ يقول: "إن الملك (الشاه) عبّاس الأوّل نزل مشهد الرضا (ع) في الخامس

(١) مفاتيح الجنان (النسخة العربيّة)، ص ٦١٩. (المترجم)

والعشرين من ذي الحجة سنة ألف وست... الخ" (١).

وأقول: أحد أسباب جهل شعبنا وتخلفه وشقائه هو أنه لما بدأت أوروبا تستيقظ من نوم القرون الوسطى بعد استفادتها من الثقافة الإسلامية التي كانت قد وصلتها عن طريق اسبانيا (الأندلس)، وبدأ الأوربيون بالصناعات والتقدم في العلم والفنون والسياحة والتعرف على بقاع العالم المختلفة، كان سلاطين العالم الإسلامي ومن جملتهم الصفوية مشغولين باللهو واللعب وخذاع الناس والأعمال التي لا فائدة منها مثل السير مشياً على الأقدام إلى مشهد! لم يكن الشاه عباس يُقيم الصلاة وكان يشرب الخمر وكان مجرمًا قتل أحد أبنائه واقتلع عين ابنه الآخرين وارتكب جرائم عديدة أخرى، ولكن ليقوم بخذاع العامة عطّل عدة آلاف من أفراد الجيش مُدّة ستة أشهر كاملة ليسيروا على الأقدام بأهبة وفخخة إلى قبر الإمام الرضا في مشهد ويعودوا منه!! في حين أن شعب بلاده كان إذا احتاج إلى رصاصة واحدة وجب عليه أن يشتريها من أوروبا وكذلك لم يكن يمتلك إبرة خياطة فإذا احتاج إليها اضطر إلى شرائها من الدول الأجنبية! فبدلاً من سعيه في عمارة مملكته التي كانت متأخرة عن الشعوب الأوروبية من ناحية الصناعة والعلوم والفنون، وسعيه لأجل اتحاد المسلمين ووحدتهم، اهتم بالسير مشياً على الأقدام إلى مشهد وصرف أموالاً طائلة على تعظيم القبور وبناء القبّة والمنارات المذهّبة والفضية كي يهتم الناس بالمرقد وعبادة القبور، وعلى حدّ قوله صنع كعبة حوائج للفقراء.

لم يكن الشيخ البهائي يعرف جيداً الشاه عباس (٢) وأجداده ويعرف أيّ أناس كانوا؟؟ ومع ذلك نجده يُخاطب الملك على تقواه قائلاً:

مقراض به احتياط زن اي خادم ترسم ببرى شهير جبريل أمين

أي: اضرب المقراض بحيطه وحذر أيها الخادم فإني أخشى أن تقطع جناح جبريل الأمين!

أليس في تصوير جبريل عظيم الشأن بأنه كالفراشة التي تحوم حول الحرم الذي بُني من

(١) مفاتيح الجنان (النسخة المعرّبة)، ص ٦٣٦.

(٢) ينبغي أن نعلم أن الشاه عباس وأجداده، وجماعة القزلباش أساساً لم يكونوا من الشيعة بل كانوا على مذهب «أهل حق» [العليّ اللهيّة] الباطل والمُتحرّف من أساسه!! (فلا تتجاهل).

الأموال التي سُلبت وُهبّت من أهالي مدينة «هرات»، إهانةٌ للدين وتحقيرٌ له؟! هل يجوز إهانة مُعلّم رسول الله ﷺ أي جبريل الأمين؟! هل كان مدح الشيخ البهائي للشاه عبّاس السفاك للدماء علامة على شدة تقوى الشيخ البهائي؟! لو فرضنا أن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أطلع على هذه الأعمال هل كان سيرضى عن «غلام شاه الرجال» و«كلب عتبة عليّ»؟! هل لدينا في شريعة الإسلام تذهيب للقُبّة والقبور وهل يجوز إنفاق أموال بيت المال في مثل هذه الأمور؟! هذا على فرض أن هذه الأموال حلال فكيف إذا كانت حراماً؟! (فتأمّل جداً).

ثم تكلم الشيخ عبّاس القمّي في الصفحة ٥١١^(١) عن المعجزات والكرامات التي ظهرت في مشهد الرضا، وقد ذكرنا سابقاً في هذا الكتاب بعض التوضيحات اللازمة حول هذا الأمر (ص ٢٥٠ حتى ٢٧٠) فلا نُكرّر ذلك هنا^(٢). وإن مما يُؤسف له أن أمر الخرافات وصل في بلادنا إلى حدّ أن امتلأت مدننا بمجالس التوسل برُقيّة، مع أن حضرة سيد الشهداء (ع) لم يكن لهم ابنةٌ باسم «رُقيّة» أصلاً!! فهل يجهل المدّاحون وقراء المراثي هذا الأمر أم يتجاهلونه كي يُواصلون استرزاقتهم من عملهم في غفلة من الناس؟!



- (١) هي القاب كان يتلقب بها الشاه عبّاس الصفوي ليُظهر نفسه للعامّة بمظهر المُحبّ والموالي لعلي بن أبي طالب وآل النبي. وقصده من «غلام شاه الرجال» أي غلام عليّ (ع). (المترجم)
- (٢) مفاتيح الجنان (النسخة المُعرّبة)، ص ٦٣٧. (المترجم)
- (٣) ويُراجع أيضاً كتاب «زيارت وزيارتنامه» [زيارات المزارات وأدعية الزيارات] ص ٣٥٨ - ٣٦١.

الفصل العاشر [من مفاتيح الجنان]: في زيارة أئمة سر من رأى عليهم السلام

وأعمال السرداب الطاهر

كتب الشيخ عباس القمّي في آداب السرداب أموراً تبعث على الأسف. لقد اخترعوا لهذا السرداب، الذي كان منزل حضرة العسكري (ع) قبل ألف ومئتي عام وتهدم بعد ذلك مراراً وجُدد بناؤه، إذن دخول وادابٍ وأدعية؟! ولست أدري هل عملهم ذاك وليد الجهل أم ناتج عن الفراغ والبطالة؟ إن قالوا: إن جدران السرداب وبابه تباركت بسبب مُلامستها لثربة بدن الإمام فينبغي أن نفهمهم أن ذلك الباب وتلك الجدران التي تباركت بذلك حسب قولكم قد زالت منذ مُدّة مديدة، ولكن الأهم من ذلك أن نسأل: هل علم رسول الله ﷺ -الذي هو الجدُّ الكريم للأئمة جميعهم- أصحابه آداباً وأدعيةً خاصةً بجدران وباب منزله؟! فإن لم يفعل ذلك فلماذا زاد هؤلاء السادة هذه الآداب على الدين من عند أنفسهم؟! هل لتقبيل الجدران والباب وقراءة الأدعية عندها سبب سوى التملُّق الذي يُحبه السلاطين والجبابة؟ ما أسوأها من خيالات واهية!

لو أردنا أن نستعرض الآداب التي اخترعها الخرافيون والغلاة جملةً جملةً لاحتجنا إلى كتاب ضخّم! لذلك سنكتفي بذكر بعض الجمل كنموذج كي يقف القارئ على جهل واضعي هذه الآداب أو مقدار علمهم.

يقول الشيخ عباس: "روى الشيخ الجليل أحمد بن أبي طالب الطبرسي (رح) في كتابه الشريف «الاحتجاج» أنه خَرَجَ التَّوْقِيعُ مِنَ النَّاحِيَةِ الْمُقَدَّسَةِ حَرَسَهَا اللَّهُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ الْحَمِيرِيِّ... الخ".

ونقول: أولاً: لم يُشاهد أحدٌ أحدًا ساكنًا في الناحية المقدّسة ولم يرَ خطَّ كتابته، فمن أين نعلم أن ما يُقال عن الناحية المقدّسة صحيح وصادق؟! أفلا تعقلون؟

ثانياً: لم يكن محمد الحميريّ من النُّوَاب الأربعة وبالطبع لا ينبغي أن يصل بواسطته شيء من ناحية إمام الزمان إلى الناس؟!!

ثالثاً: عاش أحمد بن أبي طالب الطبرسي (مؤلف كتاب الاحتجاج) بعد خمسة قرون من عهد الحَمِيرِيِّ، ولا أحد يعلم الرواة الواسطة بينهما!!

رابعاً: والأهمُّ من كل ذلك ضرورة التأمل في متن هذا الخبر الذي صدر -حسب قولكم- من الناحية المُقدَّسة لرى هل يتوافق مع العقل والقرآن أم لا.

جاء في هذه الرسالة: "..... إِذَا أَرَدْتُمْ التَّوَجُّهَ بِنَا إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْنَا فَقُولُوا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: سَلَامٌ عَلَى آلِ يَس. السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا دَاعِيَ اللَّهِ".

ينبغي أن نعلم -كما قلنا ذلك مراراً وتكراراً- أن الذي يريد التوجه إلى الله سبحانه وتعالى لا يحتاج أبداً إلى أيِّ واسطة أو وسيلة^(١) توصله إلى الله لأن الله ليس بعيداً عنا بل قريب منا وهو سميع وعالم بجميع الموجودات وبصير وخبير بنا، وأعلم بنا وبأحوالنا من أنفسنا وأقرب إلينا من جبل الوريد.

ثانياً: هذه العبارة التي تقول: "..... إِذَا أَرَدْتُمْ التَّوَجُّهَ بِنَا إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْنَا" عبارة مهملة وخاصة أن كلمة «وإلينا» لغو زائد هنا؛ لأننا عندما نجعل شخصاً ما وسيلةً لنا فسنكون مُتوجِّهين إليه بالضرورة. فهل يقول الإمام مثل هذا الكلام؟!

ثالثاً: جاء في العبارة: "فَقُولُوا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: سَلَامٌ عَلَى آلِ يَس" وفسرها بأن «آل يس» تعني آل رسول الله ﷺ الذين هم نحن!!

وهذا كذب وافتراء على الله تعالى وقد قال سبحانه: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الانعام: ١٤٤]. نعم، قال تعالى في كتابه بعد السلام على موسى وهارون: ﴿سَلَّمَ عَلَى آلِ يَاسِينَ ﴿١٣٢﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الصافات: ١٣٠، ١٣٢]^(٢)، ولكن هذا الوضاع اعتبر «الألف

(١) حول موضوع «الوسيلة» راجعوا ما ذكرناه في هذا الكتاب الحالي، ص ٢٠٠ فما بعد.

(٢) إذا انتبهنا إلى الآية ١٢٣ من سورة الصافات علمنا أن اسم النبي المشار إليه بالسلام كان «إلياس» و«إلياسين» وذلك مثل اسمي «سيناء» و«سينين» اللذين يُشيران إلى جبل واحد أو «ميكائيل» و«ميكائين» أو

واللام) في بداية كلمة «إِلْ يَاسِينَ» كلمة منفصلة وأضاف إلى ألفها مداً كي يصنع منها كلمة «آل» في حين أن الألف في كلمة «إِلْ يَاسِينَ» مكسورة واللام فيها أيضاً ساكنة، ولكن الوضّاع الجاهل جعل اللام مكسورة فتلاعب بأية من آيات القرآن بكل وقاحة!! لكنه غفل عن أن الله تعالى قال في الآية اللاحقة: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصفات: ١٣٢] أي أنه أتى بضمير المفرد في حين أنه لو كان المقصود «آل» لوجب أن يكون الضمير ضمير جمع أي لوجب أن يقول تعالى: ﴿إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا﴾ كما جاء بشأن «آل لوط» أو «آل فرعون» حيث كان الضمير الذي يرجع إليهم ضمير الجمع «إنهم» (فلا تتجاهل). فليت شعري! هل يعتبر واضعو الحديث التلاعب بآيات القرآن أمراً جائزاً؟!!

ثم يقول: "السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا دَاعِي اللَّهِ" وهذه كذبة أخرى. لأنه إن كان المقصود داعياً خاصاً عينه الله ونصبه، ففي هذه الحالة لا يشمل هذا العنوان سوى رسول الله ﷺ لا شخصاً آخر، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾ [الاحزاب: ٤٥، ٤٦]، وكما أطلق الله تعالى على رسوله ﷺ في الآيتين ٣١ و ٣٢ من سورة الأحقاف لقب «داعي الله». أما إن لم يكن المقصود داعياً منصوباً في هذا المقام من قبل الله فعندئذ لا بُدَّ على جميع المؤمنين -طبقاً لأمر القرآن- أن يكونوا دُعاةً إلى الله وهذا المعنى لا يختص بفرد دون الآخر، كما قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [ال عمران: ١٠٤].^(١)

«إسرائيلين» و «إسرائيل» وكلاهما اسم شخص واحد. وقد قال شاعر العرب:

يقول أهل السوق لما جينا هذا وربُّ البيت إسرائيلينا

ولا بُدَّ من الانتباه بالطبع إلى أن وزن الآيات هنا كما هو في سورة التين، جاء بالياء والنون لذا تمت الاستفادة من الاسم الثاني.

(١) اعلم أن «من» في الآية المذكورة أعلاه «بيانية» وليست «تبعيضية». أولاً: لأن القرآن وصف من تنطبق عليهم هذه الآية بالمفلحين ومن المعلوم أن الدين يريد فلاح جميع المؤمنين لا بعضهم. ومن اللازم أن نعلم بشأن هذه الآية أن كلام الله هنا أتى على منوال قولنا: «ليكن لي منك صديق» ومن ثمَّ فإن أمر الله هنا أمر عام

ثم يقول: "السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَابَ اللَّهِ وَدَيَانَ دِينِهِ". وهذا أيضاً كذب آخر لأن الله ليس له باب^(١)، ولأن دَيَانَ الدين هو الله وحده، فهو وحده مالك يوم الدين، وهو الذي يُجَدِّدُ جزاء كل إمام ومأموم.

ويقول كذلك: "السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ اللَّهِ وَدَلِيلَ إِرَادَتِهِ" وهنا ينبغي أن نسأل: أين اعتبر

ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ٣﴾ فالوصية التي ذُكرت في آخر هذه السورة هي واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذاته. ويدل على ذلك أيضاً قوله -عز وجل-: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ٧٨ ٧٩﴾، فهذه الآية أيضاً شاهد على هذا المعنى لأن الله لم يقص علينا شيئاً من أخبار الأمم الماضية إلا لأجل أن نعتبر بحالهم.

وقد أشار [جلال الدين السيوطي] إلى اعتراضٍ على القول بأن واجب الأمر بالمعروف يقع على عاتق جميع المسلمين، ومفاد الاعتراض أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يُشترط فيه معرفة المعروف والمنكر، في حين أن كثيراً من الناس يعيشون في الجهل ولا يعرفون أحكام الله! لكن هذا الكلام لا ينطبق مع ما فرضه الله على كل مسلم من كسب العلم، والحكم الذي يجب حمل خطاب القرآن عليه هو أنه لا يجوز على المسلم أن يكون جاهلاً بفرائضه وأن المسلم مأمور بكسب العلم والتمييز بين المعروف والمنكر، خاصة أنه عندما تكون كلمة «المعروف» مُطلقةً يكون المراد تلك الأمور التي يعرفها العقل السالم والطبع السليم، و«المنكر» ضده أي ما يستقبحه العقل والطبع السليمين وليس من الضروري لمعرفة المعروف والمنكر أن يقرأ المسلم حاشية ابن عابدين على «الدُّرُ الْمُخْتَارِ» أو «فتح القدير» أو «المبسوط»! إن مُرشد المسلم الوحيد نحو معرفة المعروف والمنكر -بشرط سلامة الفطرة- كتاب الله وسُنَّةُ رسوله التي نُقلت إلينا بطريق التواتر وبالعمل المتصل منذ صدر الإسلام وحتى اليوم ولا يُمكن لأيِّ مسلم أن يجهلها ولا يكون المسلم مسلماً ما لم يعلمها، بناءً على ذلك فالذين يُنكرون عمومية واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويمنعونها أجازوا في الحقيقة أن يبقى المسلم جاهلاً بتعاليم دينه إلى درجة لا يُميِّز فيها بين المعروف والمنكر! مع أن مثل هذا الأمر لا يجوز شرعاً. (نقلًا عن الكتاب الشريف «الشيخ محمد عبده، مصلح بزرگ مصر» [الشيخ محمد عبده مصلح مصر الكبير] تأليف مصطفى الحسيني الطباطبائي، انتشارات قلم، ص ١١٢ - ١١٣).

(١) حول موضوع نسبة الباب والبواب لِلَّهِ عز وجل يُرجع كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، ص ٢٨٥ و ٣١٦.

الله تعالى في كتابه الإمام حُجَّةٌ؟ وهل يوحى إلى الإمام أو يُطلعه الله على إرادته حتى يكون دليل إرادة الله؟! للأسف لما رأى هؤلاء الوضّاعون أن الشيعة يقبلون قبولاً أعمى كل ما تُلقِّفه أعلامهم قاموا بنسج ما أمكنهم من خرافات وإشاعتها بين الناس!

ثم أورد مؤلف المفاتيح تحت فقرة: «ذكر الصلاة عليه» (ويقصد إمام الزمان) (ص ٥٣٣)^(١) دعاءً مروياً عن إمام الزمان بيتديءً بجملته: "اللَّهُمَّ عَظْمَ الْبَلَاءِ وَبِرَحَ الْخَفَاءِ....." ومضمونه - كما سبق أن ذكرنا في هذا الكتاب (ص ٧٢ و٧٣) - كُفْرٌ وَشُرْكٌ وَمُعَارِضٌ لآيَاتِ اللَّهِ. ومع ذلك يقول الشيخ عبّاس القمّي عن مثل هذا الدعاء الشركي: "أقول: هذا دعاء شريف وينبغي أن يُكرَّر الدعاء به في ذلك الحرم الشريف وفي غيره من الأماكن!! نَعُوذُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنَ الضَّلَالَةِ. نكتفي بهذا المقدار حول موضوع «الزيارة» ونأتي الآن للكلام على «دعاء النُدْبَةِ».

دَعَاءُ النُّدْبَةِ

اعلم أن رسول الله ﷺ قال: "مَا مِنْ شَيْءٍ [لَيْسَ شَيْءٌ] أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الدُّعَاءِ"^(٢). ولكن ينبغي أن لا نغفل في الوقت ذاته (أو نتغافل) عما رُوِيَ عن الأئمة من قولهم: "خُذُوا مَا رَوَوْا وَذَرُّوا مَا رَأَوْا". لذلك يجب على المسلم أن يُدقق في أخذه للمطالب الشرعية ولا يتسامح في ذلك ولا يقبل كلَّ شيء دون التأمل فيه وملاحظة مصدره وسنده، وعليه أن ينتبه بشكل خاص إلى عدم تعارضه مع كتاب الله. لكن الواقع أننا نرى في كتب الأدعية أن كثيراً من العلماء والكتّاب يذكرون الدعاء الذي دعا به العالم الفلاني أو الزاهد الفلاني في مكان ما وأعجبهم، ويتصرّفون حياله كتصرّفهم مع الدعاء ذي السند الصحيح ومع الأمور الموافقة للقرآن الكريم!! مع أن الواقع ليس كذلك بل كل ما في الأمر أن ذلك العالم الفلاني رأى ذلك الدعاء مناسباً ووضع مضامين الدعاء من بنات أفكاره عملاً بإذن الشرع العام بالدعاء وسجّع ألفاظه وأراد حسب ظنّه أن يُظهر محبّته، ولحسن الحظ أنه لم ينسب كلامه إلى النبي أو الإمام، لكن المُحدّثين

(١) مفاتيح الجنان (النسخة المُعَرَّبَة)، ص ٦٦٢ - ٦٦٣. (المُترجم)

(٢) مستدرک الوسائل (الطبعة الحجرية)، ج ١، ص ٣٦١، والتاج الجامع للأصول، ج ٥، ص ١٠٩.

السُّدُجُ الذين جاؤوا بعده تعاملوا مع دعائه وكأن صاحب الدعاء قد نقل مضامين دعائه عن الإمام إما مباشرة أو عبر وسائط من الرواة!! كما لم يُدَقِّقوا النظر في أن عدم ذكر الراوي أو الرواة وعدم الانتساب إلى الإمام دليل واضح على أن الناقل الأول لهذا الدعاء لم يكن يعتبره منسوباً إلى الإمام.

وعلى كل حال، فإن كثيراً من الأدعية ونصوص الزيارات وأذون الدخول المذكورة في الكتب التي حققنا فيها إما لا يصل سندها إلى النبي ولا الإمام وهي من بنات أفكار الآخرين وليست مأثورة ولا مروية عن الإمام مثل كثير من الأمور المذكورة في كتاب «المفاتيح» والكتب المشابهة له، أو مُسندة لكن سندها معلول مخدوش لا يُعتمد عليه. وأحد أكثر هذه الأدعية شهرةً ورواجاً «دُعَاءُ النُّدْبَةِ». ولهذا الدعاء قصة أذكرها هنا لِيُسَجَّلَها التاريخ وتطلّع عليها الأجيال اللاحقة فينتبهوا ويتيقظوا، أما أهل زماننا فقد أصابني اليأس من استيقاظهم.

ذكرى ذات عبرة حول «دُعَاءِ النُّدْبَةِ»

قبل سنوات قام أحد أصدقائي واسمه حُجَّةُ الإسلام «علي أحمد الموسوي» بتدوين تقريرٍ الذي أوردته بشأن «دُعَاءِ النُّدْبَةِ»، وأخرجه في كُتَيْبٍ من ٢٤ صفحة من القطع الصغير عنوانه «بررسی دعای ندبه» [أي دراسة وتمحيص دُعَاءِ النُّدْبَةِ]، وقد أثار كُتَيْبَهُ هذا ضِجَّةً في أوساط المشايخ المتأجرين بالخرافات! وقد التزم الكاتب في الصفحة السادسة من كُتَيْبِهِ المذكور قائلاً: "إن لم يقبل أحد كلامنا فليذهب وليُحَقِّقْ ويفحص فإذا وجد سنداً ودليلاً فليُرِينَا إيَّاه وله منا مبلغ عشرة آلاف تومان أجر تعبته، وإن لم يجد دليلاً فمرجو أن لا يلجأ إلى السباب والشتم وإثارة اللغط والتهمة والافتراء".

لكن المشايخ طبق عاداتهم عارضوا هذا الكتاب دون أن يكون بأيديهم سند قوي يُظهِرُونه للناس، لذلك قمت بنفسي بكتابة تقرير حول مضامين هذا الدعاء وكنت أرغب بشدة أن يُنَشَرَ مقالِي في مجلة «مكتب اسلام» كي يطلّع عليه جميع قُرَّاءِ المجلة ولكنني لما كنت أعلم أن مسؤولي تلك المجلة الخرافيين والمتعصِّبين لن ينشروا مقالِي في مجلتهم، قمت بنشره في مجلة «رنگین کمان»

[أي قوس قزح]. وقد نُشر المقال على شكل مُلحق بصورة رسالة من ثمان صفحات من القطع الصغير^(١).

وقد قلت هناك: "إِذَا ظَهَرَتِ الْبِدْعُ فِي أُمَّتِي وَشَتِمَ أَصْحَابِي فَلْيُظْهِرِ الْعَالِمُ عِلْمَهُ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ"^(٢). ولكن هناك عدد من العلماء يلزمون الصمت أمام البدع والخرافات خوفاً على كساد سوقهم وتضاؤل عدد مُريديهم، وهناك عدد آخر من العلماء يُؤيد البدع ويصوّبها لأنه يريد الوصول إلى المرجعية وجذب عامة الشعب إليه، ولكن علينا أن نعلم أن البدعة لا تظهر ويعلو شأنها ويصبح لها أتباع وأنصار إلا عندما يتم إزاحة القرآن جانباً ويقلّ أتباعه أو يضعف شأنه حتى يصل الأمر إلى حدّ أن الناس يُرَجِّحون دعاءً أو فتوى أو حديثاً موضوعاً على القرآن! في هذه الأيام ثار لَعَطٌ ومعركةٌ من الآراء حول صحة أو بُطلان «دَعَاءِ النَّدْبَةِ»؟ وإننا لتتعجّب ونأسف كيف يتجاهل أنصار هذا الدعاء القرآن وكأنه شيئاً لم يكن ويسقطوا القرآن من الاعتبار ولا يهتمون به! إن هناك جملة عديدة في هذا الدعاء يُودّي

(١) وقد كتب مسؤول المجلة في الصفحة الثانية من الرسالة المُلحقة هذه: "في هذه الأيام أثير كلام حول «دعاء الندبة» بين مجتمع المسلمين الشيعة في إيران. وقد ذكر حُجّة الإسلام موسوي وهو من وُعاظ مشهد في كُتَيْب نشره أن قراءة دعاء الندبة لا سند له ومخالف لتعاليم دين الإسلام، وقد هاجم عدد من الكُتّاب في صحف إسلامية مثل «نداي حق» أي نداء الحق و «مكتب اسلام» المؤلف المذكور وحملوا عليه بشدة وشكلوا جبهة ضد من لا يُؤيدون دعاء الندبة. فطلب منا عدد كبير من قراء المجلة أن نكتب رأينا وتُبيّن أيّ الفريقين على حقّ. وبما أن أكثر قراء المجلة قرؤوا ما كتبه الطرفان، لذلك سنصرف النظر عن نقل الأقوال والمكتوبات ونُدرج رأي حضرة آية الله العلامة البرُقي الذي ذكره أداءً للتكليف الشرعي بمُحاربة البدع وإزالتها لاسيما البدعة التي تنفي القرآن والذي أرسل إلى مجلتنا ما كتبه في هذا المجال. وفي رأينا إن الحق والحقيقة سيظهران ولا شك أنه لا يُمكن للشك أن يحتفظ بسيطرته على الناس".

(٢) الكُلَيْبِيُّ، أصول الكافي، باب البدع والرأي والمقاييس، الحديث ٢، و القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي، دعائم الإسلام، ج ١، ص ٢، كلاهما رفع الحديث إلى النبي ﷺ. وفي مصادر أهل السنة رُوي ما هذا المعنى في مسند الفردوس للدليمي وتاريخ دمشق لابن عساكر، كلاهما بسند ضعيف عن معاذ عن النبي ﷺ. (المُترجم)

الاعتقاد بها إلى إسقاط القرآن من الاعتبار. وسنقوم ببيان بعض هذه الجمل وتُملط اللثام عنها طلباً لرضا الله".

كما قلت في ذلك الكُتَيْب:

"لما قرأت مجلة «مكتب اسلام» تعجبت كثيراً لأنني لم أكن أتوقع من كُتَّابها الأفضل أن يكتبوا في مَوْضِعٍ منها أن «دُعَاءِ النَّدْبَةِ» مصدر إلهام للنضال الاجتماعي والكفاح ضد الظلم، في حين أن «دُعَاءِ النَّدْبَةِ» مصدر إلهام لقبول الظلم والسكوت عنه حتى يأتي إمام الزمان ويقوم هو بإصلاح الأوضاع، إذ يقول «دُعَاءِ النَّدْبَةِ»: «أَيْنَ الْمَعْدُ لِقَطْعِ دَابِرِ الظَّلْمَةِ أَيْنَ الْمُنتَظِرُ لِإِقَامَةِ الْأُمَمِ وَالْعَوَجِ أَيْنَ الْمُرتَجَى لِزَالَةِ الْجُورِ وَالْعُدْوَانِ.....؟» معنى هذه الجملة أن على الشعب أن ينتظر إمام الزمان وأن لا يُحرِّك ساكناً، وكأن الشعب ليس مُكَلِّفاً إلا بنذب حاله والبكاء والعيول بأننا غرباء ولا ناصر لنا.... الخ، كي يُرضوا أنفسهم بهذه الكلمات ويُنفِّسوا عن غضبهم ويُمكِّنوا الظالمين من الركوب على ظهورهم إلى أن يأتي الإمام! ما أكثر ما يُيسِّر الاستعمار أن ينشغل عشرات الآلاف من الناس بالنذب والعيول ولا يتوجَّهوا إلى مقاومته! لو سألت كل واحد من قُرَّاء «دُعَاءِ النَّدْبَةِ»: ما الذي يتوجب فعله أمام كل هذا الكفر والجور والظلم؟ لقال: يجب أن يأتي إمام الزمان ويقوم هو بالإصلاح!

ألم يكن من الأجدر أن تُبيِّن مجلة «مكتب اسلام» هذا الموضوع الواضح أو لا تقول شيئاً ضده، بل تقول للقراء إنه من الواجب حالياً على الدولة والشعب أن يسعوا في الإصلاح ويتَّحدوا، لا أن يجعل الناس العويل والنذب شعارهم ومدار أعمالهم.

سأل جاهلٌ مجلة «مكتب اسلام» في العدد ستة من السنة ١٣ عن «دُعَاءِ النَّدْبَةِ» وقال: إن الإمام حاضر وناظر في كل مكان ونحن الذين لا نستطيع إدراك هذا الأمر!! ولم تردّ هذه المجلة على هذه الجمل الشركية التي تُثبت لشخص غير الله صفة اللامكانية والحضور في كل مكان وهي صفة خاصة بالله تعالى الذي ليس جسماً ولا جوهرًا ولا محدوداً فمن يصف الإمام بصفات إلهية يقع في الشرك..... ما هو الدليل على حضور الإمام في كل مكان؟ أيُّ دليل عقلي أو شرعي

لقد كان الجدير بمجلة «مكتب اسلام» أن تُرشد ذلك السائل لا أن تسكت هنا وتبسط الكلام المُفَصَّل للدفاع عن «دُعَاءِ النُّدْبَةِ»!! هل نفي الشرك أفضل أم إثبات دعاء لا يرى أنصاره فيه سوى دعاء مُسْتَحَبًّا؟! والعجيب أن لهذا الدعاء أنصار أكثر من أنصار التوحيد!..... لقد قال تعالى في مئة آية من القرآن: لا تدعوا غيري ولا تعتبروا أحداً غيري قاضياً للحاجات، فهل هناك دليل شرعي يُجيز دعاء الإمام أو الرسول؟ أليس في «دُعَاءِ النُّدْبَةِ» دعاء غير الله؟ أليس التوقي من الشرك واجباً؟ لماذا تعتبرون الذين يُنادون المسيح أو بوذا مشركين إذن؟

رغم ذلك نشر السيد رشاد الزنجاني نشرةً فسَّرَ فيها جميع الآيات التي تقول لا تدعوا غير الله حسب هواه وقال: إن المقصود منها دعاء غير الله على نحو العبادة لا على نحو الوساطة!! ^(٢) إنه يتصور أن هناك بُعداً ومسافةً بين الخالق والمخلوق أو أن هناك واسطةً بينهما، أو أن الله غير مُطَّلَعٍ على دعاء عباده أو أنه أصم -والعياذ بالله- أو أن غير الله أكثر رحمةً ورأفةً من الله! وفسَّرَ قوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] بمعنى "ادْعُوا الْمُقَرَّبِينَ مِنِّي"!! بل إنه اعترض بنفسه على الآخرين لماذا يُفسِّرون القرآن برأيهم!! إنك تردُّ التفسير استناداً إلى قواعد عُرف اللغة العربية ولكنك تقوم بالتفسير برأيك خلافاً لقواعد العربية وتأتي الناس بالشرك بدلاً من التوحيد! إنهم يتصورون أن فتوى لا سند لها أو كتاب دعاء ألفه زاهد قديم من أهل الغلو يُعتبران سنداً ودليلاً على صحة البدع! لقد تجرأ «دُعَاءُ النُّدْبَةِ» على الله فقال: "وَقُلْتُ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ". في حين أن الله تعالى لم يسأل أحداً أجراً بل أمر رسوله أن يقول: «قُلْ مَا

(١) إن ادعاء حضور الإمام في كل مكان لا يُستفاد حتى من «دعاء الندبة»، بل هناك جمل في هذا الدعاء تخالف هذا الادعاء، مثلاً يُخاطب قارئ الدعاء الإمام الذي ينتظر ظهوره قائلاً: «متى ترانا ونراك؟»، فمفهوم هذه الجملة أن الإمام لا يرى أتباعه إلا بعد ظهوره أما في حال الغيبة فلا يراهم ولا يرونه. فكيف يُمكن القول إنه حاضر ناظر في كل مكان؟!

(٢) لقد تكلمنا بما يكفي في الصفحات السابقة من الكتاب الحاضر عن موضوع «الوساطة» و «الوسيلة» فَلْيُرَاجِعْ نَمَّةً.

سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ» ولم يلتفت إلى أن هذه الآية القرآنية تتضمن كلمة «قُلْ» وأنه لا يجوز أن نزيد في القرآن أو نُنقص منه! أيها القارئ العزيز! ارجع إلى الآية ٤٧ من سورة سبأ لتدرك الحقيقة.

والخلاصة أنه لا يجوز للكاتب الفاضل المتدين أن يكتب شيئاً إرضاءً لميل العامة ولا يفعل كما تفعل سائر المجلات اليوم التي تعرض طبقاً للطلب! ولتصحيح سند «دُعَاءِ النَّدْبَةِ» ذكرت مجلة «مكتب اسلام» في العدد سبعة من السنة ذاتها قول عدة شيوخ قداماء من أهل الغلو وصفهم علماء الرجال بالتقوى واعتبرت قولهم سنداً، ولا ندري لماذا تُعتبر تقوى أهل النهروان مردودة أما تقوى أهل الغلو مقبولة! والواقع أن قول أيّاً منهم لا يُعدُّ سنداً ولا حُجَّةً. ولكن مجلة «مكتب اسلام» وقعت هنا في عدة أخطاء: الأول: أنها قالت إن واضع «دُعَاءِ النَّدْبَةِ» «الْبَزْوَفَرِيُّ» ثقة وكان أستاذاً للشيخ المفيد وعاش زمن الغيبة الصغرى ولعله^(١) أخذ هذا الدعاء عن الإمام. إننا لنتعجب من غفلة هؤلاء الفضلاء، فأولاً: اسم «الْبَزْوَفَرِيُّ» الذي كان ثقة وكان شيخ الشيخ المفيد هو «الحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ سُفْيَانَ» ولكن مؤلف «دُعَاءِ النَّدْبَةِ» اسمه «محمد بن الحسين» وهو شخص مجهول الحال. ثانياً: لم يكن أيٌّ منهما لا الأب ولا الابن في عهد الغيبة الصغرى.

ثالثاً: لم يكونا من وكلاء الناحية المقدسة حتى يأخذا هذا الدعاء من الإمام^(٢).

(١) ينبغي أن ننتبه إلى أنه لا يُمكن إثبات شيء بعبارات مثل «لعل» و «ربما» و «يُحتمل» و «من الممكن» (فلا تتغافل).

(٢) جاء في الصفحة ٤ من نشرة «دراسة وتمحيص دعاء الندبة» ما يلي: "لم يرو ابن طاووس هذا الدعاء عن الإمام أو عن الرسول بل نقله بعض الشيعة مجهولي الحال والعبارة التي جاءت في كتابه هي ما يلي: «ذَكَرَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي قُرَّةٍ: نَقَلْتُ مِنْ كِتَابِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سُفْيَانَ الْبَزْوَفَرِيِّ «دُعَاءِ النَّدْبَةِ» وَذَكَرَ أَنَّهُ الدُّعَاءُ لِصَاحِبِ الزَّمَانِ (ع)». ولم يُبين لنا من هم بعض أصحابه هؤلاء الذين رَوَوْا ذلك الكلام وما هي أسماؤهم؟ وثانياً: اعتبر علماء الرجال «مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ سُفْيَانَ» شخصاً مجهول الحال. ثالثاً: «مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ سُفْيَانَ» لم يكن في القرن الرابع ولا في زمن الأئمة حتى يأخذ الدعاء عن الإمام فليس من المعلوم من أين ومن من أخذ هذا الدعاء، فلم يذكر اسماً لإمام ولا لغير إمام! وقد كتب المرحوم الشيخ عباس القمّي في كتابه «هدية الأحياء» (ص ١٠٦): "أورد «مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ سُفْيَانَ» «دعاء الندبة» في كتابه". رابعاً: قوله إن الدعاء لصاحب الزمان قول مُجَرَّد من الدليل فما هو سنده ودليله على ذلك؟ من هذا يتبين أن ابن

ونحمد الله أنه بعد كل تلك الحوارات والنقاشات بين الطرفين ثبت وتحقق أن «دعاء الندبة» ليس له سند ولم يظهر رجل ليأخذ جائزة العشرة آلاف تومان التي عرضها كاتب كُتِّب «دراسة وتمحيص دعاء الندبة» أي حضرة حُجَّة الإسلام والمسلمين السيد المُجاهد الحاج «سيد علي أحمد الموسوي» -دامت فيوضاته-. وعلى كل حال نسأل الله للجميع اليقظة والتوفيق. والسلام".
(انتهى)

ينبغي أن نعلم أن «الحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ سُهَيْبَانَ الْبَزَوْفَرِيَّ» الذي أثنوا عليه ومدحوه هو نفسه راوي الحديث الذي اخترع اثني عشر مهدياً للناس!!! وللاطلاع على الحديث المذكور من الضروري مراجعة الحديث التاسع في الكتاب الشريف «شَاهِرَاهُ التَّحَادِ» [طَرِيقُ التَّحَادِ]، كي تعرفوا الأشخاص الذين كان يروي عنهم جناب «حسين البزوفري»!

ومن الجدير بالذكر أن الدكتور علي شريعتي (رحمه الله) كتب بعض المطالب حول «دُعَاءِ النُّدْبَةِ» فردَّ عليه الحاج الشيخ «محمد تقي الشوشتري». وسنذكر هنا لفائدة القراء المحترمين ما قاله الدكتور المرحوم وبعض ما ذكره العلامة الشوشتري في الردِّ عليه^(١). نأمل أن يتأمل القارئ الكريم بما نذكره هنا:

"لقد أشار «دُعَاءِ النُّدْبَةِ» إلى هذه المسألة وسأل: «لَيْتَ شِعْرِي! أَيْنَ اسْتَقَرَّتْ بِكَ التَّوَى؟ بَلْ أَيْ أَرْضٍ تُقَلِّكَ أَوْ تَرَى؟ أَمْ بِرِضْوَى أَمْ غَيْرَهَا أَمْ ذِي طَوَى^(٢)...؟» ولا أدري لماذا يبحث هذا

طاووس -كما نقل عن ذلك المَجْلِسِيِّ في البحار (ج ٢٢، ص ٢٦٢)- لم يُبرز أيَّ سند صحيح ولعلَّه أتى بهذا الدعاء عملاً بقاعدة «التسامح في أدلة السنن» ثم اقتدى به الآخرون واعتمدوا هذا الدعاء، مع أنه لا مجال هنا للعمل بقاعدة «التسامح في أدلة السنن» لأن هذه القاعدة يُعمَلُ بها عندما يكون لدينا سند ضعيف مُتصل بالمعصوم فيتمَّ تجاهل ضعف السند نظراً إلى أن المتن من السنن والمستحَبَّات. [ولا يخفى أنني لا أوافق على هذه القاعدة أصلاً كما لاحظتم في الكتاب الحاضر] وهنا ليس لدينا سند أصلاً لا ضعيف ولا غير ضعيف فليس الموضوع موضع قاعدة التسامح..... الخ". انتهى كلام السيد علي أحمد الموسوي.

(١) نقل هذه الأمور من مجلة «كبهان فرهنگي» السنة الثانية، شهر فروردين ١٣٦٤، العدد الأول، الصفحتان ٢٠ و ٢١.

(٢) رضوى: اسم جبل قرب المدينة المنورة، وذي طوى هو الجبل المعروف بسيناء. (المُتَرَجِّمُ)

الدعاء - الذي راج كثيراً في أيامنا هذه وأصبح يُحاطَب فيه إمام الزمان في كثير من الأوساط الدينية واشتدَّ رواجه وانتشاره في السنوات الأخيرة إلى درجة أنه قد تشكلت جماعات خاصة لهذا الموضوع-، أقول: لا أدري لماذا يبحثون عن حضرة المهدي في ذي طوى أو في جبل رضوى الذي كان مكان «محمد بن الحنفية»، الذي كانت فرقة الكيسانية تعتقد أنه هو إمام الزمان وأنه توارى عن الأنظار في جبل رضوى وسيظهر في المستقبل منه وكان أتباعه يتوجهون إلى ذلك الجبل ويدعون ويندبون ويتضرَّعون في أسفل ذلك الجبل وهم مُتوجِّهون إليه لأجل أن يخرج محمد بن الحنفية من غيبته ويقوم. فضلاً عن ذلك فإنه لم يكن لسيرة حضرة المهدي لا في حياته ولا في غيبته الصغرى ولا غيبته الكبرى ولا بعد الظهور أيّ علاقة بجبل رضوى. والغيبية أساساً ليست على هذا النحو بأن يكون الإمام مُحْتَفياً في مكان خاص بل هو حاضر وناظر في كل مكان ولكننا نحن الذين لا نستطيع أن نُميِّز ذلك ونُدركه".

وقبل أن أذكر بقية ما قاله المرحوم شريعتي ألفت انتباهكم إلى هذه النقطة وهي أنه خلافاً لصنيع مسؤولي مجلة «مكتب اسلام» الذين لزموا الصمت أمام ادعاء حضور الإمام في كل مكان، قال العلامة الشوشتري في ردّه: «إن حضرة المهدي (ع) لما كان إنساناً فلا بُدَّ أن يكون مُستقراً في مكان ما، وأن يتحرَّك ويكون في أماكن مختلفة في أوقات منفصلة، وإلا فإن الذي هو موجود في جميع الأوقات وعلى الدوام في كل مكان هو الذات الأحادية المقدَّسة جَلَّ وعلا» (فتأمل جداً ولا تتجاهل).

الآن نواصل نقل كلام المرحوم شريعتي، قال:

"بناءً على ذلك فإن السؤال: أين استقرت بك النوى؟ لا ينسجم حسب الظاهر مع نوع غيبة حضرة المهدي الموعود للشيععة الإمامية. إن القراءة المتمعَّنة لنصّ «دُعَاءِ النُّدْبَةِ» الذي لا يذكر أسماء أئمتنا بصراحة وبترتيب، وبعد ذكره لحضرة الأمير (ع) -الذي يُطنب في ذكر مناقبه وفضائله- يقفز فجأة ومباشرة إلى مخاطبة الإمام الغائب، تُقَوِّي طرح ذلك السؤال في الذهن.

وعلى كل حال فإنني أطرح هذا الأمر بوصفه سؤالاً علمياً فقط، لا حكماً نهائياً وقطعياً؛ أملاً أن أسمع إجابةً منطقيّةً ومعقولةً على سؤالٍ هذا بدلاً من السبِّ والاثِّام، وأن يرتفع هذا الإبهام

في ذهني وإن قام شخص ذو اطلاع ومعرفة بتوضيح هذه المسألة يكون قد منَّ عليَّ بفضلِه وأكون له من الشاكرين". (انتهى كلام الدكتور شريعتي).

حول سند هذا الدعاء قال العلامة الشوشترى مخاطباً المرحوم شريعتي:

((أما بالنسبة إلى سند «دُعَاءِ النَّدْبَةِ» فإن كتاب «البحار» ينقل من كتاب «المزار» لعلي بن طاووس قائلاً: «ذَكَرَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي قُرَّةَ: نَقَلْتُ مِنْ كِتَابِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سُفْيَانَ الْبَزْوَفَرِيِّ (رض) وَذَكَرَ أَنَّهُ الدُّعَاءُ لِصَاحِبِ الزَّمَانِ (ع) وَدُسْتَحَبُّ أَنْ يُدْعَى بِهِ فِي الْأَعْيَادِ الْأَرْبَعَةِ وَهُوَ: الْحَمْدُ لِسَلْبِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا، اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا جَرَى بِهِ قَضَاؤُكَ فِي أَوْلِيَائِكَ.....»، ثم نقل الدعاء حتى آخره ثم قال: «قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمَشْهَدِيِّ فِي الْمَزَارِ الْكَبِيرِ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ قُرَّةَ: نَقَلْتُ مِنْ كِتَابِ أَبِي جَعْفَرِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سُفْيَانَ الْبَزْوَفَرِيِّ. أقول وذكر مثل ما ذكره السيد (أي ابن طاووس) سواء^(١)..». والظاهر أن مفهوم هذه الفقرة في الخبر المذكور «وَذَكَرَ أَنَّهُ الدُّعَاءُ لِصَاحِبِ الزَّمَانِ (ع)»: هو أن «الْبَزْوَفَرِيِّ» روى الدعاء عن إمام الزمان، وبناءً على ذلك يكون «دُعَاءِ النَّدْبَةِ» من إنشاء وصياغة حضرة الإمام نفسه^(٢)، مثل «دعاء الافتتاح»^(٣)، ويُحْتَمَلُ أيضاً أن يكون «دُعَاءِ النَّدْبَةِ» من إنشاء وصياغة «الْبَزْوَفَرِيِّ» إذ من الممكن أن يكون معنى الفقرة المذكورة وجوب قراءة «دُعَاءِ النَّدْبَةِ» لأجل فرج إمام الزمان وظهوره، وعلى كل حال أصل سند الدعاء هو هذا الذي ذُكِرَ في «البحار»، وأما ما جاء في كتاب «زاد المعاد» من قول مؤلفه: "وأما «دُعَاءِ النَّدْبَةِ» المُشْتَمَلُ عَلَى الْعَقَائِدِ الْحَقَّةِ وَالتَّأْسُفِ عَلَى غَيْبَتِهِ (عج) فَمَرُوءِيٌّ بِسِنْدٍ مُعْتَبَرٍ عَنِ الْإِمَامِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ (ع) إِذْ إِنَّ قِرَاءَتَهُ مَسْنُونَةٌ فِي الْأَعْيَادِ الْأَرْبَعَةِ أَي يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَيَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ وَيَوْمَ عِيدِ الْأَضْحَى وَيَوْمَ عِيدِ الْغَدِيرِ". فالظاهر أن مؤلفه لم

(١) بحار الأنوار، ج ٩٩، ص ١١٠. (المُتَرَجِّمُ)

(٢) قلنا إن عبارات «يُحْتَمَلُ» و«ربها» و«من الممكن» و.... لا تُثَبِّتُ أمراً. خاصةً أن متن الدعاء معيب جداً ومن المقطوع به أن الإمام لا يُعَلِّمُ الأمة دعاءً معيباً.

(٣) للاطلاع على كيفية دعاء الافتتاح وحاله من الضروري مراجعة الصفحة ٣٠٢ فما بعد من الكتاب الحاضر.

يرجع إلى المستندات بل نقل ذلك من أماكن خارجية فوق في الخطأ إذا لو نُقل هذا الدعاء عن حضرة الصادق (ع) لنقل ذلك صاحب «البحار» الذي موضوعه ذكر الأسانيد والمستندات)). انتهى من كلام العلامة الشوشتري).

قارن أيها القارئ المحترم كلام العلامة الشوشتري هذا بما ذكرناه قبل صفحات في الكتاب الحاضر (أي في حواشي الصفحتين ٤٦٠ و ٤٦١) نقلاً عن الصفحة ٤ من كُتَيْب «دراسة وتمحيص دعاء الندبة».

ثم كتب العلامة الشوشتري يقول:

((نعم، جاء في النصوص المُعتبرة (!؟) التي وصلتنا عن الأئمة الأطهار (عليهم السلام) أن مكان حضرة المهدي في عهد الغيبة الصغرى وعهد الغيبة الكبرى أيضاً جبل رَضَوَى (!)).

ثم نقل رواية عن «محمد بن الحسن الصفار» الذي كان متساهلاً في أخذ الحديث، ونقل رواية أيضاً عن كتاب «الغيبة» لأبي عبد الله النعماني الذي كان حاطب ليل يجمع في كتابه كل ما وصل إليه ولا يُعتمد على ما في كتابه من أخبار، ومن الواضح تماماً أن مُجَرَّد نقل أمثال هؤلاء الأشخاص لحديث ما لا يستوجب الثقة به، ويدل على ذلك أن أحد رواة الحديث الذي نقله العلامة الشوشتري عن كتاب «الغيبة» للنعماني هو «منصور بن يونس» الذي ضَعَّف في رجال الكِشِّي (ص ٣٩٨).

بناءً على ذلك فإن العلامة الشوشتري لم يُقدِّم لنا سوى الادِّعاء ولم يأتنا بأي نص من «النصوص المُعتبرة» التي تحدت عنها في حين أنه كان من الواجب عليه أن يبرز لنا نموذجاً واحداً على الأقل من تلك «النصوص المُعتبرة».

ثانياً: إن الادِّعاء بأن محلَّ اختفاء المهدي في الغيبة الصغرى جبل رَضَوَى مخالف للادِّعاء بأن

(١) حول «النصوص المُعتبرة» المُتعلِّقة بالمهدي، من الضروري مراجعة التنقيح الثاني لكتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، الصفحات ٦٧٢ إلى ٦٨٤، و ٦٩٥ إلى ٧٠٠ و ٨٤٦ إلى ٨٦١، ومراجعة كتاب راقم هذه السطور المُسمَّى «تحقيق علمي در احاديث المهدي» أي تحقيق علمي في أحاديث المهدي.

المهدي إنما غاب بهدف عدم وصول الأعداء إليه وللخلاص من شرهم! إذ لو كان مكانه في الغيبة الصغرى معروفاً لكان بإمكان أعدائه أن يصلوا إليه.

ثالثاً: لقد ثبت في كتاب «شَاهِرَاهُ اتِّحَادٍ» [طَرِيقُ اتِّحَادٍ]، (ص ٢٣٧ إلى ٢٦٥) أن «النصوص المُعْتَبَرَةَ» (!؟) التي نُشَاهِدُهَا اليَوْمَ فِي الكِتَابِ حَوْلَ إِمَامَةِ الأئِمَّةِ الاثْنِي عَشَرَ تَمَّ وَضَعُهَا فِيهَا بَعْدَ، وَهِيَ، خِلَافاً لِمَا يَدَّعُونَهُ، نِصُوصٌ غَيْرٌ مُعْتَبَرَةٌ بِأَيِّ وَجْهِ مِنَ الْوُجُوهِ.

إذا كان الإمام اللاحق غير معروف للناس في زمن كل واحد من الأئمة فكيف من الممكن أن يُقدِّم الأئمة، ومن جملتهم الإمامين الباقر والصادق -عليهما السلام- للناس «نصوصاً مُعْتَبَرَةً» (!؟) حَوْلَ الْغَيْبَةِ وَحَوْلَ مَرَّاتِ الْغَيْبَةِ وَحَوْلَ أَمَاكِنِ اخْتِفَاءِ الإِمَامِ الثَّانِي عَشَرَ!!؟

كتب الأستاذ محمد باقر البهبودي يقول:

"وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: «فُلَانٌ كَيْسَانِيٌّ» كَانَ يُعْتَقَدُ بِأَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ هُوَ الإِمَامُ الرَّابِعُ وَأَنَّهُ لَمْ يَمُتْ بَلْ غَابَ فِي جَبَلِ رِضْوَى وَسِيخْرَجَ وَيَمَلَأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدلاً بَعْدَمَا مُلِمَّتْ ظُلُمًا وَجُورًا..... [أَوْ يَقُولُونَ:] «فُلَانٌ نَاوُوسِيٌّ» كَانَ يُعْتَقَدُ بِأَنَّ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ هُوَ الْمَهْدِيُّ وَسَيُبْعَثُ وَيَمَلَأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدلاً..... [أَوْ يَقُولُونَ:] «فُلَانٌ وَاقِفِيٌّ» كَانَ يُعْتَقَدُ بِأَنَّ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ لَمْ يَمُتْ بَلْ غَابَ فِي جَبَلِ رِضْوَى وَسِيخْرَجَ وَيَمَلَأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدلاً!

فقد كانت القدماء من أصحابنا [أي الشيعة] في عهد الغيبة الصغرى وبعدها، يُعَدُّونَ هَذِهِ الْمَعْتَقَدَاتِ طَعْنًا وَلَا يَعْمَلُونَ بِهَا تَفَرُّدًا أَحَدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الْفِرْقِ مَشِيئًا عَلَى سِيرَتِهِمُ الْمَعْهُودَةِ فِي أَصْحَابِ الضَّعْفِ وَالْمُتَأَخَّرُونَ مِنْهُمْ يُورِدُونَ أَحَادِيثَهُمْ فِي أَبْوَابِ الْفِقْهِ فَإِذَا كَانَتْ مُوَافِقَةً لِرَأْيِهِمْ يَسْكُنُونَ عَنِ الطَّعْنِ فِيهِمْ وَإِذَا كَانَتْ مُخَالِفَةً لِرَأْيِهِمْ يَرُدُّونَ أَحَادِيثَهُمْ بِالطَّعْنِ فِيهِمْ مَشِيئًا عَلَى الْخُطَّةِ الَّتِي أَبْدَعَهَا [شَيْخُ الطَّائِفَةِ] أَبُو جَعْفَرِ الطُّوسِيِّ فِي كِتَابِهِ «تَهْذِيبُ الْأَخْبَارِ» (أَوْ تَهْذِيبُ الْأَحْكَامِ).....!!

فإن سياق الإمامة في الأئمة الاثني عشر بأعيانهم وأشخاصهم -على ما نعرفهم اليوم- لم يكن مُتَحَقِّقًا مِنْ أَوَّلِ الأَمْرِ وَإِنَّمَا تَحَقَّقَ دَوْرًا فَدَوْرًا وَعَهْدًا فَعَهْدًا..... ولذلك نرى الخواصَّ [من أصحاب الأئمة] منهم كانوا يَفُودُونَ إِلَى الإِمَامِ الْحَاضِرِ وَيَلْتَمِسُونَ مِنْهُ أَنْ يُعَرِّفَهُمُ الإِمَامَ

القائم من بعده فلا يُجيبُهُم إلا عند ضيق المجال والأمن من الأعداء..... ولذلك قَلَّتِ النُّصُوصُ وَعَمِيَّتِ الأَنْبَاءُ عَنْهُمْ وَدَخَلَتِ الشُّبُهَاتُ الْمُظْلِمَةُ فِي صُدُورِهِمْ. كُلَّمَا مَضَى إِمَامٌ مِنْ أُمَّةِ العِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ، اختلفت الشيعة في الإمام القائم من بعده لا يدرون بمن يَأْتُمُّونَ وإلى ماذا يَرْجِعُونَ؟ مع أن فيهم كبار الفُقهَاءِ وَالمُتَكَلِّمِينَ تُرَوِّهاها من عهد الغيبة الصغرى وقبله بقليل لما آل بهم الأمر إلى هذه التفرقة الفاضحة والقول بالأهواء الباطلة..... ولما وقعت الحيرة لأساطين المذهب وأركان الحديث سنوات عديدة وكانوا في غِنَى أن يتسرَّعوا إلى تأليف الكتب لإثبات الغيبة وكشف الحيرة عن قلوب الأئمة بهذه الكثرة" (معرفة الحديث، الشيخ محمد باقر البهبودي، مركز انتشارات علمي وفرهنگی، ص ٩٠ حتى ٩٤ و ١٠٩)^(١).

بناءً على ذلك فلم يأت العلامة الشوشتری بدليل على ادِّعائه وربما يكون الأمر على عكس ما ادَّعاه تماماً، ويكون واضعو الأحاديث والأدعية قد أخذوا جبل رضوى وذو طوى من فرقة الكيسانية أو الواقفية أو..... الذين كانوا من الناحية التاريخية مُتقدِّمين على مُدَّعي غيبة ابن حضرة العسكري من باب مُنافسة الفرق المتنازعة وطردهم من الساحة الدينية، لا العكس.

ومن الناحية العقلية أيضاً لا يُمكن تصور أن يكون «دُعَاءُ النُّدْبَةِ» منسوباً إلى أحد الأئمة لأن الأئمة من الإمام الأول حتى الإمام الحادي عشر كانوا جميعاً عقلاء وكاملين وكانوا يعلمون أن الإمام الثاني عشر لم يأت إلى الدنيا بعد ولم يغب فكيف يُمكن مُحاطبة من لم يأت إلى الدنيا بما جاء في هذا الدعاء من قول الداعي: "لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ اسْتَقَرَّتْ بِكَ النَّوَى بَلْ أَيْ أَرْضِ تُقِلُّكَ أَوْ تَرَى أَرْضِ بَرَضَوَى أَمْ غَيْرَهَا أَمْ ذِي طَوَى..... بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ مُعَيَّبٍ لَمْ يَخُلْ مِنَّا.....".

هل يصحُّ أن يقول الإمام الصادق أو الإمام الجواد أو..... لحفيدهما الذي لم يُولد بعد ولم يغب: "أَيْنَ اسْتَقَرَّتْ بِكَ النَّوَى بَلْ أَيْ أَرْضِ تُقِلُّكَ أَوْ تَرَى أَرْضِ بَرَضَوَى أَمْ غَيْرَهَا أَمْ ذِي طَوَى!!؟" ألم يكن الأئمة يعلمون أنه لم يُولد بعد ولم يسكن في الجبل بعد؟! لعَلَّهم يقولون: إن الإمام الثاني عشر قرأ هذا الدعاء لنفسه واشتكى وندب من فراق نفسه لنفسه!!! هل من الممكن

(١) الكلمات التي جاءت بين معقوفتين [] شرح من المؤلف البرقي وليست من كلام الأستاذ البهبودي. (المُتَرَجِّمُ)

أن لا يعلم الإمام موضع نفسه ويقول: لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ اسْتَقَرَّتْ بِكَ النَّوَى بَلْ أَيُّ أَرْضٍ تُقْلُكُ
أَوْ تُرَى؟! ألا يستحي الذين ينسبون هذا الدعاء إلى الإمام؟!!

وإشكالنا الآخر على العلامة الشوشتري أنه تجاهل تماماً المضامين المعيبة لنص الدعاء!! في حين أنه كان من الواجب عليه أن يبيّن عيوب هذا الدعاء لإيقاظ الناس وتوعيتهم. وإنه لما يستدعي العجب كثيراً أن نجده بدلاً من بيان عيوب هذا الدعاء يقول في ختام رسالته: "بالطبع، ما أحسن زيادة الأعمال الصالحة^(١)، ولعلهم يتوسلون بهذا الدعاء على أمل الفرج إذ قال تعالى: «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ»!!

ونقول: إن الله تعالى قال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] ولم يقل: «ادعوا مخلوقاتي والمقربين مني»، هذا في حين أن الناس يقرؤون «دُعَاءَ النَّدْبَةِ» المليء بالأخطاء والعيوب، ونظائره، في كل مكان وفي كل وقت ويعتبرون الإمام -الذي له مكان مُستَقَرٌّ فيه على حدّ قولك وله حركة وسير في أوقات أخرى - حاضراً ناظراً في كل مكان وسميماً لدعائنا!! وَمِنْ ثَمَّ فلا علاقة أبداً لقراءة أدعية مثل «دُعَاءِ النَّدْبَةِ» بدعاء الله، وهذا أمر لا يخفى بالطبع على العلامة الشوشتري! (فتأمل).

للأسف، لقد ابتعدت الأمة الإسلامية اليوم عن سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وتلوّثت بالبدع، وأصبح الناس يقومون بأعمال باسم دين الله لم تكن في صدر الإسلام ولم يفعلها رسول الله ﷺ، ومن جملة ذلك قراءة «دُعَاءِ النَّدْبَةِ». وإذا أراد أحد اليوم أن يفهم الناس هذه الحقيقة منعه المتكسبون بالدين الذين قاموا بهذه الأعمال باسم الدين على مدى سنوات ونالوا بذلك المال والجاه، واتهموه واتهموا كلّ مُصلِح يريد توعية الناس وتخليصهم من البدع بمئات التُّهَم والافتراءات، وأثاروا حوله لغطاً وضجّةً حتى لا يُصغي أحد إلى كلامه ويتعد الناس عنه. والناس أيضاً مُقَصَّرُونَ بالطبع، لأنهم لا يُبدون استعداداً للتفكّر والتأمّل في المسائل الدينية ولعلّهم لا يعتبرون أن من واجبه أن يفهموا ما يُعرض عليهم من أمور الدين ويتفكروا فيه!!

(١) من الواضح بالطبع أن نشر وإشاعة الأدعية الموضوعية التي تتضمن أموراً غير صحيحة ومخالفة للتوحيد القرآني لا يُعدُّ بأيّ حال من الأحوال من «الأعمال الصالحة». (فلا تتجاهل)

وصفة الناس هذه هي التي أدت إلى رواج البدع بينهم. وبالطبع ينسب مُرُوجو البدع أيضاً بدعهم إلى دين الله وإلى الرسول والإمام ولا يتحقق الناس أو يفحصوا مدى صحة هذه النسبة وسُقمها. وأصبح وضعنا اليوم مطابقاً تماماً للحديث الذي قاله حضرة العسكري:

"سَيَأْتِي زَمَانٌ عَلَى النَّاسِ... السُّنَّةُ فِيهِمْ بِدْعَةٌ وَالْبِدْعَةُ فِيهِمْ سُنَّةٌ... كُلُّ جَاهِلٍ عِنْدَهُمْ حَبِيرٌ... لَا يُمَيِّزُونَ بَيْنَ الْمُخْلِصِ وَالْمُرْتَابِ لَا يَعْرِفُونَ الضَّانَ مِنَ الدَّنَابِ عُلَمَاؤُهُمْ شِرَارُ خَلْقِ اللَّهِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ لِأَنَّهُمْ يَمِيلُونَ إِلَى الْفَلْسَفَةِ^(١) وَالتَّصَوُّفِ... الخ"^(٢) (سفينة البحار، ج ٢، ص ٥٧).

في مثل هذه الأحوال يجب على أهل العلم بالقرآن ومسائل الإسلام أن يبذلوا كل جهدهم لأجل إيقاظ المسلمين ويتحملوا في هذا السبيل العذاب والمشقة والمرارة كي يخلوا مسؤوليتهم ويبرئوا ذمتهم أمام الله وينالوا الأجر الجزيل عند ربهم.

وعلى كل حال فأحدى الأعمال التي تتم باسم الدين ولا سند لها في الشريعة قراءة «دُعَاءِ النُّذْبَةِ» الذي تخالف كثيرٌ من مجلِّه كتاب الله تعالى والعقل والتاريخ، ونحن، أداءً لواجبنا الديني، سنذكر فيما يلي بعض هذه المخالفات بلغة سهلة كنموذج فقط:

١- الخطأ المرتكب في هذا الدعاء بشأن الآية ٤٧ من سورة «سبأ»^(٣).

٢- يقول الدعاء مخاطباً الإمام علياً (ع): "يَا ابْنَ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ". من هذا يُعلم أن واضع الدعاء متأثرٌ بالأحاديث الموضوعية التي تقول إن المقصود من «النَّبِيِّ الْعَظِيمِ» في قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠٠﴾ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿١٠١﴾﴾ [النبأ: ١، ٢] هو الإمام عليّ (ع)، ومن ثمَّ فالداعي يريد

(١) لا يخفى أنه من الضروري أن نُفرِّق بين أتباع العقل السليم وبين أتباع المدارس الفلسفية الخرافية المتعددة الشائعة بين ملل الدنيا المختلفة. (فلا تتجاهل)

(٢) الميرزا حسين النوري الطبرسي، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ج ١١، ص ٣٨٠، نقلاً عن العلامة الأردبيلي في «حديقة الشيعة»، نقلاً عن السيد المرتضى بن الداعي الحسيني الرازي بإسناده عن الشيخ المفيد (المترجم)

(٣) راجعوا الصفحة ٤٥٧ من الكتاب الحاضر.

القول إن إمام الزمان ابنُ عليٍّ (ع) النبي العظيم! هذا في حين أن سورة ص (الآيات ٦٧ - ٦٨) وسورة النبأ كلاهما نزل في مكة، وفي الفترة المكية من الدعوة لم يكن هناك تساؤل ولا اختلاف مع النبي بشأن ابن عمّه حتى يُنزل اللهُ آيةً بهذا الشأن بل كان المشركون مختلفين مع النبي بشأن القيامة. ولقد تحدثنا عن معنى «النبأ العظيم» في الكتاب الحالي بما فيه الكفاية فليُراجِعْ ثَمَّةَ (ص ٤٦ - ٤٨).

٣- يقول: "ثُمَّ جَعَلْتُمْ أَجْرَ مُحَمَّدٍ -صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ- مَوَدَّةً لَهُمْ فِي كِتَابِكَ فَقُلْتُ: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣]!"

إن مُلَّفَقَ هذا الدعاء يدَّعي - كسائر الخرافيين - أن أجر رسول الله ﷺ على رسالته هو مودَّتنا لأهل بيته ومحبتنا لهم، ولكن هذا الادِّعاء يتعارض مع القرآن والعقل والتاريخ^(١). وقد تكلمنا على الآية الكريمة ٢٣ من سورة الشورى بما فيه الكفاية في كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، (الصفحات ٦٣٣ إلى ٦٣٥، والصفحة ٧٧٣)، فلا نكرر الكلام عليها هنا، ونذكر هنا فقط بأنه يُلاحظ في الآيات ٢١ و٢٢ و٢٣ من سورة الشورى المكيَّة، أن الخطاب فيها موجَّه لمشركي مكة الذين لم يكونوا مؤمنين بالنبي أصلاً فلا معنى لمطالبة النبي لهم بأجرٍ على رسالته (أي محبة أهل بيته، حسب قولكم)، فكيف يمكن أن يطالب النبي ﷺ الذين لا يؤمنون برسالته ويحاربونه أجراً على رسالته لهم (محبة أهل بيته، حسب قولكم)؟! أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟! ثانياً: لم يكن الإمامان الحسن والحسين -عليهما السلام- قد ولدا بعد في مكة، حتى يقول النبيُّ للمشركين إن الأجر الذي أطلبه منكم على رسالتي هو أن تُحبُّوا الحسن والحسين! ثالثاً: لو أخذنا

(١) غَنِيٌّ عن الدُّكْر أننا نعتبر مودَّة أهل بيت رسول الله ﷺ وذوي قرباه واجبةً على كل مسلم، لا استناداً إلى الآية ٢٣ من سورة الشورى المذكورة أعلاه، بل بدليل آيات وأحاديث أخرى، ومنها قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١] وآيات عديدة أخرى، ولا ريب أن أهل بيت رسول الله ﷺ وأقرباءه المؤمنين كانوا أفراداً مؤمنين صادقي الإيمان كُمَّلاً وَمَنْ ثُمَّ فَإِنْ مَحَبَّتَهُمْ وَ مَوَدَّتَهُمْ واجبة على كل مسلم، ولكن هذا الموضوع لا علاقة له ببحثنا المتعلق بسورة مكية هي سورة الشورى، بل علينا الرجوع إلى آيات أخرى بشأن وجوب محبة آل الرسول ﷺ.

كلمة «الْقُرْبَى» على المعنى الذي تقولون به فإن معنى الكلمة سيكون أوسع بكثير من «أهل البيت» الذي تدعون به. فبأي دليل فسّرت كلمة «الْقُرْبَى» في الآية بمعنى «أهل البيت» ثم قَصَرْتُمْ معنى «أهل البيت» أيضاً على المعنى الذي يعجبكم؟!

على ضوء الإشكالات المتعددة في تفسيركم للآية، فإن الذين هم على اطلاع كافٍ بالتاريخ وبسيرة النبي ﷺ يعلمون جيداً أن النبي الأكرم ﷺ إضافة إلى ارتباطه القبلي والعشائري بأهل مكة كانت تربطه صلوات قرابة بكثير من أهلها أيضاً، لذا قال الله تعالى للنبي ﷺ قل لأهل مكة إنني لا أسألكم أي أجر على كل ما أتحملة من مشقة وعناء في دعوتكم إلى دين الله تعالى وتوحيد الله، ولكنني أتوقع منكم المودة وعدم العداء بحكم القرابة التي بيني وبينكم والتي لا علاقة لها بالاختلاف الذي بيننا بل تقرّون بها أنتم أيضاً، وأن تتصرفوا معي تصرفاً سليماً غير عدائي، لأن معاداتكم لي وتأمركم علي لا يتسق مع مقتضى القرابة التي بيني وبينكم.

وعلى هذا فلاحظوا كيف أن من لم يميّز بين «ذي الْقُرْبَى» أو «ذوي الْقُرْبَى» وبين «في الْقُرْبَى»، جاء ولفّق من عند نفسه دعاءً وتلاعب بمعاني آيات القرآن! ثم نسب بوقاحة إلى الله قائلاً: اللهم أنت جعلت أجر رسالة النبي محبة أقربائه!! فاتبع بذلك الشيطان وارتكب الحرام غافلاً عن قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ... وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الاعراف: ٣٣] وقوله سبحانه: ﴿لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٣٠﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ... وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ [البقرة: ١٦٨، ١٦٩]

٤- وجاء في الدعاء: "يَا ابْنَ مَنْ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى دُنُوًّا وَاقْتِرَابًا مِنَ الْعَلِيِّ

الْأَعْلَى!!"

من الواضح أن هذه الجملة تشير إلى قوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴿١﴾ عِلْمُهُ شَدِيدٌ الْقُوَى ﴿٢﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴿٣﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ﴿٤﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٥﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٦﴾ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴿٧﴾﴾ [النجم: ٤، ١٠].

في هذه الآيات الكريمة يُبيّن الله تعالى لنا أوصاف جبريل الأمين وكيف ظهر للنبي ﷺ واقتراب منه وأوحى إليه آيات الله. لكن ملفّق ألفاظ الدعاء جعل تلك الأوصاف للنبي ﷺ

وأن إمام الزمان هو ابن النبي الذي وصفه بتلك الصفات حسب تصوُّره، فقال: "يَا ابْنَ مَنْ دَنَا فَتَدَلَّى... الخ!!" ثم زاد من عنده عبارة تستوجب الكفر فقال: "ذُنُوبًا وَأَقْتِرَابًا مِنَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى!!" يريد أن يقول إن جد إمام الزمان اقترب كثيراً من ذات العليِّ الأعلى!! هذا مع أن «الدنو» يشير إلى القرب المكاني لذا استفاد القرآن في التعبير عنه من مقياس القوس لبيان مقدار المسافة، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنْ وَاضِعَ «دُعَاءَ التُّدْبَةِ» أَثْبَتَ الْمَكَانَ وَالتَّحْيِيزَ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى!! وعموماً عندما يرى ملفِّقو الأدعية أنهم حصلوا على القافية، يقولون كل ما شاؤوا قوله مهما كان. نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الضَّلَالَةِ.

٥- بالنسبة إلى آية التطهير (الأحزاب: ٣٣) وحول موضوع «الوسيلة» يُرَاجَع ما ذكرناه في كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، (ص ٦١٣ إلى ٦٢٠) و الكتاب الحالي (ص ٢٠٠ فما بعد).

٦- جاء في الدعاء: "فَكَاثُوا هُمُ السَّبِيلِ إِلَيْكَ". أو جاء: "يَا ابْنَ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ". وقال: "يَا ابْنَ السُّبُلِ الْوَاضِحَةِ". أو قال: "أَيْنَ السَّبِيلُ بَعْدَ السَّبِيلِ؟!!"

لقد تكلمنا عن هذا الموضوع بقدر الكفاية في الكتاب الحالي (ص ٤٢٨ إلى ٤٣٠) لذا سنكتفي هنا بذكر هذه النقطة فقط وهي أن القرآن الكريم بعد أن بين لنا حُرْمَةَ الشَّرِكِ وَحُرْمَةَ قَتْلِ الأَوْلَادِ خَشِيَةَ الإِمْلَاقِ - أي الفقر - وَحُرْمَةَ الْفَوَاحِشِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ، وَحُرْمَةَ قَتْلِ النَّفْسِ الْمُحَرَّمَةِ، أي بعد أن أوصانا باجتناب المحرّمات والعمل بالواجبات، قال عقب ذلك: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَلَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣]، واعتبر الدين الإبراهيمي الخالص النقي غير المحرّف صِرَاطَهُ الْمُسْتَقِيمَ [الأنعام: ١٦١] ^(١)، وقال لرسوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣].

بناءً على ذلك فالقرآن الكريم يعتبر النبي سالكاً للصراط المستقيم لا الصراط ذاته! ومن

(١) ونص الآية ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتِي رَّبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِثْلَهُ بِرِزْقِهِمْ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾. (المترجم)

البديهي أن النبي الأكرم وحضرات الأئمة سالكون لسبيل الله وللصراط المستقيم وليسوا هم السبيل نفسه. ولكن ما العمل! لقد لَفَّقَ واضع الدعاء كل ما أراده وما أملاه عليه هواه، ولزم علماءنا الصمت حيال ذلك!!

٧- وصف واضع الدعاء علياً (ع) بأنه «حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ» في حين أن الله تعالى قال في القرآن: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [ال عمران: ١٠٣]، وبالطبع يجب على الإمام علي (ع) نفسه العمل بهذه الآية، وكل عاقل ومنصف يدرك أن الآية لا تقول إنَّ عَلِيَّ (ع) أن يعتصم بنفسه، ولا تقول إن علي النبي أن يعتصم بعلي (ع)!! أضف إلى ذلك أن التكليف يجب أن يكون قابلاً للعمل من قِبَل الجميع، ولا يوجد الإمام علي (ع) بشخصه في زماننا، كما أن كثيراً من الأقوال المنسوبة إليه ليست من كلامه وليس لنا من سبيل للوصول إليه حتى نسأله أي الأقوال قالها فعلاً وأنها لم يقله ونُسِبَتْ إليه كذباً، لذا فلا نستطيع أن نعتصم به، ولكن الله عندما يكلفنا بأمر ويأمرنا به فإنه يُكَلِّفُنَا بأمر يكون في مُتناول أيدينا دائماً، وليس هذا سوى القرآن الكريم الذي يجب أن نعتصم به وتمسك بتعاليمه، بل نزن به أيضاً كل الأقوال المنسوبة إلى علي وأولاده عليهم السلام.

وكما قلنا في كتاب «زيارات وزيارتنامه» [زيارة المزارات وأدعية الزيارات] (ص ٢٧٣) كان حضرة علي (ع) نفسه يعتبر القرآن حَبْلُ اللَّهِ، ولم يُؤَثَّرْ عنه أنه اعتبر نفسه حبل الله! وكان يقول: "إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَدًا بِمِثْلِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ وَسَبَبُهُ الْأَمِينُ" (نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦) فمن هذا يُعَلِّمُ أن علياً (ع) كان عليه هو أيضاً أن يتمسك بهذا الحبل ويعتصم به لا أنه هو نفسه الحبل، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الاعراف: ١٧٠] ولا ريب أن الأئمة كانوا يتمسكون أكثر من الآخرين بكتاب الله وبحبل الله، لا أنهم كانوا هم أنفسهم حبل الله، ومن ثمَّ فإن الذي صاغ عبارات هذا الدعاء خالف القرآن وخالف الأئمة فيما لَفَّقَهُ من أَلْفَاظ!

٨- وجاء في الدعاء: "يَا ابْنَ مَنْ هُوَ فِي أُمَّ الْكِتَابِ لَدَى اللَّهِ عَلِيٌّ حَكِيمٌ!!" والمقصود من أُمَّ الْكِتَابِ اللوح المحفوظ. وقد جعل صفة «علي» بمعنى الاسم أي علي بن أبي طالب (ع) وأن

إمام الزمان ابنه!! نعم إن واضعي الدعاء بدلاً من أن يصنعوا للآخرين أدوية مفيدة وطائرات وأساطيل بحرية عظيمة و.... صنعوا من صفة «علي» اسم «علي»!!!

وعلى القارئ المحترم أن يعلم أن الله تعالى قال في القرآن الكريم: ﴿حَمِّمٌ ۙ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ وَإِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الزخرف: ١، ٤].

كما تلاحظون تتعلق الآيات المذكورة التي وردت في سورة الزخرف المكيّة بالقرآن، وصفنا عَلِيَّ حَكِيمٌ صفتان للقرآن وليساً اسماً، ولا علاقة لهما بحضرة عَلِيٍّ (ع)، وأساساً لم تكن مسألة ولاية عَلِيٍّ (ع) وخلافته مطروحةً بأي شكل من الأشكال في مكة ولم يكن المشركون مؤمنين بالقرآن من أساسه، ولو أردنا أن نعتبر «علياً» في هذه الآيات اسماً لأدى ذلك إلى جعل آيات القرآن غير متناسبة وغير مرتبط ببعضها ببعض ولتجاهلنا بلاغة القرآن. (فتأمل)

٩- ويقول الدعاء: "وَسَأَلَك لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ فَأَجَبْتَهُ وَجَعَلْتَ ذَلِكَ عَلِيًّا". وسبق أن قلتُ معلقاً على هذه الجملة في المقال الذي نشرته مجلة «رنكين كمان»:

"نشر شيخ خرافاتي نشرةً قال فيها إن المقصود من الآية ٨٤ من سورة الشعراء التي قال فيها إبراهيم (ع): ﴿وَأَجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشعراء: ٨٤] عَلِيَّ بن أبي طالب!! لماذا؟ لأجل أحاديث الغلاة الموضوعية ولحفظ دعاء الندبة!! ونحن لن نخوض في الكلام مع هذا الشيخ، ولكننا نتوقع من كُتَّاب مجلة «مكتب اسلام» الذين هم أصحاب علم وفضل أن لا يُؤَيِّدوا التعصب الباطل والخرافات، بل يقوموا ببيان الحقائق ويُراعوا تعاليم القرآن قبل أي شيء آخر. إن مجلة «مكتب اسلام» كتبت تقول إن المقصود من «علياً» في قصة إبراهيم التي ذُكرت في «دُعَاءِ النُّدْبَةِ»، أي جملة: "وَجَعَلْتَ ذَلِكَ عَلِيًّا" هو «عليٌّ» الوصفي الذي معناه «العالي والكمال». حسناً جداً، إننا نقبل بذلك، ولكن ماذا نفعل مع ذلك الشخص الذي يعتبره عدد من العوام حجة الإسلام والذي جاء ونشر نشرةً معارضةً لنظرية «مكتب اسلام»؟ يقول ذلك الشيخ إن المقصود من كلمة «علياً» هنا - طبقاً لتفسير الأئمة واتفاق علماء الشيعة جميعاً -: «عليٌّ» الاسم، أي علي بن أبي طالب (ع)!! من الذي يتوجب عليه أن يوقف حجة الإسلام هذا عند حدّه

ويمنع هذه التفاسير الباطلة؟ ألم تر مجلة «مكتب اسلام» هذه التفاسير؟ وإن رأتها فلماذا تجاهلت الذين يُسقطون القرآن من الاعتبار؟..... الخ".

١٠- وجاء في الدعاء: "وَأُودِعْتُهُ عِلْمَ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ إِلَى أَنْقِضَاءِ خَلْقِكَ!!" في حين أن هذا القول يُناقض القرآن الذي يبين لنا أن النبي لا يعلم متى تقوم الساعة ولا يعلم ماذا تكسب كل نفس غداً أو بأي أرض تموت ولا يعلم ما يفعل الله به وبالأخرين يوم القيامة (الأعراف: ١٨٧، لقمان: ٣٤، الأحقاف: ٩). ولو كان رسول الله ﷺ يعلم كل شيء لأجاب فوراً عن المسائل التي كان الناس يرجعون فيها إليه ولما كان بحاجة إلى انتظار الوحي. ولكننا نعلم أنه لما سُئِلَ النبي عن الأسئلة التي جاء جوابها في سورة الكهف، انتظر عدة أيام لينزل عليه الوحي ولم يكن يدري أي جواب يجب به قبل نزول الوحي عليه. فذلك الادعاء مخالف لحقائق التاريخ ولسيرة النبي ﷺ.

ولا يخفى أن ذلك الادعاء الباطل يتطابق مع أحاديث الباب ١٠٦ من «أصول الكافي» للكليني، وكذلك الجملة التي تقول: "أَيَّنَ بَابُ اللَّهِ الَّذِي مِنْهُ يُؤْتَى؟" تتطابق مع ما جاء في أحاديث الباب ٧٠ من «أصول الكافي»، وجملة: "أَيَّنَ وَجْهَ اللَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ الْأَوْلِيَاءُ؟" مشابهة لما جاء في الباب ٤٦ من «الكافي» (باب النوادر)، لذا يجب على القارئ المحترم أن يطالع الأبواب ١٠٦ و ٧٠ و ٤٦ والصفحات ٣٠٣ و ٤٣٥ من كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول» كي يتبين له سقم تلك الجمل وعدم صحتها.

وجملة: "أَيَّنَ وَجْهَ اللَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ الْأَوْلِيَاءُ؟" تشابه بالطبع خرافات الصوفية أيضاً الذين يقولون إن كل من أراد عبادة الله فعليه أن يتوجه إلى وجه شيخه وصورة مرشده، ويضع طلعتة نصب عينيه!! كما قال «صفي عليشاه» هذه الفكرة عينها في كتابه المُسمَّى تفسيراً (!؟)، ذيل تفسيره لجملة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ من سورة الحمد المباركة:

(ثلاثة أبيات بالفارسية) [ترجمتها]:

إن هذه العبودية منشؤها العشق والحاجة	والطاعة بدون عشق مكر ومجاز
ولا يأتي العشق إلى القلب من دون علة	وعلته أن تشاهد طلعتة البهية
إن طلعة الحق هي أحمد وحيدر	يا وليي أولئك الشخصين مظهره

وقال في موضع آخر: (بيت آخر من الشعر بالفارسية، وترجمته):

عندما أجري على لساني لفظ «اهدنا» فإن قلبي يكون لدى الشيخ المرشد!!

وهذا عين الشرك والانحراف لأن القرآن الكريم يقول: ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوْا فَجَهَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [البقرة: ١١٥]، فالتوجه يكون لوجه الله لا إلى فرد معين من المخلوقات. إن الله تعالى الذي يقول: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤] في غنى عن الوسيلة والواسطة والمظهر. ولم يقل رسول الله ﷺ أبداً أنا مظهر الله، بل كان يقول على الدوام أنا عبد الله ورسوله.

١١- وجاء في الدعاء قوله: "أَيَّنَ السَّبَبُ الْمُتَّصِلُ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ؟!؟" فإن كان مراده من السبب «الوسيلة» فقد تكلمنا عن «الوسيلة» في الكتاب الحالي بقدر الكفاية (راجعوا ص ٢٠٠ فما بعد). أما إن كان يريد أن يقول إن الإمام سبب لاتصال الأرض بالسماء فإن قوله هذا مخالف للقرآن الذي يقول: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الانباء: ٣٠]، ثم قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الانباء: ٣١، ٣٢].

يبدو أن ملفق هذا الدعاء قد نذر على نفسه أن يخالف كل ما يقوله القرآن!!

١٢- ويقول الدعاء: "قَدَّمْتُهُ عَلَى أَنْبِيَائِكَ!!" وهذه الجملة مخالفة بكل وضوح للقرآن والعقل والتاريخ. إن القرآن قال إن محمداً آخر الأنبياء (الأحزاب: ٤٠) وأمر الله نبيه أن يقتدي بهدى الأنبياء من قبله (الأنعام: ٩٠) وقال: إن اسم النبي يجده أهل الكتاب مكتوباً عندهم في التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ [الأعراف: ١٥٧] أي أن اسمه كان في الكتب التي نزلت على الأنبياء قبل القرآن. بناء على ذلك فلا بد أن يكون أولئك الأنبياء قبل رسول الله ﷺ كي يجدوا اسمه في كتبهم وكي يمكن للنبي أن يقتدي بهدىهم. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [آل عمران: ١٨٤] والانباء: ١٠، وآيات أخرى كثيرة تبين هذا الأمر.

فإن قيل: إن «التقدم» في هذه الجملة بمعنى الأفضلية والتقدم في الرتبة والشرف؟ فالجواب إن توجيهكم هذا غير صحيح لأن التفضيل والتقدم في المرتبة ذكراً في الجملة التي قبلها حين قال: "فَكَانَ كَمَا أَنْتَجَبْتَهُ سَيِّدًا مِّنْ خَلْقَتِهِ وَصَفْوَةً مِّنْ اصْطَفَيْتَهُ وَأَفْضَلَ مَنِ اجْتَبَيْتَهُ وَأَكْرَمَ مَنِ اعْتَمَدْتَهُ".

١٣- وجاء في الدعاء: "أَيُّنَ الْمُضْطَرُّ الَّذِي يُجَابُ إِذَا دَعَا؟" وينبغي أن نسأل: لماذا يضطر إمام الزمان؟ وإن كان مستجاب الدعوة فلماذا لا يدعو ليرفع اضطرار نفسه؟!

والأهم من ذلك أن الله تعالى لم يقل لأي شخص أنه متى ما دعا فإن دعاءه سوف يُستجاب فوراً، لأن الله ليس تابعاً لعباده ولم يجب الله تعالى دعاء الأنبياء أحياناً. فهل الإمام أرفع رتبة من الأنبياء؟ إن الله تعالى لم يقبل دعاء حضرة نوح (ع) لأجل نجاة ابنه (هود: ٤٦) ولم يجب طلب حضرة إبراهيم (ع) بشأن قوم حضرة لوط (ع) (هود: ٧٦) وقال لنيبه: ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠].

١٤- ومن الطريف أن الدعاء يقول: "عَرَجَتْ بِرُوحِهِ [أي بروح النبي] إِلَى سَمَائِكَ". وهذا القول لا يتفق مع رأي علماء الشيعة الذين يعتبرون المعراج جسمانياً!!

١٥- وقال في الدعاء: "ثُمَّ أَوْدَعَهُ عِلْمَهُ وَحِكْمَتَهُ" أي أن رسول الله ﷺ أودع علياً (ع) علمه وحكمته!! في حين أن القرآن الكريم يقول خلاف ذلك، إذ يقول: ﴿فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ [الانبيا: ١٠٩]، ويقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبا: ٢٨]، ويقول: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الاعراف: ١٥٨]، ويقول: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]. والمراد بالنور هنا القرآن الكريم الجامع للعلم والحكمة وأصول الدين والذي تم بيانه لعامة الناس، كما لم تكن سنة رسول الله ﷺ مخفية عن الناس، خلافاً للمرشدين وأقطاب الصوفية الذين يبيّنون مسائل السلوك والمسائل الخاصة بطريقتهم تحت الخرقه لبعض مريديهم وأتباعهم!!

١٦- وقال في الدعاء: "وَأَنْتَ عَدَاً عَلَى الْحَوْضِ خَلِيفَتِي!!" وينبغي أن نقول: أولاً هذه الجملة لا تثبت في ديانا أي مقام مع أنه من الواضح أن واضعها أراد منها إثبات الخلافة المنصوص عليها في الدنيا لحضرة الإمام. ثانياً لم ينتبه ملفق الدعاء أن رسول الله ﷺ في يوم القيامة لا يموت ولا يغيب حتى يحتاج إلى خليفة يخلفه!

١٧- وقال في الدعاء: "صَلِّ..... عَلَى مَنْ اصْطَفَيْتَ مِنْ آبَائِهِ!" ونحن نعلم أن الله تعالى عرّف لنا في كتابه الذين اصطفاهم من عباده^(١) وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [ال عمران: ٣٣]، أو قال بشأن جناب «طالوت»: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا... قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ..﴾ [البقرة: ٢٤٧]. أو قال: ﴿يَمْرُؤٌ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [ال عمران: ٤٢]. ولكنه لم يقل: "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آلَ مُحَمَّدٍ" (فتأمل). لاحظوا أن الله تعالى عرّفنا في كتابه بصراحة بالمصطفين الذين اصطفاهم قبل النبي الأكرم ﷺ (كما في الآية ١٤٤ من سورة الأعراف، والآيتين ٤٥ و ٤٨ من سورة ص) فكيف لم يعرفنا في كتابه بالأشخاص الذين تقولون إن سعادة مستقبل أمة نبيهم الخاتم ﷺ منوطة بمعرفتهم؟! (فتأمل دو العصبية).

نعم، نعلم أنهم سيأتوننا بأحاديث تنص على أن آل محمد ﷺ اصطفاهم الله، لذا ينبغي العودة إلى الصفحات (من ٣٧٦ إلى ٣٨٠) من الكتاب الحالي للتعرف على مدى صحة هذه الأخبار أو سقمها.

١٨- ويقول الدعاء: "أَيُّنَ بَقِيَّةُ اللَّهِ!؟"

وأقول: في مدينتنا نرى لوحات عديدة جداً تُكَلِّفُ طباعتها مبالغ باهظة كُتبت عليها الآية ٨٦ من سورة هود بقصد إظهار المحبة لإمام الزمان، وتلاعب الكاتبون - عاملين أو جاهلين - بمعاني القرآن!

إن سورة هود مكية وفي هذه السورة، بعد أن بيّن الله لنا قصّة نوح (ع) (الآيات ٢٥ إلى ٤٨)

(١) أعم من اصطفائهم للرسالة كالأنبياء أو اصطفائهم لمقام معنوي خاص كاصطفاء الله لمريم (ع).

وقصّة هود (ع) (الآيات من ٥٠ إلى ٦٠) وقصّة صالح (ع) (الآيات من ٦١ إلى ٦٨) وقصّة إبراهيم ولوط (ع) (الآيات من ٦٩ إلى ٧٣)، أخذ ببيان قصّة شعيب (ع) فقال فيها:

﴿وَيَقَوْمٌ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾﴾ [هود: ٨٥، ٨٦].

فنقول: أولاً: في زمن نبيّ الله شعيب (ع) لم يكن هناك إمام زمان حتى يتكلّم عنه شعيب (ع). ثانياً: في زمن رسول الله ﷺ في مكة لم يكن موضوع الإمامة والغيبة وإمام الزمان مطروحاً أصلاً، حتى يتحدّث عنه النبيّ الأكرم ﷺ، فالآية لا علاقة لها بأي إمام من الأئمّة من قريب أو بعيد! لقد جمع ملفّق «دعاء النّدبة» خرافات الآخرين في هذا الدعاء دون أن يزن ما ذكره من أمور بميزان القرآن، مع أنه يجب - طبقاً لأمر رسول الله ﷺ - وزن كل حديث بميزان القرآن لمعرفة مدى صحته.

١٩ - يقول الدعاء: "يا ابن الحُجَجِ الْبَالِغَاتِ!" هذا رغم أن القرآن قال لنا إنه ليس للناس بعد الأنبياء حُجَّة، وهو قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥]. واعتبر الإمام الصادق عليه السلام - كما في الحديث ٢٢ من كتاب العقل والجهل في «أصول الكافي» الذي يُعدُّ أفضل كتب الحديث في نظر علمائنا - أن حُجَّة الله على العباد حُجَّتَان: حُجَّةٌ باطنيةٌ وهي «العقل» وحُجَّةٌ ظاهرةٌ وهي «الأنبياء»، ولم يذكر أي حُجَّةٍ أخرى غير هاتين الحُجَّتَيْن. وهذا الحديث موافق للقرآن ونحن نرجّحه على قول ملفّق «دعاء النّدبة» الذي اخترع لنا حُجَجاً غير تينك الحُجَّتَيْن.

٢٠ - ويقول الدعاء: "وَلَوْلَا أَنْتَ يَا عَلِيٌّ لَمْ يُعْرِفِ الْمُؤْمِنُونَ بَعْدِي!" هذا رغم أن المطلّعين على سيرة عليّ (ع) يعلم أن حضرته لم يعتبر حتى أعداءه الذين حاربوه كُفَّاراً غير مؤمنين^(١). بناء على ذلك فإن حضرة الإمام (ع) قولاً وفعلاً لم يعتبر مخالفه خارجين عن الإيمان أو كفّاراً

(١) تُراجع الصفحات ٤٢٧ - ٤٣٥ من الكتاب الحالي.

مرتدين، فكيف كان يُعرفُ المؤمنون ويُميَّزون من غير المؤمنين بوسيلته (ع)؟! (١)

٢١- (ألف) يقول: "يَا ابْنَ طَهَ وَالْمُحْكَمَاتِ!!" ينبغي أن نقول إنه ليس هناك من معنى لكون إنسان ابناً لحرفين من الحروف المقطعة أو ابناً للمحركات، وأن ملفق ألفاظ هذا الدعاء لم يكن يدري ما يقول، بل أراد أن يرهب قارئه! ولت شعري! هل للآيات المحركات فقط ابنٌ أما الآيات المتشابهات فليس لها ابن؟! لعل قصد منشئ ألفاظ هذا الدعاء كان الحفاظ على السجع والقافية لا أكثر.

ب) ويقول: "يَا ابْنَ يَسَ وَالذَّارِيَاتِ!!" ما معنى هذا؟! أي فرق بين (ط، هـ، ي، س) وبين («ح»، أو «م» أو «ص» أو «ر» أو «ع») (٢). هل للمجموعة الأولى من الحروف ابن، أما المجموعة الثانية فهي عقيمة لا تُنجب!! أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟! ثم أليس في جعل الإمام ابناً للرياح الذاريات إهانة له؟

ج) ويقول: "يَا ابْنَ الطُّورِ وَالْعَادِيَاتِ!!" ينبغي أن نسأل: هل في هذه العبارة، كالعبارة السابقة، احترام للإمام أم إهانة له؟!

(١) هذه هفوة أخرى من هفوات المؤلف العلامة البرقي رحمه الله، لأنه لا علاقة لكون عليٍّ (ع) يُعرف به المؤمنون، بموضوع تكفير أو عدم تكفير عليٍّ لمخالفيه ومحاربيه، نعم عليٍّ (ع) لم يكفر مخالفيه، لكن ثبت في صحيح مسلم (حديث رقم ١٥٢) عن زر بن حبيش عن عليٍّ (ع) أنه قال: "وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﷺ إِلَيَّ: أَنْ لَا يُجَبِّي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْعِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ". ورواه الترمذي في سننه وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. ورواه ابن ماجه في سننه (١١٤) والنسائي في السنن الكبرى (٨٤٣٣) وغيرهم أيضاً. ورؤي هذا المعنى أيضاً: "عن أم سلمة تقولُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ «لَا يُجَبُّ عَلَيَّ مُنَافِقٌ وَلَا يُبْعِضُهُ مُؤْمِنٌ». رواه الترمذي في سننه وقال وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنّف (ج٦، ص٣٧٢، رقم ٣٢١١٤) وابن أبي عاصم في السنّة (ج٢، ص٥٩٨، رقم ١٣١٩)، والطبراني في الكبير، (ج٢٣، ص٣٧٤، رقم ٨٥)، وعبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (ج٦، ص ٢٩٢). وغيرهم. (المترجم)

(٢) إن أُدْعِيَ أن المراد من (يس) و(طه) رسول الله ﷺ فينبغي أن نتنبه إلى أن هذا الدعاء قال قبل ذلك بوضوح: «أين ابن النبي المصطفى؟» فلم يكن بحاجة إلى تلك الجملة المعوجّة!

فإن قيل: مثلما قال حضرة السَّجَّاد (ع) في مجلس يزيد: "أَنَا ابْنُ مَكَّةَ وَمِنِّي أَنَا ابْنُ زَمْرَمَ وَ [جبل] الصَّفا"، فكذلك لا إشكال في أن يكون إمام الزمان ابناً لجبل الطور!! فينبغي أن نقول إن مثل هذا القائل يقصد خداع العوام قطعاً، وإلا فإنه من الواضح تماماً أنه لما كان أجداد حضرة السجَّاد (ع) مولودين في مكة أو كان هو ساكناً مدةً في مكة يمكن القول إنه ابن مكة ومنى، كما نقول عن ساكن كاشان إنه ابن كاشان وعن ساكن قم إنه ابن قم. أما إمام الزمان فلم يولد في جبل الطور ولم ينشأ فيه، كما لم يولد أو ينشأ فيه أحد من آبائه. ولنفرض أنه واضح الدعاء يمكنه بمثل هذه التأويلات الباردة أن يخدع العوام، فماذا نفعل بجملته: "يا ابن العاديات" أي يا ابن الخيول الراكضة؟! هل هو امتياز للإنسان أن يكون ابناً للخيول العادية؟! أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟

د) ويقول: "يَا ابْنَ الْآيَاتِ وَالْبَيِّنَاتِ!" ينبغي أن نقول إن كان المقصود آيات القرآن فغني عن التوضيح أن آيات القرآن ليست أباً لأحد وليس لها أبناء! ثم قال: "يَا ابْنَ الْمُعْجَزَاتِ الْمُوجُودَةِ!" ونسأل: أين الْمُعْجَزَاتِ الْمُوجُودَةِ؟ لا يوجد اليوم أي معجزة من معجزات الأنبياء موجودة وباقية بيننا سوى القرآن الكريم، وهي معجزة ذكرتها أنت في هذا الدعاء وقلت: "يَا ابْنَ الْآيَاتِ وَالْبَيِّنَاتِ!" بناء على ذلك فتلك الجملة زائدة، وليس للجملته الأخيرة أي معنى مفيد، لأنه ليس للآيات والبيّنات أولادٌ.

٢٢- يقول الدعاء: "أَيْنَ الظَّالِمِ بِدَمِ الْمُقْتُولِ بِكَرْبَلَاءَ؟" أو يقول: "أَيْنَ الظَّالِمِ بِدُخُولِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَبْنَاءِ الْأَنْبِيَاءِ" (أي أين المظالم بالعدالة بحق من ظلم الأنبياء وأبناء الأنبياء؟). ونسأل: ألم يفكر مَلْفَقُ أَلْفَاظِ هَذَا الدَّعَاءِ فِي نَفْسِهِ بِأَن قَتَلَهُ الْحُسَيْنَ (ع) أَوْ قَتَلَهُ الْأَنْبِيَاءَ لَن يَكُونُوا أَحْيَاءَ زَمَنِ ظُهُورِهِ، فَوَمَنْ سَيُثَارُ الْإِمَامَ الْمُنْتَظَرُ، وَبِحَقِّ مَنْ سَيَطَالِبُ بِتَطْبِيقِ الْعَدَالَةِ؟

لقد اضطررنا لتوجيه هذه الخرافات إلى اختراع خرافة «الرجعة»، وترويجها بين الشيعة! مع أن يوم الحساب وتنفيذ العدالة بحق الأنبياء وغير الأنبياء، طبقاً لتعاليم القرآن، هو يوم القيامة فقط لا هذه الدنيا.

٢٣- ويقول الدعاء: "عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَبْكِيكَ وَيَجْذُلَكَ الْوَرَى!" ما معنى قوله: وَيَجْذُلَكَ الْوَرَى؟؟ وهل يمكننا أن نصر إماماً لا يُرى ولا يعلم أحد مكانه حتى يصح أن نلوم الناس على

خذلانهم له وعدم نصرتهم إياه؟! وإن كان قصده لوم الناس لأنهم لا يبكون عليه كما قال في موضع آخر من هذا الدعاء: "هَلْ مِنْ مُعِينٍ فَأُطِيلَ مَعَهُ الْعَوِيلَ وَالْبُكَاءَ؟!!" أو قال: "هَلْ قَدِيتَ عَيْنٌ فَسَاعَدْتَهَا عَيْنِي عَلَى الْقَدَى؟!!" ففي هذه الحالة ينبغي أن نعلم أن البكاء، لاسيما إذا كان إرادياً، لا فائدة منه، والإسلام ليس دين بكاء وعويل، اللهم إلا على مذهب قرّاء المراثي الذي في ذلك لهم فوائد كثيرة!!! أما الإسلام فلم يأمر المسلمين بالبكاء بل قال: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨]، وقال للكفار والمنافقين أن عليهم أن يبكون على نفاقهم وشقائهم: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [التوبة: ٨٢].

إن دين الإسلام ليس دين البكاء والعويل وشق الجيوب وضرب البدن بالسلاسل، بل هو دين الرشد والشجاعة والمقاومة كما كان الإمام الحسين (ع) المثال البارز على ذلك. (فتأمل)

ولم يقل الإمام علي (ع) لمن سبقه من الخلفاء: لماذا لم تقيموا مراسم خاصة ومآتم ومجالس عزاء ولم تقرؤوا المراثي في الذكرى السنوية لوفاة النبي ﷺ، ولماذا لم تُغْلَفُوا المساجد في تلك المناسبة بالأقمشة السوداء، ولماذا لم تُسَيَّرُوا مواكب العزاء ولطم الصدور وضرب الطبول في تلك المناسبات السنوية؟ كما لم يُقَمَّ في زمن خلافته أي مآتم ومراسم عزاء وقراءة للمراثي في ذكرى استشهاد شهداء بدر وأحد وسائر الغزوات، ولا أقام في ذكرى وفاة النبي ﷺ وذكرى وفاة حضرة الزهراء (ع) أي مراسم لقراءة المراثي ولطم الصدور وضرب الأبدان بالسلاسل والبكاء والعويل.

٢٤- ويقول الدعاء: "يَا ابْنَ الدَّلَائِلِ الظَّاهِرَاتِ يَا ابْنَ الْبَرَاهِينِ الْوَاضِحَاتِ الْبَاهِرَاتِ!!"

واضحٌ تماماً أن هذه الجمل كذبٌ مخالفٌ للتاريخ، لأنه لو كان الأمر كما تقول هذه الجمل لما وقعت كل تلك الاختلافات التي سجّلها التاريخ بعد وفاة كل إمام، ولما وقع أتباع كل إمام بعد وفاته في الحيرة واختلاف الرأي^(١).

(١) من الضروري في هذا المجال مراجعة كتاب «شاهراه اتحاد» [طريق الاتحاد] (ص ٢٧٢) فما بعد. ومراجعة الصفحة ٣٧٥ فما بعد، من الكتاب الحاضر.

٢٥- ويقول الدعاء: "خَلَقْتَهُ لَنَا عِصْمَةً وَمَلَاذًا!!" وهذه الجملة مخالفة للقرآن. حقاً إن أهل الخرافات حائرون وتائهون لأنهم يدعون - من جهة - أن الله خلق العالم وأهله لأجل الإمام، ويدعون هنا - من الجهة الأخرى - أن الإمام خلق لكي يحفظنا! هذا في حين أن الله تعالى قال لرسوله ﷺ في القرآن الكريم: ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۗ﴾ [النساء: ٨٠]، كما قال عن خلق السموات والأرض والعالم: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۗ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢]، مما يبيّن أن العالم خلق لجميع الناس لا لأجل أفراد معينين، ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنْعَامِ ۝﴾ [الرحمن: ١٠].

أضف إلى ذلك أن القرآن يقول: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ۝ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۝﴾ [الجن: ٢٠، ٢٢]، بناء على ذلك فإن المسلم المتبع لرسول الله ﷺ لا يعتبر عبداً من عباد الله ملاذاً له وملجأً. (فتأمل جدّاً).

٢٦- ويقول الدعاء: "وَاجْعَلْ صَلَاتَنَا بِهِ مَقْبُولَةً وَذُنُوبَنَا بِهِ مَغْفُورَةً!!" وهذه الجملة أيضاً لا تنسجم مع تعاليم القرآن الذي يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۝﴾ [المائدة: ٢٧]. بناءً على ذلك لا يتقبل الله الأعمال، سواء كانت صلاة أو صياماً... الخ، إلا من المتقين، وإلا فحتى لو كان الإنسان مُعاصراً للنبي وكان يقوم على الدوام بمدحه والثناء عليه، ولكنه لا يُراعي التقوى طبقاً لتعاليمه فلن ينفعه ذلك شيئاً. إن الذنوب إنما تُغفر بالتوبة إلى الله والعزم الصادق على تركها لا بمدح النبي والإمام والثناء عليها فحسب.

إن إشكالات «دُعَاءِ النَّذْبَةِ» أكثر مما ذكرناه بكثير لكننا نكتفي بهذا المقدار. بيد أننا نسأل: لماذا هذا الإصرار على قراءة أدعية تتضمن كل هذا القدر من الإشكالات والانتقادات العلمية وعدم الانسجام مع القرآن الكريم، ولماذا يُقام بترغيب الناس بالاجتماع في مجالس عامرة لقراءة مثل

هذه الأدعية كل أسبوع؟ إن هذا سببه - كما قال حضرة العسكري (ع)^(١) - أننا نعيش في زمن السُّنَّة فِيهِمْ بِدْعَةٌ وَالْبِدْعَةُ فِيهِمْ سُنَّةٌ، والعلماء فيه لا يُعارضون البدع بل يسكتون عنها طلباً لرضا العوام، وليس هذا فحسب بل إذا رأوا شخصاً يُريد أن يُبين هذه البدع للناس قام هؤلاء العلماء بالأعلام، والآيات العظام (!!؟) أنفسهم، بدلاً من مساندته، بمُحاربتة وإثارة العوام ضده وأتاهم بالآلاف التُّهم والإتيان بشُبُهات تُعجِب العوام للدفاع عن تلك البدع، كقولهم: هل كُِّل العلماء السابقين واللاحقين لم يفهموا هذا الأمر وفهمه هذا الفرد وحده؟! وهذا الاعتراض ليس بصحيح، لأن أغلب البدع لم يبتدعها العوام بل ابتدعها أفراد مُطَّلعون مُلقَّبون بالعلماء وأشاعوها بين الناس، وقدموها لهم على أنها من الدين. إن أهل العلم - وليس العوام الجهلة - هم الذين أوجدوا كل هذه الفرق المختلفة والأعمال المُبتدعة التي تُعجب بعض الفرق أو الطرق وتُخالفها الفرق والطرق الأخرى. والحاصل، إن المذاهب الباطلة والمسالك الفاسدة إنها نشأت من قِبَلِ علمائها لا من قِبَلِ العوام عديمي الاطلاع. أضف إلى ذلك أن كثيراً من العلماء يعلمون بطلان كثير من الأدعية أو الأعمال.... الخ، ولكنهم يلزمون الصمت مع الأسف. ونقول لهؤلاء: بدلاً من هذه الادِّعاءات، لماذا لا تجيبون عن أدلتنا بالدليل والبرهان؟ إن رددتم على انتقاداتنا واعتراضاتنا العلمية بالدليل، فلن تبقى هناك حاجة لقولكم كيف لم يفهم كل العلماء هذه الحقيقة وفهمها فلان؟!!

وإذا تساءلنا: لماذا لا يقول العلماء الحقائق ويتركون عامة الناس في الجهل؟ إن أحد الأسباب هو التعصُّب والتنافس بين علماء الفرق المختلفة والتعلُّق الشديد بأداب وعادات الآباء والأجداد وحبِّ الجاه ونظائر ذلك. والسبب الآخر الذي اعترف به المُجَلِّسِيُّ الأول أيضاً هو أن «أكثر الطباع مائلة إلى الغُلُو»^(٢)، ولكن يجب أن نتنبه إلى أن القرآن نزل بلسان عربيٍّ مُبين ليقرأه جميع الناس، ولا يختصُّ فهم القرآن والعلم به بالعلماء والمُعَمِّمين فحسب، فإذا لم يُبين العلماء الحقائق فهذا لا يُسقط التكليف عن العوام. أضف إلى ذلك أن الله تعالى جعل القرآن حُجَّةً ولم يجعل قول

(١) أوردنا نصَّ قول حضرة العسكري في الصفحة ٤٦٦ من الكتاب الحاضر.

(٢) «مفاتيح الجنان»، الزيارة الثانية من الزيارات الجامعة، ص ٥٤٥. أو ص ٦٧٧ من النسخة المُعرَّبة.

العلماء وفعلهم بحد ذاته حُجَّة، إضافةً إلى أنه حتى لو عمل العلماء بعلمهم فإن الله لا يضع ثواب علمهم وعملهم في حساب العوام، بل يجب على كل إنسان أن يُجاهد بنفسه كي يفهم ويعمل بما فهم، ولأجل الفهم لا بُدَّ من طلب الدليل، ولا يجوز التقليد في الأمور التي هي من أصول الدين ومن الأمور المهمة الأساسية التي أكَّد الشارع عليها كثيراً، ولو جاز التقليد في مثل هذه الموارد لكان الجاهلون من أتباع المذاهب جميعها غير مسؤولين أمام الله لأنهم جميعاً مُقلِّدون لعلماء أديانهم ومذاهبهم. نسأل الله تعالى أن يتعاون معنا العلماء الذين يخافون الله ويوقنون بيوم القيامة في إيقاظ شعبنا وإنقاذه من الشرك والخرافات.

بعد «دُعَاء النَّدْبَةِ» كتب الشيخ عَبَّاس القَمِّيّ تحت عنوان الأمر الثاني يقول: "ما يُزار به مولانا صاحب الزمان صلوات الله وسلامه عليه كل يوم بعد صلاة الفجر: "اللَّهُمَّ بَلِّغْ مَوْلَايَ صَاحِبَ الزَّمَانِ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ، عَنْ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا... الخ"^(١)!!
أيها القارئ العزيز! لاحظ كيف أنهم يقولون من جهة: إن الإمام حاضر وناظر في كل مكان ويسمع الذين يدعونه دون قيد أو شرط، ويقولون: «يا صَاحِبَ الزَّمَانِ»، ويقفون بعد الصلوات ويُسَلِّمُونَ عليه قائلين: «السلام عليك» ويعتقدون أن الإمام عالم بأحوالهم. ومن الجهة الأخرى يعتقدون أن الإمام ليس حاضراً وناظراً في كل مكان لذا يقولون: اللهم بَلِّغْ مَوْلَانَا صَاحِبَ الزَّمَانِ سلامنا!!

في «دعاء العهد»^(٢) الذي جاء بعد الزيارة المذكورة أعلاه، ولا يُعَلِّمُ سنده، يريد الزائر أن يُبايع إماماً غير مرثيٍّ ويقول: لو مُتُّ قبل ظهور الإمام: "فَأَخْرِجْنِي مِنْ قَبْرِي مُؤْتِزراً كَفَنِي شَاهِراً سَيَفِي مُجَرِّداً قَنَاتِي!!"

الطريف أن هذا القائل لا يعلم أنه عندما يظهر الإمام لن يكون للسيف والقناة «أي الرِّمَح» أيُّ فائدة وأن الأسلحة قد تطورت عن ذلك تطوراً هائلاً، والأهمُّ من ذلك أنه يتصور أن الله

(١) «مفاتيح الجنان» (النسخة العربيّة)، ص ٦٧١. (المُترجم)

(٢) «مفاتيح الجنان» (النسخة العربيّة)، ص ٦٧٢. (المُترجم)

سيأذن له بالعودة إلى الدنيا، ولا يعلم أن الله يُجيب من طلب العودة إلى الدنيا بعد حلول أجله بقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٠] أي لن يُبعث أحد من الأموات حتى نفخ الصور.

ويقول في هذه الزيارة أيضاً: "اللَّهُمَّ وَسِّرْ نَبِيَّكَ مُحَمَّدًا ﷺ بِرُؤْيَيْتِهِ" ! يُعَلِّمُ مِنْ هَذَا أَنْ وَاضِعِي هَذِهِ الزِّيَارَاتِ وَالْأَدْعِيَةَ يُجِبُّونَ التَّمَلُّقَ وَالتَّزَلُّفَ وَكَيْلَ الْمَدَائِحِ وَالثَّنَاءِ بَلْ يُجِبُّونَ ذِكْرَ أُمُورٍ وَمُجَامَلَاتٍ وَاهِيَةٍ لَا حَقِيقَةَ لَهَا، وَإِلَّا أَلَا يَعْلَمُ هَذَا الْوَضَّاعُ الْجَاهِلُ أَنْ فِي زَمَنِ ظَهُورِ إِمَامِهِ الْمُتَنْظَرِ سَتَكُونُ قَدِ مَضَتْ قُرُونٌ عَلَى رَحِيلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا وَاسْتِقْرَارِهِ فِي دَارِ الْبَقَاءِ، وَأَنَّهُ لَنْ يَكُونَ مُهْتَمًّا عِنْدَ ذَلِكَ بِهَذَا الْعَالَمِ الْفَانِي حَتَّى يُسِرَّ بِظَهُورِ الْإِمَامِ. أَوْ لَا يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَالَ لِنَبِيِّهِ فِي الْقُرْآنِ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر: ٣٠، ٣١]. إِنْ مِثْلَ هَذِهِ الْأَدْعِيَةِ وَالْأَدْعَاءَاتِ دَلِيلٌ عَلَى كَثْرَةِ الْخِرَافَاتِ وَالْبَدْعِ وَعَلَى الْإِهْتِمَامِ بِالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ الْبَاطِلَةِ، لِأَسِيَمَا أَنَّهُ لَا دَلِيلَ مِنَ الْقُرْآنِ وَلَا مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى وُجُودِ هَذَا الْإِمَامِ الْمُتَنْظَرِ الَّذِي يُقَالُ إِنَّهُ ابْنُ حَضْرَةِ الْعَسْكَرِيِّ (ع) - الَّذِي لَمْ يَثْبُتْ أَنَّهُ أَنْجَبٌ وَلِدًا - !!

ثم أورد الشيخ عباس تحت عنوان الأمر الرابع^(١) دعاءً رواه «يونس بن عبد الرحمن» الذين طعن فيه علماء قم! ومن الطريف أن هذا الراوي روى دعاءً يقول فيه لِلَّهِ: اللَّهُمَّ احْفَظْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَبَاءَهُ (= أي آباء الإمام المنتظر) ولم يكن له هذا القدر من الفهم والشعور كي يعلم أن أجداد إمام الزمان أي النبيِّ وسائر الأئمة قد رحلوا عن الدنيا وليسوا بحاجة إلى هذا الدعاء، فدعاء الله أن يحفظهم لغو لا معنى له! هذا نموذج عن فهم هؤلاء الوضاعين ومقدار إدراكهم الذين ينسبون أباطيلهم إلى أئمة الدين!!



(١) «مفاتيح الجنان» (النسخة المعربة)، ص ٦٧٣. (المترجم)

الزيارة الجامعة الكبيرة

بعد ذلك خصَّص مؤلف «المفاتيح» فصلاً خاصاً لـ «الزيارات الجامعة»، ذكر فيه خمس زيارات أهمها وأشهرها الزيارة الثانية المعروفة باسم «الزيارة الجامعة الكبيرة». والزيارات الجامعة هي الزيارات التي لا تختص بنبيٍّ أو إمامٍ مُعيَّن، وعلى حدِّ قولهم: يُمكن أن يُزار بها كل إمام من الأئمة عليهم السلام (المفاتيح، ص ٥٤٣)^(١).

لقد سعينا طول عمرنا أن نُفهم العوام أن دعاء غير الله على نحو غير مُقيَّد عبادةً، وأنه لا تجوز عبادة غير الله، وكَرَرنا بيان هذه المسألة في الكتاب الحاضر مراراً وتكراراً. ولكننا نرى أنه من الضروري قبل نقد «الزيارة الجامعة الكبيرة» أن نُؤكِّد هنا مرَّةً أخرى على هذه المسألة المهمة لعلَّ العوام يستيقظون ويُدركون بطلان نصوص هذه الزيارات التي تُقرأ في آلاف الأماكن في وقت واحد:

ينبغي أن نعلم أنه من المُحال على غير الله - نبيًّا كان أم إماماً - أن يكون في مكانين في آن واحد، كما لا يُمكن أن يسمع في آن واحد عدَّة أصوات ونداءات على نحو مستقل أو من أماكن مختلفة في آن واحد، ولا أن يرى جهات مختلفة في وقت واحد، وعلى هذا فقس، لأن جسمه وروحه محدودان ومُقيَّدان. قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٥٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]. فكل مخلوق حتى النبي له حدود وقَدْرٌ محدود، والله تعالى وحده صاحب الوجود اللامحدود والمطلق. فكل محدود لا يستطيع الحضور في أماكن متعددة على نحو غير محدود بل يكون له في الزمان الواحد مكان واحد لا أكثر. وسَمِعَ المخلوق أيضاً محدود ومُقيَّد، يعني أنه يجب أن يملك آلة للسمع، وثانياً: قوة السمع لديه محدودة ومُقيَّدة بسلامة آلة السمع وبوجود الصوت في مسافة محدَّدة، فلا يُمكنه أن يسمع الأصوات بصورة غير مُقيَّدة وغير محدودة وغير مشروطة أو يسمع في آن واحد أصوات عديدة كلاً على حدة، أي يسمع كل صوت مستقلاً عن الصوت الآخر.

(١) «مفاتيح الجنان» (النسخة العربيَّة)، ص ٦٧٦. (المُترجم)

وإن لم يُرد شخص أن يفهم هذا الأمر العقلي الواضح فإننا نُبيِّن له أقوالاً تُثبت ذلك قالها الأشخاص الذين يدَّعي حُبَّهم واتباعهم^(١). يقول حضرة عَلِيٍّ (ع): "اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَأَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ وَلَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ....." (نهج البلاغة، الخطبة ٤٦) أي لا أحد سوى الله يُمكنه أن يكون مع المسافر ويكون في الوقت ذاته مع أهله الباقين في بلده. وجاء في البند ٩٩ من دعاء «الجوشن الكبير»: "يَا مَنْ لَا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ يَا مَنْ لَا يَمْنَعُهُ فِعْلٌ عَنْ فِعْلٍ يَا مَنْ لَا يُلْهِئُهُ (٦٥)"^(٢). ولذلك فإن حضرة موسى (ع) الذي كان من أولي العزم من الرسل ومقامه أرفع من مقام غيره من الأنبياء لما سمع صوت انفجار الجبل وَقَعَ مغشياً عليه: ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ [الاعراف: ١٤٣] لأن سمعه لم يكن سمعاً غير محدود وغير مُقيَّد. ولم تعرف حضرة مريم (ع) -التي يدعوها النصارى في كل وقت وفي كل حال ومكان على نحو غير مُقيَّد- الملاك الذي تمثَّل لها بشراً سوياً (مريم: ١٨) كما لم يكن نبيُّ الله زكريا يعلم من أين أتى رزق حضرة مريم (آل عمران: ٣٧) ولا غرَّو فعلمهم لم يكن علماً غير محدود.

بناءً على ذلك فإن النبيِّ والأئمة سواءً في زمن حياتهم الدنيوية أم بعد انتقالهم إلى عالم البقاء، ليسوا في كل مكان، بل ليسوا حتى في مكانين، ولا يسمعون جميع الأصوات ولا يُمكنهم الإصغاء لمن يقولون لهم: «السلام عليك»، كما لم يكونوا كذلك زمن حياتهم الدنيوية، إذ كانوا إذا كلَّمهم شخصان في وقت واحد ينتبهون إلى كلام أحدهما ويذهب عنهم كلام الآخر، والآن أيضاً بعد أن فقدوا آلة سمع الأصوات الدنيوية وانتقلوا أيضاً من عالم الفناء إلى عالم آخر تماماً (عالم البقاء)، فإنهم لا يسمعون بالطبع أصواتنا ولا يلتفتون إلى هذا العالم.

هذا الأمر الذي ذكرناه يفهمه كلُّ عاقلٍ مؤمنٍ يقرأ القرآن دون تعصُّب، اللهم إلا إذا كان مُتعصِّباً متاجراً بالخرافات أو كان مُتعلِّقاً جداً بعبادات آبائه وأجداده وآدابهم.

بعد هذه المُقدمة يُعَلِّم أن الزيارات الجامعة سواءً كانت كبيرة أم صغيرة، بل جميع الزيارات والأدعية المُشابهة لها، لم تأتِ مِنْ قِبَلِ الشارع، بل وضعها أشخاص خرافيون وأشاعوها

(١) تُراجع الصفحة ٤١٤ من الكتاب الحاضر.

(٢) تُراجع الصفحة ٤١٤ من الكتاب الحاضر.

لا تتناسب «الزيارة الجامعة الكبيرة» التي تتبدئ بالمدائح والتمجيد والغلو والتملق مع السيرة المتواضعة للأئمة. هل من الممكن للإمام عليّ النقيّ الهادي (ع) الذي كان «يجلس في منزله على الحصى ويذكر الله وينشغل بمناجاة ربّه»^(١)، وكان مثلاً للتقوى والتواضع أن يقول للناس: اقرؤوا صفحات عديدة أمام قبوري وقبور آبائي تطفح بالغلو والبعد عن الحقيقة والتملق؟ هل من يدعو إلى ذلك يكون إماماً موحّداً زاهداً أم مُتَكَبِّراً طالباً للجاه؟!

إن إمامنا متواضع زاهد وكان يلفت انتباه الناس دائماً نحو الله ويشدهم إليه لا إلى نفسه، ولم يكن مُتَكَبِّراً ولا مُعْجَباً بنفسه حتى يُثني على نفسه في صفحات عديدة ويُمجّدها ويطلب من الناس أن يدعوه بتلك الصفات العليا - بل بالصفات الخاصة بالله - كي يرضى عنهم!! (فتأمل). في هذه الزيارة تم وصف الأئمة - تقليداً للأدعية الموضوعية الأخرى - بوصف «صفوة المرسلين» ولا يُعلّم أيّ نبيّ، وبناءً على أيّ دليلٍ ومستندٍ، اصطفى أولئك الأجلاء الكرام للإمامة!

وجاء في هذه الزيارة وصف الأئمة بأنهم: "عِبَادَةُ الْمُكْرَمُونَ الَّذِينَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ" أي جعل الأئمة مصداقاً للآية ٢٧ من سورة الأنبياء، مع أن الآية تتعلق بالملائكة لا بالبشر، كما تدل على ذلك أيضاً الآيات التي جاءت قبل تلك الآية وبعدها، وقد اعتبر عليّ (ع) الآية المذكورة خاصة بالملائكة (نهج البلاغة، الخطبة ٩١).

وجاء في هذه الزيارة: "بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ وَبِكُمْ يَحْتَمِ (اللَّهُ) وَبِكُمْ يُنَزَّلُ الْعَيْثُ.....". من المفيد بشأن هذا الغلو مراجعة «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول» (الباب ٣٣، الحديث الثالث، الصفحات من ٢٨٤ حتى ٢٨٧).

إن «الزيارة الجامعة الكبيرة» تتضمن إشكالات عديدة، وبما أننا درسنا هذه الزيارة ونقدناها سنداً ومنتناً في كتاب «زيارات وزيارتنامه» [زيارات المزارات وأدعية الزيارات] (ص ٩٧ حتى

(١) داستان راستان [قصص الصادقين]، مرتضى مطهري، ص ٧٧، نقلاً عن «بحار الأنوار».

١٠١ و ٣٥٠ حتى ٣٥٦) فلا نُكْرَرُ ذلك هنا ونُحِيلُ القارئ المحترم إلى الكتاب المذكور.

وتكلّمنا فيما سبق في هذا الكتاب الحاضر (ص ٣٤٩) عن الزيارة الجامعة الثالثة فلا داعي لتكرار الكلام عليها هنا.

ثم أورد الشيخ عبّاس تحت عنوان: "المقام الثاني: فيما يُدعى به عقيب زيارات الأئمّة عليهم السلام" (ص ٥٥٤ و ٥٥٥ من المفاتيح)^(١) أدعيّة لا تنسجم مع القرآن ولا مع العقل، إذ يقول فيها: "يَا وَلِيَّ اللَّهِ إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- ذُنُوبًا لَا يَأْتِي عَلَيْهَا إِلَّا رِضَاكَ!!" وعلينا أن نقول لقارئ هذا الدعاء: أيها الجاهل الذي لا علم له بالقرآن، بدلاً من أن تذهب إلى قبر الإمام وتملّق له وتقول الأكاذيب، اذهب وتب إلى الله، فإن الله تعالى أمر في القرآن المُذنبين بالتوبة، فأين تجد في كتابه أنه قال إن عبادي الصالحين يُمكنهم أن يُنقذوكم من عواقب ذنوبكم ويُعفّوكم من مسؤوليّتكم عمّا اقترفتموه؟! إن التكلم مع الأموات عند قبورهم وسؤالهم والطلب منهم بدعة ولو اطّلع الإمام على عملك هذا لتبرأ منك. إن الإمام الذي رحل إلى عالم البقاء لا علم له بما تفعله وحتى لو كان حياً في هذه الدنيا الفانية وسمع كلامك لم يكن مُكلّفاً أن يُصغي إلى أوهامك. لماذا ترجع إلى غير الله في طلب الغفران مع أن الله أرحم الراحمين؟! إن مقام العبادة ليس كسائر الأفعال في هذه الدنيا حتى يحتاج إلى واسطة! ولا حاجة لك إلى وُسطاء مع الله الحاضر في كل مكان والناظر لكل شيء.

المقام الثالث من فصل «الزيارات الجامعة» يتعلّق بـ «الصلوات على الحجج الطاهرة (ع)» المروية عن «أبي المُفضّل الشيباني» الذي ضعّفه علماء الرجال والذي عرّف به الأستاذ «محمد باقر البهبودي» تحت رقم ١٢١ في كتابه «معرفة الحديث» (ص ٢٠٩ إلى ٢١٢) بشكل وافٍ. هذا الراوي الذي لا اعتبار لحديثه ينقل عن «أبي محمد عبد الله بن محمد العابد» المهمل والمجهول!! الآن احكم أيها القارئ بنفسك على مدى وثاقة مرويات هذا الفصل!



(١) «مفاتيح الجنان» (النسخة العربيّة)، ص ٧٠٠. (المُترجم)

الخاتمة: في زيارة الأنبياء العظام (ع) وأبناء الأئمة الكرام

يقول مؤلف المفاتيح في الصفحة ٥٦١^(١) تحت عنوان هذا الفصل: "... اعلم أن تكريم الأنبياء (ع) وتعظيمهم واجب عقلاً وشرعاً لا تُفَرِّق بين أحد من رسله، وزيارتهم راجحة مستحسنة والعلماء قد صرّحوا باستحباب زيارتهم..... [إلى قوله]: فلم أظفر بزيارة مأثورة تخصّصهم عدا ما سلف في باب زيارة أمير المؤمنين (ع) من زيارة آدم ونوح (عليهما السلام)".

ثم سعى أن يخترع لهم زيارات. ولكن نحمد الله أنه لم يظفر بزيارات لهم وإلا لو أراد أن يضع لكل واحد من المئة وعشرين ألف نبيّ، وللأئمة وأحفادهم زيارات لكان عليه أن يبنّي من شرق العالم إلى غربه قباب وأضرحة وأفنية ومنازل... لهم.

ورغم أن الشيخ عبّاس نفسه قال^(٢):

"يُرَوَى عن المرحوم الفقيه الزاهد الورع الحاج المَلّا محمد إبراهيم الكلباسي - طاب ثراه - نقلاً عما جاء في (شفاء الصدور) من أن أحد أفاضل أهل المنبر قال في محضره، في ذيل قصّة يرويها: إن الحسين (عليه السلام) قال: "يا زينب! يا زينب!"؛ فإذا بهذا الفقيه الورع يردّ عليه - بلا محاباة - وعلى مشهد من الملأ، وبصوت مرتفع، ويقول: فضّ الله فاك! فالإمام لم يَقُلْ: يا زينب! مرّتين، بل قالها مرّةً واحدةً!! فعلى السلالة الجليلة من أهل المنبر أن يراقبوا أحوالهم في هذا الصدد، وأن يتبصّروا بمفاسد الكذب بعامة، فيتركوا المطالب الكاذبة والمرويات الموضوعية، بل يمتنعوا عن نقل كل ما رأوه أو سمعوه، ويقتصروا على الأمور التي يكون ناقلها موثقاً"^(٣).

(١) «مفاتيح الجنان» (النسخة المعرّبة)، ص ٧٠٨. (المترجم)

(٢) قال ذلك في آخر الجزء الأول من كتابه «منتهى الآمال» تحت عنوان «في ذم الرياء والكذب في المآتم ومفاسد الكذب». (المترجم)

(٣) منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل، تعريب الأستاذ نادر التقي، بيروت، الدار الإسلامية، ١٩٩٤م/١٤١٤هـ، ج ١، ص ٦٦٣. (المترجم)

وكتب أيضاً يقول:

"... حتى بئنا نسمع في مجامع علماء المذهب أكاذيب صريحة تُذكر، والنهي عن هذا المنكر غير مُتيسر، وأضحى جماعة من ذاكري المصائب لا يتورعون عن اختراع وقائع مبكية، وكثُر اختراع الأقوال منهم، واعتبروا أنفسهم ممن يشملهم الحديث "مَنْ أَبْكَى فَلَهُ الْجَنَّةُ"، وشاع هذا الكلام الكاذب مع الأيام حتى صار يظهر في مؤلفات جديدة، وإذا حاول مُحَدِّثٌ مُطَّلِعٌ أمينٌ مَنْعَ هذه الأكاذيب، نسبوها إلى كتاب مطبوع أو كلام مسموع، أو تمسكوا بقاعدة «التسامح في أدلة السنن»، وتوسَّلوا منقولات ضعيفة توجب اللوم والتوبيخ من الملل الأخرى، كجملة الوقائع المعروفة التي ضبطت في الكتب الجديدة، في حين أنه لا عين ولا أثر لهذه الوقائع عند أهل العلم والحديث، كعرس القاسم في كربلاء الذي نقل في كتاب (روضة الشهداء) من تأليف الفاضل الكاشفي، وقام الشيخ الطريحي^(١) - وهو من أجلة العلماء والمعتمدين - بنقله عنه، ولكن في كتاب (المنتخب) أموراً كثيرة جرى التساهل والتسامح بها، وهي لا تخفى على أهل البصيرة والاطلاع...."^(٢) (انتهى كلام الشيخ عباس في منتهى الآمال)

ولكن مع الأسف لم يعمل الشيخ عباس نفسه بهذه التوصيات ونقل رواية حول زيارة حضرة المعصومة عن «علي بن إبراهيم» الذي رويت عنه كثير من الخرافات في كتاب «الكافي» وعن «العمركي» معلول الرواية أيضاً مضمونها: "مَنْ زَارَهَا عَارِفًا بِحَقِّهَا فَلَهُ الْجَنَّةُ!!"^(٣)

وينبغي أن نقول: إذا كانت زيارة رسول الله ﷺ وحضرة عليٍّ (ع) زمن حياتها الدنيوية لا

(١) الطريحي: هو الشيخ فخر الدين بن محمد علي بن أحمد الطريحي، النجفي (٩٧٩ - ١٠٨٥ هـ = ١٥٧١ - ١٦٧٤ م) فقيه وأصولي ومُحَدِّثٌ ومؤرِّخٌ ولغويٌّ ومفسِّرٌ، من الإمامية، ولد بالنجف، وتوفي بالرماحية. وترك عدداً من المؤلفات منها: «مجمع البحرين ومطلع النيرين» في تفسير غريب القرآن والحديث، و«المنتخب في جمع المراثي والخطب». (المُتَرَجِّمُ)

(٢) المصدر السابق نفسه، ج ١، ص ٦٦٧، وفي النسخة الفارسية الأصلية لمنتهى الآمال، كتابفروشى اسلامية، ج ١، ص ٤٧٩ و ٤٧٣.

(٣) وكتب في الصفحة ٥٦٦ من المفاتيح حول زيارة عبد العظيم: "من زار قبره وجبت له الجنة".

توجب لزائرهما الجنة فكيف توجب زيارة قبر أحد أحفادهما دخول الجنة؟! لو التقى شخص بحضرة موسى بن جعفر (ع) زمن حياته هل كانت تجب له الجنة بذلك؟ بالطبع لا. إن الوضّاعين والكذّابين يُعْرُونَ الناس ويُضيفون من عند أنفسهم ما شاؤوا إلى دين الله.

أذكر أنني عندما كنتُ في قم، لو دار شخصُ المدينة فجراً لرأى كثيراً من المساجد مُعلّقةً، ولكنه إذا نظر إلى صحن حضرة المعصومة ومقبرتها لراه يغصُّ بالناس. كيف ابتعد المسلمون عن التوحيد واغترّوا بالخرافات وانطبق عليهم ما قاله تعالى بشأن أهل الكتاب: ﴿وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [ال عمران: ٢٤]!

لاحظوا أنه رغم وجود هذه الأحاديث الواهية التي لا اعتبار لها ازدادت في قم القباب والمنارات والموقوفات والدكاكين إلى حدّ لا يعلمه إلا الله. كل سنة يتم رمي ملايين التومانات في الأضرحة. في زمن [الشاه محمد رضا] بهلوي جاء شخصان من الأغنياء إلى مرقد حضرة المعصومة واشتروا قبرين كل قبر بستمئة ألف تومان!! ولا يعلم إلا الله كم يُقدّم من الأموال لشراء مثل هذه القبور، وكم من النذور وقطع السجاد والثريات تُهدى كل سنة لمرقد حضرة المعصومة وسائر الأئمة ثم تُباع قطع السجاد القديمة والثريات في المزاد العلني، ولا يعلم إلا الله المبالغ التي تُستحصل من بيعها!!

ولقد لفقوا أيضاً أموراً لأجل حضرة عبد العظيم لأجل أن ينتفعوا منها، فمثلاً في الصفحة ٥٦٥ نقل الشيخ عبّاس القمّي عن فرد مجهول قوله:

"... رأى رجل من الشيعة في المنام رسول الله ﷺ قال له: إن رجلاً من ولدي يحمل من سكة الموالي ويدفن عند شجرة التفاح في باغ (بستان) عبد الجبار بن عبد الوهاب وأشار إلى المكان الذي دفن فيه، فذهب الرجل ليشتري الشجرة ومكانها من صاحبها، فقال له: لأي شيء تطلب الشجرة ومكانها؟ فأخبره بالرؤيا، فذكر صاحب الشجرة أنّه كان رأى مثل هذه الرؤيا وأنّه جعل موضع الشجرة مع جميع الباغ (البستان) وقفاً على الشريف والشيعة يدفنون فيه..."^(١).

(١) «مفاتيح الجنان» (النسخة المعرّبة)، ص ٧١١ تحت عنوان «زيارة الشاه عبد العظيم الحسيني (ع)». (المترجم)

وروا روايةً أخرى عن فرد مجهول أيضاً ادّعى أن حضرة الهادي قال إن زيارة عبد العظيم مثل زيارة الإمام الحسين عليه السلام!!

لاحظوا كيف اعتبروا ادّعاء فرد مجهول ورؤيا فرد مجهول دليلاً على فضيلة عمل ما، وقد امتلأت مدينة ري من المنارات والقبة والضريح ببركة هذه الرؤيا الدسمة (!) وأخذ الناس يهدون ملايين التومانات ندوراً وموقوفات لذلك الضريح، وأصبح ذلك مصدر رزقٍ ممتازٍ لفريقٍ من العاطلين عن العمل من سدنة ذلك المقام. وعلى كل حال فإن عوام الناس يُفتنون دائماً وينجذبون إلى القباب الذهبية والأضرحة الفضية المليئة بالمرايا و.....!!



نكتفي بهذا المقدار من دراسة ونقد كتاب «مفاتيح الجنان»، ونذكر أن لكتاب «المفاتيح» ملحقات^(١) أكثر خرافيةً من متنه وأسوأ منه، وفي نظرنا يستطيع القارئ المحترم، بعد قراءته هذا الكتاب الحاضر، أن يميّز بنفسه وثاقه أو عدم وثاقه سائر موضوعات كتاب المفاتيح. ولكنني أرى من الضروري أن أطلع القراء على بعض الأمور بشأن «حديث الكساء» المدرج في آخر كتاب «المفاتيح».

حديث الكساء المدرج في آخر كتاب المفاتيح

قال الشيخ عبّاس القمّي في بداية هذا الحديث الذي ذكر دون بيان رجال سنده: "عن كتاب «العوالم» بسند مُعْتَبَر^(٢) عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن حضرة فاطمة (ع)". وهذا الادّعاء كذب ولم ير أي سند لهذا الحديث. ولو كان سند هذا الحديث «صحيحاً» أو على الأقل «حسناً» لما توانوا قطعاً عن ذكر سنده، كي يزيدوا من اعتباره وأهميته.

(١) حول ملحقات المفاتيح راجعوا التوضيحات التي ذكرناها في الصفحة ٤٢ من الكتاب الحاضر.

(٢) جاء في بعض النسخ كلمة «صحيح» بدلاً من كلمة «مُعْتَبَر».

والأهم من ذلك اعتراف الشيخ عباس القمي نفسه الذي قال:

"وأما الحديث المعروف بحديث الكساء الشائع في زماننا بهذه الصورة، فليس له أثر في الكتب المعتمدة وأصول الحديث ومجامع المحدثين المتقنة ويمكن القول إنه مما اختصَّ به كتاب «المنتخب»^(١).

كما يُلاحظ، فإن الشيخ عبَّاس القمِّي الذي يعتمد على كثير من الأخبار غير الموثَّقة والكتب غير المُعتَبَرة يصرِّح هنا أن مثل هذا الحديث لا يوجد في كتب المتقدمين. وكما رأينا في الصفحات السابقة فهو ليس حسن الظنِّ بروايات «الطُّرَيْحِي» ويعتبره مُتساحماً^(٢).

علاوة على ذلك فإن «فخر الدين الطُّرَيْحِي» كان يعيش في القرن العاشر وبينه وبين جابر بن عبد الله ألف سنة، فكيف روى عنه هذا الحديث الذي لم يكن المحدثون قبله يعرفونه. أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟!

وإذا رجعنا إلى كتابي «غاية المرام» و«تفسير البرهان» للسيد هاشم البحراني للاحظنا أن البحراني جمع كل خبر يتعلق بمسألة الكساء، ورغم ذلك لا نجد في رواياته ما يشبه حديث «الطُّرَيْحِي» هذا، فمثلاً تقول الأحاديث إن حضرة الزهراء (ع) جاءت إلى بيت النبي، أما هذا الحديث فعلى العكس من ذلك يقول إن النبي ﷺ هو الذي جاء إلى بيت فاطمة (ع)!! وأكثر الأحاديث اعتبرت الكساء خبيرياً أما هذا حديث «الطُّرَيْحِي» فاعتبره يمانياً، ثم إن هذا الحديث يقول إن النبي كسى نفسه بالكساء على نحو كان كل من يدخل فيه لا يرى النبي ﷺ بل كان

(١) عباس القمي، منتهى الآمال، كتاب فروشى اسلاميه، (بخط الحاج الميرزا حسن الهريسي الأرونقي) ج ١، ص ٤٤٥.

(٢) راجعوا الصفحة ٤٨٨ من الكتاب الحالي. وقد أعرب الشيخ عبَّاس القمِّي مرة أخرى على عدم ثقته بمؤلفات «الطُّرَيْحِي» على النحو التالي: "لم يرد ذكر للمحامل وللهوداج في غير خبر مسلم الجصاص، ومع أن العلامة المجلبي قد نقل هذا الخبر فإن مصدره (المنتخب) للطريحي، وكتاب (نور العين)، وحال الكتابين لا تخفى على أهل فن الحديث...". (منتهى الآمال، ج ١، ص ٤٠٩). [أقول: وهو في النسخة المترجمة إلى العربية لمنتهى الآمال في: ج ٢، ص ٥٦٩، ضمن فصل: «ورود أهل البيت الكوفة». (المترجم)].

يُدرِك حضور النبي تحت الكساء بواسطة رائحة جسمه، ويطلب الحضور تحت الكساء، في حين أن الأحاديث الأخرى تقول إن النبي كان يدعوهم إلى الانضواء تحت الكساء.

في أواسط هذا الحديث تُنقل أمورٌ عن الله وجبريل دون واسطة النبي ﷺ، فنسأل: وهل كان يوحى لأحد غير النبي ﷺ؟! وهل يستطيع أحد أن يخبرنا عن أحوال الملكوت سوى النبي ﷺ؟! أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟!

في هذا الحديث يقسم الله ويقول: "وَعَزَّيْتِي وَجَلَالِي إِنِّي مَا خَلَقْتُ سَمَاءً مَبْنِيَّةً وَلَا أَرْضاً مَدْحِيَّةً، وَلَا قَمراً منيراً، وَلَا شمساً مضيئةً، وَلَا فلکاً يدور، وَلَا بحراً يجري، وَلَا فلکاً تسري، إِلَّا لأجلکم ومحبتکم، هؤلاء الخمسة الذين تحت الكساء... الخ".

وهذا الكلام مخالف لآيات القرآن التي تقول: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا... الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢] ولقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، وقوله سبحانه: ﴿سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [لقمان: ٢٠]، وقال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ ﴿٣٦﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٧﴾ وَعَاتَلَكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٨﴾﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

وعلى كل حال فلم يستثن الله أحداً ولم يختص عالم الخليفة بشخص أو يخلقه لأجل شخص، لكن واضعي الأحاديث الجاهلين بالقرآن الذين لا علم لهم بالقيامة يقولون إن الله خلق السماوات والأرض والأفلاك و..... لأجل خمسة أشخاص. نعوذ بالله من الخسران ومن الكذب على الله سبحانه.

إن هذا الحديث يتضمّن بالطبع إشكالات أخرى أيضاً مثل دخول جبريل تحت الكساء و..... ولكننا نكتفي بهذا المقدار من نقده.

إن الخرافات والأوهام كثيرة بين الناس عندنا ولا أملك في هذه الأيام القدرة على التفصيل في هذا الأمر أكثر من ذلك، وفي نظري ما ذكرته يكفي لتنبه أصحاب التفكير السوي من الناس وأتباع القرآن ويقظتهم.

أسأل الله تعالى أن ينقذ الناس لدينا من شر المتكسبين بالدين وتجار الخرافات ويعيننا ويحفظنا من شر أهل الدنيا والخرافيين. آمين يا رب العالمين. وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، وَمَا أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ، وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ.

خادم الشريعة المطهرة: سيد أبو الفضل ابن الرضا (البرقي)



١- سوانح الأيام

آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البرقيّ القميّ

سيرة ذاتية كتبها المرحوم أبو الفضل البرقي -أحد أعمدة وأعلام المحاربين لخرافات الشيعة وبدعهم في إيران المعاصرة - عن حياته. تنبع أهمية الكتاب الحالي من روايته لتاريخ التحولات السياسية - الدينية في إيران المعاصرة في عهد الحكم البهلوي (رضا شاه ومحمد رضا شاه) وإلى ما بعد الثورة الإيرانية وحتى سنة ١٣٧٠ هـ.ش، ويحلل ويشرح دور ومواقف علماء الدين الشيعة في الحوادث المختلفة التي عرضت للمجتمع الإيراني ويميط اللثام عن حقائق مجهولة لكثير من القراء؛ بناء على ذلك فإن كتاب «سوانح الأيام» إضافة إلى كونه شرحاً شخصياً لحياة العلامة البرقي، يبين كثير من الوقائع التاريخية المكتومة ويكشف النقاب عن حقيقة الحكومة المتظاهرة بالإسلام في إيران. بعد أن يُعرّف المؤلف بِنَسَبِهِ وأُسْرَتِهِ، يذكر نبذة عن مرحلة طفولته ودراسته الابتدائية ثم يشرح دراساته الحوزوية. ويواصل كلامه ببيان نشاطاته السياسية والاجتماعية في مرحلة الشباب ويعرفنا بأساتذته في الحوزة ويذكر نصوص إجازات رواية الحديث التي نالها منهم. ومن أقسام الكتاب المهمة بيان لقاءات البرقي وحواراته مع كثير من علماء الشيعة المرموقين في إيران ومكاتبته مع كثير منهم - بما في ذلك الخميني والخامني - التي غطت جزءاً كبيراً من الكتاب، في حين تغطي الفصول الأخيرة منه طريقة تعامل الحكومة الإيرانية مع المؤلف وبيان الأذى الذي تعرض له على أيدي رجال الحكم وحوادث السجن والاعتقال الفاشل التي تعرض لها.



٢- عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول

آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البرقي القمي

بمُحِّث جامعٍ حول أحاديث كتاب (أصول الكافي)، وبيان تعارضها مع القرآن الكريم وسنة النبي الأكرم ومناقضتها لمعايير العقل والمنطق. اعتبر المؤلف أن متون كثيرٍ من أخبار أصول الكافي مخالفةٌ للعقل وللقرآن. ويبيِّن في المقدمة المفصلة إلى حد ما للكتاب الدلائل على رجحان القرآن وحجتيه مقارنةً بالسنة والروايات مستفيداً في ذلك من المصادر الشيعية الأساسية. في بداية الكتاب بيَّن المؤلف باختصار طريقة تدوين أحاديث الشيعة وأسباب نفوذ الأحاديث الموضوعة في كتبهم وكيفية انتشارها في تلك الكتب وتأثيرها في بناء الفكر الشيعي، كما بيَّن الدوافع والعوامل التي ساعدت على اتساع هذا الأمر. ثم بدأ المؤلف بدراسة أحاديث كل باب من أبواب أصول الكافي على حدة وعقد ١٨٢ فصلاً مخصَّصاً في كل فصل الأحاديث الواردة فيه مبيناً الأحاديث الموضوعة منها بذكر الدلائل على وضعها من القرآن والسنة النبوية وروايات أئمة الشيعة ومن حال رواة أسانيد تلك الأحاديث. إن هذا الكتاب إلى جانب كتابي (مرآة العقول) للمجلسي و (صحيح الكافي) لمحمد باقر البهبودي من أهم الكتب التي أُلِّفَتْ في تنقية كتاب أصول الكافي للكُتُبِيِّ وتنقيحه وتصفيته من الأخبار الموضوعة وغير الصحيحة.



٣- التعارض بين مفاتيح الجنان والقرآن

آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البرقي القمي

الكتابُ دراسةً وتحليلٌ لأدعيةِ كتاب "مفاتيح الجنان" تأليف الشيخ عباس القمي ومقارنتها بقيم الإسلام وحقائقه. يبتدئ المؤلف كتابه بالتعريف بقاعدة (التسامح في أدلة السنن) وحديث (من بلغه) وينقد تلك القاعدة وذلك الحديث ويبطلهما. ثم يشرح حالة الشيخ عباس القمي ويبين دوافعه لتأليف كتاب مفاتيح الجنان ثم يبدأ بتحليل وتمحيص أدعية هذا الكتاب واحداً واحداً وينتقد الأدعية التي تتعارض مع الأفكار والعقائد الإسلامية الأصيلة. يعتبر المؤلف - استناداً إلى دلائل متعددة- أن دعاء كميل ودعاء العشرات ودعاء السمات تحتوي على عبارات صوفية وأنها تنشر العقائد الفكرية لمدرسة الصوفية. ثم يقوم المؤلف بنقد الأدعية الناقصة والمعيوبة ويذكر في هذا المجال: أدعية المشلول ويستشير والعدلية وجوشن الكبير وجوشن الصغير والقاموس. ثم يعقد المؤلف فصلاً آخر يستعرض فيه ثمان شبهات مهمة في توحيد العبادة ويرد عليها. ثم يُمحصّ المؤلف دعاء التوسل وحرز الإمام زين العابدين ومناجاة أمير المؤمنين. ويتابع المؤلف بحثه بتمحيص فصولٍ أخرى من كتاب مفاتيح الجنان التي تتعارض مع القرآن الكريم وتعاليم الإسلام الأصلية.



٤- دراسة علمية لأحاديث المهدي

آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البرقي القمي

الكتاب بحث علمي في الأخبار والأحاديث المروية حول المهدي - إمام الشيعة الثاني عشر- وفحص وتمحيص صحتها وسقمها . يسعى المؤلف في هذا الكتاب إلى فحص عقيدة وجود إمام الزمان (المهدي المنتظر) وتمحيصها بالاستناد إلى آيات القرآن والروايات التاريخية والأحاديث المنسوبة إلى أئمة الشيعة. يورد المؤلف في بداية كتابه مقالةً مستقلة قصيرة كتبها أحد زملائه في الفكر والعقيدة (دون ذكر اسمه) كي يتمكن القارئ من خلال ذلك من إدراك مضامين الكتاب والاطلاع على هدفه الكلي. يختص الفصل الأول من الكتاب بدراسة الروايات الشيعية حول إمام الزمان وولادته وحياته. وفي الفصل التالي يبحث المؤلف مسألة الرجعة كماً وكيفاً وما سيقع خلالها من حوادث طبقاً لما يعتقد به الشيعة والتي ستقع بعد رجعة المهدي طبقاً لعقيدة الشيعة. وبعد أن ينقل المؤلف كل رواية حول المهدي المنتظر يبين مباشرةً معارضتها لمعايير العقل والمنطق ويثبت تعارضها مع القرآن ومع أحاديث النبي وأهل بيته. وفي الفصل التالي يشرح المؤلف آيات القرآن التي يستند إليها مدعو وجود المهدي ويفسرها. ثم ينقل الروايات التي تتنبأ بالحوادث المستقبلية التي ستقع بعد وفاة المهدي. ويتابع المؤلف بحثه بدراسة أحاديث أهل السنة حول المهدي. ولما كانت أهم الأخبار والأحاديث الواردة حول المهدي قد جاءت في كتاب بحار الأنوار للمجلسي؛ قام المؤلف بدراسة وتمحيص تلك الأحاديث الواردة في ٣٢ باباً مختلفاً من أبواب بحار الأنوار حديثاً حديثاً، وحلل تلك الأحاديث وأثبت سقمها وضعفها جميعاً.



ه- الخرافات الوافرة في زيارات القبور

آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البرقي القمي

يدرس المؤلف في هذا الكتاب نظرة الإسلام والقرآن إلى موضوع زيارة القبور ويزن زيارات القبور بميزان العقل ومعاييره. يبتدئ الكتاب بطرح مجموعة من الأسئلة حول المكان الذي تذهب إليه أرواح الأنبياء والأولياء بعد وفاتهم، وهل يطلعون على زيارة زوار قبورهم. وضمن إجابته المدللة على هذه الأسئلة يبحث المؤلف مدى مشروعية بناء القباب والأضرحة على القبور وينقل الأحاديث والروايات الواردة عن أئمة الشيعة في هذا المجال. ثم يطرح في الفصول التالية من الكتاب الروايات التي يرويها الشيعة حول زيارة النبي الأكرم ﷺ وحضرة الزهراء وأئمة البقيع وحضرة علي ويفند تلك الروايات ويدحض الاحتجاج بها. ثم يمحص نصوص الزيارات التي نُقِلت عن بعض كبار علماء الشيعة أمثال الشيخ المفيد وصفوان وابن طاووس وجابر الجعفي والكفعمي والسيد مرتضى ... ويبين تناقض متونها ومعارضتها للعقل والدين، وفي ختام الكتاب يعدد المؤلف الأضرار والمفاسد الدينية والاجتماعية التي نجمت عن انتشار خرافة زيارات القبور في مجتمع الشيعة وشيوعها.



٦- طريق الاتحاد في تمحيص نصوص الإمامة

حيدر علي قلمداران القمي

بحث جامع في تمحيص النصوص والمتون الدينية المعتمدة (القرآن والأحاديث والروايات) المتعلقة بمسألة الإمامة ونقدها وتحليلها. يُعدُّ هذا الكتاب من أهم المؤلفات التي كتبت باللغة الفارسية في مجال نقد مفهوم الإمامة الشيعي، ويشرح الكتاب تلك الآيات القرآنية التي يستدل بها الشيعة على حقية سلسلة الإمامة المنصوصة حسب عقيدتهم، ويفسر تلك الآيات ويشرحها كما يفحص الأحاديث والأخبار التي وصلتنا عن الرسول الأكرم والصحابة الكرام وأئمة الشيعة حول هذا الموضوع متناً وسنداً بكل دقة وبعد أن يفصل ويميز الأخبار الشاذة والكاذبة (التي تشكل الجزء الأعظم من هذه الروايات) من الأخبار الصحيحة، يبين مفهوم تلك الأخبار ومصداقها الحقيقي واحداً واحداً. وبعد أن يبين المؤلف في بداية كتابه الأسباب والعلل الأساسية لاختلاف أمة الإسلام وجذور افتراق أبنائها بعضهم عن بعض يبحث بدقة في حادثة سقيفة بني ساعدة والمفاوضات والنقاشات التي دارت فيها مبيناً خلال ذلك كيفية مبايعة حضرة عليّ (ع) لأبي بكر الصديق (سلام الله عليهما)، وينقل لنا روايات الشيعة حول هذا الموضوع. وفي الفصل التالي يبحث واقعة غدِير خم وحقيقتها. يدور الكلام في هذا الفصل حول شرح واقعة الغدير والدافع الذي دعا نبي الله إلى إلقاء خطبة الغدير المشهورة ونقد ما يستنبطه الشيعة منها. وفي الفصل التالي ينقل المؤلف لنا حادثة بني ساعدة كما يرويها كتاب «الاحتجاج» للطبرسي ويبين لنا كيف أن الحب والبغض المذهبيين شوها الحقيقة وقلباها رأساً على عقب. ثم يذكر المؤلف عشرة أحاديث شيعية مهمة يستند إليها الشيعة لإثبات عقيدتهم في الإمامة ويحللها ويمحصها سنداً وامتناً بكل دقة. ثم يبين فيما يلي دوافع ثورات السادة العلويين زمن الأمويين وأقوال أئمة الشيعة الصريحة حول الخلافة ودلائلها التاريخية التي تدل جميعها على عدم وجود نص بشأن الإمامة. وهذا هو موضوع الفصل التالي من الكتاب. في الختام يعرفنا المؤلف بفرق الشيعة المتعددة التي ظهرت بعد وفاة كل واحد من الأئمة ويشرح لنا عقائد كل فرقة من هذه الفرق.



٧- طريق النجاة من شر الغلاة

حيدر علي قلمداران القمي

كتاب مفصل مبسوط يُبيِّن أكثر الخرافات وأقوال الغلاة الشائعة بين الشيعة وينقدها وَيُرَدُّ عليها. يبتدئ المؤلف كتابه ببحث علم الغيب ويثبت أن هذا العلم مختص بالله تعالى وحده، ويشير في هذا الصدد إلى الروايات الشيعية المتعددة التي تنفي علم الغيب عن الأئمة. ثم يتعرض إلى رسالة «سهو النبي» للشيخ محمد تقي الشوشتری ويستند إليها في هذا المجال. أما الفصل التالي فخصصه المؤلف لبحث الولاية وحقيقتها. في هذا الفصل ينقل المؤلف ادعاء الشيعة حول ولاية أمر علي وأبنائه ويستند إلى عدد من آيات القرآن وأقوال الأئمة أنفسهم للرد على هذه العقيدة وتفنيدها. ثم يتابع المؤلف كتابه بفصل يبحث فيه حقيقة الشفاعة؛ فيبين في بداية هذا الفصل مفهوم الشفاعة في القرآن الكريم بشكل واضح. ثم يحلل القراءة الشيعية للشفاعة وتأثيرها السلبي في عقائد الشيعة. وفي الفصل التالي يبين المؤلف كيفية انتشار هذه الخرافة في مذهب الشيعة ويبين المسيرة التاريخية لكتب الغلاة وعقائدهم. وفي الفصل التالي يبحث المؤلف بشكل مفصّل موضوع زيارات القبور والخرافات التي انتشرت حولها، فيبين في بداية هذا الفصل الدلائل العقلية والتاريخية على نفي زيارة القبور من قبل الرسول الأكرم وأئمة الشيعة. ثم يبين علة اهتمام الشيعة بزيارات القبور ويعدد الدلائل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي أدت إلى شيوع هذا الطقس الخرافي في المجتمعات الشيعية. ومن مباحث هذا الكتاب الأخرى بيان تعارض أحاديث الزيارة مع القرآن الكريم وتمحيص أسانيد تلك الأحاديث وبيان حكم تعمير القبور في الإسلام. ويختص الفصل النهائي من الكتاب بنظرة عامة إلى ظاهرة الغلاة وآفات الغلو وخبائثه الاجتماعية والدينية.



٨- الخُمس

حيدر علي قلمداران القمي

بِحُثِّ جامع و مبسوط حللَّ فيه المؤلف الأسس الشرعية والمنطقية للخُمس في الفكر الاقتصادي للإسلام ومَحَّص هذه الأسس وفحص صحتها وبيَّن الحُكم الصحيح بشأنها. يُعدُّ هذا الكتاب أشمل تأليف مستقل كُتِبَ في عالم الإسلام حتى اليوم في نقد موضوع الخُمس، وقد أُلِّفَ بهدف دراسة أهمِّ أحاديث الشيعة ومستنداتهم حول إيجاب أداء الخُمس وتمحيصها ونقدها. يهدف المؤلف في كتابه إلى تنقية الخُمس من الزوائد والإضافات التي أضافها بعض علماء الشيعة إليه وعلى حد قوله: (جعلوا الخُمس وسيلة مطمئنة للاستزاق وملء جيوبهم). بعد تحليله العميق والدقيق للآية ٤١ من سورة الأنفال التي نزلت بشأن غنائم الحرب، يشرح المؤلف موقف سنَّة نبي الإسلام الكريم والأئمة عليهم السلام من هذا الموضوع بشكل مفصَّل. بدأ المؤلف كتابه بدراسة مستند الخُمس في القرآن الكريم، وبعد أن أوضح استخدامات الخُمس وموارده في المجتمع الإسلامي، قام بدراسة أحاديث الخُمس التي حصرته برسول الله ﷺ وأهل بيته الكرام فقط. ثم واصل المؤلف بحثه ببيان الأمور التي يشملها الخُمس وقام بدراسة منطقية وعقلية للأحاديث التي نصت على وجوب الخُمس، وبعد أن قارن تلك الأحاديث بالقرآن الكريم وسنة الرسول الأكرم ﷺ، قام بدراسة دقيقة لرواة أسانيد تلك الأحاديث واحداً واحداً. بعد ذلك أورد المؤلف الأخبار التي تبين أن الأئمة وهبوا الخُمس لشيعتهم، وقام بتحليل هذه الروايات، وفي الختام فحص المؤلف مصارف الخُمس وسهم الإمام في زمن الغيبة. ثم نقل المؤلف فتاوى علماء الشيعة الكبار في موضوع دفع الخُمس أمثال الشيخ الإسكافي، وابن الجنيد، والشهيد الثاني، والمحقق السبزواري، وابن عقيل، والشيخ الصدوق، والشيخ الطوسي، والمقدس الأردبيلي، والمحقق الثاني، والقطيفي، والملا محسن فيض الكاشاني،

والشيخ الحر العاملي، والشيخ يوسف البحراني، وشمس الدين العاملي، والشيخ باقر النجفي (صاحب الجواهر)، وآخرين أجمعوا كلهم على إسقاط خمس أرباح المكاسب عن الشيعة في زمن الغيبة، ولأجل هذا الغرض استعرض المؤلف أقوال أولئك العلماء وفتاواهم واحداً واحداً. ويتضمن الجزء الأخير من الكتاب مجموع إجابات المؤلف على الردود التي ألفها كل من ناصر مكارم الشيرازي، ورضا استادي أصفهاني، و سيد حسن إمامي أصفهاني على كتابه الخمس، وقد أضيفت هذه الإجابات إلى النسخة الجديدة المنقّحة لكتاب الخمس.



٩- رَدُّ قُرُوبِيٍّ عَلَى السَّيِّدِ الْمَحَلَّاتِيِّ

حيدر علي قلمداران القمي

قام مؤلف هذا الكتاب بدراسة استدلالات وادعاءات ذبيح الله محلاتي التي ذكرها في كتابه «رَدُّ عَلَى الْمُنَاقَشَاتِ بِشَأْنِ خُطْبَةِ الْغَدِيرِ وَوَجُوبِ خَمْسِ أَرْبَاحِ الْمَكَاسِبِ وَمَسْأَلَةِ الشَّفَاعَةِ»، وتمحيصها، وتفنيدها والردّ عليها. وقد كان المحلاتي ألف كتابه الأخير للرد على مقالة بعنوان «رد خطبة الغدير» كان السيد أبو الفضل البرقي قد ألفها ونشرها في مجلة «رنكين كمان» [قوس قزح]. ولما كان السيد محلاتي قد ألف كتابه على شكل أسئلة افتراضية والإجابة عنها، اتخذ مؤلف هذه الرسالة نهجاً مشابهاً وبين إجاباته عن أسئلة السيد المحلاتي واعتراضاته. في بداية الرسالة بين المؤلف قصة الغدير وما وقع فيها وذكر دلائل تثبت أنه لا يمكن أن يكون قصد الرسول الأكرم ﷺ من تلك الواقعة هو النص على خلافة علي للنبي ﷺ في الحكم والرئاسة. وقسم المؤلف أدلته إلى أربعة أقسام هي: الأدلة العقلية والأدلة النقلية والأدلة الوجدانية والأدلة التاريخية. ثم قام المؤلف ببحث مفصل في سند حديث الغدير الطويل وعنوانه بـ (السند الفاضل لحديث الغدير) حيث حصّ رجال السند أي رواة حديث الغدير بالاستناد إلى مصادر كتب الرجال الشيعية المهمة مبيّناً حال أولئك الرواة ومدى ثقتهم وإمكانية الاعتماد على روايتهم ليصل بالنتيجة إلى أن أكثر أقسام حديث الغدير الطويل موضوعة مختلقة وبالتالي فالنتائج والمفاهيم المستنبطة منها باطلة.



١٠- قبس من القرآن

آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البرقي القمي

ترجمة وتفسير للقرآن الكريم باللغة الفارسية. هدف المؤلف من كتابه المذكور الذي يقع في أربعة مجلدات بيان مفاهيم آيات القرآن وشرح رسالته الهادية بعيداً عن العصبية المذهبية وأهواء الفرق. يقدم المؤلف في المجلد الأول من كتابه ضمن مقدمة مفصلة مبسطة شملت نصف حجم المجلد الأول معلومات وفوائد جامعة حول أهم مباحث علوم القرآن كي يتعرف القارئ غير المتخصص، إلى حد ما، على المفاهيم والمصطلحات القرآنية الخاصة ومن جملتها مباحث مثل: طريقة تدوين القرآن، القراءات المختلفة، دوافع وكيفية تدوين القرآن في زمن عثمان، تحريف القرآن، المحكم والمتشابه، إعجاز القرآن وأنواعه، خصائص نص القرآن الفريدة، وغير ذلك من الأبحاث. طريقة المؤلف في تفسيره هي الابتعاد عن استخدام المصطلحات الثقيلة والفنية في التفسير ونتيجة لذلك فإن القارئ يواجه نصاً سلساً وبسيطاً ومفهوماً بيسر. بعد أن يقدم المؤلف ترجمة سلسلة للآية يقوم ببيان معاني المفردات الواردة فيها - لاسيما المفردات ذات الوجوه المتعددة أو المفردات التي تحتاج إلى تعريف وتوضيح خاص - فيقوم بتفسيرها، مما يساعد القارئ على إدراك مفهوم كل آية ورسالتها.

يتضمن المجلد الأول من هذا التفسير تفسير سورة الفاتحة حتى النساء، ويتضمن المجلد الثاني تفسير سورة المائدة حتى يوسف والمجلد الثالث يواصل تفسير سورة يوسف حتى سورة فاطر، في حين يتضمن المجلد الرابع تفسير سورة يس حتى سورة الناس.



١١- نقد المراجعات

آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البرقي القمي

يتضمن الكتاب نقد ادعاءات السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابه «المراجعات» وتمحيصها. لقد أُلّف كتاب «المراجعات» بهدف مناقشة عقيدة أهل السنة (في موضوع الإمامة) ونقدها، فقام البرقي في هذا الكتاب بالرد على بيانات شرف الدين مستنداً في ذلك إلى آيات القرآن والأحاديث النبوية والروايات المنقولة عن أئمة الشيعة. يبتدئ الكتاب بطرح مفهومي السنة والتشيع ثم يستعرض اتجاه الكُتّابي المذهبي - بوصفه من أهم محدثي الشيعة- تجاه الحديث وتدوينه. ثم يشرح منهج الباطنية في تفسير القرآن وتأثير هذا النهج في استنباط المفاهيم الحديثية. ثم يبحث المؤلف موضوع دعوى علم الأئمة بالغيب ويثبت بطلان هذه العقيدة مستنداً في ذلك إلى الروايات الشيعية ذاتها. وفي ختام الكتاب يبين المؤلف أسباب نزول آية التطهير وآية المباهلة وآية المودة في فكر الأئمة ولدى مفسري الشيعة.



١٢- كيف اهتديت: ولادة جديدة واختيار جديد

حجة الإسلام والمسلمين مرتضى رادمهر

الكتابُ سيرةً ذاتيةً كتبها «مرتضى راد مهر» - من علماء الدين الشيعة المعاصرين - شرح فيها علل ميله إلى مذهب أهل السنة وما لاقاه في هذا الطريق من مصائب ومشكلات. كان المؤلف من الطلاب البارزين في الحوزة العلمية في قم. يشرح في كتابه هذا الدوافع التي دفعته إلى الانشقاق عن الأفكار الشيعة الخرافية والاتّجاه إلى مذهب أهل السنة، ويعرّف القراء خلال بيانه لهذا الأمر بالأسس الفكرية لأهل السنة ونقاط اختلافها مع عقائد الشيعة. كما يتضمن الكتاب بياناً للحوادث التي تعرض لها في حياته عندما كان طالباً للعلوم الدينية وشرحاً لمناظراته واحتجاجاته مع علماء أهل السنة وكيف كانوا يجيبون عن كثير من أسئلة الشيعة وشبهاتهم حول أهل السنة؛ ولذلك فالكتاب ليس مجرد سيرة حياة ذاتية بل هو درسٌ عقائديّ حول أفكار أهل السنة وعقائدهم. في بداية الكتاب يشرح المؤلف باختصار حال أسرته ومرحلة طفولته والأسباب التي دعت به إلى التحاق بالحوزة العلمية والجامعة. ثم في الفصل التالي يتكلم عن سفره إلى بلوشستان وتعرفه على مولانا (الزعيم الروحي والعقائدي لأهل السنة في تلك المنطقة). ويشرح كيف التقى فيه وتحادث معه. ثم يبين سفره إلى الحج وزيارته لمدينة السليمانية في العراق وزيارته سوريا وتأثير تلك الأسفار عليه. في الفصول الختامية للكتاب يبين المؤلف التحولات الروحية العميقة التي عرضت له واعتقاله المتكرر من قبل المخابرات الإيرانية وتعاملهم السيء معه وأنواع التعذيب الشديدة والرهيبة التي تعرض لها في السجن. تتضمن الفصول النهائية في الكتاب شرحاً لآخر أيام حياة رادمهر بقلم شخصٍ آخر غيره لأن المؤلف كان قد توفي بسبب العلل الجسيمة الناجمة عن التعذيب التي تعرض له على أيدي مسؤولي المخابرات في بلاده.



١٣- مفتاح فهم القرآن

شريعة سنكلجي

بياناً لطرق تدبر القرآن وكيفية فهمه وكيفية استخراج الفوائد والأحكام من آياته. يشير المؤلف في بداية كتابه إلى أن رسالة الإسلام رسالة عامة لجميع الخلق. وكذلك تعاليم الإسلام موجهة لعامة البشر. ويعتبر أن القرآن الكريم كتابٌ يخاطب عامة البشر ولا ينحصر فهم معانيه ورسالته بجماعة خاصة، ويسعى في بيان أصول فهم القرآن بلغة ميسرة بسيطة. ولأجل هذا الغرض، يبين في بداية الكتاب المفاهيم الأساسية الضرورية لفهم آيات القرآن ويقدم توضيحاً مختصراً حول كل واحد من تلك المفاهيم؛ ومنها: الظاهر والباطن، المحكم والمتشابه، التفسير بالرأي المدوح والتفسير بالرأي المنوع، الضروريات والناسخ والمنسوخ. ويواصل المؤلف فصول كتابه يبحث أنواع القسَم في القرآن ومفاهيمه ثم يبحث فواتح السور وأمثال القرآن. ثم يبحث طرق استدلال القرآن وماهية الوحي وكيفية فهمه. ثم يتعرض المؤلف إلى بيان مناهج الفرق والنحل الفكرية مثل السفسطائيين والحسينيين والتجريبيين والصوفية في فهم القرآن وتفسيره. وأخيراً يستعرض المؤلف موقف القرآن وتعاليمه حول النبوة والقيامة والمعاد.



١٤- الدعاء

آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البرقي القمي

تحليل لمفهوم الدعاء في الإسلام وبيان شروط الأدعية التوحيدية وكيفية التمييز بينها وبين الأدعية الشركية والباطلة. يُمحصّ المؤلف في هذا الكتاب بعض أهم كتب الأدعية الشيعية ويبين علة انحراف مضامينها. ويسعى بالاستناد إلى آيات القرآن الكريم والأحاديث الموثوقة إلى بيان الأضرار التي ألحقتها الأدعية المخترعة والمُضلة في الفرد والمجتمع. ثم يطرح المؤلف بعض الشبهات والأسئلة الشائعة حول الدعاء والتوسل ويرد عليها رداً مدللاً مبرهنًا.



١٥- منهاج السنة في رد أهل البدعة

مؤلف: شيخ الإسلام ابن تيمية

شرح: آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البرقي القمي

الكتاب ترجمة إلى الفارسية لكتاب «المنتقى» تأليف محمد بن عثمان الذهبي. وكتاب المنتقى اختصار لكتاب «منهاج السنة النبوية في نقد كلام الشيعة والقدرية» تأليف شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الدمشقي الذي ألفه في الرد على أفكار الشيعة وعقائدهم الباطلة. طريقة المؤلف في هذا الكتاب هي الابتداء بنقل عقائد الشيعة حول الإمامة والخلافة ثم تفنيد هذه العقائد بالاستناد إلى آيات القرآن الكريم وكلام نبي الإسلام الكريم وإلى المنطق والعقل السليم. في هذا الصدد ذكر المؤلف الدلائل التي ساقها العلامة الحلي لإثبات لزوم زعامة عليٍّ للمسلمين بعد رحلة النبي وأنه أولى بخلافة النبي من سائر الصحابة، لإثبات إمامة علي في القرآن الكريم ثم قام بالإجابة عن هذه الأدلة واحداً واحداً بشكل مفصل مبيّناً ضعفها وتهافتها.



١٦- تأمل في آية التطهير

آية الله العظمى نعمت الله صالحى نجف آبادي

شرح وتفسير لآية التطهير ودراسة وتمحيص لما يقوله الشيعة بشأن من تنطبق عليهم هذه الآية والرد على قولهم هذا. من المعلوم أن الآية ٣٣ من سورة الأحزاب المشهورة بآية التطهير إحدى أهم الآيات القرآنية التي يستند إليها الشيعة لإثبات عقيدتهم بعصمة أهل البيت. يسعى المؤلف في هذا الكتاب إلى بيان الوقائع التي أدت إلى نزول هذه الآية. ولأجل إثبات كلامه في هذا المجال يفحص المؤلف بكل دقة الآيات التي جاءت قبل هذه الآية وبعدها ويبين ترابط الآيات ووحدتها في بيان رسالة واحدة للقارئ، وبهذه الاستدلالات المختصرة والمنطقية يبطل إدعاء الشيعة حول هذه الآية.



١٧- التناقضات في العقيدة

محمد باقر سجودي

الكتاب تحليلٌ ودراسةٌ تاريخيةٌ للوقائع التي حدثت بعد رحلة النبي وأدت إلى وصول الخلفاء الثلاثة إلى منصب الخلافة وزعامة المسلمين. ليس هدف المؤلف من هذه الرسالة إهانة عقائد الشيعة بل مساعدتهم في إدراك حقانية الصحابة ومعرفتهم معرفة صحيحة. في بداية الكتاب عدّد المؤلف الدلائل التي دعت الرسول الأكرم إلى تجنب تعيين وصي له. وتابع المؤلف بحثه بذكر الآيات القرآنية التي نزلت في الشناء على الصحابة وبيان عظيم منزلتهم وقام بتفسير هذه الآيات. وذكر المؤلف الخصائص والمزايا التي بينها الله تعالى في وصفه للصحابة الحقيقيين للنبي وجعل تلك الخصائص في ١٣ مجموعة شرحها واحدة واحدة. ثم عرّف في الفصل التالي بالمنافقين وبيّن صفاتهم استناداً إلى آيات القرآن الكريم. ومن موضوعات الكتاب الأخرى دراسة وتحليل أسباب الاختلاف بين الصحابة ومحبي أهل النبي وخصائصهم وتحليل واقعة الإفك وسلوك النبي مع بناته.



١٨- توحيد العبادة

شريعة سنكلجي

يبين الكتاب قواعد ومعايير التوحيد في الإسلام ويشرح العقائد الخرافية الشركية ويعرفها للقراء. يبتدئ المؤلف كتابه بطرح أصل التوحيد ومعناه ومصاديقه. ثم يقوم ببيان مفهوم العبودية وشروط تحققها ويشرح العبودية العامة والخاصة ويتابع كتابه ببيان معنى الشرك والأعمال والأفكار الشركية التي وجدت طريقها لأداب المسلمين ومناسكهم ولاسيما الشيعة منهم. ويقسم الشرك إلى نوعين: الشرك الأكبر والشرك الأصغر؛ ويبين مصاديق كل منهما. ومن جملة مباحث هذا الفصل من الكتاب بحث التبرك، وذبح الأضاحي لغير الله والتوسل لغير الله والرياء والشفاعة. في الفصل التالي يبين المؤلف معنى قانون السببية وحقيقته وخطأ العوام في فهمه ثم يقوم بتحليل طقوس زيارة قبور عظماء الدين كالنبي والأئمة بوصفها نماذج شركية لهذا الفهم السيئ لقانون السببية. ويختص الفصل النهائي للكتاب ببيان الأسباب التاريخية والاجتماعية لظهور عبادة الأصنام وشيوع الشرك والخرافة في الإسلام.



١٩- الخلافة والإمامة

حيدر علي قلمداران القمي

طرحُ لأسئلةٍ أساسيةٍ حول عقائد الشيعة بشأن إمامة الأئمة وخلافة صحابة نبي الإسلام الأجلاء. يطرح المؤلف في هذا الكتاب مسائل مهمة حول أمر الخلافة والإمامة مستعيناً بآيات القرآن الكريم النورانية وأحاديث نبي الإسلام الأكرم الشريفة وكلمات صحابة النبي وتابعيه الأجلاء، ويدعو الشيعة إلى التفكُّر فيها وتأمُّلها بإنصاف. في بداية الكتاب يبحث المؤلف موقف حضرة عليٍّ (ع) من مسألة انتخاب الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه وينقل لنا خطب الإمام علي ورسائله التي تدل على رضاه عن ذلك. ثم يتعرض المؤلف إلى موضوع ذكر أسماء الأئمة الشيعة في القرآن ويذكر تفسير الآيات التي يستند إليها الشيعة في ادعائهم ويثبت خطأ استنباطهم لعقيدتهم من تلك الآيات. في هذا الفصل وبعد أن يذكر المؤلف أدلة عديدة من القرآن الكريم ينقل لنا روايات متعددة عن الأئمة انفسهم حول عدم عصمتهم من الخطأ والزلل.



٢٠- العقيدة الإسلامية

آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البرقي القمي

الكتاب بيان للعقائد الإسلامية الأصيلة استناداً إلى آيات القرآن الكريم النورانية وسنة نبي الرحمة والمغفرة - محمد المصطفى ﷺ - الحسنة. يشير المترجم في مقدمته على الكتاب إلى العداء الأعمى والجاهل للشيعة - خاصة في إيران - تجاه الموحدين في شبه الجزيرة العربية الذين يعرفون في إيران باسم الوهابيين. الدافع الأصلي الذي دعا المؤلف إلى ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الفارسية هو رغبته بالدفاع عن المنهج الفكري والعقائدي للموحدين في شبه الجزيرة العربية وشرح عقائد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - مصلح الحجاز الديني في القرن الثاني عشر الهجري - وتعاليمه. هذا الكتاب دستور توحيد وإيمان المسلمين الأحرار الذين يعتبرون كتاب الله وسنة رسوله المطهرة كافرين ووافيين للهداية ونيل السعادة الأبدية وينحازون بعيداً عن كل تعصب إلى تعاليم الإسلام الأصيلة. يشتمل هذا الكتاب على ثلاثة رسائل لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب: تم في الرسالة الأولى بيان أسس التوحيد ومعرفة الله، وكيفية معرفة النبي، والآثار الدينية لذلك التوحيد والمعرفة الصحيحة في المجتمع وواجبات المؤمنين تجاه الله تعالى ورسوله. في الرسالة الثانية يشرح المؤلف معايير تمييز الحق من الباطل في اتباع الدين الحنيف، وفي الرسالة الثالثة يطرح المؤلف الشبهات التي يوردها المغرضون والمشركون على الإسلام وأفكاره التوحيدية ويرد عليها رداً مدللاً.